إصدارات دار الفيصل الثقافية (٧)

شعر مزينة في الإسلام

حتى نهاية القرن الثاني الهجري

دراسة موضوعية وفنية

تأليف
الدكتور عبد المجيد محمد الإسداوي
كلية الآداب - جامعة المنيا
مصر

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار الفيصل الثقافية

ص . ب (٣) الرياض ١١٤١١

ح دار الفيصل الثقافية ، ١٤١٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الأسداوي، عبدالمجيد محمد

شعر مزينة في الإسلام حتى نهاية القرن الثاني الهجري:

دراسة فنية موضوعية/ عبدالمجيد محمد عبدالمجيد الأسداوي.

٧٩٠ ص؛ ٢٤ سم

ردمك ١ -٠٠ - ٦٧٧-٩٩٦٠

١ ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد ـ العصر الأموي

٢ ـ الشعر العربي ـ دواوين وقصائد ـ عصر صدر الإسلام

٣ ـ مزينة (قبيلة) أ ـ العنوان

رقم الإيداع ١٤/٠٨٦٣

ردمك ١ -٠٠ - ٦٧٧-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

إن دراسة الحياة العـربية قبل الإسلام لا تستغني عن الاستعـانة بشعر العرب لمعرفة أحوالهم وأيامـهم وعلاقاتهم بغيرهم حتى إن بعض العلمـاء سمى الشعر «ديوان العرب» لأنه الحافظ لتاريـخهم في الجاهلية خاصة حيث الأمـية غالبة. وقد شرح العلماء بعد الإسلام ذلك الشعـر وفسروه. فكان سببًا في حفظ قدر كبير من تاريخ العرب في الجاهلية؛ من ذلك أيام العرب التي ظلت الهزيمة فيها أو الانتصار مدار الذم أو الفخر عند الشعراء.

والعناية بشعر القبـائل وجمعه ودراسته ضرورية لمعرفة تـاريخ القبائل خاصة والعـرب الجاهليين عـامـة، ولفهم الشـعر نفـسـه وتذوقه. ولعل هذا مـا دفع مجموعة من العلماء والباحثين المحدثين إلى جمع شعر كل قبيلة ودراسته. وفي هذا الإطار يسعدنا أن نقـدم كتاب « **شعـر مزينة في الإسلام حتى نهـاية القرن الثاني الهجري** » للدكتور عبدالمجيد الإسـداوي الذي يشتمل على دراسة قبيلة بني مزينة مسـتعينًا بما تركه شعـراؤها من تراث شعري. وقد كان لهـذه القبيلة شعراء نالوا شهرة واسعة.

ومن أشهـر شعراء مزينة في الجـاهلية المشهـورين زهير بن أبي سلمى المزني الذي اشتهر بمعـلقته المشتملة على حكم سديدة. وجـاء مِن بعده ابنه كعب بن زهير الشاعر المخضرم صاحب «بانت سعاد» التي مدح بها الرسول ﷺ واعتذر إليه، وهي قصيـدة سارت بها الركبان واهتم العلماء بشرحـها، ونسج الشعراء

على منوالها وسميت بقـصيدة البُردة. ومن شعراء مزينة الشاعـرُ المخضرم معن ابن أوس المزني الذي اشتهر بحكمته وشعره.

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء.. والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مدير دار الفيصل الثقافية

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة وهدى للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ وتابعيهِ بإحسانٍ إلى يوم الدين..

أما بعد..

فإن المتابع لبعض مظاهر الصحوة العربية الحديثة، في جمع أشعار الشعراء والقبائل التي لم تصل إلينا أشعارها وتحقيقها ودراستها لَيُدرك افتقارنا إلى عمل يضطلع بجمع ما تناثر من أشعار المزنيين المخضرمين والإسلاميين الذين ضاعت دواوينهم، وتوثيقها، ودراستها... لذا كانت الدوافع لديّ قوية لدراسة شعر هؤلاء الشعراء، بعد جمع ما لم يجمع منه، وتوثيقِه، دراسة موضوعية وفنيةً، تتناول بالبحث والتأصيل حياتهم، وتلقي الأضواء على موضوعات شعرهم في علاقاته بالطبيعة وظواهرها، وفي علاقته بالمجتمع العربي الإسلامي من حولهم، وتقف على بعض الظواهر الفنية البارزة فيه، بدءًا بما تيسر لنا من أشعارهم منذ أشرقت شمس الإسلام الحنيف (١٣ق. هـ)، حتى نهاية القرن الثاني الهجري (٢٠٠هـ/ ٦١٠ - ٨١٦م)، مُتبعًا في ذلك المنهج التاريخي التحليلي الوصفي الذي يلم بالظاهرة موضع الدرس من كل جوانبها، مع الاستفادة من المنهج الذي يعالج الشعر في إطار وظيفته وموضوعاته وأغراضه، أي الوجه الاجتماعي أو مهمة الفن، وفي إطار طبيعته وظواهره واتجاهاته الفنية، أي الوجه الفني، أو طبيعة الفن، مستفيدا من نتائج البحوث والدراساتِ التالية:

أ - قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي، للدكتور/ السيد إبراهيم محمد (م، الإسلامي ببيروت ودمشق،

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، وهو البحث الذي لفت نظري بالدراسةِ الطيبةِ لقصيدةِ (بانت سعاد)، وموقعها من تراثِ السابقين واللاحقين بمنشدِها.

ب - قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام: نسبها وتاريخها وتراجم بعض الصحابة منها، لمساعد بن مسلم المزني (المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، وقد أفادني هذا الكتاب في أحاديثِ صاحبِهِ عن نَسَبِ مُزينة، وديارها قبل الإسلام وأحلافها، وذكر البارزين منها، قبل الإسلام وبعده، وتفرق أبنائها في عهد الخلافةِ الراشدةِ، مع ذكر مناقبها.

جـ - عبدالله بن عمرو بن أبي صُبح المزني: أخباره وأشعاره، وهو بحث نشره الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي بمجلة العرب السعودية (جـ ٩، ١٠، الربيعان، ١٤١٠هـ، أكتوبر ونوفمبر/ التشرينان ١٩٨٩م، ونشره بدار الرفاعي، الرياض، ١٤١١هـ، مضيفا إلى معارفنا عن الشعر المزني شاعرا كاد النسيان يقضي على تدفقِ شاعريته.

د - شعر بني مزينة في الجاهلية، جمع وتحقيق ودراسة، وهو بحث حصل به الزميل الصديق عثمان عبدالعظيم الغزالي على درجة الماجستير في الآداب من كلية الآداب جامعة الزقازيق، في ذي الحجة ١٤٠٩هـ/ يوليو(تموز) ١٩٨٩م (م. جامعة الزقازيق، ١٢٤٣/ ١/ ٨١١). وتلخصت استفادتي من هذا البحث في لفت انتباهي إلى روافد من الشعر المزني في الجاهلية والإسلام، إضافة إلى الدراسة التي عقدها البحث عن نسب القبيلة وحياتها وشعرها في الجاهلية.

هـ - خارجة بن فليح المللي، وترجمته وأخباره وشعره وهو بحثٌ نشره

الأستـاذ عبدالعـزيز الرفاعي بمجلة العرب السـعودية (جـ ٥، ٦، ذوا القـعدة والحـجـة ١٤١٠هـ، يونيه ويـوليو(حـزيران وتموز) ١٩٩٠م، ومـجلة مـجـمع اللغـة العـربيـة بالقـاهـرة، ج ٦٧، ربيع الآخـر ١٤١١هـ/ نوفـمبـر (تشـرين الثاني) ١٩٩٠م، ونـشره بدار الرفـاعي، الرياض ١٤١١هـ، وقد أضـاف هذا البحث، كسـابقيـه، لنطاق بحثي مساحـة جديدة ساعدت على اتسـاعه وعمقه، وأخـذ بيدي إلى الإلمام بشعره هو وابن أبي صبح في المصادر المختلفة.

و ـ مصـادر ومراجع أخـرى أعانتني على إخـراج البحث بهـذه الصورة، مشـتملة على بعض المخطـوطات والمصادر المحقـقة ذات الموضـوعات المخـتلفـة، إلى جـانب المجـمـوعـات الأدبيـة والشـعـرية والدواوين وإصـدارات بعض المحـدثين، لما وصل إلى أيـدينا من أشـعـار بعض الشعراء، وبعض المراجع العربية والمترجمة والدوريات .

وصفحات هذا البحث صورة مصغرة طموح من البحوث والدراسات الأدبية المهتمة بجـمع أشعار القبائل وتحقيـقها ودراستها، لذا فقد حـاولت فيه أن أقوم بعمل يـوازن تقريبًا بين جُـهدي في جـمع شعـر مزينة وتوثيـقه والإلمام بسـير مشاهيرها وتتبع مظاهر حياتها من جهـة، ودراسته واستخلاص بعض خصائصه الموضوعية والفنيـة من جهة أخرى، وهو أمر جعلني أقسمـه قسمين متكاملين: الدراسة، وهي تحتوي على المقدمـة وتمهيد وثلاثة أبواب، ويتكون كل منها من ثلاثة فصول، وخاتمة. وقد ألمحت في التمهـيد بإشارة خاطفة إلى أهمية دراسة شعر القبـائل من الناحيتين الفنية والموضوعـية. وتناولت في الباب الأول تاريخ مزينة، بادئا في الفصل الأول منه بمحاولة تعرّف نسب مزينة، ومنازلها ومظاهر حياتهـا الجاهلية من جوانبهـا الاقتصادية والاجتمـاعية، ومعارفـهم، وحياتهم

السياسية والدينية، منتقلا إلى الفصل الثاني الذي خصصته لدراسة تاريخها في الإسلام مسلطا الأضواء على إسلام بني مزينة وجهادهم في سبيل الله في العهد النبوي والراشديِّ، وما تلاهما من عهود، كاشفا عن اشتراكهم في الأحداث المحيطة بهم على امتداد القرنين الأولين بعد الهجرة، فجوانب من حياتهم الاقتصادية، ومنازلهم في الإسلام، فجوانب من حياتهم الاجتماعية، والثقافية. . . . منتقلا إلى الفصل الثالث، وأفردته للإلمام ببعض المعلومات المتصلة بديوان شعر مزينة وكتاب نسبها وأخبارها اللذين لم يصلا إلينا تمهيدا للدراسة الموجزة لشعراء مزينة الإسلاميين مخضرمين، وإسلاميين، ومجهولي العصرِ.

وخصصتُ الباب الثاني للدراسة الموضوعية، واتخذت له عنوان (موضوعات شعر مُزينةَ). . وقد تطرقتُ في فصله الأول إلى الحديث عن موقف الشعراء المزنيين من ظواهر الطبيعة، مفردا أحاديث مفصلة لتناولهم للأطلال والطريق والسراب والجبال والرياح والمياه والربيع والأسد والذئب والفرس والناقة والطيور والنبات، وتحدثت فى فصله الثانى عن مظاهر معايشتهم لأطوار المجتمع الإسلامي وقيمه، مفردا الفصل الثالث لأبعاد التأمل الذاتي للشعراء المزنيين.

ثم انتقلت إلى الباب الثالث، فتناولت بالدراسة: الظواهر الفنية في شعر مزينة، وبدأت في فصله الأول بدراسة البناء الفني للقصيدة المزنية، وثنيت بدراسة لغة الشعر المزني وموسيقاه في فصله الثانى، وانتهيت بالإلمام بخصائص الصورة الفنية في فصله الأخير. . . . مختتما بخاتمة موجزة لفت فيها النظر إلى بعض ما ظهر لي عبر رحلتي مع فصول هذه الدراسة.

أما القسم الثاني فقد جعلته خاصا بالملاحق، وفيه بدأت برسم صورة

تخطيطية تقريبية لشجرة نسب مزينة، من خلال ما تيسر لي من المصادر المهتمة بهذا الموضوع، منتقلا إلى (ملحق الأعلام)، وفيه ترجمت لمن تيسرت لي معرفتهم من أعلام مزينة، فملحق الشعر الذي أثبت فيه ما أتيح لي الاطلاع عليه من أشعار المزنيين في الإسلام ممن ليست لهم دواوين، مُتممًا ذلك بملحق الخرائط والأشكال التي ساعدتني على إدراك بعض الحقائق التي تطرق لها حديثي عند الإلمام بحياة مزينة ومنازلها، في الجاهلية والإسلام.. مذيلا بثبت للمصادر والمراجع التي ساعدتني على إعداد هذا البحثِ.

والبحث الذي بين يديك عزيزي القارئ، أطروحة حصل بها المؤلف على درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة الإسكندرية في ١٥ من صفر ١٤١٣هـ الموافق ١٣/٨/١٩٩٢م بمرتبة الشرف الأولى بمناقشة كل من الأستاذين الدكتورين: إبراهيم عبدالرحمن محمد وصالح حسن اليظي، جزاهما الله سبحانه عني كل خير.

وإنني إذ أقدم هذا العمل المتواضع بصورته الحالية، أثق بأن مزيداً من المراجعة والتمحيص والتنقيب، في بطون الكتب وفي رحاب الفكر، قد يثمر في تصحيح بعض ما أخطأت فيه بغير قصد، على وعد صادق وعزم أكيد ببذل الطاقة المتاحة إن شاء الله في سبيل النهوض به إلى الغاية المرجوة منه.

ولايبقى في ختام هذه السطور سوى أن أتقدَّمَ بجزيل شُكري وأسمى آياتِ تقديري وحُبي وعرفاني لله سبحانه وتعالى أولاً، على حُسن توفيقه، ثم لصاحب الفضل في اختيار هذا الموضوع، وتوجيهي إليه، وماسبقهما وواكبَهُما وتلاهُما من رعاية وتوجيه، إلى أستاذنا الدكتور / محمد مصطفى هدارة، جزاه الله عني كل خيرٍ.

كما يطيبُ لي التوجه بالشكرِ لكلٍّ من استفدتُ من مؤلفاتهم وآرائهم بطريقة

أو بأُخرى، وكل من أعانني على إتمام هذا البحث من الأهل والأسرة والزملاءِ والأصدقاءِ، ولاسيما الأستاذ حمد الجاسر صاحب مجلة العرب بالرياض/السعودية، لتفضله بتزويدي بأشعار المزنيين في كتاب "التعليقات والنوادر"، من نسخته الهندية. . . إضافة إلى أمناء المكتبات بالهيئة العامة للكتاب بالقاهرة ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وجامعتي الملك سعود، والإمام محمد بالرياض، وجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، والأستاذ جعفر الغافلي أمين مكتبة المعهد التجاري بالقطيف ـ على تفضلهم جميعاً بمساعدتي بالمصادر والمراجع التي احتاج إليها البحث، وعلى ما أبدَوْه من سماحةِ خُلُقٍ كان لها الأثر العظيم في تذليلِ الصعوبات أمامي خطواتٍ كثيرةً ـ وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ رب العالمينَ.

المؤلف

د. عبدالمجيد الإسداوي

التمهيد

دراسة شعر القبائل وأهميته

تجابه البحوث والدراسات القائمة على جمع أشعار الشعراء والقبائل وتحقيقها ودراستها(١) بموقف يُترجَم بسؤال عن الأهمية المنشودة منها.

---

(١) من البحوث والدراسات التي تيسر لي الاطلاع عليها والاستفادةُ منها ـ إضافةً إلى ما سبقت الإشارةُ إليه حَسْبَ الترتيب الأبجدي لمؤلفيها:ـ

أ - أحمد كمال زكي: شعر الهذليينَ في الجاهلية والإسلام، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٩م.

ب - إسماعيل أحمد شحادة العالم: شعراء البحرين في العصر الجاهلي، ر.م. بآداب القاهرة، ١٩٧٤م.

جـ - السيد محمد ديب: شعراء الطائف في الجاهلية والإسلام، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٨٩م.

د - أيمن محمد حلمي السيد، ر. د. بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

هـ - حسام أحمد علم: أشعار حمير في الجاهلية، جمع وتحقيق ودراسة، ر.م بآداب الزقازيق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، (رقم ٣٣٤). وشعر بني بكر في الجاهلية وصدر الإسلام، ر.د آداب الزقازيق، ١٩٩٤م.

و - حسن عيسى أبو ياسين: شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق ودراسة، دار العلوم للطباعة، الرياض، ١٤٠٣هـ.

ز - خليل صالح سليم أبو رحمة: حركة الشعر في قبيلة قيس في العصر الأموي، ر.م بكلية الآداب، الجامعة الأردنية، ١٩٧٦م (نسخة محفوظة بمكتبة جامعة عين شمس (٢/ ٨١١، خ. س (٢١٦٨).

ح - داود إبراهيم غطاشة: حركة الشعر في قبيلة غنيّ حتى نهاية العصر الأموي، ر.م بكلية الآداب، الجامعة الأردنية، ٧٥/ ١٩٧٦م، (مكتبة عين شمس (٢/ ٨١١، د.أ، ٢١٦٩).

ط - راشد سعد القبر: شعر باهلة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي، دراسة فنية وجمع=

ولقد مررتُ بهذا الموقف، عندما وجهني أستاذنا الدكتور محمد مصطفى هدارة إلى دراسة شعر مزينة في الإسلام، وبدأت في إعداد تصوري المبدئي

= ما لم يجمع من شعر القبيلة، ر.م بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤٠٩هـ، (٢٠٧٨).

ي - رشيد العمرو: شعر طيء في العصر الجاهلي، ر.د بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام، ١٤٠٢هـ، (٢٠٧٨).

ك - سلامة عبدالله السويدي، شعر قبيلة ذبيان في الجاهلية ر.م. بآداب القاهرة، ١٩٨٦م (م. الجامعة ٤٥٨٦).

ل - طيبة إبراهيم العثمان: شعر بني مرة في صدر الإسلام والعصر الأموي، دراسة فنية مع جمع شعر من ليس لهم دواوين منهم، ر.م آداب عين شمس، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، (٢/ ٨١١، ط.أ، ٣٠٢٧).

م - عبدالحميد المعيني: شعر تميم في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق ودراسة، / .د. بآداب القاهرة، ١٩٧٩م، (٢٩٢٢)، طبع كتابين أولهما: التميميون أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي، الزرقاء، الأردن في ١٤٠٥هـ. وثانيهما: شعر بني تميم جمع وتحقيق، نادي القصيم الأدبي السعودية، بريدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. وشعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، ر. م. بآداب القاهرة، ١٩٧٦م، (م. الجامعة ١٦٧٥_١٦٧٦).

ن - عبدالعزيز بن محمد الفيصل: شعر بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى أواخر العصر الأموي، ط.م الحلبي، مصر ١٣٩٨هـ (جزءان الأول: الدراسة، والثاني: الديوان) وشعراء بني عقيل وشعرهم من الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي، م. العبيكان، الرياض، ١٤٠٨هـ.

س - د. عبدالعزيز نبوي: ديوان بني بكر في الجاهلية، دار الزهراء، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

ع - عبدالكريم إبراهيم يعقوب: شعراء بني عامر الجاهليون، ر.م بآداب الاسكندرية ١٩٧٧م (طبع في كتابين، أولهما: شعراء بني عامر الجاهليون، وثانيهما: أشعار العامريين الجاهليين، دار الحوار، سورية، ١٩٨٢م.

لهذا الموضوع، إذا بي أقابل من قبل بعض الباحثين بنظرة تطفح بتساؤل ممتلئ بالسخرية والتهكم والتعجب، عن جدوى مثل هذا الموضوع، في عصر يتطلب فيه القائمون على الدراسات الجامعية بخاصة مزيدا من التخصص والتعمق،

= ف - عثمان محمد عثمان الغزالي: شعر بني ذبيان في الجاهلية وصدر الإسلام، ر.د. بآداب الزقازيق، يناير(كانون الثاني) ١٩٩٢م.

ص - عزازي علي عزازي: شعر بني عبس في الجاهلية، جمع وتحقيق ودراسة / .م بآداب الزقازيق، ١٩٨٥م، (رقم ١٣٥).

ق - عيضة عبدالغفور الصواط: شعر ثقيف في العصر الأموي جمع وتحقيق ودراسة. وهو بحث حصل به صاحبه على درجة الماجستير في الآداب، من كلية الشريعة جامعة أم القرى ١٤٠٣هـ، ثم نشر ضمن إصدارات نادي الطائف الأدبي، السعودية (د. ت).

ر - وفاء السنديوني: شعر طيّئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري، جمع وتحقيق ودراسة، دار العلوم بالرياض، ١٤٠٣هـ (جزءان، أولهما: تاريخ طيّئ وأخبارها، وثانيهما: ديوان القبيلة) وأفادتني سعادتها بأنها شاركت في مناقشة البحث المقدم من الباحثة ليلى الدخيل للحصول على درجة الماجستير من الرئاسة العامة لتعليم البنات بالرياض في (أشعار بني قيس بن ثعلبة في الجاهلية) وفي ٢٥ من ربيع الثاني ١٤١٠هـ / ٢٣/ ١١/ ١٩٨٩م) كتب إلى الاستاذ الدكتور عبدالحفيظ السطلي أستاذ الأدب العربي في جامعة دمشق، مؤكداً أن كثيراً من القبائل تدرس أشعارها حالياً في رسائل للدكتوراه تحت إشرافه.

وبالاطلاع على مجلة (عالم الكتب) السعودية، في مجلدها الثاني عشر، العدد الرابع، الصادر في ربيع الآخر ١٤١٢هـ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١م، ص: ٥٩٦ تبين لي أن أحد تلاميذه وهو (محمد علي دقة) قد حصل على رسالة الدكتوراه، من قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة دمشق سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١م عن بحثه المعنون: شعراء بني أسد أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي وصدر الإسلام. وأفادني أستاذي الدكتور هدارة بأنه قد تم تحت إشرافه بآداب الإسكندرية القيام بالبحوث الآتية:

١ـ أحمد زكي منصور: شعر إياد في الجاهلية، ر.م.

٢ـ أحمد موسى الجاسم: شعر بني أسد دراسة تحليلية، ر.د.

وهما سمتان يرى هؤلاء الباحثون أن المضطلع بجمع شعر شاعر أو قبيلة ما وتحقيقه ودراسته، يفتقر إليهما افتقارا يؤثر في عمله تأثيرا سلبيا خطيرا، كما استتبع ذلك اعتقادهم بأن مثل هذه الدراسات والبحوث، بما تتصف به من شمولية، هي أقربُ إلى التأريخ للأدب والتأصيل لبيئاته المختلفة منها إلى الأدب وروحه.

والواقع أن هذا التساؤل وما استتبعه من اعتقاد يكاد ينتابهما من التعسف والجور الشديد شيء كثير، بسبب وقوع أصحابها، بقصد، أو بغير قصد، في هوة التعميم المضلل، وقصر النظر، وما يتبعهما من نتائج منقوصة، لأنهم لم يدركوا قيمة هذه الدراسات والبحوث التي بدأت بجهود رائدة منذ وقت مبكر في صدر الإسلام [٢] على أيدي جلة من العلماء والرواة والأدباء والنقاد المسلمين الأوائل، إحساساً منهم بما تمثله هذه الأشعار من ذخر حيوي ثري ساعدهم، بغير شك، على دراسة اللغة العربية وآدابها، والإلمام بجوانب من

= ٣ـ علي أحمد علام: شعر بني سليم منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي، ر.د.

٤ـ ناهد السيد الشعراوي: شعراء بني عامر في صدر الإسلام والعصر الأموي، ر.د.

وفي ٩ من رجب سنة ١٤١٠هـ/ ٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٩٠م، كتب إليَّ الأستاذ الدكتور حسن أبو ياسين أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود بالرياض مؤكداً أنه انتهى من ديوان شعر مزينة في الجاهلية والإسلام، وشعر قبيلة (عبس) و (فزارة) و (مرة) و (عذرة) وأن زوجته الدكتورة وفاء السنديوني قد انتهت من عمل شعر (أسد) و (كندة)، وأن تلميذاً له يدعى (علي الجماح) يعمل محاضراً بجامعة الإمام محمد بالرياض يقوم بدراسة شعر ذبيان، بفروعها (فزارة ومرة وغطفان) كما أفادني سيادته بأن جهده في (ديوان مزينة) الماثل الآن للطبع بمركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود، إنما يتركز على تاريخ مزينة في الجاهلية والإسلام، إضافة إلى جمع الشعر وتوثيقه، دون الانتقال إلى دراسته الفنية والموضوعية، وهو النطاق الذي تمتد إليه فصول هذا البحث.

(٢) يراجع بالتفصيل: مصادر الشعر الجاهلي، ١٠٩، ١١٠، ١٥٧ وما بعدها، و ٢٣٥ - و٥٤٣.. وتاريخ التراث العربي، ٢/ ١/ ٥٣ - ٦٩.

حياتهم الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية . . . وغيرها. . قبل أن تشرق أنوار الإسلام عليهم . . . وبعده.

وهل يستطيع أحد أن ينكر فضل عملية جمع ثروة العرب الشعرية وغيرها من فنون الآداب، وتدوينها ـ على إثراء الحياة الثقافية والعلمية والأدبية والنقدية، والبلاغية آنذاك؟.

وهل عرف علماء الإسلام وأدباؤه ونقاده لهجات القبائل المختلفة وأيامها وصورا من مشاهدها وألموا بسير مشاهيرها، ووقفوا على جوانب مشرقة من شاعرية عشرات، بل مئات من أبنائها، دون أن يقع لهم من أشعارها، على مر العصور، وامتداد المنازل، وتصور مظاهر المعيشة، القدر الذى أنار لهم دروبهم؟!.

وهل خلف نقاد الشعر المسلمون ما خلفوه من نظرية نقدية للشعر إلا بعد اطلاعهم على نصوص كثيرة أتاحت لهم استنباط قواعد الشعر وأسس تذوقه ونقده؟.

وهل يمكن لأحد من الباحثين ـ مهما ادعى التزامه التخصص والتعمق في فهم الشعر ـ والأدب بعامة ـ وتذوقه ودراسته ونقده، أن يبدأ عمله هذا من فراغ وجهل دون معرفة بالأرضية التي نبت فيها هذا الشعر وترعرع، إضافة إلى وجوب الوقوف على العوامل التي تركت آثارها في نضجه ورقيه، حتى يتمكن من حل بعض ما يواجهه من رموز وأسرار هي أقرب إلى روح الشعر ومعالمه، إلى جانب ما يحتاج إليه من معارف حول سيرة مبدع هذا الشعر، وعقائده التي كونت مؤثراتها في نتاجه الأدبي، بكل خصائصه الفنية والموضوعية؟.

على أن هذا الطعن الموجه إلى البحوث والدراسات المضطلعة بجمع الشعر، وتحقيقه ودراسته بسبب ما قد يرى من وقوع بعض أصحابها في نقائص التسرع، وخاصة فيما يتصل بالجانب الثالث والأخير من هذه البحوث ـ وهو ما يتصل بالدراسة ـ لا يجوز أن يكون طعنا عاما في المنهج الذي يقوم عليه أكثر هذه الدراسات التي تستهدف فيما تستهدف جمع ما تبقى متناثرا من تراث الشعراء أو القبائل في بطون الكتب المختلفة وتنقيته وتحقيقه ودراسته الدراسة التي تلفت أنظار القراء والباحثين والنقاد إليه، لكي يأخذ حقه في دوائر الاهتمام والبحث والنقد، دون أن نجزم بأن «الكلمة الأخيرة» في هذا المجال قد صدرت بعد، إضافة إلى إدراك أهمية هذه الجهود في إحياء جوانب حيوية من تراثنا الأدبي التي حل بها العفاء والدروس.. ودفع الظلم الكائن على كواهل العشرات من الشواعر والشعراء العرب الذين أُهمِلوا على خريطة البحوث الأدبية والنقدية قديما وحديثا، بسبب ما قد تعرض له نتاجهم الأدبي من ضياع أو إهمال أو تشويه، لأسباب، أو أخرى، في تصحيح بعض الأحكام النقدية والبلاغية التي صدرت في تقويم بعض النتاج الأدبي عند العرب، واستعادة الصورة الصحيحة لهويتنا الأدبية وربطها بما صح من ملامح التاريخ الحضاري للعرب والمسلمين على مر العصور.

وإذا كان بعض هؤلاء الباحثين قد يضطر اضطرارا إلى الإيجاز في جزئه المتعلق بالدراسة التي يقدم بها لشعر الشاعر أو القبيلة، أو يذيل، فإن ذلك الإيجاز، يتحمل مسؤوليته السلبية من وقع في نطاقها فحسب، دون أن يتم تعميم الحكم على غيره من الباحثين الذين استطاعوا في دراساتهم أن يقدموا للبحوث الأدبية خدماتهم الجليلة، وهل يستطيع أحد إنكار ثمرات الجهد الطيب الذي بذله الدكتور أحمد كمال زكي، في بحثه الرائد عن «شعر الهذليين في

الجاهلية والإسلام» وهو البحث الذي جمع فيه شعرهم باقتدار ووعي بصلات الشعر بموروثاته الحضارية والثقافية والدينية والاجتماعية. . . فقدم للباحثين من بعده الحاجة إلى اقتفاء أثره في إبراز جوانب الاتفاق والتفرد في شاعرية كل قبيلة من قبائل العرب في الإسلام وبعده، وقوفا على جوانب كانت دارسة أو مدفونة أو غامضة من تراث أبنائها. . ؟

وإذا كان الدكتور أحمد كمال زكي، قد تيسر له الحصول على ديوان هذيل الذي جمعه السكري (ت: ٢٧٥هـ)، فيما تم جمعه من عشرات أو مئات من دواوين الشعراء والقبائل حينئذ، فلم يكابد مشقة جمع هذا الشعر وتحقيقه، فانتقل مباشرة إلى تلمس مظاهر الحياة العربية عند الهذليين عبر الزمان والمكان، تمهيدًا للإلمام بخصائص شعرهم - فإن غيره ممن ساروا على دربه، ومنهم كاتب هذه السطور، لم يتيسر لهم الوقوع على شيء من دواوين الشعراء أو القبائل التي اضطلعوا بدراسة أشعارها، لذا فهم يستفرغون جزءا كبيرا من جهودهم في عمليات التنقيب عما يتناثر في بطون الكتب، لَمًّا لشعثها وإحياءً لمواتها، وبالتالي كان من الإنصاف لجهودهم هذه أن نعترف بفضلها في إضافة شيء لم يكن موجودا على هيئته، وإحيائه، وأن نعدها «بداية» طيبة نستأنف منها دراساتنا وبحوثنا الأدبية والنقدية على اختلاف مناهجها وأهدافها. . . ويبقى الباب مفتوحا بعد ذلك أمام الباحثين والنقاد للنظر في هذه البحوث وتقويمها، كلاً على حدة، إظهارا للجوانب الإيجابية والسلبية فيها والوقوف على مدى تقدمها بالبحث الأدبي.

* * *

الباب الأول

مزينة في التاريخ

الفصل الأول: مزينة في العصر الجاهلي

الفصل الثاني: مزينة في العصر الإسلامي

الفصل الثالث: شعراء مزينة في الإسلام

الفصل الأول

مزينة في العصر الجاهلي

أ ـ نَسَبُهُم

ورد في كتب اللغة: مزينة تصغير مزنة، والمزنة: السحابة البيضاء، أكثر ما تنسب، والجمع مُزْن [1]، والبرد حب المزن، ويقال للهلال: ابن مزنة، والمزنة: المطرة [2]، وهذا يوم مَزْنٍ: يوم فرار من العدو [3].

وذكر أبوحاتم، عن أبي زيد (ت ٢١٤/ ٢١٥هـ)، أن العرب تقول: «فلان يتمزن على قومه: يتفضل عليهم» [4].

ومزينة (كجهينة)، والنسبة، إليها مزني، والمتأخرون يقولون: مزيني[5]، وهي قبيلة من مضر من العدنانية، وهي بطن من طابخة.

وتكاد المصادر تجمع على أن أبناء هذه القبيلة هم: «بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أدّ بِن طابخَةَ بِن الياس بِن نزار بن معدّ بن عدنان» [6].

وذكر ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) أن بعض أهل العلم يقولون: «مزينة ابن عمرو بن أد. . .» [7]، بينما ذهب ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) إلى أنهم «بنو مر بن أد بن طابخة، واسما ولديه عثمان وأوس، وأمهما مزينة»[8].

---

(١) الاشتقاق، ص: ١٨٠ - ١٨١.

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية، (مزن).

(٣) تاج العروس (مزن).

(٤) الاشتقاق، ص: ١٨٠.

(٥) معجم قبائل الحجاز، ٤٥٣ ومعجم أسماء العرب ٢/ ١٥٩٤.

(٦) ينظر بالتفصيل: جمهرة النسب، ٢٨٧، وطبقات ابن خياط ١/ ٨٣، ونسب عدنان وقحطان ٢٦، وشرح ديوان زهير، الهيئة، ٣٣٠، وشرح شعره، الآفاق، ٢٤٣. والعقد الفريد، دار التأليف، ٣/ ٣٣٨ وتاج اللغة، (مزن) والمستدرك، ٣/ ٥٧٨. وجمهرة أنساب العرب، ١/ ٢٠١ وأسد الغابة، الشعب ٢/ ٤٩٣ - ٤٩٤ ولسان العرب (مزن)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٨٣، ومعجم قبائل العرب ٣/ ١٠٨٤. ومعجم أسماء العرب، ٢/ ١٥٩٥ وغيرها.

(٧) تاريخ دمشق، م، الدار، ٤/ ٧٧٣، و١٧/ ١٤٥.

(٨) تاريخ ابن خلدون، ٣/ ٦٥٩.

ويبدو أن وهما أو تصحيفا قد وقع في هذا النص الذي ينفرد به ابن خلدون، من بين ما تيسر لي الاطلاع عليه من مصادر، في الوقت الذي اتفق الهمداني (أبوبكر بن عثمان الحازمي ت ٥٨٤هـ)(٩) مع رأي الجمهرة الرواة، على تحديد الأب الأكبر لمزينة، مشيرا إلى ما قرره كل من ابن الكلبي (ت ٢٠٤/٢٠٦هـ) (١٠) وابن دريد (ت٣٢١هـ) (١١) وابن عساكر (١٢)، وغيرهم(١٣)، من أن أم عثمان وأوس (اللذين ينسب إليهما المزنيون) (١٤)، «هي مزينة بنت كلب بن وبرة، وقيل: بنت الحارث ابن طابخة، والأول أصح»، وذهب النميري (ت ٢٦٢ هـ) إلى أنها «أم مزنة بنت خالد بن وبرة» (١٥).

وقد وضح الهمداني الموقف الأمثل من الرواية الثانية، في تحديد هذا النسب غير تارك لنا حاجة الوقوف أمامها لنفيها أو تضعيفها.

أما ما ذهب إليه النميري في هذا الصدد، فلم أعثر على ما يؤيده، وإن كنت لا أجد خطراً من الاختلاف في شأن اسمي الأبوين الأولين لهؤلاء الأبناء، فسواء كانوا من أبناء مزينة هذا أم غيره، ومن هذه المرأة أو تلك، فليس بمقدم ولا مؤخر شيئا في تاريخهم الجاهلي وما بعده، غير أنني أكاد أستشعر سؤالا يلح في الأفق عما قد يكون سببا في تسمية هذه المرأة بهذا الاسم، وعما قد يكون وراء تسمية أبنائها باسم أمهم.

---

(٩) عجالة المبتدي في النسب وفضالة المنتهي في النسب، ص: ١٣.

(١٠) جمهرة النسب، ٢٨٧.

(١١) الاشتقاق، ١٨٠ - ١٨١.

(١٢) تاريخ دمشق، نفسه، ٣/ ٤٤٠ و٤/ ٧٧٢.

(١٣) الأغاني الدار ١٢/ ٥٤، ومعجم قبائل الحجاز، ٤٥٣ ومعجم أسماء العرب، ٢/ ١٥٩٥.

(١٤) تنظر شجرة نسب مزينة ص: ٤٨٧.

(١٥) تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٢٦٤.

وجـوابي عن السـؤالين السابقـين هو أنهم ربما سـموها بهـذا الاسم تيـمنا بالسحاب، ورمزا لحبهم للغيث الذي طالما اشتاقوا إليه ليغمرهم بالخير العميم.

أما عن سر تسمية الأبناء باسمِ أمهم، فقد حاول كثير من الباحثين الأجانب حل رموزه كروبرت سميث، وولكن [١٦]، وغيرهما، زاعمين أن العرب كانت تتبع في الأزمنة القديمـة «نظم الأمومة»، وهو نظام تكون فيه المرأة هي صـاحبة السيادة، والسـيطرة في المجتمع، ويكون هذا سائدا في المجتمـعات التي يمتهن رجالها الرعي والصـيد، ويقضون معظم الوقت خارج بيوتهـم، مستدلين على ذلك بأن البدوي (العربي) يمتـهن الرعي والصيد، وأن كثيرا من القـبائل تسمى بأسماء مـؤنثة كخندف ومزينة، كما أن كـثيراً من الناس كانوا يسمـون بأسماء أمهم[١٧]، وهو رأي وجد من الـباحثين العـرب من يؤيد جانبـا منه كالأسـتاذ محمد محـمود جمعة[١٨] الذي يميل إلى أنه على الرغم من أن نظام الأبوة هو الذي كان متفشـيا بين الساميين، منذ أقدم العصور التاريخـية، فثم من الشواهد ما يـدل علـى أنهم عرفـوا نظام الانتسـاب إلى الأم، وأنهم مارسـوا ذلك في مرحلة متقدمة من المراحل الاجتماعية، وكذلك الحال في جزيرة العرب.

والحـقيـقة، كـما يـؤكد الأسـتاذ جـرجي زيدان [١٩]، أنه ليست في أدلة «سميث» ولا غـيره على الأمومة عند العرب قـول صريح أو دليل ثابت، وإنما هي قرائن أو إشارات لو ثـبتت أمومة العرب لكانت مـؤيدة لها، لا أن تكون هي وحدها دلـيلا عليهـا، فالثـابت منذ قرون عـديدة أن العرب وغـيرهم من

---

(١٦) ولكن: الأمومة عند العرب، ص: ٧ - ٥٧.

(١٧) المرجع نفسه.

(١٨) النظم الاجتماعية والسياسية، ٧٩.

(١٩) أنساب العرب القدماء، ص ١٨ - ١٩ وما بعدها.

الشعوب السامية كـان نظام الاجتماع عندهم، كما هو الآن، أي إن الرجل هو رأس العائلة، وهو سـيدها، ويؤيد ذلك لفظ «البعل» للزوج والسـيد جميـعا، ناهيك بشهادة التـوراة، فإنها ـ مع قدم عهدها ـ لم يرد في نص من نـصوصها فقرة تشيـر إلى الأمومة أو تدل على وجودها، أو أثر شيوعـها عند الساميين أو غيـرهم، ولا ورد شيء من ذلك في القرآن الـكريم، ولا شوهد منقـوشا على الآثار في مملكة من ممالك الشـرق قـديما أو حديثـا، بل كل ما جـاءنا من هذه السبيل يؤكد سيادة الأبوة عند الساميين.

ويغلب على ظني أن مُزينَة ربما كانت من شهيرات نساء العرب، أو قد أتت أمرا خارقا يعـجز عن الإتيان بمثله بعض الرجال، فخلدوا اسمـها ونسب إليها بنوها، أو ربما كان لزوجها أكثر من زوجـة، مما جعل أولادها ينتسبون لأمهم، لكي يتميزوا من غيرهم من أولاد النسوة الأخريات من زوجات أبيهم، وربما لم يعمر الأب طويلا، فـاضطلعت الأم بتربية أبنائها فترة طويلة من الـزمان فنسبوا إليها. . . . .

* * *

ب ـ منازلهم

يُستفاد مما ذكره أبوعبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) أن مزينة كانت من عرب الحجاز عند مجيء الإسلام[١]، وهو ما أكده كل من الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)[٢] والسمهودي (ت ١٠١١هـ) [٣]، بقولهما: الحجاز اثنا عشر دارا: المدينة وخيبر وفدك والمروة، ودار بلي، ودار أشجع، ودار مُزينة . . .».

وقرر البكري أن طوائف من مزينة نزلت «بذي المروة» وما يليها من «فَيْف»، فلم تزل جهينة بمنازلهم حتى جاورتهم بها أشجع بن ريث بن غطفان، ثم نزلتها معهم مزينة، فتجاورت هذه القبائل في هذه البلاد وتنافسوا فيها، وانحازت مزينة إلى جبال (رَضوى) و(قدس) و(آرة) وما والاها وصاقبها من أرض الحجاز»[٤].

وذكر ابن سعيد الأندلسي أن منازل مزينة كانت في الجاهلية بوادي سالم من ضواحي المدينة ووادي الصفراء والغميم المذكور في الأشعار[٥].

وذهب الأستاذ حمد الجاسر[٦] إلى أن مزينة كانت تجاور المدينة من الناحية الشرقية، بحيث تتصل إلى العقيق، عقيق المدينة، وتنتشر بلادهم في الأودية التي ترفد هذا الوادي وفي جبال (وَرِقَان) وما حوله، وتجاورهم غفار ـ من

---

(١) معجم ما استعجم، ١/ ٩٠.

(٢) المغانم المطابة، ص: ١٠٢، وص: ٢٤٤.

(٣) وفاء الوفا، ٢/ ٣١٤.

(٤) معجم ما استعجم، ١/ ٣٨، ٨٨.

(٥) نشوة الطرب، ١/ ٤٧١.

(٦) تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها، مجلة العرب، جمادى الأولى ١٣٩٣هـ/ يونية (حزيران) ١٩٧٣م. وانظر ملحق الخرائط، ص: ٦٣٩ وما بعدها.

كنانة ـ من الغرب، وأسلم ـ من خزاعة ـ من الشمال، وجهينة أيضا، ومن الجنوب بنو سليم، ومن الشرق أشجع وبعض بطونٍ من غطفان.

وأشار الأستاذ كمال مصطفى إلى أن مزينة كانت تضرب مواضعها بالقرب من المدينة، وعلى جانبي الطريق المؤدي إلى مكة[٧]. كما أشار الأستاذ أحمد عادل كمال إلى أن طريق قريش من مكة إلى الشام وطريقهم إلى المدينة يمران ببعض منازل مزينة [٨].

ونظرة متأنية إلى السطور السابقة، إضافة إلى ما بين أيدينا من مصادر، تطلعنا على أشهر جبال مزينة وديارها ومياهها ووديانها، وهي المنازل التي أفصلها فيما يلي:

١ـ آرة: وهو جبل كبير فوق رأس (قدس)، مما يلي (الفُرْع)، و: (آرة) أشمخ ما يكون من الجبال، أحمر من تحته العيون[٩].

٢ـ الأجرد، وهو جبل كان يسكنه بلال بن الحارث المزني وآل بيته [١٠] تنزله الآن قبيلة الأحامدة من بني سالم من حرب، ويسمى جبل الفقره.

٣ـ أحوس، وهو واد فيه نخل كثير[١١]، وقال البكري : وهو من الأكحل[١٢].

---

(٧) معن حياته وشعره، المقدمة، صفحة (هـ).

(٨) شهيد نهاوند، ص: ٨، وملحق الخرائط، ص: ٦٤١.

(٩) معجم ما استعجم، ٣٨/١ و ٨٨، ومراصد الاطلاع، ١/ ٣ و ٤٧٨.

(١٠) المستدرك، ٣/ ٥١٧ وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٤٠ وتاريخ الإسلام، ٢/ ٢٧٣.

(١١) معجم البلدان، صادر، ١/ ١١٧ - ١١٨، واللسان والتاج، (حوس).

(١٢) معجم ما استعجم، ١/ ١٢٠ - ١٢١ وديوان معن، بغداد، ص: ٩٠.

٤ـ الأشعـر، وهو الأجرد الذي كان ينزل فيـه بلال بن الحارث المزني[١٣]، وينحدر هذا الجبل على (ينبع) مشرفـا على (سَبُوحة) و(حُنَين)، وتمامه في ورقان [١٤].

٥ـ أكحل، (ويقـال له الأكحل) [١٥]، ذكره مـعن بن أوس بصيغـة الجمع فقال[١٦]:

أعاذل من يحتل فَيفًا «وفيحةً» و«ثورًا» ومن يحمي «الأكاحل» بعدنا

٦ـ ألاب (بزنـة شـراب)، وهي شـعبـة واسـعة قـرب المدينة، من ديار بني مزينة [١٧].

٧ـ أيْـد [١٨].

٨ـ بَحْرة [١٩].

٩ـ برام (بفتح أوله وبكسره)، وهو جبل عند الحرة، من ناحية النقيع، ذكره الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) من أودية العقيق، وقيل: هو على عشرين فرسخا من المدينة [٢٠].

---

(١٣) المستدرك، ٣/ ٥١٧، وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام ٢/ ٢٧٣.

(١٤) المصادر نفسها والمواضع نفسها.

(١٥) معجم ما اسـتعجم، ١/ ١٨٢، ومعجم البلدان، نفسـه ١/ ٢٣٩، وقد ذكره بلفظ الجمع: الأكاحل.

(١٦) ديوان معن، بغداد ٦٩٥، وشعره ، جدة ١١٤. ورواية الشطر الثاني في الأول:
(وثورًا من يحمي «المكابل» بعدنا).

(١٧) المغانم المطابة، ص: ١٧.

(١٨) معـجـم ما اسـتعـجم، ١/ ١١٤، ومعجم البلـدان، ١/ ٢٨٨، والمراصد ١/ ١٣٦ وديوان معن، ص: ١١١.

(١٩) معجم ما استعجم، ١/ ٢١٨ وديوان معن ص: ٨٩ ومعجم قبائل العرب ٣/ ١٠٨٤.

(٢٠) المغانم المطابة ص: ٥٢، ٥٣. وقد ذكر صاحب معجم البلدان (١/ ٣٦٦) في حديثه عن برام أنه جبل عند الحـرة، من ناحية البـقيع (بالباء) والظاهر عن الروايات أن «الـنقيع» بالنون هو الأصح.

١٠ـ تَثْلِيث (٢١) .

١١ـ ثافِل (٢٢) .

١٢ـ ثَبِير، وهو اسم ماء أقطعه النبي ﷺ شَرِيس بن ضَمْرَةَ المزني(٢٣) .

١٣ـ ثَوْر، وهو واد في بلاد مزينة(٢٤)، ورد ذكره في قول معن الذي أثبته قبل قليل.

١٤ـ الحاجِر، وهو موضع غربي النقا إلى منتهى حرة الوبرة من وادي العقيق وهي قرية وسوق وماء لبني سُلْمى المزنيين(٢٥).

ـ حَنَذُ (بالتحريك والذال المعجمة)، وهي ماء لبنى سليم، ومزينة وهو المنصف بينهما بالحجاز (٢٦).

١٥ـ خلْص، وهو واد بآرة بين مكة والمدينة، فيه قرى ونخل(٢٧).

١٦ـ دَهْماءُ مرضوض، وهو موضع في بلاد مزينة من نواحي المدينة (٢٨).

---

(٢١) معجم ما استعجم، ١/ ٣٠٤، وديوان كعب، قراقو، ص: ١١٧، والقاهرة، ٢٠٧.

(٢٢) معجم ما استعجم ١/ ٣٣٤.

(٢٣) لسان العرب (ثبر).

(٢٤) المغانم المطابة، ص: ٨٤.

(٢٥) المصدر نفسه ص: ١٠١ وبلاد العرب ٢٤٣ - ٢٤٤ وشرح ديوان زهير، الهيئة ص: ٥٥، ٣٣٥، ٣٣٦ وصعوداء (خ)، و ٨٤ ومعجم ما استعجم ٢/ ٤١٦.

(٢٦) معجم البلدان (حنذ).

(٢٧) معجم البلدان (خَلْص)، والمغانم المطاية ص: ١٣٢. وانظر نونية غزلان الشامي، بملحق الشعر، الورقة ص ٦٢٨.

(٢٨) معجم البلدان (دهماء مرضوض)، والمغانم ص: ١٤٢ - ١٤٣ وديوان معن، بغداد، ١٠٣-١٠٤.

١٧ـ ذات النصب وهي موضع بمعدن القبلية أقطعها رسول الله ﷺ لبلال بن الحارث المزني [٢٩].

١٨ـ ذوالعرجاء، وهو ماء لمزينة [٣٠].

١٩ـ ذوالمروة، وهي منطقة نزلت بها طوائف من المزنيين [٣١].

٢٠ـ ذو يدوم وهو نهر من بلاد مزينة، يدفع بالعقيق، ولعله قريب من (يدوم) وهو جبل لمزينة [٣٢]. . كما سنرى بعد قليل.

٢١ـ رابية البَحَّاء [٣٣].

٢٢ـ رِئم أو ريم، وهو واد لمزينة قرب المدينة يصب فيه ورقان[٣٤].

٢٣ـ رُوَاوة، وهو موضع في جبال مزينة، بين الفرع والمدينة[٣٥].

٢٤ـ الرَّوْحاء، وهو موضع به آبار سوانٍ وحياض، وهو قريب من المدينة، من أعمال الفرع [٣٦].

٢٥ـ رُومة وهي بئر قديمة كانت في عقيق المدينة، فطمت، فأتى قوم من مزينة، فحالفوا الأنصار، وقاموا عليها بأبدانهم وأصلحوها، وكانت رومة امرأة منهم أو أمة تستقي منها الناس، فنسبت إليها [٣٧].

٢٦ـ الريّان، وهو ماء لمزينة [٣٨].

---

(٢٩) المغانم ص: ١٤٦.

(٣٠) معجم ما استعجم ٣/ ٩٣١.

(٣١) المصدر نفسه ١/ ٣٨، ٨٨.

(٣٢) معجم البلدان ١/ ٢٨٥ و٣/ ٣٩١ واللسان (دوم) ووفاء الوفا ٢/ ٣٩١.

(٣٣) معجم ما استعجم ١/ ٢٢٧، وشعر كعب، الأحول، خ، الورقة ٧٣، وقراقو، ٥٥.

(٣٤) معجم ما استعجم، ٢/ ٦٨٩، ومعجم البلدان، ٥/ ٣٧٢ ومراصد الاطلاع ٢/ ٦٤٩.

(٣٥) معجم البلدان، ٣/ ٧٥.

(٣٦) المناسك، ٤٤٥، والمغانم، ١٦٠.

(٣٧) طبقات ابن سعد، صادر ١/ ٥٠٦ وأنساب الأشراف، ١/ ٣٥٦ وملحق الخرائط ص ٦٤٦.

(٣٨) المناسك، ٣٤١ وانظر يائيّة غزلان الثمامي في ملحق الشعر، ص ٦٢١.

٢٧ـ ساية، وهو واد من حدود الحجاز، يقع بين حاميتين، وهما حرتان سوداوان، وبه قرى كثيرة في أعلاها قرية يقال لها (الفارع)، فيها نخل ومزارع وموز ورمان وعنب، وقيل: إن بوادي ساية أكثر من سبعين عينا تجري، كانت تنزله ـ مع المزنيين ـ بنو سليم وخزاعة (٣٩).

٢٨ـ سيَّالة وهو جبل بسفح (ورقان) من عن يمين (٤٠).

٢٩ـ الشَّرَبَّة، وهي موضع قرب المدينة، بين السليلة والرَّبَذَة(٤١).

٣٠ـ شمس وهي واد لمزينة، به عينٌ وماءة معروفةٌ (٤٢).

٣١ـ صخرة أَكْهى (٤٣).

٣٢ـ ضَفَّة، وهي بئر بجبل (مَيْطَان)، في بلاد مزينة وسُلَيم(٤٤).

٣٣ـ العَرْج، وهو واد بنهب الأسفل، أحد جبال مزينة، الذي ستأتي الإشارة إليه بعد قليل، ويقال للعرج: مسبحة، نباته المرخُ، والأراك، والثمام (٤٥).

٣٤ـ العُصَيْب، ذكره معن، بقوله (٤٦):

أَعَاذِلَ خفَّ الحيُّ من أُكُم القُرى وجزعُ العُصَيْب أَهْلُهُ قد تظعَّنَا

---

(٣٩) أسماء جبال تهامة، ص: ٤١٣، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨١١ والمغانم ص: ١٧٥.

(٤٠) أسماء جبال تهامة، ص: ٤٠٢.

(٤١) شرح شعر زهير، الآفاق، ١٥٩، والأعلم، ١٦١ ومعجم ما استعجم، ٣/ ٧٩٠.

(٤٢) الجبال والأمكنة، ص: ٦١ ومعجم قبائل العرب، ٣/ ١٠٨٤.

(٤٣) معجم البلدان، ٣: ٣٩٥ (صادر: صخرة أكهى).

(٤٤) معجم البلدان، ٥/ ٢٤٣ صادر (مَيْطَان)، وتاج العروس، (ماط).

(٤٥) أسماء جبال تهامة، ٤٠٣.

(٤٦) شعره، ليبزج، ٢٣ وديوانه، بغداد، ٦٩، وشعره، جدة، ١١٤ وفي الأخير: الصعيب. والبيت واحد من ثلاثة أبيات ذكرها ياقوت في معجمه (٤/ ١٢٨) صادر: العُصَيب.

٣٥ـ العقيق، وهو واد يجيء من النقيع، دار سليم ومزينة في الغابة، ولبلال بن الحارث المزَنيّ إقطاع من النبي ﷺ بهذا الوادي (٤٧).

٣٦ـ العَمْق، وهو موضع قرب المدينة من بلاد مزينة (٤٨).

٣٧ـ غُراب، وهو جبل قرب المدينة، على الطريق إلى الشام(٤٩).

٣٨ـ الفُرْع، وهي قرية غناء كبيرة بها نخل ومياه، وهي لقريش والأنصار ومزينةَ، وفيها عينان يقال لهما (الرَّبَض) و (النَّجَفُ)، تسقيان عشرين ألف نخلة (٥٠).

٣٩ـ فَيْحة وفَيْف، أشار إليهما معن في بيته الذي أثبته في صدر هذا الحديث (برقم ٥).

٤٠ـ قُدْس، وهو جبل بحذاء سقيا مزينة، يتصل بورِقان، وينقاد إلى (المتعشى) بين (العرُج) و(السّقْيا)، ويقطع بينه وبين قدس الآخر الأسود عقبة يقال لها (حَمْت)، ونبات القدسين: العرعر والقرظ والشوحط، وهما لمزينة، وفيها أوشال، وأموالهم ماشية من الشاء والبعير(٥١). وقد افتخر أبوسلمى والد زهير بما لقومه من مراع خصبة وفيرة طيبة العيش بهذه المنطقة وبغيرها من «النقيع» و«اللِوَى» قائلا: (٥٢)

---

(٤٧) المناسك، ٤١١.

(٤٨) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٤٥، وصعوداء، ١٣٤، والمغانم المطابة، ٢٨٣.

(٤٩) ديوان معن، بغداد ص: ١٠٣، ومعجم البلدان ٧/ ١٧٢ والمغانم: ٣٠١.

(٥٠) أسماء جبال تهامة، ص: ٤٠٣، ومعجم ما استعجم ٣/ ١٠٥١ - ١٠٥٢.

(٥١) أسماء جبال تهامة، نفسه، ومعجم ما استعجم، ١/ ٣٨، ٨٨ وجنى الجنتين ص: ٨٠.

(٥٢) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٣٦٧، وصعوداء، ٤٣ - ٤٤، والآفاق، ٢٧٢، والبيت الأول نسوب لزهير في معجم ما استعجم، ٣/ ١٠٥٠ وانظر: شعراء مغمورين، للمؤلف، ص ١١.

ولنا بِقُــدْسٍ فـالنقـيعِ إلـى اللّـوى رجعٌ إذا لـهث السَّـــبَنْتَى الـوالغُ
وادٍ قـــرارٌ مــــاؤهُ ونبــــاتُه ترعـى المخـــاضُ بـه ووادٍ فـــارغُ
صُــعُــد نُحــرِّز أهلنا بفــرُوعِــه فــيـــه لنا حِــرْزٌ وعـــيش رافغُ

٤١ـ قَلْهَى، وهي موضع في دار بنى سليم ومزينة، من أودية المدينة(٥٣).

٤٢ـ (لأْي)، وهو واد يدفع بالعقيق، ذكره معن بقوله: (٥٤)

تَأبـد لأيٌ منهـم فــعـــتــــائِدُهْ فَـذو سـلم أنشـاجــه فَســواعِـدُهْ

٤٣ـ اللِّوى، ذكـره أبوسُلْمَى فـي أبيـاته الغـينيـة (المثبـتـة في أعلى هذه الصفحة).

٤٤ـ مَعْيَط، وهي مـاء في قفا (ثافل) جبل مزينـة الذي أسلفت الإشارة إليه (برقم ١١)، وكانت هذه الماء لمزينة وكنانة (٥٥).

٤٥ـ المُكَسَّرُ، وهو موضع من أعمال المدينة، في بلاد مزينة (٥٦).

٤٦ـ مَمْروخ، موضع في بلاد مزينة، ذكره معن بقوله: (٥٧)

وأصـبح سَـعْدٌ حـيث أمـستْ كـأنه برائغـــةِ المـمـــروخِ زقٌ مُــقَــيَّــرُ

---

* والرجع: الغـدير يتـردد فيـه الماء. والسـبنتى الوالغ: النمـر الذي بلغ ويلهـث من شدة الحـر ويشرب. قرار: يقر من نزل فيه، المخاض: الإبل الحوامل، صعد: صفة للوادي وهو الحصن المرتفع العالي الذي يتحصن به والحرز: ما تحفظ به الأشياء، ورافغ: كثير مخصب فهو واسع هنيء العيش طيبه.

(٥٣) الجبال والأمكنة، ص: ٨٨، والمغانم المطابة، ٣٥٠.

(٥٤) ديوانه، بغداد، ١٠٣.

(٥٥) معجم ما استعجم، ١/ ٣٣٤، و٤/ ١٢٤٦.

(٥٦) المصدر نفسه، ٤/ ١٢٦٢.

(٥٧) ديوانه، بغداد، ٨٩.

٤٧ـ مَيْطَان، من جبال المدينة، مقابل (الشوران) به ماء يقال له (ضفة) وليس به شيء من النبات، وهو في بلاد مزينة وسُلَيم[٥٨].

٤٨ـ ناصِفَة، وهي موضع بعقيق المدينة، وواد من أودية القبيلة[٥٩].

٤٩ـ النقيع، أحد المواضع الثلاثة التي ذكرها أبوسلمى في أبياته (الآنفة الذكر) «ص: ٢٥».

٥٠ـ نهبان: نهب الأسفل ونهب الأعلى، قال عرام[٦٠]: «يقابل من غير الطريق المصعد جبلان يقال لهما (نهبان)، وهما لمزينة، ولبني ليث، فيهما شقص، ونباتها: العرعر والإثرار، وفيهما القَرَظ، وهما مرتفعان شاهقان كبيران، وفي نهب الأعلى ماء في دوار من الأرض، بئر واحدة كبيرة غزيرة الماء عليها مباطخ (جمع مبطخة لموضع البطيخ)، وبقول، ونخيلات، يقال لها: ذو خيمى، وفي الأسفل أوشال، ويفرق بينهما وبين قدسٍ ووَرِقَان الطريق وفيه العرج».

٥١ـ وَرِقَان، وهو جبل أسود عظيم ينقاد من (سيالة) إلى (المتعشى) (بين (الفرج) و (الرويثة)، وفي ورقان أنواع الشجر المثمر كله وغير المثمر، وفيه القرظ والسماق والرمان والخزم، وفيه أوشال وعيون وقلات، سكانه من مزينة، ويعلو بينه وبين قدس الأبيض ثنية، بل عقبة يقال لها: (ركوبة)، وينصب ماء هذا الجبل إلى رئم[٦١].

(٥٨) المصدر نفسه، ١٠٨ واللسان (ميط).

(٥٩) المغانم المطابة، ٤٠٤.

(٦٠) أسماء جبال تهامة، ٤٠٣ - ٤٠٤.

(٦١) المصدر السابق ٤٠١ ـ ٤٠٢ وانظر منازل أخرى بملحق الشعر، ص ٦٢١ ـ ٦٢٢.

ويتبين لنا من الصفحات السابقة أن المزنيين كانوا موزعين في جاهليتهم بين الجبال والقرى والوديان، وأن بلادهم كانت تتفاوت تفاوتا ملحوظا فيما تجود به العناية الإلهية عليهم من حيث الخضرة والزروع والنباتات والبساتين والثمرات، أو الإقفار والجفاف، مما جعل أبناءها يتفاوتون، تبعا لذلك، تفاوتا ملموسا بين درجات البداوة والتحضر وهو أمر يوافقه واقع الجزيرة العربية المعيش حينئذ، على غير ما يذهب إليه الأستاذ أحمد عادل كمال من أن مزينة لم تكن لهم حواضر، وإنما كانوا من البدو[٦٢].

كما تدلنا هذه الكثرة المفرطة في أسماء قرى مزينة ووديانها وعيونها وجبالها ومرتفعاتها على اتساع منازل هؤلاء المزنيين وكثرة عددهم وامتداد نسبهم[٦٣]، وكثرة تنقلهم بين هذه المنازل بين الحين والآخر، تبعا لمساقط الغيث، وبحثا عن موارد غنية هانئة للمعيشة بعيدا عن الحروب والصراعات القبلية، مما سنرى جانبا منه في الصفحات التالية.

---

(٦٢) شهيد نهاوند، ص: ٨ و ٢٨.

(٦٣) انظر شجرة نسب مزينة ص ٤٨٧ من البحث.

جـ - حياتُهم الاقتصادية

أتاحَ اتساعُ رقعة الأرض التي كان المزنيونَ ينزلون فيها، وتوافر الآبار والعيون بها تنوعاً في أنشطتِهم البشرية.

ويبدو أن الزراعة قد احْتلَّت في حياتهم مكانة بارزة، وقد أشرت في المبحث السابق[1] إلى أشهر النباتات والأشجار التي كانت تزرع في بعض المناطق التي كانوا يقطنون بها كالنخيل والموز والرمان والعنب والبقول والبطيخ وغيرها.

فزهير في صورته الشهيرة لمنظر السانية[2]، يرسم صورة الناقة التي قتلها العمل، وأخضع شرتَّها، تمد الحبل الذي ربطه من ناحية بقتبها، ويُدار حول

(١) راجع ما أسلفتُه من منازل المزنيين الأرقام: (٢٧، ٣٣، ٤٠، ٥٠، ٥١).

(٢) انظر قوله (شرح شعره، الآفاق، ٤١، ٤٢، الأعلم: ٦٦ - ٦٩ وصعوداء: ١٣١-١٣٢):

١- كأن عينيَّ في غربىْ مُقَتَّلَةٍ … من النواضح تسقي جنةً سُحُقا

٢- تمطو الرِّشاءَ وتجري في ثِنَايتها … من المَحَالة ثَقْبًا رائدا قَلِقا

٣- لها أداةٌ وأعوانٌ غَدَوْنَ لها … قِتْبٌ وغَرْبٌ إذا ما أُفرغ انسحقا

٤- وخلفَها سائِق يحدو إذا خَشِيَتْ … منه العَذَابَ تَمُدُّ الصُّلْبَ والعُنُقا

٥- وقابِلٌ يتغَنَّى كلَّما قَدَرت … على العَرَاقي يداه قائِمًا دفَقَا

٦- يُحيل في جدول تحبُو ضفادُعه … حبْوَ الجواري ترى في مائه نُطُقَا

٧- يخرجن من شَرَبَاتٍ ماؤها طَحِلٌ … على الجُذُوع يَخَفْن الغمَّ والغَرَقا

* الغربان: الدلوان الضخمان، والمقتلة: المذللة، يعني الناقة، والقتب: قتب السانية القابل: الذي يقبل الدلو. والعراقي: الخشبتان كالصليب على الدلو. يحيل: يصب، والنطق: الطرائق، وهو اجتماع الغثاء على الماء. الشربات: حياض تحفر في أصول النخل من شق واحد. طحل: أخضر مما يصيب فيه.

بكرة مثقوبة، وتدلي طرفه الآخر الذي يحمل الدلو بالبئر، وخلفها سائق يحدو لها ويعنف، فإذا خافت عذابه، أخذت تمد صلبها وعنقها من الماء في جدول تحبو فيه الضفادع، وتقفز، حتى إذا ما علا الماء، وخافت الغرق اعتلت جذوع النخيل.

وراحَ في موضعٍ آخر يصور الغُدران والجداول، وهي تظهرُ مع أشجار النخيل، ومع صور الوحش عندما يشتد عليها الظمأ، فتجدُّ في البحث عن الماء، وتجده عذباً بارداً، فإذا امتدت الخضرة وكستِ الأرض جمالاً، راحت عينُه ترمق العيرَ، يغدو فرحاً مسروراً، يأكل ويتمتع بالربيع وسحرهِ الفتانِ(٣):

أَكَلَ الربيعَ بها يُفزِّعُ سَمْعَهُ ... بمكانه، هَزِجُ العشية أصْهَب

وَحَدًا، كمِقْلاء الوليدِ، مُكَدَّمٌ ... جَأبٌ، أطاعَ لهُ الجميمُ، مُحَنَّبُ

ومن خلال هاتين الصورتين أشار زهير إلى حِرْفَتَيْنِ أُخْرَيَيْن كان بنُو مُزينة يمارسونها، وهما : الحداء، والاستقاء.

أما الحداء، فقد كان عملاً محبوباً دأب المزنيون، كغيرهم من العرب، على ممارسته لأنهم كانوا يقضون أكثر أوقاتهم في معاشرة جمالهم ونوقهم، وغير بعيدة عن أسماعنا قصة أبي سُلمى والد زهير، مع خاله أسعد بن الغدير، وابنه كعب بن أسعد، إذ يروى أنهم خرجوا في ناس من بني مرة، يغيرون على طيّئ، فأصابوا نعماً كثيرة وأموالاً، فرجعوا حتى انتهوا إلى أرضهم فقال أبو سلمى لخاله وابن خاله:

---

(٣) شرح ديوانه، الهيئة، ٣٧٣، والأعلم: ٢٠٨، وصعوداء: ٧٨.

* يقصد بالربيع نباته بتلك المواضع، والهزج: الذباب المصوت، والأصهب: الذي خالط لونه حمرة، وحدا: وحيدا، والمقلاء، كما سنرى: لعبة من لعب الأطفال. والمكدم: النبات الكثير. الذي في يديه وصلبه انحناء.

ـ أفردا لي سهمي، فأبيا عليه، ومنعاه حقه، فكف عنهما حتى إذا كان من الليل أتى أمه فقال لها: والذي يُحْلَف به، لتقومنَّ إلى بعير من هذه الإبل، فلتقعدن عليه، أو لأضربن بسيفي هذا تحت قرطك!!

فقامت أمه إلى بعير منها فاعتنقت سنامه، فقال أبو سُلْمى، وهو يرتجز حادياً:

وَيْل لأجْمَال العجوز منّي إذا دنوتُ ودنونَ منّي

كأنني سَمَعْمَعٌ من جِنّ

فخرج بها، وبالإبل حتى انتهى إلى مُزينة، وهو يُنشدُ:

لتغدونْ إبل مُخَيَّسةٌ من عند أسعدَ وابنه كعبِ

الآكِلَينِ صَريحَ قَومِهما أكل الحُبَارى بُرعُم الرطبِ[4]

وتتجلّى لقارىء شعر زُهير صورٌ كثيرةٌ لمجالس الغناءِ والموسيقى، وفي الطرف الآخر منها مشاهدُ الحداة، وهم يحدون للظعائن [5].

أما كعبُ ابنه فقد ارتبط الحداء ببداياتِ قرضه للشعر، إذ يروى أنه عندما تحرك وهو يتكلَّمُ بالشعر، فكان أبوهُ ينهاهُ، مخافة أن يكونَ لم يستحكم شعرهُ، ثم أطلقه يوماً، وسرحه في بَهْمِهِ، وهو غُلَيِّمٌ صغيرٌ، فانطلق فرعاها، ثم راح بها عشيةً، وهو يرتجزُ [6]:

كأنما أحدو ببَهْمِي عِيرا من القُرى مُوقَرةً شعيرا

---

(٤) راجع الخبر والأبيات، مع أبيات أخرى، في شرح ديوان زهير، الهيئة، ص: ٢، وشرح شعره، الآفاق وتشستريتي، الورقة الأولى، والأغاني، الدار، ١٠/ ٢٩٢ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ٢٣٥، وشرح ما يقع فيه التصحيف، ٢٦٥ وشعراء مغمورون، ص ٨ ـ ٩.

(٥) شرح ديوانه، الهيئة، ٣٦، ١٦٧، وشرح شعره، الآفاق، ٨٣.

(٦) ملحق الشعر، ص: ٥٢٧.

أما الاستقاءُ، فكان هو الآخر عملاً حيوياً في حياة المزنيين، يقوم به الرجال الأقوياء الأكـفياء، أو النسـوة الفتيـات، بحثاً عـن المياه، يرتوون بها ويسـقون أهليهم ومايملكون من حـيوانات ونباتاتٍ وزروع وبساتين، بأجر أو بغـير أجر، وخلال قـيامهم بهذه الأعـمال يتغنون ببـعض الأشعار التي تخـفف من آلامهم المصاحبة لأعمالهم، وتحقق لهم الاقتدار والتفوق اللذين ينشدونهما منها.

وفي ظل افتقاري لبعض الروايات والنصـوص التي تؤكد قيام المزنيين بإنشاد بعض الأشعار مواكبة لعمليات الاسـتقاء لا أستطيع نفي مزاولتهم لهذا السُّلوك الذي درج عليه أبناءُ عصرهم (٧).

وإلى جـانـب هذه الحـرف، مـارس بعض المـزنيين ـ وراثة عن آبـائهم وأجـدادهم، أو تقليـداً لغـيرهم من أبنـاء عصـرهم ـ مـهنة السـدانة للأصنام والأوثان. والوحـيد منهم الذي وصلت عنه الأخـبار في ممارسـة هذه المهنة هو خزاعى بن عبد نهم الذي كان يضطلع في جـاهليته بسدانةِ (نُهْمٍ) صنم مُزينة، وغيرها، كما سنرى في موضعه من هذا الفصلِ(٨).

وفي بيئة متـقلبة تكثر فيها المياه حينـاً، وتقلُّ حيناً، وتندُر أحياناً زاول بعضُ المزنيين حرفـة الرعي، رعي الماشية من الشـاة والبعيـر والجمال، وقـاموا على تربيتها ورعايتها (٩)، ومرَّ بنا قبل قليل، أن كعب بن زهير كان يرعى بهم أبيه، وفي الرواية الشهيـرة في قصة إسلامه هو وأخوه بُجَـير، مايدلنا على أن هذين الأخـويْنِ كانا يـرعيـان الغـنم بـ(أبـرقِ العـزَّافِ)، وهـي منطقـة يـقول عنهـا

---

(٧) راجع: ما أسلفته في منازل المزنيين، رقم (٢٥)، ص: ١٩.

(٨) جمهرة النسب، ٢٩١، وملحق الأعلام، ص: ٤٩٨ (رقم:٨).

(٩) أسماء جبال تهامة، ص: ٤٠٣، وديوان معن، بغداد ص: ٦٩، ٨٦.

ياقوتٌ [١٠]: "إنها ماء لبني أسد بن خزيمة بن مدركة، وهي في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، يجاء من (حومانة الدراج) إليه، ومنه إلى (بطنِ نَخْلٍ)، ثم الطرف إلى المدينة".

ويستفاد من هذه العبارة أن بعض المزنيين قد امتدتْ خُطاهم في ممارستهم لهذه المهنة، إلى ما يجاور منازلهم، ويبدو أن هذه المنطقة المشار إليها كانت قريبةً من منازلهم، مما يسمح لهم بالانتقال إليها بحثاً عن موارد الكلأ المتوافرة فيها.

كما زاول بعضهم الصيد، وكانوا في ذلك نوعين:

- نوع يحترف الصيد، ويجعل منه معاشه وكسبه، ويبدو أن هذا النوعَ هو الذي دأَبَ كُلٌّ من زهير[١١]، وابنه كعب[١٢] على تصوير مراحله في كثير من أشعارهما.. وبلغ من احترافِ كعب لهذه الحرفة أحياناً، أنه كان يذهب مع بعض أصدقائه إلى وادي (رهمان)، ناصبين أدواتهم، متربصين للحمر الوحشية، عند مواضع الشرب التي اعتادت على اللجوء إليها [١٣]، بينما مارس أخوه بجير النوع الآخر من أنواع صيدهم، وهو صيد الرياضة والهواية واللهو، الذي يمضي إليه الصائد، غير مستعين بما قد يحتاج إليه الصائدون المحترفون من أدوات ووسائل، تعينهم على الوصول إلى أغراضهم وتقيهم وبال السير في الصحراء المهلكة [١٤].

ومارس بعضهم أسلوب الغارات على بعض القبائل الغنية المحيطة، ومر بنا

---

(١٠) معجم البلدان، ١/ ٦٨.

(١١) راجع شرح ديوانه، الهيئة ٢٧١، ٢٧٣، ١٢٤ وغيرها.

(١٢) ديوان كعب، قراقو، ص ٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٨، ٨٠، ٨٥.. وغيرها.

(١٣) المصدر نفسه، قراقو، ١٣٤، وط القاهرة ٢٣١ - ٢٣٢ والأحول ٧٩ - ٨٠.

(١٤) ديوان كعب، قراقو ٧١، والقاهرة، ١٢٦، والأحول، ٦٥، وذيل الأمالي ٢٤-٢٥، وقارن سرح العيون، ١٢٤.

قبل قليل ما كان من شأن أبى سلمى وخاله وابن خاله... وقريب من هذا الشأن ما رواه أبو الفرج (ت ٣٥٦ هـ) من خبر قيس بن الحدادية (ابن منقذ بن عمرو) إذ لقي جماعة من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له: استأسِرْ، فقال لهم: ومايـنفعكم مني إذا استأسَرْتُ، وأنا خليعٌ؟ والله، لو أسرتموني، ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جرباءَ جَذْماء ما أُعطيتموها، فقالوا: استأسِرْ، لا أم لك !! فقال: نفسي عليَّ أكرم من ذاك، وقاتَلَهم، حتى قُتِل (١٥).

ومثل غيرهم، حينئذ، اشتغلَ بعضُهُم بالتجارة، وإن كنتْ لا أملك الأدلة التي تُعينني على تحديد حجم هذا العمل لديهم. ويبدو أن تجارتهم كانت محدودة، تقوم على التبادل المحدُودِ لبعض المنتجات التي كانت مزارعُهم وبساتينُهم ومراعيهم تجودُ بها، بما يحتاج إليه نظام معيشتهم حينئذ، سواء في أسواق محلية قريبةٍ من منازلهم أو في بعض المواضعِ الواقعة على الطرق التجارية التي تجوبُ أراضيهم، أو في الأسواقِ العربية الكُبرىَ آنذاك، كعُكاظ ومَجَنَّة وذي المجازِ.... وغيرها.

وربما امتد نشاطهم التجاري إلى اليمن والشام والعراق ومصر وغيرها من البلدان التي كانت لديها صلاتٌ تجارية بعرب الجزيرة حينذاك، بحثاً عن الطيوب والأسلحة، وبعض المنسوجات والحُلي، وغير ذلك، معتمدين على أسلوب المقايضة، أو مستعينين بالعُملاتِ الرومية والفارسية، من دراهمَ، ودنانيرَ (١٦).

---

(١٥) الأغاني، دار الفكر ١٣/٣، وشعراء مقلون، ص: ٩ وانظر الفصل الثاني من هذا الباب، ص: ٧١ ـ ٩٥.

(١٦) تاريخ الطبري ٢٥٦/٦، وحياة الحيوان ٦٢/١ - ٦٤. وانظر إشارة كعب إلى (دراهم التاجر) بديوانه، القاهرة ص ١٣٩.

وقــد ذكــر الميداني (ت ٥١٨هـ) [١٧] المثل: (تَشَمّرتْ مَعَ الجَاري)، وعقَّب عليه بقوله: يُضرَبُ في الشيء يُستهانُ به ويُنْسى، وقائلُه كعبُ بنُ زُهير بن أبي سُلمى، حين ركبَ هو وأبوه زهيــر سفينـته في بعض الأسفـار، فأنشـد زهير قصيدته المشهورة:

(أمن أم أوفى دمنة لم تكلم)

وقال لابنه: دونك، فاحفظْهــا، فقال: نعم. وأمسيَا، فلما أصْبحا قال له: ياكعبُ، ما فـعلت العقيلةُ ـ يعني القـصيدة ـ قال: يا أبتِ، إنهـا تشمَّرتْ مع الجاري) ـ يعني نسيتُـها فمرت مع الماء، فأعادها إليه، وقال إن شـمَّرتها ياكعبُ شمرتُ بكَ على أثرها.. ".

وتأخـذ هــذه العـبـارة بأيدينا إلــى مطالعـة أحـاديـثِ كُلٍّ مــن هـذيـن الشاعـرين عن السفن التـجارية البـحرية (سَـفِين البحـر)، إضافة إلى أسـمـاء الملاحـين: "النَوَاتي" و "الأَرْدَم" [١٨]، وإلى المنسوجات اليمانية [١٩]، ونسيج مصـر (القبطـية)[٢٠]، وصور الحلـي المصنوعة من الذهب والفـضة، وأعـمدة السيوفِ المذهَّبة ومـقابضها [٢١]، وهي أحاديث تعضد مـا أشرتُ إليه في هذا المجال.

وعلى رغم صـمتِ المصادر، فإنـني لا أستبـعد أن يكونَ بعض المزنــيينَ قد زاولوا مِهناً أخــرى، كانت منتشرة في أرجـاء الجزيرة العربية آنذاك، كـالكهانة

(١٧) مجمع الأمثال، ١/١٢٦، ١٢٧.

(١٨) ديوان زهير، الهيئة ١١٨، ١٤٨، ٢٨٠. وديوان كعب، قراقو، ١٠٧، والقاهرة، ١٩١.

(١٩) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٣٢٢، وصعوداء، ١٠٩.

(٢٠) شرح ديوان زهير، الهيئة، ١٨٣، وصعوداء، ١٠٠.

(٢١) شرح ديوان زهير، نفسـه، ٢٩٣، وانظر إشارة البستي (مشاهيـر علماء الأمصار، ٣٤) إلى قيام بلال بن الحرث المزني ببيع الإذخر (وهو نبات طيب الرائحة).

والعرافة والقيـافة، والبيطرة، والحدادة، وعمل المنسوجـات الوبرية والصوفية، وصناعة بعض الأسلحة، وما تتطلبه شؤونُ حياتهم بمظاهرها المتعددة وحروبهم الكثيرة، وتنقلاتهم الدائمة، من خيامٍ وأوانٍ وأطعـمةٍ وغيرها مما تقتضيه ظروف حياتهم.

* * *

د - حياتهم الاجتماعية

لم تختلف الحياة الاجتماعية للمزنيين عن نظام العرب الاجتماعي في الجاهلية، وقد كان قوامُ هذا النظام: القبيلة، التي تقوم على أسس القرابة، أو الدم، أو المصالح الاقتصادية وغيرها، كاتفاقهم على المصالح في العيش بالتضامن، لحراسة مقدساتهم ومراعيهم والتعاون على حماية ممتلكاتهم من الإبل والماشية وغيرها، إضافة إلى ما درجوا عليه من تآخٍ مع أناس قد لا تربطهم بهم قرابة ولا دم، كالرقيق والأحلاف والجيران، وتسري عليهم قواعد المعيشة وأعرافُها التي تنطبق على أبناء القبيلة.

وسوف أفرد، إن شاء الله، في ذيل البحث ثبتاً بأسماء الموالي الذين كانوا ينسبون لمُزينة في الجاهلية والإسلام، مع إلمامٍ ببعض جوانبَ تيسرت لي معرفتها عن أشهرهم[١]. أما أحلاف مزينة وعلاقاتها بجيرانها، فسوف أتناولها، بإيجاز، عند حديثي عن حياتهم السياسية والحربية [٢]، مكتفياً هنا بدراسة مظاهر حياتهم الاجتماعية، وما تتفرع إليه من شؤون الأسرة ومكانة المرأة في المجتمع، مع الإشارة المقتضبة إلى بعضِ عاداتهم وتقاليدهم الجاهلية.

---

(١) ملحق الأعلام، موالي مزينة، ص: ٥٠٢ ـ ٥٠٤.

(٢) هذا الفصل، ص: ٤١ ـ ٤٤.

أ - الأسرة :

اعتمد المزنيون، كغيرهم من عرب الجاهلية، في تكوين أسرهم على الزواج الذي كان هو الأصل لديهم، ناشئاً بالخطبة، والمهر والعقد، وكان يُسمى عندهم (زواج البعولة) (٣)، وهو النظام الذي أقره الإسلام من بعد.

وكان الشائع عندهم، أحياناً، الزواج داخل العشيرة، مراعاة لوحدتها، ومحافظة على انسجامها، أو هروباً من نفقات الزواج الخارجي، التي ربما تكون باهظة. . وليس بين يدي من الروايات التي تدل على هذا الزواج الداخلي غير جانب من الرواية التي تذهب إلى أن (جميل) بنت يسار، رضي الله عنها، تزوجت من ابن عم لها (٤).

وربما دفعتهم رغبتهم الجامحة في إنجاب النجباء من الأولاد ـ إلى الزواج خارج العشيرة والقبيلة، مكتفين بروابط التحالف أو الجوار، وغيرها، والأمثلة على هذا الزواج كثيرة، منها: زواج أبى سلمى والد زهير من بني مُرَة بن عوفٍ الغطفانيين، الذين كانت تربطهم بآل قومه صلات حلف وجوار (٥)، واضعاً أمام ابنه زهير نهجاً لم يحد عنه بزواجه من كبشة بنت عمار، من بني أشجع بن عامر الغطفاني، وزواجه من أم أوفى الغطفانية أيضاً (٦)، مما دفع ابنه كعباً، فيما يبدو، إلى تقليده، فتزوج من امرأة من غطفان (٧)، ومثل هذا النهج سلكته سهيمة بنت عمير المزنية بزواجها من ركانة بن عبد يزيد المطلبي(٨).

---

(٣) لسان العرب، (بعل).

(٤) ملحق الأعلام، المزنيات، ص: ٤٩٧ جـ.

(٥) شرح ديوان زهير، الهيئة، ص : ١، ٥٥ والآفاق: ١٤٥ وصعوداء، ٨٤.

(٦) نفسه، الهيئة، ص: ٥٥، وصعواء ٦١.

(٧) ذيل الأمالي، الآفاق، ص: ٢٤، والفصل الثالث من هذا الباب، ص: ١١٩.

(٨) الإصابة، الفكر، ٤/ ٣٧٧، والاستيعاب، ٣/ ١٦٢٧، وفي الأخير: ابن عويمر.

ومراعـاة لظروف المجتمع العـربي آنذاك كانوا يفضلون فـيمن يتقـدم لخطبة بناتهم من يسـاويهم حسـباً ونسـباً، ومن تتـوافر فـيهم مـعالم القـوة والبأس والشجاعة، والحلم، والصبر والمروءة، وغير ذلك من الصفات التي تعينهم على حماية المرأة وإطعامها، وتأمين معاشها، وإسعادها.

والمرأة الشابة هي المرغوب فيها لقُـدرتها على إنجاب الذرية الكثيرة، القوية، فإذا بلغ الشاب منهم رشده، تقدم أبوه، أو خاصة أهله، إن كان أبوه ميتاً، في جلة من قومه إلى ولي المخطوبة أبيها، أو عمها، أو أخيها، مع بعض أخوالها، فيقـبل الولي الخاطب، أو يرده، ولا يحق للمرأة أن تبدي رأيها في خـاطبها، صراحة، إلا نادراً. . . . فإذا ارتضى الولي والخـاطب جرى الاتفاق على المهر، الذي كـان يتمـثل في عـدد من رؤوس الإبل والأغنام والماشـيـة التي يقـتنيهـا الخاطب، أو في صورة قدر من الدراهم والدنانير، أو كمية من معدن نفيس أو مساحة من الأرض، تختلف من عشيرة إلى أخرى، حسب الظروف الاقتصادية لكل منهما، وتبعاً لظروف الراغب في الزواج نفسه أو أسرته، ومراعاة لأوضاع المخطوبة الاجتماعية، وصفاتها، وسنها، ومدى قرابتها، أو ابتعادها عن سلسلة نسب الخاطب.

وهو ـ المهـر ـ على اختـلاف أنواعه ومقـاديره، شيء كان يـعد حقـاً لولي الزوجة، وليس حقاً للمرأة نفسها، في أغلب الأحيان (٩).

فإذا تمتْ مراسيمُ العـقد، وأخذ الولي مهر وليتـه، تم عقد الزواج، وعُرِفَ عن الجاهليين أنهم كـانوا يمتنعون عن الزواج في شهـري صَفَر وشوالٍ تشـاؤماً منهما لكون الأول قـريباً من الأشهر الحرم، به تبـدأ المعارك، ولأن الإبل تشول

---

(٩) نظام المهر عند العرب قبل الإسلام، بحث للدكتـور/ محمود زناتي، منشور بمجلة العرب - السعودية، شوال ١٤٠٩هـ / (نيسان) أبريل ١٩٨٩م.

بأذنابها، من شـهوة الضـراب في الثاني [١٠]، كمـا عُرِف عنهم تطيـرهم من الزواج في ليالي المحاق، وهي الليالي الأخيرة من الأشهر القمرية [١١].

وبالتعاون بين الزوجيْن يسير موكبُ الحياة الزوجية في طريقه المنشود، متغلباً على ما قد يواجهه من صعـوباتٍ وشدائدَ، يفضل الزوج غالباً أن يكون له عدد كبـير من الأولاد، يعز بهم، وتعلو كلمـته في مجتـمعه، ويسـتعين بهم على ضرورات الحياة الجـاهلية، بكل متطلباتها. . فـإذا ولدت له الزوجة من يشاء، قرت عينُه، وابتسمت له الدنيا، وإلا راح يخـبِط خَبْطَ عشواء، فيئد من تنجب له من بناتٍ تحت ضُـغـوط حاجـاته الاقـتصـادية، أو مـراعاة لمـعالمِ العـزةِ، والشرفِ، أو متذرعاً بأسباب دينية مترسبة لديه من عقائد دارسة [١٢].

وعلى رغم افـتـقاري إلى مـايؤيد إقـدام المزنيين على ارتكاب هذه الجـريمة الاجتـماعيـة، لا أستطيع تبرئتـهم من ممارستهـا، لكونهم عاشوا في المجـتمع الجـاهلي، وانصهـروا في أتون نظمـه الاجتـماعـية المخـتلفـة. ولعل إشـارة عكرمـة[١٣] التــي أيدهــا قتادة[١٤]، في تفسير قوله سبحانه: ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [١٥] ـ إلى "أنها نزلت فيمن يئد البنات من ربيعةَ ومُضَرَ"، تُقوّي بعض ما أذهب إليه بهذا الصدد.

وإضافة إلى ممارسـة هذه العادة الجاهلية، قـد يلجأ الزوج إلى الزواج مرة، ومرات، طمعـاً في كثرة من يقوونه، فإذا تعسـرت عليه، وعلى زوجه ظروف

(١٠) لسان العرب (شول) وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢/ ٣١٥.
(١١) اللسان والتاج، (محق).
(١٢) سورة الأنعام (١٤٠)، والإسراء (٣١)، والنحل (٥٧ - ٥٩) وغيرها.
(١٣) تفسير الطبري، دار المعارف، ١٢/ ١٥٤ - ١٥٥.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ١٧.
(١٥) سورة الأنعام: ١٤٠.

المعيشة، خاصة في ظل هذه الظروف المستجدة، اضطر إلى تطليقها، وربما كان لجوء زهير إلى تطليق (أم أوفى) مدفوعاً بهذه الأسباب، أو مثلها.

وإلى جانب تعدد الزوجات، عرف الجاهليون نظام تسري الإماء والجواري، وهو أمر ربما لجأ إليه المزنيون، كغيرهم من أبناء بيئتهم.

ومن جهة أخرى انحرف بعض الجاهليين إلى التردي في مهاوي أنكحة أخرى مما أشارت إليه السيدة عائشة رضي الله عنها [١٦] بما يصطلح عليه بـ (الاستبضاع، والمخادنة، وخلة النساء للرجال، وزواج البدل، والضيزن)... وغير ذلك.

وليس بين يدي من الأدلة ما يؤكد، أو ينفي مشاركة بعض المزنيين في ممارسة هذه الأنكحة أو بعضها، وغاية ما في الأمر أن النسوة التسع اللائي ذكرهن عكرمة، وهن من صاحبات الرايات المتخذات بيوتات من شَعَر، والناصبات على أبوابهن رايات تكون عَلَماً لمن أرادهنَّ دخل عليهن، عند عقد الأسواق الرسمية آنذاك ـ ليس فيهن واحدة من المزنيات نسباً أو ولاء [١٧].

كما أنني لم أعثر على اسم واحدة من النسوة اللائي خلف عليهن الأبناء، بعد آبائهم من المزنيين أو المزنيات[١٨]، باستثناء رواية ذكرها أكثر من واحد[١٩]، عن معاوية بن قرة المزني رضي الله عنه، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ بعث أباه إلى رجل عَرَّسَ بامرأة أبيه، فضرب عنُقَه، وخمَّس ماله، مما يجعلني أميل بظني قليلاً إلى أن هذا الرجل المقتول ربما كان من مُزينة، فإن

---

(١٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، والمحبر، ٣٤٠، وغيرهما.

(١٧) المحبر، الموضع نفسه، وتفسير الطبري، الميمنية، ١٨/٥١.

(١٨) المحبر ،٣٢٦ - ٣٢٧، والمعارف، ١١٢ - ١١٣ وغيرهما.

(١٩) أسد الغابة، التعاون ١/١٩١ والإصابة، الكليات ١/١٤٧، وإيضاح الإشكال ٥٧.

صح ماأميل إليه، هنا، جاز لي أن أجـزم بوجود هذا اللون من أنكحة الجاهلية عند المزنيين.

وأياً مـا كان نوع الزواج، وخـاصـة في نوعه الأول، تـنحل عقـدة الزَّوَاج بالموت، فإذا كان المتوفى هو الزوج، وجب على الزوجة أن تظهر الحزن عليه ؛ فتحلق رأسها، وتخمش وجهها، وتغـمس قطنة في دمها وتضعها على رأسها، وتخرج طرف قطنتهـا من خرق قناعها؛ ليعلم الناس أنها مـصابة، ويسمى هذا السلوك بعادة (السِّـقاب) (٢٠)، وتعتـزل المرأة، بموجب ذلك، في حِفْشٍ (بيت صغيـر)، تقضـي فـيه مدة حدادها سنة، تلبس فيها شر ثيـابها، ولا تمس طيباً ولا تقلم ظفراً ولا تنتف من وجـهها شعـراً، ويُحمل إليها الطعـامُ، فإذا حال عليها الحول أَخَذَتْ بعرةً فدحرجَتْها على ظهر حمار، وقالت : قد حَلَلْتُ. أما إذا كانـت الزوجةُ هي المتـوفاةُ، فليس للرجل، في عُـرفهم آنذاك، أن يـحزن عليها، ويُعاب إذا زار قبرها (٢١).

وليس بين يدي مـا يؤكد أو ينفي ممارسـة المزنيين لهذه العـادات، وإن كنت أميل إلى أنهم لم يكونوا نُتُوءًا في عقد المجتمع الجاهلي آنذاك.

ب - أعيادهم وبعض عاداتهم الأخرى :

استوجبت ظروف حياة المزنيين، أن يجتـمع أفراد العشائر، كغيرهم من أبناء بيـئتـهم، في عدة منـاسبـات عزيزة عليـهم، كـذكرى إنتـصار أحـرزوه على خصومهم، أو عـقد تَحَالُفٍ مع بعض جيرانهم، أو عقـد مراسيم زواج بعض كبرائهم، أو نُبوغ شاعر من أبنائهم، أو عيد من أعيادهم الخاصة أو العامة.

---

(٢٠) اللسان، والتاج، (سقب).

(٢١) تفسير الطبري، ٥/ ٨٢ - ٨٥، وصحيح مسلم، الفكر، ١٠/ ١١٤.

ومن الأعياد التي كانوا يحتفلون بها (يوم السَّلْع) أو (السَّبْع)، وهو عيدهم عن كل شيء، وكانوا يشتغلون فيه بلهوهم [٢٢]. فيعقدون المسامرات، ويأخذون في الحداء، والغناء خلف مغن، أو قينة، بكلمات شعرية، تتنوع موضوعاتها وأوزانها وقوافيها، حسب المناسبة، ومدى أهميتها عندهم، على وقع الدفوف وغيرها من الآلات الموسيقية المعروفة حينئذ، وكؤوس الخمر يغدو بها الغلمان على الحضور، فيعطى كل واحد ما يشاء حتى تسلبهم الخمر حلومهم.

ولزهير أبيات أبدع فيها تصوير الخمر، فأظهر صفاءها وحمرتها، وسلامتها من القذى، وتراوحها بين (الصهباء) و (الكُمَيت) وشبهها بدم الغزال إذا كانت في الراووق الذي يملؤه عادة شارب بها، فتتمشى في عروق شاربيها، شيئاً فشيئاً حتى تذهب بقوتهم وعقولهم، وهم يعانون من أول ساعات الشراب، من شدتها، مايورثهم الصداع، ثم ينتشون، ويثملون، فيذهب عنهم ذلك الأمر المكروهُ، ويشرعون في الهذيان، ولم يعودوا بقادرين على ضبطِ ألسنتهم[٢٣].

(٢٢) تاج العروس (سبع).

(٢٣) راجع قوله (شرح ديوانه، الهيئة ٢٦٧ والأعلم ٢١٤ وصعوداء ٥٥ - ٥٦):

١- ذاك وقد أصَبحُ الخليلَ بِصَهْـ	ـباء كُمَيْتٍ صافٍ جوانبُها
٢- مثلِ دم الشادن الذبيح إذا	أتاق منها الرَّاووقَ شاربُها
٣- دبَّتْ دَبِيبًا حتى تخوَّنه	منها حميًّا ، وكفَّ صالبُها

* أُصبح الخليل: أسقيه الصَّبوح من الخمر، والصهباء: لونها أحمر إلى البياض، والكميت: الحمراء إلى السواد. الشادن: الغزال حين يقوى ويمشي، الراووق: المُصَفَّاة، تخونه: تنقصه، وذهب بقوته وعقله، والحميا: الثورة والشدة، والصالب : الصداع والشدة، وكف صالبها: أقر أو كفَّتْ شدتُّها الشاربَ عن النطق.

كمــا أشار في مــواضع أخرى من شــعره (٢٤) إلى ممارسة بعض ممدوحــيه الميسر، وجعلهم إياه وسيلة لإطعام الجائع والمعترّ.

ومن جهــة أخرى ألمح صــاحب التاج (٢٥) إلى ما كــان يفعله الجــاهليون إذا أجدبوا من تــعليق (السلع) و (العشــر) النار، يستــمطرون بذلك، فيــوقرون ظهورها من حطبهما، ثم يلحقون النار فيها، يستمطرون بلهب النار المشبه بسنا البرق.

ولابن طباطبا (٢٦) حديث مــسهب عن سنن العرب وتقــاليدها، مما يصلح الاستشهاد ببعض جوانــبه في هذا الموضع، كنصه على إمساك العرب عن بكاء قتــلاها، حتى تطلب بثأرها، فــإذا أدركته بكت حــينئذ قتــلاها، وككَيِّهِمْ ـ إذا أصاب إبلَهم العُرُّ والجــرَب ـ السليمَ منها ليذهب العر عن السقــيم، وكإيقادهم خلف المسافــر، الذي لا يحبون رجوعــه ناراً، ويقولون: أبعده الله وأســحقه، وأوقد نارا أثره، وكزعمهم أن المِقلات ـ وهي التي لا يبقى لها ولد ـ إذا وطئت قتــيلاً شريفــاً بقي ولدها. . . . . وغير ذلك مما لا نســتطيع تأكيده أو نفــيه عن المزنيين.

وتتــراءى لقــارئ شعر زهير (٢٧) صورة البيت الجاهلي عندما يشبه ناقته بفَدَنٍ تطــوف بــه البناة مــبوَّبٍ، كمــا تظهر فــيه (بنيــانة القرئي)(٢٨) ـ وهو ساكن القرية.

---

(٢٤) شرح ديوانه، الهيئة ١١٢، ٢١٨، ٣١٣، وشرح شعره، الآفاق ٩٣، ١٥٩، ٢٤٧.
(٢٥) مادة (سلع)، وانظر أيضاً: عيار الشعر، ٥١.
(٢٦) عيار الشعر، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠.
(٢٧) شرح ديوانه، الهيئة، ٣٧١.
(٢٨) شرح شعره، الهيئة، ٢٥٧، الآفاق، ١٨٤ والأعلم، ٢٥٥.

وأستطيع أن أقرر، مع الأستاذ كحالة (٢٩)، أن المزني الأصيل، كغيره من أصلاء العرب حينئذ، ذو وجه منبسط، وعينين براقتين سوداوين يعلوهما حاجبان كثيفان، وأنف أقنى، وجبهة مستوية، لا عالية ولا منخفضة، وهامة مرتفعة في غاية الكمال، وعضلات نشيطة قوية، وأطراف معتدلة متناسبة مع تكوين الجسم. . . . أما صفاته المعنوية فهي الصبر والقوة، والحماسة الفجائية أحياناً مع القدرة على الأناة، ملاءمةً للبيئة الصحراوية، إضافة لشدة الغضب، والتحلي بالمروءة، والنجدة والكرم، فهو ذو نار مشبوبة يهتدي بها الضيفان، والطُرّاق، فينحر لهم الكوم السمان، وهو الذي لا تنطفئ ناره، ولا تبيض قدورُه، وهو شجاع لا يخاف الموت، ولا يقعد على الضيم، ولا يرهبه التسيارُ في غبَشِ الليل، ولا يكاد يُوجد فارق بين أبناء العشائر المتعددة في طرق المعيشة فهم يأكلون جميعاً اللحم واللبن والتمر. . . . ويلبسون جميعاً الثوب والعباءة والعقال والقُتُر، ويتمتع أفرادهم بحرية لا حد لها.

* * *

هـ - حياتهم السياسية

خضعت مزينة في شؤون حياتها السياسية إلى النظام السياسي لعرب الجاهلية، وهو النظام المرتكز على "العشائر"، وكل عشيرة تتكون من البيوت من ذوي الشرف والرياسة، يتمتع رؤساؤها بالسيادة في قومهم، ولهم حقوق معينة، وعليهم واجبات مفروضة، منها : إيواء الغريب وحماية الحمى، والذود عن النساء... وهؤلاء كانوا يؤلفون حكومة العشيرة أو القبيلة، ويفصلون في الأمور التي تمس حياة العشيرة أو القبيلة، ولا سيما في أمور القتل والغزو، والديات وطلب الثأر، وغيرها من شؤون الزواج والطلاق، والنزاع على المياه والكلأ، والمشاجرات التي قد تشتجر بين رجالاتهم لأسباب مختلفة داخل القبيلة أو خارجها، مع أبناء القبائل الأخرى [١]، وهي أمور كانت تجد في مجالس العشيرة، وهي ندواتهم، أمكنة ملائمة يستطيع أن يحضرها كل فرد يتحدث فيها.

ولزهير أبياتٌ مشهورةٌ ينوهُ فيها بما كان لبعض ممدوحيه من مقاماتٍ، فهم: حِسانٌ وجوهُهُم، ولهم أنديةٌ ينتابها القول والفعل[٢].

غير أن افتقار زعماء العشائر إلى القوى التنفيذية المضطلعة بتنفيذ الأحكام في قضائهم بين المحتكمين إليهم، أدى إلى جعل سلطات هؤلاء الزعماء معنوية أكثر منها مادية، ومن ثم كانت أسلحتهم الوحيدة، في ذلك، هي الحض والإقناع، لا الجبر والإكراه، فإذا عجزوا عن إقناع الطرفين المتخاصمين، أو أحدهما بقبول حكمهم، كان السيف غالباً، هو الحكم، وكان ذلك دافعاً،

---

(١) النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السابقة، ١٧٤، ١٧٥.

(٢) شرح ديوان زهير، الهيئة: ١١٣، والأعلم: ٤٢، وصعواء : ٢٢، تشستربتي: ٣٢.

لبعض الشيوخ، لرفض مجالس الحكم، خشية أن تُرد عليهم أحكامُهم (٣).

وإلى جانب هذه المجالس احتكم عرب الجاهلية إلى الكهان الذين كانوا يَدَّعُون الصلة بالجن، أو العرافين، الذين كانوا يلجؤون إلى الفراسة والقرائن أو التعاقد على دفع الظلم، بما يشبه حلف (الفُضول).

ونظراً لوقوع أعباء القتال، وغيرها من الشؤون الكبيرة، على كواهل رجال الحي، دون الأطفال والنساء، كانت القاعدة عندهم آنذاك، أن يُقصَرَ على الرجال حقُّ اقتسام الغنائم والأسلاب، ويبدو أن ذلك كان مقصوراً على من يغشى الوغى، وينزل المعمعة، بعلم من رئيس الحي فقط (٤).

وتقوية لشوكة القبيلة بين غيرها من القبائل، لجأت مزينة كغيرها، إلى نظام التحالف الذي كان في أصله ذا صبغة دينية، يعقد عند الأنصاب، وفي بيوتات الآلهة، متبعاً رسوماً وشعائر لابد من أدائها، كالقسم ولعق الدم، قائماً على علاقة الدم بوصفها العلاقة الوحيدة التي تربط بين أفراد الحي، هو طلب الثأر، واتحاد رجاله في القتال، والذود عن الحوزة، متساوين في الحقوق والواجبات، وشعارُهم في الحروب اسم الحي نفسه، أو بعض دُوره، وأقسامه، ولهذا الحلف قُوَّته الضاربة في نُصرة الحليف ونجدته إذا استغاث، والأخذ بحقه إذا ظُلِم، وطلب دمه إذا قُتل، ودفع الدية عنه من الجماعة، إذا قَتَلَ أحداً، أو جرَّ عليهم جريرةً، إضافةً إلى حقه في أن يرث حليفه لكونه غدا عضواً من أهل الرجل، الذي ينتمي إليه بالجوار(٥).

---

(٣) النظم الاجتماعية والسياسية، ١٧٥، ١٧٦.

(٤) تفسير الطبري، ٩/ ٢٥٤ - ٢٥٧.

(٥) النظم الاجتماعية والسياسية، ص: ١٦٥، ١٦٦.

ومن الأحلاف التي انضوت مزينة تحت لوائها (حلف الرِّبَاب)، الذي كان يضم، إضافة لها، (تيما) و (عَدِيًّا) و (عكل) و (ضبّة)، وسُموا بالرِّباب لأنهم تربَّبُوا - أي تحالفوا على بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقيل: بل غمسوا أيديَهُم في رُبٍّ، وتحالفوا [6].

ومر بنا أنه كان لمزينة حلف مع الأوسيين [7]، وفرضت عليهم قواعد هذا الحلف الاشتراك في وقائع (بُعَاث) بين الأوس والخزرج، كما سنرى بعد قليل، وإلى هذا الحلف أشار قيس بن الخطيم، مفاخراً، بقوله [8]:

لعَمري ، لقد حالفت ذبيان كلَّها ... وعبساً على مافي الأديم المُمدّد
تحملتُ ماكانت مزينةُ تشتكي ... من الظلمِ في الأحلافِ حَمْلَ التَّغمدِ

كما مر بنا الإيماء إلى تحالف مزينة مع غطفان [9]، وهو التحالف الذي أشار إليه زهير، في تهديده الحارث بن ورقاء، قائلاً [10]:

هلا سألت بني الصيداءِ كلَّهُمُ ... بأيّ حبلِ جوارٍ كنتُ أمتسكُ
فلن يقُولُوا بحبلٍ واهنٍ خلَقٍ ... لو كانَ قومُكَ في أسبابِه هَلَكُوا

وحظي بعضُ المزنيين بعلاقاتِ تحالفٍ وجوارٍ مع أفراد وعشائرَ من قبائلَ أُخرى كـ (عبدِالله بن سرجس) الذي قيل : إن له حلفاً مع بني مخزوم [11]،

---

(٦) الإنباه على قبائل الرواه، ٨٥، والاشتقاق: ١٨٠، واللسان (ربب)، العقد الفريد: ٣/٣٣٨.

(٧) هذا الفصل ص: ٢٢، وانظر ديوان كعب، قراقو، ١١٩، والقاهرة، ٢٠٩.

(٨) ديوان قيس بن الخطيم، ص: ٧٢، والأغاني، الساسي، ١١/١٥٦.

(٩) هذا الفصل ص: ٣٤ والسيرة لابن هشام، ١/٩٥، وشرح القصائد العشر، ص: ١٢.

(١٠) شرح ديوانه، الهيئة: ١٧٩، ١٨٠، والأعلم، ٨٧، وصعوداء، ٩٩، وتشستربتي، ٤١.

(١١) أسد الغابة، الشعب، ٣/٢٥٦.

مما دفع بعضَ العلماءِ إلى نسبتهِ إليهم [١٢]، وكـ (الحارث بن عمرو بن غزية) المعدود في الأنصار لهذا السبب [١٣]، وكـ (مالك بن ثابت بن نميلة) حليف بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو [١٤] وكإخاء (كعب بن زهير) في بني مِلْقَط الطائيين [١٥].

وكفلت هذه العلاقاتُ لأفرادها ما كانت تكفله العلاقاتُ القبليةُ من حقوقٍ وواجباتٍ متبادلةٍ، ومن ذلك ماروُي أن رجلاً من بني مُزينة كان جاراً لأبي المثلَّم الشاعر أحدِ بني خُناعة بن سَعْد من بني الرمداء، فقتل صخرُ الغيُّ (ابن عبدالله، وقيل: ابن سويد بن رباح الخيثمي الهذلي) المزنيَّ، فمشى أبو المثلم إلى قومه، وبعث على مطالبته بدم جارهم المزنيِّ، فبلغ ذلك صخراً، فقال يذكر أبا المثلم، ومافعله في أبيات منها:

أَبْلغْ كبيراً عني مُغَلْغَلَةً ... تبرقُ فيها صحائفٌ جُدُدُ
المُوعِدينا في أن تُقَتِّلَهُمْ ... أبناءَ فَهْم وبيننا بُعُدُ
جاءتْ كبيرٌ كيما أخفرها ... والقوم صيدٌ كأنما رمدوا
في المُزنيِّ الذي حَشَشْتُ به ... مالَ ضريكٍ تلادُهُ نكدُ
إن أمسِكْهُ فبالفداء وإن ... أقتلْ بسيفي فإنه قَوَدُ [١٦]

---

(١٢) الاستيعاب، ٣/٩١٦.

(١٣) أسد الغابة، التعاون، ١/٤٠٥.

(١٤) مغازي الواقدي، ١/١٥٦١.

(١٥) ديوان كعب، قراقو، ٧١، القاهرة، ١٢٧، وذيل الأمالي: ٢٤.

(١٦) شرح أشعار الهذليين: ١/٢٥٤ - ٢٦١، وديوان الهذليين: ٢/٥٧-٦٢، والأغاني، الثقافة: ٢٢/ ٣٨٠ - ٣٨١، وتهذيب اللغة (حش) وقد ذكر صاحب الأغاني (٢٢/٣٧٩) أن بعض الرواة نسبوا الأبيات لعمرو ذي الكلب.

وبسـبب حـلف (صطحـان المزني) مـع الأوس، قَـتَلَ (نفـيعَ بـن المُعلَّى الخزرجيِّ) الذي أسلم قبل أن يقـدم رسولُ الله ﷺ من أجلِ ماكان بين الأوس والخزرج، فكان أولَ قتيلٍ في الإسلام من الأنصار [١٧] .

وباستقـرائنا لأيام العرب الجاهلية التي بين أيدينا أخبـارها، لانكاد نعثر على أنباء حرب كـبرى من حروب خاضها المزنيـون، على رغم إشارة بعض العلماء إلى كثرتهم ومنعتهم [١٨]، وهذا يؤيد مذهب الجاحظ [١٩] في جعل مُزينة من "الخمول"، ويبدو أن نزول المزنيينَ بمنازلَ كـثيرةٍ، ممتدة، ومتفرقة، ينتـشر فيها الخصب والزرعُ، وتسـربَ بعض الإشعـاعات الدينية من اليـهودية والنصـرانية والحنيفيـة إلى بعضهم، كمـا سنرى بعد قليل، كان من العوامل التـي جعلتْهُم يعزفون عن أُوارِ الحرب وأهوالها.

وقـد أشرتُ، قبل قليلٍ، إلى مشـاركة المزنيين في (بُعاث)، وهي أيام[٢٠] دارتْ رحـاها بين الأوس والخزرج، في نواحي المديـنة، وقيل: في أمـوال بني قريظة، وكان الرئيس في بعض حروبها حُضَير الكتائب، أو أُسَيْد بن حضير .

وبدأت هذه الحروب باستعانة الأوس ببني قُـرَيظَة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم، فبلغ ذلك الخـزرج، فبعثت إليهم : أنَ الأوس قد اسـتعانت بكم علينا، ولن يعـجزنا أن نسـتعين بأعدادكم وأكـثر منكم من الـعرب، وناوشت الأوسُ الخزرجَ يوما واجتمعت قـريظةُ والنضيرُ إلى كعب ابن أسد القُرَظيِّ، ثم تآمروا أن يعـينوا الأوسَ على الخزرجِ، ثم لبث الأوسُ والخـزرجُ أربعين ليلة، يَتَصَنَّعُونَ للحـرب، ويجمع بعضُهم لبعضٍ، ويُرسلون إلى حلفـائهم من قبائل

---

(١٧) نسب معد واليمن الكبير، ١/ ٤٢٠.

(١٨) ذيل الأمالي، الآفاق، ٢٥.

(١٩) الحيوان: ١/ ٣٦١.

(٢٠) انظر بالتفصيل، الكامل في التاريخ ٤١٧/١، ٤١٨، وأيام العرب في الجاهلية، ٧٤,٧٣.

العرب، فـأرسلت الخزرجُ إلى (جُهينةَ وأشـجع)، وأرسلت الأوس إلى مُزينةَ، وذهب حضـير الكتائب إلى أبي قيس الأسلت (وكـلاهما أوسيان)، فـأمره أن يجمع له (أوس الـله)، فجمـعهم له أبو قـيس، فقام حـضير، فـاعتـمد على قوسه، وعليه بردة من صوف تشف عن عـورته، فحرّضَهُم، وأمرهم بالجد في حروبهم، وذكـر ماصنعت بهم الخزرجُ، فأجـابتْه (أوسُ اللهِ) بالذي يحب من النصرة والمؤازرةِ والجد في الحربِ.

ثم اجتـمعت الأوسُ مرة أخـرى، وجاءتهم (أوسُ مناةَ)، وقـدمت مُزينةُ، وكان اللقاء بـ (بُعـاث)، وحشد الحيان، فلم يتـخلف عنهم إلا من لاذكر له، فلما رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموهم، وقالوا لحضـير: يا أبا أسيد: لو حاجزتَ القومَ وبعثتَ إلى من تخلَّفَ من حلفائك من مُزينةَ؟!.

فطرح حضير قوساً كـانت في يده ثم قال: أنتظرُ مُزينةَ وقد نظر إليَّ القومُ ونظرتُ إليهم؟ الموت قبل ذلك!! واقتتلوا اقتتالاً شديداً، فانهزمت الأوسُ حين وجَدَوا مسَّ السلاح فولَّوْا مُصْعـدِينَ في حَرّة قُورَى، وفي أثناء قتالهم مر رجلٌ من مُزينةَ، يقال له (جؤيّ بن عائذٍ) على الأوس والخزرج، فدخل في حُلفائه، فأُصيبَ، فمرَّ به ثابتُ بنُ المنذر (والدُ حسان الخزرجي الأنصاريّ) فقال: يا أخا مُزينةَ، مـاطرحك هذا الموضع، فوالله إنـك لمن قوم ما يحـمونك!! فـقال له جؤيّ، وهو يجود بنفسه: أعطي الله عهداً ليُقتَلَن بي منكم خمسونَ ليس فيهم أعورُ ولا أعرجُ !!.

فسـارت كلمتُـه حتى أتت (عَـمْقَ) ببلاد مُـزينةَ، فثاروا يـريدون الخزرج مطالبين بدم جُؤيٍّ، فبلغ مسيرُهم ثابتاً، فأنشأ يقول ساخراً (٢١):

---

(٢١) شرح ديوان حسان، ٣٩٨، وديوان كعب، قراقو: ١١٩، والقاهرة، ٢٠٩-٢١٠.

جاءت مُزينةُ من (عَمْقٍ) لتُفزِعنَا　　　قِرِّي مُزينَ وفي أسْتاهِك الفُتلُ

فكلُّ شيء سوى أن تذكروا شَرفا　　　أو تبلغوا حسباً من شأنكم جَلَلُ

قوم مدانيسُ لايمشي بعقوتهم　　　جارٌ وليس لهم في موطنٍ بَطَلُ

فلقيتْهم مُزينة ببُعاثَ، ورئيسهم مُقَرِّنُ بن عائذ المزنيُّ، فاقتتلوا، فقُتل من الخزرج عدةٌ، وأُسرَ ثابتُ بنُ المنذرِ، وأقسم مقرنُ ألا يأخذ فداءه إلا تيساً أجمَّ، فغضب الخزرجيونَ لذلك، وقالوا: لانفعل أبداً، وغالوا بالفداء، فأخذه منهم مُقَرِّنٌ، وذبحه في سوق عكاظَ، وأطعم الناسَ لحمه، وأنشأ يترنم بقوله (٢٢):

هَلا سألتِ وأنتِ غيرُ عَييّة　　　وشفاءُ ذي العيِّ السؤالُ عن العَمَى

عن مشهدي بـ(بُعاث) إذ دلفتْ لهُ　　　غسَّانُ بالبيض القواطع والقَنَا

وعن اعتناقي ثابتا في مشهدٍ　　　متنافسٍ فيه الشجاعةُ للفتى

فشريتُه بأجمَّ أسودَ حالكٍ　　　بـ(عكاظ) موقوفا بمجمعِها ضُحى

وراح كعب بن زهير يرثي جُؤياً بأبياتٍ يتشفى فيها بالخزرجيين مستهلاً بقوله (٢٣):

صبحنا الخزرجيةَ مُرهفاتٍ　　　أبادَ ذَوِي أرومتها ذَوُوها

وغدا ـ في موضع آخر من شعره (٢٤) ـ يفتخر بغارة قومه، مصبحين على بني جحاش الغطفانيين، بجمع فيه ألف، والتقائهم بهم في موضع يقال له

---

(٢٢) شرح الحماسة للتبريزي، التجارية: ٣/ ٢٧، وسمط اللآلي: ٢/ ٦٢٩، والأبيات منسوبة خطأً لكعب بن زهير في ديوانه، قراقو: ١٣٥، والقاهرة، ٢٣١/ ٢٣٢.

(٢٣) ديوان كعب، قراقو، ١٣٥، والقاهرة، ٢٠٩ - ٢١١، وحماسة أبي تمام، عسيلان ١/ ٤٨٥، ٤٨٦، وشرحها لابن جني، ١٣٨، ولأبي الفتوح، ٦٧، وللفارسي، ٨٨، ٨٩ وغيرها.

(٢٤) شرح كعب للأحول، ٧٨.

(مكروثاء)، وعودتهم ظافرين بالنصر. وهي تذكرنا بغارة جده أبى سلمى، مع خـالـه، وابن خاله، مما أسلفتُ الإشـارة إليـها في أكـثر من مـوضع من هذا الفصل [٢٥].

ولعبد العزى بن وديعة المزني أبيات يصف فيها وقعة كانت لقومه على بعض خصومهم، وهي قوله [٢٦] :

ولمـا أن رأيتُ الحـيَّ ريعـوا ... وأسلـمَ أهلَهُ الـرجُلُ الغـيورُ
تنادتْ عُـصْبـةٌ مـن وُلْدِ (ثَوْرٍ) ... منـاكـبُـهـا غـداة الروع زورُ
وقلنا : يـاالأشـجع ، لاتُضيـعوا ... ذمـاركُمُ ، ومـسرجلُنا تفـورُ
كـأن سـيوفنا فـينا وفـيـهم ... سـحـابٌ يُسَتـهَلُّ ويستطيـرُ
كـأنهمُ - وقـد ولَّوا - سَحَـابٌ ... لـه زَجَل تُكَرْ كِـرُهُ الدَّبـورُ

وواضح، من قـراءة هذه الأبـيـات، أن المزنيين، أوقـعـوا بخـصـومـهم الأشجـعيين، في هذه المعركـة ـ التي نفتقـر إلى تحديد زمانهـا ومكانها ـ هزيمة قاسية.

وربما كانت "ذات الجمـاجم" هي آخر عهد المزنيين بالظـفر في الحروب في أواخر عهدهم بالجاهلية، إذ يروى أن أحد سادتهم، وهو (خُزاعى بن عبد نُهْم) رضي الله عنه، قدم على النبي بُعَيْدَ الهجرة، فأسلم، ووعده بأن يأتيه بنفر من قومـه، ثم خرج إلى قومه، فـوجدهم يتجـهزون إلى بني (ثعلبة بن سـعد ابن ذبيان)، فـخرج معهم، وترك مـيعاد رسول الـله، عليه السلام، فالتـقوا بذات الجماجم، فهزمت مُزينةُ بني ثعلبة، ورجعوا [٢٧].

---

(٢٥) هذا الفصل، ص: ٣٢ - ٣٣.

(٢٦) الحماسة الشجرية، حيدر آباد، ص: ٣٩، ودمشق، ١٤٨/١، ١٤٩.

(٢٧) ديوان حسان، الهيئة: ٢٦٩.

وفي الجهة المقـابلة أشار البعيث الجُهَنيُّ (خداش بن بشـر) أو المجاشعي إلى إيقاع قومه ببعض بني مُـزينةَ هزيمة منكرة، عند (غيق)، و (عيهـم) و (قـدس) و (آرة)، إذ أجلبوا لهـم القنابل من الخيل، وهي ما بـين الثلاثين والأربعين، مفاخراً بقوله (٢٨):

ونحن وقــعنَا في (مُـزينة) وَقْــعَــةً　　غداةَ الـتقيْـنَا بين (غَيْق) و(عَـيْهـما)
ونحـنُ جَلَبْـنَا يَوْمَ (قُــــدسٍ وآرةٍ)　　قنابلَ خـــيلٍ تتـركُ الجـوَّ أقـتــمـا

(٢٨) حماسة البـحتري، بيروت، ٢٦١، والمؤتلف والمختلف، ٥٨، ومعـجم البلدان، السعادة، ٧/٣٥، والمغـانم المطابة، ٣٣٣، والخـزانـة، هارون، ٦/١٢٥ - ١٢٦، وشـعـر البـعـيث المجاشعي، ٥٩.

و - معارفهم

ألم المزنيون، كغيرهم من أبناء بيئتهم، بكل ما تتطلبه شؤونُ حياتهم الجاهلية من كثرة الغارات والحروب والتنقل، من تكوين الخبرات العملية اللازمة بالقتال وأدواته وبخاصة الرماح والسيوف والقِسِيّ والسهام، والدروع والتروس والبَيْضَة، وحركات الكرِّ والفر، والزحف، والطعان والضرب والرمي.. وغير ذلك، وهي الخبرات التي يتبينها قارئ شعر زهير [1]، تبيُّناً يفضي به إلى إلمامه هو، وآله، بأيام العرب، وأنسابهم، وسير عظمائهم، وقصص الأنبياء، والأمم الغابرة، كإشاراته إلى أحمر عاد[2]، وتُبّع، ولقمان ابن عاد، وذي القرنين، وفرعون، والنجاشي [3]، وداود، وإرم [4]، وإشارة أخته لقُدَار [5].

ويأخذ بأيدينا إدراكنا لتفوقهم الملحوظ في ميدان الشعر، بكل ما يحتاج إليه من رَوِيَّةٍ ودراية وتمرس، إلى إيقاننا بمعرفتهم، وبصرهم بالجغرافيا، ومايتصل بها، بسبب ما يعانيه البدو منهم خاصة في شؤون الرحلة والتنقل، وبسبب اشتغال بعضهم بالتجارة، وخفارة القوافل التجارية، وهيام بعضهم بالصيد، وهي أشياء دفعتهم إلى معرفة الطرق والمعالم، والعلاقات والأماكن المختلفة معرفة دقيقة وافية، كما دفعتهم حاجاتهم إلى البيع والشراء، وتقسيم الغنائم،

---

(١) راجع مثلاً: شرح شعره، الآفاق، ص: ٥٩، ١٠٦، ٢٠٦، ١٤٧، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ٢٨، والأعلم، ١٩، وتشستربتي، ٩.

(٣) شرح ديوانه، الهيئة، ٢٨٨، ٢٩٢، والأعلم، ١٧١، وصعوداء، ١٢٣، وتشستربتي، ٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ١٥٨، والأعلم، ١٠٨، وتشستربتي، ٣٤.

(٥) راجع أبياتها بملحق الشعر، ص: ٦١٩.

والإرث، والكيل والوزن، وقياس الأراضي، وغيرها، إلى استخدام العدِّ والحساب، ومعرفة الكواكب.

ولم يغفل المُزنيُّ، كغيره من أبناء عصره، شؤون تربية الأبناء، بل، على العكس، نستطيع تصور مدى الاهتمام البالغ من الآباء والأمهات بأولادهم وبناتهم، وهو اهتمام دفعت إليه غرائزُ ودوافعُ وحاجاتٌ شتى، فرضتْها عليهم ظروفُ المجتمع آنذاك، فأخذوا على عواتقهم إحسانَ تربية أبنائهم، منذ الصغر، فكانوا يصطحبُونَهم معهم، حيثما حلُّوا وأينما ذهبُوا، ومر بنا اصطحابُ زُهيرٍ لابنهِ كعبٍ في إحدى سفراته [٦]، كما دأب، هو وأبناء قبيلته، على ترويض أبنائهم، وتهذيب عقولهم، وقلوبهم، بقبسات من الشعر البسيط، لفظاً ومعنى وموسيقا، فيما عُرِف بأغنيات "ترقيص الأطفال".

وعلى رغم افتقاري إلى النصوص التي تؤيد ممارسة المزنيين لهذا العمل، أعتقدُ، من خلال قراءاتي لنصوص كثيرة مما بين أيدينا من أشعار غيرهم [٧]، أنها كانت أشعاراً تحوي أدعية للطفل، ولداً كان أو بنتاً، وتَغَنِّياً بمحاسنه، أو رجاء أن ينمو في قابل أيامه قوياً فتياً، يغلب الخصوم، ويُحرز الانتصارات.

فإذا اتجهت أبصارُنا قِبَلَ أشعارهم، رأيناهم يلجؤون إلى "اللعب" بوصفه وسيلة من وسائل التربية الاجتماعية والنفسية للأطفال والصبية، فزهير تبهره

---

(٦) راجع هذا الفصل ص ٣٢، مجمع الأمثال: ١/١٢٦، ١٢٧.

(٧) راجع مثلاً: البيان والتبيين، ٢/١٤٥، ٤/٤٧، وعيون الأخبار، ٤/٣٠، والعقد الفريد، دار التأليف، ٣/٣٨٢، ٤٨٢، ٤٩٧... وأمالي القالي، الهيئة، ١/١٥٦، ٢٤٣... وغيرها.

لعبة " الخذروف " [٨]، في سرعتها، فيشبه الجواد والناقة بها [٩]، وتلفت نظره لعبة "المقلاء" [١٠]، فيشبه ثيران الوحش وحمرها بها [١١].

فإذا شب الولد، واكتمل نموه، صحب أباه في حروبه، ورحلات صيده وتجارته، واكتسب من ذلك كله، وغيره، خبرات رصينة تُعينه على تحمُّل المسؤولية في المجتمع. وبين أيدينا قصيدةٌ قافِيَّةٌ أخذَ زهيرٌ على عاتقه فيها تَنمية روافد الملكة الشعريةِ في وجدان ابنه كعب وفكره من خلال مايشبه المبارزة الشعرية [١٢]، وقافيةٌ أخرى تذهب بعضُ الروايات إلى أنهما اشتركا في إنشادها [١٣]، إضافة إلى حثه على حفظ ميميته الشهيرة التي يستهلها بقوله: "أمن أم أَوْفَى دمنة لم تكلم" [١٤]، وهو تهذيب حظيت أختُه وبرةُ بنصيب منه، باشتراكها في جانب من هذه المبارزات [١٥]، بما يؤكد أن ذلك لم يكن عملاً فردياً طارئاً، بل كان أشبه بالسلوك المعتاد في حياتهم اليومية.

---

(٨) هي لعبة فردية مكونة من قطعة مستديرة من المعدن، أو غيره، مثقوبة ثقبين، يمرر في الثقب خيط، ويربط طرفاه، ويمسك كل طرف بكف، وتدار القطعة بتحريك في اتجاه دائري حتى إذا مافتل، تحرك الكفان باتجاهين متضادين، اللسان (خذ رف).

(٩) راجع قوله (شرح ديوانه، الهيئة، ٢٣٠، والأعلم، ١٨٦):

بملتئمات كالخذاريف قُوبلت ... إلى جوشن خاظي الطريقة مُسْنَدِ

* خاظ: مكتنز اللحم، الطريقة: اللحمة على أعلى الصدر، مسند: قد أسند إلى ظهرها وإلى سائر خلفها، أي في مقدمها ارتفاع.

(١٠، ١١) هي لعبة جماعية، ينقسم الصبية فيها إلى قسمين، يتكون كل منهما من لاعب، أو أكثر، وهي مؤلفة من عصوين إحداهما طويلة قدر ذراع، والأخرى قصيرة قدر شبر، وتثبت العصا القصيرة ثم يضرب بالطويلة فتطير القصيرة في الهواء.. (شرح ديوان زهير، ٣٧٣).

(١٢) شرح ديوان زهير، الهيئة: ٢٥٦ - ٢٥٩.

(١٣) شرح ديوان زهير، الهيئة: ٣٣٠-٣٣١، ٢٥٧-٢٥٩، ٢٤٥-٢٥٢، ٣٥٨-٢٦٥، ١٩٢.

(١٤) مجمع الأمثال، ١/١٢٦ - ١٢٧.

(١٥) شرح ديوان زهير، الهيئة ٣٤٥، وصعوداء، ٧٤، والآفاق، ٢٦٠.

وفي ظل الأخبار المتواتـرة عن "حوليات زهير" (١٦) يكاد يغلبني الظن إلى أنه كان يُـجيد القـراءة والكتابة، وهو ظن يـقويه لديّ ما سـنجد تفصـيله في المبحث التالي من هذا الفصل (١٧) من تأثره بروافد اليهودية والنصرانية والحنيفية وغيرها، وهي الروافد التي أثمرتْ عن تفتحِ قريحته الشعرية، وأنضجت فكره، بما تجلى عن بروز طوابع الحكمـة، والأمثال في شـعره، إضافـة إلى مانلاحظه على شعره من اختيارِ دقيقٍ للألفاظ والمعاني، والصور التي يشير في بعضها إلى تشبيه الديار بالوحي في حجر المسيل المخلد (١٨).

ويستطيع قـارئ أشعار أخـويه الخنساء (١٩)، وأوس أن يشمل بحُكمه على زهير، هذين الشاعرين، بدليل قول أوس (٢٠):

أُخبرتُ أنَّ أبا الحويرث قد   خَطَّ الصحيفة أيتَ للحِلْم !!

أما بُجير وكعبٌ ابنا زُهَيْر، فإن الروايات الواردة في قـصة إسلاميهما (٢١)، تقطع بأنهما كانا من الشعراء الكُتَّابِ.

ولزهيـر (٢٢) وابنه كـعب (٢٣) عـدة إشـارات إلى بعض الأمـراض الجلدية كالجَرَب الذي كانوا يُعالجـونَه بالهناء، وبالكحيل، وهو النفط الخام الذي يخرج من الأرض، دون حفر.

---

(١٦) البيان والتبيين، ١/ ٢٠٤، ٢/ ١٤ والشعر والشعراء، ١/ ٨٤، والخصائص، ١/ ٣٢٤.
(١٧) حياتهم الدينية، ص: ٥٨ ومابعدها.
(١٨) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٢٦٨، ١٢٦، ١٤٦، صعوداء، ٦٤.
(١٩) انظر رائيتها بملحق الشعر، ص: ٦١٩.
(٢٠) شرح ديوان زهير لصعوداء ص، ٣.
(٢١) السيـرة لابن هشام ٤/١٠٧، ١٠٨، الشعـر والشعراء ١/١٤٨، ١٤٩، دلائل الإعـجاز، ٢٢، ومجالس ثعلب ٢/ ٣٤٠، المستدرك ٣/ ٥٨٩، وإسلام كعب وقصيدته ص، ٣١، ٣٢.
(٢٢) شرح شعر زهير، الآفاق، ١٦٢.
(٢٣) ديوان كعب، قراقو، ٨٢، القاهرة، ١٤٦.

كمـا أومأ كعبٌ إلى (الجـدري) و (اللديغ) و (الحمَّى) [٢٤]، وهي إشارات تؤكد معرفتهم بجوانب من أعراض هذه الأمراض، وكيفية التداوي منها.

ونستـطيع أن نتخـيل مدى إلمامـهم بطرق تربية الحـيوان، وخـاصة الخـيول والجمال والماشية، إضافة إلى الطيور، وكيفية مداواتها مما قد يصيبها من أمراض وعلل، إلى جانب إلمامـهم بشؤون الزراعة المعتـمدة على خبراتهم اليـومية، أو على ما اكتسبوه من أسفارهم، ومن معاشرتهم جموع اليهود والنصارى، الذين كانوا يعيشون بين ظهرانيهم، وغير بعيد عن ذواكرنا مشهد (السانية) الذي أبدع زهير تصويره.

وعلى رغم تنبـيـه السيـوطي [٢٥] على أن لغـةَ مُزينـة هي إحدى اللغـات الخمسين التي وردت في القرآن الكريم، لا نكاد نعثـر على لغةٍ أو لهجةٍ خاصة بمزينة، انفردت بها عن سائرِ اللهجات العربية آنذاك.

ويتضـح للـمتأمـل في الخـريطة التي رسمهـا (شيمـربن) بكتابه (اللهـجات العربية الغربية القديمة) [٢٦] أن مُزينة من القبائل التي تبدو معارفنا عن لهجاتها قليلة أو نادرة.

ومـن الكلمـات التي نبـه العلماءُ على وُرودها في القـرآن بلغة مُزينَة، كلمة (لا تغلُوا) في قوله سـبحانه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ [٢٧] ـ أي لا تزيدوا [٢٨].

---

(٢٤) شرح ديوان زهير، الهيئة، ١٣٤، ديوان كعب، ڤراقو، ١٣٤، ٨٢.

(٢٥) الإتقان في علوم القرآن، بيروت، ١/ ١٧٧.

(٢٦) راجع ملحق الخرائط، رقم (٣) ص: ٦٤٢.

(٢٧) سورة النساء، آية رقم: ١٧١.

(٢٨) الاتقان، القاهرة، ٢/١١٩، وبيروت. ١/ ١٧٧، وتفسير القرآن العظيم ١/ ١٤٢.

وأشار القاليُّ (ت٣٥٦هـ) إلى استخدام معنِ بن أوس كلمة (أخلى) أي صين خاليا، لا يريد غيرنا، بلغة طيء، في قوله (٢٩) :

أعاذلُ هل يأتي القبائلَ حظُّها   من الموت أم أخلى لنا الموتُ وحدَنا

وذكر مؤلفا (معجم القبائل والأمصار)(٣٠)، مانقله الكوفيون من أن رفع الماضي (بمُذ ومنْذ) من أسد وتميم، وخفضه بها عن (مُزينة وغطفانَ) وغيرهما.

ورووا عنهم الخفض بهما في غير الماضي، فإن (أدخلت النون، فقلت (منذ)، وقال اللحياني في نوادره : بنو ضبة، والرباب (ومنهم مزينة) يخفضون بـ (مذ)، ما مضى، وما لم يمض، وهو المجتمع عليه، وهي حقيقة يؤكدها صاحب كتاب (اللهجات العربية) الذي أشرتُ إليه قبل قليل - في خريطته التفصيلية للحالة الإعرابية لما بعد (مذ) (٣١)، منتقلاً إلى تحوُّل الياء المفتوحة بعد كسر إلى فتحة (٣٢).

* * *

(٢٩) شعر معن، ليبزج، ص، ٢٣، وحياته وشعره، ص :٣٤، وديوانه، بغداد، ص: ٦٩.

(٣٠) المعجم، ١/ ٢٨٤.

(٣١) ملحق الخرائط رقم (٤) ص: ٦٤٤.

(٣٢) ملحق الخرائط رقم (٦) ص: ٦٤٥ .

ز - حياتهم الدينية

حياة المزنيين الدينية في الجاهلية صورة مصغرة لحياة العرب الدينية قبل الإسلام، وهي مانستطيع استجلاء بعض مظاهرها في الروافد التالية:

أولاً : عبادة الله والاعتقاد بأنه (سبحانه) الخالق المالك لكل شيء، المحيي المميت والمدبر للأمور، الذي يُجير ولا يُجار عليه، ولاينقذ وقت الشدة، ولا يكشف السوء إلا هو، مما يُوجب على العبد التقرب إليه بالنذور والقسم، وغير ذلك [1]. . . وقد تسربت إشعاعات بعض مظاهر هذه العبادة إلى عرب الجاهلية بانتشار كثير من اليهود في اليمن والحجاز [2]، وخاصة في حمير وبني الحارث بن كعب وكندة [3].

وذهب الأصمعي[4] والبغدادي[5] إلى أن زُهيرًا المزني جامَعَ قومًا من يهودٍ - أي قاربَهم - فسمع بذكر المعاد، فقال في قصيدته [6]:

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في نفوسكم ... لِيخفَى ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَم
يؤخَّرْ فيُوضَعْ في كتابٍ فَيُدَّخَرْ ... ليوم الحسابِ ، أو يُعَجَّلْ فيُنقَمِ

وقد ربطت الباحثة فتحية فرج العقدة [7] بين نُصوص مُتعددة من قصائدَ مختلفةٍ لزهير، كقوله في ختام معلقته [8]:

وأعلَمُ عِلْمَ اليومِ والأمسِ قَبْلَه ... ولكنَّني عن عِلمِ ما في غَدٍ عَمِ

---

(١) اقرأ مثلاً سورة المؤمنون، ٨٤ - ٨٩، والأنعام، ٦١، ٦٤، ١٣٦، ولقمان، ٢٥ وغيرها.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/ ٥٣٥، ٥٣٦، والعصر الجاهلي، ٩٧, ٩٨.

(٣) المعارف، ٦٢١.

(٤) فحولة الشعراء، ١٧.

(٥) حاشية على شرح بانت سعاد، ٣٢.

(٦) شرح شعر زهير، الآفاق، ٢٦، والأعلم، ١٨، وتشستربتي ٧.

(٧) الفكرة والصورة في شعر زهير، ص: ٢٢ - ٢٤.

(٨) ديوانه، المعلقة، الهيئة: ٢٩.

وقوله في قصيدة أخرى [٩]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ الناسَ تخلُدُ بعدَهم أحاديثُهم، والمرء ليسَ بخالدِ ؟!

ونصوصٍ من التوراة، كقوله: "اسأل القرون الأولى وتأكد مباحث آبائهم، لأننا نحن من أمسٍ، ولا نعلم، لأن أيامنا على الأرض ظل[١٠]، مرجِّحةً أنه "من الممكن أن يكون قد قرأ هذا وتأثر به؛ حيث تتضح العلاقة بين المعنى في النص التوراتي، وما ورد من معان في هذين البيتين، وغيرهما[١١]، يؤيد هذا أيضاً ماورد في التوراة في السفر نفسه: "إذا كانت أيامه محدودة وعدد أشهره عندك، وقد عينت أجله فلا يتجاوزه، فأقصر عنه ليستريح إلى أنه يسر، كالأجير بانتهاء يومه"[١٢].

ثم تُبرز اهتمام زُهير بحق المحتاج والمسكين وذي القربى والتهلل في وجه السائل، في مواضع متعددة من شعره [١٣]، مبينة العلاقة بين هذه الأشعار ونصوص من التوراة، في مقدمتها "لا تمنع الخير عن أهله حين يكون في طاقة يدك أن تفعله" [١٤] منتقلة إلى إحكام الصلة بين قول زهير الذي أشرتُ إليه في صدر هذا الحديث، ومناهله من التوراة، في قوله: "القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس، من يعرفه أنا الربُّ فاحص القلبِ، مختبر الكل، لأعطيَ كل واحدٍ حَسبَ طُرقِهِ، حسب ثمرِ أعماله. . . " [١٥].

---

(٩) شرح ديوانه، ٣٢٨، وصعوداء ، ٦٤، والآفاق، ٢٤١، والأعلم، ٢٣٦.

(١٠) التوراة، سفر أيوب، الإصحاح الثامن، الآية الثامنة.

(١١) شرح ديوان الهيئة، ٣٢٧، وصعوداء، ٦٤، والأعلم، ٢٣٦.

(١٢) سفر أيوب، الإصحاح الرابع عشر، الآية الخامسة.

(١٣) شرح ديوانه، الهيئة ص، ٢٢، ٩١، ١١٠، ١١١. ١١٤، ١٢١، ١٥٢، ١٥٣ وغيرها.

(١٤) الأمثال، ٢/٢٧.

(١٥) سفر أرميا، ١٧ / ٩ - ١٠.

ثم ننتقل إلى تأكيد زهير للنـاس من حوله أن الموتَ لا مفرَّ منه، ضاربا لهم المثل : بأنه، لو بلغ أحدُهم أسبابَ السـماء بسُلَّم، لا يستطيع أن يفر منه[١٦]، مبينة مصدر هذا المعنى من التوراة [١٧]، مسترسلة في الربط بين إيمان زهير بأن المال من قِبل الله، وأنه لابد أن يحـوزه قدر، فلا ينفع صاحبـه، أما الذي ينفع فهو البِرُّ، وليس الإِثمُ الذي هو من شر مايصال به [١٨] ـ ومصادر هذه الأفكار الدينية في التوراة [١٩]، ثم تضـع يديهـا عـلى وشـائجَ متينةٍ بين دعـوة زهير للحلم والعفو والصدق[٢٠]، ووصفه ممدوحه بالتقوى [٢١]، وبأنه أخو ثقة[٢٢] لاتهلك الخمر مـاله، يتـوارث الخير عن آبائه وآباء آبائه [٢٣] ـ ونصوص أخرى من التوراة [٢٤].

وباستقـرائنا لما بين أيدينا من أشعار كل من الخنســاء وأوس ـ أخوي زهير ـ وحسان بن الغدير المُزني، نعثر على عباراتٍ تجسدُ الإيمانَ بحتمية الموت، وتحث على وجُوبِ بذلِ النفعِ، قـبل أن يغدو الموت ويروح، فيحـرم المرءَ من ثمراتِ نفعه [٢٥]. . وغير ذلك مما يبرز تجاوز هذه الإشعاعاتِ دائرةَ زهير، إلى رحاب غيره من أبناء قبيلته أيضاً.

---

(١٦) شرح ديوان زهير، المعلقة، الهيئة: ٣٠.

(١٧) سفر أيوب، ٢٠ / ٦.

(١٨) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٣١٤، ٣١٥، وشرح شعره، الآفاق، ٢٣٠، والأعلم، ٢٤٣.

(١٩) الأمثال، ١١/ ٤ - ٦.

(٢٠) شرح شعره، الآفاق، ١٧٨، والأعلم، ٢٦٢، وصعوداء، ٢٨.

(٢١) شرح ديوانه، الهيئة، ٢٣٤، الأعلم، ١٩٠، وصعوداء، ٤١.

(٢٢) المصدر نفسه، الهيئة، ١٤١، والأعلم، ٥٧، وصعوداء، ١٢٠، وتشستربتي، ٣٩.

(٢٣) شرح شعره، الآفاق، ٩٥، والأعلم، ٤٣، وصعوداء، ١٢٠، وتشستربتي، ٣٢.

(٢٤) أيوب، ٨/ ١١.

(٢٥) ملحق الشعر ص: ٦١٩، وشرح ديوان زهير لصعوداء ص، ٣.

وبانتشـــار النصرانية في ربيــعة وغســان وبعض قضــاعة[٢٦]، ونجران[٢٧]، وعاملة وجذام وتغلب[٢٨] سرت بعضُ روافدها إلى بعض المزنيين، فأبو عبيدة يروي بسنده عن العوام بن زهــير(!) أنه قال : كان زهيــر من مترهبــةِ العرب، وكان يقول: "لولا أن تفندون لسجدتُ لــلذي يُحيي هذه بعد موتها.. "[٢٩]، وهي مــقولة وجــدتْ صداهَا قــوياً لدى كل من كــرنكو [٣٠] ونيكلسون[٣١]، وبركلمان [٣٢]، وشيخو[٣٣]، وفتحية العقدة[٣٤]، التي غَدَتْ تربطُ بين معاني شعر زهير في العطاء والرحمة[٣٥]، وماورد في الإنجيل، حاثاً على ذلك[٣٦]، مسجلة أن إيمان زهير بالله، وبعلمــه بما في النفوس، وبالجزاء ويوم الحساب.. مُستــقى من تأكيدات الإنجيل على هــذه الحقائق [٣٧]، مشيرة إلى مــعرفة زهير للحق، وفصله فيه القول، في إيجاز وبيان[٣٨]، مستفيداً مما في الإنجيل: «ولماذا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم » [٣٩]، ثم تربط بين حلم زهير ودعوته للعفو والصدق، ودعوة الإنجيل إلى هذه القيم[٤٠].

---

(٢٦) المعارف، ٦٢١.
(٢٧) العصر الجاهلي، ٩٩.
(٢٨) بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ١/ ٧٤.
(٢٩) جمهرة أشعار العرب، ٧٠.
(٣٠) دائرة المعارف الإسلامية، مادة (زهير).
(٣١) تاريخ الأدب العربي، ١٩٩.
(٣٢) المصدر نفسه، ١/ ١٢٧.
(٣٣) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ٢/ ٢٦٢ ومابعدها.
(٣٤) الفكرة والصورة في شعر زهير، ٢٧ - ٣١.
(٣٥) شرح ديوان زهير، الهيئة، ٣٠، ٥٣، ١٠٦، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١٤٢، ١٥٣ وغيرها.
(٣٦) إنجيل لوقا، ١٢/ ١٣ - ٣٤.
(٣٧) الفكرة والصورة في شعر زهير، ٢٧-٣١.
(٣٨) شرح شعر زهير، الآفاق، ٦٦، والأعلم، ١٣٨، وصعوداء، ٩٠.
(٣٩) لوقا، ١٢/ ٥٧.
(٤٠) إنجيل لوقا، ١٧/ ٣-٤.

وعن مصادر هذه النزعة الدينية في شعر زهير، يذهب الدكتور سيد حنفي[41] إلى أن زهيراً، بحفظه لشعر أوس بن حجر وروايته له وطول معاشرته لزوج أمه، اكتسب بذلك هذه الثقافة الدينية.

وأُضيفُ إلى هذا المذهب ما أراه من فطرةِ زهيرٍ الثاقبة، ودرايته الشخصية، وقراءاته في العهدين القديم والجديد من خلال أسفاره التي أشرتُ إلى بعضها في غير هذا الموضع من هذا الفصل[42]، إضافة إلى ماعُرِفَ عنه من الانضمامِ إلى زُمرة الحُنفاءِ[43].

ثانياً: عبادة الأصنام

عبدت الجمهرة من المزنيين، كغيرهم من الجاهليين، الأصنام، منذ وقت مبكر من حياتهم[44] ومر بنا أن خزاعى بن عبد نُهْم كان يعمل سادناً لـ (نُهْم)، وهو صَنَم مُزينَة وأفراد من قضاعةِ وبجيلة وهوازن وخزاعة[45].

وبمطالعة بعض المصادر التي روت لنا بعض تلبيات الجاهليين لأصنامهم[46] لا نعثر على نص يبين لنا مضمون تلبية المزنيين أو غيرهم لهذا الصنم، وهو أمر يدعو إلى افتراض كون تلبيتهم قريبة الشبه من تلبيات معاصريهم، كأن يتوجهوا له بالدعاء والتهليل، طالبين منه أن يشفع لهم عند الله؛ لكي يرزقهم خيراً

---

(٤١) الشعر الجاهلي، مراحله واتجاهاته الفنية، ١٤٦ - ١٤٧.

(٤٢) هذا الفصل، ص: ٥٤.

(٤٣) المحبر، ٢٣٨، وتأويل مختلف الحديث، ١١٢، والعصر الجاهلي، ٣٠٤.

(٤٤) حضارة العرب، ١/ ٩٨.

(٤٥) مختلف القبائل ومؤتلفها، ٢٩٥، والإيناس، الرياض، ٢٦١، ٢٦٢، والتاج (نهم).

(٤٦) الأزمنة وتلبيات الجاهلية، ٣٩ - ٤٤، والمحبر، ٣١١-٣١٥، ورسالة الغفران، ٥٣٤-٥٣٧.

عمـيماً وتأييداً وظفـرا على أعدائهم، في كلمات مـوجزة بليغة، يغلب عليـها الرجز، وهو دعاء كان أشبه بالغناء الشعبي في مواسم الحج وغيرها من المواسم الكبيرة في حياتهم.

وإلى جانب عبادتهم لهذا الصنم شارك بعضُهم بني كنانةَ وهُذَيل وعَمْرو بنَ قَيْسٍ وغيرهم في عبادة (سُواع) [٤٧]، وربما نَسكوا مُلبين له مع غيرهم، مُهللينَ بقولهم:

لبيك اللهم لبيك   لَبَّيْكَ أَبْنا إليك

إن سُواعَ طُلْبَنُ إليك [٤٨]

ويُستفاد من تسمية بعض المزنيين بعبد "العزى" [٤٩] أن بعض بني مزينةَ قد شـاركوا حلفـاءهم بني غطفان في تـقديس "العُـزَّى"، وربما نسكُوا له معـهم مهللين إليه.

ولعبد العزّى بن وديعة بيت شعر يقول فيه [٥٠]:

إني حلفْتُ يمين صِدقٍ بَـرةً   بِمَنَاةَ عند محلِّ آل الخزرجِ

وقـد يدل القسم في هذا البـيت، على أن بعض المزنيين قـد دانوا بشيء من العبـودية لهذا الصنم مع حلفـائهم الأوسيين، وهو أمـر لا أستبـعدُه، في ظل قراءاتي لقول زهير [٥١]:

---

(٤٧) المحبر، ٢٩٤، ٢٩٥، وأطلس تاريخ الإسلام، ١٠٠، وشهيد نهاوند، ص: ٨.

(٤٨) المحبر، ص: ٣١٢.

(٤٩) كعبد العزى بن صفوان بن قدامة، وعبـد العزى بن عبد غنم - ذو البجادين، وعبد العزى ابن وديعة.

(٥٠) الأصنام، ص، ١٤، معجم البلدان، ٥/ ٢٠٥، وقال ابن الـكلبي: إن العرب في الجاهلية كانوا يسمون الأوس والخزرج جميعاً، الخزرج.

(٥١) شرح ديوانه، الهيئة، ٩٩.

فأقسمتُ جَهْداً بالمنازلِ من مِنى		وما سُحِقَتْ فيه المقاديمُ والقملُ

ويمكن الاستدلال من رواية ابن الكلبي [٥٢] لهذا البيت بقوله:

حلفت بأنصاب (الأُقَيْصر) جاهدا		وماسُحِقَتْ فيه المقاديمُ والقملُ

على انتقال أثر من تقديس بني قضاعةَ ولخمٍ وجذامَ وعاملة وغطفانَ - عَبَدةِ " الأُقيصر" [٥٣] إلى بعض المزنيين.

كما أنني لا أستبعد أن يكون بعضهم قد نسك إلى أصنام أخرى "كاللات"، مثلا بدليل قول بُجَيـر بن زهير في دعوته أخاه لنور الإسلام [٥٤]:

إلى اللهِ - لا العزَّى ولا اللات - وحدَه

فتنجو إذا كان النَّجَاءُ وتسلَمُ

ويشير كعب بن زهير إلى (مطيف دوار) قائلاً [٥٥]:

كمطيف الدّوار حتى إذا ما		ساطعُ الفجرِ نبَّه العُصفُورا

وتُوحي هذه الإشارة بـإلمامه، هو وغيره من بني قومه، بـطقُوس الطوافِ لذلك الصنم، وهو إلمام ربما تيسر لهم من المشاركة في ممارسته حيناً من الوقتِ.

---

(٥٢) الأصنام، ص، ٣٨.

(٥٣) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٥٤) ملحق الشعر، ص: ٥١٣-٥١٤.

(٥٥) ديوان كعب، قراقو، ٩٢، والقاهرة، ١٦٦، والأحول، ٢٩.

وعلى اختلاف هذه الأصنام، وغيـرها مما دانوا له بالعبودية، تجد أنهم تأثروا بالأحنافْ فعظموا اللهَ سُبحانه، وأقسموا به (٥٦)، وقدَّسوا بيتَه الحَرامَ، وحلفوا به بدليلِ قولِ زُهيرٍ (٥٧):

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حولَهُ رجالٌ بَنُوهُ من قريشٍ وجُرهم

ولبعضهم (٥٨) إشارات واضحة إلى مـاكانوا يزاولونه هم وغيرهم من أبناء بيئتهم من طقوس لأصنامهم، كـذبح الغنم التي يذبحونها عندها، وهي العتائر التي يتضمنها قولُ زهير (٥٩):

فَزَلَّ عنها وأوفى رأسَ مَرْقَبَة كَمنصِبِ العتْرِ دَمَّى رأسَهُ النُّسُكُ

(٥٦) انظر مثـلاً: شرح ديوان زهيـر، الهيئـة، ص، ١٨ ، ١٨٢، وشرح شعـره، الآفاق، ٢٦، ٩١، ٧٧.

(٥٧) شرح شعره، الهيئة، ١٤، الآفاق، ٢٣. والأعلم، ١٤، وتشستربتي، ٤٤.

(٥٨) راجع، إشارة خزاعى بملحق الشعر، ص: ٥٢٢.

(٥٩) شـرح شـعـره، الهـيـئـة، ١٧٨، الآفـاق، ١٣٥، والأعلم، ٨٦، وصـعـوداء، ١٠٤، وتشستربتي، ٤٤، والأصنام ٣٣,٣٤، والمغانم المطابة، ٢٤٨، وفي الأخير، "أرادوا بمنصب العتر صنما".

ثالثاً: عقائد أخرى

تطالعنا في أشعار بعض المزنيين إيماءات إلى عقائد ونِحلٍ جاهليةٍ كالزندقة والدهرية اللتيْن نلمح أثريهما في قول زهير (٦٠):

رأيتُ المنايا خَبْطَ عشواءَ من تُصِبْ ... تُمِتْهُ، ومَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيهْرَم

فهو - في هذا البيت - يشبه الموتَ بالناقةِ العشواءِ التي لا تُبْصِرُ بالليل تخبط، فتصيبُ هذا، وتخطئ هذا (٦١)، وروى المرزباني (ت٣٨٤هـ)(٦٢) أن مؤدبه أبا سعيد بن هُبيرة الأسدي. قال في هذا البيت: "إنه كان يسمع المشايخَ يقولون: هذا بيتُ زندقةٍ".

ونستطيع العثور على مايؤيد هذا الحكم، بمطالعتنا لبعض الأبيات الميمية التي خلط بعضُ الرواة نسبتها بين هذا الشاعر وأخيه (أوس) - في رثاء هرم بن سنان، كقوله (٦٣):

فاستأثر الدهرُ الغداةَ بهم ... والدهرُ يرمِيني، ولا أرمي
لو كان لي قِرْنًا أناضله ... ماطاش عند حفيظةٍ سهمي
أو كان يعطي النَّصْفَ قلت له ... "أحرزتَ قَسْمَك فالهُ عن قَسْمِي
يا دهرُ، قد أكثرتَ فجعتَنَا ... بسَرَاتِنا وقَرَعْتَ في العظم
وسلبتَنَا مالَسْتَ مُعْقِبه ... يا دهرُ ما أنصفتَ في الحُكْمِ

فقارئ هذه الأبيات يُدرك ما تحتويه من تشكُّكٍ وإحساس بالظلم، الواقع

(٦٠) شرح ديوان زهير، المعلقة.

(٦١) المستقصى، ١/ ٩٤.

(٦٢) الموشح، القدسي، ٤٨.

(٦٣) شرح ديوانه، الهيئة، ٣٨٥، والآفاق، ٢٨٢، والأعلم، ٢٧٤، وصعوداء، ٨٣، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥٤.

على القائل من جـراءِ قوة الدهر التي يراها طاغية، وهو الأمـر الذي ينبئ عما وراءه من عـقيـدة الزندقة، ممزوجـة برياح من الدهرية، التي ينسب بموجـبهـا معتنقوها كلَّ شيء إلى الدهر، الذي راح الشاعر هنا يكرر نطقه له أربع مرات، ودأب على نسبة الأشياء إليه.

ويحدثنا الـقرآن الكريم (٦٤) أن بعضَ الجاهليـين قد عبـدوا الجِنَّ، وهو أمر نتبينه من بعضِ الإشـارات المُزنيةِ، كقول أبي سُلمى في أرجوزته التي أسلفـتُها من قبل:

كأنني سَمَعْمَعٌ من جِـــنّ

وكقول ابنه زهير الذي يحدد فيه بعض مواضع الجن (٦٥):

بِخَـيْلٍ عليـهـا جِنَّة عـبـقـرية جَـدِيرونَ يومًـا أن يَنَالُوا وَيَسـتـعلُوا

وفي شعـر ابنه كعب (٦٦) عدة إيماءات إلى الجن، وأصـواتها، عبر مـا كان يجوبه من مفازات مهلكة، وقد يدل مضمون هذه الإيماءات على احتفاظ مخيلة هذا الشاعر بشيء من رواسب ماضيهِ، بعد إسلامه.

ولا أستبعد أن يكون بعضُهم قد قَلَّد غيره من أبناء عصرهم، فعبدوا الملائكة أو مال إلى إنكار البـعث، بعث الأجسام، وبعث الرسل، وربمـا اعتقدت فـئةٌ بالتناسخ، أو انحرفت إلى عبادة النار والكواكب وغيرها مما مارسه قدماءُ العرب والساميين بشكل عام من تقديس بعض الحيوانات أو الأشجار، معتقدين أن قوة

---

(٦٤) سورة الأنعام: (١٠٠)، وسبأ: (٤١)، والصافات: (١٥٨).

(٦٥) شرح ديوانه، الهيـئة، ١٠٣، الأعلم، ٣٥، صعوداء، ١٧، وتشستـربتي، ٣٠، والحيوان ٦/١٨٩، وفي الأخير، (عليهن فتيان كجنة عبقر).

(٦٦) ديوان كـعب، قراقو، ٤، ٢٧، ٢٨، ٤٥ ٥٢، ٥٣، وغـيرها، وط القـاهرة، ص: ٨، ٤٥، ٤٦، ٧٩، ٨٣.. وغيرها.

إلهية قد حلت فيها، كشجرة "ذات أنواط" التي كانت لقريش، ومن سواهم من العرب، يأتونها، كل سنة، تعظيمًا لها، فيعلقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها، ويعكفون عندها يوماً، فإذا أتوا يحُجُّون يعلقون أرديتهم، ويدخلون الحرم بغير أرديةٍ تعظمًا للبيت (٦٧).

* * *

---

(٦٧) سيرة ابن هشام، ٤/ ٦٤، ومغازي الواقدي، ٣/ ٨٩٠، ومعجم البلدان، ١/ ٢٨٣، والدرر ٢٢٥، وأخبار مكة، ١/ ١٢٩، ١٣٠ . . . وغيرها.

* وعن مزاولة المزنيين لأعمال أهل (الحلة)، راجع، تاريخ اليعقوبي ١/ ٢٥٧.

* وعن (البلية)، وهي الناقة التي كانوا يعقلونها على قبر صاحبها، ولايعلفونها ولايسقونها حتى تموت، ويعكس رأسها ذنبها وتعقل يداها ورجلاها بزعم أن صاحبها يحشر عليها يوم القيامة. . . انظر ديوان كعب، القاهرة، ١٨٨.

* وعن تعليقهم، عند خشيتهم على أنفسهم المرض، خزفاً من الخزف الأخضر، التمائم التي كانوا يصنعونها من الخرز ليقوا بها أولادهم من الشر. انظر، رائية الخنساء أخت زهير بملحق الشعر، ص: ٦١٩.

الفصل الثاني

مزينة في العصر الإسلامي

مزينة في الإسلام

أشرقت شمس الإسلام، معلنة للإنسانية أن الله سبحانه واحد أحد، فرد صمد، لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في سلطانه، وأن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، أرسله ربه داعياً إليه بإذنه، وسراجاً منيراً، نافضاً عن كاهل البشرية غبار العبودية للمخلوق، آخذًا بأيديها إلى شرف العبادة للخالق، حاثًا على مكارم الأخلاق والتقى والهدى والإحسان والعلم والصلاح، والعمل بما يرضى؛ حتى يكونوا جديرين بخلافته تعالى في الكون، ويفوزوا بسعادتي الدنيا والآخرة.

ولدراسة تاريخ بني مزينة في الإسلام، من نواحيه المتعددة، أبدأ بالإلمام الموجز بجوانب حياتهم الدينية والسياسية، مقسماً المرحلة التاريخية التي يقع في حدودها البحث حقبتين كما يلي:

أ - حقبة عصر النبوة والراشدين (١٣ ق.هـ - ٤٠ هـ)، وسأطلق عليها هنا مرحلة إسلام مزينة وجهاد أبنائها.

ب - حقبة عصر بني أمية ومايليه (٤١ - ٢٠٠ هـ)، وسأطلق عليها، هنا، مرحلة ثورات المزنيين ضد حكام بني أمية، ومن بعدهم.

أولاً: إسلام المزنيين وجهادهم:

أ - في العصر النبوي الشريف:

مع بدء أنوار الدعوة الإسلامية بمكة وماصاقبها (١-١٣ ق٠هـ)، لم أسمع أن مزنياً قد شرح الله صدره لنور الدين القويم، وربما كان خلوّ مكة وماصاقبها من المناطق من المزنيين، عاملاً من عوامل تأخرهم عن اعتناق الإسلام.

والإشارة الأولى في ذلك الشأن، هي جانب من رواية الهجري[١]، وياقوت[٢]، وابن منظور[٣]، وغيرهم[٤]، لواقعة إسلام ذي البجادين المزني رضي الله عنه، بذهابهم إلى أنه لما هاجر رسول الله ﷺ، من مكة إلى المدينة، وعرت عليه الطريق، هو وصاحبه، رضي الله عنه، عند ثنية صعبة، قريبة من جبل (ورقان) في الطريق إلى المدينة، تسمى (ركوبة) من الأبيض جبل العرج، فأبصرهما عبد العزَّى ابن نُهم (وكان هذا اسمه الأصلي)، فقال لوليه: دعْني أدلَّه على الطريق فأبى، ونزع ثيابه، وتركه عريان، فاتخذ عبد العزى بجادا من شعر. وطرحه على عورته، ثم لحقهما، فأخذ بزمام ناقة النبي ﷺ، وأخذ يحدو قائلاً[٥]:

تَعَرَّضي مَدَارِجا وَسُومي تَعَرُّضَ الجَوزاء للنجومِ

هذا أبو القاسِمِ فاستقيمي

---

(١) التعليقات والنوادر، خ، النسخة المصرية، الورقة الثامنة وط. العبيكان، الرياض، ١٤١٣هـ، ٢/ ٩٨١.

(٢) معجم البلدان، (ركوبة)، ٣/ ٦٤.

(٣) اللسان، (بجد).

(٤) الإصابة، النهضة، ٤/ ١٦٣، والمغانم المطابة، (ركوبة)، ١٦٠.

(٥) ملحق الشعر، ص ٥٢٣. وقارن: شرح هاشميات الكميت، ص ٤٤.

ويبدو أن أبا نعيم قد اعتمد على مغزى هذه الرواية، فوضع هذا المزني في جملة المهاجرين السابقين(٦).

وروى ابن عبدالبر (ت ٤٦٣هـ)، عن البخاري، عن عمرو بن عوف المزني أنه قال: "كنا مع النبي ﷺ حين قدم المدينة، فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً "(٧).

ورُوي عن كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جده، أنه قال: "غزونا مع رسول الله ﷺ أول غزوة غزاها، وهي (الأبواء) "(٨)، في صفر، أو ربيع الأول، على رأس اثني عشر شهرا، من مهاجَرِه عليه السلام(٩).

وكان مالك بن ثابت بن نميلة(١٠)، وعاصم بن النكير(١١) المزنيان من السابقين إلى الإسلام، بعد الهجرة، بدليل اشتراكهما في غزوة بدر الكبرى، في رمضان من العام الثاني، وهو شرف رفيع فاز به أيضاً كل من وهب بن قابوس، وابن أخيه الحارث بن عقبة المزنِيَّين(١٢)، باستشهادهما، في ساحة القتال بـ (أحد) في شوال من العام الثالث الهجري.

وبين هذا الشهر، وشوال الذي تلاه من العام اللاحق، قدم نفر من مزينة

---

(٦) حلية الأولياء، ١/ ٣٦٥، وانظر التاج، (بجد).

(٧) الاستيعاب، ٣/ ١١٩٦، ومعالم الإيمان ١/ ٩٣.

(٨) طبقات ابن سعد، دار الفكر، ٢/ ٣، والوسائل إلى معرفة الأوائل ، ٧٦.

(٩) ثقات البستي ٢/ ١٤٥، ١٤٦.

(١٠) مغازي الواقدي، ١/ ١٦١، والإصابة، دار الفكر، ٣/ ٣٤١.

(١١) البداية والنهاية، ٣/ ٣٢٤، والإصابة، نفسه، ٢/ ٢٤٦.

(١٢) طبقات ابن سعد، صادر، ٢/ ٤٢، ٤/ ٢٤٧، ٢٤٨، والاستيعاب ٤/ ١٥٦٢، وصفة الصفوة ١/ ٢٤٨، والإصابة، الكليات، ٢/ ١٦٥، وغيرها.

على رسول الله ﷺ بالمدينة يتقدمهم خزاعيّ (*)، فبايعه على قومه، وقدم معه عشرة منهم بلال بن الحارث (*)، والنعمان بن مقرّن(*)، وأسامة، وعبيد الله ابن بردة، وعبدالله بن درة، وبشــر بن المحتفز (*)، ودكين بن سعيـد، وعمرو ابن عوف (*)، وأبو أسماء (١٣)، ومر بنا(١٤) أن خزاعياً خرج إلى قومه، وترك ميعاد النبي ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حسان بن ثابت، فقال له: اذكر خزاعيا ولاتهجُه.. "، فقال حسان(١٥):

ألا أبلـغ خُـزاعـيـاً رسُـولاً ... بأنّ الـذمَّ يغـسـلُهُ الـوفـاءُ
وأنك خـيـر عـثـمـانِ بن عـمـرو ... وأسناهـا إذا ذُكـرَ السـنـاءُ
وبايعـت الرسـولَ وكـان خـيـراً ... إلى خـيـرٍ ، وأداك الـثـراء
فـمـا يُعـجـزْك أو مـا لاتُطِقْـه ... من الأشـيـاء لاتُعْـجِـزْ (عِـداءُ)

- يعني قبيلته، فبلغ ذلك خزاعياً، فـقال لقومه: يا قوم، قد خصَّكم شـاعرُ الرجـل (يقـصد النبـي ﷺ)، أنـاشدكـم الله، فقالوا له: فـإننا لا ننبو عنك.. فـأسلموا، ووفـدوا على النبي عليـه الصلاة والسـلام، في شهـر رجب، سنة خمس بعـد الهجرة(١٦)، ورُوي عن النعمان بن مُـقرّن قوله(١٧): "قدمنا على

(*) سأترجم لهؤلاء الأعلام في ملحق الأعلام بذيل البحث إن شاء الله (ص: ٤٨٩ - ٥٠٦).

(١٣) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٧٩، وابن سعد ،١/ ٢٩١، والاستيعاب، ٤/ ١٥٠٥، وأسد الغابة، الشعب، ٥/ ٣٤٢، والإصابة، البجاوي، ٢/ ٢٧٥، ٢٧٦.

(١٤) الفصل الأول، ص: ٥٢.

(١٥) طبقات ابن سعد، ١/ ٢٩١, ٢٩٢، والإصابة، دار الفكر، ١/ ٢٢٤, ٢٢٥، وديوان حسان، الهيئة ص،٢٦٩، ورواية الأول والرابع في الديوان:

.... فـإن الغـدر ينقصه الوفاء
فما يغلبك أو مالاتستطعه ... من الأشياء لايغلب عداء.

(١٦) ابن سعد، والإصابة، المواضع نفسها، والفائق في غريب الحديث، ٣/ ١٧١.

(١٧) المسند، ٥/ ٤٤٥، والفائق، ٢/ ٣٢٦، وزاد المعاد، صبيح، ٣/ ٤٧ وغيرها.

رسول الله ﷺ، في أربعمائة من مُزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعضُ القوم: يارسول الله، مالنا طعامٌ نتزوده، فقال النبي ﷺ، لعمر بن الخطاب: زَوِّدْهم، فقال عُمَرُ: ماعندي إلا فاضلةٌ من تمر، وما أراها تغني شيئاً، فقال ﷺ: انطلقْ فزوِّدْهم حاجتهم، فانطلق بنا إلى عليّة فيها قدر من تمر الجمل البارك، فقال: خُذوا، فأخذ القومُ حاجتَهم، قال: وكنتُ أنا آخر القومِ، فالتفتُّ ما أفقد موضع تمرةٍ، وقد احتمل منه أربعمائة رجُلٍ . . ".

وبإسلام (مزينة) بدأت القبائلُ الأخرى تفد على النبي، منضمة تحت لواء الدين مما جعل شوكته تقوى، وتصمدُ للأخطار المحدقة به من كل جانب، وهو الأمر الذي دعا الرسول عليه الصلاة والسلام، إلى التنويه بمكانة هذه القبائل بقوله(١٨): "قريشٌ والأنصارُ وجهينة ومُزينة وأسلم وأشجع وغفارٌ مواليَّ، ليس لهم مولى دُونَ اللهِ ورسوله، وراح أبوالأسود الدؤليُّ (ت٦٩هـ) يُعرج على هذه القبائل قائلاً (١٩):

وأقوام أجابوا اللهَ لّما ... دعا لا يجعلون له سَميّا
(مُزينة) منهُمُ وبنو غِفَارِ ... وأسْلَم أخضعوا معه بليّا

ومنذ ذلك التاريخ بدأت أقلام التاريخ تسطر لمزينة صفحات البطولة في الإسلام. . . فبعد مبايعتهم الظافرة للنبي ﷺ، أصبح الباب مفتوحاً أمامهم على مصراعيه، للمشاركة المحمودة في بناء الدولة الإسلامية، وهو البناء الذي فرض على المسلمين الدفاع عن دار الإسلام، ضد هجمة الأحزاب المسعورة، فأخذوا يحفرون الخندق استعداداً للذود عن الدين والأهل والأموال، وأخذ بعضُ المزنيين يشاركون في هذا العمل الجليل، يتقدمهم النعمان بن مقرن

---

(١٨) البخاري، الشعب ٤/ ٢٢٠، ٢٢١، ومسلم، ١٦/ ٧٤-٧٦ والمستدرك، ٤/ ٨٢.
(١٩) ديوانه، ١٧٦ - ١٧٩.

وعمرو بن عوف الذي قال حينئذ: "كنت أنا وسلمان (الفارسي) وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً. ."(٢٠).

وما إن أنعم الله على عباده المؤمنين بالنصر المبين على أعدائهم في هذه الوقعة، حتى شاركوا في غَزْوِ بني قريظة (لعنهم الله)، في ذي القعدة، وصدر ذي الحجة، من العام نفسه، جزاء لهم على خيانتهم الغادرة، ونقضهم العهد الذي كانوا قد أبرموه مع النبي وصحبه في الدفاع المشترك عن المدينة، فحاصرهم المسلمون، ومعهم المزنيون، حتى استنزلوهم من حصونهم، وحكم فيهم سعدُ بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه، أن يُقتَلَ الرجالُ وتُقسمَ الأموالُ، ويُسبى الذراري والنساءُ(٢١).

وفي العام نفسه بعث الرسولُ ﷺ بلالَ بن مالك المزنيَّ إلى بني كنانة في سرية فأشعروا به، ففارقوا مكانهم، فلم يصب إلا فرسا واحداً (٢٢).

وفي ربيع الآخر من السنة التالية، أرسل النبي ﷺ زيدَ بن حارثة رضي الله عنه (ش/٨هـ) إلى بني سليم بالجموم، فسار حتى وردها، فأصاب عليها امرأةً مُزنيَّةً، يقال لها (حليمة)(*)، فدلتهم على محلة من محال بني سليم فأصابوا في تلك المحلة نعما وشاء وأسراء، وكان في أولئك الأسراء زوجها، فلما قفل زيد بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ لهذه المزنيّة نفسها وزوجها، فقال بلال بن الحارث المزني الذي يبدو أنه كان أحد أفراد هذه السرية (٢٣):

لعَمرك ما أخنى المَسُول ولاوَنتْ　　حليمةُ حتى راح ركبُهما معا

---

(٢٠) تاريخ الطبري، ٢/٥٦٨، والبداية والنهاية ٤/٩٩، وإمتاع الأسماع ص،٢٢٣.

(٢١) تاريخ الطبري، ٢/٥٨٧.

(٢٢) المحبر، ١٢٠، والاستيعاب، ١/٨٣، وأسد الغابة، التعاون، ١/٢٤٩.

(*) ملحق الأعلام، المزنيات ص: ٤٩٨.

(٢٣) طبقات ابن سعد، ٢/٨٦، وتاريخ الطبري، ٢/٦٤١، والبداية والنهاية، ٤/١٧٨، وملحق الشعر، ٥١٩.

وفي العام نفسه شارك مزنيان في سرية محمد بن مسلمة [٢٤]، (وقيل: أبوعبيدة بن الجراح[٢٥]) إلى ذي القَصَّة، إلى بني ثعلبة وعُوال؛ فكان هذان المزنيان ممن فازوا بنعمة الشهادة في هذه السرية.

كما شارك بعض المزنيين، في هذه السنة أيضاً، يتقدمهم معقل بن يسار[٢٦]، وعبدالله بن مغفل[٢٧]، في بيعة الرضوان، تحت الشجرة، فكانا يرفعان غصنا من أغصانها بيديهما على رأس المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وفي المحرم من العام السابع شارك بنو مزينة في خروج النبي ﷺ في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس إلى (خيبر)، لفتح حصونها الواقعة شمالي المدينة، على طريق الشام، ولتصفية بقايا اليهود من شبه الجزيرة العربية، فافتتح الحصون، وحاز الأموال كلها: الشق، ونطاة، والكتيبة، واستسلم أهل فدك، وكان نصيب المزنيين في هذه الأنفال بالنطاة[٢٨].

واستعداداً لفتح مكة (رمضان ٨هـ) بعث رسول الله ص إلى مزينة (بلال بن الحارث) و (عبدالله بن عمرو) المزنيين[٢٩]، وأسرَّ إلى خزاعيّ بن عبد نُهم، أن يلقاه بقومه بالروحاء[٣٠]، فلبوا دعوة النبي مشاركين وحدهم بألف وثلاثة نفر[٣١]، ومعهم مائة فارس ومائة درع، بثلاثة ألوية، أولها يقوده (النعمان بن

---

(٢٤) مغازي الواقدي، ٢/ ٥٥١، ٥٥٢. (٢٥) تاريخ الطبري، ٢/ ٦٤١.
(٢٦) الاستيعاب، ٣/ ١٤٣٢، ١٤٣٣ وتاريخ الإسلام، ٢/ ٣١٧، الإكمال، ١/ ٣٢.
(٢٧) الاستيعاب، ٣/ ٩٩٧، والإكمال، ٢١، وتجريد أسماء الصحابة، ١/ ٣٣٦.
(٢٨) تاريخ الطبري، ٣/ ١٣-١٥، وجوامع السيرة، ٣١٤، والدرر، ٢٠٣.
(٢٩) مغازي الواقدي، ٢/ ٧٩٩.
(٣٠) تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٥٨.
(٣١) مغازي الواقدي، ٢/ ٨٠٠-٨٢٠، وسيرة ابن هشام، ٤/ ٣٠، وابن سعد، ٢٣٩، والطبري، ٣/ ٦٤، وجوامع السيرة، ٢٢٧، والدرر، ٣١٤، ومغازي الذهبي، ٤٤٨، وقارن: الكامل في التاريخ ٢/ ١٦٣، والبداية والنهاية، ٤/ ٢٨٥، ٣٠٩.

مقرِّن)، وثانيـها: مع (بلال بن الحارث)، وثالثها : مع (عبـدالله بن عمرو بن عوف)[٣٢]، وكان مـوقعـهم في المجنبة اليـمنى مع خالد بن الـوليد[٣٣]. . . وشارك في هذا الحشـد العسكري عبدُالله بن مـغفل المزنيُّ، ومما يُروى في هذا الصدد قوله[٣٤]: "رأيتُ رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقـته، وهو يقرأُ سورة (الفتح)، حال كونه يرجع صوته بالقراءة . . . . ".

كما كان (معاوية بن قرة) من جنود الفتح، قريباً من موكب النبي ص يستمع إلى ترجـيعه عليـه السلام، بتلك اللـحظات التاريخـية الخالدة، ومما قـاله هذا المزني، تسجيلاً لهذه اللحظات: "لولا أن يجـتمع الناس حولي، لرجعتُ كما رجع النبي ﷺ . . "[٣٥].

وبهذه الرايات الثـلاث، وبالعدد نفسه تقـريباً، شاركت (مزينَةُ) في مـوقعة (حُنَيْنٍ)، في شوال من العام نفسه، ضد فلول هوازن وثقيف[٣٦]، وكان (بجير ابن زهير) أحد مجاهدي (مُزينةَ) الصامدين فيها، فجادت قريحته بأبيات شعرية نوه فـيهـا بما منّ به الرحمنُ على عـبـاده المؤمنين من نصر مـبين، وحث على الثبات في مواجهة الشرك والمشركين[٣٧].

وفي عام هذه الفتـوحات أيضاً أنفذ رسول الله ﷺ عبـدَالله بن مغفل المزنيَّ رضي الله عنه على سرية إلى (أوطاس)، فغنم وسلم[٣٨]، كما وجه بلال بن

---

(٣٢) مغازي الواقدي، ٢/ ٨٠٠ - ٨٢٠.

(٣٣) السيرة لابن هشام، ٤/ ٣٧.

(٣٤) عون الباري، ٦/ ٣٣٠، والتاج (رجع).

(٣٥) المصدران نفسهما والصفحة نفسها.

(٣٦) مغازي الواقدي، ٣/ ٨٩٨.

(٣٧) ملحق الشعر ص: ٥٠٨ بيت واحد، وص: ٥١٢ قصيدة (٩ أبيات) .

(٣٨) المحبر، ١٢٤ .

الحارث المزني إلى فرقة افترقت فرجع بمن معه، ولم يلقوا كيدا[٣٩].

وفي شهر رجب من العام التاسع تقدم كل من هذا المزني و (عبدالله بن عمرو بن عوف المزني) أربعين رجلاً من قومهما، خرجوا يشاركون في جيش خالد بن الوليد لغزو أكيدر بن عبدالملك بـ (دومة الجندل)، على عشرة أميال من المدينة، وقال بلال بن الحارث يومئذ: "أسرنا أكيدر وأخاه، فقدمنا بهما على رسول الله ﷺ". وقال (عبدالله بن عمرو بن عوف): "كنا أربعين رجلاً من مزينة، مع خالد، وكانت سهامنا خمس فرائض، فكل رجل مع سلاح، يقتسم علينا درع ورماح"[٤٠].

وفي الشهر نفسه دعا رسول الله ﷺ أهل المدينة وماحولها من المسلمين، لغزو تبوك، وهي من أدنى أرض الشام، وجدَّ في السفر، وأمر بالتجهيز، وحض أهل الغنى على الإنفاق بسخاء لتجهيز المجاهدين في سبيل الله، وفي أثناء هذه التعبئة العامة جاء نفر يعرفون بـ (البكّائين)، فألحوا على النبي إلحاحاً شديداً، عسى أن يدبر لهم الأدوات التي تعينهم على الجهاد، فلما رد عليهم رسول الله ﷺ بأنه لا يجد ما يحملهم عليه: ﴿ **تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ** ﴾[٤١].

وجمهور المفسرين، كما سنرى، على أن هؤلاء الصحابة هم الإخوة من بني (مُقرِّن)، إضافة إلى بعض المؤرخين الآخرين كـ (معقل بن يسار)، و (عبدالله ابن عمرو بن الحارث)، و (عبدالله بن مغفل)، و(عبدالله بن سنان)،

---

(٣٩) المصدر نفسه، الموضع نفسه.

(٤٠) مغازي الواقدي، ٣/ ١٠٢٩، وتاريخ الطبري، ٣/ ١٠٨, ١٠٩، وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٤٠.

(٤١) سورة التوبة، آية رقم (٩٢).

وغيرهم[٤٢].

وبانتهاء هذه الغزوة طوى التاريخُ صفحةً من أنضر صفحاته على الإطلاق، مؤذنا بوفاة رسول الإنسانية جمعاء، وبوفاته عليه الصلاة والسلام، طوى صفحة غراء من صفحات جهاد المزنيين في سبيل نصرة دعوته المجيدة، تحت لوائه الشريف. .

---

(٤٢) راجع المحبر، ٢٨١، وعيون الأثر، ٢/٢٧٦، وتفسير الطبري، ١٤/٤٢١,٤٢٢، والجامع لأحكام القرآن، ٨/٤٤٨، وإمتاع الأسماع، ١/٤٤٨، وتقريب التهذيب، ١/٤٢١، وطبقات ابن سعد، ٧/١٣.

ب - في عهد الراشدين :

بانتـقـال الرسول الكـريم ﷺ إلى الرفيق الأعـلى سبحـانه (ربيع الأول ١١هـ)، وارتداد كثـير من العرب عن رحـاب الدين الحنيف، أو بعض أركانه، لم أسمع أن أحداً من المزنيين كان من هؤلاء المرتدين، بل على العكس، تماماً، فقد شاركـوا يتقدمهم ثلاثة من بني مُقرِّن (النعمـان) على الميمنة، و(عبدُالله) على الميـسرة، و(سـويد) على الساقـة، ومعـه الركاب، شـاركوا في دفاعـهم المستمـيت عن المدينة المنورة، بقيادة أبي بكر الصـديق، في جمادى الأولى، أو الآخرة، من العام نفسه ـ ضد غزوات العبسيين والذبيانيين الشرسة، التي بدأت تتلاحق ضارية على (يثـرب)، تريد النيل منها، مستغـلة خـروج جيـش أسامـة ابن زيد (ت ٥٤هـ) إلى مهمته الموكلة إليه من قبل رسول الله ﷺ، على حدود الروم [١].

وظل المزنيون، ومن مـعهم، يتحملون بشـجاعة الأبطال، أعبـاء الدفاع عن حصن الإسـلام، حتى ولّى المرتدون المعتدون الأدبـار، وغلبهم أبو بكر وجنده على أرضهم وأتبعـهم بجيشه، حتى نـزل بذي القصة، فترك بهـا (النعمان بن مقـرن)، في حاميـة ممن معـه، وعاد هو إلى المدينة، ثم راح المزنيـون يوزعون أنفسهم قسمين:

ـ أولهما: يشارك في الجيش الأول الذي بعثـه أبو بكر بقيادة خالد بن الوليد متجهين إلى استرجاع بني أسد وبني تميم وغيرهم.

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٤٦-٢٤٧، والبداية والنهاية، ٦/ ٣١٣، وشرح ألفية العراقي، ٣/ ٧٧.

ـ وثانيهما: شارك في الجيش الحادي عشر، بقيادة (سويد بن مُقرّن) المزني المتجه إلى استرجاع تهامة اليمن[٢].

وبعد القضاء على هذه الحركات الداخلية المضادة، بدأت أنظار المسلمين تتجه إلى نشر أنوار الإسلام في الأمصار المجاورة للجزيرة العربية، فبدأ خالد بن الوليد يعد جيشه لفتح العراق، وهو جيش احتل فيه (النعمانُ بن مُقرّن)، مكانة بارزة، أما أخوه (معقل)، فقد توجه إلى (الأبلّةِ)، ليجيء بمالها وسبيلها، في المحرم من العام الثاني عشر للهجرة[٣]، مضطلعاً، في الوقت نفسه، بقيادة الحامية التي أُوكِلَ إليها تأمين الجيش المتجه إلى العراق، فنزل (الحفير)، متخذا منها، مركزا لقيادته، حتى أتم الله تعالى النصر لعباده المؤمنين في (الحِيرة)، في الوقت الذي كان أخوه (ضرار)، أميراً على الحامية عندما كان خالد محاصرا للحيرة[٤].

ثم شارك ضرار المزنيُّ هذا، مع بعض الصحابة، في إمارة ثغور خالد، (بالسيب) فأغار فيمن أغاروا، وألح، فمخر ما وراء ذلك إلى شاطىء دجلة[٥]، بينما امتد نشاط أخيه (سويد) في الجباية، إلى مناطق شط العرب، وهي مناطق كانت تقابل (تُستُر) في شرقه فنزل (العقر) التي سميت (عقر سويد)، من بعده، لهذه الأسباب[٦].

ثم شارك (بلال بن الحارث) في فتح الأنبار (رجب ١٢هـ)، فدومة الجندل (الشهر نفسه)، وغيرهما من الأمصار، وجاء بالأخماس من قِبل خالد بن الوليد

(٢) تاريخ الطبري، ٣/ ٢٤٩، والبداية والنهاية، ٦/ ٣١٥.
(٣) المصدران نفساهما.
(٤) الإصابة، البجاوي، ٣/ ٤٨٥.
(٥) تاريخ الطبري، ٣/ ٣٦٩.
(٦) المصد[illegible]

إلى أبي بكر[٧]، على حين بقى معظم المزنيين من الذين شاركوا في هذه الفتوحات، يتقدمهم (الحارثُ بن بلال المزنيُّ)، مع المثنَّى بن حارثة بالعراق، وانتقل خالد بنصف جيشه إلى الشام[٨].

وبوفاة أبي بكر (جمادى الآخرة ١٣هـ)، واستخلاف عمر بن الخطاب، وإعفاء خالد من قيادة الجيش، واصلت الجيوش العربية الإسلامية مسيرتها الظافرة في الفتوحات، فشارك (بشر بن عصمة المزني) مع أبي عبيدة بن الجراح (ت ١٨هـ)[٩]، الذي وجهه قائداً لخيل أرسلها لموقعة اليرموك[١٠].

وفي الوفد الذي أرسله سعد بن أبي وقاص (ت ٥٥هـ)، إلى (يزدجرد) عظيم الفرس تم اختيار (النعمان بن مُقرّنٍ) أميراً، فدخل، ومعه صفوة من الصحابة، فقال لهم: إن شئتم أجبت عنكم، ومن شاء آثرتُه، فقالوا: بل تكلَّمْ، وقالوا للملك: كلامُ هذا الرجل كلامُنا؛ فتحدث النعمانُ بكلمة شافيةٍ، وضحت عمق إيمانه بنور الإسلام، وحرصه الكبير على نشره، في البقاع المجاورة للجزيرة، ولاسيما بلاد فارس[١١]، ولكن عنادَ عظيم الفرس وصلفَه وغطرستَه لم تُفلحْ معها كلماتُ (النعمان) فعاد الوفدُ إلى ابن أبي وقاص، وأُجريت المشاوراتُ التي أعقبها قرار التعبئة الكبرى للقاء الفرس في القادسية (شعبان ١٥هـ)، وهو اللقاء المشهودُ الذي شارك فيه المزنيون، وفي مقدمتهم النعمانُ بنُ مقرِّنٍ، الذي قدم بشيرا بالفتح المظفر إلى عمر بن الخطاب[١٢].

---

(٧) نفسه، ٣/ ٣٦٩.

(٨) تاريخ الطبري، ٣/ ٤١٠، ٤١١.

(٩) نفسه، وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٣٥.

(١٠) تاريخ دمشق، ٣/ ٣٤٥.

(١١) تاريخ الطبري، ٣/ ٤٩٨, ٤٩٩.

(١٢) شرح المواهب اللدنية، ٤/ ١٢.

وبعد عدة معارك أخرى كتب الله النصر فيها لعباده المؤمنين، تم اختيار الكوفة لتكون حاضرة للمسلمين هناك، وقاعدة حربية تجتمع فيها قواتهم الحربية، وولَّى عمر بن الخطاب الخراج، (النعمان وسويدا ابني المقرن): النعمان على ماسقت دجلة وعقد الجسور، وسويد على ماسقت مياه الفرات، ثم ولي عملهما ـ واستعفيا ـ حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني[١٣].

وتحرك (نعيم بن مقرن)، مع نعيم بن مسعود، ليسلكا على (ميسان) و(دست ميسان) حتى يكونا بين عتبة بن غزوان، ونهر (تيري)، في الوقت الذي اتجه (النعمان بن مقرن) من الكوفة إلى الأهواز، وبُعِثَ (سُويدٌ) أخوه مع آخرين ليكونوا تجاه (الهرمزان)، وكان (نعيم المزني) على أهل الكوفة، فاقتتلوا حتى تم الصلح[١٤]، بيد أن (هرمزان) نقض ماكان بينه وبين المسلمين من عهدٍ، استجابة لإغراءات (يزدجرد)، فالتقيا بـ (النعمان بن مقرن) في (أربك) وهو التقاء أسفر عن انتصار النعمان وجيشه، وإرغامهما على إخلاء (رامهرمز)، والتراجع إلى (تستر) اللتين وقعتا في أيدي المسلمين، بعد حصار عدة أشهر.

ثم خرج (النعمان) في أهل الكوفة، فأخذ وسط السواد حتى قطع دجلة بحيال (ميسان) ثم أخذ البر إلى الأهواز، على البغال، يجنبون الخيل، مُنتهيًا إلى نهر (تيري) فجازه هو، و (مناذر)، فسوق الأهواز، مخلفا من ينوبون عنه، سائراً نحو الهرمزان، ملحقاً به هزيمة منكرة[١٥]، متابعا مسيرته من (أربك)، حتى نزل (برامهرمز)، ثم صعد لايدج فصالحه على (تيرويه)، فقبل

(١٣) الطبري، ٤/ ٢٣.

(١٤) المصدر نفسه، ٤/ ٧٢ - ٧٤.

(١٥) فتوح البلدان، ٣/ ٤٦٤-٤٦٦ (النهضة)، الطبري، ٤/ ٧٢-٨٣، والبداية، ٧/ ٨٥,٨٦.

النعمانُ منه، وتركه، ورجع إلى (رامهرمز)، فأقام بها، ومن (تستر) خرج هو وجنده لحصار (السوس) فوقعت مصادمات عنيفة بينهم وبين المجوس الذين تجمعوا بكثرة هائلة إلى الشمال، في (نهاوند)، فكتب إلى عمر بن الخطاب يخبره أن سعد بن أبي وقاص استعمله على جباية الخراج، وقد أحب الجهاد ورغب فيه [16]، فكتب عمر إلى سعد: أن النعمان كتب إليَّ يذكر أنك استعملته على جباية الخراج، وأنه قد كره ذلك، ورغب في الجهاد، فابعث به إلى أهم وُجوهك: إلى (نهاوند)".

ثم كتب إلى النعمان، يحثه على السير لمواجهة الأعاجم بها[17] مما جعل النعمان يستخلف (سنان بن مشنوء بن عمير المزنيَّ) على عمله[18]، ويسير هو إلى (الفيرزان)، ومعه جلة من وجوه الصحابة، حتى وصلوا إلى (ماه)، وهناك كتب (النعمانُ) لأهلها كتبا بالأمان[19]، وتقدم بجيشه، حتى حطوا أثقالهم عند (نهاوند)، وجرت عدة مبارزات، ثم وقف النعمان خطيباً في جنده، يوضح لهم سنة النبي عليه الصلاة والسلام، في القتال، ويُبين لهم كيف سيبدؤون المعركة، مختتماً بدعاء ربه بعزَّةِ دينه ونصرة عباده، والمنِّ عليه بنعمة الشهادة[20].

فلما فرغ من التقدم إلى أهل المواقف، وقضى إليهم أمره، رجع إلى موقفه فكَبَّرَ ثلاثَ تكبيراتٍ وحمل وحملوا معه، ورايتُه تنقضُّ نحو الأعداء انقضاضَ

---

(16) تاريخ الطبري، ٤/ ١١٤.

(17) المصدر نفسه.

(18) جمهرة النسب، ٢٨٩٩,٢٨٨.

(19) تاريخ الطبري، ٤/ ١٣٦، ١٣٧.

(20) الخراج، ٣٨-٤٠ والاستيعاب، ٤/ ١٥٠٦-١٥٠٧ والبدء والتاريخ، ٥/ ١٨٠.

العقاب، وهو مُعْلَم ببياض القباء والقلنسوة، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً، وأُصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء، فزلق فرسُ (النعمان) في الدماء، فصرعه، وأصيب (النعمانُ) حتى زلق به فرسه، وصُرِع[٢١]، فتناول الرايةَ أخوه (نعيمُ بن مُقرن) قبل أن تقع، وسجَّى أخاه بثوب، وأتى حذيفة بن اليمان بالراية، فدفعها إليه، وكان اللواء مع حذيفة، فجعل (نعيم بن مُقرن) مكانه، وأتى المكان الذي كان فيه النعمان، فأقام اللواء، وقال له المغيرة بن شعبة: "اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر مايصنع الله فينا وفيهم، لكيلا يَهِنَ الناس، واقتتلوا حتى أتى الله بالنصر المبين، ونعى عُمرُ بن الخطاب (النعمانَ) من فوق المنبر، ووضع يده على رأسه يبكي، على حين هرب (الفيرزان) قائد الفرس في هذه الوقعة، إلى همدان، فأتبعه (نعيمُ بن مقرن)، وفي مقدمته أخوه (سويد)، وقدم القعقاع بن عمرو وقدامة فأدركه حين انتهى إلى ثنية همذان، والخيل في آثارهم، فدخلوها، فنزل المسلمون عليهم وحَووا ماحولها[٢٢]، فصالحهم (خُسر وشنوم)، فرجع هذان (المزنيان) ومن معهما عنهم ثم كفر الأعجمي بعد، واستُخلف على (الماهين) (عمرو بن الحارث المزني)[٢٣].

وبعد قليل اجتمعت جموع الديلم وأهل الري وأذربيجان وغيرهم بـ (واج روذ)، فالتقى بهم (نعيم المزنيُّ) وألحق بهم هزيمة ساحقة[٢٤]، وكتب بالفتح إلى ابن الخطاب، فكتب إليه بدوره، يأمره بالسير إلى (الري)، ففتحها الله له، فكتب إلى الخليفة بالفتح، وكتب إلى أهلها كتابا بالأمان[٢٥]، وراسله

---

(٢١) المصادر السابقة وشذرات الذهب، ١/ ٣٢، وثقات البستي، ٢/ ٢٢٤-٢٣٢ وغيرها.

(٢٢) تاريخ الطبري، ٤/ ١٢٦-١٣٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ٤/ ١٤٧.

(٢٤) ملحق الشعر، ص: ٥٤١.

(٢٥) تاريخ الطبري، ٤/ ١٥٠.

(المصـمُغان) في الـصلح على شيء يفتـدي به منهم من غيـر أن يسأله النـصر والمنعة، فقبل منه، وكتب بينه وبينه كتاباً، على غير نصر ولا معونة على أحد، فجرى ذلك بينهم[٢٦].

ثم كتب إليه عمر أن يقدم أخاه (سـويدا) إلى (قومس)، ففصل هذا الأخير في تعيينه من الري، نحـو قومس، فلم يقم له أحد، فأخـذها سلماً، وعسكر بها، فلما شرب جـنده من نهر يقال له (ملاذ) فشا فيـهم (القَصَر)، وهو يبس في العنق، فـقال لهم سـويد : غـيروا مـاءكم حتى تـعودوا كـأهله، ففـعلوا واستمرؤوا، ثم كاتبه الذين لجـؤوا إلى طبرستان منهم، والذين أخذوا المغاوز، فدعاهم إلى الصلح والجزاء، وكتب لهم كتاباً [٢٧]، ثم عسكر ببسطام، وكاتب (رزبان صول ملك جرجـان) ثم سار إليها، وكـاتبه هذا الملك، وبادره بالصلح على أن يؤدي الجزاء، ويكفيه حرب جرجان، فإن غلب أعانه، فقبل منه ذلك، وكتب إليه كتابا[٢٨].

ثم راسله صـاحب (طبرستـان) في الصلح، فقـبل (سويدٌ) منه، وكـتب له كتابا[٢٩].

وفي الوقت نفسه كان بعض المزنيين يرفعون رايات الإسلام خفاقة في مصر، وغيرها من بلاد أفريقيا، وإن كنا نلاحظ أن عدد المزنيين في هذه الفتوحات كان محدوداً، قياساً بعددهم في فتوحات المشرق.

ففي مصر يدل انضمام (مـزينة) إلى أهل الراية، بعد الفتح الإسلامي لمصر،

---

(٢٦) المصدر نفسه، ٤/ ١٥١.

(٢٧) المصدر السابق، ٤/ ١٥٢.

(٢٨) الإصابة، النهضة، ٣/ ٢٢١، وانظر أيضاً، الطبري ٤/ ١٥٢، والبداية، ٧/ ١٢١-١٢٣.

(٢٩) الطبري، ٤/ ١٥٣.

على أن عـدد المشـاركين من أبنائهـا كـانوا قلة في هذا الفـتح. . . ومن الذين شاركـوا في حمل مـشاعل هذا الدين إلى المصـريين: عبدالله بـن غنمة[٣٠]، وبلال بن الحـارث[٣١]، وعـمـرو بن عـوف[٣٢]، وسليـمـان بن سنان[٣٣]، والنضر[٣٤] المزنيون.

وفي سنة سبع وعـشرين بعد الهـجرة، شاركت مزيـنة في فتوحات شـمال إفريقية بثـمانمائة (وقيل: بأربعمائة) مجاهد، وكـان لواؤهم على حدة، يحمله بلال بن الحارث[٣٥].

وليس بين يدي من المصـادر مايكشف عن مـدى مشاركـة هؤلاء المزنيين في فتوحات الأمصار الأخرى كاليمن وحضرموت والبحرين والأندلس، بيد أنني، قيـاساً على ما سـبق إيراده في الصفحـات السابقة، لا أسـتبعـد أن يكونوا قد شاركوا، ولو بأعداد قليلة في هذه الفتوحات وغيرها.

وإلى جـانب كل مـا سـبق وغيـره، نلاحظ أن بعض المـزنيين لم ينأوا عن الأحداث الجلى في تاريـخنا الإسلامي، والظاهر من مطالعـة هذه الأحداث أن المزنيين لـم يكونوا راضين عن السياسة المالية في عهـد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه (ق/ ٣٥هـ)، إذ يروى أنه استعمل كعب بن مالك على

---

(٣٠) أسد الغابة، ٣/٢٥٨، وتجريد أسماء الصحابة، ١/٣٢٧.

(٣١) رياض النفوس، ٢/٧٦، ومعـالم الإيمان، ١/٩٢، وطبقات علماء أفـريقية وتونس، ٦٩، ٧٣، ٧٤.

(٣٢) طبقات علماء أفريقية وتونس، ٧٧.

(٣٣) تقريب التهذيب، ١/٣٢٦.

(٣٤) الولاة والقضاة، ٣١٣.

(٣٥) طبقات علماء أفريقية وتونس، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ومعالم الإيمان ،١/ ٦٢، ورياض النفوس، ١/٧٦.

صدقاتهم، كما سنرى، وترك ما أخذ منهم له، فكان ذلك وراء اشتراكهم، مع بعض الثائرين على سياسته، في ضرب الحصار عليه مما أدى إلى مصرعه في بيته[٣٦].

ومات رضي الله عنه وعلى السواد بالعراق (جابر بن عبدالله المزنيُّ)، وهو صاحب المسناة إلى جانب أهل الكوفة[٣٧].

ونسجت خيوط الثورة على عثمان، وما واكبها من سخط شعبي في كثير من الأمصار الإسلامية آنذاك، إحساساً سرى بوجدان بعض المزنيين بمشايعة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومناصرة آل بيته من بعده، وهو الإحساس الذي تجسد في قيادة (معقل بن يسار) المزني رضي الله عنه لقبائل قريش وكنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة بجوار الإمام، ضد خصومه في وقعة الجمل سنة (٣٦هـ)[٣٨]، وفي وقوف المزنيين معه رضي الله عنه هو، وأشياعه، في حروبهم للخوارج[٣٩]، ممهدين بهذه الأعمال إلى ما يشبه "الالتزام" التام من قبل المزنيين فيما تلا ذلك من مراحل تاريخية، إلى جانب آل بيت النبي ﷺ، متحملين في سبيل ذلك شتى صنوف الأذى والعذاب، وهي الأمور التي أشير إلى بعضها في المرحلة التالية.

---

(٣٦) أنساب الأشراف، ٥/٩٩، والعقد الفريد، دار التأليف، ٤/ ٣٠٠، والطبري، ٤/ ٤٣٠.

(٣٧) تاريخ الطبري، ٤/٤٢٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ٤/ ٥٠٠.

(٣٩) الكامل في اللغة والأدب، ٣/ ٢٤٥.

ثانياً: ثورات المزنيين ضد بني أمية ومن بعدهم:

رأينا كيف أدى اعتقاد بني مزينة بأحقية الإمام علي وآل بيته رضي الله عنهم بخلافة المسلمين، إلى وقوفهم بجواره، في أكثر من ميدان، في التصدي لخصومه على تعدد فئاتهم، وقوفاً لم يضعف من شأنه ماانتهى إليه الموقف باستشهاد الإمام علي، وسيطرة معاوية بن أبي سفيان وآل بيته على مقاليد الأمور في المجتمع الإسلامي، بل ظل المزنيُّون ثابتين على موقفهم ثباتاً واضحاً، دفع الأمويين، فيما يبدو، إلى إبعادهم عن تقلد تلك المناصب الكبرى، وأمثالها في الجيش، وغيره من شؤون الولاية والجباية مما كانوا يحتلونه، في عهد النبوة والراشدين من قبل.

ولم يقتصر الأمر على إبعادهم عن هذه المناصب الحيوية في الدولة، بل تعرض بعضهم للنفي إلى مناطق بعيدة عن الأماكن التي كانوا يعيشون فيها من قبل، بسبب مشايعتهم لآل أبي طالب، كما حدث لـ(معاوية بن قرة المزني)(٤٠) الذي اقتاده الحجاج بن يوسف الثقفي (ت٩٥هـ)، إلى عبدالملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، فسأل معاوية بن قرة عن الحجاج، فقال له: إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله، فنظر إليه الحجاج فقال له عبدالملك: لا تعرض له، فنفاه الحجاج إلى السند.

والوحيد، فيما أعلم، من المزنيين الذين وصلت الأخبارُ عن استعماله والياً على أحد الأمصار في العصر الأموي كله هو صالح بن عبدالله المزني عامل الوليد بن عبدالملك (ت٩٦هـ) على المدينة المنورة، الذي لم يقلل احتلالُه لهذه الوظيفة من وقوفه بجوار آل البيت النبوي الشريف، إذ يروى(٤١) أن الوليد بن

---

(٤٠) تاريخ دمشق، ٤/ ٧٢٢.

(٤١) الفرج بعد الشدة، ١/ ١٩٤, ١٩٥، والمستطرف، ٢/ ٣١٧.

عبـدالملك كتب إلى صـالح المزني هذا: أن أنزل الحسن بن الحـسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاضربه في مسجد رسول الله ﷺ خمسمائة سوط، فأخرجه صالح إلى المسـجد، ليقرأ كتاب الوليد، ثم ينزل فيـضربه، فبينما هو يقـرأ الكتاب إذ جـاء علي بن الحسن رضـي الله عنه فقـال له: يابن عم، أُدع بدعاء المكروب، فأقبل الحـسن يكرره دفعات كثيرة، فلمـا فرغ صالح من قراءة الكتاب، ونزل عن المنبر قال للناس: أرى سحنة رجل مظلوم، أخِّروا أمره حتى أراجع أمـير المؤمنين، وأكـتب في أمره، فـفـعل ذلك، ولـم يزل يكاتبه حـتى أُطلِقَ.

وواكب هذا الإحسـاسَ بالظلم الواقع على آل البيت النبوي مـشاركةُ هؤلاء المزنيين، وفي مقدمتهم قرةُ بن إياس وابنُه مـعاويةُ المزنيان، مع عبدالرحمن ابن عبـيس الذي خـرج في نحو عـشرين ألفـاً، يقاتلون الأزارقـة بين سنتي (٦٤ و٦٥هـ) قتـالاً انتهى بمقـتل قُرة، وقتل مـعاويةُ ابنُه قـاتلَ أبيه(٤٢)... وخرج صخرُ ابن هلالٍ المزنيُّ التابعيُّ في ثلاثين من مزينة سنة خمس وستين للهجرة، فيـمن نقمـوا على عبـيدالله بـن زياد قتلَه الحـسين بن علي (رضي الله عنه)، (٦١هـ)، فيمن عرفوا بالتوابين من أهل الكوفة، نادمين على خذلانهم الحُسَيْنَ، فقاتل صخـرُ المزنـيُّ فيمن معه إلى جانب صـخر بن صرد زعيمهم يومئذ حتى قتل(٤٣).

وأعاد التاريخ نفسه، فخرج ابنُه سليمانُ بنُ صخر المزنيُّ على حامية (مطرف ابن المغيرة)، في تمرده على الحـجاج الثقفي، وعبـدالملك بن مروان، سنة سبع وسبعين(٤٤).

---

(٤٢) طبقات بن خياط، ٣/ ٤١٥ وتاريخ الطبري، ٥/ ٦١٣.

(٤٣) تاريخ الطبري، ٥/ ٦٠٤، والكامل في التاريخ، ٣/ ٣٤٠.

(٤٤) تاريخ الطبري، ٦/ ٢٩٧، ٢٩٨.

وظل هذا (الالتزامُ المزني) في مناصـرة الطالبيين يزداد قوة ورسوخـاً، حتى تُرجم في هبوب عدد من المزنيين يتقدمهم أبو عمرو لاهزبن طريف، وأبو عتيبة مـوسى بن كـعب، وأبو سـهل القـاسم بن مـجـاشع، ومـالك بن الطواف، للمشاركة في الحملة التي أطاحت بعرش الأُمويين(٤٥).

وعلى الرغم مما أثمـرته هذه الحملة من نتـائجَ سياسـية وغـيرها، مما واكب انتـقالَ السلطة إلى العـباسـيين، أحـد فروع بيت النبـوة، لم نجد بوادر تحـولٍ ملموسة في روافد الفكر السياسي المزني آنذاك، ولم نسمع عن مشايعة أحد من بني مزينة لأحـد من خلفاء بني العـباس. . ويبدو أن إدراك المـزنيين لاستئـثار العبـاسيين، وانفرادهم بمقاليـد الأمور، دون أبناء عمومـتهم، قد أخذ بمشـاعر هؤلاء المزنيين إلى متابعة التزامهم السـياسي الذي سَرَتْ مشاعرُه في دماء آبائهم وأجدادهم، منذ العهد الراشدي تجاه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبنيه من بعده، وهو الالتـزام الذي دفعهم إلى المشاركة في خـروج عبدالله بن حـسن على أبي جعـفر المنـصور، (ت١٥٧هـ) عـام (١٤٤هـ)، مما دفعـه إلى التنكيل بهم، وهو الأمر الذي نالهم أيضـاً في السنة التالية لهـا، عندما أجابوا محمد بن عبدالله فيمن أجاب ضد جور العباسيين(٤٦).

بيد أنه، بمرور الأيام والسنوات، ولأسباب لم تتيسر لي معرفتها الآن. بدأت روافد هذا الالتـزام السيـاسي المزني تضعف رويداً رويداً، بسـبب ظهور بعض النزعات السياسية المزنيّة تجاه بعض الأحزاب السياسية الأخرى كالزبيريين، وهي

(٤٥) رسائل الجاحظ، مناقب الأتراك، ١/ ٢٢.

(٤٦) تاريخ الطبري، ٧/ ٥٥٠ - ٥٥٢.

النزعة التي أخذت تجسـدها أشعار كل من فليح المَللي[٤٧]، وابنه خارجة[٤٨]، وعبدالله بن عمرو بن صبح[٤٩] في الثابتيين من آل الزبير.

غير أن هذا التحول في مجرى الإحساس السياسي المزني لم يقض قضاء تاماً على جذور التعـاطف والولاء المزنيّيْن في نفوس العلويين والجـعفريين من أبناء بيت النبوة، إذ ظلت أشعار كل من خَارجة المللي[٥٠]، وأبي المعافى[٥١] المزنيين تغذي شـجرة هذا التـعاطف وذلك الولاء وتعـمل على نمو أغصانـها، وجني ثمراتها على المستويين الفردي والجماعي على مر الأيام.

* * *

---

(٤٧) ملحق الشعر، ص: ٦٠٨.

(٤٨) ملحق الشعر، ص: ٥٤٧ ـ ٥٦١.

(٤٩) ملحق الشعر، ص: ٥٦٣.

(٥٠) ملحق الشعر، ص: ٥٤٧ ومابعدها.

(٥١) ملحق الشعر، ص: ٥٤٣.

حياتهم الاقتصادية في الإسلام

رأينا في الفصل السابق[1] أن المزنيين قد زاولوا عدة حرف أعانتهم على مواجهة ظروف الحياة. . . . وعلى رغم اختفاء بعض هذه الحرف من حياتهم بعد الإسلام، كالعرافة والسدانة والكهانة، فقد حلت مهنة (عمارة المساجد) محل هذه المهن المختفية، والوحيد الذي تيسرت لي معرفة اضطلاعه بهذه المهنة هو (أبو هيصم المزني) الذي استعمله رسول الله ﷺ على مسجد (مقمل)، وقد روى ابنُه عن أبيه أن النبي دعا أباه، وقال له: "إني مستعملُك على هذا الوادي، فمن جاء من هاهنا وهاهنا، يشير نحو مطلع الشمس ومغربها، فامنْعه فقال: إني رجل ليس لي إلا بنات، وليس معي أحد يعاونُني، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يرزقُك ولداً"، قال: فعمل عليه، وكان له بعد ذلك ولدٌ . . . "[2].

ويبدو أن بعضهم قد مارس الحرفَ التي كانوا يزاولونها قبل إسلامهم، من زراعة ورعي وتجارة، وسقاية وحداء وصيد. . . إضافة إلى ما جَدَّ في حياتهم بعد أن شرح الله صُدورَهم للإسلام، من الاشتراك الفعال في شؤون الجهاد والقيادة والولاية، والجباية وغيرها. . . والدليل على ذلك ما مر بنا من أن النبي ﷺ قد أقطع بلال بن الحارث المزني ذات النصب[3].

وتزيد بعض الروايات إلى هذا الإقطاع معادن القبيلة غَوريِهَّا وجَلْسيِّها

---

(١) الفصل الأول، ص: ١٣-٧٠.

(٢) المغانم المطابة، ٣٨٨-٣٨٩، والإصابة، ٤/ ٢١٤.

(٣) الفصل الأول، ص: ٢٢.

والجشيمة وما بين البحر والصخر، وحيث يصلح الزرع من (قُدس) إن كان ضاربا[٤].

وواضح من هذه الرواية أن الهدف الأول من هذا الإقطاع هو حث بلال المزني وآل بيته على استزراع هذه المناطق وتعميرها، تغلباً على بعض مظاهر الضيق المالي الذي كانوا يعانون منه، إضافة إلى تكريم هذا القائد المزني، الذي طالما أبلى البلاء الحسن في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، في ربوع الأرض، سواء في حياة النبي ﷺ، أم بعد مماته عليه الصلاة والسلام.

بيد أن انشغال بلال بالجهاد المستمر، وهجرته من المدينة إلى البصرة، كما سنرى، ومنها إلى مصر وشمال أفريقية، دون استثمارهم لهذه المنطقة الشاسعة، قد حدا بعمر بن الخطاب إلى انتزاع بعض هذه الأرض، قائلاً له: "إنما أعطاك رسول الله ﷺ لتعمر، ولم يُعطِك لتحجر "[٥].

ويروى أنه ترك في يده من الأرض مايعمر وأقطع بقيتها عشيرته[٦].

والظاهر أن عمر بن الخطاب قد استثنى المعادن من الجزء المقتطع من بلال بدليل ما روي من أن ذريته باعوا عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ) أرضاً من هذه المنطقة، فظهر فيها معدن، أو معدنان فقالوا : إنما بعناك أرض حرث، ولم نبعك المعادن وجاؤوا بكتاب النبي ﷺ في جريدة، فقبلها عمر، ومسح بها عينيه، وقال لقيِّمه: انظر ما خرج منها، وماأنفقت وقاصّهم بالنفقة، وردَّ

---

(٤) المستدرك وتلخيصه، ٣/ ٥١٧، ومعجم مااستعجم، ٣/ ١٠٤٧-١٠٥١، والخراج، ٧٣، وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٤٣، والمغانم المطابة، ٣٣٢-٣٣٨ وغيرها.
قارن، تاريخ المدينة المنورة، ١/ ١٤٩، والأموال، ٣٨٧، ووفاء الوفا ، ٢/ ١٩٠.
(٥) تاريخ المدينة المنورة، ١/ ١٥١، ووفاء الوفا، ٢/ ١٩٠, ١٩١.
(٦) المصدران نفساهما.

عليهم الفضلَ . . "[7].

ومر بنا، قبل قليل أن ذا البجادين المزني قد حدا بالنبي ﷺ في طريق هجرته، مواصلاً مهنة من المهن التي دأب عليها آباؤه، وأجداده، كما مر بنا[8] جانب من الحديث عن بئر (رومة) التي كانت في عقيق المدينة، فانطمت، فحالف بعضُ المزنيين بعضَ الأوسيين، وقاموا بحفرها، وقاموا عليها بأبدانهم وأصلحوها، وكانت (رومة) امرأة منهم أو أمة تستقي منها الناس عليها بأجر، فمر عليها النبي ﷺ، فرأى عليها رجلاً من مزينة يروي الناس عليها بأجر، فقال: نعم صدقة المؤمن هذه "، فاشتراها عثمان بن عفان (ت٣٥هـ) بأربعمائة دينار، فتصدق بها[9].

وإلى جانب هذه الحرف المتوارثة، زاول بعض المزنيين المسلمين أسلوب الغارات والصعلكة بدليل ما وصل إلينا[10]، من أن النبي ﷺ كتب لجماعة كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومزينة، والحكم والقارة، ومن اتبعهم من العبيد، فلما ظهر رسول الله ﷺ وفد منهم وفد على النبي، فكتب لهم كتاباً ينص على أنهم "إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ؛ فعبدهم حر، ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها، وما كان من دم أصابوه، أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دَيْن في الناس رُدَّ إليهم، ولا ظلمَ عليهم ولا عدوانَ، وأن لهم على ذلك ذمةَ اللَّهِ وذمةَ رسولهِ" .

---

(٧) فتوح البلدان، النهضة، ١/ ١٣.

(٨) الفصل الأول ص: ٢٢.

(٩) طبقات ابن سعد ،١/ ٥٠٦، وأنساب الأشراف، ١/ ٣٥٦، ومعجم البلدان، ٣/ ٣٥٣، وقارن صحيح البخاري، ٢/ ٦٨٥، والبداية والنهاية، ٧/ ١١٧٧.

(١٠) طبقات ابن سعد، ١/ ١٧٨.

والظاهر أن هذه القلة قد مارست هذا المسلك العدواني، مضطرة تحت لهيب الفقر، الذي عانت جموع كـبيرة من المزنيين من ويلاته، بدليل ما ألمحتُ إليه، قبل قليل، من أن جـمهور المفسرين على أن (البكائـين) في غزوة تبوك (٩هـ) كانوا من بني مـزينة، إضافـة إلى إشارات بعض العلمـاء إلى كون كل من ذي البجادين[١١]، وعائذ بن عمرو[١٢]، وعمرو بن عوف[١٣]، ومعاوية بن قرة[١٤] المزنيين، من أهل الصفة، في ضيافة رسول الله ﷺ.

ويزيد اقتناعنا بمغزى هذه الإشارات عندما نطالع رواية بكر بن عبدالله المزني (ت١٠٨هـ) أن بدر بن عبـدالله المزني قال: قلت: يارسـول الله، إني رجل، محـارف لا ينمى لي مال... : "[١٥]، وسوف نرى، في الفـصل التالي[١٦]، لكعب بن زهير شكوى مشابهة لما عبر عنها هذا المزني.

ومثل هذه الشكوى نـراها في مقولة مـعاوية بن قرة المزني: قـال أبي: لقد عمرنا مع رسول الله ﷺ، وما لنا طعام إلا الأسودان: الماء والتمر.. "[١٧].

وروى الحربي[١٨] وأبو داود[١٩]، بسندهما، عن ناس من مزينة أن أبجر أو ابن أبجر المزني، سـأل النبي ﷺ: لم تبق إلا حمـرى، قال: أطعم أهلك من سمين مالك، فإنما كرهتُ لكم جوال القرية... ".

---

(١١) حلية الأولياء، ١/ ١٢٠، ٤٦٥ وتاج العروس (بجد).

(١٢) عيون الأثر، ٢/٢٦٧، وتفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢٢٤.

(١٣) حلية الأولياء، ٢/ ١٠، ومعالم الإيمان، ١/ ٩٢.

(١٤) حلية الأولياء، ٢/١٨-١٩.

(١٥) أسد الغابة، التعاون، ١/١٠٣، والإصابة، الفكر، ١/ ١٣٩.

(١٦) الفصل الثالث، ص: ١٢٨-١٢٩، وديوان كعب، القاهرة: ١٢٧.

(١٧) الحلية، ٢/ ٣٠٢، ٣٠٣.

(١٨) غريب الحديث، ١/١٠٨.

(١٩) أبو داود، كتاب الأطعمة، ٤/ ١٦٣، ١٦٤.

ويبدو أن هذه الضائقة المالية قد صاحبتهم في بعض سني عهد الراشدين بدليل ما روي أن أهل بيت من مزينة قالوا لصاحبهم، في عام الرمادة (١٨هـ): قد بلغ بنا الجهد من الجوع، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به، حتى ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحمر[٢٠] كما روى أن رجلاً من مزينة أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك العام نفسه، فشكا إليه سوء الحال، وإشراف عياله على الهلاك، فأعطاه ثلاث أنياب جزائر، وجعل عليهن غرائر، فيهن رزم من دقيق، ثم قال له: سر، فإذا قدمتَ فانحرْ ناقة، فأطعِمْهُم بودكها ودقيقها، ونَوِّرْ، فَلَبَثَ حينا، ثم إذا هو بالشيخ المُزنيِّ، فسأله، فقال: فعلتُ ما أمرتني به، وأتى اللهُ بالحيا، فبعتُ ناقتين، واشتريتُ للعيال صُبَّةً من الغَنَم، فهي تروح عليهم...[٢١].

غير أن هذه الروايات لا يجب أن تدعونا إلى الاعتقاد الخاطئ بأن جميع المزنيين كانوا يرزحون تحت وطأة الفقر، فالراجح، لديَّ، أنهم كانوا، كغيرهم من أبناء المجتمع الإسلامي حينئذ، يعيشون عيشة كريمة، لاتتدنى بحال من الأحوال إلى دركات السؤال، والحديث الذي رواه ابن حنبل (ت٢٤١هـ)، بسنده عن رجل من مزينة، أنه قال: قالت لي أمي: ألا تنطلق، فتسأل رسول الله ﷺ، كما يسأله الناس؟!، فانطلقتُ أسأله، فوجدتُه قائماً، يخطب، وهو يقول: من استعف أعفه الله، من استغنى أغناه الله ومن سأل الناس وله عدل

---

(٢٠) تاريخ الطبري، ٤/٩٩.

(٢١) الفائق في غريب الحديث، ١/ ٢١٠، ٢١١.

* والجزائر، جمع جزور، وهي الناقة قبل أن تنحر، فإذا نحرت فهي جزور، بالضم، والرزمة من الديقي، نحو ثلث الغرارة وربعها، وهي من رزم الشيء إذا جمعه، والصرمة من قطع وصرم، ونور، قلل، والحيا، الخصب، من الحياة، والصُّبة، مابين العشر إلى الأربعين.

خمس أوراق، فقد سأل إلحافاً. . فرجعت ولم أسأله. . . "[٢٢]، يقوي ما أذهبُ إليه هنا، كما يعضده ما روي عن معن[٢٣] ابن أوس من أنه كان، ولاسيما في سني شبابه، كثير المال، وما يروى أيضاً من شأن صفية بنت عويمر بن قطاية المزنية، أم بكر بن عبدالله فتى البصرة، إذ كانت امرأة موسرة، وكان لها زوج كثير المال، وكان ابنها (بكر) حسن اللباس جداً، فكانت قيمة كسوته، أربعة آلاف درهم، وقيل: إنه اشترى يوماً طيلسانا بأربعمائة درهم، فأراد الخياط أن يقطعه، فذهب ليذر عليه تراباً، علامة لموضع القطع، فقال له بكر: لا تعجل، وأمر بكافور، فسُحق، ثم ذرَّهُ عليه[٢٤].

وحدث قتادةُ أن عائذَ بن عمرو المزنيَّ قد تبدلَ حالُه من بعد عسر يسرا، فكان يلبس الخز[٢٥].

ومن جهة أخرى يشهد إخراج المزنيين لزكاة أموالهم، طائعين، منذ وقت مبكر في حياة النبي ﷺ، وما تلاها من عصر الراشدين، دون أن نسمع أن أحداً منهم قد تخلف أو تردد في دفع ما فرضه عليه دينه من زكاة ماله، على صحة عقيدتهم الدينية وقوتها من ناحية، وتمتع كثير منهم بنصيب من المال، يجب فيه إخراج الزكاة، من ناحية أخرى، وهو الأمر الذي يؤكد لنا أن هذه الروايات الثلاث السالفة الذكر لم تكن شذوذاً، في أحوال المزنيين المالية.

ويذكر المؤرخون أن شُريح بن ضمرة بن لحي المزني هو أول من جاء

---

(٢٢) المسند، صادر، ٤/١٣٨.

(٢٣) ديوان معن، بغداد، ص :٨٦، والفصل الثالث من هذا الباب ص: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢٤) المعارف، ٤٥٧، وطبقات ابن سعد، ٧/ ٢١٠.

(٢٥) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣١.

بصدقات مزينة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام[٢٦]، كما أشار البلاذري (ت٢٧٩هـ) إلى أن النبي ﷺ ولّى أبا عبيدة بن الجراح (ت١٨هـ) صدقات مزينة وهذيل وكنانة[٢٧]، وأومأ ابن سعد[٢٨]، وغيره[٢٩] إلى أنه ﷺ بعث عباد بن بشر الأشهلي (ق/ يوم اليمامة، ١١هـ) إلى سُليم ومزينة.

ويبدو أن واحداً من الاثنين الأولين قد واصل عمله المسند إليه من قبل رسول الله ﷺ في عهد أبي بكر، بدليل قول ابن الجراح له عند توليته خلافة المسلمين: أنا أكفيك المال، يعني الجزاء[٣٠].

وفي عهد عمر بن الخطاب (١٣-٢٣هـ) لم أعثر على خبر يفيد بأن أحداً من الصحابة قد وكل إليه القيام بهذه الوظيفة، على رغم مرورنا، في الصفحات السابقة، بما يقرر توليته (جابر بن عبدالله المزني) ما سقت دجلة والفرات، إضافة إلى تدبير بني (مقرن) شؤون الجباية في الحيرة وشط العرب وغيرهما من الأمصار المفتوحة في عهده.

أما في عهد عثمان (٢٣-٣٥هـ)، فقد مر بنا أنه رضي الله عنه استعمل كعب بن مالك على صدقات مزينة، وترك ما أخذ منهم له، مما ألب عليه خصومه عند الفتنة.

وليس بين يدي من الأخبار أو الروايات التي تشير إلى أسماء من ولاهم الإمام علي كرم الله وجهه (ش/ ٤٠هـ) لجباية صدقات المزنيين، ولعله قد عيَّنَ

---

(٢٦) جمهرة النسب، ٢٨٧، وجمهرة أنساب العرب، ١/ ٢٠٢، ٢٠٣، والإصابة، الفكر، ٢/ ١٤٦.

(٢٧) أنساب الأشراف، ١/ ٥٣١.

(٢٨) الطبقات الكبرى ، ٢/ ١٦٠.

(٢٩) إمتاع الأسماع، ١/ ٤٣٣، والرحيق المختوم، ٥٠٣.

(٣٠) تاريخ الطبري، ٣/ ٤٢٦، والكامل في التاريخ، ٢/ ٢٨٩.

بعضَ أبناء القبيلة للقيام بهذا العمل.

وبانتهاء عهد الراشدين (٤٠هـ) تصمت المصادر عن تحديد أسماء الذين اضطلعوا بهذا الأمر، ويبدو أن ذلك كان يتم بمعرفة الولاة، كل في منطقة نفوذه، يدفع المزنيون، في كل مصر من الأمصار التي يقطنون بها، ما كان يفرض عليهم دفعهُ من صدقات، إضافة إلى ما قد يجد من حاجات مالية أخرى، أينما حلوا . . . ولعلهم وجدوا، كما وجد غيرهم من العرب، آنذاك، في الأمصار المفتوحة أبواباً واسعة للرزق الحلال، فأخذوا يسعون في سبيل حياة آمنة مطمئنة، في جانبها الاقتصادي، بعد أن عانوا من عدم توافر الاستقرار السياسي، بما يدعوني إلى الوقوف لإلقاء بعض الضوء على تلك المنازل التي نزلوا بها منذ بدء الفتوحات، وهو ما أخصص له الصفحات التالية.

منازل المزنيينَ في الإسلام

نزل المزنيون في الإسلام عدة منازل من أهمها:

أ - المدينة المنورة:

ذكر الدباغ في حديثه عن الصحابي (عمرو بن عوف المزني) أن له منزلاً بالمدينة، قائلاً: "ولا يُعلَم حيٌّ من العرب لهم منزل بالمدينة غير مزينة"[(١)].

ويحدد عمر بن شَبَّة (ت٢٦٢هـ) هذا المنزل بطرف السورين، ما بين دار أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، إلى مفضى السورين، إلى الحمارين، الزقاق الذي فيه قصر بني يوسف مولى آل عثمان، إلى البقال[(٢)].

ثم يفصل السمهودي[(٣)] هذه المقولة، ذاهباً إلى أنّ بني هدبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو نزلوا مابين زاوية القروي المطل على بطحان الغربية، إلى زاوية بيت ابن هبار الأسدي، الذي صار لبني سمعان الشرقية إلى خط بني رزيق، إلى دار الطائفي، التي بشق بطحان الشرقي وهذه الدور تقع بقرب "البقيع" ونزل معها في هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع، من بني نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن، وعند شرقي خطة مزينة هذه سليم بن منصور إلى دار خلدة بن مخلد الزرقي، وأدنى دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان، إلى بيوت نفيس بن محمد مولى بن المعلى، في بني زريق من الأنصار إلى أن تلقى بني مازن بن عدي بن النجار... فهؤلاء الذين نزلوا مع مزينة، ودخل بعضهم في بعض، ومن حل معها في غربي مصلى العيد.

---

(١) معالم الإيمان، ١/ ٩٢، وانظر أيضاً، الاستيعاب، ٣/ ١١٩٦.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، ١/ ٢٦٥.

(٣) وفاء الوفا، ١/ ٥٤٩، ٥٥٠.

ويوضح الدكتور صالح العلي[٤] مواقع هذه المنازل بالقطاع الجنوبي للمدينة، قائلاً: وإنما نزلوا (مزينة ومن دخل فيها) جميعاً لأن دارهم في البادية واحدة.

ومن المزنيين الذين لهم ذكر في الإقامة بالمدينة المنورة : بلال بن الحارث[٥]، وعمرو بن عوف [٦]، وعامر بن سحيم[٧]، ومغفل بن عبد نهم[٨] وابنه عبدالله[٩]، وصفوان بن قدامة[١٠]، وصالح بن عبدالله[١١] .

وفي الخريطة رقم(٧) سوف يتضح لنا موقع إقامة هؤلاء المزنيين وغيرهم[١٢].

ب - البصـــرة :

قبل الشروع في تأسيس البصرة (١٤-١٦هـ) أرسل عمر بن الخطاب (ت٢٣هـ) عبدالله بن مغفل المزني في نفر من الصحابة إلى أهلها يُفقهونهم[١٣].

---

(٤) خطط المدينة المنورة في القرنين الأولين للإسلام، مجلة العرب السعودية، جمادى الأولى ١٣٨٧هـ.

(٥) المستدرك وتلخيصه، ٣/ ٥١٧، ومعجم ما استعجم، ٣/ ١٠٤٧-١٠٥١.

(٦) طبقات ابن خياط، ١/ ٨٧ والاستيعاب، ٣/ ١١٩٦.

(٧) الإصابة، النهضة، ٣/ ٥٨٠.

(٨) المصدر نفسه، دار الفكر، ٣/ ٤٥١.

(٩) المصدر نفسه، والموضع نفسه.

(١٠) المصدر نفسه، ٢/ ١٨٩, ١٩٠.

(١١) الفرج بعد الشدة، ١/ ١٩٤، والمستطرف، ٢/ ٣١٧.

(١٢) ملحق الخرائط، ص: ٦٤٦.

(١٣) طبقات ابن سعد، ٧/ ١٣, ١٤.

ويقرر الـدكتور صـالح العلمي(١٤) أن عتـبة بن غـزوان (ت١٦هـ) مؤسس البصرة (١٥) من قبيلة مـزينة، وهو تقرير لم أعثر على مـا يؤكده، إذ الثابت، لديّ، أنه من بني مازن(١٦).

ومر بنا أن المزنيين كانوا في طليعة فـاتحي البصرة، لذا فإننا نراهم من أوائل النازلين بها، حـتى ليروى أن أول دار بها كـانت لـ (نافع بن الحارث)، ثم دار (معقل بن يسار المزني)(١٧).

وضمن (أهل العـالية)، نزلت مزينة في الجهـة الجنوبية من هذه المدينة، مع كنانة وبجيلة وخثعم وغيرها(١٨).

ويذهب ياقوت (ت٦٢٦هـ) إلى أن خطة مـزينة بالبصرة كـانت بالقرب من (حَدَد)(١٩)، وهو مذهب يستدرك عليه الدكتور العلي بقوله: "ولعل "حدد"، صوابها "هداد"، وهي القبيلة الأزدية المشهورة.... "(٢٠).

وذكر وكيع(٢١) أن عبـدالملك بن يعلى داره في مزينة، دون اللحـامين بنحو الطريق.

وذكر غـيره(٢٢) أن دار عبـدالله بن مغـفل المزني بالبصـرة حضـرة مسـجد

---

(١٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ٢٥, ٢٦، وخطط البصرة، ٤٢, ٤٣.

(١٥) الاستيعاب، ٣/١٠٢٦، ١٠٢٧، ومعجم البلدان (البصرة)، ٢/١٩٦.

(١٦) طبقات ابن خياط، ١/٢٣، وابن سعد، القاهرة، ٧/١، وثقات البستي، ١/١٨٧.

(١٧) معجم البلدان (البصرة).

(١٨) تاريخ الطبـري، ٦/ ٥٨٠، والعـقد الفـريد، دار التـأليف، ٨/٥، والكامل في التـاريخ، ٥/ ٧١.

(١٩) معجم البلدان، (حدد).

(٢٠) خطط البصرة، ٨٤.

(٢١) أخبار القضاة، ٢/١٩.

(٢٢) طبقات ابن خياط، ١/ ٨٥، والمسند، ٣/ ٥٧٨.

الجامع، أما دار بلال بن الحارث فبين (العوقة) مقبرة بني يشكر[٢٣]، ودار النعمان بن مقرن حضرة باب الأصفهاني[٢٤].

وإلى جانب هؤلاء الوجوه نزل بالبصرة عدد كبير من بني مزينة، في مقدمتهم : عائذ ورافع ابنا عمرو[٢٥]، ومعاوية بن قرة وابن إياس[٢٦]، وعبدالله المزني[٢٧]، وابنه علقمة[٢٨] وعبدالله بن سرجس، ومولاه أرطبان[٢٩]، وعبدالله بن سنان[٣٠]، وعبدالله بن ذرة[٣١]، وبكر بن عبدالرحمن[٣٢]، وبكر بن عبدالله[٣٣] وابنه عبدالله[٣٤] وعمر بن سليم[٣٥] وإسماعيل بن رافع[٣٦]، وحسان بن بلال بن الحارث[٣٧]، وغيرهم ممن تتضح منازلهم على الخريطة التي أعدها الدكتور صالح العلي للبصرة[٣٨].

(٢٣) طبقات ابن خياط، ١/ ٨٦، ٣/ ٤١٦، وتاريخ دمشق، ٣/ ٤٤٠.
(٢٤) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٦، والكنى والألقاب، ٣/ ١٨٣.
(٢٥) طبقات ابن خياط، ١/ ٨٤، وذكر أخبار أصفهان، ١/ ٦٥.
(٢٦) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٥، والاستيعاب، ٣/ ١٢٨٠.
(٢٧) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣٢.
(٢٨) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٦، وابن سعد، ٧/ ٢٠٩.
(٢٩) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٦، ٤٥٤.
(٣٠) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٦، وتقريب التهذيب، ١/ ٤٢١.
(٣١) طبقات ابن خياط، ٣/ ٤١٦، ٤١٧.
(٣٢) ميزان الاعتدال، ١/ ٣٤٧، ولسان الميزان، ٢/ ٥٥.
(٣٣) تاريخ الثقات، ٨٤، والبيان والتبيين، ١/ ١٠١.
(٣٤) تقريب التهذيب، ١/ ٤٠٤.
(٣٥) كتاب الضعفاء الكبير، ٣/ ١٦٩، ١٧٠.
(٣٦) كتاب الضعفاء والمتروكين، ص، ١١١، ١١٢.
(٣٧) المعارف، ٢٩٨.
(٣٨) ملحق الخرائط، رقم (٩) ص: ٦٥٢، وانظر ص: ٦٤٨.

جـ - الكوفة :

يستفاد مما أورده كل من الطبري[٣٩] والنجفي[٤٠]، وماسينيون[٤١] أن منازل المزنيين في الكوفة، كانت في شرقي صحن المسجد الذي أسسه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع الأنصار، ضمن (أهل العالية) من قريش وكنانة والأزد، وغيرهم، ممن كان لهم ربع أهل الكوفة[٤٢].

ومن المزنيين الذين نزلوا بالكوفة: آل مقرن[٤٣]، ودكين بن سعيد[٤٤]، والوليد بن سعيد[٤٥]، والقاسم بن مالك[٤٦]، ومعقل وهلال ابنا سنان[٤٧]، وغالب بن أبجر[٤٨]، والأغر المزني[٤٩]، واياس بن عبد[٥٠]، وغيرهم.

وفي الخريطة التي رسمها (ماسينيون) لخطط الكوفة تتضح منازل هؤلاء وغيرهم[٥١].

---

(٣٩) تاريخ الطبري، ٤/ ٤٤ - ٤٧.

(٤٠) تاريخ الكوفة، ص: ١١١، ١١٢.

(٤١) خطط الكوفة، ص: ١٧.

(٤٢) الطبري، ٦/ ٥٨٠.

(٤٣) طبقات ابن خياط، ٣/٤١٦، والكنى والألقاب، ٣/١٨٣، وابن سعد، ٦/١٨-٢٠، وميزان الاعتدال، ٤/٣٤٥، وتقريب التهذيب، ٢/ ٣٣٥، والجرح والتعديل ٣/١٢١-١٢٢.

(٤٤) طبقات ابن خياط، ١/٢٨٨، وحلية الأولياء، ٣٦٥.

(٤٥) ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٤٥، وتقريب التهذيب، ٢/ ٣٣٥.

(٤٦) ابن سعد، ٦/ ٣٩٠، وثقات البستي، ٣٨٧، والجرح والتعديل، ٣/ ١٢١-١٢٢.

(٤٧) الإصابة، الفكر، ٣/٤٤٦، وتقريب التهذيب، ٢/ ٣٢٤.

(٤٨) طبقات ابن سعد، ١/ ٣٢٤.

(٤٩) المصدر نفسه، ٦/٤٩، وابن خياط، ١/ ٢٨٨.

(٥٠) طبقات ابن خياط، ١/ ٢٨٨.

(٥١) ملحق الخرائط رقم (١٠) ص: ٦٤٩.

د - مصر وأفريقيا والأندلس:

مر بنا أن المزنيين أقـاموا بمصر في الراية التي كانت حول المسجد الذي بناه عـمرو بن العـاص بالفـسطاط[٥٢]، ويقـول ابن دقمـان[٥٣]، في حديـثه عن (قيسارية ابن أبي الثريا) وما يليهـا: هي خطة النضر بن بشير بن عمرو المزني، صارت لابنه بُشر بن النضر، وقال أبو خيثمة: إن بعض هذه الخطة قد دخل في دار ابن الزبير، ثم صارت في أيدي جماعة من مزينة.

وعلى رغم مشاركـة مزينة بعدد وفير نسـبياً من الجند في فتوحـات القيروان (٢٧هـ) لم أعثـر على خبـر يكشف لي النقاب عن مـنازلها بهذه المنـطقة، في الوقت الذي أشار ابن حزم إلى أن دار بني مزينة في الأندلس هي (بيانة) بقرب (قُبّرة)[٥٤].

---

(٥٢) فتوح مصر وأخبارها، ٧٣، والانتصار، ٤/٣، ومعجم البلدان (الراية).

(٥٣) الانتصار، ٤/٣.

(٥٤) جمهرة أنساب العرب، ١/٢٠١.

هـ - منازل أخـــرى :

إلى جانب المنازل السابقة للمزنيين، يدلنا استقراء حياة بعضهم على أنهم قد نزلوا منازل أخــرى كثيــرة كـ (مكة المكرمة) الـتي نزل بها إياس بن عـبد[٥٥]، و(السند) التي نزل بها كل من مـعاوية بن قرة[٥٦]، وخالد بن عبـدالله الطحان مولى مزينة[٥٧]، و(واسط) التي نزل بها إياس ابن مـعاوية[٥٨]، و(أصبـهان) التي وليهـا عائذ بن عـمرو [٥٩]، و(الشام) التي نزلهـا الأخوان عبـدالرحمن ومحمد ابنا عميرة المزني[٦٠]، و(خراسان)[٦١] التي وليها جنيد بن عبدالرحمن المزني، فمـات بها، ومثله المحتـفز بن أوس الذي وردها وقيل : إنه اسـتوطن (مرو)[٦٢]، وذكر أن ابنه بشرا كان معه بـ(خـراسان) في جيش عبدالرحمن بن سمرة [٦٣]، وروى البلاذري[٦٤] أنه كان على (جند يسابور)، أمـا عبدالله بن عمرو بن أبي صبح الشاعر، فـقد رحل مع الثابتين الزبيريين إلى (اليمن)، ثم انتقل منها إلى (بغداد)، فمات بها[٦٥].

---

(٥٥) طبقات ابن سعد، ٥/ ٤٦١، والاستيعاب، ١/ ١٢٧، وتهذيب التهذيب، ١/ ٣٨٩.

(٥٦) تاريخ دمشق، ٤/ ٧٧٢.

(٥٧) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣١٣.

(٥٨) تاريخ واسط، ٩٣، وقارن، أخبار القضاة، ١/ ٣٥٣.

(٥٩) ذكر أخبار أصبهان، ١/ ٦٥.

(٦٠) طبقات ابن سعد، ٧/ ٤١٧، ٤١٨، والإصابة، الفكر، ٣/ ٣٨١، ٢/ ٤١٤.

(٦١) تهذيب تاريخ دمشق، ٣/ ٤١٥، وجمهرة أنساب العرب، ١/ ٢٠٢.

(٦٢, ٦٣) جمهرة أنساب العرب، ١/ ٢٠٢، والإصابة، الفكر، ٣/ ٣٦٦.

(٦٤) فتوح البلدان، بريل، ٣٨٥.

(٦٥) جمـهرة أنساب قـريش وأخبارها، ١/ ٢٠٨، وتاريخ دمـشق، ١٦/ ٤٥٩، والورقة، ١٤، والفهرست، ٤٩.

و - مزينةُ ومنازلُها عبر التاريخ :

يقرر الهـمداني (أبو محـمد الحسن بـن أحمد بن يعـقوب/ ٣٤٥هـ) أن بني حرب لما صارت إلى قـدس من الحجاز (في أواخر الدولة الأمـوية)، وبها عنزة ومزينة وبنو الحـارث وبنو مالك بن سليم ناصـبتهم الحـربَ عنزةُ ثم ناصبـتْهم مُزينةُ الحـربَ، وكانت (مزينة) أهـل ثروة، زهاء خمسـة آلاف، فقُتلوا مـقتلة عظيمة، وأُجْلوا إلى الساحل من (الجار) و(الصـفراء) وأرض (جشم)، فهم بها إلى اليـوم (قبل سنة ٣٤٥هـ)، لا يدخلون (الفـرع) إلا بذمام وجـوار من بني (حرب) وبقية (سليم)[٦٦].

ويسجل البلادي[٦٧] هذه الوقائع، معقباً عليها بقوله : ويظهر أن مزينة ملت الإقامة في ذلك الساحل الضيق الحـار فلم تجد ملجأ ولا ناصراً من (حرب) إلا إياها، فعـادت، فحالفت (حـربا) في المراوحة من بني سالم، أحـلافا يصفـها (مسـاعد المزنيُّ) بأنها كـانت عامة لا يسـتطيع أحد أن ينكرها، وهو أن قـبائل العرب، لما قامت الـدولة العباسية رأت منهـا ضعفاً عن عـرب الجزيرة، حيث تركتْهم ينحر بعضُهم بعضا، ويسـبي بعضُهم بعضا، مما أدى إلى تحالف القبائل التي كانت في الحجاز كلها ولجوئها بعضها إلى بعض..[٦٨].

* * *

---

(٦٦) الإكليل، ١/٣٠٣-٣٠٥.

(٦٧) معجم قبائل الحجاز، ٤٥٣.

(٦٨) قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام، ٣٥.

حياتُهم الاجتماعية والثقافية

عندما شرحَ اللهُ صدور المزنيين لأنوار الإسلام بدأت حياتهم الاجتماعية والثقافية تنتظم في عقد المجتمع الإسلامي، انتظاماً رائعاً نسجته مبادئ الشريعة الإسلامية، كما تجلت نصوصها وأحكامها في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبدأ المزنيون يمتثلون، في غير نفور ولا تباطؤ أو تردد، لما امتثل إليه المسلمون من أمور الدين، طائعين، مما كانت له الآثار البالغة في تعديل أنماط سلوكهم إلى ما يرتضيه الإسلام، ملتزمين ما شرعه الله للإنسانية، وسنَّهُ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لأتباعه من شؤون الزواج، وحقوق الزوجين، والميراث، وتربية الأبناء، والطلاق، وحسن المعاملة مع الجار، وأولي الأرحام، والتكافل الاجتماعي مع الفقراء والمساكين... وغير ذلك مما يتصل بحياتهم الاجتماعية، كما ظلوا على بعض ما ألفوه بفطرتهم السديدة، وعقولهم الرشيدة، من مكارم الأخلاق، بعد أن غذَّوْها، وَقوَّوْا جذُورها وروافدها بالمثل العربية الأصيلة، كالمروءة والكرم والنجدة والإحسان والشجاعة والإيثار وغير ذلك.

وعاش الموالي، جنباً إلى جنب مع الأصلاء المعرقين، كما كانت حالهم في الجاهلية، وإن تحسنت أحوالُهم في ظلال الإسلام، بفوز بعضهم بنعمة العتق من جهة، أو تمتع بعضهم الآخر بالمعاملة الحسنة والمعاشرة الطيبة من أهليهم من جهة ثانية.

وقد وصلت إلينا بعض الروايات الدالة على استجابة بعض المزنيين لدعوة

دينهم إلى تحرير الرقيق، كتلك التي رواها ابن حنبل [١]، بسنده، عن سويد ابن مقرن رضي الله عنه أن رجلاً لطم جارية لآل سويد بن مقرن، فقال له سُويد: أما علمتَ أن هذه الصورة محرمة؟ لقد رأيتُني سابع سبعة من إخوتي وما لنا إلا خادم، فلطمه أحدنا، فأمرنا النبي ﷺ أن نعتقه.

كما شجعت المعاملة الحسنة التي حظى بها (الموالي) في المجتمع الإسلامي على تبوُّؤ عدد من موالي (مزينة) درجاتٍ مرموقةً في العلم والمعرفة، مثل (سلام بن سليمان القارئ النحوي)[٢]، ومثل (خالد بن عبدالله الطحان) الذي كان من الفقهاء والمحدثين بواسط[٣]، و (حبيب المعلم) الثقة الحجة[٤]، و(حسين الشهيد) الثقة[٥]، وغيرهم[٦].

كما ظهرت بعض آثار الفتوحات واختلاط العرب بالأعاجم في زواج بعض المزنيين من نساء الشعوب الأخرى، كزواج (معاوية بن قرة المزني) من امرأة خراسانية وإنجابه منها إياساً[٧]، الذي روي أنه قال : إن أمي كانت أعجمية، فكانت تقول (ونرود ونرود)، وإني لم آمن أن يكون لايُحصى ذلك، فكفرت عنها ألف يمين[٨].

---

(١) المسند، دار الفكر، ٣/ ٤٤٧.

(٢) المستدرك، ٣/ ٢٩٥، وميزان الاعتدال، ٢/ ١٧٧.

(٣) طبقات ابن سعد، ٧/ ٣١٣.

(٤) تاريخ أسماء الثقات، ٩٨، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته، ١/ ١٤٤.

(٥) طبقات ابن سعد، ٧/ ٢٧١.

(٦) انظر في حياة كل من أبي صالح بن رستم وإسماعيل بن رافع وعبدالرحمن بن مهران وغيرهم من موالي مزينة، الملحق ص: ٥٠٢ ومابعدها.

(٧، ٨) طبقات ابن خياط، ٣/ ٥٠٨، وأخبار القضاة، ١/ ٣٤٤، وفي هامش الأخير قال المحقق ونرود ونرود، هذه لفظة فارسية من فعلٍ يفيد بالفارسية معنى الذهاب (رفتن) ومعنى اليمين فيها غير واضح. . . ".

وتلبية لدعوة الإسلام الرشيدة إلى طلب العلم والمعرفة، بدأ المزنيون يستجيبون لهذه الدعوة، بتفهم آيات القرآن، وتعرف أحكامه، فعرف عن بعضهم امتلاك قدرات فقهية فائقة، كـ (معقل بن يسار) الذي رأى فيه رسول الله ﷺ هذه القدرة؛ فرشحه ليقضي في أمر بين قوم[٩]، وكـ (بشير بن النظر المزني)، الذي ولي قضاء مصر في سنة (٦٨هـ)، لعهد عبدالعزيز بن مروان (ت٨٥هـ)[١٠]، وكالذي عرف عن (بكر بن عبدالله) من ورع وسعة في العلم، دعت (عدي بن أرطأة) أمير البصرة لعهد عمر بن عبدالعزيز (ت١٠١هـ) إلى عرض مسؤولية القضاء عليه[١١]، ناهيك عما أشرت إليه قبل قليل من إرسال عمر بن الخطاب (عبدالله بن مغفل المزني) إلى البصرة يعلم أبناءها[١٢]، ومن جهود أبي رجاء المزني الذي تمثل السكّرِي (ت٢٧٥هـ) ببعض شروحه اللغوية، في شرحه لديوان كعب بن زهير[١٣].

أما ذكاء (إياس بن معاوية المزني) (ت١٢١/ ١٢٢هـ) وفراسته وحكمته فقد بلغت الآفاق. حتى ليستمد منها الحريري (ت٥١٦هـ) فراسته بقوله: "فإذا ألمعيّتي ألمعية ابن عباس وفراستي فراسةُ إياس"[١٤]، ونوه بها أبو تمام (ت٢٣١هـ) في مدحه أحمد بن المعتصم قائلاً[١٥]:

إقْدَام عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ   في حِلْم أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

---

(٩) المستدرك وتلخيصه، ٣/ ٥٧٧، وأخبار القضاة، ١/ ٣٦، ٣٧.

(١٠) الولاة والقضاة، ٣١٣، ٣١٤، وفتوح مصر وأخبارها، ١٥٤، والانتصار، ٤/ ٣٩.

(١١) البيان والتبيين، ١/ ١٠٠، ١٠١، وطبقات ابن سعد، ٧/ ١١٠.

(١٢) طبقات ابن سعد، ٧/ ١٣، ١٤، وهذا الفصل، ص: ١٠٥.

(١٣) ديوان كعب بن زهير، قراقو، ٩٨، والقاهرة، ١٧٨، ١٧٩.

(١٤) مقامات الحريري، ص: ٦٤. ومرآة الجنان، ١/ ٢٥٨، والروض النضر، ١/ ٥١.

(١٥) شرح ديوان أبي تمام، ٢/ ٢٤٩.

وراح عبدالله بن شوذب، بسبب ذلك، يقرر أنه يقال: في كل مئة سنة يُولد رجل تام العقل، فكانوا يرون أن (إياس بن معاوية منهم) (١٦)، وغدا المدائني يكتب كتاباً أسماه: كتاب "زكن إياس"(١٧)، وهو أمر دعا عمر بن عبدالعزيز لتعيينه قاضيا على البصرة(١٨).

وغير خاف على مداركنا ما فصلتُ القول فيه، بصدد جهاد المزنيين في سبيل نشر دين الله في الآفاق، وهو الجهاد الذي يعد صورة مصغرة من جهاد عامة المسلمين، في صدر الإسلام، ويبدو أن بني مزينة، قد شرح الله صدورهم لأنوار دينه، ومحا عنهم ضلالة الجاهلية، وأزاح عنهم صدأ التفرق والتشتت والتنازع، الذي كان يرين على قلوبهم إبانها، وأوضح لهم أن الحرب في الإسلام لا تقوم إلا دفاعاً عن الدين والعرض والأوطان، دون بغي أو عدوان، ففجر فيهم تلك الطاقات الكامنة التي أظهرت الغزوات والسرايا والفتوحات على تتابعها، وتعدد أحجامها، ما كانوا يمتلكون من قدرات حربية فائقة أعانتهم على امتلاك ناصية القيادة في أكثر من ميدان، وحسبنا ما سنفرده من تراجم لبعض مشاهيرهم في ذلك العصر إلماماً بجهودهم المحمودة في خدمة الإسلام(١٩).

* * *

---

(١٦) الجرح والتعديل، ١/١٠١، ومناقب الإمام أبي واثلة (خ) الورقة الأولى.

(١٧) مجمع الأمثال، ١/٣٢٦، ومناقب الإمام أبي واثلة، الورقة السابعة، ب والأعلام، ١/١٧٧.

(١٨) مناقب الإمام أبي واثلة، الورقة الرابعة، وانظر الفهرست، ١٠٤، معجم الأدباء، الهندية، ٥/٣١٧.

(١٩) ملحق الأعلام، ص: ٤٨٩ - ٥٠٦.

الفصل الثالث

شعراء مزينة في الإسلام

شعراء مزينة في الإسلام(*)

تعترض الباحث في شعر (مزينة) بعامة، وفي شعرها الإسلامي بخاصة، عدة صعوبات، من أهمها عدم وصول ديوان شعرها مجموعاً، ولا كتاب أنسابها وأخبارها فيما وصل إلينا من ذخائر تراثنا العربي، على رغم إشارة ابن النديم إلى أن السكري (ت٢٧١هـ) قد جمع (أشعار مزينة)[١]، وإشارة وكيع[٢] إلى (كتاب مزينة) لابن الكلبي (ت٢٠٤/ ٢٠٦هـ)، وهو الكتاب الذي ربما اطلع عليه الآمدي (ت٢٧١هـ)، عندما كان يترجم للمؤتلف والمختلف من الشعراء[٣].

وتطرحُ هاتان الإشارتان تساؤلاً عن مضمون كل من هذين الكتابين ومنهج تأليفهما.. والراجح لديّ أن كتاب السكري، المشار إليه هنا، ربما كان يشبه، في مضمونه، ومنهج تأليفه "ديوان الهذليين" الذي جمع فيه المؤلف نفسه ماتيسر له من شعر هذيل في الجاهلية والإسلام، مع التقديم لبعض القصائد والمقطعات، أو التعليق عليها ببعض الأخبار والروايات أو الشرح والتحليل لبعضها فحسب.... وهو منهج في الشرح والتقديم نستطيع أن نطالع صورة قريبة منه فيما بين أيدينا من شرحه لديوان كعب بن زهير، الذي سأشير إليه في موضعه من هذا الفصل.

(*) شعراء مزينة في الجاهلية والإسلام، للمؤلف، مجلة العرب، الرياض، ج٨،٧، محرم/ صفر ١٤١٣هـ - حزيران/ تموز، ١٩٩٢م.

(١) الفهرست، م. خياط: ١٥٩، وقارن: شعر بني مزينة في الجاهلية: ٦٢.

(٢) أخبار القضاة، ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

(٣) المؤتلف والمختلف، ٢٧٨.

أما كتاب مزينة لابن الكلبي، فإن الـراجح، لدي، بالقياس إلى ما تيسر لي الاطلاع عليه من مؤلفاته الأخرى كجمهرة النسب، والأصنام وأنساب الخيل في الجـاهلية والإسـلام وأخبـارها. . . وغيـرها ـ أن هذا الكتاب الذي كـتبـه عن (مزينة) إنما كان عبارة عن نَسَب لها، وذكرٍ لمنازلها، وسرد لبعض الروايات، أو الأخبار المتعلقة بسـير عظمائها، وأيامها، ومفاخرها، وحـكم بلغائها، وديانتها في الجاهلية والإسلام، مع ترصيع ذلك كله، أو بعـضه، بقصائد أو مقطعات، أو أبيات، من أشعار المزنيين، وغيرهم.

وربما كان أي من كتاب "الاختيار القبائلي الأكبر" وكتاب "مختارات شعراء القبـائل"، أو مختـارات أشعار القـبائل "المنسوبَيْنِ لأبي تمام حـبيب بن أوس الطائي (ت٢٣١هـ) (٤) يتضـمنان شيـئاً من أشعـار بني مزينة، غـير أن هذين الكتابين لم يتيسـر لنا الحصول عليهما حتى نعرف، عـن قرب، مقدار ما أورده أبو تمام للمزنيين، ولا الصورة التي دوَّن أشـعارهم فيهما بهـا، وربما كان كتابُه الآخر الموسوم "بالحماسـة"، الذي وصل إلينا، مرآة يمكن أن نطالع فيه منهج هذا المؤلف في كتـابه المشار إليـه، وهو منهج يعتمـد، كما يـبدو لمطالع ديوان الحماسـة، على تقسيم الشعـر إلى فنون بعينها، كالحـماسة والمراثي، والأدب، وغيـر ذلك. . . وإيراد القـصائد والمقطوعـات والأبيات التي يرى أنهـا تندرج ضمن هذه الفنون، ملتزمـاً، في أغلب الأحيان، رواياتِ الدواوين التي وصلت إلينا للشـعراء الذين يختـار من أشعـارهم، أو مُدخِـلاً بعض التعـديلات في الروايات، مختصراً في عدد الأبيات، أو مكتفياً بجزء من القصيدة للشاعر، في مطلعها، أو في منتصفـها، أو قبيل نهايتها، مثـبتاً اسم الشاعر الذي يروي له، أو قبيلته، أو عصره، أو مهملا نسبة الشعر لقائله. .

---

(٤) الموازنة بين الطائيين، ١/ ٨٨،٥٨ وفهـرست ابن النديم، ١٦٥، ووفيات الأعـيان، ٢/ ١٢، وخزانة الأدب، ١/ ٣٥٦، وتاريخ التراث العربي ٢/ ١/ ٦٣، ٦٤.

وفي ظل الأخبار التي تتحدث عن قيام أبي عمرو الشيباني (٩٤ - ٢٠٦هـ) بجمع وعمل "شعر نيف وثمانين قبيلة"[٥] ـ لا أستبعد أن يكون لـ(مزينة) نصيب من هذا العمل، وبخاصة إذا علمنا أنه ممن قاموا بشرح ديوان زهير المزني[٦].

كما أنني لا أستبعد أن يكون كتاب "أشعار القبائل" المنسوب لخالد بن كلثوم[٧]، الذي كان معاصراً لأبي عمرو بن العلاء (ت١٥٧هـ)، متضمناً شيئاً من أشعار المزنيين.

والأمر نفسه أستطيع الذهاب إليه بصدد كتاب "القبائل" المنسوب لأبي عمر الزاهد (ت٣٤٥هـ)[٨]، وغير ذلك من جهود أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٧/٢١٣هـ) وابن حبيب (ت٢٤٥هـ)[٩]، وسواهما ممن أدلى بدلوه في هذا المجال.

وإذا كان الضياع هو مصير ديوان القبيلة وكتاب نسبها وأخبارها، إضافة إلى بعض الكتب المتضمنة لبعض أشعارها ـ فإن ثلاثة شعراء من أعلام شعرها قد نجت أشعارهم، أو معظمها من براثن هذا الضياع. وهم زهير وابنه كعب ومعن

---

(٥) الفهرست، ٦٨، وفيات الأعيان ،١/ ٢٠٢، وجولد تسهير، دواوين القبائل، ترجمة، د/ حسين نصار، م. الثقافة، القاهرة، العدد (٦٣٢)، الاثنين ٦ من جمادى الأولى ١٣٧٠- ١٢ من شباط/ فبراير ١٩٥١م، ودراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ٢٧٨، ومصادر الشعر الجاهلي، ٥٤٧، ٥٤٨، وتاريخ التراث العربي ٢/ ١/ ٦١.

(٦) ديوان زهير بن أبي سُلمى، للمؤلف، مجلة عالم الكتب، الرياض، المجلد الرابع عشر، العدد الأول، رجب ـ شعبان ١٤١٣هـ - كانون الثاني - شباط/ يناير ـ فبراير ١٩٩٣م.

(٧) الفهرست، ٦٦، ودواوين القبائل، بعدد المجلة نفسه، ودراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ٢٧٦، وسزكين، ٢/ ١/ ٦٠.

(٨) الفهرست، ٧٦، وتاريخ التراث العربي، ٢/ ١/ ٦٥.

(٩) المؤتلف والمختلف، القدسي، ٧١, ٧٢, ١١٩, ١٢٠، ومعجم الأدباء، ١٩/ ١٦١.

ابن أوس، وهي أشعار وصلت إلينا مطبوعة محققة في دواوين، سوف أعرض للأخيرين منها في موضعهما من هذا الفصل إن شاء الله.

وإضافة إلى هذين الديوانين، قمتُ بجمع ما تيسر لي من أشعار غير صاحبيهما في الإسلام وتوثيقه، وأودعتُه في ملحق الشعر، وبعد مطالعتي أشعار الديوانين وأشعار ملحق الشعر، أمكنني تقسيم شعراء مزينة وشواعرها إلى الفئات التالية:

أ ـ شعراء مخضرمون، ويمثلهم كل من بجير وكعب ابني زهير، ومعن بن أوس، وخزاعى بن عبد نُهم، وبُسْر بن عصمة، والنعمان ونعيم ابني مقرن، وذي البجادين، وغيرهم.

ب ـ شعراء إسلاميون، ويمثلهم كل من المضرَّب بن كعب وابنه العوام، وعمارة بن عبد، وعبدالله بن عمرو بن أبي صبح، وخارجة بن فليح المللَي وأبي المعافى، ومكنف بن نميلة، وزينب بنت عرفطة، وغيرهم.

جـ ـ شعراء مجهولو العصر، ويمثلهم أوس والخنساء ابنا أبي سُلمى، ووبرة بنت زهير، والجعالي، والحاجب، وحسان بن الغدير وابن شهاب، وغزلان الثمامي، ومضرس بن قرطة، وغيرهم.

د ـ شعراء بغير شعر، ويمثلهم زهرة وعلي ابنا وهب وأبو البداح بن أبي المعافى، وسُلْمى أخت زهير، والحجاج بن ذي الرقيبة بن عبدالرحمن بن عقبة ابن كعب.

وسوف أكتفي، هنا، بدراسة موجزة لحياة كل من بجير وكعب ومعن والمضرب بن كعب والعوام، وعبدالله بن عمرو، وأبي المعافى، وزينب بنت عرفطة وخارجة المللي وأشعارهم من الفئتين الأولين، ثم أشير باقتضاب إلى الخنساء، وأوس، وعمرو بن رياح، وحسان بن الغدير ومضرس، ومكنف من الفئة الثالثة، مرجئاً الحديث عن غيرهم من الشعراء والشواعر إلى أماكنهم من ملحق الأعلام (ص ص ٤٩٥-٥١٢).

أولاً : شعراء مزينة المخضرمون :

أ - بجير بن زهير :

هو بجيـر بن زهير[1] بن أبي سُلْمى ربيعـة بن رِياح (بكسر الراء)[2]، ابن قرط (وقيل: قرة)[3] بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن هذمة ابن لاطم بن عثمان المزني[4].

وأكاد أظن أن تكنية كبشة بنت عَمَّار زوجة زهير بأم كعب[5]، تدل على أن بجيرا لم يكن أخا كعب من أمه، كما أن تكنية زهير بأبي بجير[6]، في إحدى الروايات قد تدل على أنه كان أكبر الأبناء عند زهير، أو أحبهم إلى أبيه.

---

(١) وانفـرد الآمدي في (المؤتلف والمخـتلف ص،٧٤، ٧٥) بقـوله، هو بجيـر بن أوس بن أبي سلمى، وقيل، بجير بن زهير.. ".

(٢) ومنهم من يصـحّفـه برباح.. انظر مـثلاً، المسـتـدرك، ٣/٥٧٨، ٥٧٩، وشرح الحـماسـة للتبريزي، القلم، ١/٤٠٥، وأسد الغابة، الشـعـب، ١/١٩٨، ومجمع الأمثال ،١/١٢٦، وتجريد أسـماء الصحـابة، ١/٤٤، ومعجم المؤلفـين، ٤/١٨٧، وفي شرح القصـائد السبع الطوال، ص: ٢٣٥، بالباء والياء معاً، وفي دائرة المعـارف الإسلامية (زهير)، "نُباح" وهو وهمٌ أيضاً. ومثله في المنازل والديار لابن منقذ، ص، ١٥٩، "رزاح".

(٣) طبقـات فحول الشعـراء، ١/٥١، والمؤتلف والمختلف، ١٥٧,٧٥,٧٤، وشرح مايقع فـيه التصحـيف والتحريف، ٢٦٥، وفي الجمهرة، ص: ١٥٣,٦٧، "ربيـعة بن رياح بن العوام ابن قرط.."، وفي نشوة الطرب، ١/٤٧١، "ابن الحارث بن مازن بن حارثة بن ثعلبة".

(٤) جمـهرة النسب، ٢٨٨، وشرح مـايقع فيه التـصحيف، ٢٦٥، وقـارن، الشعر والشـعراء، ١/١٤٣، والمعمرون والوصايا، ٨٣.

(٥) شـرح ديـوان زهـيـر، الهيـئـة، ص، ٣٢٦,٣١٣، وشرح شـعره، الآفـاق، ٢٢٩، ٢٣٩، ٢٥٠.

(٦) المزهر، ٢/٤٢٤.

وليس بين يدي من الروايات مـا يساعدني على تحـديد سنة ولادته، ولا ما يعـينني على دراسة مـلامح طفولتـه، أو يدل على أن أباه كان يدربه، ويثـقف لسانه على قرض الشعر، مثلما كان يفعل مع أخيه (كعب) وأخته (وبرة)، كما أشرتُ في غيـر موضع، وعلى رغم ذلك، فإنني أستطيع، قـياساً على ذلك، الذهاب إلى أنه كان يسمع شـعر أبيه وشعر غيـره من المزنيين، ويتناشدهما في بعض مجالســه وأسفاره، مما جعل قريحـته تتفتق عن قول الشـعر، وتنبثق عن جيده مبكراً. كـأخيه كعب، وهو شعر لم يتح لبجيـر من التدفق فيه، بما يمكنه من مزاحمة شهرة أبيه، ولا تدفق شاعرية أخيه، اللذين غطيا بتمكنهما في هذا الفن، على ما كان يهمس به بجير في رعيه لغنمه وإبله، وفي رحلات صيده، بالمناطق المجاورة للحـاجر وقدس والنقيع، واللوى وأبرق العـزاف، وغيرها من المراعي التي كانت قريبة من المدينة المنورة التي انتقل إليـها الشاعر بعد أن شرح الله صدره لنور الإسلام.

وقد أشرت(٧) إلى بعض ما كان يزاوله هو وبعض صحبه من الصيد، إضافة إلى ما كان يزاوله هو وأخوه كعب من رعي للغنم عند أبرق العزاف(٨).

وغير بعـيد عن أسماعنا مـا تتناقله الروايات المشيرة إلى إسـلامه هو وأخوه كعـب، والثابت من هذه الروايات أن بُـجيراً قد سبق أخاه، فـقدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فسمع منه، فأسلم، وحسن إسلامـه، وبلغ ذلك كعباً، فقال في ذلك أبياتاً، فكتب إليه (بُـجير): "إن كانت لك في نفسك حاجـة، فأقدم إلى رسول الله ﷺ، فـإنه لا يقتل أحـدا جاء تائبـاً" وأرسل مع الكتاب أبـياتاً

---

(٧) الفصل الأول من هذا الباب، ص: ٣٢.
(٨) الفصل الأول من هذا الباب، ص: ٣١.

شعـرية، وصلت إلينا بقايا مقطوعـتين أو قصيـدتين منها، إحداهمـا رائية[٩]، والأخرى ميمية[١٠]، وهو في هذه الأبيات يحض أخاه على المسـارعة بإعلان إسلامه، وترك الملة البـاطلة التي كان عليها أبوه وجده حـتى ينجو من العذاب في (سقر)، إذا هو انضوى تحت لواء النبي ﷺ.

ونسب ابن شهرا شوب (ت٥٨٨هـ) لبجيـر قوله في مدح النبي عليه الصلاة والسلام[١١]:

أتانـا نبيٌ بـعـــد يأس وفـــتـــرة	منَ الله والأوثانُ فـي الأرض تُعْـبَـد
وشق لـه من اســـمـــه لجـــلاله	فذو الـعرش مـحمود وهـذا محـمد
وأشـــركـــه في ذكـــره جل ذكـــره	تخلـد في الجنات فـــيـــمن يـخلد
أغـــــرُّ عليـــه لـلنبـــوة خـــاتم	من الله مـــشـهـود يلوح ويشـــهـد

ثم أورد في مـوضع آخـر من كتـابه، بيـتين من هذه الأبيـات، باختـلاف طفيف، منسوبين لحسان بن ثابت الأنصـاري، وهما ـ مع البيت الرابع ـ لحسان في ديوانه، إضافة إلى بعض المصادر الأخرى.

وإن صحت نسـبة هذه الأبيات، أو بعضهـا، لبجير، جـاز لنا أن نعده من شعراء النبي، عليـه الصلاة والسلام، الذين وقفوا ينهلون من فيـوض عظمته، مايعلون به من مكانته في قلوب تابعيه، ويحفز خصومه إلى الاهتداء بنوره.

وقـريب من أمـر هذا الخلط، ما وقـع فيـه كل من (الأحـول) و(السكري) شارحي ديوان (كعب)، بنسبتهما الأبيات الفائية التي أنشدها بجير يوم فتح مكة (رمضان٨هـ) إلى أخيه كعب[١٢]، وهو وهمٌ تبعهما فيه صاحبا طبعتي الديوان

---

(٩) ملحق الشعر، ص: ٥٠٨.

(١٠) ملحق الشعر، ص: ٥١٣ ـ ٥١٤.

(١١) ملحق الشعر، ص: ٥١٦.

(١٢) ملحق الشعر، ص: ٥٠٩ ـ ٥١١.

الأخيرتين خطأ، مُرتباً ذلك على أن كعباً أسلم وأنشد هذه القصيدة قبل الفتح[13]، وهو الحديث الذي يجمع على نفيه كلٌّ ما بين يدي من المصادر.

وأبعد من هذا الوهم خطراً ما ذهب إليه صديقي الزميل عثمان الغزالي[14]، نقلاً عن الآلوسي[15]، من أن (بجيراً) هذا عاش حتى شهد مراحل اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم، وما نتج عن هذا الاختلاط الحضاري من نتائج، كان منها قيام حملات الشعوبية، فقال شعراً يعير فيه العرب باختلافهم في النسب، واستلحاقهم للأدعياء، متشرفاً بملوك الأكاسرة، منه قوله:

زعمتم بأن الهِنْدَ أولادُ خِنْدِفٍ	وبينكم قُربى وبين البرابر
وديلمُ من نسل ابن ضبة باسل	وبرحان من أولاد عمرو بن عامر
فقد صار كل الناس أولادَ واحد	وصاروا سواء في أصول العناصر
بنو الأصفر الأملاك أكرم منكمُ	وأولى بقربانا ملوكُ الأكاسرِ

ولستُ أملك من الروايات أو الشواهد أو الأخبار ما يؤيد هذا المذهب، وأرى من الشواهد ما يدحضُه، إذ كان لهذا الشاعر نسبه الصريح غير المشكوك فيه، مع مانعلمه من صحة إسلامه وبلائه في الله أحسن البلاء، لذا فإنني أنفي نسبة هذه الأبيات وما يتممها لبجير بن زهير، ذاهباً إلى أنها ربما كانت لشاعر آخر يُدعى (بُجيرا)، ممن انحدروا من أصول أعجمية، وعاشوا في أواخر عصر بني أمية وأوائل ما بعده.

وعلى رغم صمت الأخبار عن متابعة سيرة هذا الشاعر، وعدم كشفها

(١٣) ديوان كعب، بيروت، ٥٢ (حاشية)، والشواف، ٣٨،٣٧، وانظر أيضاً: وحدة القصيدة في الشعر العربي، ص: ١٣٧.

(١٤) شعر بني مزينة في الجاهلية، ١١١، ر.م، بمكتبة جامعة الزقازيق (١٢٤٣/١/٨١١).

(١٥) بلوغ الأرب، ١٦٨/١.

النقاب عن أسرته، وزوجه، وأبنائه، فنحن نحظى بإشارات موجزة عن شرف انضمامه إلى كتائب الإسلام وألويته، مشاركاً مع قومه، في غزوة خيبر(١٦)، وفتح مكة(١٧)، وغزوة الطائف وغزوة هوازن(١٨)، وقال في كل ذلك شعرا، يتوزع، إضافة إلى ماسبقت الإشارة إليه، على قوافي الدال والقاف والنون.

والظاهر من صمت المصادر عن مشاركته في حروب الردة وماتلاها من فتوحات إسلامية بشتى الأمصار، أن بجيرا قد انتقل إلى جوار ربه في أواخر عهد النبي ﷺ بالمدينة المنورة (١١هـ)، دون أن يكون له عقب يحملون اسمه من بعده.

ومابين أيدينا من أشعاره، مما صحت نسبته إليه، مما أنشده بعد إسلامه فقط، وهي على تعداد قوافيها، مقطعات متناثرة، أطول مقطوعة فيها لا تتجاوز الثلاثة عشر بيتاً، ويبدو من موضوعات هذه الأشعار أن أكثرها كان بقايا قصائد ضاع بعض أبياتها من ذاكرة التاريخ، وربما ذهب ظني إلى أنه أنشد بعض هذه الأشعار الضائعة في جاهليته، ثم تبرأ منها هو أو غيره من الرواة، بعد أن شرفه الله بالإسلام.

---

(١٦) الأغاني، الشعب، ١٨/ ٦٣٦٧.

(١٧) طبقات فحول الشعراء، ١/ ١١٠، والسيرة لابن هشام، ٤/ ٥١, ٥٢، والأغاني، نفسه، ١٨/ ٦٣٦٧، والروض الأنف، ٤/ ١٠٨، والسيرة لابن كثير، ٣/ ٥٨٩-٥٦٠، والإصابة، الكليات، ١/ ٢٢٨.

(١٨) السيرة لابن هشام، ٤/ ٩٧، ٩٨، ولابن كثير، ٣/ ٦٦٤، وجوامع السيرة، ٢٤٤، والروض ، ٤/ ١٥١, ١٥٢، والاستيعاب، ١/ ١٤٩، وتجريد أسماء الصحابة، ١/ ٤٤، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، ص: ٥٧.

ب - كعب بن زهير :

١ - حياته وشعره :

هو أبو المضرب[١] كعب بن زهير، من زوجته الغطفانية أم كعب كبشة بنت عمار الغطفانية، كان أحد كبار الشعراء المخضرمين، فحظي باهتمام بالغ من كثير من الرواة والعلماء، والباحثين القدامى والمحدثين[٢]، وعلى رغم هذا الاهتمام يشعر الدارس بافتقاره إلى روايات تساعد على تحديد سنة ولادته، وتكشف عن ملامح واضحة من سني طفولته وصباه.

والظاهر، من بعض الشواهد، أنه وُلد قبل الإسلام بنحو من ثلاثين عاماً، في أحد المنازل التي كان يقطنها قومه، قريباً من المدينة المنورة، فنشأ على سليقة شعرية متوارثة، دفعته إلى قرض الشعر حادياً في وقت مبكر من صباه، مما دفع أباه إلى نهيه عنه، "مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فيروَى له ما لا خير فيه.."[٣]، غير أنه، بمرور الأيام، أخذ ينشئه ويروض سليقته الفنية بما يشبه المطارحات الشعرية، ويحثه على حفظ بعض روائع شعره، مما ساعد على تنمية موهبته وخروجها إلى آفاق رحبة، منذ نهايات العصر الجاهلي.

ومر بنا أنه كان يعمل في مهنتي الرعي والصيد، وأن امرأته كانت غطفانية ذات حسب وشرف[٤]... ويؤخذ من إشارات بعض الرواة أنه كان يمتلك فرساً من أجود خيل العرب وقتذاك، يقال له (الكميت)[٥]، وقد كان هذا الفرس،

(١) كنى الشعراء، نوادر المخطوطات، ١/ ٢٨٩، وسمط اللآلىء، ١/ ٤٢١، والمزهر، ٢/ ٤٢٥.

(٢) انظر بشيء من التفصيل، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين، ص: ٢٩٦, ٢٩٧.

(٣) شرح شعر زهير، الهيئة، ٢٥٦ - ٢٥٩، الآفاق، ١٨٣-١٨٦، وصعوداء، ٤٩-٥٠، والأغاني، الشعب، ١٨/ ٦٣٥٩-٦٣٦١، وبدائع البدائه، ١٨٨-١٩٠، وتهذيب تاريخ دمشق، ٥/ ٤٣٠-٤٣١.

(٤) ذيل الأمالي، الآفاق، ٢٤.

(٥) ذيل الآمالي، ٢٤, ٢٥ وديوان كعب، قراقو، ٧١، والقاهرة، ١٢٦، والأحول، ٦٥.

فيما يبدو، معيناً له على ماعرف عنه في سني شبابه الفتيّ، وهو يجوب الصحراء، بثقة واقتدار، مصاحباً بعض الرفاق الذين يذهبون معه إلى الصيد، هواة أو محترفين، مبكرين، عند واد يسمى (رهمان)، ثم يعودون مساء، والنشوة تملأ أعطافهم؛ فيسهرون على الغناء والشراب وترديد بعض الأشعار، مما عاد عليه وعلى أسرته بآثار سيئة، وخاصة في أحواله المالية التي أصابها، مع تقدم سنه، شيء من الإقتار والفقر، إذ صار محدوداً لا يثمر له مال[٦]، وهو الأمر الذي أصابه بإحساس عميق من الحزن والأسى، جعله يندب حظه في هذه الدنيا [٧]، وأخذت ابنتُه البائسة تحضه على مغادرة هذا المكان الذي جر عليهم ويلات هذا الفقر الممض، غير أنه ما فتئ يتعلل لها، بأنه يذهب مع عصابته إلى الصيد، قريباً من هذه البقعة التي يقطنون بها[٨]، مما أدى بزوجته إلى ملاحقته، بين الحين والآخر، بوابل لا ينقطع، من سهام العتاب والملاحاة والتوبيخ والسخرية، يدفعها ما تعيش به، هي وبنوها، من شظف العيش وقلة المؤونة على مواجهة أعباء الحياة، وهو يلجأ، بمحاولات يائسة إلى غرس بذور الصبر والتسلية في قلبها وروحها، آخذاً في تذكيرها بسني شبابه الأولى التي كان فيها مثالا حياً نابضاً بالفتوة العربية كما عرفها عصره.

وإلى جانب هذه الملاحيات الزوجية التي يزخر بها ديوانه[٩]، تطالعنا أخبار مشفوعة ببعض الأشعار تشير إلى اشتراكه في كثير من المعارك الشعرية مع كل

---

(٦) ديوانه، قراقو، ٧١، ٨٦، والقاهرة، ٢٧, ٥٣، والأحول، ٢٤.

(٧) المصدر نفسه، قراقو، ١٣١-١٣٢، والقاهرة، ٢٢٧.

(٨) المصدر السابق، قراقو، ١٣٤، والقاهرة، ٢٣١, ٢٣٢، والأحول، ٧٩, ٨٠.

(٩) ديوانه، القاهرة، ٤١, ٤٢, ٧٠, ٧٢, ١٥٣, ١٥٤, ٢١٣, ٢١٥, ٢٢٨.

من (مزرّد) الغطفاني[١٠]، و(زيد) الخيل الطائي[١١]، إضافة إلى مشاركته، بشعره، في بعض المعارك التي خاضها قومه ضد خصومهم، دائباً على التنويه بالنصر الذي يحرزونه على أعدائهم، كما فعل بداليته التي وصف بها معركة "مكروثاء" ضد بني جحاش[١٢]، أو يسلك وجهة أخرى، مسخِّراً شعره للتحريض على الأخذ بثأر بعض قتلاهم، كما نطالع في نونيته التي توجه بها إلى آل بهثة[١٣]، ونونيته الأخرى التي حث فيها على الأخذ بثأر ربيعة بن مكدم[١٤]، أو يكتفي بإطلاق زفراته الحارة حقدا على الأعداء، وهو يتوجه بالرثاء لبعض قتلى قومه، مظهراً بعض ما كان لهم من صفات نبيلة في أهليهم، كما نرى في واويته التي رثى بها (جُؤياً) المزني الذي قتله الخزرجيون في بعض أيام (بعاث)[١٥].

كما وصلت إلينا بعض الأخبار التي تدل على مشاركته مع شعراء المشركين واليهود في هجاء المسلمين، ومن ذلك كافيته التي هجا فيها أخاه بجيرا، وعرض بدينه الذي أنعم الله عليه به مخالفاً سُنة آبائه[١٦]، إضافة إلى ما ذكر - وإن لم يعضد بأشعار - من أمر تشبيبه بنساء المسلمين، وفي مقدمتهن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها[١٧]، مما دفع النبي ﷺ إلى إهدار دمه، كغيره من شعراء عصره المناوئين لدعوته، والمتعرضين لأهله بالسوء والبهتان، فكان

(١٠) المصدر نفسه، قراقو، ٢٨-٤٣، والقاهرة، ٦١-٦٩، والأحول، ١٠-١٢.

(١١) ديوانه، الأحول، ٦٢-٦٤.

(١٢) المصدر نفسه، ٧٨.

(١٣) نفسه، ٢٠٧، والقاهرة، ٢٠٧ ،

(١٤) فائت الأحول، ٩٦، وديوانه، القاهرة، ٢٢٩-٢٣١.

(١٥) ديوانه، قراقو، ١٢٠، ١٢١، والقاهرة، ٢١١، ٢١٢.

(١٦) المصدر نفسه، قراقو، ص: ١، والقاهرة، ٣، ٤، والأحول، ١، ٢، وإسلام كعب، ص: ٨٠.

(١٧) الكامل في التاريخ، ٢/١٨٩، وإمتاع الأسماع، ١/٤٩٤.

ذلك الإهدار مثيـرًا لشفقة أخيـه بجير الذي أسلم قبله، فكتب إليـه؛ يخبره بما أصبح يتهدده من مصير مشؤوم، إذا هو لم يبادر باعتناق الإسلام، ويعلن توبته النصوح عن كل ما اجترمه لسانه في حقوق الإسلام، وأعراض المسلمين، وهي رسالة غرست في أعماق كعب الخوف والقلق والتوجس، مما قد ينتظره في غده القريب، ومـاهي إلا أيام قلائل حـتى شرح الله صـدره لنوره، فجـعل يتهـيأ لإعلانه، فـأعد لاميتـه الشهيـرة، وذهب بها إلى النبي ﷺ بالمدينة معـتذراً له ولصحـبه، مسبـغاً عليهم أسنى آيات مديـحه وثنائه، فلما فاز بصـفح الرسول عنه، ونال جائزته السنية، وظفـر باستحسان صحابتـه من حوله، ذهب يحدوه شعور فيـاض بالثقة واليقين، مرتحلاً إلى قومـه، يدعوهم إلى الله تعالى[١٨]، وهي الأعمال التي ربما دعت عبدالقاهر الجرجاني إلى القول عنه إنه كان "ثالث ثلاثة وقفـوا إلى جانب الرسول ﷺ يمدحـونه ويسمع منهم، ويصـغي إليهم، ويأمرهم بالرد على المشركين.."[١٩].

وتقع هذه المقولة إضـافة إلى بعض الشواهد الأخرى، أمـام مخيلة الدارس توقعاً بمـا يمكن أن يكون هذا الشاعر قد أنشـده من أشعار أخرى، مـدافعاً عن الإسلام والمسلمين، وعـاملاً على نشـر الدين الحنيف وقيمـه، ومشيـداً بفضل الصـحابة، وآل البـيت النبـوي، بمدائح، لم يصل إلينا منهـا سوى قـافيـتين، أولاهما: رائية من ثمانية وعشرين بيـتاً، رواها ابن ميمون (ت ٥٩٧هـ) خامسة خمس قصـائد لكعب، وصدرها بقوله[٢٠]: "وقال كعب يمدح أمـير المؤمنين علياً عليـه السلام، وكانت بنو أمـية تنهى عن روايتها، وإضـافتها إلى شـعره،

---

(١٨) ديوانه، قراقو، ٦١, ٦٢، والقاهرة، ١١٢, ١١٣، والأحول، ٥٢-٥٧.

(١٩) دلائل الإعجاز، م صبيح، ٢٧.

(٢٠) منتهى الطلب من أشعار العرب، خ، ٩/١، وط فرانكفورت، ص، ١٨/١, ١٩.

وأنشـدنيـها ابن خطاب صـاحب الخبـر، وكان أديبـاً من غلمـان أبي زكـريا التـبريزي . . "، في الوقت الذي رُويتْ بعـض أبيات منهـا في بعض مؤلفـات الزمخشـري (ت٥٣٨هـ)، وابن شهراشوب (ت٥٨٨هـ)، وغـيرهما[٢١]، وهي القصـيدة التي أخـذت بأيدي بعض المحقـقين إلى عدّ هذا الشـاعر من شـعراء الشيعة المـقتصدين[٢٢]، على رغم شك بعض الباحـثين في صحتـها ونسبتـها له[٢٣]، وهو شك على جانب من الصحة، إذا تعـللنا بعدم روايتها في أي من المصادر المتقدمة، قبل كتاب "منتـهى الطلب"، مهما كان العذر الذي أشار إليه مؤلفه، أو أخذنا بوقوع (الإقواء) ببعض أبيات هذه الرائية، وهو ضرورة شعرية قل أن يقع فيها، أو يلجأ إليها، من كان تابعاً لمدرسة زهير الشعرية.

بيـد أنني لا أطلق الحكـم في شأن هـذا الشك إطلاقـاً، لأنني لا أرى من الموانع التي تجعل كعباً هذا من المتشـيعين للإمام علي وآل بيته رضي الله عنهم، في ظل ما أشرتُ إليه، في الفصل السابق، من ميل عدد غير قليل من المزنيين، صـحـابة وتابعين، وتابعي تابـعين، إلى آل البـيت النبـوي الكريم، ومناصـرة دعوتهم والمطالبة بحقوقهم في الخـلافة وما اتصل بها من شؤون، والوقوف في مواجهة خصومهم، في أكثر من مـيدان، وفي أكثر من موقعة. . . لذا فإنني لا أنفي صحة نسبة هذه القصيدة لكعب بقدر ما أتحفظ قليلاً في قبولها حتى يتيسر لنا ما يعضد روايتها ببعض المصادر الأقدم من "منتهى الطلب".

---

(٢١) ربيع الأبـرار، ٤/ ٢٧٥، ومناقب آل أبي طالـب، ٢/ ١٨١، وشـرح المـواهب اللدنيـة، الأزهرية، ١/ ٢٤٢.

(٢٢) مـعالم العلمـاء، ١٥٠، والذريعـة، ٩/ ٣/ ٩١٢، وأعيـان الشيـعة، ١/ ١٦٧، وتأسـيس الشيعة، ١٨٥، وأصل الشيعة وأصولها، ٢٩.

(٢٣) الشعراء المخـضرمون بين الجاهلية والإسلام، رسـالة ماجستيـر من إعداد/ هنية الكاديكي، بآداب عين شمس، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، (٢/ ٨١١ هـ.ع / ١٥٢٩).

أما القافية الثانية فدالية من بيتين نص البيهقيُّ ـ الذي كان حياً سنة (٣٠٠هـ) ـ على كونها لكعب في مدح الإمام الحسين (ش/ ٦١هـ)، بينما رواهما ابن شهراشوب، وصدرهما بقوله: سمع أبو الحباب الكلبي من نوح الجن على الحسين عليه السلام(٢٤)، ويبدو أن ذلك كان وراء اعتقاد الأستاذ (الميمني) بأنهما محمولان على كعب"(٢٥)، وهو اعتقاد علَّله صاحب مطبوعة بيروت من (ديوان كعب) باختلافهما عن أشعاره، "إنْ من حيث البعد عن الغرابة، أو رشاقة الوزن"(٢٦)، وهذا تعليل يفتقر إلى الموضوعية؛ لأنه يستند إلى التعميم المخل بحقيقة الأمر، فما كل شعر كعب بغريب، حتى لتلازمه هذه السمة، ولا تفارقه في موضع من مواضعه، ولا كل أوزانه التي بين أيدينا من أشعاره غير رشيقة، إذا جاز لنا استخدام هذا المصطلح.

على أن إدراك سمتي الغرابة والرشاقة أمر نسبي لا يكاد يُتَّفَق عليه تمام الاتفاق، لذا فإنني لا آخذ بهذا التعليل في نفي صحة هذين البيتين.

وتدل رواية البيهقي، إنْ صَحّتْ، على أن ثمة أشعارا ربما ضاعت مما كان تمة لهذين البيتين، كما تشير إلى امتداد تعلق كعب بآل أبي طالب، متعرضاً في سبيل ذلك إلى بعض العنت من خصومهم، مما اضطره فيما يبدو، إلى محاولة التمويه على بعض هؤلاء الخصوم بأن ماينشده في آل البيت رضي الله عنهم إنما هو من إنشاد الجن.

وعلى فرض كون هذين البيتين لكعب في مدح الإمام الحسين رضي الله عنه، فإنني أتوقع أن يكون ذلك قد تم عندما تألق نجمُ هذا الإمام، بعيد وفاة أخيه الحسن رضي الله عنه عام (٤٩هـ) وهذا التوقع يجوّز لي الذهاب إلى أن

---

(٢٤) مناقب آل أبي طالب، جـ ٣ ص: ٣٩٠.

(٢٥) ديوان كعب للأحول، الفائت، ص: ٨٥.

(٢٦) ديوان كعب، بيروت، ص: ١٨ (حاشية).

هذا الشاعر قد تقدمت به السن إلى مابعد هذا التاريخ، مخالفاً آراءَ بعض الباحثين التي راحت تحدده من قبل من دون دليل ثابت، سواء في سنة (٢٤هـ)[٢٧]، أو (٢٦هـ)[٢٨]، أو (٤٢هـ)[٢٩]، أو (٤٥هـ)[٣٠].

وربما كان أقرب هذه الآراء إلى الصواب هو ماحدده الأستاذ فؤاد سيد[٣١]، بذهابه إلى أنه توفي سنة (٥٠هـ)، بدليل الرواية المتواترة عن محاولات معاوية ابن أبي سفيان (ت٦٠هـ)، شراء البردة التي وهبها النبي ﷺ كعباً جائزة له على لاميته المعروفة ببانت سعاد، وكعب يقول لمعاوية: ما كنتُ لأوثرَ بثوب رسول الله ﷺ أحداً، فلما مات، بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألف درهم؛ فأخذها منهم[٣٢].

فالظاهر أن معاوية لم يفكر في شراء هذه البردة، إلا بعد أن تولى مقاليد الحكم، بعد استشهاد الإمام علي رضي الله عنه سنة (٤٠هـ)، وقد مات كعب، بنص الرواية، ومعاوية على رأس السلطة، فنال مأربه الذي لم يتيسر له من قبل في حياة هذا الشاعر، لذا فإنني أرجح أن تكون منية كعب قد وافته قريباً من منازل قومه بالمدينة، أو الكوفة، معقل الإمام علي وآل بيته من بعد، بين سنتي (٥٠) و (٦٠) بعد الهجرة، مخلفاً ابناً كني به، وهو (عقبة)، وابنة تدعى (سلمى).

---

(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية، ١/ ٦٢، والزيات، تاريخ الأدب العربي، ١٤٦، والفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ٢٢٣، ومعجم الشعراء في لسان العرب، ٢٩٦.

(٢٨) الذريعة، ٩/ ٣/ ٩١٢، والأعلام، ٦/ ٨١، ومعجم المؤلفين، ٨/ ١٤٤.

(٢٩) أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ص، ٢٣٠.

(٣٠) أعيان الشيعة، ١/ ١٦٧.

(٣١) فهرست المخطوطات بدار الكتب المصرية من سنة ١٩٣٦-١٩٥٥م ١, ٣٣٥.

(٣٢) طبقات فحول الشعراء، ١/ ١٠٢، والكامل في التاريخ، ٢/ ١٨٩، وتاريخ الخميس، ٢/ ١٨٩.

وسوف أشير في هذا الفصل إلى شيء مما تيسر لنا عن (عُقبة).

غير أن افتقاري إلى مزيد من الروايات والأخبار التي تتناول جوانب حيوية من حياة كعب وشعره، أدى إلى شعوري بصعوبة التمييز الصارم بين شعره الذي أنشده في جاهليته، وشعره الآخر الذي قرضه بعد أن شرح الله صدره لنعمة الإسلام، وقد ألجأني هذا الشعور إلى الاحتكام إلى بعض الشواهد، التي قد تساعد على اجتياز هذه العقبة، ولو بصورة نسبية مؤقتة قريبة من الصواب.

ويبدو من هذه الشواهد أن قسمه الذي ترنم به أولاً، إنما يتمثل في رائيته التي أنشدها، حادياً في بدايات حياته الأدبية[٣٣]، هي وبعض الأبيات القافية التي تبادلها مع أبيه في مطارحاتهما الشعرية، وبعض القصائد التي نص بعض الرواة على اضطراب نسبتها بين كعب وأبيه [٣٤]، وكل من كافيّته التي أرسلها إلى أخيه (بجير) يعاتبه على مخالفته لدين آبائه [٣٥]، ونونيته التي رثى بها (ربيعة بن مكدم)، وحض على الأخذ بثأره [٣٦]، وواويته التي رثى بها (جؤيا المزنيّ)، أحد قتلى (بعاث)[٣٧]، ولاميته التي رثى بها رجلاً آخر من قومه قتلته (الأوس) و(الخزرج) في حروبهم الجاهلية[٣٨]، وبائيته التي رثى بها (أبيا)[٣٩]،

---

(٣٣) ملحق الشعر ص: ٥٢٧ (بيت واحد).

(٣٤) ديوان زهير، الهيئة، ٣٣٠، ٢٥٧، ٢٤٥، ٢٥٢.

(٣٥) ديوانه، قراقو، ص: ١، والقاهرة، ٣,٤، والأحول، ١,٢.

(٣٦) فائت الأحول، ص: ٩٦، وديوانه القاهرة، ٢٢٩-٢٣١.

(٣٧) ديوانه، قراقو، ١٣٥، والقاهرة، ٢٠٩-٢١١، وحماسة أبي تمام، عسيلان، ١/ ٤٨٥.

(٣٨) الديوان، قراقو: ١١٢,١١٣، والقاهرة، ٢٠٢,٢٠٦، والأحول، ٦٠-٦٢.

(٣٩) حماسة أبي تمام، عسيلان، ١/ ٤٩٥، والفارسي ، الورقتان ٩١-٩٢، وأبي الفتوح ٦٨، والكامل في اللغة والأدب، ٤/ ٣١ ، ومعجم ماستعجم، ٣/٧٥٣، ومعجم البلدان، ٣/ ٢٤٥.

ونونيته التي حرض بها (آل بهثة) على الاستعداد لنصرة قومه في غاراتهم على بعض خصومهم(٤٠)، وداليته التي وصف بها إحدى غارات قومه على بني (جحاش) في (مكروشاء)(٤١)، ومقصورته التي أشار فيها إلى جانب من قصة خروج أخيه (بجير) مع (الحطيئة) وبعض البدريين للصيد واحتجازهم من قِبل (زيد الخيل)(٤٢)، وبائيته التي وقف في مطلعها على الأطلال، وحَنَّ إلى سلمى، وذكر في أثنائها قوله(٤٣):

وبالعفو وصَّاني أبي وَعشيرتي وبالدّفع عنها في أمورٍ تريبُها

فالظاهر من إسناد الوصية لأبيه وعشيرته، أن الشاعر أنشد هذه القصيدة في جاهليته، وإلا فقد كان حَرياً به ـ لو كان أنشدها بعد إسلامه ـ أن يترجم بفيض من عقيدته الجديدة، بعض ما يحث عليه الدين الحنيف من قيم رشيدة، ويسندها إلى هذا (الدين) وإلى المتفضل به.

وقريب من روح هذه القصائد والمقطعات الجاهلية ما أشعر به تجاه رائيته التي استهلها بقوله(٤٤):

أبت ذِكرة من حُب ليلى تَعُودني عِيادَ أخي الحُمَّى إذا قلتُ أقصرا

ونونيته التي بدأها بقوله:

أمن دمنة الدّار أقْوَتْ سنينا بكيْتَ فَظَلْتَ كئيباً حزينا(٤٥)

---

(٤٠) ديوانه، القاهرة، ٢٠٧.

(٤١) ديوانه، الأحول، ٧٨.

(٤٢) ديوانه، الأحول، ٦٢, ٦٣، وقراقو، ٧٢-٧٤، والقاهرة، ١٢٧-١٣١.

(٤٣) المصدر نفسه، قراقو، ١١٧, ١١٨، والقاهرة، ٢٠٨-٢٠٩.

(٤٤) نفسه، قراقو، ٦٨-٧٠، والقاهرة، ١٢٢-١٢٥.

(٤٥) ديوانه، قراقو، ٥٦-٦١، والقاهرة، ٩٩-١١١.

فحديث الشاعر المسهب عن الأطلال، ورحلات صيده بهذه الطريقة يجعلني أميل إلى أن الشاعر ربما أنشدهما في شبابه، كما أن إشاراته إلى "البلية" بكل مدلولاتها الجاهلية في رائيته التي يستهلها بقوله(٤٦):

ألِمَّا على رَبْعٍ بذات المزاهرِ مقيمٍ كأخلاق العباءةِ داثرِ

تساعد على وضعها في ذيل هذا القسم من أشعاره.

وفي الجهة المقابلة نتابع ماوصل إلينا من أشعاره التي أنشدها بُعَيْدَ إسلامه، ابتداء من لاميته الشهيرة، ومابتعها من رائية الأنصار، وعينية الدعوة، ورائية الإمام علي، ودالية ابنه الحسين رضي الله عنهما، وانتهاء بقصائده ومقطعاته التي يدل مضمونها وشكلها على تأثره بنفحات الإسلام، إضافة إلى قصائده الحرّى التي يصور فيها بعض إحساسه بالمشيب وآثاره في حياته العائلية(٤٧).

وبين هذين القسمين يشعر الدارس بالحيرة أمام بعض قصائده ومقطعاته، التي لم تتوافر لي الشواهد على إمكان وضعها في أي منهما، وسوف أسمي هذا القسم: "المجهول العصر" ومن أشعاره: ميميته المكونة من ثلاثة وأربعين بيتاً (٤٨)، وفائيته المشتملة على اثنين وعشرين بيتا(٤٩)، وبعض المقطعات كعينيته التي وصل إلينا بيتان منها في وصف الدرع (٥٠)، ولاميته المدحية المكونة من

---

(٤٦) نفسه، قراقو، ١٠٢-١٠٦، والقاهرة، ١٨٥-١٨٩.

(٤٧) المصدر السابق، قراقو، ص، ٢٥, ٤٣-٤٤، ٧٢، ٨٥-٨٨، ١٢١-١٢٢، ١٣٣، والأحول، ١٧, ٢٤-٢٥، ٣٥-٣٦، ٤٢-٤٣، ٦٢-٦٣، ٧٠، والقاهرة ، ٤١-٤٢، ٧٠-٧٢، ١٥٣-١٥٤، ٢١٣-٢١٥ ، ٢٢٨.

(٤٨) ديوانه، قراقو، ٧٦-٨٥، والقاهرة ، ١٣٦-١٥٢، والأحول، ٥١-٥٧.

(٤٩) المصدر نفسه، قراقو، ٦٢-٦٨، والقاهرة، ١١٣-١٢٢ ، والأحول، ٤٧-٥١.

(٥٠) ديوان المعاني، ٢/ ٦٢.

أربعة أبيات[٥١] ويائيته المشتملة على ثلاثة أبيات[٥٢]، وبعض الأبيات المتفرقة في الحكم والأمثال والوصف[٥٣].

---

(٥١) الحماسة البصرية، بيروت، ٢/ ١٧٦، وحماسة الخالدين، ٢/ ٢٥٨.

(٥٢) المعاني الكبير، ١/ ٤٧٠، وملحق الشعر، ص: ٥٣٧.

(٥٣) ملحق الشعر، ص: ٥٢٤ - ٥٢٥، ٥٣٣، ٥٣٦، واللسان (شغف) ومقاييس اللغة، (ظعن).

٢ ـ ديوانـــــــه :

وصل إلينا ديوان كعب مشـروحاً من قِبَل أبي العباس محـمد بن الحسن بن دينار الأحول (؟) والحسن بن الحسين بن عـبيدالله السكري (ت٢٧٥هـ) والأول أقدمهما، وأكـثرهُما شهرة .. وقد وقف عليه الأستاذ عـبدالعزيز الميمني، في رحلته إلى (استانبـول) بكتبخانة أسعد أفندي، من مكتبـات (السليمانية)، برقم (٢٧٤٩) ووصفه بـأنه بقطع الثمن الصغيـرة في (١٢١) ورقة، والمسطرة (١١) سطرا وجلُّه مصحَّف، ومحرف للغاية، على أنه عاطل من النقط والشكل، إلا فيمـا لايهم، رديء بالمرة، وكانت كراسة منه مـقلوبة مظلومة"، فوضـعها في محلها، وهذب بعض الشـروح والتفاسير التي رأى الـقارئ في غنى عنها، من غيـر أن يحـمل على الشارح شـيئـاً، لم يقله، وحذف شـرح "بانت سـعاد" جملة، وقيـد صفحات الأصل على الهامش، وأشـار إلى بعض مراسلاته، مع صديقه (سالم الكرنكوي)، بصدد تبـادل الصور من هذا الشرح، ثم قام بإجراء مقـارنة بين رواية (الأحول) ورواية (السكري) لـهذا الشعـر، وعمل فـهرست ديوان كعب صنع (الأحول)، بادئاً بقوافي شعر غيـره، مُثنِّيا بقوافيه، مقرراً أنه انتـهى من عـمله في (عليـكرة) بالهند، في الثـامن من شـبـاط/ فـبـراير سنة ١٩٣٨م[١].

وقد تيسر لي الحصـول على صورة من هذا العمل المخطوط، والمحفوظ بدار الكتب المصرية رقم (١٥٢٢٣ ز)، وسـوف أرمز له عند استخـدامي له بقولي: "ديوان كعب، الأحول".

---

(١) ديوان كعب، الأحول، المقدمة.

ومجموع أبيات هذا الشرح، باستثناء ما لم يتيسر لي الاطلاع عليه، حتى الآن، من شرح (بانت سعاد)، يصل إلى (٤٧٤) بيتاً، في (٢٥) قصيدة ومقطوعة، بعد أن قسم (الميمني) النونية التي استهلها كعب بقوله[٢]:

بكرتْ عليَّ بسحرة تلحاني وكفى بها جهلاً وطيش لسانِ

اثنتين، إضافة إلى ستة وعشرين بيتاً لغير كعب، تتقدمها ميمية (بجير) التي وردت في صدر الديوان، وفائيته التي وهم الشارح أو الناسخ فنسبها لكعب[٣]. ومقصورة (زيد الخيل) المكونة من ثمانية أبيات[٤]، ولامية (الحطيئة) المشتملة على أربعة أبيات[٥]، منفرداً بقافيتين (لكعب) إحداهما يائية من خمسة أبيات[٦] وثانيتهما دالية في ثمانية أبيات[٧].

وتحتل هذه الأشعار الصفحات من (١-٨١)، مستهلة بنسب كعب، وقصة إسلامه ومهاجاته الشعر مع أخيه بجير، فإثبات رائية الأنصار، فميمية كعب في الرد على (مزرد) الغطفاني، فالقافية...... وتنتهي بفائية بجير المنسوبة، خطأً، لكعب.

وفي النصف الثاني من الصفحة الأخيرة يطالعنا القول: "تمَّ شعر كعب بن زهير إملاء محمد بن الحسن الوراق، والحمد لله أهل كل حمد ومستحق كل شكر، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم/ وجدت على ظهر هذه النسخة التي نقلت منها ما مثاله: أنشدني أبو رياش رضي الله عنه،لكعب: (لقد ولى أليته جوى).. (الستة أبيات)، وكان فراغي من هذه النسخة يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة... انتهى.

---

(٢) نفسه، ٤٢-٤٦.

(٣) نفسه، ٨٠، ٨١.

(٤) الديوان، ٦٤-٦٥.

(٥) ديوان كعب، الأحول، ٦٥,٦٦.

(٦) نفسه، ٨٠.

(٧) نفسه، ٧٨.

يقول (الميمني): وفـرغتُ أنا من هذا باستانبول ٢٩ سلخ ذي الحـجة الحرام ١٣٥٥هـ/ ٢٣ مارس ١٩٣٩م، في ظرف أسبوع، ثم تم معارضة الديوان، بعد ذلك، بيومين، ثم نقـحتُه وعلقتُ عليـه في أسبوعين بعليكرة، ٣ غرة مـحرم ١٣٥٦هـ/ ١٥ مارس ١٩٣٧م.

وبعد هذا الشرح أثبت المحققُ، في الصفحات من (٨٢-٩٧) حوالى ثمانين بيتاً مما تيسـر له من فائت (الأحول) من شعر كعب، مسـتعيناً برواية (السكري) وغيره من الرواة، ورتب قوافيها ترتيباً هجائياً.

أما شرح (السكري) فهو ضمن نسخة شرح (ثعلب) لشعر أبيه، وهي نسخة محفوظة بمكتبة الجمعيـة الشرقية الألمانية بمدينة (هلة) ومنها بدار الكتب المصرية صـورتان تحمـلان الرقمين (١١٤٠٧ز) و (١١٤٠٨ز)، وتضم (١٤٨) ورقـة، وتعود إلى سنة (٥٣٣هـ)[٨].

وقد أثمرت جهود الأستاذ (تداوس كفالسكي) مستشرق (قراقو) ببولونيا عن إعداده للطبع، قـبل الحرب العالميـة الأولى (١٩١٤-١٩١٨م)، ولكنه لم يوفق إلى ذلك إلا سنة (١٩٥٠م)، فأصدره بالفرقة الشرقية بالمجمع العلمي البولوني بقراقو، في مـطبوعة تقع في أكثر مـن مائة وأربعين صفحة، أثبـت ناشرها ما تيسر له مما قام به (السكري) من رواية شعر كـعب وشرحه مضبوطاً، مع ترقيم القصائد والمقطعات والأبيـات، دون تخريج أو زيادة، أو نقصان، (١-١٤٤)، يتلوها فهرست عام بأسماء الرجال والقبائل والأماكن.

وتحتـوي هذه المطبوعـة على (٥٥٨) بيتـاً ونصف البـيت من شعـر كعب، موزعة على تسع وعشرين قصيدة ومـقطوعة، إضافة إلى أبيات كل من (بجير)

---

(٨) شرح ديوان زهير، الهيئة، المقدمة، ص: ٣٥، ٣٧-٣٩.

و(زيد الخيل)، و(الحطيئة) التي رواها (الأحول)، وقصـيدتين نسبهما الشارح أو الناسخ، وهماً، لكعب، إحداهما حائية في واحد وعـشرين بيتاً لابنه(عقبة)[9] والأخرى مـقصورة (مـقرن بن عائذ المزني) المشـتملة على ثمانيـة أبيات[10]، منفـرداً بثـلاث وثلاثين بيـتـاً مما زادت روايته لـلقصـائد المشـتـركـة بينه وبين (الأحول)، إضافة إلى ثمـاني قوافٍ، بلغ مجموع أبياتها سبـعة وأربعين بيتاً مما لم يرد في شرح الأحول.

وقد تيسرتْ لي صورةُ من هذا العمل الذي سأرمز له بقولي "ديوان كعب، قراقو".

وتبدأ صفحات هذا الشرح، الذي يحمل عنوان "شعر كعب بن زهير" بعد البسملة، بقـوله: "قال أبو علي أحمد بن جعفـر الدينوري، حدثني الحسن بن هارون المنقري، عن زياد بن عمر الكناني ويقال: زياد بن عـبدالله، عن محمد ابن إسحاق، وحدثني مـحمد بن حميد، وإسـحاق بن إبراهيم، عن سلمة ابن الفـضل، عن محـمد بن إسحـاق، قال: أسلم بـجير بن زهـير. . . . . . "، وتنتهي بقوله: "قال: وجدت في كتاب (العين) بيتا ذكره الخليل شاهدا، ونسبه إلى كعب بن زهير، ولا أعرفه، ولا القصيدة التي هو منها.

كأن امرأً لم يلق عيشاً بنعمة إذا نزلت بالمرء قاصمةُ الظهر

تمَّ شعـر كعب، في رواية السكري، كـان الفراغ من نسخـه يوم الاثنين من آخره، الآخر من شعبان سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمس مائة".

---

(٩) الديوان، قراقو، ١٤٠-١٤٢، والقاهرة، ٢٣٩-٢٤٤.

(١٠) نفسه، ١٣٥، والقاهرة، ٣٢٣-٢٣٣.

وفي العـام نفسـه، دون الاطلاع على مطبـوعة قـراقو، قـامت دارُ الكتب المصرية بالقاهرة بإصدار تحـقيقها لهذا الشرح ونشـره، خلفاً لشرح ديوان أبيه، في مطبوعة تقع في (٢٨٩) صـفحة يحتل الشعـر وشرحه فيها الصـفحات من (٣-٢٦٠)، مستهلة بمقدمة ضافية مرتبة تـرتيباً أبجدياً، وضح فيها المحققون ما قاموا به من الاضطلاع بتحقيق هذا الديوان، مستندين على مخطوطة شعر زهير وابنه، ومطلعين على عمل الأستاذ (الميمني) بشرح (الأحول)، صانعين جدولاً توضيحـياً للشعر في بيت كعب، مـع التعريف به، وبأسرته، وشعـره، وتبيان رأيه السيـاسي ووفـاته، منتـقلين إلـى الإلمام بالسكري، ونسـبـه، وولادته، وشيـوخه، ومـؤلفاته، وتلاميـذه، وصفـاته، ووفاته. فالأحـول، وشيـوخه، وتلاميـذه وصفاته، ومؤلفـاته. فوصف النسختين اللتين اعـتمدوا عليهـما في عملهم، منتهين بكلمة تقدير ووفاء لكل من ساعد على إخراج الكتاب، مذيلين بهذا الشرح، بما تيسر لهم من فائت (الأحول) الذي جمعه (الميمني)، مختتمين بصنع فهـارس للشعر والأعلام والقـبائل والأماكن والكتب والقـوافي وأنصاف الأبيات، وأيام العرب.

ومجموع شـعر كعب هو نفسه كل ماورد في مطبوعة (قـراقو)، إضافة إلى ثلاثة وعشرين بيتاً مزيدة، مأخوذة من شرح (الأحول)، منها أحد عشر بيتاً أكمـل بهـا المحققون ما رأوه من نقص في (الفائية) التي يستهلها كعب بقوله[١١]:

بان الشباب وأمسى الشيب قد أَزِفا ولا أرى لشبابٍ ذاهبٍ خلفا

والبقية مما أكملوا به النقص في نونيته التي بدأها بقوله[١٢]:

أمن دمنةِ الدَّارِ أقوت سنينا بكيتَ فَظَلْتَ كئيبا حزيناً

(١١) ديوان كعب، القاهرة، ٧١-٧٨.

(١٢) المصدر السابق، ١٠١-١٠٤.

- إضافـة إلى ما أثبـته المحقـقون عن (الأحـول) وفائته من أبـيات في ذيل الديوان، وقد نفـدت هذه المطبوعة، التي تحمل عنوان (شـرح ديوان كعب ابن زهير، صنعة أبي الحسن بن الحسين بن عبيدالله السكري)، فقامت الدار القومية للطبـاعة والنشـر بالقاهرة، بـتصـوير هذه المطبوعـة، ونشرها عـام ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، وهي المطبوعة التي سأرمز لها بقولي: "ديوان كعب، القاهرة".

وفي سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م أصـــدرت في بيـروت، دار الكتب العـلمـيـة مطبوعة من شعر كعب بعنوان: "ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له الأستاذ/ علي فـاعور". وقارئ هذه المطبوعة التي تقع في (١٠٩) صـفحات، لا يأخذه أدنى شك، فيما قام به صاحبـها من سطو متعمد على جهود كل من الأحول والسكري والميمني وغيرهم ممن كدوا قرائحهم في هذا العمل، دون أية إشارة أو اعتراف بفضل أحد ممن سبقوه في هذا الميدان، مكتفياً في إثبات الشعر بترتيب قوافيـه ترتيباً هجائياً، واقعاً في الأخطاء نفـسها التي وقعت في الديوان بشرحي الأحـول والسكري، خالطاً خلطا مقـيتا بين شروح القـدامى والمحدثين وتخريجاتهم، دون تمييـز، بوضعها كلها في الحواشي ونسبتـها لنفسه، لذا فلن أعـول، إلا نادراً، على هذه المطبـوعـة، رامـزاً لهـا بقـولي: "ديوان كـعب، بيروت".

وقريب من أمر هذه المطبـوعة، إن لم يكن أكثر في دركات السـوء والتشويه والسطو على جـهود الآخـرين، مـا صدر عن دار (الشـواف) بالرياض، ودار المطبوعات الحديثة بـ(جدة) عام ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م تحت عنوان **"ديوان كعب ابن زهير صنعة الإمام أبي سعيد السكري شرح ودراسة د. مفيد قميحة"**، إذ لا يختلف المسلك الذي سلكه صاحـبها عن مسلك سابقـتها، إلا ما كان من أمـر المقدمة الطويلة التي قدم بها الدكـتور (قميحة) للشعـر، دون أن يأتي بجديد عن حياة

كعب وشـعره، بل على العكس، كـما أشـرت في أكثر من مـوضع، وقع في أخطاء (الأحول) و(السكري) وناسخي كتبهما، وفيما وقع فيه صاحب مطبوعة (بيروت)، من نسبة بـعض شعر غير كعب إليه، ورتب علـى ذلك اشتراكه في فتح مكة والطائف، وحنين، مسلماً، وقـوله في ذلك شعراً، وهو زعم لم يُشِرْ إليه أحد من الســابقين، أو اللاحقين، لذا فإنني لم أستعن بهـذه المطبوعة، إلا قليلاً، رامزاً لها بقولي: "ديوان كعب، الشواف".

جـ - معـن بن أوس :

١ـ حياته وشعره :

هو معن بن أوس[١] بن نصر بن زياد بن أسعد بن سحيم[٢] بن ربيعة[٣] بن عداء[٤] بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عداء بن عثمان بن عمرو المزني[٥] .

ومعن من الشعراء المخضرمين[٦]، فقد قيل: إنه ولد قبيل ظهور الإسلام[٧]، وليس بين يدي ما يدل على سنة ولادته، ولا ما يكشف النقاب عن مشاركته في أيام مزينة الجاهلية؛ مما يدفعني إلى الظن بأنه ربما كان صغير السن جداً عند اشتراك قومه في حروب (بعاث) وغيرها، ثم نشأ فأسلم، ولذلك عده الآلوسي[٨] من الشعراء الإسلاميين، على رغم افتقارنا إلى المصادر التي تخبرنا عن وفادته على النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيمن وفد عليه من المزنيين، ولعل هذا يفسر لنا عدم إدراج اسمه أو اسم أبيه في كتب الصحابة أو التابعين.

---

(١) وهم البطليوسي في (الاقتضاب، ٤٦٣) فقال: "معن بن زائدة".

(٢) وقيل: أسحم، راجع مثلاً: شعر معن، ليبزج، ص: ٢، والأغاني، الدار، ١٢/ ٥٤، وتاريخ دمشق، ١٧/ ٤٥، والخزانة، هارون، ٧/ ٢٦٠, ٢٦١، وفي تاريخ دمشق، ١٧/ ٤٨، وهم الناسخ فقال، معن بن أوس بن زهير بن أبي سلمى".

(٣) وفي جمهرة أنساب العرب، ١/ ٢٠٢، "زبيد".

(٤) وقال ابن حزم في المصدر نفسه: "عدي"، وانظر أيضاً، معجم الشعراء ٣٢٣، والإصابة، دار الفكر رقم (٨٤٥١)، ٣/ ٤٩٩, ٥٠٠.

(٥) سمط اللآليء، ٢/ ٧٣٣، وقارن: جوهر الكنز، ص: ٥٢٢.

(٦) الأغاني، نفسه، ١٢/ ٥٤، ونكت الهميان، ٢٩٤، ٢٩٥.

(٧) تاريخ التراث العربي، ٢/ ٢/ ٢٧٦.

(٨) بلوغ الأرب، ٣/ ١٤٨.

والوحيد، فيما أعلم، ممن ترجموا له من أصحاب هذه الكتب هو مؤلف كتاب (الإصابة)، وهو، في ترجمته له، لم يضف شيئاً جديداً عما أوردته عامة كتب الأدب والتاريخ في تراجمها لمعن.

وفي ظل سكوت المصادر عن مشاركته، أو مشاركة أبيه، مع قومهما في غزوات الرسول ﷺ وسراياه، أو في معارك (الردة)، أو في فتوحات كل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقواد جيوشهما في العراق والشام وأفريقية وغيرها.. وفي ظل صمتها - أيضاً - عن الحديث عن صحبة معن للنبي ﷺ، أو لأبي بكر من بعده، أستطيع الذهاب إلى أن معناً كان صغير السن عندما أشرقت شمسُ الإسلام ولما يبلغ رشده إلا في عهد عمر (١٣-٢٣هـ)، فوفد عليه، مستعيناً به على بعض أمره، وخاطبه، حسب إحدى الروايات(٩)، بقصيدته التي استهلها بقوله:

تَأَوَّبه طيف بذات الجرائم   فنام رفيقاه، وليس بنائِمِ

ويقال: إن المخصوص بهذه القصيدة هو: عاصم بن عمر بن الخطاب (٩-٧٠هـ)، وهو رأي يؤيده قول معن فيها (١٠):

فلما رأى أن غاب عنه شفيعُه   وأخلفه مايُرْتَجَى عند عاصمِ

فإن صح هذا الرأي، الذي أميل إليه، جاز لي أن أعد هذا الشاعر ممن تأخروا في إعلان إسلامهم، لأسباب قد تعود إلى صغر سنه، ولكونه كان من الأعراب الذين يضربون في أعماق الجبال، بعيداً عن رياح التغيير التي هبت من مكة والمدينة... ولعل هذا التأخر قد حرمه فيما يبدو من رواية الحديث النبوي الشريف، ومن المشاركة بشعره، أو بسيفه، في معارك الإسلام ضد خصومه،

---

(٩) الأغاني: ١٢/ ٥٤، والإصابة، ٣/ ٤٩٩، ٥٠٠.

(١٠) شعر معن، ليبزج، ص، ٢١، وديوانه، بغداد، ٦٥.

والمعركة الوحيدة التي يشير إليها الشاعر في بائية من شعره[١١] هي اشتراكه في موقعة عند (قـعر وادي السواج)، بيد أن المصادر لاتفيـدنا بزمن هذه المعركة أو قيـمتها الحـربية، ولا الإقليم الذي دارت على أرضـه، ولا الأطراف المشاركين فيهـا، ولا تساعدنا أبيـات القصيدة على تحـقيق شيء من هذا المراد، ولا على تحديد مكانة معن فيها.

وتكشف البقية التي وصلت إلينا من شعره، إضافة إلى بعض الروايات، عن تردد معن إلى كل مـن عبدالله بن عـباس (ت٥٨هـ)[١٢]، وسعيـد بن العاص (٥٩هـ)[١٣] ومـعاويـة بن أبي سفـيـان (ت٦٠هـ)[١٤]، وعـبدالله بن الزبيـر (ق/٧٣هـ)، وعبيداللـه بن جعفر (ت٨٠هـ) [١٥]، كما يمكننا عـده من شعراء (النقـائض) في عـصـره، بتنـاشـده الشـعـر في سـوق (المربد) مع الفـرزدق (ت١١٠هـ)[١٦].

وتُومئ بعضُ أصداءِ قراءاتنا لشـعره إلى أنه كان ينعم بصبا رغـد، بسبب ما وُهِبَ من نعم وفـيرة، إذ كان لديه الـكثير من حـدائق النخيل التـي ورثها عن أبيه، وكـان الشاعر يربي، في هذه الحـدائق، الماعز والأغنام[١٧]، والإبل[١٨]، غيـر أنه، بمرور الوقت، وجـفاف الأرض، وبلوغـه سنا يعجـز فيهـا المرء عن

---

(١١) شعره، ليبزج، ١٥, ١٦، وديوانه، بغداد، ٥٤, ٥٥.

(١٢) الأغاني، ١٢/ ٥٥, ٥٦، وأنساب الأشراف، ٣/ ٥٩, ٦٠، وتاريخ دمشق، ١٧/ ٤٦.

(١٣) شعره، ليبزج، ص: ١٠-١٤، وديوانه، بغداد، ٤٧-٥٣.

(١٤) الكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٢١١، ٢١٢، وديوان المعاني، ١/ ١١٣, ١١٤، واخـتيار من كتاب الممتع: ٣٩٥-٣٩٧، واختيار الممتع، ٢/ ٤٦٤، والخزانة، هارون، ٨/ ٢٩٤.

(١٥) معن حياته، وشعره، ٦٨-٧٠، وديوانه، بغداد، ١٠٥, ١٠٦.

(١٦) الأغاني، ١٢/ ٥٨، وحياة معن، ٧٢، وديوانه، بغداد ، ١١٣.

(١٧) شعره، ليبزج، ٢٣, ٢٤، وديوانه، بغداد، ٦٩.

(١٨) ديوانه، بغداد، ٨٦، وشعره، جدة، ٥٣.

الكسب الشريف، بسهولة ويسر، بدأت الديون تلاحقه بشراسة؛ مما اضطره إلى اللجوء تحت نير الحاجة إلى الأجواد من أشراف عصره، كعبدالله بن جعفر وابن عمه عبيدالله بن عباس؛ وبين أيدينا رائية من فيض ثنائه على كرم الأول[19]، وقصة عن مرور الثاني به، وقد كُفَّ بصر معن، قائلاً له: يامعنُ، كيف حالك؟، فقال له: ضعُفَ بصري، وكثُر عيالي، وغلبني الدَّيْنُ، قال له: وكم دَيْنُك؟ قال: عشرة آلاف درهم، فبعث بها إليه؛ ثم مر به من الغد، فقال له: كيف أصبحتَ يامعنُ ؟ فقال:

أخذتُ بعين المال حتى نَهَكْتُهُ ... وبالدَّيْن حتى ماأكاد أُدَانُ
وحتى سألتُ القرضَ عند ذوي الغنى ... ورد فلانُ حاجتي وفلانُ[20]

ولعل جانباً من فقر معن في أواخر حياته يعود إلى ماروواه أبو الفرج من أنه كان مئناثاً[21].

ولا أعرف فيما بين يدي من أخباره، أسماء أحد من بناته، غير "ليلى" التي ذكرها أبوها في إحدى روايات بعض شعره، عندما سافر إلى الشام، وخلفها في جوار (عمر بن أبي سلمة) ابن أم المؤمنين رضي الله عنها، وعاصم ابن عمر بن الخطاب، فقال له بعض عشيرته: على من تخلف ابنتك ليلى، في الحجاز، وهي صبية ليس لها من يكفلها؟ فقال[22]:

لعمرك، ما ليلى بدارِ مَضِيعَةٍ ... وماشيخُها إن غاب عنها بخائفِ
فإنَّ لها جارين لن يغدرا بها ... ربيبَ النبيِّ وابنَ خير الخلائفِ

---

(١٩) ديوانه، بغداد، ١٠٥، ١٠٦.

(٢٠) المصدر نفسه، ١١٤.

(٢١) الأغاني، ١٢/ ٥٥.

(٢٢) ديوانه، بغداد، ٩١، والأغاني، ١٢/ ٥٩، وتاريخ دمشق، ١٧/ ٤٥، ٤٦ وفي الديوان، لعمرك ماعرسي بدار مضيعة)، وفي معجم البكري، ١/ ٨٢ (لعمرك مانخلى)، وانظر المخصص، ١٧/ ١٥٤.

غير أنني أستفيد من الخبر الوارد في مستهل نونيته التي بدأها بقوله:

لعمر أبي ربيعة ما نفاه مِنَ أَرْضِ بني ربيعة من هَوان

أن معناً كان له ولد يدعى (حبيبا)، فأتاه ابن عم له يقال له (فضالة)، فقال له: ياحبيب، هل لك أن تخرج بنا إلى الشام، وتأخذ إبلاً من إبل أبيك ؟! فقال: نعم؛ فخرجا إلى الشام، فطعن حبيب فمات، ورجع ابنُ عمه (فضالة) إلى معن، فغضب عليه، وقال نونيته حانقاً [٢٣].

وربما دفعته حاجته إلى الذرية من البنين، إلى الزواج من أكثر من امرأة. وتواجه الدارس صعوبة تحديد أسماء زوجات معن، في ظل الروايات القليلة عنه، وعن أسرته، وفي ظل إيماننا بأن بعض إشارات الشاعر في شعره، إلى أسماء بعض النسوة كـ (نُعْم)[٢٤]، و(دعد)[٢٥]، و(أرنب)[٢٦]، و (أم أسود)[٢٧]، ربما تكون تقليدا فنيا لغيره من الشعراء السابقين والمعاصرين له، إلا أن بعض إشاراته الأخرى تكاد تجزم بأن معناً قد تزوج من (أم حقة)[٢٨]، وهي زوجة كانت له قبل سفره إلى العراق، فلما عاد إلى منزله بـ(عَمْق)، قريباً من المدينة وعلمت (أم حقة) أن معناً تزوج من أخرى طالبته هي بالطلاق، فقال مستهلاً:

---

(٢٣) شعره، ليبزج، ١٦, ١٧، وديوانه، بغداد، ٧١.

(٢٤) شعره، ليبزج، ١٦, ١٧، وديوانه، بغداد، ٥٧.

(٢٥) المصدر نفسه، ليبزج، ٣٦، وبغداد ، ٩٢.

(٢٦) ديوانه، بغداد، ٧٩.

(٢٧) المصدر نفسه، ٥٦، وشعره، جدة، ١٨. وذكر محقق الأخير أن "أرنب" اسم موضع راويا البيت الذي وردت فيه بقوله:

متى تأتهم ترفع بناتي برنة وتصدح بنوح يفرع النوح أرنب

(٢٨) ديوانه، بغداد، ص: ٨٠.

كـأن لم يكن يا (أم حِـقَّـة) قـبل ذا — بـ(مَـيْطَان) مـصطافٌ لنا ومـرابعُ
ولو آذنـتنـا (أم حـقـة) إذ بـنا — شـبـاب وإذْ لَـمَّـا ترُعْنـا الروائع
لقلنـا لهـا : بِيني بـليلٍ حَـمِـيـدةً — كـذاك بـلا ذمٍّ الودائـع[29]

والزوجة الأخـرى التي تزوج منها معن في رحلتـه إلى (الأزد) بالعراق هي (ليلى) التي أومأ إليها في مواضع متعددة من شعره، كقوله[30]:

ولا خـيـرَ في (ليلى) له غـيـر أنهـا — له حَـزَنٌ إن شـطَّت الدارُ مُنـصِبُ
إذا قلت : سـيـروا إن (ليلى) لعلهـا — جزى دون (ليلى) مائِلُ القرنِ أعضبُ

وقد قـضى الشاعـر مع هذه المرأة عامـاً مُكرَّما في ديار أهلهـا، ثم عاد إلى دياره، مـؤثرا عـدم الرجوع إلى الـعراق، ثانيـة، على عكس مـا وعـدها به؛ فطلبت منه الطلاق، فطلقـها، وندم على ذلك ندمـاً شديداً، وقـال في أبيات منها[31]:

نـأت (لـيـلـى) فلـيـلـى لاتُـوَاتـي — وضنّـتْ بالمـودة والبَـتَـاتِ
وحلَّتْ دارُهـا (سَـفْـوان) بعـدي — فـذا (قـار) فـمنخـرقَ الفُـراتِ

وحكى الأصفـهانيُّ أنه كان لمعن امـرأة يقال لها (ثور)، وكـان لها مُحبـاً، وكـانت حضـرية، نشأت بـالشام، وكـانت في معن أعـرابيـة ولوثة، فكانت تضحك من عجرفيته، وهي التي ذكرها في بعض رجزه[32].

والراجح من الروايات، كمـا أشرتُ قبل قلـيل، أن معناً قد كـبر به السن، وأصابه العـمى، وظل يعيش بعـد عودته من الشـام والعراق، في منازل قـومه

---

(٢٩) ديوانه، بغداد، ١٠٨، والأغاني، ١٢/ ٦٥، ومعجم البلدان، السعادة، ٨/ ٢٢٥.
(٣٠) شعره، ليبزج، ١٤, ١٥، وديوانه، بغداد، ٥٤.
(٣١) نفسه، بغداد، ٩٩، والأغاني، ١٢/ ٦٤, ٦٥.
(٣٢) الأغاني، ١٢/ ٥٦, ٥٧، ومعاهد التنصيص، ١/ ١١٦، وديوان معن، بغداد، ١٠٤, ١٠٥

بجوار (المدينة)، حتى وافته منيتُه سنة أربع وستين[٣٣]، وقيل: سنة ثلاث وسبعين[٣٤]، بعد الهجرة.

والمتأمل فيما صحت نسبتُه لمعن من الشعر الذي وصل إلينا، يدرك أنه قد أنشده بُعَيْدَ إسلامه، أو حين بلغ من العمر عتياً، لذا فإنني لا أعتقد أن يكون شيء من أشعاره التي بين أيدينا، مما أنشده في جاهليته... وغاية ما في الأمر أنني أشعر بالجهل تجاه حوالى ستة وأربعين بيتا متناثرة عبر صفحات شعره، بطبعاته المختلفة، مما يضطرني إلى ضمّها إلى القسم المجهول العصر، وهي لامية مكونة من تسعة أبيات[٣٥]، ونونية في سبعة أبيات[٣٦] وبائية[٣٧]، ورائية[٣٨]، وميمية[٣٩]، في كل منها أربعة أبيات، ودالية[٤٠]، ونونية[٤١] كلٌّ منها ثلاثة أبيات، وبائية[٤٢]، وعينيتان[٤٣]، وقافية[٤٤]، ولامية[٤٥] كل منها في بيتين، ومقصورة في بيت واحد[٤٦].

---

(٣٣) معن، حياته وشعره، الصفحة (ب)، والأعلام، ٨/ ١٩٢، ومعجم المؤلفين، ١٢/ ٣١١.

(٣٤) بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ٢/ ١٥٣، وتاريخ التراث العربي، ٢/ ٢/ ٢٧٧. وقد وهم كل من (جرجي زيدان)، في تاريخ آداب اللغة العربية، ١/ ١٦٣، ود. سعيد الأيوبي، في (معجم الشعراء في لسان العرب)، ٣٣٧، بذهابهما إلى أن معنا توفى سنة، (٢٩هـ)، والصحيح ما استدرك به ثانيهما بقوله، "مدح الصحابة وعاش حتى أيام الفتنة بين عبدالله ابن الزبير ومروان بن الحكم..".

(٣٥) شعره، ليبزج، ٢٥, ٢٦، وديوانه، بغداد، ٧٣, ٧٤.

(٣٦) المصدر نفسه، ليبزج، ٢٣, ٢٤، وحياته وشعره، ٣٤, ٣٥.

(٣٧) ديوانه، بغداد، ٩٠، ٩١.

(٣٨) نفسه، ٨٩، وليبزج، ٣٤.

(٣٩) ديوانه، بغداد، ١١٢، وشعره، جدة، ١١٣.

(٤٠) شعره، ليبزج، ٣٦، وديوانه، بغداد، ٩٣.

(٤١) ديوانه، بغداد، ١١٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ٩٩، وشعره. جدة، ١٩.

(٤٣) ديوانه، بغداد، ١٠٩، ١١٧.

(٤٤) المصدر نفسه، ١١٠.

(٤٥) المصدر نفسه، ١١٠.

(٤٦) المصدر نفسه، ١١٧.

٢- ديوانـــــه(*)

يستفـاد مما ذكره ابن النديم[٤٧] أن أبا سعيـد السكري قد عمل شـعر معن. ويبدو أنه حظى باهتمام كل من أبي عمـرو الشيباني، والأصمعي وثعلب[٤٨]، غيـر أن ذلك كله قد ضاع من ذاكرة التـاريخ، باستثناء مـا نقله أبوعلي القالي (ت٣٥٦هـ)، إلى الأندلس، سنة (٣٣٠هـ) في كـراستين[٤٩]، ولم يصل إلينا هذا الجزء كاملاً، بل تعرض، هو الآخـر، لشيء من النقصان، والتلف، حتى وقعت يد (باول شفـارتز ١٨٦٧- ١٩٣٨م) على مخطوطة وحيدة مـنه، بمكتبة الدير الملكية في (الأسكوريال) تحت الرقم (١٩٢١)، فوصفها بأنها "مخطوطة من رق قديم كانت صفحاته مشـدودة بعضها ببعض، بخيوط جلدية، وهي مع الأسف، ناقصة الأجزاء، ويـحتل ديوان معن فيها ست عشـرة ورقة، والنهاية مفقودة منذ زمن بعـيد على ما يبدو، لأن الصفحـة الأخيرة (رقم ١٦) ممحوة، إلى درجة استحالت معها قراءة الخط، قبل استـعمال مواد كيماوية كاشفة، أما خط المخطوط فهو (المغربي ـ الأندلسي)، ولا يذكر الكاتب اسمه، ولكننا نفهم من إمضائه في القطعة الثانية، بأنه كـان يدون القصائد، وهو يستمع إلى شخص يملي عليه، فـالمخطوطة، إذاً، دفتـر محاضـرات طالب، ويحتمل أنـه كان يتلقى العلم، في قـرطبـة، على يد (القـالي) نفسـه، أو أحـد تلامذته، ويـستـمع إلى المحاضرات عن الشعر العربي القديم . . . "[٥٠].

(*) ديوان معن بن أوس المزني، للمؤلف، مجلة عـالم الكتب، الرياض، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، رجب وشعبان ١٤١٤هـ - كانون الثاني وشباط/ يناير وفبراير ١٩٩٤م.

(٤٧) الفهرست، طهران، ١٧٨.

(٤٨) تاريخ التراث العربي، ٢/ ٢/ ٢٧٧, ٢٧٨.

(٤٩) فهرسة ماروواه ابن خير، ٣٩٥.

(٥٠) ديوان معن، بغداد، مقدمة شفارتز، ص: ٢٧.

ويذهب كل من الدكتور نوري القيسي وحاتم الضامن(٥١) إلى أنه ربما كانت هذه النسخة من الديوان هي من صنع (القالي) نفسه، وهو مذهب لا أملك من الشواهد، أو القرائن، ما يؤيده أو ينفيه، ومهما يكن من أمر فقد قام (شفارتز) بنشر هذه المخطوطة بمطبعة (ليبزج) عام ١٩٠٣م.

وذكر (سزكين) أن كلاً من (ريكندوف) و (جاير) قد كتبا عن هذه الطبعة عرضين نقديين، وأن ثانيهما، قد أضاف إليها إضافات وتخريجات للنصوص، وأن (ريشر) قد أعد ترجمة ألمانية لهذا الديوان ضمن كتابه المتضمن دراسات عن الشعر العربي(٥٢).

وباستثناء المقطعات القصيرة التي أثبتها القالي منسوبة للمحرق بن أخت معن، يخاطب فيها خاله، ويهجو بني (الأدرع)، ويتغزل... فقد وصل إلينا في هذه المطبوعة (٢٥٧) بيتاً، جاءت في إحدى وعشرين قصيدة، ومقطوعة، أوردها الناشر متبعاً كل عدة أبيات بشروح القالي نفسه، أو صانع الديوان، من دون ترقيم للأبيات، أو القصائد والمقطوعات، معقباً عليها بعمل فهرست للقوافي، مذيلاً بالتقديم لعمله والترجمة للديوان إلى اللغة الألمانية.... وتحتل القصائد وفهارسها بالعربية الصفحات من (١-٣٨) بترقيمها الهندي، أما التقديم والترجمة فتقع في الصفحات من (١-٢١) بترقيمها اللاتيني... وسوف أرمز لهذه المطبوعة بقولي "شعر معن، ليبزج".

وقد أشار الأستاذ نجيب العقيقي(٥٣) إلى أن المستشرق (نولدكه) (١٨٣٦-١٩٣٠م) قد عمل ديوان معن بن أوس، ونشره في المجلة الآشورية

---

(٥١) ديوان معن، بغداد، مقدمة المحققين.

(٥٢) تاريخ التراث العربي: ٢/ ٢/ ٢٧٨.

(٥٣) المستشرقون، ٣٨١.

(١٧/ ٢٧٤) وهو عمل لم يـتيسـر لي الاطلاع عليه بعـد، ولعله يعتـمد على مخطوطة (الأسكوريال)، مع بعض الزيادات التي أضافها صـاحبه مما عثر عليه من أشعار (معن) في المصادر المختلفة.

وفي سنة (١٩٢٧م) قام الأسـتاذ (كمـال مصطفى) بالاطلاع على مطبـوعة (شفارتـز) فجعلها أسـاساً لدراسة حيـاة معن وأشعاره وأخبـاره، وهي دراسة تضمنت شعر معن بمطبوعـة (ليبزج)، دون تعديل، مع وضع عناوين لكثير من القصائد، والمقطوعات، كشطرة من القصيدة، مضيـفاً إليها ما عثر عليه للشاعر في كتاب (الأغاني) وغيره، وقد ورد ذكرها في مقدمته، أو في الديوان، مذيّلاً هذه القصائد والمقطوعات، إضافة إلى شروح القالي، بتفسير بعض الألفاظ دون ترقيم القصائد أو الأبيات، مختتماً عمله بإيراد مايضرب به المثل من شعر معن.

ويقع أصل الديوان، في هذه المطبوعـة، من صفحة (١-٦٣)، إضـافة إلى بيتين وردا في صـفحة (٧١)، أما المقـدمة التي تناول فيهـا المؤلف نسب معن، ومولده، ووفاته، وشعره، ومنزلتـه عند أهل الأدب، وأخلاقه، وحالته المادية، وإقلالـه، ونسخـة ديوانـه، وترتيبـه، وشرحـــه، فتقـع في الصفحات من (ب ــ ي)، بينما تحتل الإضافات من صـفحة (٦٣-١١٦)، وسوف أرمز لهذه المطبوعة بقولي: "حياة معن وشعره".

وقـام الدكتـور (نوري القيـسي) و(حاتم الـضامن) بصنعـة ديوان مـعن، مستـفيدين من مطبوعتي ليبـزج والقاهرة، مقسمين الديوان ثلاثة أقـسام، جاء شعر معن برواية القالي، مضافاً إليه خمسة أبيات في القسم الأول، وتلاه شعر معـن في غير الـديوان، مرتبـاً حسب حـروف الهجـاء، منسقـة قوافيـه وفق حركـاتها: الضم، فالفـتح، فالكسر، فـالسكون، فالموصول بالهـاء، شارِحَين بعض المفردات.

وتبلغ أبيات هذا القسم اثنين وثمانين بيتاً، أما القسم الأخير فقد احتوى على خمسة أبيات، مما ينسب لمعن ولغيره من الشعراء، مذيلاً بتخريج القصائد والمقطعات، في كل أقسام الديوان، فثبت بالمصادر والمراجع.

وتتصدر الشعر، في هذا العمل، مقدمتان، الأولى للمحقِّقَيْنِ، وقفا فيها على الموقع الجغرافي لمزينة، ومكانتها في الإسلام، معرِّجَيْنِ على حياة معن وأحواله الاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها، ملمين بالخصائص الفنية والموضوعية لشعره، مختتمين بالحديث عن ديوانه، وماتبقى منه، والإشارة إلى منهجهما فيه، ثم مقدمة (شفارتز) بعد ترجمتها.

والقصائد والمقطوعات في هذه المطبوعة مرقمة، مضبوطة، ومشكولة، وقد ظهر هذا العمل لأول مرة في مجلة كلية الآداب جامعة بغداد بالعراق، في عددها الحادي والعشرين. المجلد الثاني، لسنتي (٧٦/ ١٩٧٧م)، ويحتل ديوان معن بهذا المجلد الصفحات من (١٦٠-٣٠١).

ثم قام المحققان بطبعه، بدار الجاحظ، ببغداد سنة (١٩٧٧م)، وتقع هذه المطبوعة في أكثر من (١٣٤) صفحة، تحتل مقدمة المحققين فيها (١-٢٢)، وتليها مقدمة (شفارتز) (٢٣-٢٨)، فالشعر (٣٣-٩٦, ٩٩-١١٤، ١١٧)، فتخريج القصائد والمقطوعات (١١٩-١٣٤)، فالمصادر والمراجع، بعد ذلك.

والشعر بهذه المطبوعة محقق تحقيقاً علمياً دقيقاً، وسأرمز لها بقولي: "ديوان معن، بغداد. . . ".

وأخيراً، فيما أعلم، ودون استفادة من هذه المطبوعة، قام (عمر القطان) بجمع ماتيسر له من شعر (معن) وتحقيقه ونشره، معتمداً على مطبوعة (كمال مصطفى)، مضيفاً إليها ما أتيح له من اطلاعه، منسوبا لمعن، مرتبا القصائد والمقطوعات والأبيات تبعاً للترتيب الهجائي، مع ترقيم الأبيات والقصائد

وضبطها، مصدرا عـمله هذا بمقدمة، وضح فيها تاريخ معرفـته بصاحب الشعر وديوانه، وماتيـسرت له معرفـته عنه، وأبان منهجـه في الديوان، منوها بمكانة صاحـبه لدى القدماء، مـعرجاً على نسبـه، وقبيلتـه، ومكانته، وتاريخ ولادته ووفاته (٥-١٥).

ومجموعة أبيـات شعر (معن) بهذه المطبوعة هو ثلاثمائة وتسعـة عشر بيتاً، في سبع وأربعين قـصيدة ومـقطوعة (١٦-١٢٠)، ولا يعني ارتفـاع عدد هذه القصائد والمقطوعـات زيادة الأبيات والقصائد والمقطعات الموجودة بـها عما هو في مطبوعـة (بغداد)، ولكن محقق هذه المـطبوعة (القطان) قام بتـشويه بعض القصائد، وتقطيع أوصالهـا، بتقسيم بعض القصائد الطويلة، وجـعلها أكثر من قصيدة ومقطوعة، مثل داليته التي نشرت، في طبعات شعر معن الثلاث السابقة كاملة، مستهلة بقوله:

قِفَا يا خليليّ المطيَّ المقرّدَا على الطللِ البالي الذي قد تأبّدا

إذ جعل الأبيات التي تبـدأ بهذا البيت، ومابعدها، حتى الثـاني والعشرين، وهو قوله:

على أنني، واللهُ يؤمَلُ حارسٌ من الخَبْلِ نفسي أن تموت وتكمَدا

ثم ترك الثالث والعـشرين، مستـأنفاً بالرابع والعشرين، ومـا بعده، ثم ترك السادس والعـشرين والثـامن والعشرين، والثـلاثين، وما بعـده، ووضع الثاني والأربعين، بعد الثاني والثلاثين (الذي يحتل في ترتيبه هو: الثامن والعشرين)، ثم أثبت الثالث والثلاثين، ومابعده، وترك الخامس والثلاثين، ومابعده، وأثبت في مكانهما السابع والثلاثين، ومايليه، فالرابع والأربعين، فالحادي والأربعين، فالتاسع والثلاثين، ومايليه، فالثالث والأربعين، فالخامس والأربعين.

ثم جعل في قصيدة أخرى، تحمل عنده الرقم (١٠) الأبيات التي أخلَّ بترتيبها في المطبوعات السابقة، لتحمل أرقاماً جديدة، من (١-٧).

وسلك هذا المسلكَ عينَه في ميمية (معن) التي رُويتْ في المطبوعات الثلاث السابقة، إضافة إلى كتاب "منتهى الطلب"، على نسق واحد، مستهلة بقوله:

عَفَا وخلا ممّن عهدتَ به (خُمُّ) وشاقك بالمسحاءِ من سَرِفٍ رسمُ

فبدأ بالبيت الحادي والعشرين منها، وأعطاها الرقم (٣٨)، مثبتاً بعد هذا البيت الأبيات التالية له، مقدماً السادس والعشرين، في محل ماقبله، غير مثبت الثالث والثلاثين، إضافة إلى الأبيات من (٣٩-٤٥)، ثم جعل الرقم (٣٩) للأبيات التي استهلها معن بقوله:

بعينيك راحوا والحُدُوج كأنها سفائنُ أو نخلٌ، مذلَّلةٌ عَمُّ

وهو البيت الخامس في المطبوعات السابقة، ومنتهى الطلب، حتى البيت العشرين، مُرقَّمة عنده، من (١-١٦)، ثم وضع الأبيات التي جعلها (معن) في مستهل قصيدته، (١-٤) في مقطوعة خاصة، تحمل رقم (٤٠)، مضيفاً، بعد بيتها الأول المضموم الرويِّ، كسائر أبيات القصيدة، بيتا من ميمية (معن) المكسورة الرويِّ، مما توجه به إلى (عاصم بن عمر بن الخطاب)، وهو قوله:

وأخطبَ في فنواءَ ينتفُ ريشه وطيرٍ جَرَتْ يوم (العقيق) حَوَائِمِ

ثم خصص المقطوعة رقم (٤١) للأبيات التي لم يثبتها في أبيات القصيدة التي كان قد أعطاها رقم (٣٨).

ثم سلك ديدنا آخر بضمه أبيات لامية (معن) التي وردت في مطبوعات شعره السابقة، وغيرها من المصادر، مستهلة بقوله:

لعمرك ما أهويْتُ كفي لريبةٍ ولا حملتْني نحو فاحشةٍ رِجْلي

- إلى أبيات لاميته الأخرى التي تحمل في المطبوعات السالفة رقم (٢١) بادئة بقوله:

تضمنّتُ بالأحساب ثم كفيتُها وهل توكَلُ الأحسابُ إلا إلى مثلي

في قصيدة واحدة أعطاها رقم (٣٧)، والأبيات فيها من (١-١٦) بعد حذف البيت الأخير من اللامية الثانية، وهو مسلك لم أر أحداً من الرواة قد نص عليه، ولم أر تفسيراً لهذه الظاهرة السيئة، ولا الدافع الذي دعا هذا المحقق إلى إهمال شروح (القالي) التي أثبتها سابقوه، على الرغم من لجوئه إلى شروح مطولة في هامش الشعر(*)، لذا فإن استفادتي من هذا العمل ستكون محدودة، وسوف أرمز له بقولي: "شعر معن، جدة".

وقد عثرتُ في بعض المصادر على حوالى عشرة أبيات منسوبة لمعن، فأثبتها في موضعها بملحق الشعر، كما لاحظت وقوع خلط كبير في نسبة بعض الأبيات لمعن وغيره من الشعراء مما أُجمله في الصفحات التالية:ـ

أ- ورد في شعر معن بطبعاته الأربع(٥٤)، وفي مصادر أخرى كثيرة(٥٥) قوله:

رأيتُ رجالاً يكرهون بناتِهم وفيهنَّ ـ لا تكذبْ ـ نساءٌ صوالحُ

- مع بيت آخر، والأول منهما في شعر حسان بن الغدير المزني، وكعب ابن زهير(٥٦).

(*) وانظر ما كتبه محمد بن سليمان السديس عن هذه المطبوعة في مجلة: عالم الكتب، السعودية في مجلدها السابع، العدد الرابع، ربيع الآخر ١٤٠٧هـ/ كانو الأول ـ ديسمبر ١٩٨٦م، ص: ٤٦٨-٤٧٣.

(٥٤) شعره، ليبزج، ٣٢، وحياته، ٣٩، وبغداد، ٨٥، وجدة، ٢٧.

(٥٥) الأغاني، ١٢/ ٥٥، وأمالي القالي، ٢/ ١٩٠، وتحسين القبيح، ٦١، والسمط، ٨٠٤.

(٥٦) ملحق الشعر، ص: ٦٢١. وجاء في الحاشية (٤) من ص ٦٢٢ أن الثالث (أي: رأيت رجالاً...) لمعن بن أوس في شعره... وفي الحاشية (٥) من ص ٦٢٢ أن البيت مع بيت آخر من دون نسبة في الحماسة البصرية.

ب- في دالية معن التي أشرت إليها قبل قليل، ورد قوله:

وعــــاذلـةٍ هَبَّتْ بليـل تلومُـني ... وقـد غـابَ عَـيُّـوقُ الثُّـريا فَـعَـرَّدا

أريني جـــواداً مـات هُزلاً لـعلّني ... أرى مـــاتَرَينَ أو بـخـيـــلاً تـخلدا

ذريني ومـــالي إن مـــالكِ وافــرٌ ... وكلُّ امـرئٍ جـــارٍ على مـاتَـعَـوّدا

وهـي أبيـات نُسِبَ الأولان منهـا لحـاتم الطائي بديوانه(٥٧)، وفي مـصادر أخرى (٥٨) ونُسِبَ الأخيران لحطائط بن يعفُر النهشلي (٥٩)، ونُسِبَ الثاني فقط لدريد بن الصمة(٦٠).

جـ- في لامية مـعن التي وردت بطبعات شعـره الأربع، وفي بعض المصادر الأخرى، مستهلة بقوله(٦١):

لعـــمـرك مـــا أدري وإني لأوجلُ ... علـى أيّنا تـغـــــدو المنيـــــةُ أولُ

وإني أخوك الدائمُ العـهدِ لم أحُل ... إنَ ابْزَاكَ خــصمٌ أو نَبَـــابِـكَ منزِلُ

- أنشـد البطليوسي(٦٢) هذيـن البيتـين خطـأ لمعـن بـن زائدة المُري، وأورد ابـنُ قتـيبةَ الأبيـاتَ: التـاسـع والعاشـر والثـامـن منـها، ونسبـها، خطأ، إلى

(٥٧) حاتم، ديوان شعره وأخباره، ٢٢٩, ٢٣٠.

(٥٨) الزاهر، ١/ ٢٠٥، والحماسة البصرية، بيروت، ٢/ ٨، والتاج واللسان (أنن) وشرح الكافية (بهامش الخزانة، بولاق)، ١/ ٣٦٩-٣٧٠.

(٥٩) الشعر والشعـراء، ١/ ٢٥٤-٢٦٢، وعيـون الأخـبار، ٣/ ١٨١، والأغـاني، الثـقافـة، ١٣/ ١٢٥-١٢٦، والحماسة، عسيـلان، ٢/ ٣٥٧، وشرح الحماسة للمرزوقي، ٤/ ١٧٣٢ - ١٧٣٣، وشـــرح الأعلم، ٢/ ٨٩٦، وشـــرح الحــمـــاســـة للـتـبـريـزي، القـــاهرة، ٤/ ٢٥٢-٢٥٣، وعنوان النفاسة (٧١/ أ).

(٦٠) اللسان / علل، وذيل ديوان دريد، ١١٦ (ط دمشق).

(٦١) شعره، ليبزج، ٣٦-٣٧، وحياته، ٥٧-٦٠، وديوانه، بغداد، ٩٣-٩٤، وجدة، ٧١-٧٤.

(٦٢) الاقتضاب، ٤٦٣.

جرير الخطفى[٦٣]، وهي ليست في ديوانه ولا ذيله ولا شرح ديوانه.

د- في اللامية التي أثبتـها ناشرو طبعات شعر معن الأربع، في مـدح سعيد ابن العاص، ورد قوله:

فما بلغت كفُّ امرئٍ متناولٍ   من المجدِ إلا حيث ما نلتَ أطولُ

وهو مع أبيـات أربعة ــ في شعـر الخنساء بطبـعاته المخـتلفة، تخـاطب بها أخاها[٦٤].

هـ- في النونية التي أثبتها ناشرو طبعات شعره الأربع، ورد قوله[٦٥]:

أعلِّمه الرمايةَ كلَّ يومٍ   فلما اشتدّ ساعدُهُ رَمانـي

وهذا البـيت منسـوبٌ لكل من مـالكِ بن فـهمٍ الأزدي[٦٦]، وعـقـيلِ بن عُلَّفَة[٦٧].

و- ورد البيت:

فمندفَعُ الغُلاَّن غُلان مُنشدٍ   فَنعْفُ الغرابِ خطبُه فأساودُه

---

(٦٣) عيون الأخبار، ٣/١٨.

(٦٤) أنيس الجـلسـاء، ١٨٤-١٨٦، وديوان الخـنسـاء، صـادر، ١٠٧,١٠٨، والأندلس، ١١٢-١١٣. وانظر الكافي في العـروض والقوافي / ١٩٠ والوافي في العـروض والقوافي، ٢٨٤.

(٦٥) شعره، ليبزج، ٢٤، وحياته، ٣٦,٣٧، وديوانه، بغداد، ٧٢، وشعره، جدة، ٢٠.

(٦٦) الاشـتـقاق، ٤٩٧-٥٤٣، وتـاريخ اليعـقـوبي، ١/١٦٦، ولمعن ومـالك في المقـاصـد، ١/ ٢٠,٢١، واللسان والتاج (سدد) وفي نشوة الطرب، ١/٢١٩، لمالك بن فهم الدوسي.

(٦٧) اللسـان والتاج (سـدد) وفهارس اللسان، دار المعـارف، ١١٦٥، وشعر عقـيل بن علفة، ص: ٣٩٦، وبعده فيه: -

فلا ظفرتْ يمينك حين ترمي   وشَلَّت منك حاملةُ البَنَـــان

ثالثَ سبعة أبيات لمعن، عن البكري[٦٨] وياقوت[٦٩]، وعنهما أثبتَه محققو شعره[٧٠] وهو في اللسان والتاج[٧١] لأوس بن حجر، وعنهما أثبته ـ لأوس ـ محققُ ديوانه[٧٢].

ز- أورد ابن قتيبة[٧٣] وأبو الفرج[٧٤] وغيرهما[٧٥] قول معن:-

ورثنا المجد عن آباء صدق ... أسأنا في ديارهمُ الصنيعا

إذا الحسَبُ الرفيعُ تواكلتْهُ ... بناةُ السوء أوشك أن يضيعا

ونسبهما شيخو[٧٦] لأوس بن حجر، وعنه أثبتهما له محقق ديوانه[٧٧].

ح- روى أبو هلال العسكري لمعن قوله:-

دعاني يشبُّ الحربَ بيني وبينه ... فقلتُ له : لا ، بل هَلُمّ إلى السلْمِ

وإياكَ والحربَ التي لاأديمُها ... صحيحٌ ، ولاتنفك تأتي على رغم

فلما أبى خليتُ فضلَ عنانه ... إليه ، فلم يرجع بحزمٍ ولاعزم

فكان صريع الخيلِ أولَ وهلةِ ... فبُعداً له مختارَ جهلٍ على علم[٧٨]

---

(٦٨) معجم ماستعجم، ٤/١١٤٨.

(٦٩) معجم البلدان، ٧/ ٢٧٢.

(٧٠) ديوانه، بغداد، ١٠٣, ١٠٤، وشعره، جدة، ٣٩-٤٠.

(٧١) مادة (غرب)، وفي الأخير "لأوس" فقط.

(٧٢) ديوان أوس، ٢٤.

(٧٣) عيون الأخبار ٤/ ١١٣.

(٧٤) الأغاني، الدار، ١٢/ ٥٩.

(٧٥) مجموعة المعاني، ٥١، ومعاهد التنصيص، السعادة، ٤/ ٢١، وديوان معن، ١٠٩.

(٧٦) شعراء النصرانية، ٤/ ٤٩٤.

(٧٧) ديوان أوس، ٥٦.

(٧٨) جمهرة الأمثال، ١/٣٥٨، ٣٥٩.

وعنه نقلها محققو شعره[٧٩]، بينما رواها (ثعلب) باختلافٍ طفيفٍ، مع عشرةِ أبياتٍ أخرى، للحارث بن وعلة[٨٠]. ورواها البصري[٨١] والراغب[٨٢] لبلعاء بن قيس الجاهلي، ورواها العبيدي[٨٣] لابن جذل الطعان، مع اختلاف بعض الكلمات.

ط- نُسِبَ لمعن قولُه[٨٤]:

لسنا وإن كُرمَت أوائلنا ... يوماً على الأحسابِ نتّكلُ

نبني كما كانت أوائلُنا ... تبني ونفعلُ مثلَ مافعلُوا

وهما منسُوبان لكلّ من عبدالله بن معاوية[٨٥] والمتوكل الليثي[٨٦] وامرئ القيس[٨٧]، وليسا في ديوانه.

---

(٧٩) ديوان معن، بغداد، ١١٢، وشعره، جدة، ١١٣.

(٨٠) مجالس ثعلب، ١/ ٣٦٤-٣٦٥.

(٨١) الحماسة البصرية، بيروت، ١/ ٦٣، والقاهرة، ١/ ٢١٣.

(٨٢) محاضرات الأدباء، ٢/ ١٠٢.

(٨٣) التذكرة السعدية، ص: ٢٢٠.

(٨٤) الزاهر، ١/ ١٢٤، ومعجم الشعراء، ٣٢٣، وديوان معن، بغداد، ١١٧، وشعره، جدة، ٨٣.

(٨٥) الحيوان، ٧/ ١٦٠، والكامل في اللغة والأدب، ١/ ١٤٠، والعقد، الفكر، ٢/ ١٢٩، والمستطرف، ١/ ١٤٧، وبدون عزو في ذيل الأمالي، ٣/ ١١٧، وبهجة المجالس، ١/ ٥٣٠.

(٨٦) معجم الشعراء، ٣٣٩، والعمدة، ٢/ ١٤٦، والحماسة، عسيلان، ٢/ ٣٨٥، وشرح الحماسة للمرزوقي، ١٧٩٠، والتبريزي، ٤/ ٢٧٤، وفي شرح الأعلم، ٢/ ٩٢١، له، وقال الأعلم: وتروى لبعض القرشيين من ولد جعفر بن أبي طالب، وفي ديوان المتوكل، ٢٧٦، ط، التعاونية، وم. الأندلس، ببغداد.

(٨٧) الزهرة، المنار، ٢/ ٦٤٢.

والظاهر أن هذا الخلط يعود إلى كون أغلب الأشعار المشار إليها فيما أسلفتُ، مما يُضرب به المثلُ من الشعر، وبسبب اشتراك معن مع كثير من الشعراء في المسلك الاجتماعي والفني، كان التمثل بالشعر أمراً وارداً في كثيرٍ من الحالات، ولا أستطيع أن أرمي اللوم على أحد في هذا الصدد، إذ إنني لا أعرف من المذنب: معن، أو غيره من الشعراء، أو الرواة.

ثانياً : شعراءُ مزينة الإسلاميون :

أ - عقبة بن كعب وابنه العوام:

هو أبو العوَّام عقبة بن كعب بن زهير المزني[1]، رابع حلقة من سلسلة شجرة الشعر في آل بيته، ورث الشاعرية عن أبيه وأجداده.

ويُلقَّب بـ (المضرَّب) (مفتوح الراء)[2]، ومنهم من يجعلها براء مكسورة[3]، وهو لقب لُقِّب به عقبةُ؛ لأنه شبب بامرأة من بني أسد[4]، (وقيل: من بني عبس)[5]، فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمُتْ، وأخذ الدية، فأفاق، وأنشأ يقول شعراً يرثي لحاله وما أصابه من جهلٍ جلب له الهوان[6].

ويبدو أنه كانت له واقعة أخرى تُشبه في جانب منها، هذه الحادثة، مع بني (الجليج من بني عبدالله بن غطفان) الذين يروي الآمدي (ت ٣٧٠هـ) عنهم أنهم كانوا ضربوه بالسيوف في قصة مذكورة في (كتاب مزينة)، فقيل له: المضرّب، فقال شعراً يهجوهم به[7].

وباستثناء ما أشرتُ إليه، فليس بين يدي ما يكشف لي عن جوانبَ من سيرته، ومولده، ونشأته، وقرضه للشعر، ولا أستبعد أنهُ ولدَ في العقود الأولى بعد الهجرة، وتربى في أكناف أبيه، بمنازل قومه بـ(الحاجر) وغيرها من

---

(١) وفي الحماسة البصرية، بيروت: ٢/ ٢٣١: "العجلاني".

(٢) الشعر والشعراء، ١/١٤٨، والمؤتلف، ٢٧٨، وشرح مايقع فيه التصحيف، ٤٦٠.

(٣) مجاز القرآن، ١/ ١٤٥، ٢، ٣٠٠، والصحاح واللسان (لبب) والتاج (ضرب).

(٤) الشعر والشعراء، ١/١٤٨، وشرح مايقع فيه التصحيف، ٤٦٠.

(٥) ألقاب الشعراء، نوادر المخطوطات، ٢/ ٣٠١.

(٦) ملحق الشعر، ص: ٥٨٨ - ٥٨٩.

(٧) ملحق الشعر، ص: ٥٩٤ - ٥٩٥.

المنازل المجاورة، راعياً للغنم، وغيرها من الحيوانات، التي كان يملكها أبوه، وصائداً، يرث المهنة عن أبيه، متناشداً ما يتصل إلى أسماعه من تراث أسرته الشعري، حتى شب والشاعرية تتحرك على لسانه.

وتتناقل بعض الروايات أخبار مهاجياته مع ابن ابن أخته "سلمى" (الرَّماح ابن أبرد) المعروف بابن ميادة، بسبب بعض خصومات عقبة مع بني سلمى بن ظالم الغطفانيين، عشيرة (ابن ميادة)، وهي مهاجيات وصل إلينا منها مقطوعة في بيتين للمضرب، ومقطوعتان في خمسة أبيات لابن ميادة(٨).

وربما كانت هذه الخصومات تعود إلى ماروُي من أنه كان يشبب بامرأة بـ(الغَمِيم) من بلاد غطفان، يقال لها (ليلى)، وسوداء الغَمِيم لقبها(٩)، وهو تشبيب ربما ورثه عنه ابنه (العوام) من بعده، كما ستأتي الإشارة بعد قليل.

وقد تكون الحائية التي اضطربت نسبتها بينه وبين أبيه، وغيرهما من الشعراء(١٠) من الأشعار التي أنشدها (عقبة) في نسيبه بهذه المرأة، ويبدو أن ذلك كان في أُخريات حياته، إذ تدل مقدمة هذه الحائية على أنه قد أنشدها وقد بلغ من العمر عتيا، يجتر همومه وأحزانه، ويتسلى ببعض ذكرياته.

وليس بين يدي من الروايات أو الشواهد مايحدد سنة وفاته، غير أن معاصرته لابن ميادة المتوفى بين سنتي (١٣٦-١٤٦هـ)(١١) قد تأخذ بي إلى الاعتقاد بأن عقبة ربما كانت وفاته في العقود الأولى من القرن الثاني، وعلى

---

(٨) الأغاني، الثقافة، ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥، وشعر ابن ميادة، ١٠٨، ١٥٧، وملحق الشعر ص: ٥٩٣ ـ ٥٩٤.

(٩) حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، ٢/ ٤١, ٤٢.

(١٠) ملحق الشعر، ص: ٥٩٠ ـ ٥٩٣.

(١١) شعر ابن ميادة، ص: ٢٨-٣٠.

أكثر تقدير ربما كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية مخلفاً من الأبناء ثلاثة شعراء هم: (العوام)، و(الممزق) و(شبيب).

والعوام شاعر من الحلقة الخامسة في سلسلة الشعر بآل أبي سلمى، ومثل أبيه، لم تتيسر لي معرفة شيء عن سيرته الأولى، ومولده، ونشأته، وقرضه للشعر، وحرفته، باستثناء ما أشرت إليه، في السطور المتقدمة، من تعلقه بالمرأة الغطفانية التي كان أبوه يشبب بها.

ويبدو أن هذه الغطفانية التي أنشد فيها (العوام) داليته التي اضطربت نسبة أبيات منها بينه وبين كثير من الشعراء[١٢].

كما أشار المرزباني[١٣] إلى مايروى من أنه كان للعوام امرأة يقال لها (أم كامل) فنشزت عليه، فقال فيها شعراً.

والظاهر من هذه الأخبار، وما ذكر عن سفره إلى (مصر) في ميرة، أن هذا الشاعر كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وأنه توفِّي بعد أواسط القرن الثاني الهجري، وليس شاعراً جاهلياً، كما ذهب إلى ذلك أحد الباحثين[١٤]. ولشبيب أخيه رائية من ثلاثة أبيات أوردها الخالديان في المختار من شعر بشار، كما سنرى في ملحق الشعر، ولأخيه الممزق بيت واحد أورده له الصقلي في (تثقيف اللسان)، والنشابي في (المذاكرة في ألقاب الشعراء).

---

(١٢) ملحق الشعر، ص: ٦٠١ ـ ٦٠٥.

(١٣) معجم الشعراء، ١٦٤، وملحق الشعر ص: ٦٠١.

(١٤) شعر بني مزينة في الجاهلية، ٩٨.

ب - أبو المُعافَى :

هو يعقوب[15] (وقيل: محمد)[16]، وقال المرزباني : والأول أصح[17]، ابن إسماعيل بن رافع بن عويمر، ويقال ابن أبي عويمر المزني المدني[18].

وقال البستي عن أبيه رافع[19]: من أهل مكة، وقيل: نزل البصرة[20]، روى عن جماعة في مقدمتهم أنس والزهري[21].

أما أبو المُعافى فيُعتقد أنه كان من شعراء العصر العباسي الذين كانوا في صحابة بني هاشم، وقد كانت له صلات وثيقة بابن محمد بن إبراهيم الإمام (ت١٨٥هـ) خليفة أبيه على المدينة، وله فيه مدائح، وصل إلينا منها بيتان فقط[22]، كما نوه القدامى والمحدثون بصحبته للعباس بن محمد الهاشمي (ت١٨٦هـ) في الشام والعراق[23]، وليس بين يديَّ من مدائحه فيه شيء، ويبدو أن هذه المدائح وغيرها قد ضاعت من ذاكرة التاريخ، فيما ضاع من (ديوان) هذا الشاعر، الذي يقول فيه ابن النديم: "إنه كان في عشرين ورقة"[24].

---

(١٥) معجم الشعراء ، ٤٩٦، والأعلام، ٧/ ٢٥٩، وتاريخ التراث العربي، ٢/ ٤/ ١١.

(١٦) المحمدون من الشعراء، ١٢٤.

(١٧) معجم الشعراء، ٤٩٦.

(١٨) طبقات ابن خياط، ٢/ ٦٨٣، وكتاب الضعفاء والمتروكين، ١/ ١١١، وتهذيب تاريخ دمشق، ٣/ ٢١.

(١٩) كتاب المجروحين من المحدثين، ١/ ١٢٤.

(٢٠) كتاب الضعفاء والمتروكين، ١/ ١١١، ١١٢.

(٢١) نفسه، والضعفاء والمتروكين للدارقطني، ٢٨٠، وكتاب المجروحين من المحدثين، نفسه، وتهذيب تاريخ دمشق، ٣/ ٢١.

(٢٢) ملحق الشعر ص: ٥٤٣.

(٢٣) معجم الشعراء، ٤٩٦، والأعلام، ٧/ ٢٥٩، وتاريخ التراث العربي، ٢/ ٤/ ١١.

(٢٤) الفهرست، تجدد، ١٨٥.

ومن الأبيات التي نجت من الضياع ثلاثة أبيات لامية أنشدها في مدح رجل من قريش لم يُسَمَّ[٢٥]، وبيتان وصف بهما هيامه بمحبوبة له سمراء اسمها (تكتم)، وآخران دعا فيهما إلى العمل والتخلي عن آفات العجز[٢٦] وثلاثة أبيات قالها في وداع صديق له، وبيت واحد في مدح كل من هارون وموسى العباسيين (الملحق/ ٤٤).

ولا أملك من الروايات أو الشواهد ما يعينني على تتبع سيرته، وتحديد سنة وفاته فيما عدا الإشارات السابقة، لذا فإنني أوافق على ما ذهب إليه الزركلي[٢٧]، من أن وفاة هذا الشاعر كانت نحو (١٨٠هـ)، مخلفاً ابنا كان شاعراً أيضاً يدعى (أبا البداح)[٢٨]، أو (أبا القداح)[٢٩] وهو شاعر لم يصل إلينا من أخباره، ولا أشعاره، مايساعدنا على وضعه في موضعه الجدير به على خريطة الشعر المزني، والعربي، آنذاك.

جـ - خارجة المللي[٣٠]:

هو خارجة بن فليح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كبير[٣١] المَلَلي[٣٢]، نسبة إلى (مَلَل) وهي بلدة كانت تقع على مقربة من المدينة المنورة على شق

(٢٥) ملحق الشعر، ص: ٥٤٥.
(٢٦) ملحق الشعر، ص: ٥٤٣، ٥٤٤.
(٢٧) الأعلام، ٧/ ٢٥٩.
(٢٨) معجم الشعراء، ٤٩٦.
(٢٩) المحمدون من الشعراء، ١٢٤.
(٣٠) خارجة بن فليح المللي ترجمته وأخباره وشعره بحث للأستاذ المرحوم عبدالعزيز الرفاعي، مجلة العرب جـ ٥، ص، ٦، ذو القعدة والحجة ١٤١٠هـ / حزيران وتموز - يونيو ويوليو ١٩٩٠م، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جـ ٦٧، ربيع الآخر، ١٤١١هـ وتشرين الأول / نوفمبر ١٩٩٠م، ونشره بسلسلة (شعراء مغمورين «٢»)، الرياض. ١٤١١هـ، وانظر أيضاً ماكتبه الجاسر بمجلة العرب، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩١م، والتعليقات والنوادر للهجري، ٢/ ٦١٣، الحاشية رقم (٥) ص ٦١٤.
(٣١) جمهرة النسب قريش، وأخبارها، ١/ ١٠٨.
(٣٢) الورقة، ٧٤، وقد صُحِّف خطأ في مجالس ثعلب، ١/ ٢٣٥، بـ "المكي".

الروحاء[٣٣].

كان أبوه شاعراً يتصل بثابت بن الزبير بن خبيب، وبين أيدينا بيتان من شعر فليح فيه، يدل مضمونهما على ميله جهة الحزب الزبيري[٣٤]، مما فسح المجال، فيما بعد لابنه خارجة، لكي يواصل تأييده لهذا الحزب، متوجهاً بمدائحه لعبدالله بن مصعب وابنه بكار الزبيريين، بعد أن توليا إمارة (المدينة المنورة) على التتابع، في عهد هارون الرشيد (ت١٩٣هـ)، وبين أيدينا من فيض هذه المدائح أربع قواف، إحداها دالية من خمسة عشر بيتاً[٣٥]، وثلاث رائيات، أولاها في أربعة عشر بيتاً، والثانية في بيتين، والثالثة في ستة عشر بيتاً[٣٦] إضافة إلى رائية رابعة مكونة من تسعة وعشرين بيتاً أنشدها (خارجة) في مدح محمد بن جعفر بن إبراهيم الجعفري المطلبي[٣٧]، وهي القصيدة التي يدل مضمونها على أن تأييد صاحبها للزبيريين لم يكن دائماً، إذ يبدو أنه قد تخللته بعض الميول للطالبيين من آل بيت النبوة رضي الله عنهم.

وقد ذكر ابن الجراح[٣٨]، وتابعه أبو عبيد البكري[٣٩] أن خارجة كان مولى لأسلم، وأنه كان شاعراً حجازياً مجيداً، وباستثناء هذه الإشارات والنصوص،

---

(٣٣) سمط اللآلىء، ٦٥، وفي معجم البلدان (ملل)، قال ياقوت: إنها منزل على طريق المدينة إلى مكة، بعد ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة، وهو واد ينحدر من ورقان جبل مزينة، حتى يصب في (الفرش)، فرش سويقة وانظر أيضاً معجم مااستعجم (ملل).

(٣٤) ملحق الشعر ص: ٦٠٨.

(٣٥) ملحق الشعر، ص: ٥٥٠ ـ ٥٥٢.

(٣٦) ملحق الشعر، ص: ٥٥٧ ـ ٥٥٨؛ ٥٥٨؛ ٥٥٥.

(٣٧) التعليقات والنوادر، خ، الهندية، ١٢١، و ط العبيكان، ٢/ ٦١٣ ـ ٦١٥، وملحق الشعر ص: ٥٥٢ ـ ٥٥٤.

(٣٨) الورقة، ٧٤.

(٣٩) سمط اللآلىء، ١/ ٦٥.

فإننا نفتقـر إلى ما يساعدنا على تتبع سيرة هذا الشـاعر، أو تحديد سنة وفاته، وموضعها، أو سيرة أهله بعده.

والظاهر من الشواهد السابقة أنه كان من شـعراء القرن الثاني الهجري، وأن منيتـه قد وافتـه في العقود الأخـيرة من ذلك القرن، بعـد أن عاش في (ملل) و(الفرش) وغـيرهما من منازل قومـه، وتنقّل بين قصور الأمراء والوجـهاء في عصره.

وبالتأمل في الموضوعات التي تطرق إليها الشاعر في شعره الذي بين أيدينا، نلاحظ أنه قـد تجـاوز المدح إلى الغـزل، والطيف، ووصف الـظعن، وهي موضوعات صاغـها بأسلوب شعري رقيق يفيض سهولـة وعذوبة مواكبة لروح عصـره، بيد أننا نلاحظ قلة مـا تيسـر لنا من هذا الشعـر، مقارنة بمـقولة ابن الجراح[٤٠] عنه بأنه كان "كثير الشعر"، وهي المقولة التي يؤيدها الزبير بن بكار بإشاراته العـابرة في معـرض حديثه عن إحـدى رائياته[٤١]، فالظاهر أن جزءاً كبيراً من شعـره قد أتت عليه الأيامُ، فضاع فيما ضـاع من تراثنا الشعري، بعد أن حظى الشعر المتبقي منه بتقدير بعض فقهـاء عصره، كعبدالملك بن عبدالعزيز ابن الماجـشون (ت٢١٢هـ)[٤٢] إضـافة إلى استـحسـان بعض النقاد له كـابن الجراح[٤٣].

---

(٤٠) الورقة، ٧٤.

(٤١) جمهرة نسب قريش، ١/ ١٣٥.

(٤٢) مجالس ثعلب، ١/ ٢٣٥.

(٤٣) الورقة، ٧٤.

د - عبدالله بن عمرو [1] :

هو أبو عمرو عبدالله بن عمرو بن أبي صبح[2] المزني[3] الأعرابي البدوي الشاعر المجيد الفصيح الذي أخذ عنه العلماء[4] .

لم تتيسّر لي معرفة سنة ولادته ولا منازل نشأته الأولى، ولكنني أفهم من صحبته لآل الزبير ــ كما يدل عليها قوله: "لما استعمل عبدالله بن مصعب (الزبيري) على اليمن، سنة (١٧٥هـ) قال لي مصعب بن عبدالله[*] : "امض معنا إلى صنعاء. . ."[5] ــ على أن هذا الشاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وربما أنشد بعض شعره، في صباه، كغيره من شعراء عصره، في التعبير عن بعض مشاعره وأحاسيسه تجاه المرأة والطبيعة وغيرها، حتى دارت به الأيام والتحق بالزبيريين، وحظى منهم بما كان يرجوه من رعاية شاملة، بسبب تلك المدائح التي تقدم بها إليهم.

ويستهل الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) روايته لإحدى القصائد التي مدح بها هذا الشاعر مصعبَ بنَ عبدالله بقوله: أنشدني عدي بن عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني لأبيه، يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب، حين أجمع المسير إلى اليمن:

---

(١) الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي: عبدالله بن عمرو بن أبي صبح، مجلة العرب، السعودية، الربيعان، ١٤١٠هـ / التشرينان - اكتوبر، نوفمبر ١٩٨٩م، وشعراء مغمورون (١)، دار الرفاعي، الرياض، ١٤١١هـ.

(٢) جمهرة نسب قريش، ١/١٣٩، والورقة، ١٤، والفهرست، ٤٩، وتاريخ دمشق، ١٧/٥٤٩ وفي الورقة، "صبيح" بالتصغير.

(٣) المصادر نفسها، وفي الفهرست ، "المازني".

(٤) الورقة، ١٤، والفهرست، المعرفة، ٧٣.

(*) ملحق الشعر، ص: ٥٧٥.

(٥) جمهرة نسب قريش، ١/٢٠٨، وتاريخ دمشق، ١٦/٥٤٩-٥٥٠.

تقـولُ ابنةُ الزيديّ أصـبـحتَ وافـداً عـلـى مَـلِكٍ ، أيّ المـلـوك تُـريـدُ
فقلت لها : مسـتوردٌ حوض مُصْعَبٍ فـقـالت : وأنّي والمسـيـرُ بعـيـد(٦)

ويستفـاد من هذا الخبر أنه كان لهذا الشاعـر ابن يدعى (عديا)، وكان يعنَى برواية بعض أشعـار أبيه، هواية، أو احترافـا، وربما كانت أمه هي التي يلقـبها الأب بـ (ابنة الزيدي)، التي وُصـفت أحوالها عند رغـبة الزوجِ في السـفر إلى اليمن بقوله(٧):

قالـت شُمَيْـسَة ، إذ قـامت تُودِّعُني والدمع يجـري على الخَدين أسـلاكا
لايُلهـينَّك عنّـا بَعْـدَ فُـرقـتَنِا بُعـدُ المزار وإن صـاحَـبْتَ أمـلاكـا

ويبدو أن "شُمَيْسة" هي (أم عـمرو) التي كانت تسكن في قلبه مودتها، مما دفعه إلى المرور عليها طمعاً في نظرة منها، ثم يستأنف سفره إلى ممدوحيه:

لابُدّ من نظرة أشفي بها كَمَدي من (أم عمرو) قليلاً ثم ألقاكا

وقد يكون تمسك هذا الزوج بحبال مودته مع زوجـته، راجعاً إلى من يرزقه الله منها من أبناء صدق مـاجدين، ورثوا الشجاعة والرياسـة، كابراً عن كابر، فجعلوه يحيا كريماً في عزة وإباء، على رغم ما يواجهه من تقلبات الدهر(٨):

أبى الضـيمَ لي قلبٌ ذكـيٌ وصـارمٌ وأنفٌ حَمِيٌّ يأبيـا الذل والخذلا(!)(*)
وأبناءُ صـدقٍ مـاجـدونَ وأسـرة مـصـاليتُ كـانوا لا بـطاءً ولا نُكلا

وكغيره من شـعراء عصره، كانت له بعض الملاحيات الشـعرية مع أكثر من واحد من الخصوم، لأسباب قد تعـود للتنافس في المصالح الاقتصادية وغيرها،

---

(٦) نفسه، ١/ ٢١١، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٥٥٢.
(٧) ملحق الشعر، ص: ٥٧٥ ـ ٥٧٧.
(٨) ملحق الشعر، ص: ٥٨٠ ـ ٥٨٢.
(*) كذا ورد البيت، ويستقيم معنى ولغةً إذا قيل: وأنفٌ حَمِيٌّ قد أَبَى الذلَّ والخذلا.

وأولاها مع شاعر يدعى (أبا مدرك حاتم بن مدرك من بني الحارث)، وهو شاعر لا أملك ما يساعدني على الإلمام بسيرته وشعره، وعصره، وهي الملاحاة التي أورد (الهجري)[٩] في تعليقاته جانباً منها، ناصاً على سبق عبدالله بن عمرو القول، ثم إيراد لامية لأبي مدرك، يرد بها على لامية ابن عمرو، فالقصيدة التي رد بها ابن عمرو على لامية أبي مدرك.

ويستفاد من قول أبي مدرك في مخاطبة عبدالله بن عمرو:

ويُجلسُ ذلفاءَ المليحةَ عندنا ... وجُمْلاً فإن الله مَلَّحَ لي جُمْلا
هجانان قال الله : كونا ، فكانتا ... كما قال ، لاتدرون أيهما أحلى
وذلفاءُ في غير التماس لعيبها ... بغَوْرٍ ، فلم تسكن دماثا ولا سهلا

- إضافة إلى رد الشاعر ناقضاً ماذهب إليه، في هذا الصدد.... أن هاتين اللتين ذُكرَتَا في أبياتهما، ربما كانتا ابنتين لابن عمرو، أو أختين.

أما الملاحاة الثانية، فقد دارت بين (عبدالله بن عمرو) وشاعر آخر هو محمد ابن عبدالملك الأسدي الفقعسي[*]، عندما حضرا دارا فيها وليمة، فازدحما على الباب، فغلب ابنُ عمرو، ودخل قبل الفقعسي، والنشوة تملأ أعطافه، فتمنى لو كانت امرأته ترى مشهده، قائلا[١٠]:

ألا ياليتَ أنكِ أمَّ عمرو ... شهدتِ مُقاومي كي تعذريني
ودفعِي منكبَ الأسدي عني ... على عَجَلٍ بناحيةٍ زبُون

---

(٩) التعليقات والنوادر، خ و المصرية، ص، ٤٥٩، ومطبوعة بغداد، ٢/٢٥٨-٢٦١، وط العبيكان، الرياض، ٢/٧٠٧ ـ ٧٠٩.

(*) ملحق الشعر، ص: ٥٨٦.

(١٠) الورقة، ١٤، والفهرست، خياط، ٤٩، والمعرفة، ٧٣، وملحق الشعر، ص: ٥٨٦.

ولعل هذا الأسلوب المعيشي التطفيلي الذي لجأ إليه هذا الشاعر كانت وراءه عوامل اقتصادية واجتماعية قاسية، وهي عوامل أزاح عن بعض مظاهرها، بكشفه النقاب، في أكثر من موضع من شعره، في معرض ثنائه على ممدوحيه، عن مرارة ماكان يلاقيه من فترات صعبة اضطرته إلى الاقتراض والدَّيْن، بأعبائهما الثقيلة، التي لم يخلصه منها غيرُ ممدوحه عبدالله بن مصعب، الذي راح يخاطبه بقوله(١١):

يابَن الزبير، لقد فَرَّجْتَ من كُربَي ... ورفَلْتني لك الفيضاتُ والتحفُ
وقد جبرتَ جناحي بعد رقته ... حتى انتَهضْتُ وحتى مسَّني الترفُ
وقد تخلصْتَني من بين مأسدةٍ ... أذلني لهمُ السلطانُ والصُّحُفُ

وقوله(١٢):

وأنقذتَني من لُجَّةِ الدَّين بعدما ... غَرِقْتُ، وغاشي لُجَّة الدَّيْنِ غارقُ

وإزاء سكوتِ النقادِ عن إعطاءِ هذا الشاعر بعض مايستحقه من تقدير أدبي، فقد شهد له محمد بن موسى الأنصاري القاضي(*) بشيء من التفوق الشعري، حسب رواية الزبير بن بكار التي يقول فيها(١٣): "كان أبو غزيّةَ محمد بن موسى كثيراً مايجلس إليَّ، فجلس إليَّ ليلة، بين المغرب والعشاء الآخرة، في مسجد رسول الله ﷺ، وهو إذ ذاك قاض، فتحدثنا إلى أن ذُكِرَ الشعر، فقال لي: ابن أبي صبح أشعرُ الناس، حيث يقول لعمك (مصعب بن عبدالله الزبيري):

---

(١١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ١/ ١٤٠، ١٤١، وملحق الشعر، ص: ٥٧١ ـ ٥٧٢.

(١٢) نفسه، ١/ ٢١٠، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٥٥١,٥٥٢، وملحق الشعر، ص: ٥٧٣ ـ ٥٧٤.

(*) ملحق الشعر، ص: ٥٦٨.

(١٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ١/ ٢١٢، وتاريخ بغداد، ١٣/ ١١٣.

فما عيشُنا إلا الربيعُ ومُصْعَبٌ   يدور علينا مُصْعَبٌ ونَدُورُ

ولعل سرا من أسرار هذا التفوق الشعري لعبدالله بن عمرو يكمن في خوضه فنون المديح والهجاء، والرثاء، والغزل، إلى جانب براعته في المديح الذي أوقفه، فيما بين أيدينا، على آل الزبير .... غير أننا لا نملك من الروايات ما يساعدنا على تحديد سنة وفاته .... والظاهر من الشواهد السابقة أنه مات في أواخر القرن الثاني الهجري، وأن وفاته، كانت ببغداد[١٤].

هـ - مُكنف بن نُمَيْلَة:

هو أبو سلمى مكنف بن نميلة من ولد آل زهير بن أبي سلمى، وهو شاعر كان على صلات مضطربة بذفافةَ العبسي تلك الشخصية التي عاصرت الرشيد (ت ١٩٢هـ) وابنيه الأمين (١٩٨هـ) والمأمون (٢١٨هـ)[١٥] لا تساعدني المصادر على تحديد عصرها ومكانتها الاجتماعية، مما كان له آثاره على صفحات شعره، فوصلت إلينا بقايا من هذا الشعر الذي يهجو به العبسيين ويسخر من ذفافة[١٦]، وبقايا أخرى يرثي بها هذا الرجل بعد موته[١٧]، إضافة إلى أبيات أخرى يتغزل فيها، ويشكو من الشيب ويقف بالأطلال[١٨]، وتدل هذه الأشعار على أنه كان أحد شعراء القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث الهجريين، ولعلنا نعثر في قابل الأيام على ما يساعدنا على تتبع سيرة هذا الشاعر وغيره من أبناء قومه.

---

(١٤) الورقة، ١٤، والفهرست، ٤٩.

(١٥) الأغاني، الهيئة، ٢٠/٢١٧.

(١٦) ملحق الشعر، ص: ٦١٢.

(١٧) ملحق الشعر، ص: ٦٠٩.

(١٨) الأنوار، ٢١٦، وملحق الشعر، ص: ٦١٢.

و - زينب بنت عُرْفُطة :

هي زينب بنت عرفطة بن سهل بن مكدم المزنية[19]، قال عنها أبوالفرج: "كانت ذات شرف، تزوجها أبو وجزة السعدي (ت١٣٠هـ)، فأنجب منها (عبيدا)، ومرت عليهما الأيام، فعنست أم عبيد، فأبغضها زوجها، وقال فيها شعراً رجزياً، يهجوها فيه هجاء مراً، فردت عليه بالشعر أيضاً[20].

وليس بين يدي، سوى هذا الخبر، شيء يعينُني على تتبُع سيرتها، ولا مكانتها الأدبية، ولا تحديد سنة وفاتها، والظاهر أنها تُوفيتْ قريباً من بدايات القرن الثاني الهجري، أو في العقودِ الأولى منه.

(١٩) الأغاني، دار الثقافة، ١٢/٢٤٦-٢٤٧.

(٢٠) ملحق الشعر، ص: ٥٦٢، ومع الفقهاء الشعراء، للمؤلف، ص ٦١- ٦٢ و١١٣.

ثالثاً : شعراء مزينة المجهولو العصر :

بين يدي أشعار لبعض المزنيين والمزنيات، ولكنني أفتقر إلى المعلومات التي تساعدني على تحديد عصر كل منهم جاهلية وإسلاماً، مما يضطرني إلى وضعهم تحت هذا العنوان ومنهم:

أ - أوس بن أبي سلمى :

أخو زهير الشاعر، الذي نص ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ) على شاعريته[١] ونسب له ثعلب وصعوداء شارحا ديوان زهير ميمية من ثمانية أبيات[٢]، وأشار أبوعمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ) أحد شراح شعر زهير، إلى ميمية أخرى له، مما نسب لأخيه زهير[٣] ..... وربما كانت العينية التي جاءت على لسان كعب ابن زهير في ديوانه[٤]، مُصدَّرة بمقولة السكري (ت٢٧٥هـ)، أحد شارحي شعره: "وزعم الأصمعي (ت٢١٦هـ)، أن هذه القصيدة لأوس بن حجر" ـ من إبداع أوس بن أبي سلمى عمه، فالتبس الأمر على السكري؛ الذي كان يعلم جيداً أن أوس بن حجر شاعر مات في الجاهلية، أو أن تصحيفاً قد وقع في المخطوطة التي بين أيدينا، فوُضِعَ اسمُ "حَجَرٍ" في مكان "أبي سُلمى".

وإن صح ما أميل إليه، هنا، جاز لي أن أتصور أن أوساً المزني هذا شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، فأسلم، وحسن إسلامه، وذهب داعياً إليه، حتى لقى ربه راضياً مرضياً.

---

(١) الأغاني، الدار، ١٠/ ٣١٤، ومعاهد التنصيص، ١/ ١١٠.

(٢) شرح شعر زهير ،١٨١، والأعلم، ٢٧٦، وصعوداء، ٣، وانظر أيضاً: المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥٤.

(٣) نفسه، الآفاق، ٢٨١، والأعلم، ٢٧٢، وصعوداء، ٨١-٨٣.

(٤) ديوان كعب، قراقو، ٦١، والقاهرة، ١١١.

وباستثناء هذه الإشارات، ليس بين يدي شيء عن حياة هذا الشاعر ولاموطنه، ولامهنته، ولاأسرته، فيما عدا شطر رواية الآمدي التي ألمحتُ إليها من قبل، في تقرير بُنوَّةِ " بُجَيْرٍ " المزني لهذا الشاعر[٥]، وإن صحت هذه الرواية جاز لي أن أزعم أن هذا الرجل، كان كأخيه زهير يمتلك من الحيوانات مايعينه على أعباء حياته، وحياة أسرته، تلك الحيوانات التي كان بجير يقوم برعيها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في أكثر من موقع.

ب - حسان بن الغدير:

هو أخو بني عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أُدٍّ المزني[٦]، وهو شاعر وصل إلينا من شعره أربعةَ عشرَ بيتاً، موزعة على ثلاثِ مقطوعاتٍ، أولاها بائية في بيتين، يبدو أنهما بقية لأصول ضائعة، يشكو فيهما الشيب وآلامه فيه[٧]، وثانيتهما: حائية من خمسة أبيات يظهر لقارئها أنها من إنتاج شاعر اطلع على بعض الكتب السماوية كالإنجيل والتوراة، إذ يخرج الشاعر على قومه من خلالها، متأثراً بروافد دينيةٍ متعددةٍ، لم تنضج بنور الإسلام، حاثاً على العمل، وبذل النفع للآخرين قبل أن يأتي داعي الموت الذي لايترك فرصة لأحد، راثياً لأولئك الذين كانوا ينظرون للبنات، نظرة حطة وسخرية وازدراء[٨]، أما الثالثة: فقد استهلها القالي (ت٣٥٦هـ)[٩] بخبر لا أستطيع من خلاله أن أضع حسان هذا في موضعه الدقيق من عصره، جاهلية

---

(٥) المؤتلف والمختلف، ٧٤, ٧٥.

(٦) المؤتلف والمختلف، ٢٤٦, ٢٤٧.

(٧) ملحق الشعر، ص: ٦١٥.

(٨) ملحق الشعر، ص: ٦١٥ - ٦١٦.

(٩) ذيل الأمالي، الآفاق، ٨٩، وملحق الشعر، ص: ٦١٧ ـ ٦١٨.

وإسلاماً، أو بين بين، والأشياء الوحيدة التي أستطيع الخروج بها من قراءتي لهذا الخبر، وما يتبعه من أبيات، هي أن الشاعر الذي أنشدها كان "شيخاً كبيراً، من أجمل الشيوخ وأحسنهم" وأنه كان قد تعلق بحب فتاة من بني جشم بن بكر، فضرب الدهرُ بينهما، فلم يرها إلا بعد أربعين سنة من افتراقهما، فإذا هي عجوز مثله، وكان هذا الإدراك منهما لواقع أمرهما، إيذاناً له لكي تكون أبياته، هذه، رثاء للنفس، وبكاء العمر، وبالتالي، فهي، كبائيته السابقة، من أواخر ما أنشده، وقد بلغ من العمر عتياً.

جـ - الخنساء بنت أبي سُلْمى :

ويقال (خنساء) وهي أخت زهير[١٠]، وقد وصل إلينا من شعرها ثلاثة أبيات في الرثاء، وهي أبيات يلاحظ قارئها تأثر منشدتها بروافد دينية درج أخوها زهير على أن ينهل من معينها ومع ذلك لا أستطيع، في غياب الروايات والنصوص، الجزم بتحديد عصرها، هل كانت جاهلية أم مخضرمة ؟ . . . ولعل المصادر تجودُ علينا بجوابٍ على هذا السؤال في قابل الأيام.

د - مضرس بن قرطـة :

هو مـضـرس بن قـرطة[١١] بن الحـارث[١٢] أحـد بني صـبح بن عـوف المزني[١٣]، وهو شاعر لم تساعدني المصـادر على وضعه في عصره الذي عاش فيه، وغاية مابين يدي من شعره فائية ضاعت بقيـة أبياتها، يخبرنا فيها صاحبها بهيامه بمن يسميها (سُليمى) التي يبدو أنها كانت محبوبته في ريعان شبابه[١٤]، إضافة إلى قافـيَّة من ثلاثين بيتاً اضطربت نسبةُ بعض أبياتهـا بينه وبين كثير من الشعراء الـذين خاضوا في مثل مـعانيه[١٥]، وهو في هذه القصـيدة يخصص القـول فـي فـن الغزل، تخـصيصـاً كاملاً بما يكاد يومئ إلى أن عصـر إنشادها كان فـي عهـد ازدهـار هذا الفن، وهو أواسط العصـر الأموي، ومـا تلاه من عصور أدبية.

هـ - غُزْلان الثمامي:

من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف ولم أجد ما يعين على معرفة حياته وشعره إلا أبياتًا خمسة ذكرها صاحب التعليقات والنوادر[١٦].

* * *

(١١) وفي أمالي الـقالي، ٢/٢٨٦، والحمـاسة البـصرية، بيـروت، ٢/١٠١، ولباب الآداب، ٤١١، والأغاني، الدار، ٥/١٩٣، "قرط" وفي السمط، ص، ٨٩٣ "قرظة".

(١٢) في اللباب، نفسه، "حارثة".

(١٣) المؤتلف والمختلف، ٢٩٣، وقارن الأغاني، نفسه، ومجموعة المعاني، ٢٠٨.

(١٤) المؤتلف والمختلف، ٢٩٣، والحماسة البصرية، ٢/٢٠٣، وملحق الشعر، ص: ٦٢٣.

(١٥) ملحق الشعر، ص: ٦٢٣ ـ ٦٢٨.

(١٦) ملحق الشعر، ص: ٦٢١.

الباب الثاني

موضوعات شعرية

الفصل الأول: الشعر وظواهر الطبيعة

الفصل الثاني: الشعر والمجتمع الإسلامي

الفصل الثالث: التأمل الذاتي في شعر المزني

الفصل الأول

الشعر وظواهر الطبيعة

الشعر وظواهر الطبيعة

الإنسان ابن بيئته وعصره، ينشأ متأثراً بخصائصهما، وينمو وسماتهما تجري في دمائه، وبقدر ما يوهب من قدرات، ينفعل مع عناصر هذه البيئة، وذلك العصر اللذين يعيش في أكنافهما، ويسعى في مناكبهما، بكل ما يشتملان عليه من عوالم الإنس والحيوان والنبات وغيرها.

وقد تمثل الشعراءُ المزنيون، كغيرهم من معاصريهم، مظاهر بيئتهم، واندمجوا فيها اندماجاً يشهد على عظمته مابين أيدينا من تراثهم الشعري، ونسجت الأيام والسنون أواصر المحبة والوئام، بينهم وبين عناصر الطبيعة من حولهم، فراحوا يصفون ظواهرها المختلفة، ويصورون عناصرها وأجزاءها بشغف وهيام، نستطيع أن نقتبس بعض ملامحهما، بالحديث عن تناولهم للمكان، والحيوان، والطير والنبات، وما يتصل بكل ذلك من ظواهر جوية، كالرياح وغيرها، والمياه، والسراب.

أولاً: المكان:

للمكان مكانته العزيزة السامية في قلب كل عربي، وهي مكانة تشهد بعراقتها أشعار العرب التي وصلت إلينا ناطقة بتمسكهم بأوطانهم وحنينهم إلى عبق ذكرياتهم فيها.. وقد نهل المزنيون من معين هذه الوشائج العريقة، فخلفوا لنا ما يساعدنا على رصد جوانب متعددة من نظرتهم للمكان، وهي الجوانب التي تتلخص في الأطلال والطريق والسراب والجبال والرياح والربيع.... كما يلي:

أ - الأطلال :

وقف المزنيون بالأطلال، وصوروها من عدة جوانب، في مقدمتها مايعتورها من (عفاء)، و (خـلاء)، فأبرزوا أسبابهما ومظاهرهمـا، إبرازاً نلمسه في تأمل معن بن أوس لمعالم (خُـمّ) و (المسحـاءِ) و (سَـرَفٍ) وغيرها، مدركاً أن السنين قد أتتْ عليها، بعد أن كانت زاخرة بالحيـاة العامرة والأنس الرغيد، مُترنمًا بآهة مصدورة قائلاً [1]:

عفا وخلا ممن عهدتَ به خُـمُّ   وشاقَكَ بالمسحاء من سَرَف رَسْمُ

عفا حِقَباً من بعد ماخَفَّ أهله

ثم يُمعن النظر، متفكراً في مـعالم بعض الديارِ الأُخرى بـ (لأْي) و(عتائدَ) و(ذي سَلَمٍ) وغيرها؛ فيشهدها قد:

تعفّت مغانيها، وخَفَّ أنيسُها   مِنَ اَدْهمَ محروسٍ قديمٍ معاهدُهُ[2]

فتعود بفكره تلك المنازل التي وطئها، قبل، فـيعايش ماتبقى منها، مقرراً أن آثار هذه الديار ظاهرة له، فهي مع دروسـها، تلوح له، جميلة واضحـة "كما لاحَ فوقَ المـعصَمِ الحَـسَنِ الوَشْمُ"، وهي تتراءى إلى عـينيه، وحـسه وقلـبه، وماهي إلا آثار حيّ صـالحين، فرقتهم يد الزمـان، ولعبت بهم أيدي المنون، بما كتبت عليهم من بعاد وفراق، فـارتحلوا تاركين أرضهم العزيزة، على أنفسهم، بعد أن شدوا الرحال إلى أماكن أخرى، وهو يراقبهم في تأثر وانفعال بالغين:

يلـوح وقـد عَـفَّى منازِلَهُ البِـلَى   كما لاح فـوق المعصم الحَسَن الوَشْمُ[3]

مَـدَامِنُ حيٍّ صـالِحِينَ رمـتْ بهم   نوى الشَّحْط إذ رَدُّوا الجمـالَ وإذْ زَمُّوا

---

(١) شعر معن، ليبزج، ص: ٢، وديوانه، بغداد، ٣٥.

(٢) ديوان معن، بغداد، ص: ١٠٣, ١٠٤.

(٣) شعره، ليبزج، ص: ٣، وحياته وشعره، ١, ٢، وديوانه، بغداد، ص: ٣٦.

ويتوقف كعب بن زهيـر على أطلاله، وأطلال قومه، حائراً متسائلاً، وهو يقـرر أن آثار الديار التي يقف بهـا قـد درست، فلم يبق منهـا إلا خط كـخط الكاتب في صحـيفتـه، مبيناً أن الـذي أصاب هذه الديار بهذا العـفاء، وذلك الاندثـار إنـما هو رياح الصـيف المتحركة الشـديدة، بإثارتها للرمـال والأتربة، وما يخلفه كرُّها من أمطار غزيرة دائمة الهطول قائلاً[٤]:

أتعـرف رسمـاً بين (رَهْمَانَ) فَـالرَّقَمْ ... إلى ذي مـراهيط كـمـا خُـطَّ بالقَلَمْ
عَـفَتْـه رياحُ الصـيفِ بعـدي بمورها ... وأنديـةُ الجــوزاءِ بـالوبـلِ والدِّيَمْ

ويعزف مـعن على قيثـارة البيت الثاني من بـيتي كعب هذين، بتـقريره أنه بارتحـال الأهلين عن تلك الديار التي يصـفـهـا، ثارت عليهـا الرياح الهـوج، وهطلت عليها الأمطار الدائمة بغزارتها الكثيفة، قائلاً[٥]:

عَفَا حِقَباً من بعد ماخَفَّ أهلُهُ ... وحَنَّتْ به الأرواحُ والهُطَّلُ السُّحْمُ

ثم يستهل قـصيدة أخرى حـائية بلوحة طللية يظهـر فيها ماعـاناه من جهود مضنيـة في معـاينة آثار الديار، التي كانت لهـم بـ (المعَبَّر)، مكابـداً، حتى إنه ليـتوهم آثارها توهمـاً، بسبب مـا أصابهـا من تغيـر، بعد أن غـادرها أهلوها اضطراراً، إذ هبت عليـها سُـحُبٌ كثيـفة طوافـة، ترود وتجول، مـتجـهة من الجنوب، من (حضـرموت)، يقودها سـحابُ "المرتجز" المتتـابع، ذو الأصواتِ المرعدةِ الهدارةِ، المصلصلةِ المدويةِ المتقطعةِ، يسري فيها لمعان البرق، فيملأ الجو بالأنوار التي تشبه الأنوار المنبعثة من المصابيح:

---

(٤) ديوان كعب، قراقو، ص: ٣٨، والقاهرة، ٦١، والأحول، ص : ١٠.
(٥) شعر معن، الميمية المشار إليها من قبل.

توهمت رَبْعًا بالمُعَبَّر واضحا أبَتْ قَرَّتاهُ اليومَ ، إلا تَراوُحَا
أربَّتْ عليه رادةٌ حضرميةٌ ومرتجزٌ كأنَّ فيه المصابِحا[(٦)]

وبموافاة الشاعر منهم الأطلال ديار أهله، وأهل وده وصبابته، وإدراكه لما قد أصابها من عفاء وخراب ودمار - تتجدد في قلبه لواعج الحب والصبابة، والهيام، وهي اللواعج التي يشير إليها عقبة بن كعب، في تقريره أن من يستشرف "الثور الأغر" ، فسوف يجدد له الذكريات ويهيج عليه الأشواق والأحزان[(٧)]:

متى تُشْرفُ "الثور الأغرَّ" فإنما لك اليوم من إشرافه أن تذكّرا

وسعى مكتف بن نميلة بين ديار أحبته وطاف، فتبلت قلبه، وأسرت فكره، وهاجت بوجدانه ذكريات حب عارسة، أوحت بها دِمَنُ هذه الديار ورسومها الخالية... غير أنه بمرور الوقت يتوقف، فيسأل نفسه في أسى وحيرة قاتلين ماجدوى بقائه على هذه الحالة البائسة اليائسة؟!! وعما إذا كانت الديار، بما حل بها من عفاء وخلاء، مازالت ترفده بالحيوية والنضارة والجمال، وتشفي غليله من شوقه العارم وحنينه القتال إلى أيامه الخالية... منتهياً إلى الوقوف بتضرع وخشوع، طالباً السقيا الغزيرة الدائمة لها بما قد يعيد إليها بعض معالم الخصوبة والنضارة والبشر من جديد:

حتى متى أنا بالديار تَبِيلُ وَجَدا الديار ونفعُهُنَّ قليل[(٨)]
هاجَتْ بذي (بَقْرٍ) عليك صبابَةً دِمَنُ الديار ورسمُهُن مُحيلُ
إن المنازلَ لاتزالُ على البِلَى بـ(الطَّلْح) تُسعِفُني لهُنَّ طُلُولُ
فَسَقَى بـ(ذي بقرٍ) ديارَكِ مُسْبلٌ هزِمُ يجودُ عِراصَها ويسيلُ

---

(٦) معن، حياته وشعره، ٧٧، وديوانه، بغداد، ١٠٢ ، وديوانه، جدة، ٢٤ .
(٧) بلاد العرب، ٧٥.
(٨) الأنوار ومحاسن الأشعار، ١٢٦، والتبيل، المتيم الذاهب العقل، والجدا، الفائدة، والمسبل الهزم، المطر الكثير.

ولا يكتفي (العوام بن عقبة) بمجرد التساؤل الحائر أمام الأطلال، ولكنه، وقد ثارت ذكرياته، عند مروره بمنازل عشقه وهواه، بين (الغَميم) و (زلفة)، فجعلته ينخرط في البكاء، يحدث قلبه بالتسلي والصبر أمام سنة الحياة، داعياً لها ـ مثل سابقه ـ بالسقيا عسى أن تعود أيامها النضرة فتسقيه من غدران سعادتها وهنائها(٩):

سَقى جَدَثاً بين (الغميم) و(زلفة) أحمّ الذرا واهي العزالى مطيرها
فقلتُ لقلبي لا تُبكّ فإنه كذاك الليالي طولها وقصيرها
فإني لباكٍ مابقيتُ وإنه لأسوأ عبرات الرجال كثيرها

ويضيف (معن بن أوس) إلى ما فعله هؤلاء الشعراء دعوة خليليه بالحاح إلى الوقوف معه، ليبكيا معه، على ما اعتور دياره وديار أهله، من فناء ذوي وده، أولي العزة والمروءة، والسؤدد والسلطان، مخلفين له مرارة الوحدة ووحشة العزلة، يتجرع كؤوسهما في أسى وحسرة(١٠):

قفا ياخليليَّ المطيّ المقَرَّدا على الطلل البالي الذي قد تأبَّدا
قفا نبك في أطلالِ دارٍ تَنكَّرَتْ لنا بعد عرفان تُشَابا وتُحْمَدا
قفا إنها أمْسَت قفاراً ومَنْ بها وإن كان من ذي وُدّنا قد تمعددا
ولم يُغنِ من حَيٍّ ومن حي خُلّتي بها من يُناصي الشمس عزا وسُؤددا
فلي أشهرٌ حتى إذا انشقت العصا وطار شَعَاعاً أمرُهم ، فتبدّدا

(٩) ملحق الشعر، ص: ٦٠٥، والجدث: القبر، والأحم: الأخص والأقرب، والواهي: الضعيف.

(١٠) شعر معن، ليبزج، ٢٦ ,٢٧، وديوانه، بغداد، ٧٦ ,٧٧. والمقرد: المذلل. وانشقت العصا: تفرقت الجماعة. وطار شعاعا: ذهب في كل وجه.

ويُستفاد من البيت الأخير من هذه المقطوعة أن صاحبها يُحَدِّدُ الفترة الزمنية بين ارتحال أهليه عن الديار التي يقف بها باكياً، هو وصحبه، وما أصابها من بلى وإقفار بـ(الأشهر التي لا يعرف مداها). أما كعب ابن زهير فقد حدد هذه المدة بليالٍ وأشهر على إثر حَوْلٍ في قوله(١١):

أمن أم شدادٍ رسومُ المنازلِ ... توهمتُها من بعد سافٍ ووابلِ
وبعد ليالٍ قد خَلوْن وأشهُرٍ ... على إثرِ حَوْلٍ قد تَجَرَّم كاملِ

وتبرز للمتأمل فيما أوردتُه من لوحات طلليةٍ عدةُ ملاحظاتٍ أُجملُها فيما يلي:

١ـ إن بعض المزنيين قد بدأ وقوفه بالأطلال حائراً متسائلاً.

٢ـ إن بعضهم قد سجل أسماء بعض النساء اللائي قد يرتبط بهن ببعض الوشائج والصلات، إلى جانب تسجيله لأسماء العديد من الأمكنة والبقاع.

٣ـ إن بعضهم قد رفع أكف الضراعة طالباً السقيا للديار التي يقف بها.

٤ـ إن بعضهم وقف باكياً، يردع نفسه عن البكاء، في الوقت الذي راح بعضهم الآخر يحث خليليه على الوقوف للبكاء معه، على أصحاب الديار الغابرين.

٥ـ إن بعض النماذج الطللية التي أثبتها في الصفحات السابقة، قد ارتبطت بشكل أو بآخر، بوصف الظعائن والغزل والنسيب.

٦ـ إن جميع النماذج المتقدمة تخلو من وصف الحيوانات الأليفة، أو الوحشية، بوصفها عنصراً مكملاً من عناصر وصف الأطلال، عند غيرهم من الشعراء المعاصرين لهم.

(١١) ديوان كعب، قراقو، ٤٩، والقاهرة، ٨٩، والأحول، ٦٩. والسافي: الريح التي تُسفِي التراب فتمحو معالم الديار، والوابل: المطر الغزير، تجرم: انقضى.

وتساؤل الشاعر المزني في بدايات وصفه للأطلال يعود، فيما أعتقد، إلى أنه فنان "والفنان يجري الحياة في أشياء حوله، قد لا يرى فيها الإنسان العادي ذلك، فالفنان يرى الحياة فيما يريد له الحياة، أو فيما يمثلها له ؛ ولذا فهو يرى في الجماد شيئاً يمكن أن يَرُدَّ عليه سؤاله، ويمكنه أن يتعاطف معه، ويشاركه مايشعر به، ولم يقف الشاعر على الطلل وقوف إنسان يتذكر، ويبكي، ويحاول استرجاع الماضي أو ينظر إلى فعل الزمن وحسب، بل إن هذه الأطلال تمثل الآن حياة كانت، وبالإمعان في هذه النظرة أو بالاندماج في الموقف خلع الشاعر الحياة على هذا الطلل البالي، فهذه البقايا حية في نظره، لأنها ناطقة بغير لسان ومعبرة بغير بيان، ناطقة بالذكرى، والحب، والحنين، وفعل الزمن، وبما أنها ناطقة، فيمكن له إذن أن يسألها عن أهلها الراحلين، وكيف هم؟ وكيف كانوا؟ وكيف حالهم؟ وبالتالي يمكنها أن ترد عليه... ومن ثم يمكنه أن يجيبها تعبيراً عن إحساسه نحوها ومكانتها لديه..."(١٢).

أما تتابع ذكره لأسماء النساء: محبوباتٍ، أو أخواتٍ، أو قريبات له من هذه المكانة، أو رموزاً لهؤلاء وأولئك وغيرهن، فلعله يوحي بارتباط الشاعر المزني، كغيره من شعراء عصره ، بذلك الإنسان المحب المكمل لآدميته المؤنس لوحدته، المشارك له أوقات عسره ويسره، لذا فإنه يتعلق بتلك الخيوط التي تتسرب إلى أعماق قلبه، وشغاف وجدانه من هذا الماضي الرغيد، مشعة عليه بكل آيات المحبة والمودة والحنين والانتماء لهذه الديار بوصفها الأرض العزيزة، التي كم جمعت بين الأنيسَيْنِ، وقربت بين قلوب المحبين، وهذه الديار، التي تناثرت بين عشرات المناطق والمواضع، التي قد يكون ذكرها، والتعلق بها حقيقة، يرتبط بها الشاعر واقعاً، أو تدلف إلى جوارحه تشوقاً، وتخيلاً، يرسم بها

(١٢) الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، ٢/ ٢٠ ـ ٢١.

عناصر لوحته الفنية التي نسجت خيوطها في وجدانه، واصطبغت في قلبه بشتى الألوان والأشكال التي أظهرها الشاعرُ للوُجود ناطقةً بها.

أما استسقاؤُه لهذه الأطلال فيعود، فيما أرى، إلى شعور الشاعر وإحساسه القوي بقرب هذه الأماكن من قلبه وروحه ووجدانه؛ مما يدفعه إلى محاولة رد بعض أفضالها عليه؛ بما غمرته في سالف أيامه، من عطاء وفير، وسعادة غامرة وهناء. في الوقت الذي لا يجد، هو، ما يفي به لمرابع ذكريات صباه وشبابه النضرة، إلا التضرع لخالق هذا الكون عسى أن يمن عليها بالسقيا، لتعود إليها نضارتها وبهجتها، ويعود إليه أنسُه من جديد.

أما وقوف بعض الشعراء على أطلالهم، باكين أو مُبْكِين، وارتباط بعض اللوحات الطللية بوصف الظعائن، وما يتبعها من غزل أو تشبيب، فإنهما ظاهرتان سوف أُرجئُ حديثي عنهما إلى الفصلَيْنِ التاليَيْنِ إن شاء اللهُ، ؛ لكونهما خيوطاً تدلف بنا إلى شيء من الاعتقاد بأنها "طقس جماعي"(١٣) عربي يعبر عن حنين العرب للأرض والوطن، وهو طقس نسج على منواله شعراء من أجيال متتابعة، إضافة إلى ما أراه من عكوف بعض الشعراء في هذا البكاء الطللي، على ذواتهم يتأملونها، ويحللون مشاعرها.

أما خلو النماذج السابقة من وصف الحيوانات، فيبدو لي أنه لم يكن تقليداً فنياً مزنياً منذ الجاهلية، إذ تطرق إليه زهيرٌ في أكثر من موضع من شعره(١٤)، وتبعه في هذا المسلك ابنه كعبٌ، عندما خاطب زوجته، التي طالما وجهت له

(١٣) ينظر مثلاً، الأدب المقارن، ١٩٢, ١٩٣، ودراسات في الشعر العربي المعاصر، ٢٥٦-٢٦٣، وقراءة ثانية لشعرنا القديم، ٥٣-٦٥، والحنين إلى الوطن، ١٢, ١٣.

(١٤) انظر مطلع معلقته بديوانه، الهيئة، ص، ٥، والأعلم، ١٠، وتشستربتي، ٢. وهمزيته بديوانه، الهيئة، ٥٦, ٥٧، والأعلم، ١٢٢، ١٢٣، وميميته بشرح شعره، الآفاق، ٢٨١، والأعلم، ٢٧٢، وغيرها.

سهام لومها وعتابها وتوبيخها ؛ بسبب ماتراه من إسرافه وتبذيره، على رغم ماتشعر به من سوء أحواله، وقلة ذات يده قائلاً لها(١٥):

فَأُقْسِمُ لولا أن أُسِرَّ ندامةِ ... وأُعلن أخرى إن تراخَتْ بك النَّوَى
لقد سكنتْ بيني وبينك حقبةَ ... بأطلائها العِينُ الملمّعةُ الشَّوى

فهو - وإن لم يبرز هذا المنظر في لوحة طللية واضحة الخطوط والألوان والمعالم - يحدسُ بما قد يراه عن قرب في المناظر المشابهة لموقفه، هو وزوجته، إذ يتهددُّها، كغيرهما من الراحلين الغابرين، إذا ما أصرت على ما هي عليه من مواقف تعنُّتٍ تُغضبه، فراقٌ وانفصالٌ مُبينان، يتركان بموجبهما المكان الذي يعيشان فيه مع أهليهما، لتسكن في محلهما الغزلانُ، وبقرُ الوحش بأولادهن.

على أنه ينتقل في قافية له، إلى شيء من البيان والتفصيل، في عناصر هذا الجزء الطللي السائد في عصره، فيتوقف بأطلال "نوار" (١٦)، متسائلاً، ودمعه ينهل غزيراً، على خديه، وبقايا هذه الديار توحي إليه، وإلى صحبه الواقفين معه بتلك الأطلال ببعض حاجاتهم، مجيبة بكشف أسرار، وناطقة بذكريات عزيزة عليهم، مقرراً أن الرياح وغزارة الأمطار قد عفت هذه الديار، وأنبتت مكانها أشجاراً، ونباتات ذوات نوار جميلة وروائح طيبة، وفوائد جليلة كالفغو والريحان والأيهقان والمكنان والذرق، منتقلاً إلى وصف ما عمرها بعد أهليها الغابرين من ظباء وغيرها:

أمن "نوارَ" عرفتَ المنزلَ الخَلَقا ... إذ لاتفارق بَطْنَ الجو فالبُرَقا
وقفتُ فيها قليلاً ريث أسألُها ... فانهلَّ دمعي على الخدين منسحِقا

---

(١٥) ديوان كعب، قراقو، ٧٢، والقاهرة، ١٢٨، والأحول، ٦٣، وسكنت: هدأت، والأطلاء: جمع طلا وهو ولد الغزال، والصغير من كل شيء، والعين: بقر الوحش، والشوى: القرائم.

(١٦) نفسه، قراقو، ١٣٦، ١٣٧، والقاهرة، ٢٣٣-٢٣٥، والأحول، ٦٦، ٦٧.

كادت تُبيّن وحياً بعضَ حاجتنا | لو أن منزل حيٍّ دارساً نطقا
لازالت الريحُ تُزجي كل ذي لَجَبٍ | غيثاً إذا ما ونَتْهُ ديمةٌ دفقَا
فأنبت الفَغْوَ والريحانَ وابلُهُ | والأيْهُقَانَ مع المُكنانِ والذُّرَقَا
فلم تزل كل غنّاءِ البغام به | من الظباء تُراعى عاقداً خرقا
تقرو به منزل الحسناءِ إذ رحلتْ | فاستقبلت رُحَبَ الجَوفين فالعُمَقَا(١٧)

ويبدو أن تغيير البيئة التي انتقل إليها بعض المزنيين، كما أسلفتُ، مع الفتوحات الإسلامية، من البداوة التي كان يعيشها بها معظمهم، إلى شيء من الاستقرار بالمدن والأمصار الجديدة آنذاك، كالبصرة والكوفة ودمشق والسند والفسطاط وفارس وبغداد وغيرها. . . . قد أخذ بأيدي هؤلاء الشعراء المزنيين، ومداركهم، ولو مؤقتاً، عن الإلمام بهذا الجانب الصحراوي الذي طالما توارثه آباؤهم عن الأجداد.

وربما كان الجزء المفقود من تراثهم الشعري حافلاً بتصوير هذا الجانب، وربما أخذ صوراً وهيئات مختلفة عما هو مشهود فيما بيننا من أشعارهم التي عرضت لنماذج منها.

ب - الطريق :

تتحدد صفات الطريق، وتتضح معالمه في شعر المزنيين، تبعاً للحالات النفسية التي قد يعيشها السائرون فيها، فإذا كان الشاعر خائفاً، أو قلقاً، أو مضطرباً، لايدري من أمره شيئاً، ولا يعرف ماذا سيصيبه في آخر دربه الذي يسلكه، شهدناه يصور "طريقه" بكلمات وعبارات تلائم اضطراب انفعالاته،

(١٧) الخلق: الدارس، لطول عهده بالأنيس واختلاف الأرواح عليه. والريث: المقدار، وانهل: له صوت مصحوب بالرعد. والفغو: نبات له ورد. والوابل: الواسع القطر. والأيهقان: الجرجير البري. والمكنان: نبت حسن للماشية.

واضطرام خواطره، وثورة أفكاره. . ومثال ذلك صفات طريق كعب بن زهير، الذي سار فيه خائفًا مذعورًا مشتت الفكرة، مسلوب الإرادة، حائراً جياشاً بالطموحات، متوجهاً إلى لقاء رسول الله عليه الصلاة والسلام، آملاً في الفوز بعفوه عنه منجاة له من القتل، بعد أن ترامت إليه الأنباء بأن النبي ﷺ قد أهدر دمه، وهي صفات حددها كعب، بأشد مايكون الإيجاز والبلاغة والإيحاء، بأنه: (طامسُ الأعلام مجهولُ)(١٨).

أما إذا كان الشاعرُ قريرَ العين، منشرح الصدر، هادئاً مطمئناً، واثقاً من قدراته الفريدة على اختراق الفيافي، والوصول بناقته إلى تحقيق بغيته متفوقاً، دون أن تثنيه عن ذلك عقبة، أو يعوقه عائق، كائنا ما كان ــ فإننا نرى تصويره "للطريق"، وهو في أبرع لحظات تأمله، وتعمقه، وتدقيقه واستقصائه، معطياً نفسه الأمد الكافي؛ لكي يتتبع معالم دربه، بتأن واقتدار. . وبين أيدينا ثلاثة أمثلة لآثار هذه الحالات، وهي في شعر كعب أيضاً، أولها في رائيته التي خاطب فيها زوجته التي دأبت على معاتبته وهجره، قائلاً(١٩):

فذريني من الملامة حَسْبي	ربما أنتحي موارد زُورا
تتأوى إلى الثنايا كما شَكْـ	كَتْ صناعٌ من العسيب حصيرا
خُلُجا من مُعَبَّدٍ مُسْبطِرَ	فَقَّرَ الأُكْم والصُّوى تفقيرا
واضح اللون كالمجرَّةِ لا يعـ	ـدمُ يوما من الأهابيِّ مُورا
وذئابا تعوي وأصواتَ هامٍ	مُوفياتٍ مع الظلام قُبورا
غيرَ ذي صاحبٍ زجرتُ عليه	حُرَّةً رَسْلَةَ اليدينِ سَعُورا

(١٨) ديوان كعب، قصيدة بانت سعاد. والطامس: ماطمس من الأعلام.
(١٩) ديوانه، قراقو، ٨٨، والقاهرة، ١٥٦، والأحول، ٢٦,٢٥. وأنتحي: أقصد، والموارد: الطرق والمجاري: والزور: المعوجة. تتأوى: يرجع بعضها إلى بعض. والثنايا: العقاب: والصناع: الحاذقة بالعمل. والخلج: الطرق من الطريق الأعظم. والمسبطر: الممتد. وفقر الأكم: التلال والمرتفعات. والصوى: نشوز تعلو بمنزلة الأعلام. والمجرة: المستطيل في السماء يرى ليلاً. والأهابي: الغبار (الواحد اهباء): والمور: التراب الدقيق الذي تجيء به الريح. والهام: ذكور البوم. وموفيات: مشرفات. الحرة: الناقة الكريمة. والرسلة (والسعور أيضا): الناقة السريعة.

فالشاعر في هذه الأبيات يوضح أنه يجوب طرقاً ومسالك معوجة متداخلة، يرجع بعضها إلى بعض، ويتداخل بعضها في بعض، كقطعة نسيج أحكم صنعها نساج ماهر بصير بقواعد مهنته، مستعيناً عليها بعسيب النخل منسوجاً في دقة وإحكام، بسيور من أدم، ثم يبين أن لهذا الطريق متفرعات تنشق عنه وتخرج مذللة، من كثرة السير عليها، كالخط المستطيل في السماء يراه المتأمل ليلاً، وتتناثر في هذا المسلك الأتربة الدقيقة التي تحملها الرياح، كما تعوي الذئاب الضارية من حواليه، وأصوات الهامات تتعالى، متجاوبة حول القبور، هنا وهناك، مختتماً أبياته بقوله: إنه قد سلك هذا الطريق الوعر، منفرداً، على ناقة كريمة سريعة.

وقريب من هذا الوصف الدقيق "للطريق" بأجزائه وعناصره، يرسم الشاعر لوحة فنية أخرى، أكثر اتساعاً، إلى حد ما، لطريق سلكه مقتدراً، متأملاً في كل جزئية من جزئياته، منفعلاً بكل ماتراه عيناه، ويترامى إلى أذنيه، وحسه، في صورة تتفق بعض أجزائها مع عناصر من لوحته السابقة، مضيفاً إليها بعض الأجزاء الأخرى المميزة لها عن سابقتها، بقوله(٢٠):

ولاحبٍ كحصير الراملات ترى	من المطيِّ على حافاته جيَفا
والمُزْذِيات عليها الطيرُ تَنْقُرُها	إما لهيداً وإما راجفاً نَطِفا
قد ترك العاملاتُ الراسماتُ به	من الأحِزَّةِ في حافاته خُنُفَا
يَهدِي الضَّلُولَ ذلولٍ غيرِ مُعترف	إذا تكاءَدَه دَوِّيُّه عَسَفا

(٢٠) ديوانه، الأحول، ١٨-٢٠، والقاهرة، ٧٣-٨٠. واللاحب: الطريق البَيِّن الموطوء: والمرمل: المنسوخ. والراملات: الناسجات للحصر من لحاء الجريد. والمرذيات: النوق التي أهزلها السفر. واللهيد: التي لهدها الحمل في جنبها: فنقب عنه، وثقل عليها، فأصابها فسخ في لحمها. والزاحف: المعيي الذي لايقدر على المشي. والنطف: البعير إذا هجم الدبر على جوفه أو كاهله. والدبر: جماعة النحل والتأبير. والعاملات: النوق الدائبات في السير. والراسمات: اللاتي يرسمن في سيرهن، فيتركن في الأرض أثر وقع مناسمهن. والأحزة: ماااشتد من الأرض وغلظ. والخلف: الأثواب البيض: وتكاءد: شق وصعب عليه. والدوي: الصحراء الواسعة. والعسف: السير على غير هدى. والسمع: السهل والدرير: المستقيم: والخليف: الطريق في الجبل.

سَـمْحٍ دَرِيرٍ إذا مــا صُـوةٌ عَـرَضَت 	له قـريبـا لســـهلٍ مـال فـانحـرفـا
يجـتاز فـيـه القطا الكُدْرِيُّ ضـاحيـة 	حـتى يؤوب سِمَـالا قد خَلَت خُلُفـا
يومـاً قـطعت ومَـوْمـاةٍ سَـرَيْتُ إذا 	ما ضاربُ الدفِّ من جنانها عَزَفا(٢١)

فطريق الشـاعـر الذي يوضح معـالمه، هنا، طريق طويـل قليل الماء، ولكنه واضح بيّنٌ، ممهّد موطوء، ترك الوطء به خطوطا وخـيوطا تجتمع مشبـهة قطعة نسيج نسجـتها الناسجات للحصـر من لحاء الجريد، وخلف السير به كـثيرا من الضحايا من المطي وغيـرها، مما صرعتها أشعة الشمس المحرقـة وأصابها الظمأ القاتل وبقـيت عظامهـا جيفـاً متناثرة حـول هذا الطريق، بينما تتـهادى النوق الأخريات اللائى أهزلـهن طول السفر وأتعـبهن أصحـابهن من كثـرة ترحالهم عليهن، والطيور الجوعى تنال منها بمناقيرها، فـتحولها إلى كائنات شبه منهكة، غير قـادرة على المشي. ثم يوضح الشاعر أن هذا الطريق قـد رسمت به النوق الدائبات بمناسمهن في الـسير معالم بينة وآثارا واضحة وضـوح الثياب البيض، يهتدي به الضال، معبـداً سهلاً مستقيما، لايصعب السيـر فيه، كغيره من طرق الصحراء الوعـرة، تجتازه أسراب من القطا الكدري، عند الـضحى، غادية في طلب الرزق من ميـاه وغيـرها. . مـعلناً في خـتام أبيـاته ـ أنه قـد قطع هذه الصحـراء الشاسعة القـاحلة بحرارتها الشـديدة، وكأنه يسمع بهـا عزيف الجن يترامى إلى أذنيه.

وغيـر خاف مـا يلاحظه قارئ هذه الأبيـات وماقـبلها في تأمله لمعـالم هذه الصورة التفصيلية من حـرص الشاعر على إبراز الطريق في صورته التي كشفت عنهـا كلماته، يدلّ بذلك على مـهارته، وشـجاعـته، وبصـره وخبـرته بطرق الصحراء.

---

(٢١) السمال: الليل. والموماة: الصحراء الواسعة التي لاماء فيها. الجنان: الجن وعزف: صوت.

وقد دفعه هذا الحرص، فيما يبدو، إلى إفراد لوحةٍ أخرى للطريق[٢٢] تماثل عناصرها أجزاء هذه اللوحة السابقة، بما فيها من وضوح، وهداية للضلال، وتعرجات كأنها حصير صناع، بين أيدي النواسخ... وغير ذلك من الأصوات المبهمة، التي تترامى إلى مسامعه عند مغرب الشمس، بفضل انتشار أسراب الفراخ الرائحات في الفلاة... وهي الطريق التي قطعها الشاعر، كعادته، بثقة، مستعيناً بناقته الفريدة الأطوار.

جـ - السراب والجبال:

في قراءاتي لما بين يدي من أشعار المزنيين في الإسلام لم أعثر على وصف مفصل للسراب والجبال، غير أنني لاحظت أن الشاعر المزني في سيره بالفلاة في أوقات الظهيرة بلفحها القاتل تبهر عينه شمسها القوية الساطعة، وهي ترسل أشعتها الذهبية على أديم تلك الصحراء، وفوق رمالها الشاسعة، فتبدو له هذه الأشعة سراباً يبعث في نفسه المتقدة الأملَ، والشوقَ إلى قطرة ماء يُهدّئ بها من شدة الحر، الذي يكاد يعتصره اعتصاراً، ومن هنا يذهب إلى تصويره قائلاً[٢٣]:

حتى إذا اكتست الأبارقُ نُقْبَةً ... مثل المُلاَءِ من السرابِ الجاري

---

(٢٢) راجع بالتفصيل، ديوانه، قراقو، ٥١-٥٣، والقاهرة، ٩٢-٩٤، والأحول، ٧٠,٧١، الأبيات التي تبدأ بقوله:

ومستهلك يهدي الضلول كأنه ... حصير صناع بين أيدي الروامل

(٢٣) ديوان كعب، قراقو: ص، ٢٣، والقاهرة، ٣٨، والأحول، ٨.

والنقبة: اللباس من السراب. والملاء: جمع ملاءة: وهي الملحفة البيضاء. والجاري: الذي يترقرق ويتخيل.

فالأبارق، وهي الأمـاكن المرتفعة الغليظة من الأرض، تكتـسي في هذا الجو المحرق نقبة من السراب تتلفع بها، كما تتلفع النسوة بقطعة من القماش؛ وقاية لهن من حرارة الجو أو برودته الشديدتين.

وقريب من أمـر هذه الصورة تماماً ما راح الشـاعر نفسه ـ كـعب بن زهير ـ يصوره في موضع آخر من شعره، في معرض وصفه للناقة بلامية "بانت سعاد"، وهو يشبه الجبال متلفعة بالسراب كما يتلفع الرجال بالعمامة أو غيرها بقوله[٢٤]:

كأنّ أوبَ ذراعيها وقد عرِقَتْ وقد تلفَّع بالقُورِ العَسَاقيلُ

واتفاق عناصر هاتين الصـورتين وغيرهما[٢٥]، يكاد يوحي إليَّ بأن الشاعر ربما كنى بالجبال والمرتفعات، هنا، عن نفسه المتحملة الصبور، على أعباء السفر المستـمر بعـزم قوي، وإرادة لا تضعف، ولا تتـزعزع. . . وكنى بهـذا السراب الذي يلاحقها عن طموحه الغلاب الذي يحالفه إخفاق وعدم توفيق، بل خوف مما قد يخفيه له ذلك المستقبل المجـهولة معالمه بالنسبة له. . . والذي يأخذ بيدي إلى هذا الفـهم هو مانراه من اسـتعـارة الشاعـر للجبـال تأكيداً لـرزانة أحلام ممدوحيه (الأنصار) ورجاحة عقولهم، في قوله[٢٦]:

تزن الجبالَ رزانةً أحلامُهُم. .

- إضافة إلى تشـبه نعيم بن مقـرن رضي الله عنه وصحبه فـي حومة الوغى ـ بالجبال، على حد قوله[٢٧]:

فجئنا إليهم بالحديد كأننا جِبَالٌ تراءى من فروع القَلاَسِم

(٢٤) ديوانه: قصيدة "بانت سعاد". والأوب: الرجع. وتلـفع: تلحف. والقور: الجبال المرتفعة طولاً. والعساقيل: السراب، واحدهُ عَسْقَل، وقال الأصمعي: لا واحد له.

(٢٥) راجع قوله (ديوانه، قراقو، ٧٦، والقاهرة، ١٣٦، والأحول، ٥١):

وهاجرة لا تستريد ظباؤها لأعلامها من السراب عمائم

(٢٦) ديوانه، قراقو، ١٦، والقاهرة، ٢٦، والأحول، ٣.

(٢٧) تاريخ الطبري، ١٤٩/٤، والبداية والنهاية، ١٢١/٧، وملحق الشعر، ص: ٥٤١.

د - الرياح والمياه والربيع :

ليس بين يدي من تراث المزنيين الشعري في الإسـلام ما يتناول الرياح والمياه والربيع تناولاً مسـهباً، بـيد أننا ندرك، من خلال الإشـارات السابقة لأسـباب العفاء والاندثار التي كانت تُصـيب الأطلال، توقُّفَ هؤلاء الشعراء عند ملامح موجزة بإيحاء عن الرياح التي كانت تهب بشدة في فصل الصيف، فتثير الرمال والأتربة وتسبِّب الأمـطار الغزيرة المستـمرة[٢٨]، وقد رأينا كـيف أبان معن بن أوس[٢٩]، عن اتجاه الرياح المحـملة بالسحب الكثيـفة المتجـهة من الجنوب من حضـرموت، يقودها "المرتجـز" بأصواته المتتابعـة الهدارة، ولمعان البـرق يسري فيهـا؛فيملأ الجو بأنـوار المصابيح، وكيف كان المزنيون، في انـدماجهم بأطلال منازلهم، يطلبون السقيا لمرابع صباهم، ونضارتهم، وملتقى أيام أنسهم[٣٠].

ويضيف عـبدالله بن عـمرو المزني للرياح وظيـفة أخرى هي تبـليغ رسائل المديح والثناء التي تضطرم خواطرها بوجدانه، تجاه ممدوحـه مصعب بن عبدالله الزبيري، بقوله:

ستبلُغُ عني مصعباً غيرَ باعدٍ   مدائحُ تذروها الرياح الزواعق[٣١]

ثم ينتقل إلى تـبيان فضل هـذا الممدوح وآل بيتـه عليه، مكنياً بميـاه الفرات

---

(٢٨) راجع إشارات كل من كعب بن زهيـر بديوانه، قراقو، ٣٨، ١٣٦-١٣٧، والقاهرة، ٦١، ٢٣٥، والأحول، ١٠، ٦٦، ٦٧، ومعن بن أوس بشعره، ليبزج، ص: ٣، وديوانه، بغداد، ٣٦.

(٢٩) حياة معن وشعره، ٧٧، وديوانه، بغداد، ١٠٢.

(٣٠) راجـع إشارتـي كـل مـن مكنـف بن نميلة والعوام بن عقبة بملحق الشعر ص: ٦١٢، وص ٦٠٥.

(٣١) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ١/ ٢١٠، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٥٥١-٥٥٢.

والنيل عما يلاقيه، لديهم، من نعمة وارفة الظلال(٣٢):

مـدحتُ أبا بكْـرٍ فَـمَـا خَـابَ عِندَهُ   مـديحي ومـاألفـيـتُـه عنه ذا شُـغْلِ
وأغـرقُ من فـيضِ الفرات وأكـتـفي   من النيل عَـبَّـابا فـأسـقـى به نخلي

ثم يوميء إلى الربيع وعطائه الوفير، وخصوبة الأرض فيه، مشيراً إلى فضل ممدوحه عليه، قائلاً(٣٣):

وأَسْبلتَ إِسْبالَ الربيعِ وأَخْصَبَتْ   رِيَاضُكَ للجَادِينَ واللهُ رازقُ

أما عـمارة بن عبـد (المحرق المزني) فقـد راح يخاطب خـاله معن بن أوس ساخراً منه، مسـتخدماً "سيل الشعبة" و "البـحر" للدلالة على ضعف حاله، وقوته هو، قائلاً(٣٤):

فـإن كنت قد أنذرتنـي سَيْل شُـعْبَـةٍ   وإني امـرؤ حـامي الحـقـيـقـة مـاجـدُ
أنا البـحر مـايُلمم به البـحـرُ يغْشَـهُ   وما البحـرُ كالشّعْبِ القضِـيفِ السواعدِ

* * *

(٣٢) المصدر نفسه، ١/١٦٦.

وأكتفى: اكتفئ: سهلها الشاعر ضرورة للوزن: من قولهم: اكتفأ الإناء: أماله وقلبه، ليصب مافيه. والعباب من قولهم: "عبت الدلو" إذا صوتت عند الماء لكثرته وتدفقه.

(٣٣) المصدر نفسه، ١/ ٢١٠، وتاريخ دمشق، ١٦/ ٥٥١.

(٣٤) شعر معن، ليبزج، ٣١، وحياته وشعره، ٧١، وديوانه، بغداد، ٨٣.

ثانياً: الحيـــوان:

يحتل وصف الحيوان، على اختلاف أنواعه، مكانة بارزة في شعرنا القديم، بعـامة، وشـعر بني مـزينة في الإسـلام، بخاصـة، بسـبب ماكـاد يضطلع به الحيوان، حينئـذ، من أهمية في قلب العربي، وروحه، وفكره، فـهو صديقه، ومؤنسـه، وخليله، وأداته لقضاء بعض حاجـاته الضرورية، حينا، أو خـصمه وعدوه ومنغص عيـشته، حيناً آخر... وسوف أُعرجُ في هذه الـصفحات على وصف المزنيين للأسد، والفرس، والذئب، والناقة.

أ - الأســـد:

أعجب المزنيون، كغيرهم من أبناء عصرهم وبيئتهم، بالأُسود وجعلوها رمزاً مألوفـاً لمعالم القوة والشـجاعة، والجسـارة، والهيبـة والضراوة.. ولذلك نرى كعب بن زهير يستعير هذا الرمز للافتخار بقومه، في وصفه لقومه بأنهم:

هـم الأُســد عند البـأسِ ...[1]

ثم يستعين به أيضاً لتصـوير هذا الجانب في ممدوحيه ـ الأنصار (رضي الله عنهم) عندما يصفهم بأنهم قد:

دَرِبُوا كـمــا دَرِبَتْ أُسـودُ خَـفِـيَّـةٍ   غُلبُ الرقابِ من الأُسـودِ ضواري[2]

---

(١) ديوان كعب، قراقو: ٤٢، والقاهرة: ٦٨، والأحول: ١٢.

(٢) نفسه: قراقو: ١٧، والقاهرة: ٢٨، والأحول: ٥.

ويصف معن بن أوس سعيد بن العاص رضي الله عنه بأنه[٣] :

من القـوم مـغـشيُّ الرواق كَـأنَّهُ إذَا سيمَ ضَيمـاً خَـادِرٌ يَتَبَسَّلُ
ضُبَارِمَـةٌ ليثٌ مُدِلٌّ مُـؤارِبٌ له في عرين الغابِ عِرْسٌ وأشبُلُ

وصفات هذا الممدوح، كما يدل البيتان، تتلخص في كونه مُهيبًا، إذا تعرض إلى ما قد يغضبه، فهو يبدو كأسد غليظ شديد مدل بشدته، يحيا داخل خدره، يتكره، وهو ذو أسرة تتكون من زوج وأولاد، يقوم على رعايتها.

والشاعر المزني في شعوره الدائم بالقوة، وفي إعجابه بمعالم هذه القوة في كل ما قد يعترضه من صعوبات، مهما كانت عاتية، ضعيف يستسلم أمام قوة القدر التي لا يستطيع التغلب على سلطانها، مهما أُوتي من قوة، ومهما وهب من سلطان، ولذلك لا نعجب من موقف كعب بن زهير الذي ألفناه جَوَّابا للفيافي، كثير الأسفار في المفاوز شجاعاً مقداماً يتغنى بمظاهر قوته وبأسه ـ يتوقف في رحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه، خائفاً هياباً، وعندما يضع يمينه في كفه عليه السلام يشعر بهيبة تفوّق عنده، إذ يكلمه:

من ضَيْغَمٍ من ضِرَاءِ الأُسدِ مُخْدَرُهُ ببطن (عَثَّر) غيلٌ دونه غيلُ
يغدو ، فَيَلْحَمُ ضرغامين عيشهما لحم من القوم مَعْفُورٌ خراذيلُ

(٣) شعر معن، ليبزج: ١٣، وديوانه، بغداد: ٥٢. ومغشيّ الرواق: يأتيه الناس لأنه سيد كريم. سيم: طلب منه وكلف. والضيم: النقصان. وخادر: أسد داخل في خدره أي أجمته. ويتبسّل: يتكره. وضبارمة: غليظ شديد، يعني الأسد. مدل: يدل بشدته. والعرين: موضعه. والغاب: غابة وهي الأجمة، وعرسه: اللبوة، وأشبل: صغار الأسد، مفردها: شِبْل.

إذا يُسَاور قِرْناً لايحل له — أن يترك القِرْنَ إلا وهو مفلولُ
منه تظل حمير الوحش ضامزة — ولا تَمَشَّى بواديه الأراجيلُ
ولايزال بواديه أخو ثقة — مطرّحُ البز ّوالدِّرْسَان مأكول(٤)

فالشاعر يصف الأسد، في هذه الأبيات، بالضراوة والاستتار ببطن عُرِف آنذاك بأسوده الكاسرة، ثم يذكر أن هذا الأسد يُنشّئ أبناءه على القوة، والشراسة، بإطعامه إياهم لحوم القوم التي أعدت مقطعة، مُنقضّا واثبا لمصارعة خصومه، حتى يغلبهم، يغرس الرعب في حمير الوحش، وغيرها من مخلوقات الإنس، فلا يُخرِجُ أحدها من الأصوات مايدل على وجوده، تجنباً لأخطاره، وعلى رغم ذلك فإن الشاعر، كغيره من الرجال الأقوياء، يجوب ذلك الوادي الذي يقطنه هذا الأسد الكاسر، دون خوف، من قوته الطاغية، بقدر خوفه وهيبته من ملاقاة النبي ﷺ، على عكس حيوان آخر عرف بالضخامة والقوة، وهو الفيل، الذي لو قام مقام الشاعر في مواجهة الرسول ﷺ:

لظل يُرعَد إلا أن يكون له — من الرسول بإذن الله تنويل

(٤) ديوان كعب، بانت سعاد.. والضيغم: من صفات الأسد.. ومخدره: مكمنه. وعثّر: موضع بتبالة. والغيل: الغيطة. ويلحم: يطعم اللحم. والضرغامان: شبلا الأسد، والمعفور: المطروح في التراب. والخراذيل: المقطع. ويساور: ينقض. والقرن: المقادم له. والمغلول: المنهزم. والضامزة: الساكنة التي لاتصوت. والأراجيل: الرجالة. والبز: الثياب. والدرسان: ثياب خلقان. والمطرح: المقتول.

ب - الذئـــــب :

انتاب المزنيين إحساسٌ آخر هو الكره والبغضاء للذئب، وهو إحساس أفصح عن مضـمونه كعب بن زهيـر عندما وصف جوانب من رحلتـه عبر الصـحراء الساكنة، التي تتـجاوب فيـها أصداء عـزيف الجن، وهمهمـة مجهـولة المصدر والمعنى، لا يكاد يتبين منها شيئـاً. . وقد وضح الشاعر في هذا الوصف سمات ذلك الذئب الذي ظل يلاحقـه، هو والغراب، مسلطاً أضواءه الكاشـفة عليه، مقرراً أنه: ذئب نحيف "متـضائل"، في لونه غبرة تعلوها كدرة، وهو أبيض، تميل غبرته إلى الزرقة، يعدو سريعاً، يحب دنو الإنس منه، بينما لا يجرؤ أحد منهم أن يفعل ذلك، وقـد تقرب الذئب منه، حتى صار قيـد رمح، بحيث لو أراد إصابته، لتـحقق مراده، وباقترابـه منه أدرك أنه إذا عوى من الجوع، ردت الريح عواءه إلـى جوفه، بسـبب شدة مـاينتابه من جوع، وهو ذئـب يبدو من منظره أنه قـد ألف الكسب بفـرائسه، دون أن يخـيب له سعي، وطالما عـاش هانئاً، يظـفر بغنيمـاته التي كانت لديه، مـخلفاً إياه على مـاهو عليه من فـقر وإقـتار، ثُمَّ ينتـقل إلى ذكـر بعض مؤهلات هذا الذئـب، التي تساعـده على التفـوق الدائم في الحصـول على غنائمه وهي: الخبـرة، والبصـر بالأدغال من جهة، وسـرعة الانتشار بالأمكنـة التي ينزلها من ناحية ثانيـة، والكر والفر في ساحة الميدان الصلبة من ناحية ثالثة. . أمـا موسم حصاد فرائسه، ففي الشتاء، الذي يشهده الذئب سمينا، فإذا حل عليه الصيف، بإقفاره وجدب أرضه، قلت المؤونة أمامه، وبدا هزيلاً ضعيفاً، ولاح عرق نساه كالوتر نشيطاً، يسير مختالاً كالسيف(٥):

---

(٥) ديوانه، قراقو: ٢٧-٣٠، والقاهرة: ٤٥-٥٠، والأحول: ٣٦-٣٨.

وصـــرمـاءَ مِـــذْكــار كـأن دَوِيَّهـــا بُعَـــيْـــدَ جَنَان الـلَّيْل مما يُخَـــيَّلُ
حـديثُ أناسيٍ ، فـلمـا سـمـعـتُـه إذا ليس فـيـــه مـاأبينُ فـأعـــقلُ
قطعت يُمـاشـيني بهـا "مُـتـضـائلٌ" من الطُّلْـسِ أحـيـانا يخبُّ ويَـعْـسِلُ
يُـحِبُّ دُنُـو الإنس مـنهُ وَمَـــابِـهِ إلَى أحَـــدٍ يومـاً من الإنـس مَنْزَلُ
تقــرَّب حــتى قلتُ : "لـم يدنُ هكذا من الإنس إلا جــاهـلٌ أو مُـــضَلَّلُ
مدى النبل تغـشاني ، إذا مـا زجرتُه، فـشعـريرة من وجهِـهِ ، وهو مقبـلُ
إذا مـا عوَى مُـستـقبِلَ الريح جـاوبتْ مـسـامـعُـه فـاه عـلى الزادِ مُـعـولُ
كَسوبٌ، إلى أن شب من كسب واحد مُـــحَـالِفُـــه الإقـتـــارُ لا يتـمـــوَّلُ
كـــأن دخــــان الرِّمْثِ خـــالـط لونه يُـغَـلْ بـه مـن بــــاطـن ويُـجَـلَّـلُ
بصـــيـــرٌ بأدغـــال الضَّـرَاء إذا خَـــدَا يَعِـــيلُ ويَخْـــفَـى بالجَـــهَـــاد ويمْثُلُ
تراه ســـمـينـا مـا شَـتَـا ، وكـــأنه حَـمِيٌّ إذا مـا صـاف ، أو هو أهزلُ
كـــأن نَسَـــاه شِـــرْعَـــةٌ ، وكـــأنه إذا ما تمطَّى وجـهةَ الريح مِـحْمَلَ(٦)

وبعـد أن سـرد الشاعـر أمـام مسامعنـا وأبصـارنـا قصـة هـذا الذئـب ورفيقه ـ الغراب ـ مع ناقتـه حتى انتهت رحلته المضنية بسلام، قـرر أن هذين الرفيقين

(٦) والصرماء: الأرض التي لانبات فيها ولا مـاء. والمذكار: المخوفة التي لايسلكها إلا الذكر من الرجال. وجنان الليل: ظلمتـه التي تواري الأشياء. ويخيل: يتراءى. والمتـضائل: النحيف. يخُبّ: من الخبب وهو نوع من العدو. ويعسل: يعدو.
الزجر: الطرد بالصياح وغيره. والمعول: المصـوت. والرمث: نبات بري يشبه الغضا ودخانه أبيض تعلوه غـبرة فتكون مـائلة إلى الزرقة. ويغل به: يدخل. ويجلل: يعلـي ويظهر على متنه. وخدا: من الخدي: وهو السرعة. ويمثل: يميل في ناحـيته. والجهاد: الأرض الصلبة. ويمثل: يظهر وينتصب. والحَـمِيّ: الممتنع عن الطعام. وصاف: من الصـيـف. والنسا: عرق في الساق ينحدر من الورك. والشرعة: وتر. والمحمل من السيف: علاّقته.

قد باءت جهودهما بـالخيبة والخسران، بمصاحبتـه في هذه الصحراء القاحلة. . غير أنه ينقلنـا في مشهد آخر من شـعره إلى متابعة ذئب آخـر يلاحق فرائسه، بضراوة معهودة فيه، حتى يأتي عليها، من رأس مال الشاعر نفسه، قاصاً علينا طرفاً من حديث بعض الناصحين له، إشفاقاً على أحواله الاقتصادية، بأن يُقدِمَ على شراء غنم يربيهـا ليقتات من تربيتـها، متغلباً على مـا يواجهه من ظروف الحياة، وأعبائها المتاقلة عليه، وعلى أسـرته، فيرد عليهم مضمناً رده لوحة فنية متكاملة لصورة الذئب الكريهة في أذهـانهم، إذ هو بطل ضارٍ، منتصر، يسطو خائناً على غنماته، جشعاً، لا يدخر منهـا شيئاً لكرات اعتداءاته التالية، يؤهله على ظفره بفـرائسه الضعيـفة الخائرة بين يديه ومخـالبه، ما يتمـتع به من قوة وحيوية ونـشاط، يعود في المرتبة الأولى إلى نحـافته وخفـة حركته، فـعروقه وأعصابه متصلات بأصابعه وأصـولها، وقوة إدراكه لأهدافه محكمة، لا تخيب أبداً، فهو دائمـاً يصيب في المقتل من طرائده، بغـير استثناء، ثم يمزق لحـومها إرباً إرباً، كما تمزق البـرود المختلفة للالتحاف بها، دون أدنى حـاجة إلى ما قد يساعده على إتمام عملـه، كما يراه من أدوات القصابين المحترفين، مـتجهة إلى غايته على الدوام، دون مبالاة بزجر، لا يحجبه نهار مؤنس، ولا ليل موحش، فإذا حدث ذات مـرة، وهذا نادر، وباء تطوافه بمكان مرماه بالفـشل، على غير العـادة، ساور الناسَ القـاطنينَ حـول ذلك المرمى، فلعله يفـوز ببعض بُغـيتـه لديهم، فيفتك ببعض غنمهم، فلـو لم يتيسر له ذلك أيضاً، ولم يفز على رغم هذا البحث المضني عن فـريسة، في ظلمات الليل البهـيم، ساور الفطم اللائي يروين بعض غلته، ويقضين بعض حـاجته، فيتلهى بلحومها غـير قانع، حتى تحين له الفرصة السانحة بتحقيق كل مراده[٧]:

---

(٧) ديوان كعب، قراقو: ١٢٩-١٣١، والقاهرة: ٢٢٤-٢٢٦، والأحول: ٧٨-٧٩. =

يقـول حـيَّايَ من عـوف ومن جُـشَم — "ياكعبُ ، ويحكَ هلا تشتري غَنَمَا ؟!
مـا ليَ منهـا إذا مـا أزمـةٌ أزَمَتْ — ومن أُويْـسٍ إذا مـا أنفُـه رَذَمـا
أخـشى عليهـا كَسُوبا غيـر مدَّخِـرٍ — عـاري الأشاجعِ لا يُشـوي إذا ضَـغَمَـا
إذا تلـوّى بلحـم الشـاة تبَّـرها — أشـلاءَ بُردٍ ، ولم يجـعل لهـا وَضَمَـا
إن يغْـدُ في شـيـعـة لم يثـنه نَهَـر — وإن غـدا واحـدا لا يتـقي الظُّلَمـا
وإن أطاف ولـم يظفـر بضـائـنة — في ليـلة سـاور الأقـوام والنَّعَـمـا
وإن أغـار ولـم يَحْـلَ بطـائلـة — في ظلمـة "ابن جَمـير" ساور الفُـطُمَا
إذ لا تزالَ فـريسٌ أو مـغـيَّبَـةٌ — صـيـداءُ تَنشِجُ من دون الدمـاغ دمـا

= وأزمت: اشتدت. وأويس: تصغير أوس وهو الذئب. ورذم: سال. والكسوب: الذئب. لايشوي: لا يخطئ، بل يصيب المقتل. والضـغم: العض. تلوّى: انعطف. والبرد: الثوب المخطط يلتـحف به. وأشلاء: قطع. والوضم: خـشبـة الجزار والقصـاب التي يقطع عليـها اللحم. والشيعة: القوم والأصحاب. والنهر: الزجر. وقيل: من النهار، أي الضوء. والظلم من الظلم. وأطاف: من الطواف. والضائنة: النعجة. وسـاور: واثب. وابن جمير: الليل. والفطم: السخـال التي فطمت. والفريس: الفـريسة. والمغـيبة: التي أفلتـت وبها شيء من الحياة. والصيداء: المائلة العنق.

جـ - الفـــرس :

على رغم افـتقاري إلـى الأشعار المزنـية الوفيـرة التي توضح كـيفيـة تناول أصحـابها لهذا الحـيوان، فإن مـابين أيدينا من تراث معاصـريهم يدلنا على أن العرب قـد نظروا بالإعجـاب والتقدير والإعـزاز للفرس، فكانوا يجـعلونه في مقدمات جيوشهم، يركبه السادة والقادة، وكبار الفرسان والمشهورون بالشجاعة والإقدام، ويُخـتصُّ به أشرافُ القوم وعلـيتهم. . . وبين يدي إشـارتان تؤكدان هذه النظرة، إحداهما لبجير، الذي كان يتحدث عن تقدم المجاهدين الظافرين، في يوم الفتح الأعـظم لمكة المكرمة (رمضـان ٨ هـ)، ممتطين الخيـول، يحملن أسلحتهم، تلوح راياتهم لصناديد الشرك بمكة وما صاقبها، معلنة أن الله قد أيد بنصره رسوله، ومن اتّبعه من المؤمنين(٨) :

ترى الجُـرد الجيـاد تلوحُ فيـهم   بأرمـاح مُـقـوَّمـةِ الثِّـقـافِ

وأومأ عبدالله بن عـمرو المزني إلى فضل ممدوحَيْهِ عبـدالله بن مصعب وابنه أبـي بـكر الزبيـريينِ، مقررا أنهما شجاعان، يخوضان المعارك بصلابة ومهارة، إذ هما:

الطاعنان صدورَ الخيلِ مُقبلةَ (٩)

ولا تدلنا هاتان الإشارتان الموجزتان، على رغم قوة إيحـائهما، على اهتمامٍ مُزَنيّ ملحـوظ بوصف هذا الحيوان النبـيل، بما يتناسب مع ملكيتهم للعـشرات منه، بدليل مـشاركتـهم في فتح مكة، وحـده، بمئة فـرس، كما، مـر بنا من

(٨) ملحق الشعر، ص: ٥٠٩.

(٩) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٤٢. وملحق الشعر، ص: ٥٦٧.

قبل(١٠)، إضافة إلى ما تواتر عن امتلاك كعب لفرس "كميت"(١١)، واشتهار صفوة كبيرة منهم، بقيادة الجيوش في الغزوات والسرايا والردة والفتوحات، ولا أعرف سبباً واضحاً لتأخرهم في هذا المجال، ولكن يبدو أن شيئاً من اهتمامهم به كان في الجزء الضائع من أشعارهم، وأن عكوفهم على وصف الناقة قد أضعف من هذا الاهتمام بوصف الفرس.

د - الناقة :

قدر المزنيون الناقة فأثبتوا لها قدراتها العقلية المدركة، سمعاً، وبصرا، وقوة تمييز وإدراك ودراية، فخاطبوها بما يشعر بعلمها، بما يقال لها، وتجاوبها مع أصحابها، فيما يريدون منها. فذو البجادين رضي الله عنه يتقدم النبي، عليه الصلاة والسلام، حادياً، فيشعر بعظمة المسير وأهميته في تاريخ الإنسانية جمعاء، فيأخذ على عاتقه مخاطبة ناقته، لكي تأخذ طريقها يمنة ويسرة، متنكبة الثنايا والأماكن الغليظة، في الجبال والمرتفعات، مسرعة في قصد، كما تمر الجوزاء غير مستقيمة، على جنب معارضة في السماء(١٢) :

تعرضي مدارجا وسُومي   تَعَرُّضَ الجوزاءِ للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمي

---

(١٠) انظر مثلاً: مغازي الواقدي: ٢/ ٨٠٠-٨٢٠، وسيرة ابن هشام: ٤/ ٣٠، وطبقات ابن سعد: ٢/ ٢٣٩، والطبري: ٣/ ٦٤، والكامل في التاريخ: ٢/ ١٦٣.

(١١) ذيل الأمالي، الآفاق: ٢٤، وديوان كعب، قراقو: ٧١، والقاهرة: ١٢٦، والأحول: ٦٥.

(١٢) ملحق الشعر، ص: ٥٢٣.

وإحساسهم بقوة مدارك الناقة، وتفهمـها راضية لما قد يعترضهم من شؤون، دفعهم إلى الاستـعانة بها على الوصول إلى شتى غاياتهم، كـما فعل كعب بن زهير، عندما جعلها وسيلة للوصول إلى منيته في حنينه إلى سعاد[١٣]:

أمسـت سـعـادُ بأرضٍ لا يبلغـهـا   إلا العتـاقُ النجـيبـاتُ المراسـيلُ
ولن يـبلغـهـا إلا عُـذافِـرَةٌ   فـيـهـا على الأيـنِ إرقـالٌ وتبـغـيل

كمـا جعلهـا وسيلة للانصـراف عن المحبـوبة، عندما شـعر منها بـالصدود وانصرام حبال المودة والوئام بينهما[١٤]:

ديار الـتي بتَّتْ قُـوانا وصـرَّمت   وكنتُ إذا مـا الحبلُ من خُـلَّةٍ صُـرِمْ
فـزعتُ إلـى وجناءَ حـرفٍ كـأنهـا   بأقـرابهـا قـارٌ إذا جـلدها اسـتـحَمْ

وقد يستعين بهـا الشاعر وسيلة للوصول إلى الأشراف، الذيـن يتوسم فيهم مـعالم النبل والمروءة، كـمـا فعل مـعن بن أوس في توجـهه إلى سـعيـد ابن العاص[١٥]:

إليك سـعيـدَ الخير جـابت مطيـتي   فُروجَ الفـيافي ، وَهْيَ عوجاءُ عَـيْهَلَ
بأشعثَ من طول السُّـرى عسَفَتْ بـه   إليك عـلنداةٌ من العـيـس عَـيْطَلُ

---

(١٣) ديوان كعب، قصـيدة بانت سعاد. * والعتاق: النوق الكريمة، والمراسـيل: الخفاف اللاتي تعطين ماعندهن عفوا. والعذافرة: الناقة الشديدة الغليظة. والأين: التعب. والإرقال: ضرب من العدو فيه سرعة. والتبغيل: ضرب من الهملجة، وهي السير السهل السريع الحسن.

(١٤) ديوانه، قـراقو: ٣٨، والقـاهرة: ٦٢، والأحول: ١٠. والوجناء: الناقـة القوية الصلـبة. والحرف: الناقة، والأقراب: الخواصر.

(١٥) شعر معن، ليبزج، ص: ١٠، وديوانه: بغداد: ٤٧.

وجابت: قطعت. وفروج الفيـافي: مخارجها. والعوجاء: من نشاطهـا تخرج في اعتراض. والعيـهل: السريعة العظيـمة. والأشعث: المغـبر الشعـر، الشاحب. والسرى: سـير الليل، وعسفت: ركبت على غير هداية. والعيس : البيض من الإبل. والعيطل: الطويلة.

وفي توجهه لعاصم بن عمر بن الخطاب مستعينا:

بمضطرِبِ الـضـفــرين مطَّرِدِ القَــرَا طويلِ الزمـام ذي ذفـرٍ عُـرَاهِمِ(١٦)

وقد تكون بقـوتها وشدة تحملهـا، أداة الصائد الحاذق الذي يجوب الفـيافي المقفرة مقتدراً في صبر وتجلد. وغيـر بعيدة عن أسماعنا أصداء رحلات كعب ابن زهير، التي كان يخصصها للصيد مستعيناً بناقة "رسلة اليدين سعور"(١٧)، حرة الليتين ناجية(١٨) على حد قوله.

وبإحسان تربيتها وتقويمها أصبحت صـالحة لتحمل أعباء القتال، وهي مهمة درج عليـها المزنيـون في غزواتهم بجـانب الرسول ﷺ، كـما أشـار إلى ذلك بجير، في معرض وصفـه لجوانب من وقعة حنين (٨هـ)، بقوله يخاطب بعض المسلمين(١٩):

لولا الإلـهُ وعـــبــــدُه ولّيـــتُمُ حين اسـتـخفَّ الـرعبُ كلَّ جـبـانِ
بالجِـزْعِ يـومَ حَـبَـا لنا أقــرانُنَا وســـوابحٌ يكبـــون لـلأذقـــانِ

والظاهر أن اضطلاع الناقة بهـذه الوظائف وغيرها قـد دعتهم إلى اعتـبارها "المال" الذي ربما تُقاس به ثرواتهم، على الرغم مما قد تتعرض له، أحياناً، من نوبـات الجـوع، وأيـام الجـفاف، ولذلك يصبـر المتمسكـون بها على مواجـهة محـن الدهـر، دون أن يعرضوهـا للبـيع، أما غيرهم من المعوزين، أو الذين

---

(١٦) شعره، ليبزج، ص: ٢٢، وديوانه، بغداد: ٦٧. والضـفران: النسفان، الحقب والغرض، والزمام: العنق. وذي ذفر: موضع الذفرين، وهما الناتئتان في قمحدوة البعير، هما أول ما يعرق من البعير. والعُرَاهم: الغليظ من الإبل.

(١٧) ديوان كعب قراقو: ٩٠، والقاهرة: ١٥٩، والرسلة والسعور: الناقة السريعة.

(١٨) نفسه، قـراقو: ٤٥، والقـاهرة: ٨٠. والليتـان: صفـحتـا العنق من عن يمين وشـمال. والناجية: السريعة.

(١٩) ملحق الشعر، ص: ٥١٥.

لا يستطيعون مواجهة شظف الحياة وقسوتها عليهم فإنهم يضطرون إلى بيعها؛ تخفيفاً على أنفسهم، وعليها، ورغبة منهم في الإنفاق من ثمنها على ذويهم.. وإلى ذلك يشير معن قائلا[٢٠]:

باتت قلوصى بالحجاز مُنَاخَة | إذا سمعَتْ صوت المهزّجِ راعها
هي المال، إلا قلة الخفضِ وسطها | فمن ضنَّ قاساها، ومن ملّ باعها

وبهذه المصاحبة الدائمة استطاعوا الإلمام بأجزائها وخصائصها، وغرس شتى الانفعالات المائجة في خواطرهم بها. كما فعل كعب بن زهير الذي أدرك أن القتل يلاحقه إثر ما تناقل إليه من أن النبي ﷺ قد أهدر دمه، فشعر بالخوف الشديد والحزن والأسى يموران في أعماقه مورا، فغمس هذا الشعور في مداد تصويره ليدي ناقته اللتين يراهما أشبه بيدي امرأةٍ مات لها حميمٌ، فقامت مذعورة، ولهى، تندبه، لاطمة خديها بيديها، في الوقت الذي أخذت تجاوبها نسوة مثاكيل لا يعيش لهن ولد[٢١]:

كأن أوبَ ذراعيها إذا عَرِقَتْ | وقد تلفَّع بالقُور العَسَاقيلُ
شدَّ النهارِ ذراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ | ناحتْ فجاوبها نُكْدٌ مثاكيلُ
نَوَّاحة، رَخْوَة الضَّبْعين ليس لها | لما نعى بكرَهَا الناعُون معقولُ

---

(٢٠) شعر معن، ليبزج، ص: ٣٣، وديوانه، بغداد: ٨٧. والقلوص: الفتية من النوق. والمهزج: المتغني. وراعها: أفزعها.

(٢١) ديوان كعب، قصيدة "بانت سعاد" وص: ٢١٢، من هذا الفصل (هامش). وشد النهار: ارتفاعه. والعيطل: الطويل في حسن. والنصف: التي قامت تنوح. والنكد: قليلات الأولاد بسبب الموت. والمثاكيل: من فقدن أزواجهن أو أبناءهن. والضبعان: مثنى ضبع وهو ما بين الإبط إلى نصف العضد. وبكرها: أول ولدها. والمعقول: العقل.

وبتبدد لهيب هـذا الحزن، ومزاولة الشاعر لشؤون حيـاته، التي درج عليها، جَوَّاباً في الصـحراء، في سعادة وهناء . . . ينـعكس ذلك بالمرح على جمله، الذي يركبه، فيراه مطواعاً كريماً، سخـياً لا يبخل عليه بشيء يطلبه منه، إضافة إلى مرحه وسرعته:

على كـل مـعـطِ عطفُــهُ مُـتَـزَيّدُ بفضـل الزمام أو مَرُوح تُـواهِقُه(٢٢)

وقد يؤدي الإسراف في استـخدام الناقة في الرحلات المستـمرة إلى شعورها بالألم، الذي يقودهـا لإظهار غضـبها، فـيترك طرف خـفها صـوتاً محسـوساً بالحصى، الذي تسير عليه(٢٣):

ومـريـضـةٍ قَـفْـرٍ يُحـاذَرُ شـرُّها من هولـهـا قَـمِن مـن الحَـدَثان
غـبراءَ خـاضِعـة الصُّوَى جاوزتُهـا ليـلا بـكاتمة السُّـرى مِـذعـانِ
غـضبى لِمَنْسِـمِـها صياح بالحـصى وقْعَ "القَـدُومِ" بِغَـضْـرَةِ الأفنان

وقد يعبر الجمل عن شعوره بالوهن بأن يلوي شـدقه ويفتحه، مظهراً ما نابه من التعب والإعياء(٢٤):

ضِـبِـرٌّ مُـضِـرٌّ بالنواجي إذا اشـتكى عَـجَا شِـدقـه عن فـاطر الناب ناجمِ

---

(٢٢) ديوان كعب، قـراقو: ١١١، والقاهرة: ١٩٦، والأحول: ١٥. والعطف: الناحـية ويريد حـسن الطواعيـة والمواتاة. والزمـام: مـاتقاد به الدابـة. والمروح: الناقة المرحـة النشـيطة. والتواهق: المباراة في السير.

(٢٣) نفسه، قـراقـو: ١٢٤, ١٢٥، والقاهـرة: ٢١٦-٢١٨، والأحول: ٤٣, ٤٤. والمريضـة: الأرض الواسعة المقفرة التي تضعف فيـها الريح. والقمن: الجدير. والحدثان: الليل والنهار، أو الدهر ومصائبه. والخاضعة: الخاشـعة. والصوى: الأعلام. وكاتمة السرى: التي لاترغو. والمذعان: المذعنة في سيرها بسـهولة. والمنسم: طرف الخف. والغضرة: الناعم الرخص من الأفنان.

واستئناس المزنيين بأصوات هذه الجمال تدفعهم إلى اتخاذها وسيلة يعضدون بها مايقررونه من معان وأفكار؛ فمعن بن أوس في وصفه لقدور ممدوحه سعيد ابن العاص رضي الله عنه التي يجود بها على أضيافه، راح يصور الأصوات المنبعثة من هذه القدور، عند غليانها، لإنضاج اللحوم، هادرة بلفظ كهدر الجمال، التي تُخرج أصواتاً من حلوقها، دون أن تفتح أفواهها(٢٥):

أخو شتواتٍ لاتزال قدورُه   يُحَلُّ على أرجائها ثم يُرْحَلُ
إذا ما انتحاها المُرملون رأيتَها   لِوَشْكِ قِراها وهي بالجَزْلِ تُشْعَل
سمعت لها لَغْطًا إذا ما تَغَطْمَطَتْ   كَهَدِرِ الجِمَال رُزَّمًا حين تجفُل(٢٦)

وعبدالله بن عمرو يُصور ممدوحه أبا بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري خطيباً بارعاً يتحلق حوله القوم، شوقاً إلى الاستماع إلى فنه الخطابي البديع، قائلاً: إنه عندما يخطب هادرا تغلي الكلمات والعبارات في صدره غلياناً، كما تغلي الرئة التي يخرجها البعير من فمه عند هياجه(٢٧):

وقد رأينا الحَلَقَ المُصالِقَا   وهي تُسامى تُرسل الشقاشِقَا

(٢٤) ديوان معن، بغداد، ص: ٦٧. والضبر: الجمل الشديد الخلق المجتمعة. وعجا: لوى. وفاطر الناب: حين فطر وطلع.

(٢٥) شعره، ليبزج: ١١, ١٢، وديوانه، بغداد: ٤٩.

(٢٦) أخو شتوات: جمع شَتْوَة، أي يقري الضيف ويطعم في الشتاء. وانتحاها: قصدها. والمرملون: الذين نفد زادهم. والوشك: السرعة. والجزل: الحطب الغليظ. وأصل اللغط: اللغَط، بفتح الغين وهو نشيس القدر. الغطمطة : غَلَيان القدر، ويقال كذلك: تغطغطت القدْر: إذا اشتد غليانها. والرزم: من الإرزام، وهو إخراج الدابة صوتا من حلقها لاتفتح به فاها.

(٢٧) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ١/ ١٨٥. والشقائق: جمع شقشقة، وهي شيء كالرئة يخرجها البعير من فمه إذا هاج.

ويرى المزني عيني ناقته حادتي البصيرة، عظيمتي المحاذرة، إذا بدا لهما شبح رفعت رأسهـا تتأمله حذرا ببصيرتهـا الواعية الغائرة الصافيـة، التي تجود بمائها وسط النهار عندما تشح الحيـاة بالماء، يعلوها حاجب ذو نفع عظيم، يدفع عنها أذى حر الظهيرة اللافح، وأذى الغبـار والأتربة، فهو كالكهف الذي يصون من في داخله من المخاطر الخارجية(٢٨):

تستشرفُ الأشباحَ وهي مُشيحة ... ببصيرةٍ وحشية الإنسان
خَوْصاءَ صافيةٍ تجودُ بمائها ... وَسْطَ النهار ، كنُطْفَةِ الحَرَّانِ
تنفي الظهيرةَ والغبارَ بحاجبٍ ... كالكهف صِينَتْ دونَه بصِيان

ثم يصورها كـعب بأنها عين جميلة صافيـة لا تتأثر بالسهـر ولا بالتعب، تشبه،في صفائها، مرآة الصناع، تتحكم فـيها الناقة تحكماً واضحاً بقدرتها على إخفاء ماتود هي إخفاءه عن زوجها وإظهار ما تحب إظهاره له:

وتدير للخَرْق البعيد نياطَهُ ... بعد الكلال ، وبعد نوم الساري
عيناً كمرآة الصَّنَاع تُديرُها ... بأنامل الكفَّيْنِ كُلَّ مُدَارِ
لجمال مَحْجِرها وتعلم ما الذي ... تُبْدي لنظرة زوجها وتُداري(٢٩)

---

(٢٨) ديوان كعب، قراقو: ١٢٥-١٢٦، والقاهرة: ٢١٨-٢١٩، والأحول: ٤٤.
تستشرف: تتأمل وترفع رأسها إذا بدا لها شخص. والمشيحة: الجادة المحاذرة. وأراد ببصيرة: أي بعين بصيرة. والإنسان: بؤبؤ العين. والخوصاء: الغـائرة العين. وتجود بمائها: أي بعرقها الذي هو من فعل الناقة لا من فعل العين. والنطفـة: الماء، قل أو كثر. والحران: العطشان. وتنفي الظهيرة: تقطع الغبار.

(٢٩) ديوان كعب، قراقو: ٢٤,٢٥، والقاهرة: ٤٠,٤١، والأحول: ٩. والخرق: الذي انخرق في الفلاة فذهب. ونياطه: مـن ناط الشيء ينوطه: علقه. وناطت الدار: بعدت. والكلال: الإعياء. والساري: السائر ليلاً. والصناع: المرأة الحاذقة بالعمل. والمحجر: ماأحاط بالعين.

وبتكرار عناصر هاتين اللوحتين، وغيرهما (٣٠) لعيني الناقة اللتين عكف كعب بن زهير على تصويرهما؛ تبياناً لثقته في حسن قدراته على الاختيار الموفق لناقته، التي ترافقه عبر أسفاره المتعددة الطويلة المنهكة، وتأكيداً لشعوره بالأمن والطمأنينة، وهو يجوب الفيافي باقتدار، وهو الأمر الذي ينعكس أثره الطيب على هدوء ناقته، وصفاء عينيها. . غير أنه ـ وقد أصابه إعصار من الخوف والقلق والحيرة، والتهبت بين جوانحه نيران التوجس ـ وهو في طريقه لملاقاة النبي عليه الصلاة والسلام، إثر علمه بإهدار النبي دمه فقد حرص ـ بقصد، أو بغير قصد ـ أن يعكس كل هذه المشاعر والأحاسيس التي انتابته على عيني ناقته، مشبهاً إياها بعيني ثور وحشي، ينتابه الشعور الحاد بالحسرة، والحيرة، ويغالبه إحساس بالخوف والقلق، بسبب ما تعرض له، ضالا عن طريقه، منفردا عن قطيعه، مخذولاً عن صواحبه(٣١):

ترمي الغيوبَ بعينَيْ مفردٍ لهِقٍ   إذا توقدَتِ الحِزّانُ والميلُ

وينظر المزنيون إلى أعناق نوقهم ؛ فيرونها طويلة، ممتدة كالجذع، فإذا كان العنق مشذبا، بدا أكثر طولاً، على حد قول كعب:

تنجو ويقطر ذِفراها على عُنقٍ   كالجذْع شَذّبَ عنه عاذقٌ سَعَفَا(٣٢)

---

(٣٠) ديوان كعب، القاهرة: ٥٩.

(٣١) المصدر نفسه، قصيدة "بانت سعاد". وترمي الغيوب: تنظر ماغاب عنك والمفرد: الفرد الذي خذل عن صواحبه. واللهق: الشديد البياض. والحزان: ماغلظ من الأرض. والميل من الأرض: مد النظر.

(٣٢) ديوان كعب، قراقو: ٤٥، والقاهرة: ٨١، والأحول: ٢١. وتنجو: تسرع. تقطر: تعرق وترشح العِرق الناتئ خلف الأذن. والجذع: ساق النخلة. وشذب: قشر. والعاذق: الذي يعنى بالنخل. والعذق: عنقود النخل. والسعف: أغصان النخيل.

وهذا الجـذع ـ الذي يشبـه به عنق الناقة ـ ريان بسـبب مايتـسم به من طول ولين وانعطاف(٣٣):

حـرفٌ تَمُـدُّ زِمـامَـهـا بعُـذَافِـرِ ... كـالجِـذْعِ شُـذِّب ليـفُـه الريّانِ

ويذهب هذا العنق بالزمام الـطويل ويستوعبـه، وكأنه لطوله وليونتـه جريد نخل كـشط خوصـه، وهو ريان سقـاه جدولٌ مـاؤُه عذب، من بئـر معـروفة لهم(٣٤):

وأتلـعَ يُلوَى بالجَـــديل كــأنه ... عَسِيبٌ سـقاه من "سُمَيْـحَةَ" جدولُ

أما جانباها فهما بارزان إلى الخارج، ولحـمها مكتنز بضخامة، ليكسو هذين الجانبين، كـما يطيِّنُ المجـدل بالضاحي من اللـبن، في الوقت الذي يتسم فـيه الجانبان بالملاسة والاكتناز، كالصفاة، ويغدو مـرفقها مفتول المشاشة لكيلا يمس زورها، فيصيبها ببعض الأمراض الجلدية الضارة(٣٥):

منفَّـــجـةُ الدفَّين طُيِّـنَ لحـمُـهـــا ... كما طِينَ بالضـاحي من الَّلبْن مِجدَلُ
ودَفٌّ لهـا مـــثلُ الصـفـــاة ومِـرْفَقٌ ... عن الزَّور مـفـتـولُ المُشَـاشـة أفـتلُ

ومؤدى الخصائص السابقة أن تكون يدا الناقـة سريعتين، إذا أسرعت نقلهما

---

(٣٣) ديوانه، قراقـو: ١٢٤، والقاهرة: ٢١٧، والأحول: ٤٤. والحـرف: الناقة التي كـأنها من سمنها وشدتها حرف جبل. والعذافر: العنق. وشذب: ألقى.

(٣٤) ديوانه، قراقو: ٣٢، والقـاهرة: ٥٣، والأحول: ٤٠. والأتلع: العنق الطويل. والجديل: الزمام. وسميحة: بئر بالمدينة المنورة.

(٣٥) ديوانه، قراقو: ٣٦، والقـاهرة: ٥٨، والمنفجة: المتفخـة. والدفين: الجانبين. والضاحي: الظاهر للشـمس. والمجدل: الـقصـر. والصفـاة: الصخـرة الملسـاء. والمرفق: الموصـل بين الساعد والعضد. والزور: الصدر. والمشاشة: رأس العظم الذي يمكن مضغه.

تتبعهما بالرجلين[٣٦]:

غيـر ذي صـاحـبٍ زجـرتُ عليـه　　　حُـرَّةً رَسْلَـةَ اليـدَيْنِ سَـعُـورا

وسرعةُ هذه الناقة في اختراق الفيافي، ومدوامة الأسفار تجعلانها تعرق عرقا يقطر قطرا من ذفراها على عنقها، كما قرر كعب في بيته الذي أثبتُه قبل قليل، وفي موضع آخر من شعره أشار الشـاعر نفسه إلى غزارة هذا العرق الذي غطى جلدها، وبلل زمامها(٣٧):

وسـالـفـةٌ ريًّا يُبَـلُّ جـديلُـهـا　　　إذا مـاعـلاها مـاؤُها المُتَـبَـزّلُ

وأوضح أنه، باستـمرار السفر، وتدفق جـداول العرق وسط الغبـار الكثيف والهواجر المتربة، تختلط هذه الجداول بما يواجهها من تراب، فيصير لون العرق كالقطران، وكلون رُبٍّ عصير[٣٨]:

أخـرج السـيـرُ والهـواجـرُ مـنهـا　　　قَطِـرَانا ولوْنَ رُبٍّ عـصـيـرا

ويطول بي الحديث إذا واصلتُ الرحلة في استقصـاء أوصاف الناقة في شعر المزنيين في الإسلام، لذا فـإنني أكتفي بهذا القـدر الذي أسلفته في الصـفحات السابـقة، ملاحظـاً أن جل ما تمثلتُ به بهـذا الصدد إنما هو لكعب بن زهـير، وهـذا يؤيد مـاذهب إليـه بعض القـدمـاء من تفـوق هذا الشـاعـر في وصف الإبل[٣٩].

---

(٣٦) ديوان كعب، قراقو: ٩٠، والقاهرة: ١٥٩، والأحول: ٢٦.

(٣٧) نفسـه، قراقو: ٣٦، والقـاهرة: ٥٩. والسالفـة: صفحـة العنق. والريا: المكتنزة اللحم. والجديل: الزمام. وماؤها: عرقها. والمتبزل: السائل.

(٣٨) ديوان كعب، قـراقو: ٩٠، والقاهـرة: ١٦٠، والأحول: ٢٧. والهواجـر: سير الهـاجرة وقت اشتداد الحر. والقطران: العارق. والرب: الطل الخاثر.

(٣٩) العمدة: ٢/٢٩٦، وجوهر الكنز: ٧٢.

ثالثاً: الطيـــــر:

لم يحظ عالم الطير بنصيب وافر من اهتـمام المزنيين، مثلهم في ذلك كمثل غيـرهم من معـاصريهم، وعلى رغم ذلك يعـثر القارئ علـى بعض الإشارات المزنية إلى ريش الطير، و "العـقاب" وسجع الحمامة، وجـشع الغراب، وصبر القطاة.... وهي الإشارات التي أوجز الحديث عنها في السطور التالية:

أ - ريش الطيـــر:

استعار عبدالله بن عمرو المزني ريش الطير الخضل، ليدل به على سعة فضل ممدوحيه الزبيريين، وكرمهم عليه، في خطابه لهم قائلاً[1]:

قد رشْتُمـوني، فهذا ريشكم خَضِلٌ ... بادٍ عليَّ، وقـد أنعـمـتُمُ رَغَـدا

ثم يتناول هذه الصـورة الشـعرية بأسلوب مـقارب لـعناصر هذا البـيت في مديحه لعبدالله بن مصعب بقوله[2]:

مـدحتُ أبا بكر، فـما خـاب عنده ... مديحـي، وما ألفيْتُه عنه ذا شُـغْل

ومـا كـذّبتـني سُنَّحُ الطـيـر دونه ... ومـاكـذبَتْ رؤيـاي، إذ نمتُ بالرملِ

أنختُ فلمـا مِلْـتُ في نشـوة الكرى ... رأيت عليَّ الريشَ أخـضـرَ كـالبـقلِ

---

(١) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٤١. وملحق الشعر ص: ٥٦٧.

(٢) نفسه: ١/ ١٦١، وملحق الشعر ص: ٥٧٨.

وسنح الطيـر: المارات من المياسـر إلى الميامن، من السّنح وهـو اليمن والبـركة. واخـضرار الريش: نماؤه وازدهاؤه وتكاثره ونعومته ونضارته.

ب - العُقَاب :

هو أحد الطيور الجوارح، المعروفة بقوة مخالبها ومناقيرها العقفاء المنعطفة المعوجة، وقد أشار إليه عبدالله بن عمرو مكنياً به عن تعرضه لمحنة ضارية من محن الدهر وكوارثه، التي كادت تغرقه، ببحر الدَّيْن اللجيّ وسلطانه الجائر، فخاطب عبدالله بن مصعب الزبيري، مقدراً له فضله، معترفاً بكرمه، قائلاً له(٣):

أدْرَكْتَنِي بعد ما دارَتْ *عُقَابُهُمُ ... وقد بلَلْت لهم رأسي وقد وحَفُوا

جـ - سجع الحمامة :

أنصت العوام بن عقبة خاشعاً متأملاً إلى سجع الحمامة الذي انساب إليه شجياً وادعا حنوناً، فهاجت ذكرياته وشجونه، وأخذت الدموع تهطل من عينيه، وهو يشرع في تجفيفها، مخاطباً نفسه وقلبه، مطالباً إياهما أن يفيقا عن ذكر من حنت له ضلوعه، والتجمل بالصبر، عسى أن يفوزوا منها بوصال قريب(٤):

أإن سجعتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ ... دعت سَاقَ حُرٍّ ماءُ عينيكَ دافقُ
كأنك لم تسمع بكاءَ حمامةٍ ... بشجوٍ ولم يحزُنْكَ إلْفٌ مُفَارِقُ
بلى ، فأفِقْ عن ذِكْر ليلى فإنما ... أخو الصبر من كفّ الهوى ، وهْو تائقُ

---

(٣) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٤١، وملحق الشعر ص: ٥٧٧، وَحَفَ يَحِف: دنا وأسرع.

(٤) ملحق الشعر، ص: ٦٠٦.

د - الغــــراب :

أحس المزنيون، كـغيرهم من معاصـريهم، بالكره والبغضـاء تجاه "الغراب" الذي صحب كعب بن زهير برفقة الذئب، على كـره من الشاعر، عبر صحراء ساكنة مهلكة، فـفاز منه بوصف أجمله بقوله: إنه طائر دقـيق السّاقين، إذا ما استـقبل الريح، يمشي مشـية الأعرج، وهو دقيـق النظر، يكاد يرى ما لا ترى عين واحد، يحفر بمنقاره الأرض، بحثاً عن الزاد(٥):

وحَـــمْشٌ بصـيـــر المقـلتين كـــأنه	إذا مـا مـشى مُـستكرِهَ الريح أقْـزَلُ
يكاد يـرى مـــالاترى عـينُ واحــدِ	يثـيـر له مـاغـــيَّب الترب مِـعـوَلُ

هـ - القطـــا :

في وصفـه الذي أومأتُ إليه، لعناصـر "الطريق" أشار كـعب بن زهير إلى "القطا الكدري"، الذي كان يجتـاز في هذا الطريق، ضحى، في رحلته لورود منابع المياه الضحلة، ليلاً، فـيروي غلته، ويعود منتشياً بالسـقاء لأفراخه، التي تتراوح بين الغبرة والسـواد، بأصواتها غير المفهومـة، مقرراً أن هذه الأفراخ كن ينظرن إلى أمهاتهن العـائدات بالماء فرحات، مشبهـات نباتات حمضيـة صغيرة ذات أشواك(٦):

---

(٥) ديوان كعب، قراقو: ٣٠,٣١، والقاهرة: ٥٠,٥١، والأحول: ٣٨.

والحمش: الغراب الدقيق السـاقين. ومستكره الريح: يستقبل الريح فـترده لأنه يضعف عنها وتراه كـالأقزل وهو الأعـرج. وعين واحد: أي عين أحـد، فهو يـرى ما لا يراه أحـد لحدة بصره. ويثير له: يسـتخرج له. والمعول: الآلة التي تثير التراب، شبـه منقار الغراب بالمعول الذي يحفر الأرض.

(٦) ديوانه، القاهرة: ٧٦-٧٩، والأحول: ١٩,٢٠. =

يجـتاز فـيـه القطا الكدريُّ ضـاحيـةً　　حـتى يؤوبَ سمـالاً قد خَلَتْ خُلُفَـا
يسـقين طُلسـاً خـفـيـاتٍ تراطنُهـا　　كـمـا تَرَاطنُ عُـجم تقـرأ الصُّحُـفَـا
جـوانحٌ كـالأفـاني في أفـاحصِـهـا　　ينظرن خَلْـفَ روايا تسـتـقي نُـطَفَـا
حُمْـرٌ حواصِلُهـا كالمغْـدِ قد كُـسِيَتْ　　فـوق الحواجب ممـا سَبَّـدَتْ شَـعَفَـا

ثم ينتقل - في موضع آخر من شعره - إلى إسـداء تحيته إلى قطاة سريعة قد انقض عليها باز طليق حديد الفؤاد ذو عين زرقاء، قادر على أن يصرعها، وأن يخضب أظفاره بدمائها، واثقا كل الثقـة من قدراته على النيل منها وافتراسها، وهي تشـعر بأن الموت قـد دنا منها دنوا ملحـوظاً، ومع ذلك لا تتـرك نفسـها فريسة لليأس والقنوط، بل ظلت طيبة نفسـا بما سوف ينجيها، غير وجلة، ولا خائفة من ملاحـقة هذا البازي لها، نافرة عن حيـاض الموت الذي يتربص لها، منتجعة بغـيتها، وهي الماء الصافي، من مكان وريف بالأمن والسـلامة، بعيداً عن هذا الوادي المحفوف بالمهالك والأخطار:

تنجُـو نجـاء قطاة الجـو أفـزعـهـا　　بذي العِـضـاه أحسَّـت بازياً طَرَقَـا
شهمٌ يكُبُّ القَطَا الكُدْريَّ مختضب الـ　　أظفـار حُـرٌّ تَرى فـي عـينه زرَقـا
باتـت له ليلـة جَمٌّ أهاضـبـهـا　　وبات ينـفض عنه الطَّـلَّ واللثـقـا

= * يجتاز: يقطع. والقطا: طـائر يشبه الحمام، والكدري جنس من القطا. وضـاحية: من الضحى وهي أول النهار. يؤوب سمالا: يرد ماءها ليلا. خلت: أي من الأنيس. والخليف: الطريق في الجـبل. . والطلس: أفـراخ القطا التي تتراوح بين الـغبـرة والسواد. وتراطنهـا: أصواتها الأعجمية غير المفهومة. والجوانح: الموائل اللائي ينظرن إلى أمهاتهن إذا طرن ليردن الماء، والأفاني: الواحـدة أفانية وهي شـيء ينبت كأنه حمـضة. وأفاحـصها: حـيث تبيض القطا. والخلف: الاستقاء. والروايا: أمهاتهـا. والنطف: الماء القليل والكثير. والمغد: شجر مثل القثاء يقال لها الفشغة. وسبدت: نبتت. والشعف: أول نبات السوش.

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته وانجاب عنه بياضُ الصُّبح فانفلقا
غدا على قَدَرٍ يهوى ففاجأها فانقضَّ وهو بِوَشْكِ الصيد قد وَثِقَا
لا شيء أجودُ منها وهي طيبةٌ نفسا بما سوف يُنْجِيها وإن لحقا
نفَّرها عن حياض الموت فانتجعت ببطن (لينةَ) ماءً لم يكن رَنِقَا (٧)

رابعاً: النبات:

مرت بنا إشارات كعب بن زهير إلى ما صار ينبت بالأطلال من أشجار (الفغو) و (الريحان) و (الأيهقان) و (المكنان) و (الذرق)(٨)، إضافة إلى إشارته - في معرض حديثه عن جذع ناقته - إلى جذع النخلة وعذقها وسعفها(٩)، وإشارته إلى الأفاني والمغد - عند حديثه عن القطا وأفراخها(١٠)، ناهيك عن تعريجه على بئري "سميحة"(١١) و(لينة)(١٢).. إلى غير ذلك...

(٧) ديوانه، قراقو: ١٣٨, ١٣٩، والقاهرة: ٢٣٧, ٢٣٨، والأحول: ٦٨. وتنجو: تسرع. وذو العضاه: مكان. والشهم: الحديد الفؤاد. ويكب: يصرع. المخضب: الدامي. والجم: الكثير رق: اللون الأزرق. والأهاضيب: الدفعات الشديدة المطر. وينغض: يطرد. واللثق: الندى والبلل. وانجاب: انخرق. ويهوى: يطير مسرعاً. والوشك: السرعة والقرب. ولينة: بئر بطريق مكة، من أعذب الآبار. والرنق: الكدر.

(٨) ديوانه، قراقو: ١٣٦, ١٣٧. والقاهرة: ٢٣٣-٢٣٥، والأحول: ٦٦, ٦٧.

(٩) نفسه، قراقو: ٤٥، والقاهرة: ٨١، والأحول: ٢١.

(١٠) المصدر السابق، القاهرة: ٧٦-٧٩، والأحول: ١٩, ٢٠.

(١١) نفسه، القاهرة، ص: ٥٣.

(١٢) نفسه، القاهرة، ص: ٢٣٨.

وبين يدي لوحتان شبه مفصلتين، سجل بهما صاحباها جزءًا من مشاعرهما تجاه الكون والحياة، أولاهما : لمعن بن أوس الذي يـعاني من ضائقة العيش في أخريات عمره، فيعايش النخلة عن قرب، فيراها مثله، ضجرة، كعانس، مرت عليها الأيام والسنون، فأخذت بوادر الكبر تهدد شبابها، بعد أن كان غضاً، لذا فإنها أمست تخشى البوار، فتطلب ممن يتقدم لخطبتها، أو شراء وُدِّها، المسارعة بغـير مماطلة، أو إضـاعة للوقـت، لأنه لا وقت للطموحـات الخلابة والآمـال العريضة، والوعود الكاذبة، ناهضة للتزيُّن لطالبـيها، بأجمل ماعندها من ثيابٍ إغراءً وتجملا(١٣):

كـــأنما هِيْ عـــانسٌ تَـصَـــدَّى   تخـــشـى الكســـاد وتحبُّ الـنقـــدا

فـــهـي تَردَّى بعــــد بُـرْدٍ بُردا

واللوحة الثانيــة رسمها كعب لما تراءى لبـصره وبصيرته ومخـيلته، مما يتناثر حوله من أغصان وبســاتين، تكسوها الخضرة، ويعلوها جمال الـرونق، فيتفكر فيها، فإذا بها بعد أمد محدود، تمر عليها الأيام والسنون، فتضن بما كانت تجود به في سالف عهدها من ثمر جنيّ، وتأخذ أوراقها في التساقط والذبول، إيذاناً بالعفاء والاندثار، اللذين يأخـذان بمدركات الشاعر إلى الإيمان بالحقيـقة الكبرى في هذا الوجود، وهي حتمية الموت، ناطقا من أعماقه بقوله(١٤):

والمـرء والمـال ينـمـي ثـم يُـذْهِبُـــه   مـرُّ الـدهور ويُفنيـــهِ ، فـينســـحِقُ

كـالـغـصن بينـا تراه ناعــمـــا هَدِبا   إذ هاج وانـحتَّ عن أفـنانـه الورقُ

---

(١٣) حماسة الخالدين: ٢/ ٢٤٧، والتصدي: التصفيق. وتردي: ترتدي.

(١٤) ديوانه، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

. . . وغير خـاف مما أوردتُه في الصفحات السابقـة، استدلالا على عكوف المزنيين على ظواهر الطـبيـعة بتـعـدد حالاتهم النفـسيـة، وبثـها خـواطرهم، وانفعالاتهم، وتلوينها وصـبغها، بما يعكس صورا من تغير حـالاتهم النفسية، واختـلاف أنشطتهم، وأحوالهم المعـيشيـة المختلفة، بما ينفي مـاذهب إليه ـ في تعميم مخل بالحـقيقة ـ بعضُ المستشـرقين كغرونباوم[١٥] وفون شاك[١٦]، ومن تابعهمـا من العرب المحدثين[١٧] من أن وصف العرب القدماء لعناصـر الطبيعة جاء خلـوا من خواطر الشـاعر الخاصـة أو التصـورات التقليـدية عن إلهـامهم الذاتي. . . .

* * *

(١٥) دراسات في الأدب العربي: ١٦١ ومابعدها.

(١٦) الفن العربي في أسبانيا وصقلية: ١١ ,١٢.

(١٧) ينظر مـثلاً: الخـيـال الشعـري عند العرب: ٥٢، ودراسـات في الشـعر والمسرح، ص: ٢٧-٢٨، وحول الأديب والواقع: ٤٦، وانظر في نفيهـا للمؤلف أيضاً: الأرجوزة، ١٣٤ ـ ١٣٨، وأشـعار آل مـحمـد بن أبي عيـينة المهلبي، ص: ١٥ ـ ٢٣، وأشعـار آل أبي أميـة الكاتب، ص: ١٧ - ٢٣، واليزيديون أخبارهم وأشعارهم، ٥٠ ـ ٥٥.

الفصل الثاني

الشعر والمجتمع الإسلامي

الشعرُ والمجتمعُ الإسلاميُّ

بدخول المزنيين في رحاب الإسلام، وانشراح صدورهم به وانضوائهم تحت لواء النبي، صلوات الله وسلامه عليه، بوصفهم لبنة من لبنات الدولة الإسلامية الفتية، التي بدأت معالمها تظهر في الوجود ـ أخذ الشعراء المزنيون يتمثلون، في وعي، وإدراك، مبادىء هذا الدين الحنيف، ويجردون أشعارهم للذود عن حياض الدعوة، والعمل على رفعة شأنها، مجاهدين ـ إلى جانب السيف والرمح وما إليهما ـ بألسنتهم في سبيل الله، داعين إليه، معايشين، ومبشرين بأحكامه في الأمصار التي شرعوا ينتقلون إليها مع الفتوحات المجيدة، بمبادأة، وإيجابية، تركتا آثارهما الجلية في حياتهم، وحياة مجتمعهم العربي والإسلامي، آنذاك. . واستشرافاً لآفاق هذه المعايشة سوف أسلط بعض الأضواء على الجوانب الآتية:

١ـ طمس معالم الجاهلية وأباطيلها.

٢ـ تثبيت مظاهر العقيدة الصحيحة في عبادة الله سبحانه.

٣ـ المبادرة الشخصية بالدعوة إلى الدين الحنيف والتمثل بقيمه الرشيدة.

٤ـ تخصيب المجتمع الإسلامي بلفت الأنظار إلى قدواته الحسنة.

٥ـ التبشير بمبادئ الإسلام في تربية الفرد والمجتمع.

٦ـ المشاركة في التيارات السياسية لعصرهم.

٧ـ مواكبة التطور الحضاري للعصر.

٨ـ موقفهم من الموت والبعث والحساب والقضاء والقدر.

٩ـ مشاركتهم الشعرية في مسيرة الفتوحات الإسلامية.

أولاً : طمس معالم الجاهلية وأباطيلها :

بادر المزنيون، منذ الساعات الأولى التي هداهم الله فيها لأنوار دينه، إلى الإقدام على طمس معالم الجاهلية الجهلاء المتمثلة في عقيدة الشرك والوثنية، متجهين في ذلك اتجاهات متعددة من أهمها :

أ - تشويه صورة الأصنام.

ب- التبرؤ من نحل الجاهلية.

أ ـ تشويه صورة الأصنام:

حرص المزنيون على إظهار صورة الأصنام على حقيقتها، حتى تتجلى في صورتها البالية أمام كل ذي عقل منيب.. ويسجل التاريخ الأدبي لخزاعى بن عبد نُهم المزني ـ سادن (نُهم) في الجاهلية ـ أنه خرج بُعيد أن أخرجه الله من الظلمات إلى النور ـ وأنعم عليه بنعمة الإسلام، ليسفه هذا الصنم، مشيراً إلى بعض ما كان يقوم به، وهو وغيره من معاصريه من الطقوس الجاهلية، كذبح العتائر(*) عند الأصنام، مدركاً ماعليه هذا الصنم، وغيره، من الافتقاد التام لقدرات الحديث والإدراك والفهم، قائلاً[1]:

ذهبتُ إلى (نُهمٍ) لأذبحَ عنده ... عتيرةَ نُسْكٍ كالذي كنتُ أفْعَلُ
فقلت لنفسي ، حينَ راجعتُ عقلها ... أهذا إلهٌ أبكمٌ لَيْسَ يَعْقِلُ ؟؟!

(*) العتائر واحدتها عَتِيرة وهي الذبيحة التي كانوا يذبحونها عند الأصنام

(١) ملحق الشعر، ص: ٥٢٢.

ب ـ التبرؤ من نحل الجاهلية:

تبرأ المزنيون، بعد إسلامهم، من نحل الجاهلية، ملل آبائهم الباطلة، لما فيها من سفه وطيش، يبعدان أصحابهما عن الاهتداء لنور الحق الساطع، ومن ذلك ماأنشده بجير بن زهير رضي الله عنه، في رسالته الشعرية والنثرية لأخيه كعب، يدعوه إلى أنوار الإسلام، مبينا موقفه من دين آبائه، وأجداده، قائلا[٢]:

فدين زهير ـ وهو لا شيءَ دينُه ـ ودين أبي سُلْمى عليَّ مُحَرَّمُ

ثانياً: تثبيت العقيدة الصحيحة في الخالق:

واكب حرصَ المزنيين على تشويه صورة الأصنام، والتبرؤ من نحل الجاهلية، تثبيتُهم لمظاهر العقيدة الصحيحة الراجحة في عبادة الله جل وعلا، عبادة حقة تقوم على الفهم الواضح، والتنزيه الكامل للمعبود عن كل ما لا يليق به، وتسند إليه سبحانه كل ماتراه وتدركه من صفاته العليا، بوصفه إله "السماء الماجد المتفضل" على حد تعبير خزاعى رضي الله عنه، في لاميته التي أشرتُ إليها في السطور السالفة.

والله تعالى، في عقيدة المزنيين، هو الإله الواحد الأحد الكافي المتفرد بالملك، والسلطان، بدون شركاء، يظهر دينه، ويكرم عباده، ويعزهم ويؤيدهم، ويخلصهم لعبادته، فهو الرحمن القادر على إهلاك أعدائه وأعداء

---

(٢) ملحق الشعر، ص: ٥١٤.

دينه، وتفريق شملهم، وإذلالهم والطمس على أبصارهم وأفئدتهم، وجعلهم عبيداً للشياطين.. نفهم ذلك من قول بجير[٣]:

أرادوا اللاتَ والعُزى إلهاً ... كفى بالله - دون اللاتِ - كافِ

وقوله[٤]:

والله أكرمَنا، وأظهرَ ديننا ... وأعزنا بعبادةِ الرَّحْمنِ
والله أهلكهم، وفرَّق جمعَهُمْ ... وأذلَّهم بعبادةِ الشَّيطانِ

وانتقل أخوه كعب إلى إبراز صفتي "الرؤية" و "السمع" لله سبحانه، مؤكداً أن "التوكل" و "القسم" و "الإجلال" و "الإسلام" إنما يكون عليه وبه، وإليه وحده، لأنه "يحيي" و "يميت" ويحفظ عباده الأبرار الأتقياء المتوكلين عليه، والمعتصمين بحبله المتين، ويكلؤهم بعينه التي لاتنام، ورعايته التي لا تُرام، ويلبسهم برحمته ثوب عزه، ويشملهم بفضله الذي لا تنفد خزائنه، قائلاً[٥]:

لِيُوفُوا بما كانوا عليه تَعَاقَدُوا ... بِخَيْفِ مِنىً واللهُ راءٍ وسامِعُ

---

(٣) ملحق الشعر، ص: ٥١٠.

(٤) ملحق الشعر، ص: ٥١٥.

(٥) ديوان كعب، قراقو: ٦١، والقاهرة: ١١٢، والأحول: ٥٧.

وقال(٦):

أنختُ قلوصي واكْتَلأتُ بعينها وآمَرتُ نفسي أيَّ أمْرَيَّ أفعلُ
أأكلؤها خوفَ الحوادِث إنها تَريبُ على الإنسان أم أتوكَّلُ
فأقسمتُ بالرحمن لا شيء غيره يَمينَ امرئٍ بَرٍّ ، ولا أتحلَّلُ
لأستشعرنْ أعْلَى دَرِيسيّ مُسلماً لوجه الذي يُحيي الأنامَ ويقتل
هو الحَافظُ الوَسنانَ بالليل ميِّتا على أنه حيٌّ من النَّوْم مُثْقَلُ
من الأسودِ السَّاري وإن كان ثائراً على حد نابيه السِّمامُ المثمَّلُ

وقال:

سأدعوهُمُ جهْدى إلى البرِّ والتُّقَى وأمرِ العُلا ماشايعتني الأصابعُ
فكونوا جيعا ما استطعتم فإنَّهُ سَيَلْبَسكُمْ ثوبٌ من اللّهِ واسعُ (٧)

وفي مدحه للإمام علي رضي الله عنه بقوله(٨):

أعطاك ربُّك فضلا لا زوالَ له من أين أنَّى له الأيامَ تَغْيِيرُ ؟!

---

(٦) المصدر نفسه، قراقو: ٣٤,٣٥، والقاهرة: ٥٥-٥٧، والأحول: ٤٠,٤١، وأناخ قلوصه: أبرك ناقته. اكتلأ: احتمى واحترس. وآمر: شاور. أكلؤها: أحفظها. وتريب: تأبى بريب. والبر: الصادق بيمينه. أتحلل: أجد ليميني تحلة منها بعذر أو سبب. وأستشعرن: ألبس. الدريس: الثوب الخَلَق. الوسنان: الذي أصابه الوسن وهو النوم. والأسود: الحية. والساري: الساعي ليلاً. والسمام: السم. والمثمل: المجتمع.

(٧) ديوانه، قراقو: ٦٢، القاهرة: ١١٢، والأحول: ٥٧. وشايعته: أطاعته.

(٨) منتهى الطلب، خ: ١/٩,١٠، ومطبوعة فرانكفورت: ١/١٨,١٩.

وراح معن بن أوس يبرز اختصاصه سبحانه بالبيت الحرام الذي جعله للناس مثابة وأمناً، يأتون إليه من كل فج عميق، مهللين بالعبادة، ومكبرين ما عَلَوْا تكبيرا، قائلاً يخاطب زوجته[٩]:

أعاذل، والله، الذي عند بيته مُصَلّى لمن وافى مُهِلاً ولبَّدا

وغدا عبدالله بن عمرو المزني يؤكد ما قرره معن، هنا، مقسما بالله "الذي حج الحجيج له"[١٠]، معلنا، مثل معن[١١] أن الحمد إنما يكون لله[١٢]، وأن السقيا لمحبيه إنما تكون منه تعالى[١٣].. وهي المبادئ التي لخصها بجير بن زهير رضي الله عنه، في توجهه إلى الله ورسوله، مبتهلاً إليه بقوله[١٤]:

إلى الله وجهي والرسولِ ومن يُقِمْ إلى الله يوما وجهه لا يُخيَّبُ

وإيماء المزنيين إلى ربوبية الله عز شأنه على هذا النحو أخذ بأفهامهم إلى إدراك فضله، سبحانه، في تنزيل القرآن الكريم، دستوراً للعالمين، على قلب صفوة خلقه، وخاتم رسله، محمد بن عبدالله ﷺ ليكون "هاديا" ومبشرا ونذيرا، وداعياً إلى الله، بإذنه، وسراجا منيرا.." بكل ماتحمله آيات القرآن

(٩) شعره، ليبزج: ٢٩، وديوانه، بغداد: ٨٠.
ولبد: أقام، وإلباد البصر في الصلاة: إلزامه موضع السجود من الأرض.
(١٠) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٤.
(١١) تاريخ دمشق: ١٧/ ٤٨.
(١٢) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٠، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥١,٥٥٢.
(١٣) التعليقات والنوادر، خ، المصرية، ص: ٤٥٩، وط. بغداد: ٢/ ٢٦٠,٢٦١، وط. العبيكان، ٢/ ٧٠٧ ـ ٧٠٨.
(١٤) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٦٨.

من مواعيظَ وأحكامٍ جامعةٍ لأُسس سعادة الناس جميعاً، ولذا خاطب كعب بن زهير رسول الله ﷺ [١٥] بقوله:

مـهـلا هداكَ الذي أعطاكَ نـافلة الـ ـقـرآن فيـها مـواعـيظٌ ، وتفصـيلُ

ثالثاً : المبادرة بالدعوة والتزام مبادئها :

دفعت صحةُ العـقيدة التي ترسخت في أعماق المزنيين صـفوتَهُمْ إلى المبادرة الشخصيـة، بكل ما يصاحبها مـن جهد إنساني، وعزيمة صادقـة، وقدرة فائقة على المواجهة، في سبيل نشر الـدعوة الإسلامية. . . ومن المزنيين الذين أخذوا على عاتقـهم مهمـة الاضطلاع بهذه الأمانـة كعب بن زهير الذي ارتحل بُعَـيْدَ إسـلامه علـى يد النبي ﷺ، بالمدينة المنورة، إلى قـومـه من بني مـزينة وبني غطفان، يدفـعه حبه للـدين، وشوقه وطموحـاته إلى نشر مبـادئه التي تعادهوا عليها مع رسول الله ﷺ، عندما بايعوه على الإسلام والإيمان، بكل ما تفرضه عليهم قواعد هذه المبايعة من تواصل للأرحام وتكامل اجتماعي، وبر وتقوى، وغيـرها مما يسارع بهم إلـى بناء صروح الدين والدولة قـوية راسخـة، والدفاع عنهما بشجـاعة الأبطال، متقدمين نحو "العُلا" ، بـخطوات ثابتة، لا تتزعزع، وعزم أبي لا يلين، استشرافاً لرضوان الله وفوزاً بإحسانه عليهم[١٦]:

---

(١٥) ديوانه، قراقو: ١٢، والقاهرة: ١٩.

(١٦) المصدر نفسه، قراقو: ٦٢,٦١، والقاهرة: ١١٢، والأحول: ٥٧.

رحلتُ إلـى قـومـي لأدعـوَ جُـلَّهُمْ إلى أمْـرِ حَـزْمٍ أحكـمـتْـهُ الشـرائعُ
ليُـوفُـوا بما كـانوا عليـه تـعـاقـدوا بخَـيْـفِ مِنـىً ، واللهُ راءٍ وسـامعُ
وتوصَلَ أرحـامٌ ويفـرجَ مَـغـرمٌ وترجـعَ بالـودِّ القـديم الـرواجعُ
سأدعـوهُمُ جُهـدي إلى البرّ والتُّـقى وأمـرِ العُـلا ما شـايَعَـتْني الأصـابعُ
فكونوا جـمـيعـاً مـا استطعتم فـإنَّهُ سَـيَلْبَـسُكم ثوبٌ من الـله واسعُ
وقومـوا فآسـوا قومكُمْ فـاجمـعوهُمُ وكـونـوا يداً تبنـي العـلا وتُـدافِعُ

وواكب هذه المبادرة حرص المزنيين على التحلي بخير ما دعت إليه مبادئ الشريعة الإسلامية من وجوب مراقبة الله سبحانه وإخلاص العبادة له، فغدت أفعالهم تتزين بتيجان من الوقار والسكينة والصفح عند المقدرة عمن أساء إليهم، فأخذوا يحافظون على روابط الإخاء والمحبة بينهم حتى تظل قواعد المجتمع الإسلامي متينة راسخة، بمراعاتهم لحقوق ذوي الأرحام، ومساعدتهم للأرامل، كما يتضح من رثاء أحد المزنيين واحداً من بني قومه، منوهاً بما كان يفعله في أهله قائلا(١٧) :

فـتـانا كـان يحـملُ أرمـلاتٍ ويدفعُ عـن ذَوي الأرحـامِ شَـانا

وانطلاقاً من هذه القيم الرشيدة نرى معن بن أوس يمتلئ قلبه بالصفح عن ذي رحم له، كان قد اعتاد على إيذاء معن، والتعرض البذيء له، بشتى ألوان الإساءة وضروب النكران، فينهض له معن قويا، مجرداً سيفه البتار، للانتقام منه وتأديبه، ولا يمنعه من ذلك سوى اتقائه لله سبحانه، ومراعاته للأرحام التي

(١٧) التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٣٠٦، وط. بغداد: ٢/ ٩٦.

حث الشارع الحكيم على المحافظة على أواصرها قوية بناءة، قائلا[١٨] :

وذي رحم قلَّمْتُ أظفار ضِغْنِه ... بحلمي عنه ، وهْوَ ليس له حِلْمُ
ويشتم عِرْضِي في المغيَّبِ جاهداً ... وليس له عندي هوانٌ ولا شَتْمُ
إذا سمْتُه وصلَ القرابة سامني ... قطيعتها ، تلك السفاهةُ والإثمُ
وإن أدعه للنِّصْفِ يأبَ ويعصني ... ويَدْعُ لحكم جائرٍ غَيْرُهُ الحُكْمُ
فلولا اتّقاءُ الله والرَّحِمُ التي ... رعايتُها حقٌ ، وتعطيلُها ظُلْمُ
إذاً لعلاه بارقي وخَطَمْتُه ... بِوَسْمِ شنارٍ لا يُشاكلُهُ وسْمُ

ثم ينتقل إلى مخاطبة صديق عزيز عليه، كانا على ود، طوته يد الأيام، معلنا له أنه خائف وجل، لا يدري إن كانت المنية ستصيب بسهامها أياً من الفريقين قبل الآخر، وهما، على ما باتا عليه من فرقة وشتات، وهو أخوه المحافظ على أواصر أخوته دائماً مهما تقلبت على صديقه الأحوال والصفات، إذ سيظل يقف بجانبه ظهيراً ومناصراً له ضد خصومه، وسوف يحبس عليه ماله عند الشدائد ضد كوارث الأقدار ومحن الأيام، إلى جانب إعلانه أنه ذو عفو، سيصفح عن إساءته له آملاً أن يرى من فعاله ما يسره، في قابل الأيام[١٩]:

لعَمرك ماأدري ، وإني لأوجَلُ ... على أيِّنا تغدو المنيةُ أولُ
وإني أخوكَ الدائمُ العهد لم أَحُلْ ... انَ أبْزَاك خَصْمٌ أو نبا بَكَ منزلُ

(١٨) شعره، ليبزج: ٥-٧، وديوانه، بغداد: ٤٠-٤٢. والضغن: العداوة. وسمته: كلفته وحملته عليه. والنصف: العدل. وبارقي: سيفي. وشرى: خطمته بوسم: جعلت على خطمه وسما، إذلالا له وإهانة. والشنار: العيب.
(١٩) شعره، ليبزج: ٣٦، ٣٧، وديوانه، بغداد: ٩٣، ٩٤. وأوجل: وجل.

أُحـاربُ من حـاربتَ مِنْ ذي عـداوةٍ وأحـبسُ مالي إن غَـرِمتَ ، فأعـقلُ
وإن سُـؤتني يوما صـفحتُ إلى غـدٍ ليُـعـقِبَ يومٌ منك آخـرُ مُـقـبِلُ(٢٠)

ثم يستشرف صورة مثلى لنفسه، بوصفه مؤمناً، يعبد الله في مراقبة، مُتجنباً ما يجره عليه غـضبه عليه، واستهجـان من حوله من الناس له، ضارباً القدوة الحسنة لأبناء جـيله، ومن تلاهم، في تجنب السعي إلى مواضع الشـبهات، أو الفواحش، مصماً جوارحه عن كل مايزرع فيها الغواية التي قد تراود غيره، حثاً على اقترافها، يعينه على ذلك، صـواب فكره، وتفتح عقله، اللذان لا يقبلان التـدني في براثن الشيطان، لتلـطيخ جسـده بعواقب تلك الفـواحش البذيـئة، مسلماً وجهـه لله، مؤمناً أن مشيئته فوق كل مـشيئة، مختتماً قـوله بنفي مشيه ماعاش لمنكر لا يليق بكريم صالح من أمثاله أن يمشي إليه، مقرراً أنه يضع صلة الأرحام نصب عـينيه، معاهداً نفـسه ألا يؤثرها على غيـرها من أهليـه بالخير والمعروف، مُستنبـتاً فيها مأثرة العرب الخـالدة ـ وهي الكرم ـ حتى تظل سوية في إيثار الضيف وإكرامه بما هو جدير به(٢١):

لعـمـرك ، مـاأهويـتُ كـفي لريبـة ولا حـملتْني نحـو فـاحـشـةٍ رجْلي
ولاقـادني سـمـعي ولا بصـري لهـا ولا دلَّني رأيي عـليـهـا ولا عَـقْلي
وإنيَ حـقـا لم تُصِـبْني مـصـيـبـةٌ من الدهر إلا قـد أصابتْ فتىً قـبلي
ولستُ بماشٍ ـ مـاحَـيِـيـتُ ـ لمنكرٍ من الأمـر لا يمشى إلى مِـثْلِهِ مِـثْلي
ولا مـؤثـرًا نفـسي على ذي قـرابة وأوثر ضيفي ، مـا أقامَ ، على أهلي

(٢٠) أحل: أتغـير. وأبزاك: غلبك وقـهرك وبطش بك. نبـا: بعد، ونبـا به المنزل: لم توافـقه الإقامة فيه. والغرامة والغرم: مايلزم أداؤه من المال ومايعطى منه على كره.

(٢١) شعره، ليـبزج: ٢٥، وديوانه، بغداد: ٧٣،٧٢. وأهويت كفي: مـددتُها. والريبة: الشك والتهمة. والمنكر: كل ماقبحه الشرع، وحرمه وكرهه، وضده المعروف. واستأثر بالشيء على غيره: خص به نفسه واستبد به.

رابعاً : لفت الأنظار إلى القدوات الإسلامية الحسنة :

آمن المزنيون، استلهاماً لمبادىء الإسـلام، بأن الإنسان الصالح هو خليفة الله في الأرض، فراحوا يصورون بأشعارهم معالم صورة هذا الإنسان، كما أرادها الإسلام، تصويراً جعلوا في ذروتـه، وفي مقدمته، أيضاً، إنسانيـة النبي محمد صلوات الله وسـلامه عليـه، ذلك الإنسان الـكامل الذي كرمـه الله برسالتـه الغراء، وجعله عَفُوًّا بالمؤمنين، رؤوفاً رحيمـاً، قويا شديدا مهيبًا من المشركين، صـادقاً، لا يـنطق عن الهـوى، وبعثـه بالحق هداية لخـلقه أجـمـعين. . ومن الأشـعـار التـي نوهـت بذلـك كلـه قـول كعـب بن زهير الذي توجـه به إلى النبي ﷺ لائذاً به[٢٢] :

أُنبــئتُ أن رســولَ الـله أوعــدَني ... والعـفـوُ عنـد رسـولِ الله مـأمـولُ
لقــد أقـوم مـقــامـاً لو يقــومُ به ... أرى وأسـمع مــا لو يسـمعُ الـفـيلُ
لـظل يُـرعَـــــد إلا أن يـكون لـه ... من الـرســـولِ بـإذن اللـه تنـويلُ
حــتى وضــعت يمينـي لا أنازعــهُ ... في كف ذي نقــمـاتٍ قـيلُه الـقـيلُ
لَذَاك أهْـيَبُ عـندي إذْ أكـلمــــه ... وقـيل : إنك مـسـبـور ومـسـؤولُ
من ضيـغـم من ضِراءِ الأُسْد مُـخْدَرُهُ ... ببطن (عــثَّـر) غِــيلٌ دونه غــيلُ
إن الرَّسُـولَ لسـيفٌ يـسـتـضـاء بـه ... مـهـنَّدٌ من سـيــوف الله مَــسْلُولُ

وتعضيـدًا لآثار هذا النبي في مجتمـعه، أبرز الشاعر معـالمَ بينةً من صُورة المحيطين به، وهم خيـرة الصحابة من المهاجـرين رضي الله عنهم الذين وهبوا حياتهم في سبيل مؤازرته، والمسـاعدة على نشر دعوته، في قوة وإباء، وعزة،

---

(٢٢) ديوان كـعب، بانت سعـاد، وإسـلام كعب، وقـصيـدته: ٨١. ويرعـد: يرتجف خوفـا. والتنويل: الأمان والعـفو والإحسـان. والمسبور: المخـبر والممتـحن. والضيغم: من صـفات الأسد. ومخدره: مكمنه. وعثر: موضع قبالة (تبالة) تكثر فيه الأُسود. والغيل: الغيضـة.

أبطالاً ماهرين في خوض المعارك، شجعاناً مقدامين يستخدمون أحدث الأسلحة المعـروفة في زمـانهم، يكرون للحـروب، يملأ قلوبَهم حنينُـهم الغلّابُ للفـوز بإحدى الحسنيين، والثقةُ الدائمـةُ القويةُ في عون الله لهم، والتوكلُ عليه الذي يدفعـهم إلى عدم الشعور بالفـرح أو التعالي، والغرور بما يحـرزون من نصر، وعدم الشعور بالجزع أو الخور والضـعف في عزائمهم، أو الحزن على مافاتهم، إن لم يحالفهـم النصر يوماً، إذ هم الأَعْلَون مثلاً وهمـة وغاية، وهم، في كل حال، يواجهون الطعنات، بصدورهم، مستهينين بأرواحهم، فداء لعقيدتهم، لا يخشون المـوت، ولا يفرون منه، لأنهم يؤمنون، بيقين، بأنه ملاقـيهم في كل زمان ومكان، لذا فـهم يتعجلونه طلباً لفـوزهم بالشهادة، وتحفـزاً للقاء ربهم، ومايتبعه من نعيم مقيم في جنات الفردوس(٢٣):

في عـصـبـة من قـريش قـال قـائلهم ... ببطن مكَّـةَ ، لما أسلمـوا : "زُولوا"
زالوا ، فـمـا زال أنـكاسٌ ولا كُـشُفٌ ... عند اللـقـاء ، ولا مِـيلٌ مـعـازيلُ
شُمُّ الـعـرانـين أبطالٌ لَبُـوسُـهُمُ ... من نَسْجِ داودَ في الهَـيْـجَـا سَـرَابيلُ
يمشون مـشي الجمـال الزُّهرِ يَعْصِـمُهُمْ ... ضـرب إذا عــرَّد الســود التنـابيلُ
لا يفـرحـون إذا نالت رمـاحُـهـم ... قـومـاً وليسـوا مـجـازيعـاً إذا نِيلُوا
لا يقـع الطـعْنُ إلا في نُـحُـورِهِمُ ... مـا إن لهم عَنْ حيـاض الموتِ تَهْليلُ

---

(٢٣) قصيدة بانت سعـاد، وإسلام كعب وقصيدته: ٨١. والعصبـة: الجماعة. وزولوا: هاجروا والأنكـاس: جمـع نكـس، وهـو الضعــيف الذليل. والكُشُف: جمع الأكشف، وهو الذي ينكشف في القـتال لجبنه وضـعفه. والمِـيلُ: جمع الأميل، وهو الجـبان. والمعـازيل: جمع معزال، وهو الذي ينعزل عن صحبـه في الحرب. والتنابيل: القصار. والتهليل (هنا): الجبن والهرب.

ثم انتقل إلى إفراد جانب آخر من صورة صحابته عليه السلام، وهم المؤمنون به، من أهل المدينة، الذين يؤوونه وينصرونه و ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢٤] - فأبرز اتصافهم برجاحة العقل والقوة والسخاء، وغير ذلك من الصفات التي تساعدهم على مواجهة أعدائهم، ممن باتوا، والعمى يحجب عن أعينهم وصفحات قلوبهم الرؤية الصحيحة، فدانوا بالعبودية لآلهة لا تملك لهم ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، فيغدو هؤلاء الصالحون من الأنصار ليذودوهم عن عقائدهم الفاسدة بالكلمة الطيبة، والبرهان الساطع، وإلا فالسيوف البتارة، وكل مايصاحبها من أسلحة صارمة أخرى، لكل من يعاند متمادياً في ضلاله وغيه، مقررا أن هؤلاء الأنصار يبذلون نفوسهم في مواضع الجهاد راضين، مطمئنين، فداء لنبيهم وإعلاء لشأن دعوته، تجلل ثيابهم روائح المسك والطيب المنسربة إليهم، من جنان الخلد التي اشتروها من الله سبحانه بأنفسهم وأموالهم، وبإكرامهم لأضيافهم وعابري السبيل، وهو إكرام توارثوا شجرته كابرا عن كابر، وزانهم الإسلام بتيجان عزته ونبله، وشرفهم الله بنبيه بينهم، فالتقى الماضي التليد بأواصر هذا الحاضر السعيد[٢٥]:

مَنْ سَرَّه كرمُ الحياة فلايزَلْ ... في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ
تزن الجبالَ رَزَانةً أحلامُهم ... وأكفُّهم خَلَفٌ من الأمطارِ

(٢٤) سورة الحشر، آية رقم: (٩).

(٢٥) ديوان كعب، قراقو: ١٦-١٩ ،والقاهرة: ٢٥-٣٢، والأحول: ٣-٩، والبيتان العاشر والحادي عشر، عن المستدرك وتلخيصه: ٣/ ٥٨٥, ٥٨٦. =

المكـرهِينَ الـسَّـــمْــــهَـــــريَّ بأذرع   كـصـواقـل الهنديّ غـيـرِ قــصـارِ
والنـاظرين بـأعين مـــحــــمَـــرَّةٍ   كـالجـمـر غـيـرِ كليلةِ الإبـصـارِ
والـذائـدين الـنـاس عـن أديانـهـم   بالمشـــــرَفيّ ، وبـالقَـنا الخَـطَّارِ
والبـاذلين نفـوسَـهُم لنبـيِّـهم   يوم الهـيـاج ، وقُـبَّـةِ الجَـبَّـارِ
وهُمُ إذا خـوت الـنجـوم فـإنَّهُمْ   للـطائفين الـسـائلين مـقـاري
والمطعـمـون الضـيفَ حين يـنوبُهم   من لحم كُـومٍ كـالهـضاب عِـشَارِ
والمنعـمـون المفـضلون إذا شَـتَـوْا   والضـاربون عِـلاوة الجـبَّـارِ
والمُقْـدمـون إذا الكُمَـاة تـواكَلتْ   والضـاربون الناس فـي الإعـصَـارِ
يَسْـعَـونْ للأعـدا بـكُلِّ طِمِـرَّةٍ   وأقبَّ مُـعْـتَـدِل البليلِ مـطارِ
لا يشـتكـون الموت إن نزلت بـهم   شـهـبـاءُ ذاتُ مـعـاقم وأُوارِ
وإذا نزلـتَ لـيمنعـوك إلـيهمُ   أصـبـحتَ عنـد مـعـاقل الأغـفـارِ
ورِثوا السـيـادة كـابرا عن كـابر   إن الكـرامَ هُمُ بـنو الأخـيـارِ
يتـطهـرون كـأنـه نُسُك لَـهُم   بدمـاءِ مَنْ عَلِقُـوا مِنَ الكُـفَّارِ

وقريب مـن هاتين اللوحتين المتكاملتين للـصحابة، لـوحته التي لخـص بها الشاعر نفسُه تلك الخطوط التي أبرزها ناصعة لموصوفيه في اللوحتين السابقتين،

= والمقنب: جماعة الخيل والفرسان. والأحلام: العقول. والخلف: السقي. والسمهريّ: الرمح الشديد. والمشرفي: السيف المنسوب إلى "المشارف" وهي قرية من أرض العرب قريبة من الريف في العراق واليمن والشام. الخطار: الرمح ذو الاهتزاز الشديد. والهياج: الحرب الضروس. وخوت النجوم: أمحلت وأجدبت. وينوبهم: يحل بهم. والكوم: القطعة من الابل. والعشار : النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر، وهي أعز عليهم. . والعلاوة: العنق. والجبار: الشديد من الفرسان. والكماة: الفرسان الشجعان الكاملو السلاح. والطمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم. والأقب: الضامر البطن الدقيق الخصر. والبليل: الريح الباردة مع ندى. والمطار: السريع. والمطار من الآثار: الواسعة الفم. والشهباء: الكتيبة العظيمة والكثيرة السلاح. وذات معاقم: ذات هلاك. الأعفار: أولاد الأروية، بمعنى أعالي الجبال. والنسك: العبادة، والذبيحة. وعلقوا: قتلوا.

مضيفاً إليها عناصر جديدة، في مدحه للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ تطالعنا في الأبيات التالية تأكيداته بأنه خير ميمون نقيبته، مشهور بفعل الصالحات من الأعمال بفعل ملازمته المحمودة للنبي ﷺ، ومصاهرته إياه، ومؤاخاته له، وفوزه بالسبق والريادة إلى المكرمات الجُلَّى كسبقه إلى اعتناق الإسلام صبيا يافعاً عاقلاً رشيداً، وفوزه بالصلاة مع الرسول ﷺ منفردين لله رب العالمين، وضربه بنفسه المثل الأعلى في التضحية والفداء، مقاوماً لطغاة الشرك في شجاعة وإقدام . . وتوخيه جانب "العدالة" ببصيرته النافذة وفهمه الثاقب لأحكام دينه، مُحكِّماً كتاب الله وسنة نبيه فيما يعنّ له ولغيره من المسلمين، في شتى جوانب الدين والدنيا، متغلباً على سهام أهل الهوى، وذوي البهتان(٢٦):

هل تُبْلِغنّي عَلِيّ الخيرِ ذِعْلِبَةٌ	حرفٌ تَزَلَّلُ عن أصلابها الكُورُ
إن علياً لَمَيْمُونٌ نَقِيبَتُهُ	بالصالحات من الأفعال مشهورُ
صِهْرُ النبيّ وخيرُ الناس مُفْتَخَراً	فكل من رامه بالفخر مَفْخُورُ
صلى الصلاة مع الأمي أولهم	قَبْلَ العباد وربُّ الناس مكفور
مُقاوِمٌ لطغاة الشرك يضربهم	حتى استقاموا ودين الله منصورُ
بالعدل قمت أمينا حين خالفه	أهلُ الهوى وذوو الأهواءِ والزورُ

وعزف معن بن أوس على أوتار هذه اللوحات الشعرية الفريدة، عندما توجه إلى سعيد بن العاص رضي الله عنه، مسبغاً عليه من الصفات النبيلة الصالحة التي رآها جديرة بالاقتداء والتأسي من أبناء عصره، وفي مقدمتها: الخير

---

(٢٦) منتهى الطلب، خ: ١/٩,١٠، ومطبوعة فرانكفورت: ١/١٨,١٩، وديوانه: القاهرة: ٢١٥.

والذعلبة: الناقة السريعة. والحرف: الضامرة الصلبة. تزلل: تنحرف، وتميل. والأصلاب: عظام الظهر. والكور: الرحل. وميمون نقيبته: مباركة نفسه، مطهرة ذكية.

والسخـاء، وصفاء النسب وعـراقته، وحفظ حـقوق الجيـران، والعزة والإباء، ومصاحبة المعروف، تديناً، وإيماناً:

إليك سـعيدَ الخير جـابتْ مطيَّتي فروج الفـيافي، وهي عوجاء عـيهلُ
وكم مـن ثناءٍ صـالـح كنتَ أهـلَه مُـدِحْتَ به تُجْـزى بذاك وتقـبلُ
وإن المصـفَّى من قـريش دعـامـة لمن نابـه حـرز نجـاة ومـعـقل
أخـو شـتـوات لاتزال قـدُوره يُحَلُّ عـلى أرجـائـهـا ثم يُـرْحَلَ
وجـارك مـحـفـوظ منيعٌ بنجـوة على الضـيم لايُقْـصى ولايَتَـذلَّلُ
وتأبى فـلا تعطـي على الخسف دَرَّةً مُـبِـسًّا ولـكن بالتَّـودُّد تُخْـبلُ
من القـوم مـغـشيُّ الرُّواق كـأنه إذا سيمَ ضـيـمـا خَـادرٌ يتـبسَّلُ
أخو العُرْفِ مـعروفٌ له الدين والنَّدى حليـفـان مـادامت تِعَـارُ ويَذْبُلُ[٢٧]

وامتداداً لهذه اللـوحات تطالعنا مدائح عبدالله بن عمـرو المزني لعبدالله ابن مصعب الزبيري وآل بيته، ممن تحدث عنهم قائلاً[٢٨]:

نعـم الأمــيــران بكَّـارٌ ووالدهُ مـاأشـرف الوالدَ الميـمـونَ والوَلَدا
المالئـان بعــدل الله قـبـضـتَـه والمصلـحـان بإذن الله مـافـسـدَا
والحـافظـان لما أوصـى الإلهُ بـه من حق ذي الحق إنْ غـابا وإن شهـدَا
والصـادران مـعـاً عـن كل مـاتَرَكَـا والواردان جـمـيـعـا كلَّ مـا وَرَدَا
والطاعنـان صُـدُورَ الخـيل مـقـبلةً والضـاربـان إذا غـاب القنا قـصـدَا

وقارئ هذه الأبيـات يلاحظ أن صاحبـها يرسم صورة مثـلى للحاكم المسلم الصالح الذي يضـطلع بمسؤوليات الحكم، راعـياً لشـؤون الأمة، فيـقودها إلى

(٢٧) ديوانه، بغداد: ٤٧-٥٢. والنجـوة: مالرتفع من الأرض والجمع نجاء. والضـيم: النقصان ومالـيـس بوفـاء. والخسف: الظلم. والدرة: أصـلها في اللبن. والمبس: الذي يبس بالنـاقة يصوت بها ليستدرها. ويبخل: يعطي. ومغشي الرواق: كما مر بنا السيد الذي يأتيه الناس.
(٢٨) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٤٢ و ١/ ٢١٠.

الخيـر والصالح من كـل قول وعمل، إذ تتـجلى فيـه الدعوة إلى عـدل الله، والإصلاح بإذن الله لكل مـا فسد، والمحافظة على مـا أوصى الله تعالى به من حقوق، إضافة إلى الشجاعة والمهارة في القتال.

وتتأكد صحة هذه الملاحظة بمتابعة رحلة هذا الشاعر مع ممدوحيه، إذ نراه يقول:

والثـــابتــيـــون قـــومٌ في ودَادِهِمُ ... غُنْمُ الحـيـاة ، وفي أحْـقـادِهِمْ تَلَفُ
اللاحظون بـنور الله إن غَـضِـبُـوا ... والشامِـلُونَ بِيُمنٍ حَـيْثُ ما انْصَـرَفُوا

ثم نستمع إليه يتحدث عن مصعب بن عبدالله الزبيري، فيصفه بقوله:

خــلائـقُ أحْـــرارِ الملوك ونـورُها ... يلوح عـليـهـا نظـمُـهـا المتـناسقُ
فـتىً لم تَفُـتْـه خـطةٌ تجـمع التُّـقَى ... إلى المجـد إلا ضـمّـهـا فـهـو رائقُ

ويخاطب خارجة الـمللي أبا بكر بن مصعب الزبيري هذا، فيقول(٢٩):

أنْتَ الإمــامُ الذي بالبــر نَعْـرِفُـه ... اعْـتَـامَـهُ لدوام النعـمـةِ القَـدَرُ
يومـاك: يومٌ تـعمُّ الناسَ رأفـتُـهُ ... ويومُ حُكـمٍ لدين اللـه مُنْتَـصِـرُ

والظاهر أن هذين الشـاعرين قـد أنشدا هذه الأشـعار، سـيراً على نـبراس سابقـيهم، لتـؤدي هذه الوظيفة المرجـوة منها وهي توضـيح معـالم ولاية أمر المسلمين، وتحديد صفـات المضطلع بها، إضافة إلى كونها مشـكاة يستضيء بها كل مسلم، من معاصريهم، في مـسيرة حياتهم اليومية فيمـا يعد تبشيراً بمبادئ الدين القويم، إثراء لجوانب حياة كل من الفرد والمجتمع، وهو الأمر الذي أفرد له السطور التالية..

---

(٢٩) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/١٦٩، ١٧٠، وانظر مدائح لهذين الشاعرين في الممدوح نفسه وآل بيته في هذه المعاني في المصدر المذكور، ص: ١٣٥، و١٦٦-١٦٧و١٧٠-١٧٢.

خامساً : التبشير بمبادئ الإسلام في تربية الفرد والمجتمع :

عايش المزنيـون، كغيرهم من مـسلمي عصرهم، مبـادئ الدين الإسلامي، فدفعتـهم هذه المعايشة إلى التحلي في أشعارهم، على الأقـل، بثوب فضائله، والدعوة إلى تطبيق قواعده، وأحكامه، توفيراً لأسباب السعادة في شتى جوانب الحياة للفرد والمجتمع، كل على السواء، ومن القيم الرشيدة التي نادوا بالتمسك بها في سبيلهم لتحقيق هذه الغايـة: قيمة العمل الصالح، ودوره البنّاء في حياة الفرد والمجتـمع، وعدم الركون إلى التواني، والكسل والـعجز، لأن براثن هذه الآفات تجلب الفقر لأصحابها، ومن ذلك قول أبى المعافَى:

وإنَّ التَّـواني زوَّجَ العـجـزَ بنْتَـهُ   وسـاق إليـهـا حين زوَّجـهَـا مَـهْـرا
فـراشـا وطيًّـا ثم قـال لهـا : اتكي   فقـصرُ كما لاشك أن تلدا الفـقرا (٣٠)

كما آمنوا بأن الرزق مـوكول بالله تعالى الذي خلقهم، فلـم يبالوا هل كانوا في بحبـوحة من العيش، أم في معـسرة، لأن الرزق ـ كما يقـول معن ـ ليس بإرادة الإنسان، ولذلك فهو يقرر مذهباً خلاصته:

مـامـسني من غـنى يومـا ولا عَـدم   إلا وقَـوْلي علـيـه : " الحـمـد لله "
قـد يُرزقُ المرءُ لا من حُـسْن حـيلتـه   ويُصْـرفُ الرزقُ عن ذي الحـيلةِ الدَّاهي(٣١)

وراح كعب بن زهير ينصح لزوجـته بألا تخاف عليهم الفـقر، منتظرة فضل

---

(٣٠) المحمدون من الشعراء: ١٢٤.

(٣١) تاريخ دمشق: ٤٨/١٧.

الله، الذي يقفُون برحمته، فإن يفن ماعندهم فالله سبحانه يرزقهم كما يرزق غيرهم، بفضله ومنّهِ اللذيْنِ لا تنفد خزائنهما، لا بفضل أحد سواه[٣٢]:

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري ... فضل الذي بالغنى من عنده نثقُ
إن يفنَ ماعندنا فاللهُ يرزقُنا ... ومن سوانا، ولسنا نحنُ نرتزِقُ

وانطلاقاً من هذه الأهداف النبيلة أخذ المزنيون على عاتقهم مهمة تنقية سلوك بعض الأفراد الذين كانوا يعايشونهم في غمار حياتهم اليومية، مستخدمين بعض الأشعار الهجائية التي كانت تشبه اللعنات التي يصيبها الشعراء الهجاؤون لأغراض تأديبية تهذيبية، تهدف في المقام الأول إلى تطهير المجتمع من النقائص، واستنقاذه من براثنها، تقويماً لما قد يظهر لهم في أخلاق بعض الناس من عوج، أو تنكُّب للمثل العربية الإسلامية السامية، منفرين مما لا يرتضيه ذوق المجتمع من عادات مرذولة، وتقاليد موبوءة فاسدة. ومرت بنا الإشارة إلى بعض المشاهد من أشعار معن بن أوس التي أخذ فيها يجلو الصدأ عن بعض سلوكيات ذي رحمه تجاهه[٣٣]، ومثل هذه الأشعار قوله يخاطب الفرزدق[٣٤]:

لعمركَ ماتميمٌ أهل فَلْجٍ ... بأردافِ الملوك ولا كرامِ

فنقائص الذل والضعة والهوان والبخل، هي السهام التي يقذفها الشاعر في وجه مهجوه. أما عقبة بن كعب فقد أضاف إلى هذه النقائص صفات الغدر

---

(٣٢) ديوان كعب، قراقو: ١٣٣، والقاهرة: ٢٢٨.

(٣٣) شعره، ليبزج: ٥-٧ و ٣٦، ٣٧، وديوانه، بغداد: ٤٠-٤٢ و ٩٣-٩٤.

(٣٤) نفسه، ليبزج: ٧٢، وديوانه، بغداد: ١١٣.

والعبودية والسفه والطيش في قوله الذي هجا به بني الجليح الغطفانيين، وكانوا ضربوه بالسيوف في واقعة وقعت بينهم(٣٥):

وما لمت نفسي غير أن لم يكن معي ... سلاحي وأني لم أكن جِدَّ حاذرِ
ألم تر أن العبد يضرب ربَّهُ ... ولم يَكُ يخشاه وليس بثائر
شَرَيتُكُم يابن الجُلَيْحِ كأنَّما ... شَرَيْتُ فلم أغنَ بكمُ بَيْعَ تاجرِ
فلم تفعلوا فعل الرجال أولي النُّهى ... ولم تفعلوا فعل النساء الحرائرِ

ووصم أحد المزنيين بعض خصومه من بني عميرة باللؤم والعار، والبذاءة، ومجانبة الحياء والوقار بقوله(٣٦):

يا قبَّحَ اللهُ أقواماً إذا ذُكِرُوا ... بني عُمَيْرة رهطِ اللُّؤْمِ والعَارِ
قومٌ إذا خرجوا من سوأةٍ وَلَجُوا ... في سوأةٍ لم يُجنُّوهَا بأَسْتَارِ

ودبت الخلافاتُ الزوجيةُ بين زينب بنت عُرفطةَ المزنيةِ وزوجها أبي وجزة السعدي، فتعرض لها بسهام هجائه الحادة لاحيا، فانبرت له واصفة إياه بقبح الوجه وكآبة المنظر، وسوء المعاشرة والشراهة في الأكل والشرب مع بخل وإقتار(٣٧):

---

(٣٥) المؤتلف والمختلف: ٢٧٨.

(٣٦) حماسة أبي تمام، عسيلان: ١/ ٢٣٠ ، وشرح الأعلم، ٢/١٠٥٨. والسوأة هنا :العورة، وقد تأخذ معنى الفاحشة، أو الخلة القبيحة، وولجوا: دخلوا. ويجنونها: يدارونها.

(٣٧) الأغاني، الثقافة: ١٢/٢٤٦، ٢٤٧، ومع الفقهاء الشعراء، ١١٢، وملحق الشعر: ٥٦٢. وذو عجر: ذو بطن عظيم. والمذق: اللبن المخلوط. الخصر: البارد. والسعر: حر النار. والشعب: مسيل الماء . والمضر: الداني القريب.

أعطى عُبَيْداً من شُيَيْخ ذي عجر لا حسنِ الوجه ولا سَمْحٍ يَسَرْ
يشربُ عُسَّ المذق في اليوم الخَصِرْ كأنما يقذف في ذات السُّعُرْ
تقاذُفَ السيل من الشعب المُضِرْ

ويستدل من هذه المقطعات أن المزنيين لم يتعرضوا لمهجويهم بالسب والتقريع في خصائصهم النفسية وصفاتهم المعنوية فحسب، وإنما ضمنوا أهاجيهم، إضافة إلى ذلك، ما رأوه من النقائص المادية الخلقية أيضاً.

واستقرائي لما بين أيدينا من أشعارهم الهجائية في الإسلام يؤكد أن روافد هذا الفن تكاد تنحسر انحساراً ملحوظاً، مقارنة بغيرها من روافد الفنون الشعرية في تراثهم الشعري، وكأني بالمزنيين يسيرون على درب أجدادهم وآبائهم من الجاهليين الذين قلتْ في أشعارهم روافدُ هذا الفن الهجائي قلة واضحة، إضافة إلى احتمال تأثرهم بروح الإسلام ومبادئه السامية الداعية إلى عدم انتهاك الحرمات، وكل مايؤذي مشاعر الآخرين، فكانت أهاجيهم لاتصل إلى حد الإقذاع، أو الفحش والبذاءة التي نطالع أمثلة لها فيما بيننا من أشعار بعض معاصريهم.

وكما استخدموا الأهاجي لأغراضهم التأديبية في إصلاح سلوك الأفراد، لجأوا إلى هذه الغاية التهذيبية النبيلة أيضاً في مراثيهم التي توجهوا بها لبعض موتاهم وقتلاهم، فأحد المزنيين يرثي قتيلاً من بني قومه، مثبتاً له صفات السيادة والكرم والعراقة، ومساعدة الأرامل وصلة الأرحام وغيرها من الأعمال الطيبة ذات الآثار الاجتماعية المحمودة(٣٨):

فتانا كان أبيضَ مَضْرَحيا سلوا عنه القبائلَ كَيْفَ كَانَا
فتانا كان يَحْمِل أرملاتٍ ويدفعُ عن ذَوِي الأرحامِ شَانَا

(٣٨) التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٣٠٦، ومطبوعة بغداد: ٢/٩٦.
والمضرحي: السيد الكريم والأبيض من كل شيء.

ومعن بن أوس يستهل عينية في رثاء بعض أقـاربه بحث مخاطبيه على أخذ العبرة والعظة من الموت، الذي هو مصير كل مخلوق، منتقلاً إلى إثبات صفات الفروسية والقوة لهؤلاء الموتى الذين خلفوه طعمة سائغة للطامعين[٣٩]:

أَلم تَعْلَمي مَنْ قـد صـبـرتُ خلافَـهُ ... فـتـعـتـبـري لو أن لُبّـك نافعُ
أَلم تعلمي عَـمْـراً وسـفـيـانَ قَـبْلَه ... وضـمـرةَ أمي فـاتني ومـسـافع
أفـاضلُ من وهب وأبـناء عـائذ ... ومن آل نصـر صـارخٌ مـتـتـابع
أولئـك لا أنتنَّ كـانوا فـوارسي ... بهم كنت أسْـتَـخْـسي العِـدَا وأُدافِعِ
وقـاربت في الأشـيـاء لو أنَّهم مـعي ... لبـاعـدتُ حـتى تسـتـقـيم التـوابع
فليَّنَّ منـي الكاشـحـون خـلافـهم ... فـأصـبـحت لا أعـطي ولا أنا مَـانِعِ

وفي رثائه لعبدالله ومحمد ابني مصعب بن ثابت الزبيري حرص عبدالله بن عمرو المزني على إثبات تواصل الأجيال واقتفاء الخلف آثار السلف قائلاً[٤٠]:

إن يُعْـقِبِ اللهُ يومـا من مـصـيبـتـه ... فـبـالأمـيـر وإلا لَجَّ بي كـمـدي

واسـتـعان المزنيون، تدفـعهم فطرتهم السـديدة، وتراث آبائهم، ومعايشـتهم لمبادىء الدين، بالحكمـة والموعظة الحسنة للنهوض والارتقاء بحلوم مـخالطيهم من أبناء مجتـمعهم، وقد مرت بنا الإشـارات إلي زهرات من هذين الفنين عبر الصفحات السـابقة، مما تقاطر على ألسنة كل من كعب بن زهير وأخـيه بجير، ومعن بن أوس، وأبـي المعافى، وعبـدالله بن عمـرو، ونتوقف هنا قليـلاً عند الأمثلة الأخـرى التي تأخذ بأيدينا إلى إدراك هذا الهـدف التربوي الذي قـصده

---

(٣٩) ديوان معن، بغداد: ١٠٧, ١٠٨.

(٤٠) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١١، ٢١٢، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥٢.

بعض المزنيين، كما فعل كعب بن زهير بعينيته التي أسلفت الإشارة إليها، متوجهاً إلى قومه ناصحاً لهم بالاعتصام بحبل الله القويم، والتحاب، والترابط، والتسابق إلى المكرمات، والوفاء بالعهود(٤١)، وهي المعاني التي اشتملت نصيحة معن على جانب منها بقوله(٤٢):

فلا تكونوا كمن تغذو بدرَّتها ... أولاد أخرى ولايُغْذى لها وَلَدُ
إن تُصلِحوا أمركم تَصْلُحْ جماعتكم ... وفي الجماعة مايستمسك العمدُ

ونراه في دالية أخرى(٤٣) يتوجه لامرأته التي دأبت على لومه وتأنيبه، بسبب ما تراه من كثرة إنفاقه المال:

أريني جواداً مات هُزْلاً لعلَّني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً تخلَّدا
فلا تحسبنَّ الشرَّ ضربةَ لازم ... ولا الخيرَ في الدنيا على المرءِ سَرْمَدَا
ولا خَيْرَ في مولاكِ مادام نصرُه ... عليك ولم يتركْ لنارك موقدا
دعيني ومالي إن مالكِ وافرٌ ... وكلُّ امرئٍ جارٍ على ماتَعَوَّدَا
ولا خيرَ في حِلْمٍ يعود مذلَّةً ... إذَا الجهلُ لم يتركْ لذي الحلمِ مَقْعَدَا

ثم نراه، في موضع ثالث (٤٤)، يتوجه بتبيان سنة الحياة في نظره، قائلا:

هل الدهرُ والأيامُ إلا كما نرى ... رزيَّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ ؟!

---

(٤١) ديوان كعب، قراقو: ٦٢، والقاهرة: ١١٢, ١١٣، والأحول: ٥٧, ٥٨.
(٤٢) حماسة الخالديين: ٢/ ٢٦٠.
(٤٣) شعره، ليبزج: ٢٩، وديوانه، بغداد: ٨٠, ٨١.
(٤٤) أنوار الربيع: ٢/ ٨٤.

وواضح، من هذه الأمثلة القليلة وغيرها، أن المزنيين قد بلغوا من النضج العقلي الذيساير روح مجتمعهم، بعد تفاعله مع مبادئ دينهم في تربية العقل والدعوة إلى البحث والتأمل وطلب العلم والمعرفة، وهو النضج الذي نطالع جانبا من جوانبه في مطالعتنا لأخبار إياس بن معاوية المزني (ت ١٢١ـ ١٢٢هـ) المشهور بقدراته الفائقة على الفراسة والفصاحة والبيان، ومنها ما يروى من أنه ذهب إلى الشام، وهو صغير السن، فخاصم شيخا إلى القاضي، وأقبل يصول عليه، فقال القاضي: اسكت ياصبي. فقال إياس: فمن ينطق بحجتي؟ قال: إنه شيخ كبير. قال إياس: إن الحق أكبر منه. فقال القاضي: ما أراك تقول حقا !! فقال إياس: لا إله إلا الله.

فركب القاضي من وقته إلى عبدالملك بن مروان (ت ٩٦هـ)، فأخبره، فقال له عبدالملك: عجل بقضاء حاجته وأخرجْهُ من الشام، لئلا يفسدها!!(٤٥).

سادساً: مشاركتهم في التيارات السياسية لعصرهم :

انتظم المزنيون في عـقد المجتمـع الإسلامي، طوال عهد النبـوة والراشدين، انتظاماً فريداً، كانوا فيـه مثالاً طيباً للانتماء والولاء للإسلام ومـبادئه، مقتدين بالنبي ﷺ في تشريعاته السياسية المحمودة، محتلين أماكن طليعية في مجالسه، وسلمه وحـربه، حتى إذا انتـقل، عليه الصلاة والسـلام، إلى رفيـقه الأعلى، وانتقلت مقاليد الحكم إلى أبي بكر فعمر، فعثمان رضي الله عنهم بدأت جذور الميل المزني إلى علي بن أبي طالب وآل بيته رضي الله عنهـم تأخذ مكانها ثابتا في القلوب رويدا رويدا. . وكانت غـضبة بعض المزنيين على سياسـة ابن عفان المالية، بسـبب توليته كـعب بن مالك أمور صـدقاتهم، واستيـلائه على فيئـها لنفسه(٤٦) إيذاناً بهبوبهم، ثائرين، مع غيرهم، لمحاصـرة الخليفة في بيته، مـما أدى إلى مصرعه(٤٧).

وبانتـقال مقـاليد الأمـور إلى يدي الإمام علي (كـرم الله وجهـه)، أخذت طلائع هذه الغضـبة تترجم، واقـعاً، في مشاركـة معقل بن يسـار المزني قائداً لبعض القبـائل مع الإمام، ضد خصومه في وقـعة الجمل (٣٦هـ)(٤٨)، وأنشأ كعب بن زهير رائيته التي أسلفتُ الإشارة إلى أبيات منها في مدح هذا الإمام، والثناء على قيامه بالعدل في مواجهـة أهل الهوى وذوي البهتان والزور، محتلاً المكانة التالية بعـد صهره ومثله الأعلى رسول الله ﷺ، بفضل مـاحباه ربه من

(٤٦) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٣٠.
(٤٧) أنساب الأشراف: ٥/ ٩٩، والعقد الفريد، دار التأليف: ٤/ ٣٠٠.
(٤٨) تاريخ الطبري: ٤/ ٥٠٠.

نعم جليلة لا تستطيع الأيام تغييرها[٤٩]:

بالعدْلِ قمتَ أمينا حين خالفَهُ ... أهل الهوى وذَوُو الأهواءِ والزُّورُ
ياخير من حملت نعلا له قدم ... بعد النبي لديه البغي مهجور
أعطاك ربُّكَ فضلا لازوال له ... من أين أنى له الأيامَ تَغْييُر؟!

وقد دفعه حبه وتقديره للإمام علي، ومكانته في حياة الإسلام والمسلمين إلى مواصلة تأييده لأبنائه من بعده، وبين يدي بيتان روى البيهقي أنه مدح[٥٠] بهما الإمام الحسين (ش/٦١هـ) رضي الله عنه، وهما:

مَسَح النبيُّ جبينَهُ ... وله بياضٌ بالخدُودْ
وبوجهِهِ ديباجةٌ ... كرمُ النبوةِ والجُدُودْ

ويبدو أن بعض عواطف هذا الجانب قد انتقلت إلى معن بن أوس فأخذت بيديه إلى إنشاد بعض أشعاره في الثناء على عبدالله بن جعفر[٥١] وعبيدالله بن عباس[٥٢] المطلبيين، لتفضلهما عليه ببعض الهبات، ولاسيما عندما أصابه الكِبَر واعتوره الضعف وسوء الأحوال الاقتصادية.

وبعد كعب ومعن وأشعارهما في آل بني عبدالمطلب، لا أعثر طوال قرن من الزمان، فيما بين يدي من أشعار المزنيين، على ما يؤكد أو ينفي استمرارهم في مشايعة آل البيت النبوي، على رغم ما أسلفته[٥٣] من تناقل الأخبار عن وقوف

---

(٤٩) منتهى الطلب، خ: ١/ ١٠، ومطبوعة فرانكفورت: ١/ ١٩.
(٥٠) المحاسن والمساوي: ١/ ١٠٤، وقارن: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٩٠.
(٥١) ديوانه، بغداد: ١٠٥, ١٠٦.
(٥٢) المصدر نفسه، بغداد: ١٠٦, ١٠٧، ١١٤.
(٥٣) راجع الفصل الثاني من الباب الأول، ص: ٩٣ - ٩٥.

الجمهرة من بني مزينة إلى جانب العلويين في مطالبتهم بحقوقهم المسلوبة في خلافة المسلمين من خصومهم الأمويين وغيرهم.... حتى إذا وصلنا إلى العقود الأخيرة من القرن الثاني الهجري رأينا اتصال خارجة بن فليح المللي(٥٤) بمحمد بن جعفر بن إبراهيم الجعفري المطلبي، وارتباط أبى المعافى المزني بابن محمد بن إبراهيم الإمام(٥٥)، وقوليهما فيهما أشعاراً وصل إلينا بعضها.

والظاهر أن حلقة مفقودة بين أشعار كل من كعب بن زهير ومعن بن أوس في آل البيت النبوي، وأشعار غيرهما من المتأخرين المزنيين، تلك الحلقة التي ربما تكشف عنها الأيام بعثورنا على بعض الأشعار المزنية الأخرى في هذه الحقبة التاريخية.

على أننا نلاحظ عدم اقتصار معن بأشعاره على آل البيت النبوي، إذ ذهب به مذاهب شتى، بدأها بالإشارة الموجزة والموحية، في الوقت نفسه، إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بوصفه "خير الخلائف"(٥٦)، عندما قرر الذهاب إلى الشام، مخلفاً أهله في جوار عمر بن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها، وعاصم بن عمر بن الخطاب، فقال له بعض عشيرته: "على من خلفت ابنتك ليلى في الحجاز، وهي صبية ليس لها من يكفلها ؟! فقال:

لعمرُكَ ما لَيْلَى بدار مَضِيعةٍ ... وماشيخُها إنْ غاب عنها بخائفِ
فإن لها جارين لَنْ يَغْدُرا بها ... رَبيبَ النبي وابنَ "خير الخلائف"

---

(٥٤) التعليقات والنوادر، خ، الهندية: ١٢١، وط. العبيكان، ٢/ ٦١٣ ـ ٦١٥.

(٥٥) المحمدون من الشعراء: ١٢٤.

(٥٦) ديوانه، بغداد: ٩١، والأغاني: ١٢/ ٥٩ (الدار)، وتاريخ دمشق: ١٧/ ٤٥، ٤٦.

وامتدت أواصر هذه المودة، فتابع معن إعجابه بعاصم بن عمر وإنشاده فيه قصيدة ميمية[٥٧]، منتقلاً إلى حضور بعض مجالس معاوية ابن أبي سفيان[٥٨] والثناء بلامية أشرتُ إلى بعض أبياتها على فضائل سعيد بن العاص[٥٩] الأمويين، وهجاء عبدالله بن الزبير، بسبب ما مُني لديه من خيبة أمل في إكرامه والتفضل عليه[٦٠].

وشبيه بأمر معن، في تنقله من حزب إلى آخر، ما روي من أن بسر بن عصمة كان "علوياً" فلحق بمعاوية، وشارك في قتل بعض شيعة الإمام في وقعة صفين، وقال في ذلك شعراً منضماً بعد ذلك إلى سُمّار معاوية، فتحدَّث عنده يوماً رجلٌ من جُهينة فَحَصِرَ، وقطع الحديث، فتضاحك القوم، فقال بسر: تحدث يا أخي، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "جهينة مني وأنا منهم، من آذى جهينة فقد آذاني. . . "، فغضب معاوية، وقال: ما هكذا!! إنما قال هذا لقريش! فانصرف بسر وقال:

أيشتمني معاويةُ بن حربٍ ... ويكذبني لقولي في جُهَينَهْ
ولو أني كذبت لكان قَولي ... ـ ولم أكذب ـ لغيري في مُزينه[٦١]

وليس بين يدي من الأخبار أو الأشعار التي تؤيد انضواء بعض بني مزينة تحت ألوية الخوارج أو الزبيريين وغيرهم من الأحزاب الأخرى طوال العصر

---

(٥٧) ديوان معن، بغداد: ٦٥-٦٧.

(٥٨) الوساطة: ١٩٢, ١٩٣، وديوان المعاني: ١/ ١١٣, ١١٤، والخزانة، هارون: ٨/ ٢٩٤.

(٥٩) ديوان معن، بغداد: ٤٧-٥٣.

(٦٠) نفسه: ١٠٦.

(٦١) ملحق الشعر، ص: ٥١٨.

الأموي أو تنفي ذلك، بيد أنني، من خلال اطلاعي على عدد وفير نسبياً من القصائد والمقطعات التي أفردها الشاعران: خارجة بن فليح المللي(٦٢)، وعبدالله بن عمرو(٦٣) المزنيان لعبدالله بن مصعب الزبيري، وآل بيته، بعيد منتصف القرن الثاني الهجري ـ أستطيع الذهاب إلى أن هذه الصلة الوطيدة التي جمعت بين هذين الشاعرين وممدوحيهما ربما كانت لها بعض الجذور من آبائهما أو بعض أقاربهما السالفين، وهو أمر يدعوني إلي تصور فقدان بعض الأشعار المزنية السابقة لأشعارهما التي بين أيدينا، مما يدل على ميل أصحابها جهة الزبيريين، وهو تصور ربما تكشف عنه الأيام بعثورنا على جوانب من تراث المزنيين الشعري مما لا يتيسر لنا الآن.

---

(٦٢) الباب الأول ص: ١٦٩ ـ ١٧١، وملحق الشعر ص: ٥٥٠ ومابعدها.

(٦٣) الفصل الثالث من الباب الأول، ص: ١٧٢ـ١٧٦، وملحق الشعر ص: ٥٦٣ ومابعدها.

سابعاً: مواكبتهم لركب التطور الحضاري لعصرهم :

بانتشار حركة الفتوح الإسلامية بدأت الهجرة المتلاحقة تهب غزيرة من شتى بقاع الحجاز وغيرها من أطراف شبه الجزيرة العربية، إلى الأمصار المفتوحة، والمعربة، في العراق، والشام، ومصر، والسند، وفارس وغيرها. وواكب هذه الهجراتِ تنقلُ الكثيرين من العشائر من منازلهم، إلى منازل أخرى بحثاً عن الخصوبة، وغيرها من الأشياء المُعينة على الحياة الكريمة . وتجسيداً لهذه الحركة الدائبة سجل معن بن أوس بشعره كيف أن كثيراً من منازل قبيلته قد خلت من أهليها الذين ارتحلوا إلى العراق قائلاً (٦٤):

تأبّدَ لأيٌ منهمُ فَعَتائدُهْ ... فَذُو سَلَم أنشاجُه فَسَواعِدُهْ
فذات الخَماط خَرجُها فطُلولها ... فبطنُ البقيع قاعُهُ فمرابدُهْ
فمندفعُ الغُلاّنِ غُلان مُنْشِدِ ... فنعفُ الغُراب خطبُهُ فأساودُهْ
فَفَدْفَدُ عَبُّودٍ، فخبراءُ صائفٍ ... فذو الجفر أقوى منهمُ ففدافدُهْ
فدهماءُ مرضوض كأن عراضَها ... بها ضِنْو محذوفٍ جميلٌ محافدُهْ
تَعَفَّتْ مغانيها وخَفَّ أنيسُهَا ... مِنَ اَدْهم محروسٍ قديم معاهدُهْ
عراقيةٍ تحتلُّ غَولاً فَعَسْعَسَا ... محلُّ العراق دارُهَا ماتُبَاعِدُه

---

(٦٤) ديوانه، بغداد: ١٠٣، ١٠٤. ولأى: موضع ببلاد مزينة. وعتائد وذو سلم: موضعان. الأنشاج: مجاري الماء. والسواعد جمع ساعد. والمرابد: جمع المربد، وهو موضع بعقيق المدينة. ومنشد: واد. وغلان: منابت الطلح منه. والنعف: ماانحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الوادي. والغراب: جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام. والأخطب من الطير: ماقرب لونه إلى الخضرة. وعبود: اسم جبل. وخبراء صائف: بين مكة والمدينة. وذو الجفر: موضع بئر. ودهماء مرضوض: موضع في بلاد مزينة. وغول: موضع في شق العراق.

وحلق عبدالله بن عمرو المزني ببصره في الآفاق من حوله، فرأى بعض ذويه ينتهزون فرصة قدوم الربيع، فيشدون رحالهم، ميممين نجدا وغيرها من المنازل العامرة بالحياة، حتى إذا أتى الصيف بجفافه، عادوا بأمتعتهم إلى حيث كانوا ينزلون(٦٥):

سقى اللهُ من نَوءِ الثُّريا ظَعَائننا ... تَيَمَّمْنَ نجْداً واختصرن المرخَّصَا

ظعائن ممن سار فاحتل (رابغا) ... وودَّان أيام الجلاء فأخمَصَا

أقمن به حتى أتى الصيف قادما ... وقَضَّوا لبانات الربيع فأشخصا

وباندماج العرب بغيرهم من الأعاجم بعيد هذه الهجرات أخذت تطفو على سطح الحياة، حينئذ، ظاهرة الاختلاط الحضاري، الذي كان من نتيجته ظهورُ جيلٍ، وربما أجيال لا تدين للعروبة، بقدر ما تدين للإسلام، بوصفه دينا يدعو إلى المساواة بين الشعوب المسلمة، في الوقت الذي دوّت فيه أصوات عالية أُموية، وغير أُموية، تهتف بنداء (العروبة) التي تراها قاعدة الإسلام الحصينة، معتدة بشجرة نسبها العربي الأصيل، اعتداداً شديداً تُومئ به إلى عظمة الإسلام، ورفعة أبنائه، وراحت أبيات معن بن أوس تجسد هذه الظاهرة في مدحه سعيد بن العاص الأموي عازفة على أوتار "قرشيته" و "عربيته" قائلاً (٦٦):-

وإن المُصَفَّى من قريش دعامة ... لمن نابهُ حِرزٌ نجاةٌ ومَعقِلُ

وقد علمت بطحاءُ مكة أنَّه ... له العزُ منها والقديمُ المؤثَّلُ

إذا ماتسامَت من قريش فروعُها ... فبيتُكَ أعلاها وعِزُّكَ أطولُ

---

(٦٥) التعليقات والنوادر، خ، الهندية: ٤٠٨، وط. العبيكان، ٢/٧٠٧.

(٦٦) شعره، ليبزج :١١-١٣، وديوانه، بغداد: ٤٨-٥١.

كما تجسدها أبياتُه الأخرى في مدح عبيدالله بن العباس الهاشمي(٦٧) والتي منها:-

وإنك فـــرعٌ من قـــريش وإنَّمـــا يَمُجُّ الندى منهـا البحـورُ الفـوارعُ
ثووا قـادةً للناس ، بـطحـاءُ مكة لهم وسـقـاياتُ الحـجـيج الدَّوافعِ

وربما أدت هذه الأصـواتُ وغيـرها إلى الإحسـاس الذي خامـر بعض أبناء القبائل الأخرى، فأخذت تعود إلى الـفخر بالآباء والأحساب، والارتباط القوي بتاريخ القبيلة، وهي عودة جَسَّدَها معن بقوله:

ورثنا المجد عن آباء صدق(٦٨)

وقوله(٦٩):

تضـمنتُ بالأحـساب ثم كَـفَـيتُهـا وهل تُوكَلُ الأحسابُ إلا إلى مِثْلي؟!

وقوله(٧٠):

وأجـدادُ صِـدْقٍ لايُعـابَ فِـعـالُهُمْ هم النَّضَـدُ السـرْوُ الغطارفـة الشُّمُّ
إذا انتـسبَـتْ مدتْ يديهـا إلى العُـلا وصدَّقـها الإسلامُ والحَـسَبُ الضخمُ

وأخذ عمرو بن رياح المزني يباهي بما لقبيلته من شرف المشاركة في فتح مكة بألف مجاهد، وبما لهم من أيادٍ بيضٍ في سجلات الإسلام قائلا(٧١):

أنا ابن أوسٍ وعـثـمـانَ الأُلى بلغـوا مَعَ الرسـول تمامَ الألـف وانْتَـسَبُـوا
ومـا وفى مـعهم مـن غيـرهم أحـدٌ ألْفـاً ومـاخَـذَلَوا عنهم ، ولا نكبُـوا

(٦٧) حياته، وشعره: ٦٧، وديوانه، بغداد: ١٠٦, ١٠٧.
(٦٨) ديوانه، بغداد: ١٠٩.
(٦٩) ديوانه، بغداد: ٩٥.
(٧٠) المصدر نفسه: ٣٩, ٤٠.
(٧١) معجم الشعراء: ٥٣.

وانبرى كعب بن زهير للرد على مُزَرِّد الغطفاني عندما عيره بقوله:

وأنْتَ امـرؤٌ مـن أهل قُـدْسٍ أُوارةٍ أحلّتْكَ عـبـدُالله أكنافَ مُـبْـهلِ

ـ مبرزاً تلك "المُزنيـةَ" بكل ما تحمله له من صفات عزيزة عليـه وعلى غيره من بني قومه، قائلا(٧٢):

أعـيَّـرتَـني عـزا عـزيزاً ومـعـشـراً كـرامـا بَنَوا لي المجـدَ في باذِخٍ أشمْ
هُمُ الأصلُ منـي حـيث كـنتُ وإنَّني من المُـزَنيّينَ المـصـفَّـيْنَ بالـكَرَم
هُمُ منعـوا حَـزْنَ الـحـجـازِ وسَـهْلَهُ قـديماً وهم أجلَـوْا أباك عن الحَـرَم
مـتى أَدْعُ في أوسٍ وعـثـمـانَ يأتني مـسـاعيـرُ حـرْبٍ كُلُّهُمْ سـادةٌ دِعَمْ

ونتيجة لبعض الصراعات المختلفـة التي شهدها المجتمع الإسلامي على كافة الأصعدة، برزت ظاهرة "التطفيل" تطفو على ساحة ذلك المجتمع، وأخذ عبدالله ابن عمرو المزني يجلو، بشـعره، عن مشاركته في ملاحـقة بعض بيوت الأغنياء، مزاحمـاً بعض منافسيـه، للفوز بوجبة غـذاء أو عشاء لم يستطع توفـيرها ـ هو ـ لنفسه؛ بسبب تدهور أحواله الاقتصادية، كغيره من عامة أبناء عصره قائلاً:

ألا ياليـت أنَّـك أم عَـمـرو شـهـدتِ مُـقـاومي كي تعـذريني
ودفـعي مـنكبَ الأسـديّ عـني علـى عَـجَل بنـاحـيـةٍ زَبُونِ
بمنزلـة كـأن الأُسْـدَ فـيـهـا رمـتْني بـالحـواجب والعـيـون
وكنتُ إذا سـمـعتُ نجيّ خَـصْمٍ منعتُ الخـصْـمَ أن يتـقـدموني(٧٣)

---

(٧٢) ديوان كعب، القاهرة: ٦٧، ٦٨.

(٧٣) الورقة: ١٤، والفهـرست: ٤٩، والزبور: الكثـير الدفع، والنجى (والجـمع: أنجيـة): السريع. والخصم: المخاصم والمنازع.

ثامناً: موقفهم من الموت والحساب والقضاء والقدر:

الإسلام نظام يأخذ بأيدي معتنقيه إلى التزود من الدنيا إلى الآخرة، ومن الحياة إلى مابعد الموت، ولذا دعا الله سبحانه عباده إلى الإيمان بحتمية الموت والبعث والنشور والحساب والقضاء والقدر، وهي الدعوة الحكيمة التي وسمت المؤمنين بشريعة الإسلام وعقيدته، بسمات تؤهلهم إلى التشرف بعبوديتهم لله، واستخلافهم في أرضه تنشئة لمجتمع صالح قوامه الأخلاق العظيمة، وغايته الفوز برضوان الله تعالى.

والإيمان بحتمية الموت ثابت عند عقلاء الجاهلية من المزنيين، كزهير(٧٤)، والخنساء(٧٥) ابني أبي سُلْمَى، وهو ماترك آثاره الطيبة في تمهيد البيئة العربية، آنذاك أمام دعوة القرآن والسنة اللذين نصا عليهما؛ فلم يكن غريباً أن يكون المزنيون من أوائل الناس الذين قرروا هذه الحقيقة في أكثر من موضع من أشعارهم في الإسلام.

ومرتْ بنا، في الفصل السابق، الإشارةُ إلى ماتوافر للشاعر كعب بن زهير من قدرات التأمل والتدبر في مظاهر الكون من حوله، بما أتاح له الوقوف على سر من أسرارها، وهو "الفناء" الذي يخلفه فيها "مرُّ الدهور"، وتتابعُ الأزمنة، وتعبيرُه عن ذلك بقوله(٧٦):

والمرء والمال يَنْمى ثم يُذْهِبُهُ ... مرُّ الدهورِ، ويُفْنيه، فيَنْسَحِقُ
كالغُصْنِ بَيْنَا تَراه ناعماً هَدِباً ... إذْ هَاجَ، وانحتَّ عن أفنانه الوَرَقُ
كذلك المرءُ إن يُنسأ له أجلٌ ... يُرْكَبْ به طَبَقٌ من بعدِه طَبَقُ

(٧٤) شرح شعره، الآفاق: ٢٦، ٢٤١، والأعلم: ٢٣٦.

(٧٥) ملحق الشعر، ص: ٦١٩، وانظر إشارة حسان المزني إلى الموت بملحق الشعر ص: ٦١٦.

(٧٦) ديوان كعب، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨، وانظر ص: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ من هذا البحث.

* وينمي: يزداد ويكثر. ومر الدهور: تعاقبها. وينسحق: يزول ويندثر. والهدب: الغصن المورق الأخضر. وهاج: يبس. وانحت: سقط وتناثر. والأفنان: الغصون. يُنسأ: يؤخر.

- وهي الإشارة التي أعقبها، في موضع آخر من شعره[77] بإيماءة موجزة مُوحية إلى مابعد الموت، مرحلة حمل الميت على النعش، في طريقه إلى مثواه الأخير، مقرراً أن:

كُلّ ابن أنثى وإن طالت سلامتُه　　　يوماً على آلةٍ حدباءَ محمول

وغير بعيد عن أسماعنا أيضاً حديثُ معن بن أوس مع زوجته[78] الذي ألممنا بجانب منه قبل قليل، وهو الحديث الذي توجه إليها فيه قائلا:

فإني أرى ما لا تَرَيْنَ، وإنني　　　رأيتُ المَنَايا قد أصابَت (محمدا)
وإني أرى كُلّ ابن أنثى مؤجلا　　　ولم تُضرب الآجالُ إلا لتنفدا
إذا زال نعشي واعترتني منيتي　　　وصاحبتُ في لحدي الصفيحَ المنضَّدَا
فقولي: فتى ماغيّبوا في ضَرِيحِهِمْ　　　تزوَّدَ من حُبٍّ القِرى ما تزوّدا

وواضح من هذه الأبيات أن الشاعر يلخص عقيدته في الموت مطابقة لما قرره الإسلام الحنيف، وينوه بما أشار إليه سابقه ـ كعب ـ في بيته الأخير. من حمل الميت على النعش، ومنه إلى "الحياة البرزخية" التي تبدأ بالقبر، وهنا نرى الميت، وقد بدأ يصاحب، في لحده، الصفيح المنضد، بعد أن تخلى عنه أهله وماله، وتركوه وحيداً، لا يؤنسه غير ما قدم في دنياه من صالح الأعمال.

ومن هذه الحياة البرزخية إلى مشهد من مشاهد اليوم الآخر، يوم الحساب والجزاء، بعد أن يبعث اللهُ الخلائقَ، ويجزي كل إنسان بما قدمت يداه، لاينفعه مالُه ولا أهلُه ولاسلطانُه، وإنما ينفعه، حينئذ، عمله الصالحُ وقلبُه المطهرُ من

---

(٧٧) ديوانه، قصيدة بانت سعاد. والآلة: سرير الموت. وحدباء: معوجة.

(٧٨) شعره، ليبزج: ٢٩، ٣٠، وديوانه، بغداد: ٨٠، ٨١. واعترتني: أتتني. والصفيح: ماعرض من الحجارة. والقرى: الكرم والسخاء.

أرجاسِ الدنيا وشرورها ﴿يَوْمَ لا ينفعُ مَالٌ ولا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ (٧٩)، وفي الرسالة الشهيرة التي بعث بها بجيرُ بن زهير إلى أخيه كعب، يحثه على المسارعة إلى إعلان الإسلام، ويعاتبه على التأخر عن اللحاق بركب المسلمين، مستمسكاً بعرى عقيدة آبائه الباطلة، مشيراً إلى صدى هاتين الآيتين الكريمتين في قلبه وفكره قائلاً(٨٠):

فمن مُبلغ كعباً فهل لك في التي ... تلومُ عليها باطلاً وَهْيَ أَحْزَمُ
إلى اللهِ ـ لا العُزى ولا اللاتِ ـ وحَدهُ ... فتنجو إذا كان النجاءُ وتسلَمُ
لدى يوم لا ينجو وليس بِمُفلتٍ ... من النار إلا طاهرُ القلب مُسْلِمُ

ثم ينحو، في حديثه عن مشاهد القيامة، نحوا آخر عندما يخاطب كعباً في رسالة أخرى(٨١) يستحثه فيها على اتباع دين الحق، مهتدياً إلى نور الإسلام، وتجنب ما قد توسوس به نفسه، وتضمره له شياطينه من شر للإسلام والمسلمين، حتى لا يكون مصيره الأبدي هو التلظّي بنيران جهنم، مُخَلَّدًا في (سقر) وبئس المصير:

وِفاقُ كعبُ بُجيرٍ منقُذٌ لك مِن ... تعجيلِ تهلُكةٍ ، والخُلْدِ في سَقَرا

وإيمان المزنيين بالموت والبعث والحساب، على هذا النحو، قد أدى بهم إلى التسليم بالقدر، والاستكانة والخضوع لله سبحانه وقدرته، موقنين بأن كل ما يحدث للإنسان، إنما هو قدر مكتوب عليه، وأدركوا أنه لا مبدل لكلمات الله، مذعنين في وعي، إلى الآيات الكريمة والروايات المأثورة، التي تؤكد أن أمره

(٧٩) سورة الشعراء، الآيتان (٨٨, ٨٩).
(٨٠) ملحق الشعر، ص: ٥١٤.
(٨١) ملحق الشعر، ص: ٥٠٨.

تعالى قدر مقدور، وأنه نافذ مفعول، ولا معقب لحكمه، لأنه وحده خير الحاكمين. ومن هذا المنطلق الرحيب قرأنا قول معن بن أوس الذي مر بنا ـ قبل قليل ـ:

وإنيَ حقاً لم تُصبْني مصيبةٌ   من الدهرِ، إلا قد أصابَتْ فتى قبلي

ونقرأ ـ أيضاً ـ قول نصر بن نصر المزني، الذي أنشده متحسراً على عدم قدومه، مع آل بيته، لمبايعة رسول الله ﷺ، على نعمة الإسلام(٨٢):

فيا ليتني يوم الحُنَينِ اتَّبعتُهم   قضى اللهُ في الأشياءِ ماكان قاضِيا

وأخذت أصداء هذين البيتين تزرع الثقة في أعماق كعب بن زهير، وتدفعه إلى المسير متوجهاً لمقابلة النبي ﷺ، غير مُبالٍ ولا هَيَّاب من تهديدات الوُشَاة، التي كانت تضع أمامه حواجز يخوفونه بها، ويُروِّعون قلبه وجوارحه بأن النبي قد أهدر دمه، فنهض، والتسليم بقضاء الله سبحانه يملأ جوانحه ولسان حاله ينشد(٨٣):

فقلتُ: خلُّوا سبيلي لا أبا لكُمُ   فكُلُّ ماقَدَّر الرحمنُ مفعولُ

وقد وعى الدكتور السيد إبراهيم محمد، مضمون هذا البيت وعياً فريداً، فوضعه في مكانه الصحيح من شعر كعب، فاعتبره هو المدخل إلى فهم لاميته "بانت سعاد" التي أنشدها على شرف المصطفى ﷺ، بل "ربما كان المدخل إلى فهم شعر كعب كله"، مقررا أن "إيمان كعب بفكرة القدر وثقته بأن الله

---

(٨٢) الإصابة، الفكر: ٢/ ١٩٠.

(٨٣) ديوان كعب، قصيدة بانت سعاد، وإسلام كعب: ٨١.

لايخذله تشيع في جميع شعره، على صور مختلفة، منها ماهو مباشر (كقوله الذي أشرت إليه)، وكقوله[٨٤]:

أعلمُ أنـي متـى مـايأتني قَـدَري ... فليـس يَحْـبِسُـنِي شُحٌ ولاشَـفَقُ

وكقوله[٨٥]:

لو كنتُ أعـجب من شيءٍ لأعجـبني ... سَـعْيُ الفتى وهو مَـخْبُوءٌ لهُ القَـدَرُ

ومنها ـ كذلك ـ ما هو غـير مباشر، لكن يظهر في سـياق تجربة من تجارب الحياة التي تكتنفها الأخطار من كل ناحية.... »[٨٦].

واستدلالاً علـى ماذهب إليه عرض الدكتـور السيد إبراهيم، بمهـارة فائقة، لوحة كعب التي وصف بها رحلته، في لاميته التي ألمنا بعناصر منها، في أكثر من موضع، وهي اللوحة التي ذكر فيها الشـاعر قطعه للصحراء، على راحلته، بمصاحبةِ الذئبِ والغرابِ، اللذيْن ظلا يُماشيانه، طمعاً في زاده ؛ دون جدوى، حتى اضطره الإعياء، الذي لحق به بسـبب طول السفر إلى إناخة الراحلة، دون أن يعرف ماقد ينطوي عليه الزمان والمكان من سبع أو حيات وغيرها، ودون أن يدري أيضاً هل يحرس ناقـته خوفاً عليهـا من الحوادث أم يتركها وينام مـتوكلاً على الله سبـحانه الذي لا تأخـذه سنة ولا نوم وواجب الحذر يفـرض عليه أن يكون متـيقظاً، غيـر أنه يُوقن جيداً أن مـاقدّره الله فلابد من نفـاذه، مما جعله يُسلّم أمـره للخالق الذي يُحـيي ويُميتُ ويحـفظُ عبـاده المُتوكّلين عليـه من كل

---

(٨٤) ديوانه، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

(٨٥) نفسه، قراقو: ١٣٣، والقاهرة: ٢٢٩، والأحول: ٧٧.

(٨٦) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي، ص: ٤١, ٤٢.

سوء، منشداً أبياته التي يقول فيها[٨٧]:

أنختُ قلوصي واكتلأتُ بعينها ... وآمَرْتُ نفسي أيَّ أمْرَيَّ أفعلُ
أأكلؤُها خوفَ الحوادثِ إنها ... تَرِيبُ على الإنسان أم أتوكّلُ
فأقسمتُ بالرحمن لاشيء غيره ... يمينَ امرِئٍ بَرٍ، ولا أتحلّلُ
لأستشعرنْ أعلى دَريسَيَّ مُسْلِمًا ... لوجه الذي يُحيي الأنامَ ويقتلُ
هو الحافظُ الوسنانَ بالليل ميّتًا ... على أنه حيٌّ من النوم مُثْقَلُ
من الأسود الساري، وإن كان ثائراً ... على حدّ نابيهِ السَّمامُ المُثَمَّلُ

ثم انتقل الباحث إلى استقصاء الأشياء غير المباشرة - التي يظهر فيها إيمان كعب وثقته بما ينجيه من الأخطار، وامتلأتْ نفسه ووجدانه بهذا المعنى - واضعاً يديه على تلك الصورة التي رسمها كعب بإتقان لما عرضتُ له في الفصل السابق، من أمر القطاة التي انقض عليها البازي المتوحش، ودنت القطاةُ من الموت، ولكنها لم تستسلم لليأس، معلقاً على هذا الموقف البطولي، بقوله[٨٨]، ويعجب كعبٌ بأخلاق هذه القطاة التي تشبه أخلاقه هو، فقد طابتْ نفسُها بأن شيئا سوف ينجيها، ووثقتْ بذلك وإن هبط عليها البازي كالقدر، ولذلك كانت هذه القطاة تستحق التحية في نظر كعب:

غَدَا على قَدَرٍ يهوي فَفَاجَأَهَا ... فانقضَّ وَهْوَ بِوَشْكِ الصيد قد وَثِقَا
لا شيء أجودُ منها وَهْيَ طيبةٌ ... نفساً بما سَوفَ يُنجيها وإنْ لَحِقَا [٨٩]

ثم يلفتُ أنظار الباحث مالاحظه من أنه في جميع شعر كعب - الذي يصف حمار الوحش والصائد الذي يكمن له القدر - نجد أن الحمار ينجو مما يدبر له

(٨٧) ديوان كعب، قراقو: ٣٤,٣٥، والقاهرة: ٥٥-٥٧، والأحول: ٤٠,٤١.
(٨٨) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ٤٢-٤٦ ومابعدها.
(٨٩) ديوان كعب، قراقو: ١٣٩، والقاهرة: ٢٣٨، والأحول: ٦٨.

الصائدُ الذي يخطئ الرمي على ما له من مهارة، فمن ذلك قصيدته التي مطلعها:

أمن دمنة الدار أقوت سنينا[٩٠]

وقصيدته التي مطلعها:

وهاجرة لا تستَريد ظباؤها[٩١]

من أجل ذلك كله ذهب إلى القول بأن "إيمان كعب بالقوة العليا التي تناصر الإنسان وتنجيه من مغبة الأقدار، كان قوياً وعميقاً . . "[٩٢]، منتقلاً بهذه القضية خطوة أخرى، تدلف به إلى تفكير كعب الشعري، مستنبطاً أن فكرة القدر قد ظهرت في تفكيره الشعري على أنحاء أكثر استخفاء، وإن كان ذلك لا يظهر في التعبير، إلا أن له وجوداً في تفكير كعب وفي عقله، ويمكن استنباط ذلك من بعض العناصر الشعرية التي تظهر في قصيدة "بانت سعاد" كالقراد، فإن القراد يرتبط، بوجه من الوجوه بفكرة القدر، قال كعب، في سياق كلامه عن الناقة[٩٣]:

وجلدها من أُطُومٍ مايؤيّسُه ... طَلْحٌ بضاحية المَتْنَيْنِ مهزولُ

ثم قال[٩٤]:

يمشي القُرَاد عليها ثُم يزلِقُه ... منها لَبَانٌ وأقراب زَهَالِيل

(٩٠) نفسه، قراقو: ٥٦، والقاهرة: ٩٩، والأحول: ٧٣.

(٩١) نفسه، قراقو: ٧٦، والقاهرة: ١٣٦، والأحول: ٥١.

(٩٢) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ٤٦-٥٠.

(٩٣) ملحق الشعر، ص: ٥٢٩. والأطوم: كالثوب من الديباج الناعم. ويؤيسه: يثبت عليه. والطلح: القراد.

(٩٤) يزلقه: يبعده ويزيله. واللبان: الصدر. والأقراب: الخواصر. والزهاليل: الملس.

ويمكن الربط بين فكرة القدر وبين القـراد، إذا نحن تلمسنا استنبـاط المعاني بطريقة غير مـباشرة، ذلك أن كعباً ربط في بعض شـعره، بين الرامي والقراد، بأن شبهه به، فقال، في سياق كلامه عن الحُمُر الوحشية(٩٥):

فـــــصـــــادفْـنَ ذا حَنَـقٍ لاصِقٍ	لُصُــــوقَ البُـــــرام يظـنُّ الظنـونا
قـصـيـرَ الـبنان ، دقـيقَ الـشَّوَى	يقـــــول : أيأتين أم لا يَـجـــينا
يَؤُمّ الغـيــابةَ مُـسْـتَـبْـشـراً	يصـيـبَ المقـاتلَ حَـتْـفًا رصـينا

وقد وصفه كذلك باللصوق، وهو الصفة التي تجمع بينه وبين القُراد(٩٦)، أما العلاقة بين الرامي، فقد قلنا (والحديث للدكتور السيد إبراهيم)(٩٧): إن الرامي في شعر كعب شبيه القدر من جهـة أنه موصوف بالقدرة على الصيد، وإصابته للمقاتل حتفاً رصينا، فلايكاد يخطئ. هنالك إذا علاقة يمكن أن نتبينها بين هذه العناصر الـثلاثة القراد والرامي والقـدر، فجـميعـها عناصر تشـترك في مـعانٍ واحدة، فهي مترصدة دائمـاً، وهي أشياء لا يكاد ينجو منها من وقعت به، ثم إنها إذا وقـعت في شيء، أو على شيء، ظلت ملازمـة له، لاصقـة به، وقد جاء وصف القدر بهـذه الصفة، أعني صفة الملازمـة واللصوق التي وصف بها

(٩٥) ديوان كعب، قراقو: ٥٨, ٥٩، والقاهرة: ١٠٦-١٠٩، والأحول: ٧٦.

(٩٦) انظر قوله (الديوان، قراقو: ١٠١، ١٠٢، والقاهرة: ١٨٢-١٨٤، والأحول: ٣٤, ٣٥):

ويخــــافـــــان عـــامِـــرَ الْخُـــضـــ	ـــر وكـــان الـذِّئابُ منه مَـــصِـــيـــرا
رامـــيــــاً أخـــشـنَ المناكب لايُـشْـــ	ـخِـصُ ، قـــد هرّه الـهـــوادي هَـرِيرا
لاصـــقـــاً يـكلأ الشـــريعــــة لايُغْـــ	ـفـي فُـوَاقًـــا مُـــدَمِّـــرًا تدمـــيــــرا

وعامر الخضر: قانص مشهـور بالصيد. والذناب: موضع. والمصير: المكان الذي يأوى إليه. ويشخص: يرتفع سهمـه عن الهدف. وهره: كرهه. والهوادي: أوائل الوحش. واللاصق: المتضابئ. ويكلأ الشريعـة: يراعيها ويترقبها. الشريعـة: الماء. يغفي: ينام. والفُواق: مابين الحلبتين. ومدمر تدميرا: مهلك الوحش.

(٩٧) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ٥٣, ٥٦.

كعب الرامي والقراد، في أبيات له ويشكو فيها حظه، وترصده له ولصوقه به قائلاً[98]:

لعمْرُكَ، لولا رحمةُ الله، إنني لأمطو بجدٍّ، مايريد ليَرْفَعَا
فلو كنتُ حُوتاً ركّضَ الماءُ فوقه ولو كُنتُ يَربُوعاً سَرى ثم قَصَّعا
إذا ما نتجْنا أربعاً عام كُفْأة بغاها خناسيرُ فأهلك أربعا
إذا قُلت: إني في بلادِ مَضِلَّة أبىَ أنَّ مُمْسانا ومُصْبَحَنَا معا

ويسترسل الباحث بعد ذلك قائلاً: وإذا كان كعب قد صوَّر القدر، على هذا النحو من التصوير، فجعله متتبعاً له ملازماً إياه، لايكاد يفارقه، فإنه لا ينسى، أبداً، أن يذكر، مع هذه الفكرة، شيئا آخر يكون كالوقاية من هذا القدر المطبق، وأن يفتح في سياق ذكره له باباً إلى النجاة يكون سبيله إليه رحمة الله تعالى، وهذا يدل على اكتمال فلسفته التي تكاد تتمثل في كل شيء في شعره، فالجملة التي اعترض بها كعب في قوله:

لعمْرُكَ، لولا رحمةُ الله إنني لأمطو بجَدٍّ، مايريد ليَرفَعَا

– ليست حشوا، وليست تعبيراً يمكن استبدال غيره به دون أن تختل فلسفةُ الشاعر، ونظرتُه إلى مسألة القدر.

---

(٩٨) ديوان كعب، قراقو: ١٣١، ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٧. وأمطو: آخذ وأمد. والجد: الحظ. وركض: اضطرب. واليربوع: حيوان قاضم، يشبه الفأر، قصير اليدين طويل الرجلين. وقصع: دخل القاصعاء وهي أحد حجرة اليربوع. والكفأة: نتاج عام واحد. وبغاها: قصدها. والخناسير: الدواهي.

وتطبيقاً لهذه القاعـدة لفت الباحث أنظارنا إلى مافي وصف كعب لناقته من مؤهلات تجابه الأخطار، فهي تدفع عن نفـسها القراد، بملاسة جلدها، الذي يحاول القراد أن يجعل منه هدفاً، يتربص به، دون جدوى، إذ لايكاد يثبـت عليه، فقـد أعيت عليـه مذارع الناقـة، فكأنه يتحـرك فوق صـخرة ملساء[٩٩]. مختتماً هذا الحديث البَنَّاء بقوله: " يمكن النظر إلى فكرة الناقة التي تدفع القراد عن نفسـها، على أنها صورة أخرى من صور التـعبير عن فكرة بعينها، تتردد كثيراً في تفكير كعب الشعري، هي فكرة القدر المطبق، الذي يترصد للإنسان، وغيـره من الكائنات، ولكنه لايقابل بالاستسلام له، أو الانصيـاع واليأس من الإفـلات منه، بل بالثقـة في مدافـعتـه والخلاص منه.... "[١٠٠].

وواضح مما أسلفته أن الشعراء المزنيين لـم يكونوا بمعزل عن الحياة الدينية لعـصرهم إذ نهلوا من مـعين القرآن والـسنة ماأضـفى على أشعـارهم هذه المسحة الدينية الملموسة.

---

(٩٩) انظر اللامية والديوان، قراقو : ١٢٦, ١٢٧، والقاهرة: ٢١٩، والأحول: ٤٥.

(١٠٠) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ٥٦ - ٥٨.

تاسعاً: مشاركتهم في مسيرة الفتوحات :

شارك الشعر العربي في مسيرة الفتوحات مشاركة أَجْلَتْ بوضوح سُمُوّ الدوافع العقائدية الخلاقة، ونُبل الأهداف التي عايشها المجاهدون المسلمون، في التبشير بمبادئ الإسلام، وهداية الأمم المفتوحة لأنواره. وقد رأينا كيف أعد المزنيون لأعداء الله، في شتى الميادين، ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل، منضمين تحت قيادة الرسول ﷺ وصحبه رضي الله عنهم، في سائر الغزوات، والسرايا والفتوحات، وأشرنا إلى مشاركة بجير بن زهير في الفتح الأعظم لمكة المكرمة (٨هـ)، مجاهدا وشاعراً، فوصف بفائية له جانباً من جوانب الجيوش الجرارة التي شاركت في هذا الفتح، وما أفاء الله على رسوله، وعلى المؤمنين، من نصر مبين به، منوها بما تلا هذا الفتح من مبايعة المؤمنين لله، ورسوله، على السمع والطاعة، إيذاناً بدخول الناس، من شتى أنحاء الجزيرة، وما حولها في دين الله أفواجا، متوجهاً بحديثه إلى مشركي مكة قائلاً[١٠١]:

ضربناكم بمكة يوم فتح النبيِّ الخَيْرِ بالبِيض الخِفَافِ

صَبَحْنَاكم بألفٍ من سُلَيْمٍ ... وألفٍ من بني عُثمان وافِ
حَدَوْا أكتافَهُم ضرباً وطعناً ... ورمياً بالمرِيّشة اللطَافِ
رميناهم بشُبَّانٍ وشِيبٍ ... تُكفْكِفُ كُلَّ ممتنعِ العطافِ
ترى بين الصفوف لهن رَشْقًا ... كما انصاعَ الفُواقُ من الرِّصَافِ
ترى الجُرْدَ الجيادَ تلوحُ فيهمْ ... بأرماحٍ مُقَوّمةِ الثِّقافِ
ورُحنا غانمينَ بما أردنا ... وراحُوا نادمين على الخلافِ

(١٠١) ملحق الشعر. ص: ٥٠٩ - ٥١١.

وأعطينا رسول الله منا | مواثيقاً على حُسْنِ التصافي
فجزْنا بطنَ مكة وامتَنَعْنَا | بتقوى اللهِ في البِيض الخِفافِ
وقد سمعُوا مقالتنا فهمُّوا | غداةَ الروع منا بانصرافِ
وحلَّ عمودُنا حَجَراتِ نجدٍ | فإلية فالقَدُوسِ إلى شرافِ

وفي وقعة حنين (٨هـ) شارك هذا الشاعر، فيمن شارك من قومه، في حروب من تجمّع من مشركي ثقيف وهوازن، وهي مشاركة أتاحت له تصوير جانبين من جوانبها، أولهما: إقبال المشركين واصطدامهم بقوى الحق واليقين، وهو إقبال وصفه بقوله(١٠٢) مبينا ماتم في المراحل الأولى من المعركة:

كانتْ علالة يومَ بطنِ حُنَيْنكم | وغداةَ أوطاس ، ويوم الأبرقِ
جَمَعَت بإغواءٍ هوازنُ جمعَها | فتبدّدوا كالطائرِ المتمزقِ
لم يمنعوا منا مقاما واحداً | إلا جدارهُمُ وبطنَ الخَنْدقِ
ولقد تعرضْنا لكيما يخرجُوا | فتحصنّوا منا بباب مُغلَق
ترتدّ حسرانا إلى رجراجةٍ | شهباءَ تلمعُ بالمنايا فَيْلَقِ

حتى إذا أعجبت المسلمينَ كثرتُهم، واستخفَّ الرعبُ بأكثرهم، وضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ، لولا ماتغمدهم اللهُ برحمته، وواسع فضله، هب الشاعرُ يسجل الجانبَ الثاني من هذه المعركة وهو وصف هذه الساعات الحرجة في حياة المسلمين، مستنفرا هِمَمَ المجاهدين وعزائمهم بقوله(١٠٣):

---

(١٠٢) ملحق الشعر، ٥١٢، وانظر أيضاً: المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥٧.
(١٠٣) ملحق الشعر، ص: ٥١٥.

لولا الإلهُ وعبدُه وليُّتُمُ حين استخفَّ الرعبُ كُلَّ جبانِ
بالجِزْعِ يومَ حبا لنا أقرانُنا وسوابحٌ يكبُون للأذقانِ
من بين ساعٍ ثوبه في كفّه ومُقَطَّرٍ بسنابك ولبانِ
إذ قام عمُّ نَبيِّكُم ووليُّهُ يدعون : يالكَتيبَةِ الإيمانِ!!
أين الذين هُمُو أجابُوا ربّهمْ يوم العُرَيض ، وبيعة الرضوان

وفي فتوحات بلاد فارس، وماصاقبها، قاد نُعيم بن مقرن المزنيُّ، كما مر بنا، بعض المجاهدين في قتالهم للأعاجم بواج الروذ (٢٢هـ)، فأظفره الله، هو ومن معه من المسلمين على أعدائهم، فأنشد يصف خطوات زحفه، والتقاءه بقائد العجم في تلك الوقعة، وانتصارهم على فلول المشركين قائلاً(١٠٤):

ولما أتاني أن (مُوتا) ورهطه بني باسل جَرُّوا جُنودَ الأعاجِمِ
نهضتُ إليهم بالجنودِ مساميا لأمنعَ منهم ذمتي بالقواصمِ
فجئنا إليهم بالحديد كأننا جبالٌ تراءى من فروع القلاسمِ
فلما لقيناهم بها مُستقيمة وقد جعلوا يَسْمَون فعل المساهمِ
صدمناهُمُ في (واج روذٍ) بجمعنا غداةَ رميْناهم بإحدى العظائِمِ
فما صبروا في حومة الموت ساعة لِحدّ الرماح والسيوفِ الصوارمِ
أصَبْنا بها (مُوتا) ومن لفَّ جَمْعَهُ وفيها نهابٌ قسْمُه غير عاتِمِ
تبْعنَاهُمُ حتى أوَوْا في شِعابِهم نُقَتِّلُهُمْ قتل الكلابِ الجواحِمِ

ومجملُ القول، في هذا الفصل، أنه قد اتضح لي عبر الصفحات السابقة أن ثمة نتائج قد تحتاج إلى تأكيد وتعميق، وتفصيل، في دراسات لاحقة، إماطة

---

(١٠٤) تاريخ الطبري: ٤/١٤٩، والبداية والنهاية: ٧/١٢١، ومعجم البلدان (واج / روذ)، وانظر كافية أخيه النعمان في وصفه لوقعة (اربك)، سنة (١٧هـ) بمعجم البلدان، ١/١٣٧.

للثام عن التـزام المزنيين وغيرهم من مسلمي عـصرهم مبادئ الإسـلام، التزاماً واعيـاً في شعرهم، إذ رأيناهم، بعـد أن شرح الله صدورهم لنعـمته، يهـبون لطمس معالم الجـاهلية وتثبيت مـعالم العقيدة الإسـلامية الصحـيحة، في الله سبحانه، والـكون، وفي الدعوة للدين الحنيف، والتمثل بقيمـه الرشيدة، وفي تخصيب المجتمع الإسلامي، بروافـد المثل الأعلى والقدوة الحسنة، التي تُستهل بشخصيـة الرسول الأعظم ﷺ وتمتد إلى خيرة صحبـه من المهاجرين والأنصار وآل البيت، وغيرهم من الشخصيات الرائدة في ذلك العصر، مع التبشير بمبادئ الإسلام في تربيـته وإعـداده للفرد، والمجتـمع، والمشاركـة الفعالـة في معظم الأحزاب السياسـية والدينية، ومواكبة ركب التطور الحضاري لعـصرهم، إضافة إلى ترسيخ مبادئ الإسلام في الموت والبعث والحساب والجزاء والقضاء والقدر، وتسجيل بعض ملامح الفتوحات الإسلامية المجيدة.

ولعلنا بهذه النتائـج الحيوية نصحح فكرة سائدة من قـبل بعض الباحثين بأن الشعر العربي في مـجمله، لم يتأثر بالإسلام(١٠٥)، وأن شعر كعب بن زهير، ولاسيما في لاميته "بانت سعاد"، تغلب عليه الروح الجاهلية(١٠٦).

* * *

---

(١٠٥) ينظر مثلاً: الأسس الجمـالية في النقـد العربي: ١٨٧، والثابت والمتـحول: ١/ ١٠٠، ١٠١، وغيرهما.

(١٠٦) ينظر بالتفصيل: المدائح النبوية: ٢٠-٢٥، وتاريخ الشعر السياسي: ٧٣, ٧٤، والأدب العـربي في الجاهليـة والإسـلام: ٨٦، ودراسات في تاريخ الأدب العـربي، ص: ١٦، والعصر الإسلامي: ٨٨، وشعر العقيدة في عصر صدر الإسلام: ٦٧، وغيرها.

الفصل الثالث

التأمّل الذّاتي في الشّعر المزني

التأمل الذاتي في الشعر المزني

بتناولي جانباً من جوانب مشاركة الشعر المزني في وصف ظواهر الطبيعة، ومعايشة قضايا المجتمع الإسلامي، لعصرهم، أكون قد وقفتُ على جانب حيوي من أغراض العمل الشعري عند المزنيين. ويبقى جانب حيوي آخر، يكمل هذين الجانبين، وربما يسبقهما إلى الوجود، لكونه ألصق بأرواح منشديه، وهو الجانب الذي أفرده لتأملهم الذاتي.

وإلماماً بأطراف هذا الجانب سوف يتطرق حديثي إلى الوقوف عند مصطلح التأمل الذاتي في تراث المزنيين الشعري، من خلال عدة زوايا في مقدمتها: النسيب، والظعن، والأطلال، والشيب.. وغيرها.

أولاً: ماهية التأمل الذاتي في الشعر:

يُقصد بشعر التأمل الذاتي ذلك الشعر الذي "يعكف فيه الشاعر على نفسه يحللها"(١)، متأملا، في تعمق وحرارة وصدق، مصوراً كل مايختلج به من انفعالات، وعواطف، وأحاسيس، وآراء، وأهواء.. ولا يصل إلى غايته بذلك التصوير إلا "باكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية، وبروزها بوضوح، وتعبير متميز من خلال الآثار التي يبدعها، ولا يتحقق هذا الأمر إلا بالغوص على الأعماق، واستكشاف ما فيها من كنوز عبقرية، وعرضها فنياً "(٢)، دون الاقتصار على التأمل الذاتي لنفس هذا الشاعر وعواطفه وتجاربه الخاصة

---

(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص: ١٨٤.

(٢) المعجم الأدبي: ١١٦.

وحدها، وإن كان ذلك من أهم مظاهر الذاتية - بل أن يكون له كيانه المستقل ونظرته المتميزة، للحياة والناس، ووجدانه اليقظ الذي يرصد به المجتمع والطبيعة والنفس الإنسانية[3]، فالشاعر الذاتي ـ كما يقول المرحوم الأستاذ أحمد أمين[4] ـ يلمس كل جوانب الحياة تقريباً، ابتداء من تلك النواحي الذاتية الضيقة، إلى النواحي الإنسانية، بكل شمولها واتساعها.

والذاتية، أول ما تعني، إذ تُطْلَق، ذات الشاعر الذي يعرب عنها شعرا نراه وراء حروفه، ونحس بما عانى به هو، وبما يعتمل فيه من عاطفة، ويراوده من خيال، ويضطرب من فكر، إنه لا يني يقول: أنا، أنا أحببتُ، كرهتُ، فرحتُ، حزنتُ، رأيتُ، لا أرى... فالقصيدةُ هي الشاعر وحده، فيما لقي، وكأن هَمَّ الشاعر كل ما في الدنيا، وكأن لم يكن عالمٌ، خارج دنياه الخاصة في حالته الخاصة، وتتسع هذه الذاتية عندما تندمج في المجموع الذي يعيش فيه الشاعر، عندما تكون تجربته جزءًا من تجربة كبيرة، فيرى نفسه في قومه الأدنَيْنَ، أو الإنسانية كلها، ويرى قومه القريبين، أو البشر كلهم في نفسه[5]، لأن التجربة الذاتية، ـ كما يقرر الدكتور غنيمي هلال[6] ـ ليس معناها أنها مقصورة على حدود المعبّر عنها، بل هي إنسانية بطبيعتها، إذ إن جهد الشاعر منصرف إلى التعبير عن مشاعره، بعد أن يتمثلها، وهو لا يحاول نقلها على حالتها الطبيعية، وإلا ندت عن حدود الأدب والشعر، وهو يراها بفكره ويتأملها ويحولها إلى مادة تعبيرية عن جهاد وعمل ومثابرة، لا عن مجرد

---

(٣) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: ٢٧.

(٤) النقد الأدبي، ص: ٧٠.

(٥) مقدمة في النقد الأدبي: ٦٢.

(٦) المدخل إلى النقد الأدبي الحديث: ٤٤٠.

استسلام للخيال والأحلام، ولهذا يرى (كروتشـيه) أن التعبير الذاتي في الشعر الغنائي موضوعي بطبيعته، لأن الشاعر يجعل ذاته موضوعية، وكأنه يتأملها في مرآة، فتعبـيره ذاتي في نشأته الشعرية، وهو بذلك محدد وغيـر محدد معاً، إذ إنه إنساني عالمي في نزعته، على أن الشعر لا يفقد، بعد، مقومات الشخصية، إذ الشاعر فرد في بيئة وموقف معينين.

ولذلك كـان من البديهـي أن نلاحظ، ونحن نطالع صـورة ذاتية مـصرفـة بالكلمات، يجـري فيهـا الاحتفـاظ بالخلجة النفسـية الأساسـية، بالحمـاسة، والنزوة، والفكرة، إنها لا تتجمد بتـيبُّس، بل تنتقل من إنسان إلى آخر، تكون المعاناة الشعرية بحكم أصلهـا، دائماً، قيمة شخصيــة، أو فردية خاصة، وعلى هذا الأساس فـهي ذاتية، ولكن بـحكم وجودها الواقـعي في العمل الشـعري مموضعة (مجسدة موضوعيا)، بما يتناسب وقانون إعادة الخلق الفنية(٧)، وتدعونا هذه الملاحـظة أن ندرك مع (ف.ل. سكـفـورنـيكوف)(٨) أن "الأنا" في هذه القصيدة لا تكون "أنا" الشاعر الذي نظم هذه القـصيدة، وإنما إلحاق تصرفات "الأنا" ومفاهيمها وأحاسيسها الذي يظهر فيها بالشاعر نفسه، يجب أن يتم بعد تبصر وإعمال نظر دقيقين.

وإدراكنا لهذه الحقائق يأخذنا إلى الاعتقاد بأن الشاعر الذاتي يصدر عن ذات تعي وتفســر، وتخلق، وهذه الأعمال توجهـه إلى أن يراقب بوجدانه مجتـمعاً مشدوداً بين أطراف القـديم ومشارف الجديد، وهو، لهذا، مجتـمع مملوء بكثير من المتناقضات، إلى حد يجاوز التناقض الطبيعي في مـجتمع مستقر، والشاعر

---

(٧) نظرية الأدب، بغداد: ٤٠٧ - ٤١٤.

(٨) المرجع نفسه: ٤١٥.

إلى جانب ذلك يشعر شعوراً عـاماً بما تنطوي عليه، نفسه هو، من تناقض بين الرغبـة والمثل الأعلى، والإرادة والقدرة، أو الانجذاب نحـو الماضي، والاندفاع نحو المستقبل. . .[٩].

ولما كانت النفـوس بفطرتها، مختلفـة، كما شاء الله لهـا أن تكون، كانت لكل شاعر سماتـه الخاصة التي تميز شعره من أشعار غـيره وتفرده عمن سواه، وكان، بالتالي، لكل شعر خصائصه الفنيـة والموضوعية المتفردة التي تجيء أشبه بمعادل موضوعي ـ إن صح هذا المصطلح ـ لسمات شخصية مُنشدِهِ، وثمرة من ثمرات أحاسـيسه، واتجاهاته، وميوله ومـشاعره، وانفعالاته، وعلامـة واضحة على أصالته، لأن الأثر الفني ـ كما يقرر الدكتور العشماوي[١٠] ـ أياً كان نوعه ليس نتيجة تثبتها التجـربة إنما هو نتيجة ما في الفنان من تباين وفردية واضحين في الإنتاج الفني، وهذه الفردية أو الذاتية، التي تميز الفن من العلم هي العنصر الأساسي الذي يجـعل الفن عند خلقه يتسم بصـفة الأصالة التي هي مجـموع الخصائـص الفردية المميزة للأشـخاص، وهذه الأصالة عامل قـوي من العوامل التي تجـعل للأثر الفني طـرافتـه، وجـدته، وهي التي تطبـع الأدب بطابع "الذات"، وهي التي تجعل من كل أثر فني صورة متمـيزة، تحمل روح كاتبها، أو منشدها، ومزاجـه، ولفتات ذهنه، وقدراته على التعـبير، والخلق والإبداع، ومدى ما يتصف به من صفات فنية مختلفة.

ومما سبق يتضح لنا أننا نُدخـل في مجال فهمنا لشعـر التأمل الذاتي حديث الشاعر عن مجتمعه، ومـا يحيط به من مظاهر الكون الرحيب، ما دام يتحدث عن رؤيته الخاصة به، من خلال انعكاسـاته وخلجات روحه، وهمس عواطفه،

---

(٩) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص: ١٥.

(١٠) الخلق الأدبي ومناهج النقد، بحث بمجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨م.

وتدفق مشاعره وأحاسيسه ونزعاته وميوله.

غير أننا لا نفعل ذلك دون أن نضع لأنفسنا قيوداً، تقينا الانزلاق في مخاطر التعميم المخل بالإدراك الدقيق لحقائق الأمور، إذ نرى أنه ينبغي على الشاعر الذاتي حين يمدح مثلاً، أن يكون ذاتياً، بحديثه عن مشاعره التي تضطرم بداخله، إزاء ممدوحه، دون أن يكون مدحه له وصفاً، مجرداً، بعيداً عن إحساساته، ومشاعره، وميوله، وأهوائه... كما يتحتم عليه - حين يتغزل ويشبب - أن يبرز مشاعره الفياضة وأحاسيسه الفوارة المتدفقة، تجاه محبوبته، غير مكتفٍ بوصفها الوصف المجرد الجامد البعيد عن الأحاسيس والانفعالات الموارة في أعماقه، والمنسربة من أغوار ذاته .. وهكذا في فخره، ورثائه، وهجائه.. وغير ذلك من الفنون الشعرية التي يتطرق بحديثه إليها.

أما إذا تناول الشاعر الذاتي، في موضوعات شعره التي يخصص القول فيها، أيا كانت، تناولاً مجرداً عن أحاسيسه وخلجاته ومشاعره وهواجسه فإنه يجد نفسه، سواء شعر أم لم يشعر، مقترباً شيئاً فشيئاً من شطوط "الغيرية"، ومراسيها، لأنه ترك لشاعريته حرية الإبحار في عالم بعيد عن ذاته، بكل ما يتلاطم بها من أمواج، مشغولاً بغيرها، فكان من الأحرى أن يعده متذوقو شعره بعيداً عن الذاتية، إلا بالقدر الذي يلمسونه في تجاربه الشعرية من تدفق العاطفة، وتوهج الوجدان وانسياب الخواطر، بغض النظر عما قد يلمسونه عليها من عكوف الشاعر قليلاً على نفسه، أو استشرافه آفاقاً أسمى وأوسع، تنسرب به إلى الكون، والطبيعة والإنسانية بشكل عام....

ثانياً : الذاتية في شعرنا العربي القديم :

تجابه محاولة الوقوف على مظاهر التأمل الذاتي عند الشعراء المزنيين في الإسلام بالتضارب الملموس في نظرات الباحثين إلى مدى توافر هذا العنصر لدى الشعراء، ومحترفي سائر الفنون الأخرى من العرب وغيرهم من الشرقيين السابقين، والمعاصرين لهم، كل على السواء. . . إذ يذهب بعض المستشرقين، من أمثال كارل بيكر[1] وماريتان[2]، إلى أن الفنان الشرقي يميل إلى نسيان ذاته، والانغماس في معالم الكون، غير أن هذه المعالم في نظره، مجرد رموز تكمن وراءها حقائق خفية، ولذا لانراه يعمد قط إلى الأسلوب الواقعي في التعبير، وإنما أحياناً، كما في الفن الإسلامي، يلجأ إلى التجريد المطلق.

وقريباً من هذه النظرة الجائرة سلك كل من المرحومين أحمد أمين[3]، وعبدالمحسن بدر[4]، في حديثهما عن الشعر العربي جاهلية وإسلاماً، ذاهبين إلى أن الحياة العربية آنذاك، بطبيعتها، لم تكن لتساعد أحداً على التحرر من سيطرة الجماعة، فتلاشت الإرادة الفردية إلى حد كبير، واتجه الشعر، في مجموعه، إلى الحديث عن المسلمات الاجتماعية القائمة، والأحكام العامة.

والحق أن الصواب لم يحالف هذين الباحثين بسلوكهما هذا المسلك النقدي؛ لأن استقراء مابين أيدينا من الشعر العربي في جاهليته وإسلامه، تؤدي بنا إلى ملاحظة أن سلطان القبيلة على أفرادها لم يلغ ذاتية أي فرد منهم، وإن جعلها فردية جماعية، لافردية متوحشة لاتعرفها الحياة في مجتمع، فالقبيلة كما كانت

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ٢٨، ومن تاريخ الإلحاد في الإسلام: ١٥، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني للهجرة: ١٨٥.

(٢) دراسات في الفن: ١٠٨.

(٣) فجر الإسلام: ٥٩.

(٤) حول الأديب والواقع: ٤٥-٤٨.

تُلزِمُ الفردَ أن يندمج فيها كانت هي، من ناحية أخرى، تلتزم هذا الفرد، وتهبّ لنجدته إذا مسه ضيم، وقد تدخل الحرب من أجل فرد منها ناله أذى(٥).

وقد أثمر هذا الاندماج، كما يبدو للمطالع للجمهرة من شعرنا القديم، عن تجاذب لكل من هاتين الشخصيتين وتقاطبهما، لأن كلاً منهما تؤازر الأخرى وتعضدها على نحو ما، لأن الاثنين: المبدأ القبلي وتوكيد الذات ينبعان من منطلق واحد، هو الشعور إزاء المكان، فالمبدأ القبلي أو القيم القبلية جاءت نتيجة رد فعل مكاني، والشعور الذي أبداه الإنسان تجاه بيئته ما هو إلا رد فعل ذاتي، بل هو قمة التعبير عن الذات، ولذا ظل الشاعر يحاول إظهاره، كلما عبر عن تفانيه في الخضوع للقيمة القبلية(٦).

وقد أصاب الدكتور علي جواد الطاهر(٧) بذهابه إلى أن الشعر العربي ذاتي فردي، تبرز فيه شخصية صاحبه بروزاً شديداً، يقابل السامع والقارئ بضمير المتكلم(٨) وفي حماسة ولهجة تغلب عليها الخطابة والوضوح، فيعرض على

---

(٥) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر: ١/ ٣٥، والشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري: ٣٩ - ٦٠.

(٦) الزمان والمكان وأثرهما في الشاعر الجاهلي وشعره: ١/ ١٨٢، ٢٤٦.

(٧) مقدمة في النقد الأدبي، ص: ٦٥.

(٨) في محاولة لمعرفة نسبة مجيء هذا الضمير، إفراداً وجمعاً، قمتُ باستقراء المعلقات السبع والأصمعيات والمفضليات والجمهرة وبعض أجزاء من الحماسة البصرية ومنتهى الطلب وأشعار اللصوص وأشعار قبائل ثقيف وطيء وعامر وقشير ومزينة وهمدان، ودواوين امرئ القيس وابن الأبرص والنابغة الذبياني وابن رواحة، إضافة إلى الشعراء الإسلاميين التسعة الذين جمع أشعارهم الدكتور نوري القيسي. فتبين لي أن ضمائر المفرد للمتكلم تتفوق على ضمائر الجمع بنسبة (٣ر٢: ١)، ويزيد هذا التفوق في أشعار المزنيين بنسبة (١ر٦: ١)، وهذه النتيجة تنقض ماذهب إليه كل من المرحوم أحمد أمين في كتاب (النقد الأدبي)، ص: ٧٠، والدكتور جابر عصفور في (الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي) ص: ٣٦٤-٣٦٥. من أن "نحن" أكثر من "أنا" في الشعر الجاهلي.. وماتلاه.

الناس عواطفه، عندما يحب ويكره، وعندما يحزن أو يفرح، ملونة بخياله الخاص المصاحب.

ومن هذا المنطلق سوف أنظرُ لما بين يدي من أشعار المزنيين في الإسلام، مؤمناً بأن هذا النظام الشامل الذي شرعه الله سبحانه قد اهتم بالفرد واعتنى عناية فائقة بتهذيب ضميره وخلقه وتوجيه سلوكه، وألغى الحواجز غير الطبيعية بين هذا الفرد وجماعته، واضعاً هذه "الفردية النبيلة في إطارها الصحيح من الاجتماعية" التي لايمكن تصور إنسانية صالحة من دونها، ولا تصور كيان اجتماعي بغير أفراد. متجهاً بهذه "الذاتية الجماعية" الأصيلة إلى نطاقها الرحيب في الأمة، وهو نطاق يحقق فيه الفرد ذاته، في الوقت الذي ترتبط استقامة أمر الجماعة باستقامة أفرادها وصلاح أمورهم.

ثالثاً : معالم الذاتية في الشعر المزني :

أفرد المزنيون جانباً من قريضهم لإبراز عناصر حيوية من تأملهم الذاتي، وهي العناصر التي نستطيع تلمسها في الغزل والنسيب، ورحلة الظعن، والأطلال ووصف الشيب، وغير ذلك مما يتضح في الصفحات التالية:

أ - الغزل والنسيب :

لم يتخلف المزنيون عن سابقيهم ومعاصريهم من الشعراء في تصوير ماينتابهم من أحاسيس ومشاعر حارة تجاه المرأة، ووصف مايعتريهم من آلامٍ وتباريحَ ولواعجَ، متأثرينَ بفراق محبوباتهم أو صدودهن، وتقلب أحوالهن.

فكعب بن زهير يستهل لاميته الشهيرة بالحديث عن البين الذي تم من محبوبته: "سعاد"، وماتركه هذا البين من آثار وخيمة على قلبه، الذي بات متيماً متبولاً متحرقاً بلوعة الحب، ومرارة الحرمان، مقيداً بقيوده، مخلصاً له:

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ   مُتَيَّمٌ إثرها لم يُجزَ مكبولُ[(١)]

ونلاحظ أن الشاعر، وإن حرص على الإيجاز الشديد، مع قوة الإيحاء، في تصوير أحواله النفسية السيئة بعد فراق محبوبته، وبينونتها له، فإنه قد أطلعنا على خلاصة ما يجيش بصدره، ويلتهب بوجدانه، ويغلي بين جوانحه من مشاعر الألم، والتحسر، والحزن على تنائي التي يصفها بقوله[(٢)]:

---

(١) ديوانه، قراقو: ٣-٤، والقاهرة: ٦-٨.

والمتبول: الذي أسقمه الحب، وكاد يذهب بعقله. والمتيم: الذي ذلله الحب. والمكبول: المقيد، والأسير.

(٢) المصدر نفسه. والهيفاء: المشوقة القوام. والعجزاء: عظيمة العجز وهو المؤخر.

وماسعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرف مكْحُولُ
هَيْفَاءُ مقبلةً عجزاءُ مُدْبرةً لا يُشتكَى قِصَرٌ منها ولاطُولُ
تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتَسَمَتْ كأنهُ مَنْهَلٌ بالرَّاحِ مَعْلُولُ
شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وَهْو مَشْمُولُ
تجلُو الرياحُ القذى عنه وأَفْرَطَهُ من صوب ساريةٍ بيضٌ يعاليلُ
من اللواتي إذا ماخُلَّةٌ صَدَقَتْ يشفي مُضاجِعَها شَمٌ وتقبيلُ
أكْرِمْ بها خُلَّةً ، لو أنها صَدَقَتْ مَوعُودَها أو لَوَ انّ النّصْحَ مقبولُ(٣)

فالمحبوبة، كما تبدو صورتها الجلية في هذه الأبيات، مرتحلة مع أهلها الظاعنين، وهي ذات صوت رخيم في آذان المستمع إليها، وغنة جميلة عذبة، وذات عينين آسرتين بجمالهما الأخاذ، وسحرهما الفتان، لكن من يتملى في النظر إليهما، وهي ممشوقة القوام، معتدلة الهيئة، مرتجة لفرط ثقل أردافها، حال كونها مقبلة، عظيمة العجز، حال كونها مدبرة، رشيقة مع امتلاء، إذا ابتسمت ظهرت أسنانها صافية اللون، لامعة البريق يجري فيها الماء، تبدو للمتأمل المأخوذ بجمالها، كأنها منتشية بخمرة، بعد أن شربت صاحبتها منها، حتى ارتوت، مؤكداً أن تلك الأسنان من الجمال والعذوبة والصفاء إلى درجة يخيل لرائيها أنها تغوص ـ من ريقها العذب ـ في سائل بارد صاف، نقي غزير، يزيد هبوب رياح الشمال من صفائه، ونقاء وجهه. مختتماً أبياته بقوله:

---

(٣) تجلو: تكشف وتظهر. العوارض: الأسنان مابين الثنية والضرس. والظلم: ماء الأسنان. المنهل: الذي ارتوى: الخمرة. المعلول: الذي سُقِيَ مرتين من العَلَل وهو الشرب ثانية أو تباعاً لشرب الأول. شجت: خلطت ومزجت. والشَّبَم: الماء البارد. والمحنية: ماانحنى وانعطف من الوادي. والأبطح: من البطحاء وهي مكان متسع منبسط يسيل فيه الماء فيخلف التراب والحصى الصغار. أفرطه: ملأه. والصوب: المطر. والسارية: السحابة تسري فتمطر ليلاً. واليعاليل: سيل المطر الذي يأتي مرة بعد مرة. والخلة: الخليلة.

إن هذه المحبوبة من اللواتي لو صحت صحبتها، يسعد خليلها بكل ما يرجوه منها، من شم لرائحتها الطيبة، وتقبيل لجسمها البضّ، وهي سعادة كريمة لا تدوم، لأن صاحبته لا تصدق الوعد، ولا تستجيب للنصح والإرشاد مستكملاً رسمه للجانب المعنوي من صفاتها، وهو الجانب الذي تظهر فيه بصورة كريهة معيبة قائلاً:

لكنها خُلّةٌ قد سيطَ من دمها ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلافٌ وتبديلُ
فما تدومُ على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغُولُ
ولا تَمَسَّكُ بالعهد الذي زَعَمَتْ ... إلا كما يُمسك الماءَ الغرابيلُ
فلا يغرنّك مامنّتْ وما وَعَدَتْ ... إن الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مَثَلا ... وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ(٤)

فالشاعر يستدرك، في هذه الأبيات، على تلك الصفات المحبوبة التي أَسَرَت لُبَّه وخَلَبتْ فُؤاده، مقررا أنها ـ مع ذلك ـ قد فُطِرَتْ على التلوُّن وخُلفِ الوعد، وهما صفتان خُلِطَتا بدمها، وامتزجَتَا بفطرتها وتكوينها، فلا تستطيع منهما تخلصاً أو فكاكاً، مهما حاولت أن تُمنِّيه وتعده بحسن وصالها، لأنها ستبقى دائماً مخادعة مضللة غير أنه يشعر على رغم هذه الصفات المعيبة التي يراها في محبوبته ـ بالانعطاف نحوها، وقوة الانجذاب نحو شباك حبها والتعلق بها، إذ لا يزال يُمنّي نفسه بوصالها، ويَعِدُ قلبَه بِرَيّ مودتها، في الوقت الذي يوقن فيه أن ذلك أمر مُستبعَدُ الحدوث، مما يدفعه إلى مغالبة يأسه، بشدّ الرحال إليها، متحملاً في رضا وثبات، من أجلها، كل ما يلاقيه من تعب ونصب وعناء ومشقة:

(٤) سيط: خلط. والفجع: المصيبة. والولع: الكذب. والإخلاف: عدم الوفاء بالوعد.

أرجُــو وآمـل أن تدنو مـــودتُــهـــا وما إخـال لـدينا مـنك تـنـويلُ
أمـسـتْ سـعـاد بأرض لايبلغُـهـا إلا العتـاقُ النجيبـاتُ المراسيلُ(٥)

وفي لامية أخرى يستهـلها بالوقوف على الأطلال، ينتـقل إلى رسم صورة فنية للمحبوبة التي يقف على منازلها، بعد أن فارقتها قائلاً(٦):

أرى أمَّ شَـدَّادٍ بـهـا شِـبْـهَ ظبـيـةٍ تُطيف بمكحـولِ المدامع خـاذلِ
أغنَ غـضيضِ الطرفِ رخصٍ ظلُوفُهُ تـرودُ بمُعـتَـمٍّ مـن الرمـل هائـلِ
وترنُو بعـيني نَـعْـجـةِ أُمِّ فَـرقَـدٍ تظلُّ بـوادي روضـةٍ وَخَـمـائلِ
وتخطـو على بَردِيَّـتَـيْنِ غـذاهمـا أهاضـيبُ رجَّـاف العَشِـيّاتِ هاطلِ
وَتفـتـرُّ عن غُـرِ الثنايا كـأنهـا أقـاحٍ تَرَوَّى من عُـرُوقٍ غَـلاغِلِ(٧)

وقارئ هذه الأبيـات يلاحظ أن عناصر جمال المحـبوبة فيهـا تكاد تلتقي مع عناصر لوحـته السابقـة التي رسمهـا لسعاد، فـالشاعر يطـالعنا، هنا، بتشبيـه محبوبـته بظبية كحيلٍ وادعـة، تسير آمنة مطمئنة خلف أمهـا، مقرراً أن صوت هذه المحبوبة به غنة مُحبَّبة إلى السمع، وعينها فاترة واسعة سـاحرة، وقوامها ممشوق لين، ناعم يعينها على الحركة الدؤوب، وأنها تتبسم عن أسنان بيضاوات

(٥) العتاق: النوق الكريمة. والمراسيل: الخفاف التي تعطي ماعندها عفواً.

(٦) ديوانه، قراقو: ٥٠، والقاهرة: ٨٩, ٩٠، والأحـول: ٦٩, ٧٠. والظبية: أنثى الظبي وهي الغـزالة. وتطيف: تتخـيل إليـه. والمدامع: مجـرى الدمع. والخـاذل: المتخلف عن أمـه، والأغن: الذي في صوته غنة لصـغره. وغضيض الـطرف: فاترة. والرخص: اللين الناعم. والظلوف: ظلف، وهو ظفر ضخم مـشقوق يكون لبعض الحيوانات كالبـقر والشاة والظباء. وترود: تذهب وتجيء. والمعتم: التام.

(٧) ترنو: تديم النظر. والروضة: البقعة يجتمع فيها الماء تنبت البقل. والخمائل: البقعة التي نجم شعرها ونباتها. والبرديتان: مثنى بردية، وهي النبات المعروف. والأهاضيب: جمع الهضبة وهي الدفعة من المطـر. والرجاف: صوت الرعد المصاحب لهطول المـطر والبرق. والهاطل: المطر اللين الوقع. وتفتر: تبتسم. والغر: البيض. والثنايا: أسنان مقدم الفم. والأقاح: نبات له زهرة صفراء تحيط بها أوراق من الزهر الأبيض.

جميلات، عذبة الرائحة، تبدو لمن يقتـرب منها، ويتأمل في حسنها كالأقحوان المعرق في الأرض، بـجذوره المتغلغلة الـتي تصل إلى المياه، وبفـروعه وزهوره الفيحاء البديعة الألوان، الطيبة الرائحة.

ولمعن بن أوس مـيمـية يسـتهلهـا، ككعب، بالوقـوف على الأطلال، التي هجرها أهلوهـا الغابرون، ملمحـاً، في إشارات موجـزة موحـية، إلى رحلة الظعن، وتجسيد آثار حبّ "نعم" وفراقها في قلبه، مقرراً أنها خلفت له وراءها الخيال والسقم الذي لا يعادله سقم، إذ إنها قد اصطادت عقله، وقتلته بسهامها الفتاكة، وذهبتْ به بما تملك من جمال فائق وحسن بديع[(٨)]:

وفي الحيَّ (نُعْمٌ) قُـرَّةُ العين والهـوى ... وأحـسـنُ من يمشي على قَـدَمٍ نُعْمُ

وكـانت لهـذا الـقلب نُعْمٌ زَمَـانة ... خبـالا وسُـقـمـاً لا يعـادله سُـقْمُ

مُنَعّـــمـــةٌ لم تغـــدُ في رِسْـلِ ثَلَّةٍ ... ولم تتـجـاوَبْ حول كِلَّـتِهَـا البَـهْمُ

سَـبَـتْنـي بعـينَيْ جُـؤذَرٍ بخـمـيلة ... وجـيـدٍ كـجـيـد الرئم زيَّـنَهُ النَّظْمُ

ووَحْفٍ تَثَنَّـى في العِـقَـاص كـأنَّهُ ... عليـهـا إذا دَنَّتْ غـدائرَها كَـرْمُ

وأقنى كـحد السَّـيفِ يشـربُ قبلهـا ... وأشنَـبَ رفَّـــاف الثـنايـا له ظَـلْمُ

لهـا كـفلٌ رابٍ وسـاقٌ عـمـيـمـةٌ ... وكَـعْبٌ عـلاه اللحْمُ ليس له حَـجْمُ

تَصـيّـدُ ألبـابَ الـرجـالِ بأُنسـهـا ... ويقـتـلُـهم منهـا التـدللُ والـنَّغْمُ

لبـاخـيّـةٌ، عـجـزاءُ جُمٌ عظامُـهـا ... نَمَتْ في نعـيمٍ، وانمهلَّ بها الجِـسْمُ

توالدهـا بيضٌ حـرائر كـالـدُّمى ... نواعمُ لابـيضٌ قـصـارٌ ولاخُـشـمُ

وأجـدادُ صـدقٍ لايُعـابُ فـعـالُهم ... همُ النَّضَـدُ السَّرْوُ الغطارفـةُ الشُّمُّ[(٩)]

(٨) شعر معن، ليبزج: ٣-٥، وديوانه، بغداد: ٣٦-٣٩.

(٩) الرسل: اللبن. والثلة: القطعة من الغنم جماعها الثِّـلَل والثّلاَل كبِدَر وسِلاَل. والبهم: صغار الغنم. سـبتني: ذهبت بعـقلي. والجؤذر: ولد البـقرة. والجيـد: العنق. والوحف: الشـعر الكثيـر. والعقاص: الـواحدة عقـيصة وهو مـا جمع من الشعـر كهيـئة الكبـة. والغدائر: الذوائب. والأقنى: الأنف الذي يشبه القنا، كالعوج في رقـته. والأشنب: الثغر. والرفاف: الكثير الماء. والظلم: ماء الأسنان وبريقها. اللباخية: الكثيرة اللحم.

وصفاتُ هذه المحبوبة، كما تشف عنها الأبيات، تتلخص في كونها "قرة العين والهوى" وأنها "أحسن من يمشي على قدم"، ذات أصل عريق وحسب عال عظيم، فقد نبتت من حرائرَ بيضٍ جميلاتٍ نواعمَ، وأجداد صدق لا يُعاب فعالهم، لشرفهم، وخيرةِ عنصرهم وكرم منبتهم، ولذا فهي منعمَّة مترفة لا تعاني ضيقاً في غذائها، أو خفضاً من عيشها . . إضافة إلى امتلاكها عينين جميلتين تشبهان في جمالهما واتساعهما عيني ولد بقرة وحشية، وعنقاً طويلاً في غير إسراف، تزينه بجواهرها وعقودها الثمينة والنفيسة، وشعرها الأسود الكثيف الطويل، التي تبرع في عمل الذوائب والجدائل منه، مشبهة في ذلك، عناقيد الكرم السوداء المتكاثرة الثقيلة، ناهيك عن عنقها الطويل، الذي ليس بكزم، وثغرها العذب ذي الريق الطيب، كأنه القطر، وأسنانها البيضاء الصافية ذات البريق الأخاذ، وكفلها المشرف وسيقانها التامة، وكعبها الممتلئ اللحم، بلا نتوء، وبديهتها الحاضرة المتقدة، التي تستطيع بها اصطياد عقول الرجال، بما تجيده من فنون الحديث والمسامرة والإيناس والتدلل وترجيع الكلام بطلاوة وتطريب، إلى جانب ما تتمتع به من امتلاء في الجسم، مع طول يزينها حسناً وجمالاً.

أما مكنف بن نميلة فقد فارقتْه محبوبتُه، فتعاظم لهيب نيران الشوق في قلبه، وتلظى جحيمها بين جوانحه، فلم يستطع أن يطفئها إلا بما تذروه عيناه من دموع أخذت تسّاقط حرى غزيرة على خديه، كلما طاف بمنازل لقياه بها، التي تصدعت شعابها، وتشتت أهلوها بُعَيْدَ أن كانوا يؤنسونه باجتماعهم، فيحثه أصحابه على تعزية قلبه بما ينسيه، أو يخفف من لواعجه المتقدة في صدره، محافظة على أسرار هواه، من الذيوع والانتشار، بيد أنه يعلن لهم أنه مضطر إلى كل ذلك، فلا ذنب له، إذن، في تكاثر الأشواق، وماتجره عليه من

هموم، وأحزان تدفعه إلى التخفيف عن نفسه بالدموع(١٠).

يبـوحُ بما تخفـي حشـاً وضلُوعُ ... سقيمـةُ أطراف الدُّمُـوعِ جَـزَوعُ
لهـا عارضٌ يبـدي الضمير تهيجُـهُ ... طلـول تعفَّـتْ باللـوَى وربوعُ
ولي عَبَـراتٌ كلما عجتُ عَـوْجَـةً ... تصـدَّع شعْبٌ أوْ أشـتّ جَـميعُ
يقـولون : لو عـزَّيْتَ قلـبكَ لم يَبُحْ ... ضـميرٌ ، ولم تنـمُمْ عليكَ دمـوعُ
فقلتُ لهم : لا ذنب لي أن تكلمتْ ... دمـوعٌ جرى في جَـرْيِهِنَّ نَجِـيعُ

ويرى خارجة المللي بعاد محبوبته عنه أمراً قاسياً على نفسه وقلبه، فيحن إليها، كما يحن المحبوس عن لقاء أهله وخلانه ويأخذ ـ كلما خوّفته نفسُه بين هذه المحبوبة وصرمها ـ يكذب هذه الهواجس، ويغض طرفه، ويصم أذنيه عن كل مايذكره بطيف ذلك البعاد المشؤوم(١١):

أَحنُّ إلى (لَيْـلَى) وقـد شطَّ ولْيُـهَـا ... كـما حنَّ مـحبُـوس عن الإلْفِ نازعُ
إذا خَـوَّفَـتْني النَّفْسُ بالـنأيِ تارةً ... وبالصَّـرْمِ مِـنْهَـا أكـذبتـهـا المطامعُ
أكلَّ هواكِ الطـرفَ من كل بهـجـةٍ ... وصـمّتْ عن الداعي إليـهـا المَسَـامعُ

ثم ترحل هذه المحبوبةُ فيشعر الشاعر بلهيب الحرمان، ووحشة الفراق والبعاد، ويتساءل عما إذا كان هناك من مُجير، يخفف عنه ضراوة هذه البينونة، أو ما إذا كانت لسعادة الليالي السالفة وهناءاتها من عودة وإياب، مقرراً أن فراقه عن محبوبته قد ترك في كبده آثاراً بالغة، وأن شوقه إلى لقياها

---

(١٠) حماسة الخالديين: ٢/ ١٦٩. والبوح: الإعلان. والحشا: مفرد الأحشاء وهو مافي البطن. والجزوع: الضعيف. واللوى: واد من أودية بني سليم. والعارض: جانب الوجه أو صفحة الخد أو العنق والمراد به هنا: الوجه. وعجت: أقمت. وعرصات الدار: البقع بين دورها تكون واسعة ليس فيها بناء. وتصدّع: تحطم. والشعب: ما انفرج بين الجبلين أو كان مسيلاً للماء في بطن أرض. وأشتّ: تفرّق.

(١١) أمالي القالي: ١/ ٢٢٣، وسمط اللآليء: ٥١٥, ٥١٦. والولي: القرب.

قد أخـذ يراوده ويغالبه، على رغم محـاولاته اليائسة والمضنيـة في الإقلاع عن سراب اللقاء، ممـا يجعله في غياهب غربـة حالة، مصاباً بالسقم والإعـياء، يعلل قلبه بالدمـوع الغزيرة من عينيه، مـشيراً إلى تلك الرعدة، التي تنتـابه عند اللقاء، وتلك الزفرة الحارة التي تسـعر بنيرانها المصوْتة المتـقدة بين أحناء ضلوعه، والأرق يغالـبه، والسهاد يلازمه، وكأن الليل قد باتت نجومه، رواكدَ، والزمن لا تمر خطاه إلى الأمام، لتقـصر من طُول ذلك البعاد، مكتـفياً بإرسال أخلص دعواته بالسـقيا والنماء، لتلك البلاد التي طالما احتضنته بدفئها، وحرارة مودته لأحبته فيها:

ألا هلْ من البـينِ المشتِ مـجيـرُ ... وهل لليـالي السـالفـاتِ عُكورُ(١٢)
لقـد صـدعتْ بين الـقـرينين بغتـةً ... نوًى يَوْمَ جـرعـاء الرياضِ هَـجُورُ
فـفي كبـدي يالَيْلَ من فـجعـة النوى ... نـوائـبُ وحـي بيـنـهـن فُـطُـورُ
يُمـيت المنىَ شـوقي مـراراً وللهـوى ... بشـوقيَ مـن أحـداثهِنَّ فُـتُـورُ
غـريبٌ عـداويٌّ يـكاد فـؤاده ... إلى أهـل جلسيّ البـلاد يطيـر
غـريب لـه قلبُ يحنُّ صـبـابةً ... وعينٌ بـأسـراب الـدُّمُـوع دَرُورُ
وَإنّي لِعَينِ أسْـعَـدَتْـني بِدَمْـعِـهـا ... وقَلـبِ مَـراهُ شَـوقُـهُ لَشَـكُورُ
ولي روعـة عنـد الإياب وزفـرة ... لهـا تحت أحناء الضلـوع سعـير
خليـلي مـالليل بـاتَت نُجُـومُـه ... رواكـدَ مـايُسْـرى بـهـا فـتغـورُ؟!
أظن الليـالـي زدْنَ طولا على امـرئ ... يطول علـيـه اللَّـيْلُ وهْو قَـصـيـرُ
سـقى هضبـاتِ الفَرْش كُلُّ مُـجَلْجلِ ... له نَضَـدٌ مـن مُـزْنِه وصـبـيـرُ

(١٢) التعليقات والنوادر، خ، الهنـدية، ص: ١٢١، وط. العبيكان، ٢/ ٦١٤. والمشت: المفرق والمبـاعد. والعكور: الانصـراف. وصـدعت: مضت. والقـرينين: مـوضع في أعلى وادي رولان من ناحية المدينة. وجلسيّ: جبل مما يلي علياء أسد وغطفان. والزفرة: التنفس مع مد النفس الحـار. والروعـة: الفـزعـة. أحناء الضلوع: جـوانبـهـا. وتغـور: تغـيب وتزول. والمجلجل: السـحاب الراعـد المطبق بالمطر. والنضـد: السـحاب المتـراكم والعز والشـرف. والصبير: الكفـيل ومقدم القوم في أمورهم، وهو هنا: السحاب الأبيض الذي يصـير بعضه فوق بعض درجات. وانظر ملحق الشعر ص: ٥٥٢ ـ ٥٥٤.

ويتأمل مضرس بن قرطة في صفحات حياته، فتهيجه بقايا ديار أهليه التي تتجلى لمداركه خالية دارسة بعد أن كانت عامرةً بأهليها الغابرين، ويراوده طيفُ محبوبته "سعدى" التي ما برحت تعذبه بتثاقلها عليه، وهو يمنّي نفسه بأن تعايش هذه المحبوبة حرارة مشاعره وتدفق أحاسيسه، حتى تتلظى بنيران لوعته عليها، مؤكداً أن الدهر والواشين هم الذين سَعَوا بينه وبينها، لتقطيع عُرَى وصالهما، على رغم ما هو عليه من دفء الأحاسيس، وصدقها نحوها، معلناً تمسكه بماضيه الرغيد معها، مطالباً إياها بالوفاء لعهود مودته، شفاء لنفسه العليلة التي تتوق إليها، ويمنعه حياؤه من التصريح باسمها، مقسماً برب البيت، أنه متيم بجمالها، ونضارتها، وأن قلبه صار مقسماً، فبعضه رهين لديها، وبعضه الآخر في الحبال وثيق، متوجهاً لرب الغيث، لكي تسقيها ما عاشت شقائقُ المزن ذوات الماء الأبيض الصافي، الذي يهطل محمولاً بسحب كثيفة المياه، متجهة من كل الجهات، مقرراً لها أن ذكرها لا يفارقه ما أشرقت الشمس، وما غربت، مؤنباً قلبه الذي بات يُراوده بالتصبر على هجر هذا المحبوب قائلاً له : إن مصيرك أيها القلب المعذب أن تموت كمداً، وأن تعيش سقيماً لأنك تكلفني بهذه المراودة، فوق ما تطيق(١٣):

---

(١٣) أمالي القالي، الدار: ٢/٢٨٧، ٢٨٨، والحماسة البصرية: ٢/١٠١,١٠٢، والسمط: ٨٩٣,٨٩٤ . وانظر ملحق الشعر: ٦٢٤ _ ٦٢٨

وأهاجتك: أثارتك وحركت مشاعرك. عفون: بلين. خلوق: بلى واندثار. يشوق: يجدد الشوق ورب الهدايا: إله النذور. المشعرات: من الشعيرة وهي البدنة المهداة للإله. والنفس الشعاع : الممزقة. والشفيق: العطوف. والنزوق: المدلل. وعذبة الثنايا: الجميلة بدقة أعضاء جسمها. والعتيق: النضر الصبوح. والوثيق: الموثوق المقيد.

أهاجَتْكَ آياتٌ عَفَوْنَ خُلُوقُ | وطيفُ خيالٍ للمُحِبِ يشوقُ
تعذبُني بالوُدّ (سُعْدَى) فليتها | تُحَمّل منا مثلَه ، فَتذوقُ
سعى الدهرُ والواشونَ بيني وبينها | فَقُطِّع حبْل الوَصل وهْوَ وثيقُ
ولو تعلمين العلمَ أيقنتِ أنَّني | وربَّ الهدايا المشعرات صدوقُ
أهمُّ بِصَرْمِ الحَبْلِ ثم يَردُّني | عليك من النفس الشَّعاعِ فَريقُ
تُهَيِّجُني للوصل أيامُنا الألى | مَرَرْنَ علينا والزمانُ وريقُ
فأصبحتِ لا تجزينني بمودَّتي | ولا أنا للهجران منك مطيقُ
تتوق إليكِ النَّفْسُ ثم أرُدُّها | حياءً ومثلي بالحياء حقيقُ
وإني وإن حاولتِ صرمي وهجرتي | عليك مِنَ أحْداث الردى لشفيقُ
وأكتمُ أسرارَ الهَوى فأُميتُها | إذا باح مَزَّاح بِهُنَّ نَزُوقُ
شهدتُ بربَّ البيت أنك عذبةُ الثَّـ | ـنايا وأنَّ الوجْه منكِ عتيقُ
وأنكِ قَسَّمتِ الفؤادَ فبعضُهُ | رهينٌ ، وبعضٌ في الحبال وثيقُ
سقاكِ وإن أصبحت وانيةَ القُوَى | شقائقُ مُزْنٍ ماؤهن فتيقُ
بأسحمَ من نَوْءِ الثُّريّا كأنما | سفاه إذا جنَّ الظلامُ حريقُ
شآمٍ يمانٍ مُنجِدٍ مُتَتَهِّمٍ | لعرض الفيافي والإكام رتوقُ
صَبوحي إذا ما ذرّتِ الشمسُ ذِكْرُكُم | وذكْرُكُم عند المساء غَبُوقُ
وتزعمُ لي يا قلب أنك صابرٌ | على الهجر من (سُعدى) فسوف تذوقُ
فمُتْ كمدا أو عِشْ سقيماً فإنَّما | تكلّفني مالا أراك ، تُطِيقُ(١٤)

---

(١٤) الفتيق: الباسم المشرق. والأسحم: السحاب الأسود الكثيف المياه. والسفا: ما تسفيه الريح. والإكام: التل. والرتوق: ماجاء بالخير لإصلاح شأن من نزل عليهم. وذرت: أشرقت.

. . . وعلى هذا النحـو، وغـيـره[15] برع المزنيـون في الغـزل والنسـيب، مُخلّـفين لوحاتٍ فنيـةً في هذين الفنين المتكاملين، لا تقل روعـة وواقعـية عن مثيـلاتها مما رسمه سابقـوهم ومعاصروهم من شـعراء العرب.. ويدرك المطلع على النمـاذج السابقـة، أن المزنيين قد جـمعـوا، في ائتلاف، بين تصـويرهم المعنوي، لما كـانت تختلـج به نفوسـهم، وماتعـتلج به قلوبهم، من أشـواقٍ، وتباريحَ ومـشاعرَ تجـاه محبوبـاتهم ـ وبين براعتهم ـ أيضـاً ـ في رسم لوحات لعناصر الجمال الجسديّ لهذه المحبـوبات، وهي براعة جرى على أرضيتها تدفُّقُ مشاعرِهم وحرارةُ أحاسيسهم، ودفءُ معاناتهم ومكابداتهم.

كـما يلـفتُ انتبـاهَنا بعضُ الارتبـاطات بين بعض هـذه اللوحات الغـزليـة بنوعيـها، وبعض اللوحات التي أفـردها أصحابهـا لوصف رحلة الظعن، وهو الارتباط الذي أتوقف عنده قليلاً في السطور التالية. . .

(١٥) انظر أمثلة أخـرى في ملحق الشعر لخـارجة المللي ص: ٥٤٧ وما بعـدها، وابن أبي صبح ص: ٥٦٣، وعقـبـة بـن كـعـب ص: ٥٨٨، والـعوّام بن عـقبـة ص: ٦٠٠ وما بعـدها. وغيرها.

ب - رحلة الظعـــن :

لرحلة الظعن دلالاتهـا الذاتية في حيـاة العربي، الذي شب فرأى مـعيشـته ومعيشة أهليه، في أغلب أطوارها، قلقة، غير مستقرة؛ فراح يصور، في رهافة حس، وتأمل وإدراك، مـراحل الظعن، وأثره في نفسـه ووجدانه، مخلـفاً لنا صفحاتٍ ناطقةً بمعـايشته، ومكابدته الوثيقة بحياة الصحـراء، ومعاناتها، تلك الحياة التي يرى الشاعـر فيها صورة مُكبَّرة من نفسه، التي تُمـسي شمسُها تؤذن بالغروب، مـسائلاً بعض صحـبه، في حسرة ولـوعة، عما إذا كـانوا قد رأوا النسوة المرتحلات، مخلفات في وجدانه غصص الحرمان..

وقد مر بنا، في الفصل السابق، وصف كل من معن بن أوس[١٦] وعبدالله ابن عمرو[١٧] المزنيين لرحلة الظعن، وهو الوصف الذي نستطيع الاطلاع على نماذجَ أُخرى منـه في تراث المزنيين الشعـري، كقافـيَّة كعـب بن زهير[١٨] التي أنشدها، وقد خط الشيب بعلاماته البارزة في رأسه، وتجاعيد وجهه، وشَعَرَ بأن شبـابه قد فني، فأخـذ يسرد بعض أحداث مـاضيه السعـيدة، التي يرمز إليـها برحلة الظعن التي تُمـثّل، في جانب منها، صفـحة من عبق ذكـرياته، العزيزة على نفـسه ووجـدانه، بادئاً بسـؤال خليليه عـمـا إذا كان يرى هؤلاء النسـوة المرتحلات على هوادجهن، مشبهات نخل القرى اللائي يحركهن الهواء فتتمايلن في خفة، أو كوكبة من السفن التي ضُمَّ بعضها إلى بعض، فَأَخَذَتْ تتهادى في اليمّ مُـختـالة، في دلال، بعـد أن كن يقـمن في (روض الحـزن) بين (ليَـةَ)

---

(١٦) ديوان معن: ١٠٣، ١٠٤.

(١٧) التعليقـات والنوادر، خ، الهندية: ٤٠٨، وط. العبيكان، ٢/ ٧، ٧، وملحق الشعر، ص: ٥٧٠.

(١٨) ديوان كعب، قراقو: ١٠٦-١١١، والقاهرة: ١٩٠-١٩٨، والأحول: ١٢-١٦.

و(سيحانَ)، وهي بقـعة كانت آمنة مطمئنة، كثيرة الخـيرات، رغدة العيش، ثم أتى عليها حين من الدهر، فودعها الأمنُ وانحـسرت عن ربوعها المياه، ويبست الخضرةُ من جنانها وأغصانها، وعم الجـفافُ أرجاءها، وتوقدت شمس الهاجرة من حولها، فتلظى قاطنوها بنيرانهـا المسعورة، فاضطروا، آسفين، إلى الترحال عنها، على رغم حبـهم لها، خائفين من شر الرياح الشماليـة الآتية عليهم من جهة (العراق) بسبب مـا قد تحمله لهم من أخطار الأوبئة والأمراض، وبينا هُنّ على شفا حـفرة من نيران هذا الخوف المحدق بهـم، ساورهن طيف أمل وليد، إذ أخبرن بـأن أرضاً بين (الأخاديد)، و (اللوى) قد سـقاها المطرُ، فأنبت فيـها الأعشابَ والنبـاتاتِ والأشجارَ الظليلةَ، التي تمتع زوارها بشـتى ألوان السعادة، التي تنبعث عليـهم من صفاء صفـحة مياه مـتدفقة، تهب عليـها رياح هادئة، فتزيد من بهائها جمالاً، وحسن رونقهـا خلابة ناسجة على متنها نسجاً بديعاً، والطيور الغرانيق من حولها تدندن نشوى بأصوات خـفية تشبه أصوات المجوس وزمزمتـهم غير الواضحة أو المفـهومة، والقطا على حافـاتها تصيح، في طرب وابتهـاج، مردداً اسمه "قطا قـطا" منتقلاً إلى القـول بأن كل ظعينة من هؤلاء الظعائن كـانت تسيـر ممتطية جمـلاً أو ناقة نشيطة، تـباريه في السيـر، مهيـئاً أسماعنا إلى أنه لم يستطع أن يتابع هذا الركب، حتى يفوز بمنيته(١٩):

نفى شَـعَـرَ الرأسِ القـديمَ حَـوَالِقُـه ... ولاح بشـيبٍ في الـسَّـواد مـفـارِقُـهْ
وأفنى شـبـابي صـبحُ يوم ولـيلةُ ... ومـا الدهرُ إلا مُـسْـيُـهُ ومَـشَـارِقُـهْ
تبـصَّـرْ خليلي هـل ترى من ظعـائنٍ ... كنخل القُـرَى أو كـالسفـين حزائقـهُ

---

(١٩) حوالقه: ماحلق شَعَرَه من مر السنين. ومسيه: إمـساؤه. ومشارقه: إصباحه. تبصَّرْ: تأملْ وتبينْ. تربعن: رعين في الربيع. والحزن: موضع بالحجاز ومـثله (لية). وسيحان: ماء لبني تـميم. ومستكا: ملتفـا. والجـزء: أن تجتزىء بالرطب مـن الكـلأ مـا أمكنهـا الرطـب. =

تربَّعْنَ (روض الحَـزْنِ) مـا بين (ليَّـةٍ) و (سَـيْحَـانَ) مُـسْتَكًّا لـهنّ حَدَائقُـهْ
فلـمـــا رأين (الجـــزء) ودع أهـله وحـرَّق نـيـرانَ الصَّـــفِـيحِ وَدَائـقُـهْ
عـزمن رحيـلا وانتجـعْنَ على هوى وخِـفْنَ الـعـراقَ أن تجـيش بـوائقُـهْ
وخبّـرنَ مابين (الأخـاديدِ) و(اللوى) سَـقَتْـهُ الغـوادي والسَّواري طوارقُـهْ
وباكـرْنَ جَـوْفـاً تنسج الريحُ مَـتْنَهُ تناءَمُ تـكليمَ المجـوس غـــرانقُــهْ
إذا مـا أتَتْـهُ الريحُ مـن شطر جـانبٍ إلى جـانبٍ حـاز التـرابَ مـهـارقُـهْ
بحـافـتـه من لا يـصـيحُ بمن سَـرَى ولا يدَّعـي إلا بما هو صـــادقـــهُ
عَلَى كُـلِ مُـعْـطِ عِطْفَـهُ مُـتَـزيِّدٍ بفـضـل الزمـام أو مَـرُوحٍ تُـوَاهِقُـهُ

. . . وفي الرائية التي استهل بها هذا الشاعر مدحـه للإمام علي (كرم الله وجهـه) شبب، فـي ايجاز وإيحـاء، "برملة"، وانتقل من هذا التـشبـيب إلى وصف رحلة أظعانها، التي اتخذت من الرحيل والفراق مسلكاً ومصيراً، مقررا أنه قد رأى القوم، والدمع منسرب من أعينهم، كأنه اللؤلؤ وقد زُمّت جمالهم، وتحركوا يحدو بهم حاد حذر مـتيقظ، ذو خبرة ودراية بالطريق، وأهواله حزيناً لمفارقـته تلك المرابع، التي شهـدت أيام أُنسه وصبـاه، وهناءاته. . . ثم أخذت الأظعان تتباعد عن الحي، فـي سير متتابع منتظم، متمايلة كـنخل كثير حمله،

= والودائق: الهواجـر وقـت اشـتـداد الحر من النهار. انتجـعن: طلبن الكلأ. والبوائق: الدواهي والشـرور. والأخاديد واللوى: مـوضعان. والـغوادي: ما أمطر بـالغداة وعكسـها السواري. والجـوف: المنخفض من الأرض. وتنسج الريح مـتنه: ترى عليه حَـبابا إذا هبت عليه تصفقـه. وتناءم: من النئيم، وهو صوت خفي ليس بالعالي المفـهوم. والغرانق: جمع غرنوق، وهو طائر أبيض طويل الرجلين. والمهارق: الصحاري واحدتها مُهْرَق، وهو الطريق والأرض الواسعـة والمعطى (هنا): الجـمل الذي يعطيك ماشـئت. والعطف: الناحيـة، يريد حـسن الطواعيـة والمواتاة. والزمـام: مـا تقاد به الدابّـة. والمروح: الناقة المرحـة النشـيطة. والمواهقة: المباراة في السير.

حتى إذا انتصف النهار واشتد القيظ، وأخذت المفازة تلفح وجوه السَّائرين فيها، بحرِّها القاتل، فضّلوا النزول إلى واحة كثير شجرها، وغزير ماؤها، فأناخوا رحالهم، في ناحية يكثر فيها الفيءُ والظلُ والنسيمُ العليلُ، وبدؤوا يأخذون قسطاً من الراحة، ويتنسّمون عبقَ الهواء الطلقِ، ثم بدؤوا والشمس تودع حرها، ينهضون إلى نُوقهم الفتية، يسيرون بها، في ارتجاز، وما هي إلا سُويعات معدودات حتى شمل الليل الكون بجناحيه من حولهم، فحجب بذلك الرؤية عن أعين السائرين، وكأنه يعلن بهذه الإيماءة أنه لم يعد يتابعهم مسيرهم، يائساً من رؤيتهم(٢٠):

هل حبلُ (رملةَ) قبل البينِ مبتورُ ... أم أنتَ بالحلم بعدَ الجهلِ معذورُ
ما أَنْسَ لا أنْسَها والدمع منسربٌ ... كأنه لؤلؤ في الخد محدورُ
لما رأيتهمُ زُمَّتْ جِمَالُهم ... صدّقتُ مازعموا والبين محذور
يحدو بهن أخو قاذُورة حَذِر ... كأنه بجميع الناس موتورُ
كأنَّ أظعانَهم تُحْدَى مُقَفّيةً ... نَخْلٌ بـ (عينين) ملتفٌ مواقيرُ
حتى إذا انتصبَ الحرباءُ وانتقلت ... وحانَ إذْ هجَّروا بالدَّوِّ تغويرُ
قالوا: تنحَّوْا فمسُّوا الأرضَ فاحتولوا ... ظلا بمنخرقٍ تهفو به المُورُ
ظلُّوا كأن عليهم طائراً عَلِقًا ... يهفو إذا انْسَفَرَتْ عنه الأعاصيرُ

(٢٠) منتهى الطب، خ، ١/٩, ١٠، ومطبوعة فرانكفورت: ١/١٨, ١٩.

والحبل: الود والوصال. والحلم: العقل. والمنسرب: السائل على الخد. والمحدور: المتساقط في انحدار. والقاذورة: الناقة التي تبرك ناحية من الإبل. والموتور: من الوتر، وهو الظلم في العداوة والانتقام، أي قتل له قريب فلم يطالب بدمه. ومقفية: مبتعدة في تتابع. وعينين: قرى بحرينية كثيرة النخل. والمواقير: الكثيرة الحمل. وانتصب: عرض=

لوجـــهـة الريــح منه جــانبٌ سَلِبٌ   وجــانــبٌ بأكُفِّ القــوم مَـضْــبُـورُ
حـتـى إذا أبْرَدُوا قـامُـوا إلى قُلُصٍ   كـأنَّهُـنَ قِـسـيُّ الشَّــوْحَطِ الزورُ

حـتى سَقَى الليلُ سَـقْيَ الجنّ فـانغـمـستْ
في جَــوْزِهِ إذْ دَجَـا الآكــامُ والقُــورُ

غطيَّ النشـازَ مع الآكـامِ فاشْـتَـبَهـا   كـلاهمـا في سـوادِ الليلِ مَـغْـمُـورُ

وفي ميـمية مـعن بن أوس التي أشرتُ إليهـا قبل قليل(٢١) رأيناه يستـهلها بوصف الأطلال ومأأصابهـا، من عفاء وخلاء، في أربعة أبيـات، وينتقل منها إلى وصف رحلة الأظعان، التي راح أصـحابها بعينيه، كـأنهم سفائن أو نخل مذللة طوال، فـوصف مسهب لمحبوبتـه "نعم" وهو نهج فنـي نجـد صـداه في لامية أخرى(٢٢)، منتقلاً إلى دالية أخرى، كرر فـيها مسلكه هذا، في الوقوف على الأطلال باكـياً ومبكيـاً، مصوراً مـا اعتراهـا من خلاء وتوحش ودروس، معرّجـا على وصف رحلة الظعن التي عايشَ أطوارَها خطوة بخطوة، متـحسراً على ما مُني به من خـيبة آمال، بسبب صـدود محبوبته عنه لِـمَا رأته عليه من مظاهر الكِبَرِ والشيخوخة:

= نفســه للشمس. وهجـروا: ساروا وقت الهـاجرة. والدوّ: المفـازة. والتغوير: القـيلولة. والمـور: التـراب تثيـره الريـح والعلـق مـن الطيـر: الذي وقع في الحبالة والأشراك. ويهفو: يطيـر. والمضبـور: المقـيد والمشـدود. وأبردوا: زال عنهم حر الهـاجرة مسـاء. والشوحط: ضـرب مـن النبـع تتـخـذ منـه القِسِي. والـزور: المنـعطفة. والنشـاز: ما نشـز عن الأرض وارتفع.

(٢١) ديوانه، بغداد: ٣٥-٤٠.

(٢٢) نفسه: ٥٨,٥٩.

فَلَى أشهُرٍ حتى إذا انشقَّت العصا ... وطار شَعَاعاً أمرُهُم ، فتبدَّدا
فساروا فأما جُلُّ حَيِّي فَفرَّعُوا ... جميعاً وأما حيُّ (دَعْد) فَصعَّدَا
فَهَيْهَاتَ ممَّنْ بـ(الخورنق) دَارُه ... مقيمٌ وَحَيٌّ سائرٌ قد تَنَجَّدَا
أولئك فاتوني غداة تَحَمَّلُوا ... فحُقَّ لقلبي أن يُراعَ ، ويَعمَدَا
بأحسنِ أهلِ الأرض جِسْماً وَمَبْسماً ... إذا ما اجتَلَى في شارةٍ أو تجرَّدَا
وقد قمتُ إذْ قامت وقالَتْ وأعرضَتْ ... تجرُّ قشيباً من حرير وَمجسَدَا
جَفَتْ عين ذات الخالِ لما تنكرتْ ... وقالت أرى هذا الفَتَى قَدْ تَخَدَّدا
وقالت لتثني لي الهوى وتَشُوقَني ... أرى عنك سربال الصِّبا قد تَقَدَّدا
على أنّني ـ واللهُ يؤمَلُ ـ حارسٌ ... من الخَبْلِ نفسي أن تموت وتَكْمَدَا(٢٣)

وتَتَابُعُ دلالاتِ هذه الخطوط وائتلافُها في أشعارهم التي وصفوا بها مشاعرهم الجياشة تجاه المرأة ورحلة ظعنها وأطلالها يأخذان بيد الباحث إلى التأكيد على ماألمحتُ إلى شيء منه قبل قليل، من ارتباط هذه اللوحات بعضها ببعض، إضافة إلى تمهيدها، في الوقت نفسه لبعض الوشائج بلوحاتهم التي أفردوها لبكاء شبابهم الداثر، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى تأييد الدكتور إبراهيم عبدالرحمن(٢٤) في ذهابه إلى أن الحب في القصيدة القديمة هو منبت الأغراض فيها.

---

(٢٣) شعر معن، ليبزج: ٢٧-٢٩، وديوانه، بغداد: ٧٧-٧٩. فَلِيَ فلّى: انقطع وانشقت العصا: تفرقت الجماعة. وطار شَعَاعا: ذهب في كل وجه. وفرّعوا: صعدوا وانْحدروا. ويعمد: يمرض. والمبسم: الثَّغْر. اجتلى: برز. والشارة: الهيئة. والقشيب: الجديد. والمجسد: الثوب المصبوغ أو الذي يلي الجسد. وتخدد: هزل واضطرب. وتقدد: تخرق.

(٢٤) حركات التجديد في شعر الغزل، بحث بمجلة الشعر، القاهرة، كانون الثاني / يناير ١٩٨٢م.

وقـد وقـفتُ ـ في مطلع هذا البـاب ـ على جـانب من براعـة المزنيين في وصف أطلالهم ورأيتُ فيه عنصراً من عناصر انتمائهم للأرض وحبهم للمكان، ولحناً شجياً من ألحان حنينهم لوطـنهم، وقلت: إن جانباً آخر من جوانب هذا الوصف للأطلال يمكن أن نعـايشه بوصفـه لبنةً من لبنات تعبـيرهم الذاتي عن مكنونات أنفسهم، ونغماً عذباً من أنغام جوانحهم التي اتحدت مع هذه الأطلال بنوع من التـعاطف والإشـفاق، رافضـة بعض ما يعـتورهم من مظاهـر اليأس والإحباط، التي أوحى بها إليهم مظاهر الـعفاء، وآيات الاندثار التي تبدو جلية في الديار، وهم يعكفون على وصف أطلالهم، حتى ليخيل إليهم أن الذكريات التي تتجدد، بتـجدد وقوفهم عليها، كأنهـا أقوى من الموت البادي لهم في كل شيء حولهم، ولذا فـإنني أرى في هذا الوقوف، وفي هذه المبـالغة في البكاء، وهذا الحنان على النؤي، وبقـايا خيـام المحبوبة ـ فـوق كونه مـجرد إحـساس بانقضـاء لذة قد لا تعود، أو مـجرد شوق إلـى حبيب قـد رحل ـ إشارة تأمل وإيماءة تفكر في أسرار الكون من حوله، وصرخـة إيجابية بناءة، في غير "تمرد أو يأس"[(٢٥)] أمام هذه الحـقيقة التي فـجرت الكثيـر من روائع الفن الإنساني، حقيقة الموت والفناء بما يتفق وعمق إيمانهم بالقدر، وما تكنه لهم الإرادة الإلهية من مصـير محـتوم، وهو إيمان رأينا كيف دفـعهم إلى بذل ما في وسـعهم من جهـود، لإرضاء ربهم، بطاعة أوامـره، وتجنب نواهيه، موكلين إليـه أمورهم، وكلهـم ثقة ويقين، لا حـدود لهما من أنه، عـز شأنه، مطَّلع على ما يخـفون وما يعلنون، وهو وحده الكفيل برعايتهم وحفظهم من كل سوء.

---

(٢٥) انظر مقال الدكتورة سهير القلماوي: تراثنا القديم في أضواء معاصرة، مقال بمجلة الكاتب، القاهرة، العدد الثاني، آيار/ مايو ١٩٦٢م.

وإدراكنا لعظمة هذا الإيمان، الذي نعتقد أن بعض روافده قد تسربت إلى دماء المزنيين منذ وقت مبكر قبل ظهور الإسلام، يجعلنا نوافق على ما ذهب إليه الدكتور إبراهيم سلامة[٢٦]، ومن تابعه من الباحثين[٢٧] في تفسيرهم لنشوء فن الغزل في مطالع القصائد، أو غيرها، تفسيراً دينياً يعتمد على الموروث الأسطوري للعرب الأقدمين.

ولعل هذا المنشأ الديني لفن الغزل، هو الذي جعل النبي ﷺ، وهو صاحب الرسالة السماوية العظمى للناس كافة، يقبل، دون أدنى حرج، ما أنشده على شرفه بل وفي مسجده بالمدينة المنورة، كعبُ بن زهير، من قصيدة شعرية استهلها، كما رأينا، بتشبيبه بسعاد تشبيباً لم يكتف فيه بإظهار الجوانب المعنوية والأحاسيس الروحية فقط، وإنما عكف أيضاً على رسم صورة جسدية مثلى، لهذه المحبوبة، كما تتراءى له ولغيره من معاصريه، وكأني به (عليه الصلاة والسلام)، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، قد استشعر ما بداخل هذه المقدمة الغزلية وأمثالها، من شحنات عاطفية متقدة، يبحث فيها صاحبها عن الأمن الداخلي، والسعادة التي يمسك بخيوطها عن طريق رضا المحبوبة عنه، ووصالها له، مما دفعه إلى إقرار الشاعر على قصيدته، بما فيها من معان، ممهداً لصحابته وغيرهم من بعد، لكي يأخذوا هذه اللوحات الشعرية باعتبارها وسيلة من وسائل استرضاء المحبوب البشري، تمهيداً للوصال الذي يترتب عليه توفير قسط من الراحة والسعادة وانشراح الصدور والاستقرار المعيشي المأمول، وهي أمور

---

(٢٦) تيارات أدبية بين الشرق والغرب: ١٣٥.

(٢٧) ينظر مثلاً: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: ١٤٦، ومابعدها، والصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري: ٥٧، وما بعدها. وعلاقة الحب بالمعتقدات في شعر الأولين، بحث بمجلة الشعر، القاهرة، العددان (٢٣، ٢٤) تموز/ يوليو - تشرين الأول/ أكتوبر، ١٩٨١م.

لا تخفى أصولها الدائرة، إذ يبدو أن الشعراء القدامى كانوا يطلقون زفراتهم الحارة، وأوصافهم السنية المثلى، يتوجهون بها لآلهتهم، استجلاباً لإحسانها ورحمتها ورضوانها ودفعا لغضبها عليهم، في صورة تراتيل وشعائر دينية وابتهالات وتعويذات وتلبيات.

واعتقادنا بأن الشعراء المزنيين، كغيرهم، قد خصصوا لوحاتهم الشعرية الغزلية للتعبير عن ذواتهم، وتصوير انفعالاتهم، وتجسيد خلجاتهم ينفي ماذهب إليه الأستاذ البهبيتي من أن الشعراء الجاهليين (ومن تلاهم) لم يقصدوا بالغزل إلى موضوعهم، وإنما قصدوا به إلى غير ذلك مما يهم الشعراء أمورهم، ويأخذون على أنفسهم، ومن هنا يأخذ ذلك الاستفتاحُ الغزليُّ للقصيدة الجوَّ الذي يعيش فيه الشعراءُ الذي يملي عليهم أشعارهم، فالمرأة في ذلك رمز، وأسماء النساء أسماء تقليدية في الشعر عند الشعراء، دون وقوع على أصحابها(٢٨).

على أن هذا الموقف، الذي نقفه من هذا المذهب، لا يعني الاعتقاد بأن جميع هذه اللوحات الغزلية وأمثالها كانت واقعاً معايشاً، اصطلى بناره كل الشعراء المزنيين ومعاصريهم، عن تجاربَ شعريةٍ حقيقيةٍ، وإنما نضع نصب أعينا أن بعض هذه الأشعار الغزلية كان من باب التقليد المتوارث عن آبائهم وأجدادهم.

وشبيه بهذا الموقف نظرتنا لظاهرة رمزية أسماء النساء إلى كل الشعراء وإلى كل تجاربهم الشعرية التي وصلت إلينا، فإننا نتحفظ على هذا التعميم المخل بواقع الأمر، معتمدين على ما تناقل إلى أسماعنا عن كثير من أخبار الشعراء

(٢٨) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: ١٠٠.

الجاهليين والإسلاميين، ممن ارتبطوا فعلاً بمحبوبات أو زوجات معروفات كعنترة وعبلة، والمرقش وأسماء وزهير وأم أوفى وقيس وليلى . . . . . وغيرهم.

وقد يصح القول إن بعض الشعراء كانوا يستخدمون أسماء مستعارة لمحبوبات قد ارتبطوا بهن فعــلاً بروابط الحب والصبابة والهيام، ولم يرغــبوا، لأسباب أو لأخرى، في التصريح بالأسماء الحقيقـية لهؤلاء المحبوبات، غير أنه من الثابت أيضاً كـون بعض الشعـراء، وقد يكون هؤلاء أنفسُهم، قد صـرحوا بأســماء محبــوباتهم، أو زوجاتهم، تصريحــاً لا رمزية فيه، ولا تلمـيح، وإن يكن أمر التمييز بين هذا الاســتخدام الحقيقي، وذلك الاستعــمال الرمزي لأسماء هؤلاء النسوة يبدو أمراً صــعباً أو قريباً من المستحيل في أغلب الأحـيان، غير أن هذه الصعوبة لا تدفعنا بحال، إلى القول بأن جميع أسماء النسوة في هذه اللوحات الغزلية أسماء تقليدية تجري في الشعر عند الشعراء، دون وقوع على صاحباتها.

ومهما يكــن من أمر فقارئ مابين أيدينا من شعــر المزنيين في الإسلام يلتقي بأكثر من ثلاثين اسماً من أســماء النساء وكناهن وألقابهن(٢٩)، وهي أسماء لم يخرجــوا في جانب من استعــمالهم لها في أشعــارهم عما جرى عليــه العرف الأدبي آنذاك من جــهة، وتفــردوا ببعض الأســماء الــتي تخص بعض بناتهم، ونسوتهم، من جهة أخرى.

كما تطــالع قارئ الشعر المزني ظاهرة ابتــداء ثمانية من هذه الأسمــاء بكلمة "أم" وتبدو هذه الأسمــاء، كما يقول الدكتور نصرت عــبدالرحمن(٣٠)، رمزا

---

(٢٩) هي: (ابنة الزيدي، أرنب، أســماء، الذلفاء، أم أســود، أم بكر، أم حقــة، أم شداد، أم عمرو، أم كامل، أم معمر، أمامــة، بنت قيس، تكتم، ثور، جمل، حليمة، خولة، دعد، ذلفة، سعاد، سلمى، سليمى، سوداء، العشية (الغمــيم)، شميسة، عميرة، فاطمة، ليلى، نعم، نوار، سعدى).

(٣٠) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: ١٤٦.

لسيـدة الحكمة، ولا تخاطب، عـادة، إلا في الأمر الجليل، الذي يحـتاج إلى التؤدة وسعة الصدر، فقد خاطب زهير أم أوفى في معلقته، بعد حرب ضروس بين عبس، وذبيـان، ففتكت من القـبيلتين بمن فتكت، ثم حُـقنت الدماءُ وحل السلامُ بينهـما، فجاءت القـصيدة تتويجـاً لهذا السلام، وللاحـتكام للحكمة، وختم زهير قصيدته باثنى عشر بيتاً من الحكمة.

ومثل زهيـر في هذا المسلك معن بن أوس الذي أصابه الكبـر، وهو على ما كان عليه من سـخاء، فتنهض امرأته إلى عـذله، بسبب هذا السخاء، فـتجعله ينعطف شطر ماضيـه الذي يعبق بأريجه مع طيف "أم أسود"، مسـترسلاً إلى مخـاطبة زوجته مطالبـاً إياها بأن تُريه جواداً مات هزلاً أو بخـيلاً تخلد، وهو يقر، في تأن وإدراك، شـعوره بحتمـية الموت الذي لا يستـثني أحداً من الخلق مختـتماً داليته، التي هي من أطول مـا تيسر لنا من شعـره، بأبيات من الحكمة والموعظة الحسنة(٣١).

ونظر كعب بن زهير إلـى سوء أحواله، وقد اعتراه الـشيب، وباتت شريكة عمـره تصارمه، لما بدا لها من نحـوله، وضعفـه، فيتكئ على ذكرياته الماضـية الحـانية، التي تتـراءى له من خـلال توقفـه بأطلال "أم شـداد"، التـي تبـدو صورتها في مخيلته، في أبهى صورها، متمثلاً بقوله(٣٢):

إذا مـا خـليلٌ لم يَصِلْكَ فــلا تُقِمْ   بِتَلْعَــتِـهِ، واعـمِــد لآخـرَ واصِلِ

(٣١) ديوان معن، ص: ٧٦-٨٢.

(٣٢) ديوان كعب، القاهرة: ٨٩-٩٣، والتلعة: ما ارتفع من الأرض أو مكان الإقامة.

جـ - بكـاء الشبـاب :

ألمحتُ قبل قـليل إلى الوشائج المتـينة بين صفـحات بكاء الشـباب ووصف الشيب وبين مثيلاتها من اللوحات الغـزلية، وهي الوشائج التي نستطيع تلمسها بنماذج أكثر، بمطالعتنا لأبيات حسان بن الغدير التي يحكى فيها ـ متحسراً ـ ما كان من شأن محبوبته "أمامـة" التي رأته بعد فترة بعاد طويلة، والشيب يعتري جسمه من كل جـهة، فآثرت الازورار عنه، والبحث عن بغيتـها في سواه قائلة له: لقـد جعلتَ تنكرُ، إذ أصـبحتَ بعـد شبابـك الغض، وغصنك الأخـضرِ الوريف، شيخاً ضعيفاً متهالكاً، دعامتك العصا، زاهداً في شؤون الحياة الدنيا، ولا مطمع لك من تحـقيـق منيتك . وهي مـقولـة لاذعة، شـديدة الوقع على الشاعر، بيد أنه، يقر بمجملها، مخرجاً آهة مصدورة، من أعماقه، ويجيبها في غصة شديدة : إن من يعـمَّر إلى أرذل العمر يعترف بكل مـا تزعمين، ويغيب عنه بهاء المنظر الذي كـان له في سالف صباه وشبـابه، إذ إنني قد أفل نجمي، وغربت شـمسي، فعايشـت ماعيرتني به، مما تركـه الزمان بكرة وعشـيا. . ثم ينتقل إلى إماطة اللـثام عن بعض مظاهر الشيخوخـة كما يحسهـا، حيث صار غير قادر على التحمل، فهو يغضب لأتفه الأسباب، وقد بات وحيداً بلا أنيس من أهل أو خلان، بعـد أن كان عزيزاً في أهله، مكرمـاً بين صحبه وأحـبائه، وبعد أن كان موضع حفـاوتهم وتقديرهم، جميعاً، وصار الجمـيع يسيئون إليه في المعاملة، فـلا يقدمون له الشراب إلا فـي القعر الصغـير، احتقـاراً لشأنه، واستهـزاء بشيخوخته، وغـدوا يكتفون بإرسال أصغر الأبناء مـعه، لكي يقوده نحو مجتمعاتهم ومجالسهم(٣٣):

---

(٣٣) ذيل الأمالي: ٨٩. وتنكر: تحل. ويعترف: يعرف ويقـر. ينبو: يجافي ويتجنب. وأكهر: أقهر وأنهر وأعنف وأقابل بوجه عبوس.

قـالت أمـامـةُ يوم (برقـةِ واسطٍ) : يابن الغـــدير، لقـــد جَـعَلْـتَ تنكَّرُ
أصـبحتَ بعـد شبـابك الغضّ الذي ولَّتْ شـبـيـبتُـهُ وغُـصنُكَ أخْـضَـرُ
شـيخـاً دعـامتُكَ الـعِصيُّ مُـشَـيَّعـاً لا تبـتـغي خَـبَـراً ولا تسـتـخـبـرُ
فـأجبـتُـها : أنْ مَنْ يعـمَّـرْ يعتـرفْ مـــا تزعـــمـينَ ، وينبُ عنهُ المـنظرُ
ولقـد رأيتُ شـــبـيـهَ مـاعــيَّـرتِني يســـري عليَّ به الـزمـــانُ ويُبـكرُ
وجعلـتُ يُغضبنـي اليسيـرُ ، وملَّني أهلي ، وكنـتُ مكرَّمـــاً لا أُكْـهَـــرُ
وشربتُ في الـقعر الصـغيـر وقادَني نحـوَ الجـمـاعـةِ من بَنيَّ الأصـغـرُ

ويتأمل كعب في أحوالـه، عن قرب، فيرى أن الشباب قد فـارقه، إلى غير رجعـة، وأن الشيب، ذلك الرفيق البـغيض قد أقبل عـليه، زاحفاً، فـبدل من سواد شـعره بياضـاً ؛ مما جعله يسأم من رؤية هذا اللـون الجديد، ويكرهه، لما بات يجره عليه من مصائب ومحن، تنغص عليه شؤون مـعيشته، وتزيد صحته سوءًا بعـد سوء، وتزرع في نفـسه الأسف والأسى والحـسرة وخـيبـة الآمال، وتدعو إلى تمنّي ما لا يجيء أبداً، من شباب دائم، ونعـمة وارفة باقية، تحجب عنه شرور زوجته، التي لم تنج هي الأخرى من سـهام المشيب، ومع ذلك فقد أمست تهجر زوجها بحماقـة بلهاء، وتسيء معاملته بطيش وسفاهة بالغين، مما غرس في قلبه بغضـها، والرغبة في مفارقتـها، والتخلص من إيذائها له، لولا بنوها، ومراعاته لأقوال المحيطين بهما(٣٤):

بان الشبـــابُ وأمـسى الشيـبُ قـد أزِفَـا
ولا أرى لشـــبـــابٍ ذاهب خـلَفَـــا

(٣٤) ديوان كعب، قراقو: ٤٣-٤٤، والقاهرة: ٧٠-٧٢، والأحول: ١٦, ١٧. وأزف: اقترب. والمبينــة: الدليل الظاهر. والمنة: القوة. والمسـائح: ما نبت على أعراض الرأس. والبكر: =

عـاد السـوادُ بيـاضـاً في مـفـارقـهِ لا مـرحـبـا ها بِذا اللّوْنِ الذي رَدِفَـا
في كـل يوم أري منـه مُـبـيّـنةً تكـاد تسـقـط مني مُنّـةً أسـفَـا
ليتَ الـشـبـابَ حليفٌ لا يُزَايِـلُنَا بل ليتـه ارتدّ منـه بعضُ مـا سَلَفـا
ما شـرُّها بعد مـاابيضّتْ مَسَائحُـها لا الودَّ أعـرِفُـهُ منهـا ولا اللّـطَفَـا
لو أنهـا آذَنَتْ بِكـراً لقلتُ لهـا : "ياهيـدَ ما لك" أو لـوْ آذنتْ نَصَفَـا
لولا بنوها وقـولُ الـناس مـا عُطِفَتْ على العـتـابِ وشـر الوُدّ مـا عُطِفَـا
فلن أزال وإنْ جَـاملتُ مـضطـغنا في غـيـر نائرة ضَـبًّـا لهـا شَنَفـا

ثم ينظر فلا يجد الأحوال قد تغـيرت من حوله، إلى أفضل، بل إنها، بكل أسف ومرارة، لتزداد سوءًا من فوق سوء، إذ بكرت زوجته تلومه وتعذله، غير مراعية لعفة في القول، أو جـمال في الألفاظ، ساخطة، في تبرم وجزع، على ما تراه من تبدل لون رأسه إلى البياض، مما يدفـعه إلى إطلاعها على ما أصابها ـ هي الأخرى ـ من كـبر وشيـخوخة، إذ صـار كلاهما في الهم سـواء، كأنما رمتهما سهامُ الدهر؛ فأصابت مفارقهما بما يريانه عليهما من مظاهر تزرع اللوعة في صدريهمـا، متكئاً على سواعد مـاضيه الوريف، والشوق يغـالبه إلى قواها وحنوها، مسترجـعاً صورة من صور حياته، وهو فتًى فـارس، مغوار، شريف من علية القوم، يشهد الكأس الروية لاهياً، مستـمتعاً بشبابه الغض، كغيره من أشراف عـصره، يعل منهـا وينهـل، حتى يطرق الصبح أبـواب الكون، مؤذناً بنهار جديد[٣٥]:

= الشـابة العذراء. ويقـال: هَيْدَ مـالَكَ: إذا استـفهـموا عن شـأنه. والمضطغن: الحـاقد. والنائرة: النافرة. والضب: الحقد. وشَنَفَ: أبغض.

(٣٥) ديوان كعب، قراقو: ٢٥، والقاهرة: ٤١-٤٢، والأحول: ٣٥، ٣٦. =

ألا بكَرَتْ عِـــرْسي تلومُ وتـعــذلُ وغـيـرُ الذي قـالت أعفُّ وأجملُ
ولما رأت رأسي تـبــــــدَّلَ لونُـه بيـاضـاً عن اللون الـذي كـانَ أوَّلُ
أرنَّتْ من الشيب العـجيبِ الذي رأَتْ وهَل أنتِ مني ويْبَ غيـرك أمـثلُ
كـلانا عَـــرَتْهُ كَـبْـرَة ، فـكأنما رَمَتْـهُ سـهـامٌ في المفـارق نُصَّلُ
وقـد أشـهـدُ الكأسَ الرويّـةَ لاهيـاً أُعَلُّ قُـبيلَ الصُّـبْحِ مِنْهَـا وأُنْهَلُ

ويدرك مكنف بن نميلة ما آل إليـه حاله من سوء، إذ أمسى مقـنعاً بالشيب، لا يرى منه وجه الحياة النضر، بسبب ماغيض من ماء الشباب، بعد طول امتلاء وصفاء، وأصبح الهزال يلاحقه من كل اتجـاه، فيرتد إلى ماضيه الرغيد، الذي يجد فيه أنسـه وصفاءه وعزاءه وسلامته لملاقاة مـصيره، الذي بات يتربص به، قـائلاً: إن بهـاءه وحسنـه، في صبـاه، كـانا مـدعاة لـوصال الكثيـرات من الحسناوات(٣٦):

لعـمـري ، لئـن قُنِّعتُ بالشَّـيْبِ وانكفـا بما فـيـه من مـاء الشـبـاب إناءُ
لقـد كـان مـاءُ الحُسْنِ يَـدْعُـو إلى الصِّـبا نسـاءً أعـارتْهـا الـعـيـونَ ظبـاءُ

والمتأمـل في هذه النماذج وغـيرها(٣٧) يدرك إلى أي مدى برع المـزنيون في التعبير عن هذه الحقبة من أحقاب أعمارهم، وهي مرحلة الشيخوخة، منعطفين

= وبكرت: أسرعت، وأرنت: صـوتت وأظهرت جزعهـا. الويب: الويل. والنصل: حديدة السهم. الروية: الممتلئـة والعزيزة. لاهيا: من اللهو. وأعل: أسقى مـرة بعد مرة، وأنهل: أشرب.

(٣٦) حماسة الخالديين: ٢/ ١٦٩.

(٣٧) انظر حائية المضرب، بملحق الشعر، ص: ٥٩٠ ـ ٥٩٣.

فيها نحو ذواتهم انعطافاً شديداً، عاكفين عليها، شاعرين بهمومها ومواجدها، ومدركين لهواجسها وأهازيجها، مغتذين بما آلت إليه أجسامهم من ضعف وهزال، متحسرين على ما قد تبدل من أمورهم، عاجزين عن مواجهة المستقبل مواجهة الأبطال، لذا فهم يتشبثون بماضيهم، ومايرونه فيه من غنى وثراء، وأنس وحياة رغدة، منتقلين إلى تحسس دنو آجالهم، متوجهين بالرثاء إلى نفوسهم، بعد أن علاها المشيب، بكل ما يترتب عليه من ملاحقة لهم، من ازورار الأحبة والخلان، وانصرافهم عنهم، وما ينتج عن ذلك كله من سيطرة نيران الغربة والوحدة والوحشة على أعطافهم، وهم ينظرون حواليهم ؛ فيرون أن الجميع باتوا يحتقرون شأنهم، ويستهينون بمكانتهم، ويسيئون معاملتهم، فيلجأون إلى الشعر سلاحاً قوياً يستمدون منه قواهم، مؤمنين بسحره، وشدة أثره في التخفيف من أهوال ما يلاقونه من سوء المنقلب، بعد أن صارت أخطار الموت تداهمهم، من كل جانب، فباتوا يجترون، ويرثون أنفسهم، رائين أن الموت يحيا في كل شيء من حولهم، ومر بنا أن كعب بن زهير، وهو يستشعر ما اعتراه من كبر كاد أن يأتي عليه، أخذ يرثي نفسه مسقطاً كل ما يشعر به من قلق وخوف على ما يتراءى لناظريه من نبات، موقناً أنه كان مثله في سالف عهده، وارف الظلال، طيب الثمرات، ثم أتت عليه سنةُ الأيام؛ فأصبح يروى بكؤوس الجفاف والموت(٣٨):

والمرءُ والمالُ يَنْمِي ثم يُذْهِبُهُ ... مرُّ الدُّهُور ويُفنيه ، فَيَنْسَحِقُ
كالغصن بينا تراه نَاعِماً هَدِباً ... إذْ هاج وانحتَّ عن أفنانه الورقُ

(٣٨) ديوان كعب، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

د - صفحات ذاتية أخرى :

يُطالع القارئ في الشعر المزني، إضافة إلى ما سبق، بعضَ الصفحات التي يسري في جوانبها تأملُ أصحابها وعكوفُهم على ذواتهم، كعبدالله بن عمرو، الذي يطلعنا على صورة من نفسه، وهي تغالب أمواج الحياة في بحر الديون الهائج، بعواصفه الرعناء، فتكاد تشده إلى الأعماق غريقاً، وهو ضعيف متهالك، كطائر، فَقَدَ أسلحته على الطيران لأنه عارٍ من الريش، ولكن سرعان ما تمتد إليه أيدي "الممدوح"، فتكسوه بالأمل في النجاة، وتنقذه من لجة ذلك الخطر الذي اجتاحه، مما يدفعه إلى مخاطبته بالقول(٣٩):

وأنقذتَني من لُجَّةِ الدَّيْن بَعْدَمَا ... غرقتُ وغاشي لجّةِ الدَّيْنِ غَارِقُ
وأغنيتَني عمَّنْ سِواكَ وأنبتَتْ ... رياحُكَ ريشي والنِّجاءُ الدوافقُ

ثم يعود إلى الإيماء إلى هذا الموقف العصيب، وهو يرى نفسه ضعيفاً، واهن القوى، لا قدرة له على الحركة ولا السعي، أو النشاط اليومي، بسبب ما قاساه من محن الدهر التي عضته، فأدمت قلبه، فنراه يخاطب نفسه قائلاً(٤٠):

عارٍ جناحُكَ قد حُصَّت قَوَادِمُهُ ... قد عضَّكَ الدهرُ عضاتٍ فأدمَاكا

---

(٣٩) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٠. وانظر ملحق الشعر: ٥٧٣. ولجة الدين: جلبته وكثرته. والغاشي: النازل. والنجاء: جمع نَجْو، وهو السحاب أول ماينشأ ثم يهريق الماء ويمضي. والدوافق: جمع دافقة ودافق من دفق الماء والدمع: نضب. والريش: هنا كناية عن النعمة.

(٤٠) المصدر نفسه: ٢٠٨/١ وانظر ملحق الشعر: ٥٧٦. وحص: انجرد وتناثر. والقوادم: الريش في مقدم الجناح.

وكعب بن زهير الذي ألفناه جـوابا للفيافي على ناقته بشـجاعة نادرة وعزم، واصفاً كل مـاتقع عليه مدركاته، في لوحات فـريدة للطريق، والقطا، وغيرها من الظواهر الجوية كـالسراب. . . . وهي اللوحات التي رأينا إحسـاسات كعب تدلف بنا إلى أغوارها لنرى مـايدور بأعماقـه من أحاسيس مـتباينة، ومشـاعر مضطرمة، بتباين أحواله هو، واضطرام مظاهر الكون من حوله.

ونستطيع أن نتابـع صورة أخرى لهذه الذات، والخوف يملأ أعطافـها، عندما توجه إلى مبايعة رسول الله ﷺ على أنوار الإسلام، ولسان حال الشاعر ينطق بما كان يهمس به الوشـاةُ له من أنه مقتول، لامحالة في ذلك، فـضاقت عليه الأرضُ بما رحـبُتْ، مؤمناً بقـضاء الـله، الذي لابد أن ينفذ، وقـرر أن الموت مصيـر كل ابن أنثى، لذا فهـو يعلل نفسه برشـفة من كؤوس الأمل في عـفو النبي ﷺ عنه:

يَسْـعى الوشـاةُ بجنبيـهـا وقـولُهُمُ — إنَّكَ يـابن أبي سُلْـمَى لمقْــتُــولُ
وقـــــالَ كلُّ خـليـلٍ كنـتُ آملـهُ — لا ألفـيَنَّك ، إنـي عنكَ مـشـغـولُ
فَـقُلْـتُ : خلوا سـبيلـي لا أبالكُمُ — فكلُّ مـاقــدَّرَ الرحـمنُ مـفــعـولُ
كلُّ ابنِ أنثـى وإنْ طالَتْ سـلامَــتُـه — يومـاً عـلى آلةٍ حَـدْباءَ مَـحْــمـولُ
أُنبِــئْتُ أنَّ رســول الـله أوعــدَنِي — والعفـوُ عندَ رسولِ اللهِ مـأمُول(٤١)

ومثل هذه الصفحـات، بدلالاتها الذاتية، نطالع فيها شطراً كبـيراً من أشعار معن بـن أوس الذي دأب على تصوير نفـسه الزكيـة التي زكاها بمبـادئ الدين الحنيف، فغدت ترسم شرع الله، ومرت بنا تجربته مع ذي رحمه الذي ماانفك

(٤١) ديوان كعب، قراقو: ١١, ١٢، والقاهرة: ١٩، وإسلام كعب وقصيدته: ٨١.

يؤذيه، ومعن يحلم عنه، ويصبر عليه قـادراً، إبقاءً على صلات القربى، معلناً أنه[٤٢]:

وقد كنتُ أكـوي الكاشحين وأشـتفي ... وأقطعُ قطعـاً ليس ينفعـه الحَسْمُ
وقد كـنت أَجْزِي النُّكْرَ بالنكر مـثله ... وأَحْلُمُ أحـيـاناً ، ولو عَظُـمَ الجـرْمُ
أكـونُ له أن يُنْكَبَ الدَّهْرَ مِـدْرَهاً ... أكالب عنه الخـصمَ إن عضَّـهُ الخَصْمُ
وأُحلم عـنـه كُـلَّ أبـلـخَ طـامـحٍ ... ألدَّ شـديدِ الـشَّـغْبِ عـاينه الـغـشمُ
فـمـازلتُ في ليـني له وتعـطُّفي ... عليـه كـمـا تحنو عـلى الولد الأم
وخـفـضي له مني الجـناحَ تألُّفـاً ... لتَـدنِيَـهُ مني القـرابَـةُ والرَّحمُ
لأسـتلَّ منه الضِّغنَ حـتى اسْـتَلَلْتُـهُ ... وقـد كان ذا حـقـدٍ يضيقُ به الحِلْمُ
رأيتُ انْثـلامـاً بيـننا فـرقـعْتُـه ... برفـقي وإحـيـائي وقـد يُـرْقَعُ الثلمُ
وأبرأتُ غلَّ الصـدرِ منه تـوسُّعـاً ... بحلمي كـمـا يُشـفَى بالادوية الكَلْمُ

ومـرت بنا أيضاً أبيـاتُه التي افـتخـر فيـها بذاتـه الطهور، التي لم تقـارف الفواحش ولـم تسر إليها، وتؤمن بقضاء الله وقدره، في مبادأة طيبة:

لعـمـرك ، مـا أهويتُ كـفي لريبـةٍ ... ولا حـملتني نحـو فـاحـشـة رجلي[٤٣]
ولا قـادني سـمعي ولا بصـري لهـا ... ولا دلَّني رأيـي عليـهـا ولا عـقلي
وإنّيَ حـقـا لم تُصـبني مـصـيبـةٌ ... من الدَّهرِ إلا قـد أصابت فتى قـبلي[٤٤]

---

(٤٢) شعر معن، ليبزج: ٥-٩، وحياته وشعره: ٦-١٢، وديوانه، بغداد: ٤٠-٤٦. والكاشح: العـدو والمتـولي بوده. وينكب: يصـاب بنكبـة. والمدره: الذي يدفع عن القـوم مـابهم من مكروه. وأكالب: أخاصم، وأحلم: أكف. والأبلخ: المتـعظم. الطامح: الرافع رأسه نخوة. ألد: شديد الخصومة. والشغب: المشاغبة والشر. والغشم: الظلم.

(٤٣) شعره، ليبزج: ٢٥، وديوانه، بغداد: ٧٢.

(٤٤) شعره، جده: ٨٨: وأعلم أني لم تصبني. . . .

. . . ويطول بنا الحديثُ إذا أثبتنا كل ما يقابلُنا من صفحات ذاتية، لذا فإننا نكتفي هنا بالتنويه بما لمسناه، في الفصلين السابقين، عبر تناول المزنيين لظواهر الطبيعة وقضايا المجتمع الإسلامي، من حولهم، من ملامح ذاتية ينسرب من خلالها ملمح من ملامح عكوفهم على أنفسهم.

ويبقى لنا، في هذا المقام، أن نؤكد ما قد اتضح لنا عبر هذه الرحلة مع موضوعات الشعر المزني وأغراضه الفنية، من أن المزنيين، في إطار أحاديثهم، وتناولهم لأغراضهم وموضوعاتهم المختلفة، لم يُمزقوا شمل قصائدهم تمزيقاً، حتى يظهر كل غرض منفصلاً على حدة، دون تواصل وارتباط وانسجام مع غيره من الأغراض في أشعارهم، ولكنهم قد أكسبوا هذه الأغراض، ارتباطاً عضوياً، وجواً نفسياً يعتمد على عمق أحاسيسهم وحرارة انفعالاتهم، فبدت قصائدهم بوصفها كلاً متحداً، وإن تعددتْ أغراضها، وتنوعت موضوعاتُها، وهو الأمر الذي نستطيع استكناه بعضِ مظاهره، واستكناه جانب من أطرافه بحديثنا عن بناء القصيدة المزنية، وهو الحديث الذي أفرد له الفصل الأول من الباب التالي.

* * *

الباب الثالث

الظواهر الفنيّة في الشّعر المزني

الفصل الأول : البناء الفنّي للقصيدة المزنيّة

الفصل الثاني : لغة الشّعر المزني وموسيقاه

الفصل الثالث: الصّورة في الشّعر المزني

الفصل الأول

البناء الفنّي للقصيدة المزنيّة

البناء الفني للقصيدة المزنية

يغلب اتجاه كثير من دارسي الشعر القديم، بعامة، إلى شيء من الاعتقاد مع ابن قتيبة[1] وأنصاره من النقاد[2]، بأن ثمة تقاليد فنية معينة قد نهجها الشعراء الجاهليون، واقتدى بهم الإسلاميون، في بنائهم لقصائدهم الشعرية.. وحتى أتبين مدى خضوع الشعراء المزنيين في الإسلام لقواعد هذه التقاليد الفنية، من عدمه، سوف ألقي بعض الضوء عما بين يديّ من تراثهم الشعري، ثم أشير إلى موقعه بين القصيدة والمقطوعة، منتقلاً إلى الوقوف عند بعض عناصر البناء الفني للقصيدة المزنية، فجوانب من وحدتها الفنية..

أ - تراث المزنيين الشعري في الإسلام :

على رغم إشارة المعريّ (ت٤٤٩هـ) إلى أنه "لم يكن في مُزينة شعر يذكر.."[3] فقد تيسّر لي الاطلاع على ما يزيد على ثلاثمائة وألف بيت من أشعار المزنيين التي أنشدوها بعد إسلامهم (وهي الكمية التي تقارب تراثهم الشعري الجاهلي) موزعة على أكثر من ثلاثين شاعراً وشاعرة، ويستحوذ المخضرمون منهم على أكثر من (٨٥٠) بيتا، في شعر كعب بن زهير منها

---

(١) الشعر والشعراء، المعارف: ١/ ٧٤-٧٥.

(٢) العمدة، الجيل: ١/ ٢٣١ وفجر الإسلام: ٦٩-٧٠ وتاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: ٩٤ (لجنة التأليف)، وفي النقد الأدبي: ١٥٤، وتاريخ الشعر العربي للبهبيتي: ٧٤-٧٥، والشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول: ١٦-١٧، والشعر العربي في العصر الجاهلي: ١١.

(٣) رسالة الغفران: ٥٨٠.

حوالى (٤٧٥) بيـتا، وفي شعـر معن بن أوس أكثـر من (٣١٠) أبيات، وفي شعر بجير (٤٠) بيـتا، ولنعيم بن مُقرّن عشرة أبيات، ولبسـر بن عصمة أربعة أبيات، ولكل من ذي البجادين وخزاعى ابن عبد نُهم، والنعمان بن مقرّن ثلاثة أبيات، ولكل من ابنة زهيـر ونصر بن نصر بيتـان، ولكل من بلال بن الحارث وصفوان بن قدامة وابنه عبدالرحمن بيت واحد.

وللشعراء الإسلامـيين حوالى أربعمائة بيت، أكثرها من أشـعار عبدالله ابن أبي صبح (١٩٠) بيتا، وخارجة المللي (١٠١)، ولكل من المضرّب وابنه العوام (٣٥) بيتا، ولمكنف بن نميلة (٤٢) بيتاً، ولأبي المعـافى (١٦) بيتا، ولعمارة بن عبد ثمانية، ولزينب بنت عرفطة خمـسة، ولشبيب بن عقبة (٣) أبيات، ولكل من فليح المللي وعمرو بن رياح، وبعض المزنيين المجهولي الأسماء بيتان .

أما الشعراء الذين لم أستطع تبين عـصرهم الأدبي، فلم أضعهم في مكانهم الدقيق مع جيلهم، جاهـلية وخضرمة وإسلاما، فلهم مـا يُقارب مئة بيت، في شعر مضرس منها سبعة وثلاثون بيتـا، وفي شعر حسان بن الغدير أربعة عشر بيتـا، ولغزلان الثمـامي (١٢) بيتاً، وللجـعالي خمـسة أبيات، ولابن شـهاب أربعة، وللخنساء ثلاثة ولـوبرة والحاجب بيتان ولبعض المزنيين الآخـرين ثمانية أبيات. .

ب ـ الشعر المزني بين المقطوعة والقصيدة :

يدلنا استقـراؤنا لما أشرت إليه من تراث المزنيين الشعـري على احتوائه على تسع قصـائد يزيد طول كل منها علـى ثلاثين بيتاً، ست منهـا في شعـر كعب، واثنتان في شعر معن، وواحدة في شعـر عبدالله بن عمرو بن أبي صبح، وعلى اثنتي عشر قصيدة تتراوح أطوالها بين (١٦-٣٠) بيتا، أربعٌ منها في شعر كعب، واثنتان في أشعار كل من معن وخارجـة المللي، وواحدة في أشعار المضرّب وابنه العوام، وعبدالله بن عمرو ومضرّس بن قرطة. إلى جانب ست وعشرين قصيدة قصيرة، يـتراوح طول كلّ منها بين (٨-١٥) بيتا، منها ثمـان في أشعار كل من معن وعـبدالله بن عمـرو، وخمس في شعـر كعب، واثنتان في أشـعار كل من بجير وخـارجة، وواحدة في أشعار كل من نعيم بن مـقرّن، ومكنف والمضرب. وأكثر من مئة بيت ومقطوعة لايزيد طول كلّ منها عن سبعة أبيات منها (٢٩) في شعر مـعن، و (١٣) في شعر كعـب، و (٩) في شعر خارجة، و(٧) فـي شعر المضرّب، وست في شعـر ابن أبي صبح، وست في شعر أبي المـعافى، وخمس لكل من المحرّق وبجـير، وأربع في أشعار العـوام ومكنف، وثلاث لكل من بني قدامـة وحسان بن الغـدير وغزلان الشـامي، وبعض المزنيين الآخـرين، واثنتان لبسر، وبيت واحـد أو مقطوعة لكل من بلال بن الحارث وبنت زهيـر والجعالي وفليح المللي وخزاعى وذي البجادين وزينب بنت عرفطة وعمرو بن رياح والممزَّق وابن شهاب ومضرّس والحاجب والخنساء، والنعمان بن مقرن.

ويبلغ عـدد أبيات الفـئة الأولى من هذه الأشـعار (الأكثـر من ثلاثين بيـتا) أربعمـائة وثمانية أبيـات، بنسبة (١ر٢٩٪) من مـجموع مـاوصل إلينا، وأبيات الفئة الثانية (١٦-٣٠) مائتين وتسعة وثمـانين بيتا (٩ر٢٠٪) وأبيات الفئة الثالثة (٨-١٥) ثلاثمائة واثني عـشر بيتـا (٥٧ر٢٢٪)، وأبيـات المجموعة الأخـيرة:

(١-٧) ثلاثمائة وتسعة وسبعين بيتاً (١ر٢٧٪) .

وواضح من إجمالي هذا الإحصاء احتلال الأبيات المفردة والمقطوعات والقصائد القصيرة التي لا يتجاوز طولها خمسة عشر بيتا، مساحة كبيرة، تكاد تصل إلى نصف مجموع ما وصل إلينا من أشعارهم في الإسلام، وهي المساحة التي تنسجم إلى حد كبير مع إجمالي ما بين أيدينا من تراثهم الشعري جاهلية وإسلاماً من جهة، كما تأتلف مع مثيلاتها في عيون تراثنا الشعري العربي القديم، بعامة، من جهة أخرى.

واتساع هذه المساحة في أشعار المزنيين في الإسلام بهذه الصورة الواضحة يطرح أمام الباحث سؤالاً عما إذا كانت هذه الأبيات والمقطوعات والقصائد القصيرة تعد بمنزلة البقايا المتناثرة لأصول ضائعة من قصائد كانت مطولة أنشدها أصحابها، ولكنها لم تصل إلينا لأسباب أو لأخرى.. أم إنها قد وصلت إلينا كاملة في هيئاتها التي ترنم بها منشدوها دون أن يعتورها نقص؟!.

وافتقارنا إلى النصوص التي تؤكد أن ما وصل إلينا من هذه الأشعار هو صورة ناقصة عما كان في أصول إنشاده - يدعونا إلى التريث والحذر في الحدس والتوقع بأن أشعاراً مُزَنِيَّـةً كثيرة داثرة، فيما اندثر من تراثنا الشعري العربي، تريثا وحذراً لا يصلان بنا إلى التسليم المطلق بأن ما بين أيدينا من أشعارهم وأشعار معاصريهم، هو كلّ ما أنشدوه، بقدر ما يأخذان بأنظارنا إلى البحث عن مصادر أخرى، حوت بين ثناياها بعض هذه الأشعار التي يتوقع فقدانها..

وحتى تكشف لنا بطون المصادر عما قد تشتمل عليه من تراث شعري مفقود، لايسعنا إلا الاستنادُ إلى بعض الأدلة والقرائن التي قد ينطق بعضها بحدوث مثل ذلك النقصان، كالأبيات التي نصّ بعض الرواة على وجودها

ضمن أبيات مكملة لها، دون أن نعثر على هذه الأبيات المكملة، ومن ذلك ما قرره ابن حجر في ترجمته لصفوان بن قدامة المزني، من أنه "أقام بالمدينة حتى مات فرثاه ابنه عبدالرحمن بأبيات منها:

وأنا ابن صفوانَ الذي سبقتْ له
عند النبيّ سوابقُ الإسلامِ[٤]

وكإشارة بعض الرواة المبتورة إلى بيت عقبة المضرّب بن كعب:

فقلتُ لها : فيئي إليكِ ، فإنني حرامٌ وإني بعد ذاك لبيب[٥]

دون أن يشفعوا إشارتهم بنصوص أو روايات تكشف عن اسم هذه المرأة التي يوجه لها الشاعر قوله في هذا البيت، ولاصفاتها، ولا المناسبة، وهي إشارة تحمل في مضمونها على الاعتقاد بأن للبيت بقية لم تصل إلينا..

ومثل هاتين الإشارتين، في دلالاتهما، مايشعر به القارئ عند اطلاعه على أرجوزة معن بن أوس القصيرة في وصف النخلة، دون أن يشير إليها صراحة قائلاً[٦]:

كأنّما هِيْ عانسٌ تَصَدَّى تخشى الكسادَ وتُحِبُّ النَّقْدا

مما يدل على أن نقصاً قد أصاب هذه الأرجوزة، وخاصة في مطلعها.. وقد يصح هنا التنويه بما يدركه أيضاً، قاريء أشعار عبدالله بن عمرو بن أبي صبح وخارجة المللي في مدح عبدالله بن مصعب وآل بيته من الزبيريين وغير ذلك

---

(٤) الإصابة، الفكر: ٢/ ١٩٠، وملحق الشعر: ٥٢٠.

(٥) ملحق الشعر: ٥٨٨.

(٦) حماسة الخالديين: ٢/٢٤٧، وانظره في ملحق الشعر: ٥٣٧.

من الموضوعات التي خاضا بشعريهما فيها.. من افتقار معظمها إلى المقدمات الغزلية أو الطللية أو غيرهما مما نألفه في أشعار سابقيهما ومعاصريهما، ويبدو أن بعض هذه المدائح قد انتابها شيء من النقص، بدليل ما نطالعه من حذف المعطوف عليه، والاكتفاء بالمعطوفات في مثل قول ابن صبح مستهلاً [(٧)]:

فما عيشُنَا إلا الربيعُ ومصعبٌ ... يدورُ علينا مُصْعَبٌ ويَدُورُ

وقوله[(٨)]:

وقد علمتُ - ألا واللهُ يعلمُه - ... ماقلتُ زورا ولا من شيمتي المَلَقُ

وقول خارجة في بيت منفرد[(٩)]:

فقد جُعلتْ دواوينُ الغواني ... سوى ديوان ليلى يمّحينا

وقوله في بيت آخر[(١٠)]:

تخايلُها طرفُ السموِ لعاشقٍ ... هفا هفوةً ثم استفاق فَأكْذَبَا

وذهابي إلى احتمال تعرض هذه الأشعار وغيرها إلى الحذف والضياع لا يحجب عني الإيمان بأن الجمهرة من هذه الأبيات المتفرقة والمقطعات والقصائد التي تيسّر لنا الاطلاع عليها من تراث المزنيين قد تناقلت إلى أسماعنا عبر ذاكرة

(٧) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/٢١٢، وتاريخ بغداد: ٣/١١٣ وتاريخ دمشق: ١٦/٥٤٩، وانظر ملحق الشعر: ٥٦٨.

(٨) ملحق الشعر، ص: ٥٨٧.

(٩) الورقة: ٧٥، وانظر الملحق: ٥٦١.

(١٠) المصدر نفسه: ٧٤، وانظر ملحق الشعر: ٥٤٧.

التاريخ دون أن يصيبها شيء من الحذف أو النقصان.. إذ يبدو لقارئ كثير من هذه الأبيات المتفرقة والمقطعات والقصائد التي بين أيدينا أنها كانت بصورتها الحالية التي أنشدها منشدوها لما قد تحمله موضوعاتها أو مناسبات إنشادها أو حالات قائليها من الخروج من أفواههم بصورتها الموجزة التي ظلت عليها.. ومن ذلك الضرب أبيات الحكم والمواعظ الحسنة والأمثال والنصائح المتناثرة في سماوات قصائدهم ومقطعاتهم وأبياتهم، لكون هذه الأبيات خلاصة لتجارب، قد لا يتحتم أن تحمل في طياتها التفاصيل، كقول كعب، في تقريره الإيمان بالقدر(١١):

لو كنتُ أعجبُ من شيء لأعجَبني ... سعيُ الفتى وَهْوَ مخبوءٌ له القدرُ
يسْعى الفتى لأمورٍ ليس يدركُها ... والنفس واحدةٌ والهمُّ منتَشِرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أمل ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهي الأثرُ
لومُ الفتى نفسَه من دون عاذلةٍ ... يُثني عيه ولومُ النفسِ يُغْتَفَرُ

وقوله في الحكمة(١٢):

لا تفشِ سرَّك إلا عند ذي ثِقةٍ ... أوْ لا، فأفضلُ ما استودعتَ أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا صَمِتا ... لم تخشَ منه لِما استودعتَ إظْهَارا

وقول بجير في تبيان مذهبه(١٣):

إلى الله وجهي والرسولِ ومن يُقِمْ ... إلى الله يوما وجهَهُ لا يُخَيَّبِ

(١١) ديوان كعب، القاهرة: ٢٢٩، والبصائر والذخائر: ٣/ ٤٤٦.
(١٢) شرح نهج البلاغة، بيروت: ١/ ١٤٦ وغرر الخصائص: ١٨١.
(١٣) مناقب آل أبي طالب: ١/ ١٦٨، وانظر ملحق الشعر: ٥٠٨.

كـما يجـوز أن تكون القـصـائد الموجزة التي أنـشدها بعض المزنـيين قُبـيل خوضهم مع قومـهم غمار الحروب ومعارك الفتـوحات، أو في أثنائها، أو بعد الانتهـاء منها - من هذا الضرب الذي تكون أبيـاته موجزة لحال التـرنم بها. . وغير بعيدة عن أسماعنا تلك المقطعات والقصائد التي ترنم بها كل من بلال بن الحارث وبُجير بن زهير ونعيم بن مقرن وأخـيه النعمان وغزلان الثمامي في هذا الصدد. .

وشبيه بأمر هذه المقطعات والقصائد القصيرة تلك المقطعات التي نراها ترجمة وتجسيداً ومعايشة لما قد يتعرض له بعض الشعراء من محن وكوارث وقتية طارئة لاتعينهم مناسبـتها على ترجمتهـا وتجسيدها بشيء من التفصـيل، فمن ذلك ما أنشـده كعب، يحكي فـيه من أمـر ابنتـه التي راحت تنعي عليه حـبه لأرضـه وتمسكه بهـا على رغم ما تراه من فقـر وعوز، فـيعلن لهـا أن الذي ألهاه عن السعي في الأرض إنما هو انضمامه إلى عصابة دأبت على الغدوّ إلى الصيد عند وادي (رُهمان)[١٤]:

تقـولُ ابنتي : ألهى أبي حبُّ أرضِـه وأعــجبــه إلفٌ لهــا ولزومُـهــا
بَلَ ألْهـى أباها أنه فـي عــصـــابة بـ(رَهمـانَ) أمسى لا يُعـادُ سقـيمُـها
تســاقَــوْا بماء مـن بلاد كـــأنه دمـاءُ الأفــاعي لا يُبِلُّ سليـمُــهـا
مـجـاجاتُ حَـيَـاتٍ إذا شـربوا بهـا سَـمَـا فـيهـمُ سُوارُها وهَـميـمـهُـا

---

(١٤) ديوان كعب، قراقو: ١٣٤ والقاهرة: ٢٣١-٢٣٢، والأحول: ٧٩-٨٠.

ألهى: شغـل. وإلف المكان: تعوده واسـتأنسه. والعـصابة: الجـماعة. ورهـمان: واد في ديار غطفان. ويعـاد: يزار. وتساقوا: سـقى بعضهم بعضـا. والمجاجات: مـامج من السم. سَوْرَة الخمر وسُوَارها: حدّتها. وهميم الخمرة في العظام: دبيبها.

وأخذ معن بن أوس يصف ماتم له، وقد كف بصره، عندما مر عليه عبيدالله بن العباس المطلبي، فسأله عن حاله، فقال له ضعُف بصري وكَثُرَ عيالي وغلبني الدَّيْنُ، فقال: وكم دَيْنُك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فبعث بها إليه، ثم مر به من الغد فقال له: كيف أصبحت يامعن؟! فقال[١٥]:

أخذتُ بعين المال حتى نَهِكْتُه وبالدَّيْنِ حتى ما أكادُ أُدانُ
وحتى سألتُ القرضَ عند ذوي الغنى وردَّ فلانٌ حاجتي وفلانُ

ومثل هذه النونية رائيته الرجزية التي أنشدها عندما وقع فرسه في حفرة؛ مما أوقع صاحبه، وهو في طريق رحلته إلى الشام[١٦]...

ومن البديهي أننا نقصد بما ذهبنا إليه من أحكام سابقة مابين أيدينا من أشعار المحترفين، الذين عُرفوا بالتجويد والإكثار والإطالة في قرضهم للشعر، دون أن نعممها على أشعار الهواة الذين لم يتخصصوا في فن الشعر، ولم يعرفوا بإنشاده إلا قليلاً، أو في حالات نادرة، وإنما نطقت به قرائحهم منفعلة بسجيتها ببعض الأحداث الهامة في حياتهم، دون تروٍ، أو معاودة نظر، أو تثقيف.. لذا فإننا لا نعجب إذا رأينا الجمهرة من أشعار هؤلاء الهواة كالخنساء أخت زهير ووبرة ابنته وبسر بن عصمة، وبلال بن الحارث وخزاعى بن عبد نهم وذي البجادين، وغزلان الشامي، وغيرهم.. عبارة عن عدة أبيات قليلة أو مقطعات قصيرة خالية، إلى حدّ كبير، من مظاهر الصنعة الفنية، وتعدد الموضوعات وغيرها مما سنتوقف على جانب منها بعد قليل..

---

(١٥) ديوان معن، بغداد: ١١٤.

(١٦) ديوانه، بغداد: ١٠٥.

وبمعاودة النظر في هذه الأبيات المفردة والمـقطعات، التي لا يتجاوز طول كل منهـا سبـعة أبيـات، ندرك أن كلا منـها يشـتمل، في أغلب الأحـوال، على موضوع واحد بعينه، في إيجاز واقتضاب، دون محاولة تفصيل، أو إطالة، أو تمهيد. . مما يجعلنا لا نتوقف عندها طويلاً في بحثنا الذي نفرد له صفحاتِ هذا الفصل، مُـنتقلين إلى النظر في قـصائد الفـئات الثلاث الأخـرى، لنرى، عن قرب، مكوناتِ بنائها الفني. .

جـ - عناصر البناء الفني للقصيدة المزنية :

لتعرُّف مدى مسايرة المزنيين، أو عدم مسايرتهم لما يظن من ترسُّم خُطا معاصريهم لأسس منهجٍ فنيّ في بناء القصيدة - سأحاول قراءة موضوعات مابين يديّ من القصائد المزنية قصيرها ومتوسطها وطويلها، وهي المحاولة التي أبسط نتيجتها في السطور التالية:

أ ـ القصائد القصيرة :

يتبين للمطالع في شعر كعب بن زهير أن قافيّته[١٧] المكونة من ثمانية أبيات لم يتطرق فيها الشاعر لأي موضوع، سوى الحديث عن إيمانه المطلق بالقدر، والتسليم بحتمية الموت والتحكم في الأرزاق، من قبل الله سبحانه.. وفي لاميته التي تساوي أبياتها عدد أبيات هذه القافية[١٨] أفرد الحديث لمخاطبة أحد الناس، الذي تعرض له ببعض السوء، موجهاً له مجموعة طيبة من الحكم والنصائح السديدة.. وفي ميميته[١٩]، التي تسايرها في عدد الأبيات، خصص حديثه لحكاية أمر جماعة من أهليه وصحبه جاؤوا ناصحين له بشراء بعض الأغنام التي يربيها، فيقتات منها، وهو يرد عليهم بأنه يخشى من جشع الذئب، الذي دأب على السطو ضارياً على غنمه، دون أن يترك فرصة تفوته للفوز بمنيته.. وفي عينيته المشتملة على ثلاثة عشر بيتا[٢٠]، لم يطرق الشاعر موضوعاً غير رحيله إلى قومه، ليدعوهم إلى نعمة الإسلام.. وفي قافيته

---

(١٧) ديوان كعب، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

(١٨) ملحق الشعر، ص: ٥٣٤.

(١٩) ديوانه، قراقو: ١٢٩-١٣١، والقاهرة: ٢٢٤-٢٢٦، والأحول: ٧٨-٧٩.

(٢٠) ديوان كعب، قراقو: ٦١-٦٢، والقاهرة: ١١٢-١١٣، والأحول: ٥٧-٦٢.

المحتوية على أربعة عشر بيتاً[٢١] تحدث في بيتين عن مظاهر الشيب، التي باتت تلاحقه ، مفتخراً في بيت واحد، بما حـققه أبوه من تفوق شعري، منتقلاً إلى وصف رحلة الظعن في بقية الأبيات. .

وفي عينية معن بن أوس المكونة من ثمانية أبيات[٢٢] لا نجد موضوعا سوى حديثه عن قلوصه بالحجاز. . وفي النونية التي تساويها في عدد الأبيات[٢٣] لم يتكلم في موضوع غـير حفيظته على ابن أخـيه الذي اقتاد ابن الشاعـر معه في رحلة إلى الشـام، فـتـعـرض هذا الابن للـطعن الذي أودى بحـيـاته. . وفي العينية[٢٤] التي تتكون كذلك من ثمـانية أبيات لم يطرق الشاعـر باب موضوع غير الرثاء. . وفي لامـيته التي تزيد عليهـا ببيت واحد[٢٥] بدأ الشاعر بتـوجيه سهـام هجائه لمن يدعى (عـبيدالله) أحـد أبناء ثور مفـتخراً عليـه بكثرة قـومه وقـوتهـم في إدارة دفـة الحروب والسـيطرة على زمـام الأمور. . وفـي البائيـة المشتملة على اثنى عـشر بيتاً[٢٦] تحدث معن في البـيت الأول عن طيف خيال محبوبتـه، الذي أتاه ليلاً، منتقلاً منه إلى وصف سير هذه المحـبوبة من منازلها حتى وصـولها إليـه. . . وفي الميميـة التي تسايرها في عـدد الأبيات[٢٧] توجه لعاصم بن عـمر بن الخطاب، مـستهلاً مـدحه له، بثـلاثة أبيات، عن وصف الطيف الذي راوده من تذكر أحبـابه ؛ فمنعه النوم، وجعله يتخيـل أشياء تدعو

---

(٢١) المصدر نفسه، قراقو: ١٠٦-١١١، والقاهرة: ١٩٠-١٩٨، والأحول: ١٢-١٦.

(٢٢) ديوان معن، بغداد: ٨٧-٨٨.

(٢٣) المصدر نفسه: ٧١-٧٢.

(٢٤) نفسه: ١٠٧ - ١٠٨.

(٢٥) نفسه: ٧٣-٧٥.

(٢٦) ديوان معن: ٥٤-٥٦.

(٢٧) المصدر نفسه: ٦٥-٦٨.

إلى التطير، منتقلاً إلى وصف بعيره الذي استعان به في رحلته، وفي لاميته التي تشترك مع هاتين القصيدتين في عدد الأبيات[٢٨] أفرد الحديث عن فخره بحسبه ونسبه وقوة عوده ورزانة عقله وحسن خليقته، وفي لاميته المشتملة على خمسة عشر بيتا[٢٩] أفرد الشاعر حديثه لخطاب أحد أصدقائه الذين تربطهم به وشائج قربى ونسب، كاشفاً عن صفحة من صفحات حياتهما السالفة، راجياً أن يعود لهما صفو الحياة في مستقبل أيامهما..

وفي صادية عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المكونة من ثمانية أبيات[٣٠] لم يتحدث الشاعر في موضوع غير تعلق قلبه بأحبته، على رغم ما اعتراه من شيب، في ثلاثة أبيات، ووصف رحيلهم في الخمسة الأخرى... وفي الدالية[٣١] المشتملة على تسعة أبيات يطالعنا مدحه لمصعب بن ثابت الزبيري في ثلاثة أبيات، ورثاؤه لعبدالله ومحمد ابنيه في الأبيات المتبقية، وفي الميمية الرجزية[٣٢] المحتوية على عشرة أبيات أفرد الحديث لمدح أبي بكر عبدالله بن مصعب، ووصف ماتمتع الناس به من أمن على عهد ولايته للمدينة المنورة... وفي داليته التي تزيد عليها بيتا واحداً[٣٣] استهل الشاعر مدحه لعبدالله بن مصعب بحكاية بعض ما دار بينه وبين زوجته، بخصوص سفره إلى هذا

(٢٨) نفسه: ٨٥-٩٦.

(٢٩) ديوان معن: ٩٣-٩٤.

(٣٠) التعليقات والنوادر، خ، الهندية، ص: ٤٠٨، وط. العبيكان، ٢/ ٧٠٧، وملحق الشعر، ص: ٥٧٠.

(٣١) جمهرة نسب قريش: ١/ ١٥٢-١٥٣.

(٣٢) المصدر نفسه: ١/ ١٦٥، وانظر ملحق الشعر: ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

(٣٣) المصدر نفسه: ١/ ٢١١-٢١٢، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥٢، وانظر ملحق الشعر: ٥٦٦ - ٥٦٧.

الممدوح... وفي الميمية المشتملة على اثني عشر بيتاً[٣٤] أفرد الحديث لمدح مصعب بن عبدالله... وفي الدالية المكونة من أربعة عشر بيتا[٣٥] أفرد حديثه أيضاً لمدح مصعب وابنه أبي بكر... وفي القافية التي تساويها في عدد أبياتها، سلك المسلك نفسه[٣٦]... وفي الكافية التي تزيد عليها بيتاً واحداً[٣٧] كرر مافعله في داليته الأولى، بسرد جانب من حديثه مع زوجته، عند توديعها إياه، قُبيل رحلة سفره إلى ممدوحه..

ودالية[٣٨] خارجة المللي المكونة من أربعة عشر بيتًا، ورائيته[٣٩] التي تزيد عليها بيتًا واحدًا، أفردهما لمدح عبدالله بن مصعب الزبيري.

وفي قافيَّة بجير المشتملة على تسعة أبيات لم يتطرق إلا لوصف جانب من وقعتي الطائف وحنين[٤٠]... وفي فائيته المكونة من ثلاثة عشر بيتا[٤١] لا نجد حديثاً غير ما أفرده الشاعر لوصف فتح مكة وما سبقه من تعبئة القوى اللازمة له، وما تلاه من نصر مؤزر للإسلام والمسلمين.

وفي نونية نعيم بن مقرّن التي وصلت إلينا في عشرة أبيات، لا يطالعنا سوى حديث الشاعر عن قيادته لجيش إسلامي أوقع الهزيمة "بموتا" ورهطه من

---

(٣٤) جمهرة نسب قريش: ١/ ٢١٣-٢١٤، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥٢، ملحق الشعر: ٥٨٣.

(٣٥) جمهرة نسب قريش: ١/ ١٤١-١٤٢، وملحق الشعر: ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٣٦) جمهرة نسب قريش: ١/ ٢٠٩-٢١٠، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥١-٥٥٢، وملحق الشعر: ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٣٧) الجمهرة: ١/ ٢٠٨-٢٠٩، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٤٩-٥٥٠، وملحق الشعر: ٥٧٥-٥٧٧.

(٣٨) جمهرة نسب قريش: ١/ ١٧٠-١٧٢، وملحق الشعر: ٥٥٠-٥٥٢.

(٣٩) المصدر نفسه: ١/ ١٣٥، وملحق الشعر: ٥٥٧ - ٥٥٨.

(٤٠) ملحق الشعر، ص: ٥١٢-٥١٣.

(٤١) ملحق الشعر، ص: ٥٠٩-٥١١.

بني باسل وغيرهم من الأعاجم "بواج الروذ"[٤٢]..

وفي رائية مكنف بن نميلة المحتوية على عشرة أبيات أيضاً يخصصها الشاعر لرثاء ذفافة العبسي[٤٣]..

وواضح من قراءتنا لنتيجة هذا الاستقراء أن تسع عشرة قصيدة من هذه القصائد القصيرة قد اقتصرت كلّ منها على موضوع واحد بعينه، دون التطرق لموضوعات أخرى، وأن خمسا منها قد اشتلمت كل منها على موضوعين هما: الطيف والخيال ورحلة الظعن، أو الهجاء والفخر، أو المدح والرثاء، أو الحديث الزوجي والمدح، بينما احتوت واحدة منها فقط على ثلاثة موضوعات هي الطيف والمدح ووصف الناقة، وتضمنت الأخرى على موضوعات وصف الشيب والفخر ورحلة الظعن..

ب ـ القصائد المتوسطة والطويلة :

في الرد على سخرية مُزَرِّد الغطفاني واستهزائه بكعب بن زهير أفرد هذا ميمية[٤٤] من ثلاثة وعشرين بيتاً، بدأها بالتساؤل عما أصاب أطلال محبوبته، من عفاء، في بيتين وشطر البيت، مقرراً أنه يرحل مستعيناً بناقة قوية صلبة، في بيت وشطر بيت آخر، منتقلاً إلى توجيه سهام هجائه لمزرد، مفتخراً عليه بنفسه وبمكانة أبيه وقومه في المجتمع، في الأبيات الأخرى.. وفي قافيته المكونة من أربعة وعشرين بيتا[٤٥]، توقف بأطلال "نوار" التي ارتحلت عنها

(٤٢) ملحق الشعر، ص: ٥٤١-٥٤٢.

(٤٣) ملحق الشعر، ص: ٦٠٩-٦١١.

(٤٤) ديوان كعب، القاهرة: ٦١-٦٩، والأحول: ١٠-١٢.

(٤٥) ديوان كعب، القاهرة: ٢٣٣-٢٣٩.

مستعـينة بناقة قوية سريعة السيـر في أحد عشر بيتا، منتقـلاً إلى وصف مشهد (القطاة) التي فاجـأها البازي على حين غـرة، دون أن تستسلم له، مما جـعلها تفوز بإعجاب الشاعـر، وتدعوه إلى تذكر أيام شبابه الفتية وطـموحاته المتجددة الموصولة "بهند" في بقية الأبيات..

وفي نونيته التي تساوي أبيات هذه القافية(٤٦) بدأ بوصف جانب من ملاحاة زوجته له؛ بسبب ما باتت تراه من شيخوخته وعجزه، في عشرة أبيات، منتقلاً إلى الحنين إلى ذكريات ماضيـه، في خوض الفلوات الشاسعة، مستـعيناً بناقته السهلة الانقياد له، في الشطر الثاني من الأبيات..

وفي رائيـته التي مـدح بهـا الإمام علي بـن أبي طالب رضي الله عنه(٤٧)، استهل حديثه بالتغزل في "رملة"، في خمسة أبيات، ووصف رحلة ظعنها في ستة عشر بيتاً، وأفرد بقية الأبيات للمدح.

وفي لامية معن بن أوس(٤٨) التي مدح بها سعيد بن العاص رضي الله عنه توجه لموضوعه من الشطر الأول في القـصيدة، مقرراً أنه قصده مسـتعيناً بمطية من كرام الإبل في بيت واحد..

وفي لامية أخرى له(٤٩)، مكونة من ثلاثين بيتـا، بدأ بسؤال نفسه عـما إذا كان سيبقى على وصل "نعم" أم سيـهجرها، رداً منه على هجرانها له في بيت واحد، منتقلاً إلى رسم صـورة فنية متكاملة لعناصر جمالهـا، في ستة أبيات،

(٤٦) المصدر نفسه: ٢١٣-٢٢٣، والأحول: ٤٢-٤٥.

(٤٧) منتهى الطلب، خ، ١/٩-١٠، ومطبـوعة فرانكفورت: ١/١٨-١٩، وانظرها ملـحقة في آخر ديوانه: القاهرة: ٢٥١ - ٢٥٤.

(٤٨) ديوان معن: ٤٧-٥٣.

(٤٩) المصدر نفسه: ٥٧-٦٣.

آخذاً في وصف رحلة ظعنها في عشرة أبيات، معرجا، في بقية الأبيات، على أقباس من الحكم والمواعظ والفخر. .

وفي رائية خارجة المللي المشتملة على ستة عشر بيتا لا يطالعنا سوى مدحه لعبدالله بن مصعب الزبيري وآله(٥٠). . وفي رائيته الأخرى المكونة من تسعة وعشرين بيتاً(٥١)، بدأ بأحد عشر بيتا متغزلاً بليلى، ووصف غربته عنها، وسهده، داعياً بالسقيا لمنازلها، ولأرض الجعفريين، التي يقيم بها بنو الطيار، مفرداً بقية الأبيات لمدحهم، والثناء على محمد بن جعفر منهم بخاصة. .

وفي فائية عبدالله بن عمرو المشتملة على ستة عشر بيتا(٥٢)، بدأها بخطاب نفسه، ناصحاً لها بالتخلي عن ليلى وغرامها، في بيتين، وانتقل إلى المدح والثناء على عبدالله بن مصعب وابنيه أبي بكر ومصعب الزبيريين. .

وفي حائية عقبة بن كعب المحتوية على واحد وعشرين بيتاً(٥٣) يطالعنا وقوفه بالأطلال وتغزله ووصف شيبه في خمسة أبيات، ثم غزل ونسيب في عشرة أبيات، فوصف الناقة في ستة أبيات. .

وفي دالية العوام ابنه(٥٤) يلاحظ القارئ عكوف هذا الشاعر في قصيدته المكونة من أربعة وعشرين بيتاً ـ على فن الغزل فحسب، وهو الأمر نفسه تقريبا الذي نجده في قافية مضرس بن قرطة المشتملة على ثلاثين بيتا، إذ لم يتطرق

---

(٥٠) جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٦٩-١٧٠، وملحق الشعر: ٥٥٥-٥٥٦.

(٥١) التعليقات والنوادر، خ، الهندية: ١٢١، وط. العبيكان، ٢/ ٢/ ٦١٤-٦١٥؛ وانظر ملحق الشعر: ٥٥٢-٥٥٤.

(٥٢) جمهرة نسب قريش: ١/ ١٤٠، وملحق الشعر: ٥٧١-٥٧٢.

(٥٣) ملحق الشعر، ص: ٥٩٠-٥٩٣.

(٥٤) ملحق الشعر، ص: ٦٠١-٦٠٥.

الشاعر فيها لموضوع سوى الوقوف الموجز على الأطلال في ثلاثة أبيات، وأفردها بعد ذلك للغزل(٥٥)..

وقارئ السطور السابقة يلاحظ أن قصيدة واحدة من مجموع هذه القصائد قد أفردها صاحبها لفن شعري واحد هو الغزل، وأن قصيدة أخرى قد أفردها منشدها للمدح، وأن أربعا قد جمع أصحابها في كلّ واحدة منها بين غرضين شعريين، وقع الغزل والمديح في اثنتين منها، وجاء المدح ووصف الناقة في الثالثة، والغزل ووصف الأطلال في الرابعة.. واشترك كلّ من وصف الشيب والرحلة والناقة في قصيدة واحدة، وحلّ الوقوف بالأطلال والغزل محل الرحلة في ثانية، والتقى الغزل ورحلة الظعن والمدح في ثالثة، واندمج كلّ من وصف الطلل والناقة والهجاء والفخر في رابعة، والغزل ورحلة الظعن والحكمة والفخر في خامسة، والطلل والرحلة والناقة والقطاة والنسيب في سادسة..

وفي رائية الأنصار التي خصص فيها كعب بن زهير ثمانية وعشرين بيتا للثناء على ممدوحيه (رضي الله عنهم)، اختتمها باثنى عشر بيتا وصف فيها رحلته في الفيافي، مستعيناً بناقته الفريدة(٥٦)..

وفي رائيته الأخرى المشتملة على سبعة وخمسين بيتا(٥٧)، بدأ بوصف جانب من ملاحاة زوجته له؛ بسبب مارأتْهُ من كبر سنه وضعفه، في حوالى أحد عشر بيتاً، منتقلاً إلى الحنين لماضيه، وتذكر أيامه السالفة، رحّالا يجوب الصحاري، غير هيَّابٍ ما قد يعترضه فيها من صعوبات وشدائد، مستعيناً بناقته القوية الصلبة.. في الأبيات المتبقية..

(٥٥) ملحق الشعر، ص: ٦٢٤-٦٢٨.

(٥٦) ديوان كعب، قراقو: ١٦-٢٥، والقاهرة: ٢٥-٤١، والأحول: ٣-٩.

(٥٧) ديوانه، قراقو: ٨٥-١٠٢، والقاهرة: ١٥٣-١٨٤، والأحول: ٣٤-٣٥.

وفي فائيتــه المكونة من ثلاثة وثلاثين بيتاً[٥٨]، بدأ بوصف شيبه وجانب من حماقة زوجته العجوز مثله، في ثمانية أبيات، مكرراً مسلكه في رائيته السابقة، بالعودة إلى ماضــيه الذي قضى منه سنينَ طويلة جوّاباً للصحــراء المقفرة، على ناقة سريعة قوية، ومصوراً كل ما يعترضه في طريق سفره في الأبيات الباقية..

وفي قصيــدة (بانت سعاد) التي تضم، في بعض الروايات، أكــثر من ستين بيتاً، بدأ بالغزل بسعاد، راسماً لها صورة فنية مكتملة الجوانب، في سبعة عشر بيتا، منتقلاً إلى وصف الناقة في اثنين وعــشرين بيتاً، فوصــف مايضطــرم بيــن جوانحــه مــن توتــر وقلق وخــوف، قبيل لقائه النبيَّ ﷺ واعــتذاره له والثناء عليه وعلى صحابته المحيطين به، في ستة وعشرين بيتاً..

وفي لاميته الأخرى التي تحتوي على اثنين وخمسين بيتاً[٥٩]، وصف مشيبه، ولوم زوجــته، وعــذلهــا إياه؛ بسبب مــا رأته من تبــدل لون رأسه، وضــعف جسمــه، في أربعة أبيات، منتــقلاً إلى وصف جانب من جوانب قــوته، ورغد عيشه، في سالف شبابه، بوصف بعض مشاهد لهوه بشرب الخمر، في صحبة من الأشراف الظرفــاء، مثله، في ستــة أبيات، كاشــفا عن صفحــة أخرى من صفحات عمره، التي سطرها فارسا يجوب الصحراء المرعبة، بكل ما تحويه من مخلوقات ضارية فتــاكة، مستعيناً بناقته، عــارضاً في أثناء سرده لهذا الوصف، مــشاهد من رحلتــه مع الذئب والغــراب في اثنين وثلاثين بيــتــا، مقــرراً إيمانه بمجمــوعة ساميــة من القيم الإسلاميــة الرشيدة، كــالتوكل على الله، والإيمان بعظيم قدرته وحــفظه، في سبــعة أبيات، منتَــهِيًا إلى الفــخر بقدراته الشــعرية الفائقة، في أربعة أبيات..

---

(٥٨) المصدر نفسه، قراقو: ٤٣-٤٩، والقاهرة: ٧٠-٨٨، والأحول: ١٦-٢٤.

(٥٩) نفسه، قراقو : ٢٥-٣٧، والقاهرة: ٤١-٦٠، والأحول: ٣٥-٤٢.

وفي لاميتـه المشتملة على واحد وثـلاثين بيتا[٦٠] بدأ بالوقوف بأطلال "أم شداد"، في بيـتين، وانتقل منه إلى التـغزل بهـذه المحبوبة في سـبعـة أبيات، معـرجاً على سـبب من أسباب بينونـتها له، وهو وصـوله إلى مرحلة العـجز والشـيخـوخة، في ثلاثـة أبيات، مـقرراً بعض النـصائح في بيت واحـد، ثم استرسل إلى استعادة ذكرياته الجميلة، بوصف ترحاله في الصحراء على ناقته، في بقية الأبيات..

وفي دالية مـعن بن أوس التي تتضـمن خمـسة وأربعين بيـتا[٦١] استـهلها بالوقوف على الأطلال، ووصف المرتحلين عنها، في اثنين وعشرين بيتا، منتقلاً في الشق الثانـي من قصيـدته إلى سرد جانب من مـحاوراته هو وزوجـته عن النظام الاقتـصادي الأمثل للأسـرة، مقرراً مجـموعة طيـبة من الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق..

وفي ميمـيته[٦٢] المكونة من أربعة وخـمسين بيتـا، بدأ بوصف الأطلال وما أصابها من عـفاء بعد رحيل أهليها عـنها، في خمسة أبيات، فـوصف مفصل لنُعْم، يستغرق خمسة عشر بيتا، فسرد لجانب من حلمه ومحافظته على وشائج رحمه مع بعض السفهاء من ذوي قرباه، في الأبيات الباقية..

وفي اللامية[٦٣] التي رد بها عبـدالله بن عمرو على قصيدة مـهجوه ـ حاتم ابن مـدرك أحد بني الحـارث ـ بدأ بتحـية (الذلفـاء) و(جُمْل) والدعـاء لهمـا ولمنازلهمـا بالسُّقيا، في ثمـانية أبيات، منتـقلاً في الأبيات الأخرى إلى توجـيه سهام هجائه للمهجو، مازجاً في خطابه له بين الفخر والهجو والعتاب..

---

(٦٠) ديوان كعب، قراقو: ٤٩-٥٦، والقاهرة: ٨٩-٩٩، والأحول: ٦٩-٧٣.

(٦١) ديوان معن: ٧٦-٨٢.

(٦٢) المصدر نفسه: ٣٥-٤٦.

(٦٣) التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٤٥٩، ومطبوعة بغداد: ٢/٢٥٨, ٢٦١، وط. العبيكان، ٢/٧٠٧ - ٧٠٩، وملحق الشعر: ٥٨٠-٥٨٢.

وغير خاف عند مطالعتنا للسطور السابقة أن قصيدة واحدة من هذه القصائد التسع، قد انفردت بغرضين اثنين فقط، هما: المدح ووصف الناقة، بينما جاء وصف الأطلال والغزل وبعض الصور الاجتماعية في قصيدتين، واجتمع وصف الشيب والرحلة والناقة في اثنتين، واندمجت التحية وطلب السقيا والهجاء والفخر والعتاب في قصيدة، والغزل ووصف الناقة والاعتذار والمدح في قصيدة أخرى، ووصف الأطلال والغزل والحكمة ووصف الرحلة والناقة في ثالثة، والتقى وصف الشيب والخمر والرحلة والذئب والغراب والقيم الدينية والفخر في رابعة.

ويستفاد من إجمالي هذه الاستقراءات الثلاثة أن الشعراء المزنيين لم يخضعوا في الجانب الأكبر من قصائدهم لقواعد ثابتة، أو شبه ثابتة من دعائم منهج فني معين، وإنما صدروا في بنائهم الفني لقصائدهم عن دوافع نفسية مختلفة، استوحوها من نظم معايشهم المتنوعة بتنوع البيئات والأذواق التي امتلكوا أزمتها..

وتأخذ هذه الملاحظة بأيدينا إلى الوصول إلى جانب حيوي آخر من جوانب بنائهم الفني لقصائدهم؛ وهو ما يتعلق بمدى توافر عناصر الوحدة الفنية أو العضوية في هذه القصائد، من عدمه، وهو الجانب الذي أفرد له الصفحات التالية..

د - وحدةُ الشعر المزنـــي :

تعترض الباحث في وحدة الشعر المزني مشكلتان أساسيتان ؛ أولاهما: نظرة بعض الباحثين والشعراء والنقاد المحدثين من المستشرقين[1] والعرب[2] إلى عدم توافر هذه الوحدة في الشعر العربي القديم المواكب لشعر مزينة في الإسلام. .

والحقيقة أن هذه النظرة لا تخلو من التعسف والجور لاستنادها إلى التعميم المُخلّ بالموضوعية من جهة. . ولتطبيقها قواعد النقد الأدبي وأحكامه على شعرنا القديم الذي نشأ وتطور في ظل ظروف، تختلف دون أدنى شك، عن ظروف نشأة الأدب الأوربي الحديث، وتطوره من جهة أخرى.

أما المشكلة الثانية في هذا الصدد، فهي عدم اتفاق النقاد على مفهوم محدد المعالم لوحدة العمل الفني بعامة، والشعري بخاصة؛ فمنهم من يرى أنه لكي تتحقق الوحدة فلابد من وجود عاطفة سائدة تضم مجموع الصور والأفكار في كلّ واحد[3]. .

ومنهم من يؤمن بوحدة التجربة والعمل الفني، ذاهباً إلى أن التجربة تمتاز بمادتها التي تتألف منها، ثم بالوحدة التي تؤلف أجزاءها وتجعل منها تجربة موحدة في نفس المؤلف[4]. .

---

(١) ينظر مثلاً: بركلمان: تاريخ الأدب العربي: ١/٥٧-٦١. وجب: المدخل في الأدب العربي: ٢٩، وغررنباوم: دراسات في الأدب العربي: ٤٢، ونيكلسون: تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام: ١٣٦، وجوتييه: المدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية: ٦٣.

(٢) ينظر مثلاً: ساعات بين الكتب: ٢/١٠٥-١٠٦، والمدخل إلى النقد الأدبي الحديث: ٤٥٧ والشعر المصري بعد شوقي: ١/١٨-١٩ وفي النقد الأدبي: ١٤١-١٥٥، والخيال الشعري عند العرب: ١١٤-١٢٨ ودراسات في الشعر والمسرح: ١٢-١٣.

(٣) كولردج: ١٦٨.

(٤) قواعد النقد الأدبي: ٥١ وما بعدها.

وتشير (اليزابيث درو) إلى البناء العضوي للقصيدة بوصفه تنظيم الانفعالات وإخضاع التعدد للوحدة، واستخراج النظام من الفوضى، بكون القصيدة عضوية منسجمة، تُحوّل غموض الحياة وتناثرها وتفاهتها إلى وضوح العمل الفني ودقته، وكمال صورته، معتقدة أن الوحدة العضوية غير الوحدة المنطقية، في أنها ليست خلاصة للأجزاء المفردة التي تتكون منها، ولكنها تنسيق للعلاقات الحية بين العبارات والصور، يقوم به الشاعر، ليجعلها، جميعاً، تثير، أو تسند أو يَنْسَخ بعضها بعضا[٥]..

ويستخدم (العقاد) مصطلح "الوحدة المعنوية" للقصيدة، مقرراً أهمية انتظامها بخاطر واحد، وشعور كامل، حتى تصير أبياتها موجة تدخل في موجة لاتنفصل من التيار المتسلسل الفياض[٦]..

أما (السحرتي) فيميل إلي جعل وحدة القصيدة رباطاً يضم التجربة، والصور، والانفعالات، والموسيقى، والألفاظ في وشاح خفي أثيري، يتكامل فيه القصيد، وتدب فيه الحياةُ عن طريق دوران أبيات القصيدة، دوراناً منطقياً شعرياً، وتنتقل هذه الأبيات تنقلاً فكرياً، عن طريق توافر التجربة الشعرية وعرضها عرضاً جميلاً، وباتجاه الصور الخيالية فيها اتجاها موحداً تعضده حدة الانفعال الشعري وجمال الموسيقى، رائياً أن هذه الوحدة، كما تنبعث من توحد الشعور والتطور المنطقي أو الشعوري، فقد تكون أحياناً في تنقل الشعور من حالة إلى حالة معارضة، أو من موضوع لموضوع، وهذا مايسمى بالتطور الكيفي للشكل[٧].

---

(٥) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ؟: ص ٢٧, ٦٤, ٤٣٤.

(٦) الديوان: ٢/ ٤٥-٤٦، وساعات بين الكتب: ٢/ ١٠٥-١٠٦.

(٧) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث: ٨٢-٨٤. والنقد الأدبي من خلال تجاربي، ص: ٦٥-٦٦.

ويقول الدكتـور (مصطفى بدوي) إن الوحدة في الشعر ليسـت مجرد وحدة بنائية، كوحدة المقـال الفلسفي والعلمي، وإنما هي وحدة عضوية حـية، فترتبط عناصر القـصيدة، كمـا يرتبط الجذر والساق والأغـصان والأوراق، ويؤدي كل عنصر فيها وظيفة حقة، غير منفصلة عن الوظيفة التي يقوم بأدائها عنصر آخر، بحيث تسير هذه الوظائف، مجتـمعة في اتجاه واحد، وتؤدي إلى غاية واحدة، هي الأثر الكلي الموحد، الذي تولده القصيدة في نفس القارىء[٨].

وأفرد الدكتور (خفاجي) لهذا الموضوع كتابين من مؤلفاته[٩]، موضحاً فيهما أن وحدة الأغراض الشـعرية لاتكفي، وحدها، لإيجاد وحدة القصـيدة، ذاهباً إلى أننا نمزج، في وحـدة القصـيدة، بين الوحدة الـفنية ووحدة الفـكر ووحدة الموضـوع أو الغرض، ونرى ذلك كلـه لازماً لاسـتيـفاء القـصـيدة حظهـا من الانسجام والجمال، مفضلاً أن يسمي الوحـدة العضوية بالوحدة الفنية التي فيها تصبح كل صورة من صور القصيدة بمنزلة عضو حي في بنيتها الفنية.

أما الدكتـور (شوقي ضيف)، فقـد أكد تضافُرَ الفكر مع الشـعور في إيجاد الوحدة المطلوبة، مقرراً أن القصيـدة كلٌ يتكون من أجزاء، وكل جزء فيه يكون عاملاً في نموه[١٠].

وينظر الدكتور (العشماوي) إلى هذه الوحدة من خلال وحدة الصورة، التي هي بالضرورة وحدة الإحساس، ولذلك فالوحـدة العاطفية هي دليلنا إلى تحقق الوحـدة العضـوية ،وبناء على ذلك يؤكـد ضرورة أن يفـرق النقد بين وحـدة

---

(٨) دراسات في الشعر والمسرح، ص: ٧.

(٩) وحدة القصيدة في الشعر العربي، ص: ٦،والبناء الفني للقصيدة العربية: ٢١١-٢١٢.

(١٠) في النقد الأدبي: ١٣٩-١٥٤.

الموضوع أو الوحدة المنطقية والوحدة الفنية أو الوحدة العضوية(١١).

ويستفـاد من هذه الآراء أن أصحابها، وإن اختلفـوا في وضع مصطلح بعينه لوحدة العمل الفني، فقد ارتكزوا على عدة أسس جعلوها شروطاً لازمة لصحة هذه الوحـدة وصلابتـها، وهي اكـتمـال عناصـر التجـربة الشعـرية عن طريق الاندماج والتـلاحم بين قوة الشعور، والعـاطفة، وحدة الانفعـالات، والصور الحـية، والموسـيـقى، والألفاظ، وهـي العناصر التي يـضيف إليـهـا الدكتـور (النويهي)(١٢) وحدة (الباعث) لنظم القصيـدة، ووحدة الهدف من نظمها. . مما يأخذ بأيدينا إلى تجاوز هذه المـشكلة، والسير نحو قراءة مـابين أيدينا من قصائد مزنية مهتدين بهذه الأسس.

وأستـهل حديثـي هذا بالوقوف عند العـينية التي أنشـدها كعب بن زهـير، فـوضع فكرته التي خـصص لها أبيـاته الثـلاثة عشـر، وهي الدعـوة إلى الله سبحانه، نصب عيـنيه، بادئاً قصيدته مرتحلاً إلى قومه؛ ليـدعوهم إلى التمسك بعرى الدين الحنـيف، بكل مايحث عليه من وفـاء بالعهـود، وصلة للأرحام، وتفريـج لكرب المحتاجين، وتـقوية أواصر المودة والـقربى، وتعاون علـى البر والتقوى مستهلاً بقوله:

رحلتُ إلـى قـومـي لأدعـوَ جُـلَّهم ... إلى أمر حـزم أحكمتْـهُ الجوامع(١٣)

---

(١١) قضايا النقد والبلاغة: ٩١-١١٠.

(١٢) الشعر الجاهلي: ٢/٤٣٧.

(١٣) ديوانه، قراقو: ٦١-٦٢، والقاهرة: ١١٢-١١٣، والأحول: ٥٧-٥٨.

وقارئ هذه القصيـدة يلاحظ أن الشاعر قد ركز اهتمامه، فـيما همّ بالحديث عنه، بأشـد ما يكون التـركيـز، دون تمهيـد له أو استـهلال، مكتـفياً بقـوله: "رحلت" بكل مايحمله هذا اللفظ من دلالات، تضرب بجذورها في الوجدان العربي، غير مستطرد عن جوانب موضوعه، بأي لون من ألوان الاستطراد التي قد تحول بعض انتبـاهنا عن مسار رحلته، بأهدافها النبـيلة، إذ تتعانق كل أبيات القصيدة بأفكارها المتلاحمة، ومعانيها المترابطة لتدل على موضوعها الأوحد..

ونستطيع استكناه مظاهر وحدة هذه القصـيدة، بتتبعنا خطوات هذه الرحلة، ومـايواكبـها من خطوات بقـول الشـاعر: رحلت، لأدعـو، ليوفـوا، وتُوصَلَ أرحام، سأدعـوهم إلى البر والتقى، ما شايعـتني الأصابع، فكونوا جميـعاً ما استطعـتم، فـإنه سـيلبـسكـم ثوب من الله.. وقـومـوا، وآسـوا قـومكم، فاجمعوهم، وكونوا يداً تبني، فـإن لم تفعلوا، فأوفوا، إليك أبا نصر، أجازت نصيحتي، فأوفِ بما عاهدت، فنحن بنو الأشياخ، نذبب عن أحسابنا، ونداقع، ونحبس بالثغر المخوف محله، ليكشف كرب، أو ليطعم جائع.. ".

ويتجلى لنا الائتـلاف التام بين جمـيع أبيات هذه القصـيدة بمحاولة قـراءتها قراءة جديدة مسـتعينين بمفتاحها، وهو الشطر الأول من بيتـها الأول، مع غيره من أشطر القصيدة وأبياتـها، سواء بطريقة مفردة، أم بطريقة مجتـمعة، فصدر البـيت (رحلتُ إلى قومي لأدعـو جلهم) ينسـجم مع عجـزه: (إلى أمر حـزم أحكمته الجوامع).

كـما ينسـجم في المعنى مع صـدر البـيت الثاني: (ليُـوفُـوا بما كانوا عليـه تعاقدوا)، ويأتلف مع عجز هذا البيت، إذا قرأناهما معاً:

رحلتُ إلـى قـومـي لأدعـوَ جُـلَّهم   بخـــيْف مِنّـى واللهُ راءٍ وســـامعُ

* كمـا يرتبط مع شطري البيت الثـالث، إذا قرأناه مع كل منهمـا على حدة هكذا:

أ- رحلتُ إلى قـومي لأدعـوَ جُلَّهم   وتوصلَ أرحـــام ويفـــرجَ مـــغـــرمُ

ب- رحلت إلى قومـي لأدعو جلهم   وترجـع بالـودِ القـــديم الـرواجعُ

وباجتماعها مرة أخرى: (رحلت إلى قومي لأدعو جلهم).

وتُوصَلَ أرحـــامٌ ويُفـــرَجَ مـــغـــرمٌ   وترجـعَ بالـود القـــديم الـرواجع

* وكـذا يتصل بهـذا الشطر بيتـه الرابع، إذا قرأنا الأشطر الـثلاثة جـملة واحدة:

(رحلتُ إلى قومي لأدعوَ جُلَّهم)

فـأبلـغْ بهـا أفناءَ عـــثـمـانَ كـلّهـا   وأوسـاً فـــبلغْـهَـا الذي أنـا صـانعُ

* وهي تجربة يصلح تطبيقها مع البيت الخامس:

(رحلتُ إلى قومي لأدعوَ جُلَّهم)

سأدعُـوهم جُهـدي إلى البر والتـقى   وأمـرِ العـلا مـاشـايعـتني الأصـابعُ

* وبمثل هذه القراءة نستطيع متابعة محاولتنا بقراءة هذا الشطر مع الأبيات الأربعة التالية:

(رحلتُ إلى قومي لأدعوَ جُلَّهم)

فكونوا جميعا مااستطعتم فإنه	سَيَلْبَسكُم ثوبٌ من الله واسعُ
وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهُمُ	وكُونوا يدًا تبني العلا وتدافعُ
لشتانَ من يدعو فيُوفِي بعهده	ومن هو للعهد المؤكَّدِ خالعُ
فإن أنتمُ لم تفعلوا ما أمرتكم	فأوفُوا بها إنَّ العهودَ ودائعُ

وبقراءة هذا الشطر مع البيتين التاليين على حدة، ثم مع البيتين الأخيرين أيضاً، بمثل قراءاتنا للأبيات السابقة، نضع أيدينا على روافد تلك الوحدة العضوية التي يترجمها الشطر الأول من القصيدة في ارتباطه مع الشطر الأخير منها هكذا:

رحلت إلى قومي لأدعوَ جُلَّهم	ليُكشَفَ كَربٌ أو لِيُطْعَمَ جائعُ

وأكاد أميل إلى أن اختيار الشاعر لحرف العين المضموم ليكون رويا يشد من أزر معانيه، وكأني به يقول لنا: إن تمسك قومه بمبادئ الدين وتعاونهم على البر والتقوى يجعل منهم قوة ضارية على أعدائهم، وهي قوة تشبه إلى حد كبير، وربما تفوق، ماللذئب من جسارة وضراوة يرسل بها "عواءه" بقوة ليرهب خصومه، فالعين المضمومة المنسربة من اتحاد المسلمين تدلف إلى أسماعنا؛ فتغرس في أوصالنا تلك الهزة، ومايواكبها من ارتجاف يمكن أن ينتابنا عندما نفاجأ بسماع عواء ذئب ضارٍ في صحراء مقفرة مترامية الأطراف.

فإذا صح ما أميل إليه هنا جاز لي أيضاً أن أعد اختيار الشاعر لعدد غير قليل من الألفاظ والعبارات الإسلامية، التي استقاها من مناهل الدين الذي يدعو إليه، لا بوصفها عنصراً من عناصر الارتباط بأواصر الدين القويم فحسب، بل ـ أيضاً ـ بكونها دعامة قوية من دعائم الترابط الفني، والفكري، والشعوري بين أبيات هذه القصيدة، بشتى عناصر تجربتها الفنية، لتبدو أشبه بقطعة نسيج تتآلف أجزاؤها تآلفاً رائعاً.

وفي قافيته، التي أشرتُ إليها قبل قليل، بكى الشاعر زهرة شبابه الذابلة، متنسماً عبق أريجها الداثر، مستهلاً بالتعريج على ما أصاب شعر رأسه من تحوّل، وما انتاب بقاياه من بياض، بسبب مرور الأيام وكر السنين، معتداً بما وصل إليه من شاعرية توارث جذوتها عن أبيه، متكئاً على الماضي الوريف، بظلاله الممتدة، التي طالما داعبته برقّة نسماتها في شوق وحنين إلى ذكرياته الحانية، التي تعيد إلى أوصاله دفء العواطف وحرارة المشاعر:

نفى شَعَرَ الرأسِ القديمِ حوالقُهْ ... ولاح بشَيْبٍ في السَّوادِ مَفَارِقُهْ
وأفنى شبابي صبحُ يومٍ وليلُهُ ... وما الدهرُ إلا مُسْيُه ومشارقُهْ
وأدركتُ ماقد قال قبلي لدهرِهِ ... زهيرٌ وإن يَهْلِكْ تُخَلَّدْ نَواطقُهْ

ثم يدلف إلى سرد بعض أحداث ماضيه السعيدة، التي طالما عايشها لاهياً منتشياً سعيداً، بكل جوارحه بوصف "رحلة الظعن" التي يرمز بها لرحلة حياته التي أمست شمسها تؤذن بغروب... مكتفياً بتأنيب نفسه، حزيناً، على ما كانت توسوس له به، في سني شبابه الغض، بجهل وطيش، لينبري لهؤلاء النسوة اللائي كانت محبوبته فيهن ،مشيراً إلى أنها كانت سيدة مدللة ناشزا، لا تحب خليلها ولا تعطف عليه، على رغم تعلقه الشديد بها، لكونها وبقية

صواحبها، مثل كرائم الإبل في جمال عيونهن وحسنهن ونضارتهن وسحر كلامهن، فقد باء من ذلك كلّه الآن بالحسرة والندم، لأنه بعد أن كبر وصارت الشيخوخة رداء يلتحف به، أخذ يرى كل ما حوله من خلالها في صورته الشاحبة الضعيفة، الهزيلة:

تبصّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ كنخل القُرى أو كالسفين حزائقُهْ
.. على كل مُعْطٍ عطفه متزيدٍ بفضْل الزمام أو مَرُوحٍ تواهقُهْ
وقد ينبري لي الجهل يوما وأنبري لسرْب كحُرَّات الهِجَان تُوافِقُهْ
ثلاثٌ غريرات الكلام وناشزٌ على البعْلِ لا يخلو ، ولا هي عاشقُهْ

وعلى هذا النحو تبدو لنا أبيات هذه القصيدة منسجمة في فكرتها وشعورها والعاطفة الحزينة المتدفقة عبر أبياتها، إذ لا يشعر قارئها بأي نتوء، يعكر صفو المعنى، أو أدنى استطراد مفاجئ أو غير مفاجئ، يحيلنا عن متابعته، ولكن الموضوع هنا واحد كما أسلفتُ، هو بكاء الشباب الداثر، والأبيات ـ جميعها ـ كلٌّ متواصل، تترجم هذا الموضوع وتعايشه بكلماتها وصورها وموسيقاها..

وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أن هذه القافية جزءان منفصلان، أو شبه منفصلين، يبكي الشاعر في أولهما شبابه الداثر، وينعي على نفسه تعرضها للمشيب، ويصف في ثانيهما رحلة الظعن.. ولكن حقيقة الأمر أن هذين الجزأين، إن كانا حقا كذلك، كلٌّ مترابطٌ، يتصل فيه الحاضر الكئيب بوشائج الماضي الزاهر السعيد، بأشد ما يكون الاتصال وأوثقه، وما وَصْفُ الظعن بهذه القصيدة إلا وسيلة يعزي بها الشاعر نفسه وقلبه على ما فاتهما من حيوية الشباب ونضارته وبهجته، وكأني به، وقد فصل القول في وصف الرحلة هذا التفصيل الذي أشرت إليه قبل قليل مستغرقاً أكثر من تسعة أبيات، ليرمز به إلى

سني شبابه الفتان الذي طالما امتد به يانعاً، وكأن استخدامه لحرف القاف المتحرك المضموم في روى القصيدة إشارة منه إلى تدفق مياهه، وكأن سرعة الإبل والجمال، اللائي كانت النسوة يستعِنَّ بها على رحيلهنّ كانت تومئ إلى سرعة زوال ذلك الشباب، وتحول نعمته، في حين يوجز في بكائه عليهما، بعد أن جفت ينابيعهما، ويبست مناهلهما في أقل من خمسة أبيات، كأني به يوحي أن حاضره الذي يعيشه الآن إن هو إلا انحسار ونقصان، وكأن انتهاء روي الأبيات بالهاء الساكنة بمنزلة المهيّئ لنا معايشتَه، وهو يشعر بخمود جسمه وسكون حركاته بعد طول نشاط.

ولعقبة بن كعب حائية تقع في واحد وعشرين بيتاً يسلك فيها مسلك أبيه، فيبكي شبابه الداثر مستهلا في إيجاز وإيحاء بالغين، بالوقوف على الرسوم والتشوق إلى أهلها الظاعنين، متخذاً من (سُعْدَى) منطلقا لحنينه الفياض إلى أزمان أنسه معهم، مذكراً نفسه ومدركاته جميعاً، بما آل إليه جسمه، في كبره وشيخوخته، إذ ابيض منه شعر جوانب رأسه ونحل النصف الآخر منه، وعلا حاجبيه الشيبُ، وأصبح لا يبْتاعُ إلا مؤامرا، مقرا بحقيقةٍ غدا إحساسه بمرارتها يزداد غصة يوما بعد يوم، وهي أنه قد بلغ من العمر عتياً، وأن رحلة عمره قد أوشكت على الانتهاء[١٤]:

وما برح الرسمُ الذي بين (حنجرٍ) و(ذلفةَ) حتى قيلَ: هل هو نازحُ
ومازلتَ ترجو نفعَ (سُعْدَى) وودَّها وتبعدُ حتى ابيض منك المسائحُ
وحتى رأيتُ الشخصَ يزدادُ مثلَه إليه وحتى نِصْفُ رأسِيَ واضِحُ
علا حاجبيَّ الشيبُ حتى كأنه ظباءٌ، جرتْ منها سنيحٌ وبارحُ
فأصبحتُ لا أبْتاعُ إلا مُؤَامرا وماَبيعُ من يَبْتَاعُ مثلي رابحُ

---

(١٤) ملحق الشعر، ص: ٥٩٠ ـ ٥٩٣.

لذا فإنه لم يجد بُداً من الارتماء في أحـضان ماضيه الدافئـة، يتملى بحنانها الفياض، مما يجعل الدماء تتدفق في عروقه من جديد، مجددة في أوصاله ذلك الإحساس الذابل، غـارسة فيه الشعور بنضـارة الحياة، مستعـيداً بعض ذكرياته الطيبة، بأصدائها التي تهمس لمخيلته، في كل حين، لكي يظل وفياً لـ (سلمى) التي يبدو أنها هي (سعـدى) نفسها، أو صورة ممتدة من أنسه معـها، راجيا أن تحن عليه الرياح الزكية وتشاركه إحساسه النبيل نحو محبوبته، فتنقل لها أطيب التحـيات، وأحر الأشواق، منتـقلاً إلى ترديد مقـاطع من حديثها مـعه، وهي تحذره، خائفة عليه من شرور عذاله وحاسديه على عرش قلبها:

ألا ليتَ (سلمى) كلمـا حان ذكـرُها ... تبـلّغُـــهـــا عني الـرياحُ النـوافحُ

وقـــالتْ: تعلَّـمْ أنَّ مـا كـــان بيـننا ... إليـك أداءً إنَّ عـــهـــدك صـــالحُ

جـــمـــيـعـــا تؤديه إلـيك أمـــانتي ... كـــمـــا أُديـت بعـــدَ الغِـرازِ المـنائحُ

وقـالت : تعلَّـمْ أنَّ بعض حُـمُـوَّتي ... وبعلي غـــضـــابٌ كلُّهم لـك كـاشحُ

يُحِـــدُّون بالأيدي الشـــفـــارَ وكلُهم ... لحلـقك لـو يَسْطيـعُ حَلْـقَكَ ذابـحُ

ثم ينتقل إلى الاستـئناس بصرح من صروح تذكاراتهما مـعاً، وهي لما تيبس بعد أغصانه بين جوانحه، أو تذبل أزاهيـره، معلناً أنه لايزال مستمسكاً بأهداب عهـدها معـه، بيـد أن سنة الدهر قد وقـعت عليهـا،هي أيضاً، فـارتحلت مع أهليها، مخلفـة في أوصاله حسرة، على مافاته معهـا، وحنيناً إلى لقياها،حتى يجددا معاً سعادة تلك الأيام الخالية، التي جمعتهما زوارا للبيت الحرام، منتشية قلوبهم بما قد انـتزعوه من أطراف الأحـاديث بينهم، مشتـفية صـدورهم، بعد طول تقرح وإعـياء، مـستغـرقين، شبه شـاردين، غير مـبالين، بما قـد يجري حـواليهم من حـركة الـكون، مولين ظهـورهم إلى أوطانهم عـائدين، يمتطون

رواحل مكتملة الخلق، مفتولة السواعد، تزدان بأبهى الألوان، وأجمل الأكسية، في مهارة بالغة وحس مرهف بالجمال الطبيعي الفتان:

وهزَّةِ أظْعَان عليهِنَّ بهجةٌ   طَلَبْتُ وريعانُ الصِّبا بيَ جامحُ
فلما قضينا من (منى) كل حاجة   ومسّح ركنَ البيت من هو ماسحُ
وشُدَّتْ على حُدْب المهاري رِحَالُنا   ولا يُنظُرُ الغادي الذي هو رائحُ
قَفَلْنا على الهُوجِ المراسيلِ وارتمتْ   بهن الصحاري والصِمادُ الصحائحُ
نَزَعْنا بأطراف الأحاديث بيننا   ومالت بأطرافِ المَطِيِّ الأباطحُ
وطِرْتُ إلى قوداءَ قادَ تليلها   مناكبها واشتد منها الجوانحُ

وقارئ هذه القصيدة يدرك كيف دفع إحساس الشاعر بالحزن يمور في أعماقه، إلى استخدام حركات الأفعال الماضية بكثرة، إيماء منه إلى إحساسه بمُضيّ شبابه وانصرام عهده، وإلى التركيز على الأصوات المهموسة كالحاء والهاء والشين وغيرها مواكبة للأصوات المجهورة ولاسيما أحرف العلة، تعبيراً عن توتره وقلقه اللذين يجيشان بداخله، جيشاناً نكاد نستشعر بعض ملامحه من تلك "البَحَّة" المنبعثة من تكرار حرف الحاء، رويا مضموماً، في أواخر كل بيت من أبيات هذه الحائية، ومن التنقل من الوصف إلى حديث النفس ومناجاتها إلى السرد والحكاية.. وغيرها مما يرسل إلى وجدانه من الأمل الذي يحلق بجناحيه الواهنين فوق ربوع منازله التي هجرها أهلوها، وينسرب إلى أوصال ناقته التي يكاد يفتك بها طول السفر والترحال في تلك البيئة المتقلبة التي عايشها شاباً ويبكيها شيخاً بفكره ووجدانه.

وللعوام ابن هذا الشاعـر قصيدة[١٥] تقع في أربعة وعشـرين بيتا، ولمضرس ابن قرطة قصيدة[١٦] أخرى تزيد عليها ستة أبيـات، تبدوان لقارئهما في صورة جلية حديثاً واحداً عن تدفق مشاعر الحب والهيام، بعاطفة واحدة وفكر واحد، وإيقاع مـوسيـقي واحد، يعضـده تكامل الصور وغـيرها مما يدعـونا إلى عدم الوقوف عندهمـا طويلاً مكتفين بالإشارة إلى أن هاتين الـقصيدتين المقـصورتين على الغزل امتـدادٌ لرياح التأثر بشعراء عصـرهما من أمثال عمـر بن أبي ربيعة وذي الرمة وغيرهما.

وفي رائية خارجة المللي[١٧] التي استهلها بمقدمة امتدت اثنى عشر بيتاً، شكا فيها مرارة مـا يلاقيه من عناء ونصب بسبب ما يتعرض له من بيُنونـة محبوبته، داعياً بالسقيا لتلك المنازل التي طالما شهدت أيام سعادتهما، ولتلك الأرض التي يقطن فيها الجعفريون الذي يتوجه إليهم بمديحه وثنائه:

ألا هل من البـين المُشتِّ مـجـيـر	وهل للـيـالـي السـالفـاتِ عكورُ
لقـد صـدعتْ بين الـقـرينين بغـتـة	نوى يوم (جـرعـاءِ الـرياض) بكورُ
ففي كبدي يا (ليـل) من فجعة النوى	نـوائـبُ وحـي بـيـنـهـن فـطـورُ
غـــريب عِـــداَويٌّ يـكادُ فــؤادُه	إلى أهل (جـلسي البـلادِ) يـطيـرُ
غـريب لـه قلب يَحِن صــبـابةً	وعين بـأســراب الـدمـــوع دَرُورُ
ولي روعــة عنـد الإياب وزفـــرةٌ	لهـــا تحْتَ أحناءِ الضلـوع سـعـيـرُ
خليـليَّ مـــا لليل بـاتَتْ نجـومُـه	رواكـدَ مـــايُسْـرَى بهـــا فـتـغُـور
سقى (هضبـات الفرشِ) كل مجلجل	له نَضَــدٌ مـن مـزنه وصـبـيـرُ
وعـاد بـأرض (الجـعـفـريين) رائحٌ	هزيم ومُـنْهَلُّ الـغـــمـــام بـكورُ

---

(١٥) ملحق الشعر، ص: ٦٠١ ـ ٦٠٥.

(١٦) ملحق الشعر، ص: ٦٢٣ ـ ٦٢٨.

(١٧) التـعليقـات والنوادر، خ، الهندية، ص: ١٢١، وط. العبـيكان، ٢/ ٦١٤ـ ٦١٥، وانظر ملحق الشعر: ٥٥٢-٥٥٤.

ثم ينتقل إلى التنويه والإشادة بمكانة بني الطيار، وفي مقدمتهم محمد بن جعفر عند الله، وعند الناس، بفضل ما اتصفوا به من عراقة نسب وكرم محتد وقرابة وثيقة بالنبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته:

هناك بنو الطيَّار في الغُرَفِ العُلَى ... وجوهٌ عليها نَضْرةٌ وسرورُ
لهم غُرَرٌ تحت الدَّجا جَعْفَريةٌ ... لها تحت جلباب الظلام زهورُ
ثرى أرضِهِم من وقع أقدامهم بها ... ومسّ الجباه السّاجدات طَهورُ
لهم نسبٌ لو يستلانُ بحقه ... ذُرى الصَّخْر ظلت صُمُّهن تَمُورُ
بحيث استوى نجمُ السماء وبدرُها ... هناك لهم مجدٌ أشمّ فخورُ
فَتىً علقت كفي بأسبابه التي ... أغارَ قواها بالسماح مغيرُ
هناك له بين النبي وجعفر ... وبين عليّ مَعْقِلٌ ومصيرُ
ورثتَ يمينَ الجود جودِ ابن جعفر ... فأنتَ له في الغابرين نظيرُ
وحرَّمْتَ (لا) يابن النبي فلفظُها ... لباغي الندَى عبءٌ عليك كبيرُ

والقصيدة - على هذا النحو - مناجاة دافئة بين الشاعر وماضيه وحاضره اللذين يستشرف بهما آفاق مستقبله، وهو إذ يجد قلبه مشدوداً إلى أطياف محبوبته، التي تراوده بين الحين والآخر، رمزاً لصباه الزاهر وشبابه المنصرم، فإنه في الوقت ذاته تنطق جوارحه بفضل الجعفريين عليه، لأنهم كسوه من فضلٍ داوى به ما قد اعتراه من حاجة وعوز، بسبب ما تعرض له من نكبات الزمان.

وإحساس الشاعر، كما تتضح ملامحه للقارئ، واحد، كما أن عاطفته لم تتبدل، أو تفتر، كما أن ألفاظه التي جسد بها مكنون تجربته في مستوى واحد من السلاسة والبساطة وحسن الاختيار، حتى لتبدو القصيدة كلها - على مانراه ونشعر به - أشبه بصورة شعرية واحدة تلتقي فيها روافد الماضي والحاضر،

وتجسدها قوة الإحساس بالحياة المتدفقة التي تسري في عروق منشدها.

وعناصر الوحدة في هذه القصيدة بيِّنة فيما أشرتُ إليه من وحدة الباعث والدافع إلى إنشادها، والمستوى اللغوي المتآلف، وتدفق الانفعال الذي يجري عبر أبياتها بدرجة واحدة من الحرارة.

* وفي رائية الأنصار التي أنشدها كعب بن زهير مستهلاً بقوله:

من سرَّهُ كرمُ الحياة فلا يزَلْ   في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ

نلاحظ أن الشاعر لم يتناول قط في قصيدته أي موضوع آخر غير الثناء والمديح، اللهم إلا اختتامها بأبيات وصف الناقة التي استعان بها على رحلته، دالفاً إلى موضوعه مباشرة، دون تعريج على أيٍّ من المقدمات التي نراها في بعض قصائده،وقصائد شعراء عصره. . وإجماع الرواة منعقد على أنه قد بدأ هذه الرائية بالبيت المشار إليه هنا بما ينفي احتمال الحذف أو النقصان في مستهلها. . ويبدو أن الأحوال الشعرية التي كان الشاعر واقعاً في فلكها، إثر فوزه بالنجاة من الموت الذي كانت شباكه تتهدده قبيل إسلامه وإنشاده لاميته الشهيرة (بانت سعاد)، بين يدي المصطفى ﷺ، في الوقت الذي راود بعض صحابته رضي الله عنهم ممن استمعوا لأبيات هذه اللامية آنئذ أن كعباً لم يُنَوِّه بعظمة الأنصار في قصيدته، مما جعل الرسول ﷺ يطلب منه أن يشارك بقريضه في غرس لبنة من لبنات بناء الدولة الإسلامية، بتسجيل محمدة من محامد الأنصار الجليلة والإشادة بجانب مشرق من جوانب إيثارهم، وروعة فدائهم في سبيل المحافظة على الدعوة الإسلامية، وهو المطلب الذي لاقى قبولاً من الشاعر واستحسانا ممن حوله، في الوقت الذي لم يكن فيه مُهَيَّأً إلى الانتظار ولو قليلاً من الوقت، حتى يتمكن من تفصيل القول، وتثقيفه،

ومراجعته بما يتلاءم وموروثه الشعري، فأخذ يرتجل أبياته ارتجالا يؤكد به صدق مشاعره، ونبل أحاسيسه تجاه هؤلاء الأخيار، ويقف بنا على جانب من جوانب توقد قريحته وسجيته.

ولا أعتقد أن استرسال كعب، بعد ذلك بوصف ناقته والطريق الذي قطعته في رحلته لممدوحيه يعد خروجاً على روابط هذا الوصف بوحدته الفنية في صدر القصيدة.

ويبدو أن أبيات هذه الرائية كانت عاطفتها وانفعال الشاعر بها في إطار تجربته العظمى التي بدأها ببانت سعاد، مما دفعه إلى تقديم المديح وتأخير الرحلة، ممهداً بذلك الطريق للخروج عن المطالع والمقدمات على أيدي لاحقيه من الشعراء.

ولمعن بن أوس لامية من أربعة وعشرين بيتاً توجه بها إلى سعيد بن العاص رضي الله عنه، ونلاحظ أنه قد طرق، في هذه اللامية، أسماع ممدوحيه من الشطر الأول متوجهاً إليه بالخطاب، مخبراً إياه، في بيتين فقط، أنه قد قصده مرتحلاً، يجوب الفيافي على ناقته البيضاء الكريمة الأصل والمنبت، حتى اغبر شعر رأسه من طول السفر، وعناء اختراقه لطريقها(١٨):

إليك سعيدَ الخير جابت مطيتي … فروجَ الفيافي وهْيَ عوجاءُ عَيْهَلُ
بأشعثَ من طول السُّرَى عَسَفَتْ به … إليك عَلَنْداةٌ من العِيس عَيْطَلُ

مفرداً بقية الأبيات لإبداء أسمى آيات المديح والثناء على الممدوح، دون أن يخرج عن موضوعه إلى آخر كلمة في القصيدة، ملخصاً هذا التقريظ بالختام قائلاً:

---

(١٨) ديوان معن، بغداد: ٤٧-٥٣.

أخو العُرْف مـعروفٌ له الدينُ والندى   حليـفـان مـادامت تِعَـارٌ ويذبُلُ
تَبَحْبَحْتَ في بحبوحة المجـد منهمُ   برابيـــةٍ تعـلو الـروابي مـن علُ

.. وقـارئ هذه اللاميـة يلاحظ إلى أي مـدى عـبرت ألفـاظهـا عن ذلك الانسجام الفكري المنسرب داخل أبيـاتها، فالخير شجرة طيـبة ظليلة ينسب إليها الممدوح، فتتفرع به يانعة إلى رحاب سـامقة من المجد والصلاح والصفاء والعز والعلو والسخـاء والجود وحفظ الجـوار والشجـاعة والبطولة والمعروف وكـمال الدين وغير ذلك من القيم التي تأخذ بيدِ صاحبها إلى الكمال الإنساني.

كمـا يدرك المطالع لأبيات هذه القصـيدة خيوط العـاطفة الحانيـة التي تسري بها، مترجمة عن إعجاب الشاعـر بممدوحه وتقديره لعلو شأنه، وعظمة همته، مرسومة فـيما يشبه اللوحة الفنيـة المجسدة الحية التي تجمع بين المـلامح الحسية والروافد المعنوية على السواء، معبرة عن "الخير" بوصفه عنواناً متجدداً للإنسان الصالح ذي الأصل الكريم، الذي ينبت منبتا حسناً، وينشأ و"العز" يحدوه إلى مكارم الأخلاق.

على أن عاطفة أخـرى، وإحساساً مغايراً قوامـه الشعور بمطاردة الموت، هو الذي ساور هذا الشاعر في داليته التي يستهلها بقوله(١٩):

قـفـا يـاخليلـيَ المَطِيَّ المقـرَّدا   على الطـلل البـالي الذي قـد تأبّدا

داعياً إلى الـوقوف على الأطلال بوصفهـا رمزاً ماثلاً موحيـاً بمخالب الموت والعـفاء، والاندثار، المـمتدة بعنف وشـراسـة في كل شيء من مظاهر الكون حواليه، معرجاً على بعض ماكان له من ذكريات عزيزة خلّفتها له محبوبته التي

(١٩) المصدر نفسه: ٧٦-٨٢.

ارتحلت مع أهليها الظاعنين، على رغم دبيب الحزن والندامة الذي بات يعتصره، بسبب تلك الحقيقة الصارخة التي صدمت بها تلك المحبوبة مشاعره، ونبل أحاسيسه قبل بينونتها له، وهي أنها صارت ترى عنه "سربال الصبا قد تقددا" مؤججة في قلبه لواعج الهوى والشوق والحنين، إلى رحاب ماضيه السعيد بنضارته وصفاء مائه المتجدد:

قفا نبك في أطلال دار تنكَّرتْ ... لنا بعد عرفان تُثَابًا وتُحْمَدا
قفا إنها أمست قِفارا ومن بها ... وإن كان مِنْ ذي وُدِّنا قد تَمَعْدَدَا
فلي أشهرٌ حتى إذا انشقَّت العصا ... وطار شعاعا أمرهم فتبددا
تعللت إذ دهري فتىً بوصالها ... وقد عَصِلَتْ أنياب دهري وعدّدا
وقالت لِتَشني لي الهوى وتشوقَني ... أرى عنك سِرْبال الصِبا قد تقددا

ثم ينتقل إلى تجسيد مشهد موحٍ من مشاهد مُلاَحَيَات زوجته الحامية له، بسبب ما قد تراه من إعطائه المال في كل وجه، دون محافظة أو إمساك، وعلى جانبي هذا المشهد الواقعي، ومن أعماقه الحية، نبتت بذرة فكرته الرئيسية، وهي شعوره بمطاردة الموت وملاحقته إياه، مُوقناً بالنهاية المؤكدة لكل بخيل وكريم وشريف وحقير على حدٍّ سواء دون استثناء أو مفاضلة، لذا فإنه يتزود لحياته الأبدية بعد موته بفعل الصالحات من الأعمال، وبذل المعروف لمستحقيه دون أدنى خوف من فقر أو عوز، لأنه يعلم علم اليقين أن الفقر الحقيقي، هو أن يعود الحليم سفيهاً يقتر فيما بين يديه من مال، آخذاً على نفسه عهداً بأن يظل حَسَنَ المعاشرة، لطيفاً ودوداً يتزيا بالسكينة والوقار في معاملة آل بيته وذويه، على رغم ماقد يبدو من بعضهم من أعمال معيبة، لا تليق بمثله:

وعــــاذلــةٍ هبـت بلـيل تـلومـني وقـد غـاب عَـيُّـوقُ الثـريا فــعـردَّا
تـلومُ عـلـى إعطـائـيَ المـال ضلـةً إذا جـمع المالَ البــخـيلُ وعـددَّا
أعَـاذلَ بـالله الذي عـند بيـتـه مُـصَلى لمن وافى مُـهِـلاً ، ولبَّـدا
أريني جـوادًا مـات هُزْلا لعـلني أرى مـا تَرَيْـنَ أو بخـيـلا تـخلَّدا
وإلا فـغُـضِّي بعض لومك واجـعلي إلى رأي من عـاتبـتِ رأيَك مـسنَدَا
فـإني أرى مـالاتَـرْينَ وإنـني رأيتُ المنايا قـد أصابت (مـحـمـدا)
فـلا تحـسـبَنَّ الشـر ضـربة لازِم ولا الخيـرَ في الدنيا على المرء سـرمَدَا
ولاخـيـر في حِلْمٍ يعـود مـذلةً إذا الجهلُ لم يتـركْ لذي الحِلْم مَقْـعَدَا
إذا زال نعـشـي واعـترتْنِي منيـتي وصاحـبتُ في لحدي الصفـيحَ المنضَّدَا
فَقُـولي فتىً مـاغيـبوا في ضريـحهم تزَوَّدَ مـن حُبِّ القِـرى مـاتزودا
سـأوثر بالمعروف عِـرْضي من الأذى وأدنو من المـعْـتَـرِّ أن يتـبـعَّـدا

.. وإحساس مَعْنٍ هنا بمطاردة الموت هو الذي دفعه، فيما يبدو، إلى الإلحاح على خليليه لكي يتـوقفا باكيين بركـبهما في أطلال الدار الـتي ضمتهم صـبية وشبـاناً، من قبل، بصحـبة أهليهـا الغابرين، قبيـل أن تفتك بهم رياح الموت، وتعصف بهم مخالبه، فأمست قفارا.. وإحساس الزوجة بالخوف من المجهول، من الفقـر الذي يؤدي بها إلى شـفا حـفرة من الموت والهـلاك، جعلهـا تعذل زوجها وتلومه، وهـذان الإحساسان هما اللذان أخذا بأيدي الشـاعر إلى الثبات على موقفـه، أمامها، مـقررا حقيقـة الموت التي يراها في كل شيء من عناصر الكون المحيطة به، وهمـا أيضا اللذان دفعاه إلى اسـتخدام ألفاظ الفـقد والبكاء والبلى والتـقدد والموت والخلود، والمنايا، والإصـابة، والشر، والخـير، والحلم والجهل، والنعش، والمنية، واللحـد والصفيح المنضد، والتغـييب والضريح.. وغيرها مـن الكلمات، والعبارات الموحـية بالحركة الدؤوب، إشعـاراً بهواجس القلق والمطاردة كـقوله: قـفا، المطي المقـرد ـ تأبد ـ تنكرت ـ أمست، تمـعدد،

انشقت العـصا، وطار شعـاعا أمرهم، تبـددا، تعللت بوصالهـا، دهري فتى، عصلت أنياب دهـري عردا، قالت، لتثنى لي الهوى، وتـشوقني، أرى سربال الصبا تقددا، عاذلة هبت، تلومنـي، إعطائي المال، جمع البخيل وعدّدا، وافى مُهِلاً، لبَّدا، أريني، غضي، أري، رأيت المنايا قد أصابت محمدا، زال نعشي، اعترتني منيتي، صـاحبت الصفيح، قولي غيّبـوا في ضريحهم، تزود ماتزود، سأوثر عرضي، أدنو من المعـتر، يتبعدا. . وانسجـام عناصر هذه الأبيات تُومئ إلى مدى مسايرة الشـاعر لرحلة حياته، وحياة الكون من حوله، في مـاضيها، وحاضـرها ومستقـبلها، وهو الانسجـام الذي يلخصه قـوله عن الأطلال: إنها بالية، وإنها أمـست قفارا؛ وقوله عن نفـسه، على لسان محـبوبته: أرى عنك سربال الصـبا قد تقـددا " ويلخصه أيضاً، ويوحي بـدلالات معايشة الشـاعر لواقعه الاجتماعي الحاضر في خطاب لزوجته:

أريني جَـــوادا مـــات هُزْلا لعـلني ... أرى مـــا تَرَيْنَ أو بـخـيـــلا تـخلَّدا
فـــإنـي أري مـــا لا ترينْ وإنـني ... رأيتُ المنايا قَـــدْ أصـابتْ مـحـمـدا

وقوله في استشراف آفاق غده التي بات يتملى في رحابها:

إذا زال نعْـشـي واعـترتْني منيـتي ... وصاحـبتُ في لحدي الصفـيحَ المنضَّدَا
فقولي: فـتىً ما غيبـوا في ضريحهم ... تزود مـن حب القِـــرى مـــاتزودا
سـأوثر بالمعروف عِـرْضي مِنَ الأذى ... وأدنو من المـعــتــرِّ أن يتــبــعَّــدا

وقريبٌ من هذا الإدراك، وإن يـكن إحساس الشـاعر به، هنا، أشـد خدة، وأوقع تأثيراً، ماعـزف كعب بن زهير على أوتاره في لاميته الشـهيرة بـ (بانت سعاد)، مسخراً كل جزئياتها وعناصرها الفنية لإبرازه، مستهلاً بقوله:

بانت سـعـاد فـقلبي اليـوم مَتْبُـول ... مـــتـيمٌ إثْـرَها لم يُفْــدَ مَـكْبُــولُ

وقد ظفـرت هذه اللامية بدراسـات نقدية كثـيرة[٢٠] يمكن الاهتداء ببعض نتائجـها بذِهَابِنَا إلى أن (سـعاد) تمثل، هنا، صورة عـاطفيـة متعـددة الجوانب والألوان والدلالات، وترمز إلى تشبث الشاعر شعورياً بماضيه الغض، وما كان له فيه من طراوة الشباب، وأنس الصحب والخلان، وحنو الذكريات، وهي في جانب من صورتها الـفتانة الساحرة، تبدو بمظهر مـغرٍ جذاب، يخلب أنظاره، ويأخذ بلبـه، ويأسر فـؤاده، ويغرس نيران التـحسر والأسى فـي أوصاله على بينونتها، وعدم استجابتها لنصحه وتوجيهه لها وتمسكه بحبال ودها:

ومـاسـعـادُ غـداةَ البـيْن إذ رَحَلوا	إلا أغنُّ غـضـيضُ الـطرف مكحـول
هيـفـاءُ مـقـبلةً عَـجْـزاءُ مُـدبرةً	لا يُشْـتـكَى قِـصَـرٌ منـهـا ولاطول
تجلو عـوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسـمتْ	كـأنه مُنْـهَلٌ بالـراح مـعـلول
.. ياويحـهـا خُلَّة لو أنهـا صـدقت	مـا وعدت أو لَوَ أنَّ النصْحَ مَـقبُـول

---

(٢٠) ينظر مثلاً: د. محـمد نبيه حجاب، روائع الأدب في عصـور العربية الزاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢م، ١/١٦ ومابعدها.

ود. عبده بدوي: دراسات في النص الشعري عصر صدر الإسلام وبني أمية، دار السلاسل، الكويت، ١٤٠٨هـ، ٣٨ ومابعدها.

ود. عبـدالحليم حفني: مطلع القصـيدة العربية ودلالاته النفـسية، الهـيئة العامـة للكتاب، القاهرة.

د. السيد إبراهيم محمـد: قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي، ومـحمد عبدالمنعم خاطر: المعـادل الموضوعي في افـتتـاحية بـانت سعاد، مـجلة الكاتب، القاهـرة، آيار/ مايو ١٩٧٧م.

ود. كامل سعـفان: الرمزية في بانت سعاد، مـجلة الشعر، القاهرة، تشـرين الأول/ اكتوبر ١٩٨١م. وغيرها.

ثم تتبـدل صورة هذه المحبـوبة في جانبهـا الثاني، إلى أسوأ مـايكون عليه إنسان شرير مخاتل:

يا ويحـــهـا خُلَّة لو أنهـــا صــدقت مـا وعدت أو لَوَ انَّ النصح مـقبـولُ
لكنهـا خُلّـَـةٌ قـد سِيطَ من دمـهـا فـجْـع وولعٌ وإخــلاف وتبـــديلُ
فـمـــا تدوم على حـال تكـون بهـا كـمـا تـلوَّنُ في أثوابهـــا الغُـــولُ
ومـا تمـسّكُ بالوصل الذي زعَــمَتْ إلا كـــمـا تُـمْـسِـكُ الماءَ الغـــرابيلُ

ثم تنتقل في جانبها الثالث أمام عينيـه، إلى ما يشبه أن يكون معقداً لآماله، ومطمح نفـسه، وهو أن يحظى بنور الهـداية بعد طول ضلال وعـناد وغواية، وكأني به هنا يوحي إلينا بذلك كله، أنه على رغم تشبثه القـديم بحبال جاهليته إلا أنه قد مل صحـبتها، وسئم من التـذرع بأسباب محبتـها وودها وعزم على السفر والرحيل، مـهاجراً إلى الله ورسوله، مستعـيناً بكل ما يملكه من جهود، ليبلغ مُنْيَتَـهُ التي يرتجيها؛ وهي النجاة بنفسه من أسـياف النبي ﷺ الذي تهدده بإهدار دمه، وكـأنه بتجسيـده لهذه الصفـات الخبيثـة، التي حرص على وصم سعـاد بها، كالغدر والتلون وغـيرهما، يومئ لإدراك تلك الجـاهلية وأخطارها اللاحقة بأهليها، في محاولة منه لطمس مـعالمها، وتشويه صورتها، وكأنه يرمز بوصفه البارع لناقـته التي توصله إلى ملاقاة النبي ﷺ، واستقـصائه في رسمه لصورتهـا المثلى ليقـرر لنا أن ناقته قـادرة على السيـر المتواصل، فهي عـذافرة (صلبة)، وهي فـعمة المقيـد (غليظة الرقبة والأطراف)، وذلك أقـوى لها على السير، حـتى يطلعنا على مدى استعداده للتـزود والتعبئة التـامة لأهوال رحلته الحاسمة في حياته، بكل ما تملك بيئته من إمكانات:

فـلا يَغُـرَّنْكَ مـا منَّتْ ومـا وعـدَتْ إن الأمـــانـيّ والأحـــلامَ تضلـيلُ
أمـست سـعـادُ بأرض لا يبلّغـهـا إلا العـتـاقُ النجـيـبـاتُ المراسـيلُ
ولن يـبلّغـهـا إلا عُـذَافِـرَةٌ فـيهـا على الأيْـنِ إرقال وتبـغـيل

. . . ثم ينتقل إلى بث سموم كرهه وبغضـائه، وسخريته من أصدقاء السوء وقرناء الهوى، الذين طالما غرّروا به، ووشَوْا بينه وبين الرسول الكريم، وجعلوه يعيش في محنة قـاسية سوف تتفـرج عنه بفوزه بعفو النبي عنه ورحـمته إياه، وإحسانه إليه، مـتزلفاً إلى الله ورسوله، بإعلان إيمانه المطلق، واستـسلامه التام لقدرة الله، ومشيئته التي لا راد لسلطانها، وما يستتبع ذلك، حتماً، من اليقين الثابت بأن الموت الذي يخـاف من لحوقه به واقع به لا مـحالة، وعلى كل ابن أنثى، مـستـعطفاً رسـول الله ﷺ بالتنويه له بكل مـا لديه من صفـات العفـو والهداية، والشـجاعة والهـيبة، مـسبغـاً أجَلّ ثنائه على من يلتَفُّـون حوله من الصحابة الأجلاء:

يسـعى الوشـاةُ بجنبـيـهـا وقـولُهم : إنك يَابْـنَ أبي سُلْمى لمقـتـولُ
وقــال كلُّ خـليـل كنـت آمُلُـهُ : لا أُلفـيَـنَّك إني عنك مـشـغـولُ
فـقـلتُ: خلُّوا طـريقي لا أبالـكمُ فكلُّ مـا قـدّر الـرحـمنُ مـفـعـول
كلُّ ابنِ أنثـى وإن طالت سـلامَـتُـه يومـاً عـلى آلة حـدباءَ مـحـمـولُ
أُنبـئتُ أنّ رسـول الـله أَوْعَـدَني والعـفـوُ عنـد رسـول الله مـأمـولُ
مـهـلاً هداك الذي أعطاك نـافلة الـ ـقـرآنِ فـيـهـا مَـوَاعـيظ وتفـصـيلُ
لا تَأخُـذنِّي بأقـوال الوشـاةِ ولم أذنب ولو كـثُـرَتْ فيَّ الأقـاويلُ
إن الرسـول لـسـيفٌ يُستـضـاء به مـهـندٌ من سـيـوف الله مـسلولُ
في عُـصبـةٍ من قـريش قال قـائلهم ببـطن مكـة لما أسـلمـوا: زولُوا

. . وعناصر الوحدة الفنية في هذه اللامية، واضحة في ترابط الصور الجزئية ترابطاً عضوياً، يؤكده الباعث الفكري والشعوري المتدفق من خلال ظاهرة القلق التي تساور الشاعر، بسبب خوفه من التعرض للقتل، وهي ظاهرة نلمسها في الجانبين الأولين المتناقضين من صورة سعاد، وماتلاهما من صورة الوشاة، وماقرره الشاعر، وهو في غمار مواجهته لتخلي رفاقه عنه، منشغلين بمصالحهم الشخصية، من إيمان بقضاء الله وحتمية لحوق الموت به، والحرص على اختيار الصفات التي يرتجيها لنفسه، ليلحقها بالنبي ﷺ وصحبه، وما واكب ذلك كله من تعريج على وصف صورتي الأسد والفيل والثكل والنواح، مستأنساً بالزمن الماضي في حديثه عن الوشاة وسعاد، ملاءمة لذلك الزمن الغابر من حياته، مقابلة بأفعال الزمن الحالي،في سيره وفي مقابلته للنبي ﷺ، وتعريجه على الزمن المجهول، حين كان لا يعرف جيداً ما وراء إقراره بذنبه، ككلمات (متبول، مكبول، مكحول، ومعلول، ومشمول، ومنهل، ومجهول، ومقبول، ومشغول، ومفعول، ومحمول، ومأمول، ومسؤول، ومطرّح، ومفلول، ومأكول، ومسلول، ومجدول. . ويُجز، وشُجّت، وسِيط، أُلفينك، أُنبئت، شُكّت. .).

ويطول بي الحديث إذا طالعت كل ما بين يدي من القصائد المزنية في الإسلام،لذا فإنني أكتفي بهذه الصفحات،مشيراً إلى أن ثمة عناصر نستطيع تلمسها إدراكاً لتلاحم الأجزاء في القصائد المزنية وغيرها من خلال إلمامنا بلغة هذه الأشعار وموسيقاها وصورها الفنية وهي العناصر التي أفرد لها الفصلين التاليين.

الفصل الثاني

لغة الشعر المزني وموسيقاه

لغة الشعر المزني وموسيقاه

أتناول بالدراسة في هذا الفصل مبحثين متكاملين هما: لغة الشعر وموسيقاه، والموسيقى في الشعر إنما تصدر من التشكيل اللغوي فيه.

أولاً: لغة الشعر المزني:

ترتكز دراستي لهذا الجانب من الشعر المزني على اعتقادي بأن لغة الشعر هي خلاصة التجربة الشعرية، بكل ماتتضمنه من ألفاظ وصور وأخيلة، وعاطفة وموسيقى.. وغيرها؛ وعلى التسليم بأن الشاعر، في محاولته المستمرة للكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة، وللكشف عن صورة هذه الجوانب الجديدة داخل وعيه الفردي والجماعي، وصورتها المنصهرة مع مكونات لاوعيه، يحاول باستمرار الكشف عن لغة جديدة، فكل تجربة لها لغتها الخاصة، التي تتطور، بتطور الصورة الذهنية المدلالة، من حيث علاقتها بظروفٍ معينة، وأفكارٍ وتصوراتٍ وآراء وقضايا، تتشكل باستمرار، تشكلاً يتناسب وواقع الحياة المتغير[(١)]، فهو يستعمل لغة الجماعة، التي هو فرد من أفرادها، كما لو كانت لغته هو، ملكا له بمفرده[(٢)].

وقد تكونت لغة المجتمع العربي الإسلامي التي نهل منها المزنيون زاد لغتهم الشعرية متأثرة، بادئ ذي بَدْءٍ، بالحياة البدوية والمعيشة الصحراوية ذات الطوابع الوحشية الجزلة، قوية الرنين، تقتحم الأسماع، وتملأ فم منشدها، وآذان

---

(١) لغة الشعر الحديث: ٧١-٧٢.

(٢) دراسات في الشعر والمسرح: ٥١، ولغة الشعر خصائصها وأهدافها، للمؤلف، مجلة المنهل، المحرم، ١٤١٥هـ، حزيران/ يونيو ١٩٩٤م.

سامعيها، وكان الشعراء يصطنعون هذه اللغة لأنها بالفعل لغتهم، ونتاج بيئتهم، وصدى مجتمعهم، وحياتهم العامة(٣)، ولهذا لم يكن غريباً أن ينشد كعب بن زهير أبيات لاميته الشهيرة التي خاطب بها رسول الله ﷺ وصحابته من المهاجرين والأنصار يتحلقون حوله، يشهدون مجلسه، بما تحتوي عليه هذه اللامية من وصف مفصل للناقة وغيرها، مستهلاً بقوله:

أمستْ سعادُ بأرض لا يبلِّغها ... إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ
ولن يبلّغَها إلا عُذافِرةٌ ... فيها على الأيْن إرقالٌ وتبغيلُ
ترمي الغيوب بعيني مفردٍ لَهِق ... إذا توقدت الحُزَّانُ والميلُ
غلباءُ وجناءُ عُلْكومُ مذكّرةٌ ... في دُفها سعة قُدامُها مِيلُ
وجِلْدُها من أطومٍ مايؤيّسُه ... طِلْحٌ بضاحية المتنين مهزولُ

.. فكلمات مثل (المراسيل، والعذافرة، والأين، والإرقال، والتبغيل واللهق، والحزّان، والميل، والغلباء، والوجناء، والعلكوم، والمذكرة، ودفها، والأطوم، ويؤيسه)، وغيرها من الألفاظ البدوية التي لا تعرف معانيها بدقة دون الاستعانة بكتب اللغة، وما كانت لكعب حرية الاختيار، وقتئذ، في الاستعانة بهذه الكلمات ومثيلاتها في جوانب صورته، التي يرسمها لناقته التي استعان بها في طريق رحلته، لاستعطاف قلب النبي ﷺ واستدرار عفوه عنه، لولا تيقنه من معرفة المخاطبين بمدلولات هذه الكلمات وغيرها، لاشتراكهم، معه، في الإطارين اللغوي والأدبي المتعارف عليهما يومئذ، مما توارثوه بسلائقهم المتقدة، من خلال معايشتهم لواقع عصرهم الثقافي.

---

(٣) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ٥٥٢-٥٥٣.

وربما كانت النشأة البدوية التي خاض غمارها معظم الشعراء المزنيين، عاملاً من عوامل اصطباغ ألفاظ جانب كبير من قصائدهم ومقطعاتهم، التي بين أيدينا بالصبغة البدوية الخشنة الداكنة، التي تطالعنا نماذج منها عند قراءتنا لأبيات معن ابن أوس التي يمدح بها سعيد بن العاص، قائلاً(٤):

إليك سعيدَ الخير جابت مطيتي	فروجَ الفيافي ، وهْيَ عوجاء عيهْلُ
بأشعثَ من طول السُّرى عَسَفتْ به	إليك عَلَنداةٌ من العيش عَيطَلُ
أخو شَتَوات لاتزال قدُ وره	يُحَلُّ على أرجائها ثم يُرْحَلُ
إذا ما انتحاها المرملُونَ رأيتها	لِوَشْكِ قِراها ، وهي بالجزْل تُشْعَلُ
سمعت لها لغْطاً إذا ماتغطمطتْ	كهَدْرِ الجمال رُزّماً حين تَجْفُلُ
ترى كل دهماءِ السراة نبيلةً	شماخيةً في يافع لاتُزَمَّلُ
ترى البازِلَ الكَوْمَاءَ فيها بأسرها	مقبَّضةً في قعْرِها ، ماتَحَلْحَلُ
كأن الكهول الشُّمْطَ في حَجَزاتِها	تعاطَسُ في تيارها حين تَحْفُلُ
إذا التطمت أمواجها فكأنّهَا	عوائذ دُهْم في المَحلة قُيَّلُ
وتأبى فلا تُعْطي على الخسف درّةً	مُبِسّا ولكن بالتودُّدِ تُخْبَلُ
من القوم مغشيّ الرواق كأنَّه	إذا سِيمَ خسْفاً خادرٌ يتبسلُ

.. فقارئ هذه الأبيات تصطدم مسامعه بوقع ألفاظها الخشن اصطداماً نلمح بعض آثاره إذا حاولنا نطق بعض كلماتها بصوت مسموع، كفروج الفيافي، وعوجاء، وعيهل، وعلنداة، من العيس، عيطل، وتغطمطت رزّما، حين تجفل، دهماء السراة، شماخية، لاتزمَّل، البازل، الكوماء، والشمط، عوائذ دهم، درة، ومبس، وخادر يتبسل..) فكأن الشاعر هنا يحرص بفطرته على

(٤) ديوانه، بغداد: ٤٧-٥٢.

تكوين صورة صوتية موحية لأجواء البادية التي عاش بين أكنافها، وتنقل بين شعابها وفيافيها بين الحين والآخر، لأسباب أو لأخرى.

وهو بهذا الحرص الفطري ينجح في رسم معالم الصورة التي يقنع بها ممدوحه البدوي أيضاً، ويؤثر في مدركاته، فيحظى برضائه عنه، بيد أننا لا نستطيع الإلمام بجوانب هذه الصورة بسهولة دون الاستعانة بكتب اللغة والمعاجم؛ فكًّا لِمَظاهِرِ الغموض المختلطة، التي تكتنف كل كلمة من كلماتها على حدة، وتسيطر على الروح العامة للصورة بشكل عام، من جهة أخرى.

ولا شك في أن الدوافع وراء جنوح معن إلى اختيار هذا القاموس الشعري لأبياته إنما يعود إلى سريان الحس البدوي في دمائه ودماء ممدوحه، الأمر الذي جعل مثل هذه الألفاظ، التي يبدو معظمها بالنسبة إلينا شبه مستغلق، لا تكون صعبة الفهم والإدراك من المخاطب الذي يبدو أنه رأى فيها جانباً من إحساسه بعراقته، وانتمائه لماضيه، فألمّ بجوانب هذه الصورة الشعرية التي تربطه بأصوله وتذوقها، مثنياً على براعة صاحبها ثناء يترجم لنا جانباً من معايشته لهذا النمط الشعري بألفاظه البدوية الجافة التي امتدت، عبر الزمان والمكان على بعض الألسنة المزنية الأخرى حتى أواسط القرن الثاني الهجري، إذ نرى زينب بنت عرفطة ترد على سموم هجاء زوجها برائية تقول فيها(٥):

أُعْطِي عُبَيْدا من شُيَيخٍ ذي عَجَزْ
لا حسنِ الوجه ولا سَمْحٍ يَسَرْ
يشرب عُسَّ المذق في اليوم الخَصِرْ
كأنما يقذف في ذات السُّعُرْ
تقادُفَ السيلِ من الشِّعبِ المُضِرْ

---

(٥) الأغاني، الثقافة: ١٢/٢٤٦ - ٢٤٧، وانظر ملحق الشعر: ٥٦٢.

فطوابع الحياة البدوية التي تعيشها هذه الشاعرة هي وزوجها قد أضفت على أرجوزتها مسحة واضحة سن الغرابة والغموض، سواء في صورة الزوج التي ترسمها له زوجته أعرابياً جلفاً.. أم في ألفاظها التي تصطدم بها أسماعنا في شعور بالحاجة إلى تعرف معانيها كذي عجر، والمذق، والخصِر، والسعر، والشعب المضر.

ويبدو أن تمكن بعض المزنيين من استخدام مثل هذه الألفاظ البدوية الوعرة قد وطده تتلمذهم الشعري المباشر أو غير المباشر على أيدي سابقيهم من الشعراء المزنيين وغير المزنيين، الذي عُرفوا بالاهتمام بتوفير هذا الطابع المستغلق الفهم لألفاظ قصائدهم، كامرئ القيس، وأوس بن حجر، ودريد بن الصمة وخفاف بن ندبة السلمي، وزهير بن أبي سُلمَى وغيرهم.

وتتضح لنا بعض مظاهر هذع التلمذة الشعرية عند مطالعتنا لبعض الأشعار المزنية وموازنتها بمواضع من أشعار هؤلاء الشعراء، كالذي نلاحظه عند إنشادنا بيتي كعب بن زهير اللذين يصف بهما فرسه وهما[٦]:

١- شديدُ الشظى عبلُ الشوى شَنِجُ النَّسَا

كأن مكان الرِّدْفِ من ظهره وَعَى

٢- أمينِ الشَّظَى عبلٍ إذا القوم آنسُوا

مَدَى العين شخصًا كان بالشخص أبصرا[٧]

---

(٦) ديوان كعب، قراقو، ص: ٧٤، والقاهرة: ١٣١، والأحول: ٦٤.

(٧) المصدر نفسه، قراقو: ٦٩، والقاهرة: ١٢٣.

فهذان البيتان، وإن كنت أرجح أنهما من إنتاج كعب الجاهلي، يحتويان على كثير من الكلمات البدوية الغريبة التي تدنو من الوحشية كالشظى، وعبل النوى، وشنج النسا، وهي ألفاظ يبدو أن كعبا قد استوحاها من خلال اطلاعه على عيون الشعر التي كان الرواة يتناشدونها بعصره، كقول امرئ القيس في المعنى نفسه(٨):

طويلُ الشظى عبل الشوى شنج النسا ... له حَجَبَاتٌ مشرفاتٌ على القالِكأن
وصُمٌّ صلابٌ مايقيْنَ من الوجى ... مكان الردف منه على رالِ

وكقول دريد بن الصمة(٩):

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا
طويل القرا نهدِ أسيلِ المقلَّدِ

وقول خفاف بن ندبة(١٠):

عبل الذراعين سليم الشظا ... كالسِّيْد تحت القرة الصادر

(٨) ديوان امريء القيس: ٣٦.. وانظر أيضاً، ص: ٣٣٤.
(٩) ديوان دريد: ٥١. والأصمعيات: ١٠٩.
(١٠) شعراء إسلاميون: ٤٦٧، والأصمعيات: ٢٩.

فإذا تجاوزنا شعره الجاهلي رأيناه في شعره الإسلامي أيضاً يتكئ على كلمات أوس بن حجر التي يصف بها ناقته بقوله[11]:

حـرف أخــوها أبوها من مـهــجنة وعـمـُّـهـا خـالُهـا وجـناء مـئـثـيـر

اتكاءً يبدو واضـحًا أشـد الوضوح في استـعانتـه بجُلِّ ألفاظه في المعنى نفـسه بقوله:

حـرف أخــوها أبوها من مـهــجنة وعـمـهــا خـالهـا قـوداء شــمليل

ولكعب قـوله في هذه اللاميـة يمدح الصحـابة الذين كانوا يشـدون من أزر النبي ﷺ:

في عـصبـة من قـريش قال قـائلهم ببطـن مكة ، لما أسلـمــوا : زولوا
زالوا فـــمــازال أنكاس ولاكُــشُفٌ عند اللـقـاء ولامِـيلٌ ، مَـعَــازيلُ

والقامـوس اللغوي لهذين البـيتين يعـتمد على كلمـاته (في عصبـة، قال، وسيروا، وكـشف وميل، ومعازيل، وأنكاس) وهي التي نراه قد اسـتعان على تجسيد فكرته بها عن طريق اطلاعه على قول أوس بن حجر[12]:

لولا الهـمامُ لـقد خَـفَّتْ نعـامتُـهم وقال راكـبهُـم في عصـبة : سـيروا

(١١) ديوان أوس: ٤١.

(١٢) المصدر نفسه: ٤٥.

فهـذا البيت يحـتوي على ثلاث كلمـات من ألفاظ بيتـي كعب، وهي (في عصـبة، قـال: سيروا التي بمعـنى: زولوا) ويزيد أثر الإحسـاس بهذا الاطلاع بقراءتنا لقول زهير[١٣]:

في حـومة الموت إذ ثابـت حلائبـهم ليسـوا بكُشفِ ولا عُـزْلٍ ولا مـيلُ

ففي هذا البـيت نطالع ثلاث كلمات أخرى من كلمات بيـتي كعب وهي : كشف وعـزل وميل. . أما كلمـة "أنكاس" فيـبدو أنه أخذها من قـراءته لقول لقيط بن يَعْمَر الإيادي[١٤]:

عـــبْلَ الذراع أَبِيّـــا ذا مُــزَابَـنَةٍ في الحرب لا عاجـزا نِكْسا ولا وَرَعًا

وإضافـة إلى ذلك نلاحظ تشـابهاً نسـبيا بين بعـض كلمات كـعب الأخرى "كقـائلهم" مع "راكبهم" في قـول أوس، "وعند اللقاء" بحـومة الموت" في شعر زهير، و "في الحرب" في شعر لقيط.

وتمتد معايشة كـعب لأشعار سابقيه، امتداداً تتضـح معالمه في بعض أشعاره الأخرى كقوله في مدح الإمام علي (كرم الله وجهه)[١٥]:

إن علياً لميـــمـــون نقــيـبــتُــه بالصـالحـات من الأفعـال مـشهـورُ

---

(١٣) شرح ديوان زهير، الهيئة: ٣١٠، والآفاق: ٢٢٧.

(١٤) ديوان لقيط: ٥٠، والحماسة الشجرية: ٩٧ (حيدر آباد).

(١٥) منتهى الطب، خ، ١/ ١٠، ومطبوعة فرانكفورت: ١/ ١٩.

فيمْنُ النقيبة، الذي يستند إليه كعب هنا في الثناء على ممدوحه، يذكرنا بمثيله في قول أبيه، مدحا لهرم بن سنان(١٦):

مـبـاركُ البـيت مـيـمونٌ نـقيـبـتُـه		جـزلُ المواهبِ من يُعْطَي كـمن يَعِـدُ

وربما كان التشابه القوي في استخدام بعض الألفاظ بمواضع مختلفة من أشعار كل من كعب ومعن، وغيرهما من الشعراء المزنيين وغير المزنيين كأوس ابن حجر وحسان بن الغدير والخنساء السلمية، وحاتم الطائي وحطائط بن يعفر والحارث بن وعلة وغيرهم سبباً من أسباب الاختلاف في نسبة بعض الأشعار لواحد بعينه من هؤلاء الشعراء، ودليلاً آخر على اشتراك المزنيين مع سابقيهم وبعض معاصريهم في المعجم الشعري السائد وقتئذ.

وقد أدى اعتناق المزنيين للإسلام ومعايشتهم لألفاظ القرآن ومعانيه إلى إثراء القاموس اللغوي للشعراء المزنيين، وساعدهم على تطويره وتنميته، بما يتلاءم ومعايشتهم لروح العصر، الذي واكب الفتوحات الإسلامية، وما تلاها من ظواهر الاختلاط الحضاري مع الشعوب الأخرى.

ويتجلى تأثر المعجم الشعري للمزنيين بالقرآن الكريم في استعانتهم ببعض مفرداته وعباراته، كالذي نطالعه في قول خزاعى بن عبد نهم متحدثاً عن صنم نهم(١٧):

فـقلتُ لنفسي حين راجـعتُ عقلَهـا		أهذا إلـهٌ أبكمٌ ، ليـس يعْـــقِلُ ؟!

---

(١٦) شرح ديوان زهير، الهيئة: ٢٨١.

(١٧) ملحق الشعر، ص: ٥٢٢.

فكلمات الشطر الثاني من هذا البيت تعتمد اعتماداً كلياً على قوله سبحانه: ﴿ صُمٌّ بكمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لايَعْقِلُون ﴾ [١٨]، ذلك الاعتماد الذي نلمسه في قول بجير الذي خاطب به أخاه كعبا[١٩]:

وفاقُ كعبُ بجيرٍ منقذٌ لك من ... تعجيلِ تهلُكة والخُلْدِ في سَقَرا

فمنهله قوله سبحانه: ﴿ والَّذينَ كذَّبوا بآياتنا واسْتكْبَرُوا عَنْهَا أولئك أصحاب النار هم فيها خَالدُون ﴾ [٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ يوم يُسْحبوُن في النّارِ على وُجُوهِهِمْ، ذُوقُوا مسَّ سَقَرَ ﴾ [٢١].

وفي خطابه لأخيه بقوله[٢٢]:

إلى الله - لا العزَّى ولا اللاتِ - وحده ... فتنجُو إذا كان النَّجاءُ وتسْلَمُ
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ ... من النار إلا طاهرُ القلبِ مُسْلِمُ

يستعين بقوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلا مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم ﴾ [٢٣]، وفي إشارته إلى بيعة الرضوان التي أعطى المؤمنون بمقتضاها رسول الله عهد الطاعة والولاء والنصرة قائلا[٢٤]:

وأعطينا رسول الله منَّا ... مواثيقا على حسن التَّصافي

---

(١٨) البقرة: ١٧١.

(١٩) ملحق الشعر، ص: ٥٠٨.

(٢٠) الأعراف: ٣٦.

(٢١) القمر: ٤٨.

(٢٢) ملحق الشعر، ص: ٥١٤.

(٢٣) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢٤) ملحق الشعر، ص: ٥٠٩.

ينهل من معين الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ رَضيَ اللهُ عَنِ المؤمنينَ إذْ يُبايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرة﴾[٢٥]، وفي إيمانه لنصر الله، الذي وهبه عباده قائلاً:

أرادوا اللاتَ والعـزَّى إلهًـا   كفـى بالله ـ دونَ اللات ـ كَـافِ

يرتوي من حياض الآية الكريمة: ﴿وكَفَى بربّكَ هادياً ونصيرا﴾[٢٦].

ويقول كعب كاشفاً عن صفحة من صفحات إيمانه بالقدر[٢٧]:

أعلم أني متى ما يأتني قـدَري   فليس يحبسُـه شُحٌّ ولا شَـفَقُ

ومنهل هذا البيت قوله سبحانه: ﴿بَديعُ السَّموات وَالأرضِ وإذا قَضَى أَمْرًا فإنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٢٨] وفي خطابه للنبي ﷺ بقوله:

أُنبئتُ أن رسـولَ الله أوعـدني   والعفـوُ عند رسول الله مأمولُ
مهلاً هَدَاكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـ   ـقُرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
إن الرسولَ لسيفٌ يستضاء به   مهنَّد من سيوفِ اللهِ مسلول

نلاحظ احتواءه على عدة كلمات ومصطلحات إسلامية خالصة، كرسول الله، ونافلة القرآن، وسيوف الله، ومواعيظ، وتفصيل، وغيرها مما استلهمه الشاعر من قراءته لآي الذكر الحكيم[٢٩].

---

(٢٥) الفتح: ١٨.

(٢٦) الفرقان: ٣١.

(٢٧) ديوان كعب، قراقو: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

(٢٨) البقرة: ١١٧.

(٢٩) آل عمران: ٣٨، ويونس: ٥٧,٣٧ ، والأحزاب: ٤٥-٤٦.

ويتحدث معن بن أوس عن نفسه قائلا[٣٠]:

كـأنّي إذا لـم ألق نُعْـمـاً مـجـاورٌ ... قـبـائلَ من يأجُـوجَ من دونهـا الرَّدْمُ

ومن الواضح أنه ينهل كلمات هذا البيت من قراءاته لقصة ذي القرنين[٣١].

ثم ينتقل إلى بيان المسلك الاجتماعي الذي سلكه مع ذي رحمه بقوله:

وخـفـضي له مـني الجناحَ تَألُّـفـا ... لتـدنيَـهُ مني القـرابـةُ والرّحْمُ

ومصـدر كلمات هذا البيت مسـتوحى من قوله سبـحانه: ﴿ واخفضْ لَهُـمَا جَنَاحَ الذُلّ منَ الرَّحْمَة ﴾[٣٢]، وواضح من هذه الأمثلة، وغيرها[٣٣] أن القرآن الكريم ومبادئه كـانا معيناً ثراً نهل منه المزنيون مـاروّوا به غلتهم، ونمّى ثروتهم اللفظيةَ والمعنويةَ تنميـة تجاوزت الاستعمال العادي للـكلمات إلى رحاب أسمى من التمثل، والمعـايشة، والانفعال، مما أدى إلى بروز أثرها قوياً في التـخفيف

---

(٣٠) ديوان معن، بغداد، ص: ٤٠.

(٣١) الكهف: ٩٤-٩٥.

(٣٢) الإسراء: ٢٤. والشعراء: ﴿ واخفِض جناحَك لِمَن اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنينَ ﴾ الآية: ٢١٥.

(٣٣) انظر مثلاً سورة التوبة، الآية: ٢٩، وهود (٢) وانعكاساتهما على قول بجير:

فَـدِين زهيـرٍ وهو لا شـيءَ دينُه ... ودينُ أبي سُـلْمَى عليّ مُـحـرَّمُ

وراجع وصفه لجـانب من وقعة حنين، وتأثره بسورة التـوبة: (٢٥-٣٣)، والبقرة: (٦٤)، والحج (١٨)، والفتح: (٢٨)، والصف: (٩).

وقارن قول خارجة المللي (ملحق الشعر، ص: ٥٥٣ الأبيات: ١٣، ١٩، ٢٤):

هناك بنو الطيـار في الغـرف العُلَى ... وجـوهٌ عليـهـا نَضْـرَةٌ وسـرورُ

وقوله:

لَهُ شِـيَـمٌ فـيـهـا أنـاةٌ ونائلٌ ... عَـتِـيـدٌ وفـيـهـا للنَّـكِيـرِ نكِيـرُ

التـدريجي من حدة الغـرابة، والخشـونة وغيـرهما من السـمات البـدوية التي اصطبغت بهـا بعضُ كلماتهم، التي كـان تأثير القرآن ومـبادئه فيـها نادراً، أو محدوداً، مما أضفى علـى جوانب متعددة من أشعارهم بريقـاً جديداً، لم نألفه في أشعـار سابقيهم، كـالذي نطالعه في أبيات مـعن بن أوس التي يوضح بها جانباً من معالجته للمسلك الاجتماعي المعوج لذي رحمه قائلاً:

وذي رَحِمٍ قلّـمتُ أظفـار ضِـغْنِه ... بحِـلْميَ عـنه ، وهْوَ لـيس له حـلمُ
يحـاول رَغْـمِي لا يـحـاول غـيـره ... وكـالموت عندي أن يَـعُـرًّ بـه الرَّغْمُ
فإن أعْفُ عنه أُغضِ عـينًا على قذى ... وليس له بـالصـفـح عن ذنبـه عِلْمُ
صـبـرتُ عـلى مـاكـان بيني وبينه ... وما يـستوي حـربُ الأقارب والسِلْمُ
ويشتم عـرضي في المغيَّب جـاهدا ... وليـس له عندي هـوانٌ ولا شـتم
إذا سُـمْـتُـه وصل القـرابة سـامني ... قطيـعـتَـهـا تلـك السـفـاهةُ والإثْمُ
وإن أدْعُـه لـلنَّصف يأبَ ويعـصِني ... ويدعُ لحكـم جـائرٍ غـيـرُهُ الحِلْمُ
فلـولا اتقـاء اللـه والرَّحِمِ الـتي ... رعـايتُـهـا حقٌّ وتعطيلُهـا ظلم
إذاً لعـلاه بارقـي وخطَمْـتُـهُ ... بوسـم شنـار لا يشـاكلـه وسم
فـمـازلتُ في لينـي له وتعـطّفي ... عليـه كـمـا تحنو عـلى الولد الأم
وخـفـضي له مني الجـناحَ تألُّفـا ... لِتـدنيَـه مني القـرابـةُ والرّحْمُ

= وقوله:

بعليـاءَ تجـري الشـمسُ دون فـروعـهـا ... ويقـصُـرُ عنهـا الطَّرفُ ، وهو حـسـير

وسورة الصافات (٤٨)، والرحمن (٦).. وقول كعب:

أرعَى الأمـانة لا أخـونُ أمـانـتي ... إن الخَـؤونَ علـى الـطريـق الأنكـب

وسورة النساء (٥٨)، والمؤمنون (٨)، والحج (٣٨)، والمعارج (٣٢).. وقوله عن الأنصار:

ورثوا الـسـيـادة كـابـراً عن كـابر ... إن الخـيـار هم بـنو الأخـيـار

وسورة الأعراف (٥٨)..، وقوله ناصحاً لقومه:

فكونوا جـمـيـعاً مـا استطعـتم فـإنه ... سَـيَلْبَـسُكم ثوبٌ مـن اللـه واسعٌ

فـــأطفـأتُ نار الحـــرب بينـي وبينَه فأصبحَ بعد الحرْب وهْوَ لنا سَلْم(٣٤)

.. فـما من شك في أن الشـاعر، باهتـدائه لنور الإسـلام وتمثله للأسلوب القرآني، قد أثـرى عناصر تجربته الشعـرية، إثراء أضفى على كلماتهـا وجملها رونقاً سلساً عذباً تسـهل به قراءته، ويتيسر فهمـه وتذوقه، دون اللجوء إلى ما يساعدنا على ذلك كله من كتب لغة أو معاجم.

ولكعب بن زهير رائية استـهلها بالغزل في "رملة"، ووصف رحلة ظعنها،

= وسورة آل عمران (١٠٣)، وقوله:

لعـــمـــرك لولا رحـــمـــة الله إنـني لأمطـو بجـد مـــايريـد ليـــرفـعـــا

وسورة البقرة (٦٤)، والنساء (٦٣).. وقوله:

إن يفـن مـــاعـندنا فــــالله يرزقـنا ومـن ســـــوانا ولـسنا نحـن نرتـزق

وسورة الإسراء (٧٠).. وقول معن:

فـلولا اتـقـــــاءُ الـلهِ والـرَّحِـمِ التـي رعـــايَتُـــهَـــا حقّ وتعـطيلـهـــا ظـلـم

والأنفال (٧٥)، ومحمد (٢٢).. وقوله:

لكف مـــفـيـــد يكسـب الحـمـــد والندى ويعـلـم أن البـــخل يعـــقـــبـــه الذم

وسورة محمد (١٨)، وآل عمران (١٨٠).. وقوله:

وصـــبــــري على أشــيـــاء منه تريبني وكظمـي على غــيظي وقــد ينفع الـكظم

وآل عمران (١٣٤).. وقوله:

فــــإنـي أرى مـــــا لا تَرَيـنَ وإنـني رأيت المنـايا قــد أصــابَتْ مــحــمـــدا

... وآل عمران (١٤٤).. والزمر (٣٠) ونوح (٤)، والأعراف (٣٤)، ويونس (٤٩).
(٣٤) ديوان معن: ٤٠-٤٤.

وانتقل منها إلى مدح الإمام علي رضي الله عنه، بقوله[٣٥]:

إنَّ علياً لميمونٌ نقيبتُهُ بالصالحاتِ من الأفعال مشهورُ
صِهرُ النبي وخير الناس مُفْتَخَرًا فكل مَنْ رامه بالفخْر مَفْخُورُ
صلى الطَّهورُ مع الأُمّي أولهم قبل العباد وربُّ الناس مكفورُ
مقاومٌ لطغاةِ الشِّرْكِ يضربُهم حتى استقاموا ودينُ الله منصورُ
يا خيرَ مَنْ حملتْ نَعْلاً له قدمٌ بعد النبيِّ لديه البغيُ مهجورُ
أعطاك ربك فضلاً لا زوالَ له من أين أنَّى له الأيامَ تغييرُ ؟!

وإن صحت نسبة هذه الأبيات لكعب دلت على تمكن هذا التأثير القرآني من لغة شعره، تمكناً نلحظ بعض دلائله في الاستعانة بكم هائل، من الألفاظ الإسلامية التي أثرى بها القرآن لغة العرب وآدابها كـ(الصالحات من الأفعال، والنبي، والطهور، والأمي، ورب الناس، ومكفور، والشرك، ودين الله، والبغي، وربك . .) ويزيد الإحساس بروح هذا التأثير القرآني في لغة كعب بمطالعة أبيات عينيته التي يقول فيها[٣٦]:

رحلتُ إلى قومي لأدعوَ جلَّهم إلى أمر حزمٍ أحكمته الجوامعُ
ليوفوا بما كانوا عليه تعاقدوا بخَيْفِ "منًى" والله راءٍ وسامعُ
وتوصَلَ أرحامٌ ويُفْرجَ مغرم وترجعَ بالوُدّ القديمِ الرواجعُ
سأدعوهمُ جَهْدي إلى البر والتقى وأمْرِ العلا ما شايعتني الأصابعُ
فكونوا جميعا مااستطعتُم فإنه سيلبَسكم ثوبٌ من الله واسعُ
وقوموا فآسوا قومكم فاجمعوهُمُ وكُونوا يدا تبني العُلا وتدافعُ
فإن أنتمُ لم تفعلوا ما أمرتكم فأوفُوا بها إن العهود ودائعُ

(٣٥) منتهى الطلب، خ، ١/١٠٩، وط. فرانكفورت: ١/١٨-١٩، وفائت الأحول: ٨٦-٨٨، وانظر ديوان كعب، القاهرة : ٢٥٢.
(٣٦) ديوان كعب، قراقو: ٦١-٦٢، والقاهرة: ١١١-١١٣، والأحول: ٥٧-٥٨.

.. فقارئ هذه الأبيات يدرك إلى أيّ مدى استطاع صاحبها أن يجعل منها صورة سمعية مرئية شفافة تنم عن قوة استرشاده بالإسلام وقيمه مستعيناً بفيض غير يسير من قاموس القرآن، منطلقاً بكلمة "الرحلة" إلى نطاقها السامق الذي يسمو للدعوة لدين الله والوفاء بعهوده، ومراقبته، لأنه مُطّلع على الخلائق، يرى ويسمع كل ما يبدر منها، ويحثهم على صلة الأرحام، وتفريج الغارمين، والمحافظة على أواصر المودة والبر والتقوى، والعلا والاعتصام بحبل الله المتين.

وغير خاف على المتأمل في ألفاظ هذه الأبيات، ما نلاحظه من سهولة وعذوبة ورقة وصل إليها الشاعر بفضل معايشته للنص القرآني، وطموحه لآفاق رحبة من الحياة الكريمة التي تدعو إليها آياته.

واستطاعت حيوية التجربة وتدفق المشاعر أن تشارك في إضفاء طوابع الليونة واليسر والعذوبة على كلمات بعض الأبيات الأخرى، كتلك التي نلاحظها عند قراءتنا للمقطع الشعري الذي أفرده هذا الشاعر لتصوير جانب من حالته النفسية المضطربة والمتوترة قبيل وصوله لملاقاة النبي ﷺ والاعتذار له والثناء عليه، بقوله:

يسعى الوشاةُ بجنبيها وقولهمُ ... إنك يابنَ أبي سُلْمى لمقتولُ

وقال كل خليل كنت آمله ... : لا ألفينّك إني عنك مشغول

فقلت: خلوا سبيلي لا أبا لكُمُ ... فكلُّ ما قدّر الرحمنُ مفعول

كل ابنِ أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلةٍ حدباء مَحمول

أُنبئت أن رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخُذنّي بأقوال الوُشاةِ ولم ... أذنب، ولو كَثُرَتْ فيَّ الأقاويل

.. فقد جسدت معاناة الشاعر تجربته مع الوشاة والوعيد بالقتل الذي ينتظره من سيوف النبي وصحبه، وتسليمه بقدر الله المفعول، وطلبه العفو، من النبي الموسوم بالعفو والرأفة والرحمة من قبل الله سبحانه بكلمات ساد استعمالها في الأوساط العامة لمجتمعه، بيد أنه، بحرارة مشاعره وصدق انفعالاته، نقلها من مدلولاتها العادية التي تعارف عليها الناس إلى عوالم أرحب من التأثير والإيحاء، بكل ما يدور بخلده، إبان معايشته لأتون تجربته، وكأنه يحاول بذلك الكشف عن لغة جديدة، يجبر بها نقص اللغة، التي يراها في حاجة إلى التجدد، معبراً عن إحساسه بالانكسار، والخضوع للقدر المحتوم، بميله الواضح إلى استخدام صيغ اسم المفعول (مقتول، مشغول، مأمول، مفعول، محمول) منتقلاً من صب هجائه على الوشاة، الذين باعدوا بينه وبين الاهتداء لنور الإسلام (فقلت: خلوا طريقي لا أبا لكُمُ)، إلى تقرير إيقانه بقدر الله (فكل ما قدر الرحمن مفعول)، وهو القدر الذي يؤدي به وبغيره إلى حتمية الموت التي يتساوى فيه كل المخلوقين:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته　　　يوما على آلة حدباء محمول

إلى محاولة استدرار عطف النبي ﷺ، والحصول على شآبيب رحمته بالثناء عليه، بما هو أهله: (أنبئْت أن رسول الله..)، ونصاعة الأسلوب الذي نطالعه هنا يعود إلى التصاق الكلمات بشغاف قلب الشاعر، بضمائر المفرد (إنك مقتول، كنت آمله، إني عنك مشغول، فقلت: خلوا سبيلي، أنبئت أن رسول الله أوعدني، لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة.. ولم أذنب.)، إضافة إلى استخدامه الكلمات ذات المدلول الديني الشفاف الذي يأخذ بالقلوب ويسيطر على الأذهان.

وقريب من أمر هذه الألفـاظ، وإن اختلف مسار التجـربة، ما نلاحظه عند قراءتنا لأبيات من حائية المضرب بن كعب التي يقول فيها(٣٧):

ولما قَـضَـيْنا من مِنًى كل حـاجـة ... ومـسَّح بالأركـان من هو مـاسحُ
وشُـدَّتْ على هُدْبِ المهـاري رِحَـالنا ... ولم يـنظُر الغـادي الذي هـو رائحُ
أخـذْنا بـأطراف الأحـاديث بيـننا ... وسـالـتْ بأعنـاقِ المطِيِّ الأبَـاطِحُ

وقد اضطربت نظرات النقاد القدامى لهذه الأبيات، فتمثل بها ابن قتيبة(٣٨)، وابن منقذ(٣٩) على الضـرب الشعـري الذي كان لـفظه أكثـر من المعنى، لأن ألفـاظه أحـسن شيء مخـارج ومطالع ومـقـاطع.. ورأي فيـهـا عبـدالقـاهر الجرجـاني(٤٠) جمـالاً يسري من الأخـذ بأطراف الأحاديث وسـيلان الأباطح بأعناق المطى.. بينما رأى كل من ابن جني(٤١) وابن الأثير(٤٢)، في قول عقبة " كل حاجـة، مايفيـد منه أهل النسيب والرقة وذوو الأهواء، مـا لا يستفـيده غيرهم، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم، متسائلين بالقول: ألا ترى أن حوائج "منى" كثيرة فـمنها التلاقي، ومنها التشاكي، ومنهـا التخلي إلى غير ذلك مما هو تال له، ومعقود الكون به؟، فكأن الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي أومأ له وعقـد غرضه علـيه بقوله: ومـسّح بالأركان من هو مـاسح، أي إنما كانت حـوائجنا التي قـضـيناهـا وآرابنا التي بلغناها مـن هذا النحـو الذي هو مـسح الأركان، وماهو لاحق به، وجـار في القرابة من الله مجراه، أي لـم نتعد هذا

(٣٧) ملحق الشعر، ص: ٥٩٦ ـ ٥٩٧.
(٣٨) الشعر والشعراء، دار التراث: ١/ ٧٢-٧٣.
(٣٩) البديع: ١٥٤.
(٤٠) أسرار البلاغة، بيروت، ٢١-٢٣، ودلائل الإعجاز: ٦٢-٦٣.
(٤١) الخصائص: ١/ ٢١٧-٢٢٠.
(٤٢) الجامع الكبير: ٧٠-٧٢، والمثل السائر: ٢/ ٦٦-٦٩.

القدر المذكور إلى مايحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح..
وأما قوله: أخذنا بأطراف الأحـاديث بيننا"، فإن فيه وحياً خـفياً ورمزاً حلواً، ألا ترى أنه قد يريد بأطرافـها ما يتـعاطاه المحبون ويـتفاوضه ذوو الصـبابة من التعريض والتلويح والإيماء دون التـصريح، وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون كـشفاً ومـصارحة وجـهراً؟؟.. نعم في قـول الشاعـر "وسالت بأعناق المطيّ الأباطح" من لطافـة المعنى وحسـنه مالا خفـاء به، فإن القـوم لما تحدثوا، وهم سـائرون على المطايا، شغلتـهم لذة الحديث عن إمسـاك الأزمة، فاسـترخت عن أيديهـم، وكذلك شأن من يـشره وتغلبـه الشهوة فـي أمر من الأمور، ولما كان الأمر كذلك، وارتخت الأزمة عن الأيدي، أسرعت المطايا في المسير فشبهت أعناقهـا بمرور السيل على وجه الأرض في سرعته، وهذا موضع كريم حسن، لامزيد على حسنه.

والحقيقة أن قارئ هذه الأبيات، بأدائهـا الحسن، يلاحظ أنها قد أقيمت على مادة لغوية عـذبة، تشير إلى خاطرة سهلة من خواطر المعنى، والسـبيل الأمثل لتقديرها وتذوقها في نظري لا يكون إلا بالقلب، بالـتجاوب الشعوري المنسرب من أعـماق الذات، لا بما يشـعه العـقل، بتجـرده الذهني وإدراك جمـال هذه الأبيات، بظاهرها الشـفاف، إنما يأتي من استـيعابهـا بكونها بناء فنياً مـتكاملاً تقوم الاستـعارات بدور جزئي في تشكيله، ولكنه لا يقـتصر عليهـا، وحدها، فالشـاعر يصور مـوجات مستمرة من الحـركة الدائبة، تـرفد كل جزئيـة منها للتشكيل العـام، فطائفة من الحجيج تؤدي المناسك في "مِنـى"، وطائفة أخرى تسبق إلى الطواف بـالكعبة منهـية شعـائرها، تقدمتـها طائفة تحللت؛ فـبدأت الاستعداد للرحيل بجمع الأمتـعة وإعداد الدواب، حيث ينشغل كل إنسان عن

غـيره، بينمـا نرى طائفـة كانت أسـبق الجمـيع في أداء المناسك، قـد رحلت بالفعل، وبدأت الأحاديث التي تدل على رجوع إلى شؤون الدنيا بعد أن كانت قد شُغِلَت عنها بشؤون الآخرة، فترى في هذا البناء الفني تموّج الحركة الخارجية وتدفقها، وتغير الحركة النفسية الداخلية باختلاف اهتماماتها، في المناسك يذهل العابد عن نفـسه، وعن غيـره، وبعد انقضـائها يشغل عن غـيره باستـعدادات الرحيل، وفي الرحلة يعـود إلى نفسه وإلى غيـره بالحديـث(٤٣)، وبهذه النظرة الشمـولية لعناصر هذه التـجربة التي لخصتـها الكلمات، نسـتطيع الوصول إلى مكنون عاطفة الشاعر وتدفق مشاعره.

وإذا انتقلنا عبـر الزمان والمكان، للاطلاع على امتدادات هذا التيـار الشعري بأسلوبه العذب الميـسور، وجدنا خـارجة بن فليح يمدح بني مـصعب بن ثابت الزبيري بقوله(٤٤):

بني مُـصْعَبٍ أنتـم خيـارُ خيـارنا ... أكـابرُنا والمعْــقِبـون الأصـاغـرُ
بهـاليلُ قَـوَّامـونَ بالقـسـطِ بيننا ... لكم خُـطَبٌ تهـتــز منهـا المـنَابِرُ

* ورأيناه يفرد بحديثه أبا بكر بن عبدالله بن مصعب قائلاً(٤٥):

أنت الإمــام الذي بالبـرّ نعـرفــه ... اعــتـامــه لدوام النعــمـة القــدرُ
يومــاك : يوم تعمُّ النـاس رأفـتُــه ... ويوم حكـمٍ لدين اللـه منتــصــرُ

(٤٣) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: ٣٠-٣١.

(٤٤) ملحق الشعر، ص: ٥٥٨.

(٤٥) ملحق الشعر، ص: ٥٥٥.

* ورأينا عبدالله بن عمرو يصف عبدالله بن مصعب وابنه أبا بكر الزبيريين بقوله[46]:

نعم الأميرانِ بكّارٌ ووالدُه	ما أشرف الوالدَ الميمونَ والولدَا
المالئان بعدل الله قبضته	والمصلحان بإذن الله ما فسدا

وتكشف هذه الأبيات بمقطعاتها الثلاث عن استمرار تدفق الأثر القرآني إلى ألفاظ الشعر المزني، وهو الاستمرار الذي تشهد به الصياغة السهلة لعباراتها المستوحاة من قاموس القرآن الكريم في كلمات كثيرة كـ (الخير، والقسط، والمنابر، والإمام، والبر، والنعمة والقدر، والرأفة، ودين الله منتصر، وعدل الله وإذن الله، وما أوصى إلا له به، من حق ذي الحق . .) .

وإضافة إلى ذلك يدرك المتابع لحركة الشعر المزني في هذا العصر المتأخر ملامح رافد شعري جديد، نبع من أتون "التطور الاجتماعي، وتطور أحاسيس الشعراء أنفسهم، والذوق العام في العصر الذي شهد هؤلاء الشعراءُ مظاهر تطوره المادية والمعنوية على السواء، فحرصوا على أن تكون لغة شعرهم هي لغة الحياة اليومية نفسها، أو على الأقل أن تكون قريبة منها، ولهذا لم يكونوا مضطرين إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة السائدة في مجتمعهم، فيصطدم إلهامهم ذاك بعقبة كأْداء تجعل نظمهم بطيئاً، ولم يكونوا مضطرين أيضاً إلى التأنق في ألفاظهم، والتروي فيها مثلما كان يفعل بعض الشعراء السابقين كزهير وكعب ومعن في معظم إنتاجهم الشعري، لذلك كانت تنثال عليهم الأشعار في سهولة موحية قريبة من لغة الحياة اليومية، أو هي بالفعل منها، وسرعان ما تذيع هذه الأشعار، ويقبل عليها الناس في سهولة ويسر،

(٤٦) ملحق الشعر، ص: ٥٦٧ .

وتصبح جزءاً من ثقافتهم، ومرآة تنعكس عليها أفكارهم وعواطفهم(٤٧)، ومن هذه الأشعار أبيات عبدالله بن عمرو التي رثى بها عبدالله ومحمد ابني مصعب ابن ثابت الزبيري، التي يقول فيها(٤٨):

قل للأمير جزاه الله عارفةً ... وأهلِ وُدي جميعًا من بني أسد
إني نذرتُ إنِ الرَّحمنُ سلَّمني ... حتى أقومَ صحيحا غيرَ ذي أوَدِ
مَشْيًا بحقِّكمُ حتى أؤدِّيَهُ ... هل يُبرِدَنْ ذاك من حَرٍّ على كبدي
إن يَشْمتِ اليومَ حُسّادي بموتهما ... فقد يموتون قبلَ اليوم من حَسَدِي
وقد أرانا وعبدُالله يحملُنا ... كحامل الغَيْثِ بين الغَوْر والنُّجُد
إن يُعقِبِ اللهُ يوما من مصيبته ... فبالأمير، وإلا لجَّ بي كمدي

فهذه الأبيات ببساطة كلماتها ويسر عباراتها تبدو أشبه بحديث يومي يدور في بعض المجالس العامة، بسبب نزول صاحبها بلغتها إلى مستوى شعبي، تترجمه عباراته: "إن الرحمن سلمني"، هل يبردن ذاك من حر على كبدي"، إن يشمت اليوم حسادي فقد يموتون....

* وتزيد شعبية الأسلوب وضوحاً إذا طالعنا مقطوعته التي يخاطب بها زوجته قائلاً(*):

ألا يا ليت أنَّكِ أمَّ عمرو ... شهدتِ مُقاومي كي تعذريني
ودفعي منكبَ الأسديّ عني ... على عَجَلٍ بناحيةِ زَبُونِ
بمنزلةٍ كأنَّ الأُسْدَ فيها ... رَمَتْني بالحواجِبِ والعيون
وكنتُ إذا سمعتُ نجيَّ خَصْمٍ ... منعتُ الخَصْمَ أن يتقدمُوني

(٤٧) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني: ٥٥٣ - ٥٥٤.
(٤٨) ملحق الشعر، ص: ٥٦٥.
(*) ملحق الشعر، ص: ٥٨٦.

فمن الواضح أن الشاعر قد هبط بلغة شعره هنا إلى مستوى أدنى من الشعبية، مستعيناً ببعض التراكيب العامية التي نهلها من معين حياته اليومية، كقوله: كي تعذريني، رمتني بالحواجب والعيون، بناحية زبون.. ولعل إشارة بعض الرواة إلى معيشة هذا الشاعر ببغداد، وتنقله بين قصور الأمراء في المدينة وصنعاء لتضع أيدينا على سبب انسياقه وراء هذا التيار الشعري الشعبي، مخلفاً حياة البادية لأصحابها يستنطقونها أشعارهم التي تخالف في اختيار كلماتها وبناء أساليبها مانطالعه في مثل هذه الأشعار.

وعلى اختلاف المستويات اللغوية المتعددة التي استعملها المزنيون تطالع القارئ لما بين أيدينا من أشعارهم عدةُ صيغ أسلوبية نلخصها في الصفحات التالية..

أ - **أسلوب القصر**: استعمل المزنيون القصر بعدة طرق، كالنفي والإثبات بلا . . وإلا، في قول كعب:

لا يقع الطعن إلا في نُحورهمُ ما إن لهم عن حياض الموت تهْليلُ

وقول خارجة المللي:

ولا حربَ إلا قد قرعتُم كُمَاتَها عليها بكم كانت تدورُ الدوائرُ

وزاد بجير مع (لا)، (ليس)، في قوله:

لدى يوم لا ينجو ، وليس بمُفلت من النار إلا طاهرُ القلبِ مُسْلِمُ

وقد يستعملون (ما . . وإلا)، كقول عبدالله بن عمرو:

فما عيشنا إلا الربيع ومصعب يدور علينا مصعب ويدور

وقول مكنف:

وما بُحْتُ بالسر الذي كان بيننا وبينك إلا أن يبوحَ بكاءُ

وقد يأتي قصرهم بلن . . وإلا، كقول كعب: (ولن يبلغها إلا عذافرة) أو بلم . . وإلا . . كقول بجير:

لم يمنعوا منا مقامًا واحِدًا إلا جدارَهُمُ ، وبطنَ الخندقِ

وقول كعب:

تقـرَّب حـتى قلـتُ : لم يدنُ هكذا   من الإنس إلا جـاهـل ، أو مُـضَلَّلُ

.. أو بما .. وغير .. كقول المضرب:

ومالتُ نفـسي غيـر أن لم يكن معي   سـلاحـي وأني لم أكن جـدّ حـاذر

ب- **التوكيد:** يميل المزنيون إلى التوكيد بطرق مختلفة، كالتكرار الذي يبدو في قول معن:

قــفـا يـاخليلـيَّ المطيَّ المقـــرَّدا   على الطـلل البـالي الذي قــد تأبدا
قــفـا نـبك في أطلال دار تـنكرت
قـفـا إنهـا أمستْ قـفـارا ومن بهـا

وقد يؤكدون بإنّ ولام الابتداء، كقول عبدالله بن عمرو:

وإن أمـــيـــر المؤمنـين لعـــارف   غنـاءك عنـه في البـــلاءِ الـذي يُبْـلى
واني لمـثنٍ بالـذي قــد فــعلـتمُ   بني ثابتٍ في الناس مـا استـدَّ لي عَـقْلى

أو باللام، وقد، كما في قول خارجة:

لقـد ظَعَنَتْ فـي رَبْرَبٍ شَـابَهَ الدُّمي   رقـاقَ الثنايـا واضـحـاتِ المحـاجـر

أو باللام مع القسم، كقول معن: (لعمرك ما أهويتُ كفي لريبة ..).

جـ - التعـجب والحض والدعاء : تعجب المزنيون بـصيغة (ما أفـعله)، كقول عبدالله بن عمرو:

نِعْـمَ الأمِـيـــران بكَّـارٌ ووالِدُهُ   ما أشـرف الوالدَ الميمـونَ والولَدا !!

كما تعجبوا بصيغة (أفعل به)، كقوله أيضاً، في الدالية نفسها:

أكـرِمْ بذي شَـرَفٍ ألفى مكارِمَـهُ   فوقَ الثريّا ، فَعَـلّى فوقَ ما وَجَدا !!

كما استخدموا عدة صيغ سماعية (كويب) في قول كعب:

أرنَّتْ من الشيب العـجيب الذي رأتْ

وهل أنتِ منـي ويْبَ غَـيـرِك أمْـثَلُ ؟!

أو بكلمة (ويل)، في قوله أيضاً: (وَيْلُمِّهَا خُلَةٌ لو أنها صَدَقَتْ ؟!)

أو:

لا شيءَ أجودُ منها، وهي طيِّبَة   نفسًا بما سوف ينجيها وإنْ لَحِقَا!

أو :

ياليتَ شِعريْ وليتَ الطير تُخبِرُني   أمِثْلَ عِشقيْ يُلاقي كُلُّ مَنْ عَشِقَا

ويختلط الحض والترغيب مع التعجب، في قول بجير:

أيـن الذيـن هُمُ أجــــابُـوا ربهـم   يوم العـريض وبـيـعـة الرضـوان ؟!

ويختلط الدعاء بالعتاب والحض في قول الجعالي:

يا بنتَ قـيسٍ جَـزَاكِ اللهُ عارِفـةً   هلا صبرتِ وغِبُّ الصبرِ مشكور ؟!

ويتصدر الدعاء بجنات النعيم في أدعيتهم، كقول أحد المزنيين:

جـزاكَ الله يا عـمـر بن حـفص   عن الإخـــوان جَنَّاتِ الـنَّعِـــيمِ

ويليه الدعاء بحسن الثواب، الذي يرد على لسان عبدالله بن عمرو بقوله:

أثابـك عَنَّا الـلهُ حُـــسنَ ثـوابه   بِعَـدْلِكَ في الأحـكام والخُلُق الجَـزْلِ

ثم بطلب السقيا كقول خارجة:

سقى هضبـاتِ الفَرشْ كُلُّ مُجَلْجِلِ   له نَضَـــدٌ مـن مُـــزنِهِ وصَـــبِـيـــرُ

أو يكون بالدعاء على الخصم، كقول ابن عمرو:

فـــقلـتُ له : آمين آمـين ، إنما   دعـوتُ على الأردى فبَـسْلاً له بَسْـلا

وقول أحد المزنيين:

يا قـــبَّحَ اللـهُ أقـوامـــا إذا ذُكـــروا   بَنِي عُـــمَـيـــرَةَ رهْطَ اللؤم والعـــارِ

د - **النفـــي** : وللنفي في أشـعارهم أدواته المختـلفة، كاسـتخـدام (ما، ولا، ولم، وليس) وهي الأدوات التي تتقاطر بشكل ملحـوظ في مقطوعة معن التي ينفي بها مقارفته للفواح:

لعـمْـرُكَ مـا أهويتُ كـفِّي لـريبـةٍ   ولا حـملَتْني نحـوَ فـاحِـشـةٍ رِجْلي
ولا قـادَني سـمعي ولا بصـري لهـا   ولا دلَّني رأيي عـليـهـا ولا عــقلي
وإنِّيَ حـقًّـا لم تُصـــبني مـصـيـبـة   من الدهر إلا قـد أصابت فتى قَـبْلي
ولستُ بمـاشٍ مـــا حــيــيتُ لمـنكَرٍ   من الأمـر لا يمشي إلى مـــثله مـثلي

هـ - **أسمـاء الفاعلين** : حرصاً على إثـبات القوى الفاعلة للمـوصوف حرص المزنيون على استعـمال صيغ اسم الفاعل التي تنبثق منها حركـات الأفعال ففي الدعوة إلى الله وحسن عبادته وصف كعب ربه بقوله:

(والله راءٍ وسـامع)، وتأكيـداً لهذا الحـرص في إثبات القـوى الإيجابيـة لممدوحـيه وصف الأنصار في رائيـته الشهـيرة بأنهم من "صـالحي" الأنصار، وأنهم "المكرِهُون السَّمْـهَرِيَّ" والناظرون بأعين محـمرة، والذائدون الناس عن أديانهم، والباذلون نفوسهم لنبيهم.. والمطعـمون الضيف، والمنعمون المُفْضِلون إذا شَتَوا، والضاربون عِلاوَةَ الجبّار.

ومن الواضح أن استعمالهم لهذه الصـيغ الأسلوبية وغيرها، إنما كان ينسجم ورغبتـهم في تكوين نسيج موسيقي لأشـعارهم، يضفي عليه جمـالاً وحيوية، وهو النسيج الذي نحاول استكناه بعض مظاهره في المبحث التالي..

ثانياً : موسيقى الشعر المزنـــي :

ترتكز دراسة موسيقى الشعـر المزني على ثلاثة مباحث رئيسية هي: الأوزان والقوافي والإيقاع، وهي الدراسة التي نوجزها في الصفحات التالية:

أ - الأوزان :

للشعر العربي القديم أوزانه التي رسم حُدودَها وبيَّن معالِمَها كُـلٌّ من الخليل ابن أحمد وتلميذه الأخفش.. وقبل الإلمام بالأوزان الـشعرية التي استعملها بنو مزينة في الإسـلام نتوقف قليلاً عند استـعمال بعض معـاصريهم؛ لنرى، عن قرب، إلى أي مدى واكب المزنيون غيرهم في هذا المجال، مستفيدين من بعض النتائج التي سـجلها بعض الباحثين في اسـتقراءاتهم لأوزان بعض المجـموعات الشعرية.

فقد لاحظ الدكـتور/ إبراهيم أنيس[1] أن الأشعـار التي تضمها المفـضليات والجمـهرة (٥٢٠٠) بيـت، يحتل فـيهـا البحـر الطويل المكانة الأولى، بنسـبة (٣٤٪)، يليـه البسيط (١٧٪)، فـالكامل (١٥٪)، فالوافـر (١٢٪)، فكل من الخفيف والرمل والمتقارب (٥٪)، فـالسريع (٤٪)، فالمنسرح (١٪)، وأن ديوان الفـرزدق (٧٩٠٠) بيت، للبـحر الطويـل النصيب الأكـبـر (٦٨٪)، والكامل (١٢٪)، والوافـر (١٠٪)، والبـسـيط (٩٪)، والمتـقــارب (١٪)، والرجـز (٤٥ر٪)، وأن في أجزاء كـتاب الأغـاني الاثنى عشـر الأولى (٤٥٠٠) بيت،

(١) موسيقى الشعر: ١٩٢ - ١٩٤.

يتقاسم أكثرها بحر الطويل (٣٦٪) ولكلٍّ من الكامل والبسيط (١٢٪)، ولكل من السريع والمنسرح (٣٪)، والرمل (٢٪)، والهزج والمديد (١٪).

وتبين للدكتور/ أحمد كمال زكي[٢] اشتمال ديوان هذيل في الجاهلية والإسلام على أبحر الطويل (٢ر٤٣٪)، والوافر (٦ر٢١٪)، والبسيط (٣ر١٢٪) والكامل (٣ر١٢٪) والرجز (١ر٦٪)، والمتقارب (٣ر٤٪).

ورأى الدكتور/ عبدالكريم يعقوب[٣] أن أشعار بني عامر في الجاهلية تحتوي على أبحر الطويل (٩٦ر٣٤٪)، والوافر (٩ر٢٦٪) والكامل (٢ر٢٠٪)، وكل من البسيط والرجز (١ر٦٪)، والمتقارب (٥ر٥٪)، والخفيف (٢٪) وكل من المنسرح والسريع (٦ر٪).

وسجل الدكتور/ عسيلان[٤] اشتمال شعر العباس بن مرداس على أبحر الطويل (٥١٪)، والوافر (٣ر١٦٪)، والبسيط (٢ر١١٪)، والكامل (٢ر١٠٪) والمتقارب (١ر٧٪)، والرجز (٣٪)، والخفيف (١٪).

وأثبت الدكتور/ داود سلوم[٥] احتواء شعر نصيب بن رباح على أبحر الطويل (٩٨ر٦٨٪)، والوافر (٥٥ر١٤٪)، والبسيط (٥٩ر٧٪)، والخفيف (٦٣ر٪).

ووجد الزميل حسام علم[٦] أن أشعار حمير في الجاهلية تشتمل على أبحر الطويل (١ر٤٢٪)، والوافر (٤ر٢٠٪)، والخفيف (٦ر٩٪)، والبسيط

---

(٢) شعر الهذليين في الجاهلية والإسلام: ٢٣٦.

(٣) شعراء بني عامر الجاهليون: ٤٠١.

(٤) العباس بن مرداس الصحابي الشاعر: ١٢٢.

(٥) شعر نصيب: ٢٥١ - ٢٥٢.

(٦) أشعار حمير في الجاهلية: ٢٨٤.

(٢ر٤٪)، والكامل (٦ر٩٪)، والمتقارب (٦٪) وكل من السريع والرجز (١ر٢٪).

وقرر الدكتور/ المعيني(٧) أن توزيع البحور في شعر التميميين في الجاهلية يسير بالترتيب التالي: الطويل فالبسيط فالوافر فالكامل فالمتقارب فالخفيف فالسريع فالرمل فالمنسرح فالرجز، وأن الأبحر الأربعة الأولى تضم ما يقرب من ثلاثة أخماس شعر تميم.

وفي استقرائي لمجموعة أخرى مواكبة لهذه الأشعار، تصل أبياتها إلى أكثر من (١٩٥٠٠) بيت، لأكثر من خمسين ومائتي شاعر وشاعرة(٨)، تبين لي أن بحر الطويل يتصدر أوزان هذه المجموعة بنسبة (٨ر٤٠٪)، يليه الوافر (٨ر١٥٪)، فالكامل (٢٨ر١٤٪)، فالبسيط (٢ر١٣٪)، فالرجز (٤ر٦٪)، فالخفيف (١ر٣٪)، فالمتقارب (٥٧ر٢٪)، فالمنسرح (٧ر١٪)، فالرمل (٩٨ر٪) فالسريع (٦٤ر٪)، فكل من المجتث والمديد (١٢ر٪)، فالهزج (٠٦ر٪).

---

(٧) التميميون: أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهلي: ٢٨٠، وانظر أيضاً: ديوان بني بكر في الجاهلية، ٢٥٨ ـ ٢٥٩، وشعر بني ذبيان في الجاهلية وصدر الإسلام ص ١٨١ ـ ١٨٢.

(٨) وردت أشعارهم في كل من ديوان أشعار الخوارج وأشعار النساء وأشعار بني غنى ومرة، ودواوين الأحوص والباهلي وجرير وخداش بن زهير والخرنق بنت بدر ودريد بن الصمة، وذي الرمة وربيعة الرقي، وعبدالله بن معاوية، وابن قيس الرقيات وابن لجأ وعمرو بن معد يكرب وابن ميادة، وأشعار كل من جبيهاء الأشجعي وطريح الثقفي وعويف القوافي والوليد ابن عقبة وخفاف بن ندبة وزيد الخيل والنمر بن تولب، وخالد بن جعفر الكلابي، ومعاوية بن مالك العامري، ويزيد بن الصعق.. انظر إلى جانب المصادر المذكورة في المتن: شعراء أمويون، جـ ٣، ص: ٩-٢٥، ٢٩٢ - ٣١٥، ١٣٨-١٥٤، ٣٣-٥٩، وشعراء إسلاميون، ص: ٤٣٩-٥٢٠، ١٤٧-٢٠٩، ٣٢٩-٣٩٧، وأشعار العامريين الجاهليين، وانظر لكاتب هذه السطور: أوزان الشعر العربي القديم بين الكثرة والقلة، جريدة اليوم، السعودية، العدد (٧٠٩١)، ١٩ من جمادى الأولى ١٤١٣هـ الموافق ١٣/ ١١/ ١٩٩٢م.

وقد أضفت خلاصة هذا الاستقراء إلى سابقتها في دراسات بعض الباحثين، فتبين لي تقدم أبحر الطويل (٤ر٤٢٪)، والوافر (٣ر١٦٪) والكامل (٩ر١٣٪)، والبسـيط (٧ر١١٪)، وتوسـط أبحـر الرجـز (٧ر٤٪) والمتـقـارب (٦ر٣٪)، والخفيف (٣ر٣٪)، وتأخر أبحـر المنسرح (٢ر١٪)، والرمل (٩٨ر٪)، والسريع (٩٢ر٪) وكل من المجتث والمديد (١٢ر٪)، والهزج (٠٦ر٪)[٩].

فإذا دخلنا في رحـاب الشعر المزني في الإسـلام رأينا شعر كـعب بن زهير موزعاً على أبحر البسيط (١ر٣٧٪)، والطويل (٩٩٦ر٣٣٪)، والكامل ومجزوئه (٨ر١١٤٪)، والخفيف (٢ر١٢٪)، والسريع (٧ر١٪)، والوافر (٨٨ر٠٪).

ويشتمل شعر معن على أبحر الطويل (٨ر٨٨٪)، والوافر (٤ر٧٪)، والرجز (٩ر١٪)، والبسيط (٩٦ر٪)، والكامل (٦٤ر٪)، والخفيف (٣٢ر٪).

أما أشعار من ليست لهم دواوين من المزنيين الإسـلاميين فيحتل بحر الطويل مكان الصدارة بنسـبة (١ر٦٧٪)، يليه البسـيط (١٠ر١٥٪)، فالوافر (٣ر٦٪)، فالكامل (٦ر٧٪)، فالرجز (١ر٤٪)، فالرمل (١٪)، والسريع (٣ر٪).

وباستقراء هذه السطور يتضح لنا أن بحر الطويل يتقدم غيره من الأوزان فيما بين أيدينا من أشعـار المزنيين في الإسلام، إذ يجيء في أكثر من (٧٨٨) بـيتا، بنسبة (٥ر٥٩٪)، يليه البسـيط (٢٥٣) بيتاً، (٤٤ر١٩٪)، الكامل (١١١) بيتا، (٥ر٨٪)، فـالوافر (٦٤) بيـتـا، (٧ر٤٪)، فالخـفـيف (٥٨) بيتـا، (٤ر٤٪)، فالرجز (٣٠) بيتا، (١ر٢٪)، فالسريع (١٠) أبيات، (٧٪)، فالرمل (٩) أبيات (٤٥ر٪).

---

(٩) وانظر إحـصاءات مماثلة، للمـؤلف، في كل من: شـعراء مـغمـورين ص ١٦، ٩٧، ١٨٥، وأشعار آل محمد بن أبي عُـيينة المهلبي، ص ١٣٩، وأشعار آل أبي أُمية الكاتب، ص ٥٣، واليزيديون أخبارهم وأشعارهم، ص ١٠٠.

وغيـر خافٍ على القـارئ ما يلاحظه من تفـاوت في نسب ورود كثـير من الأبحر في استعمالات كـل من المزنيين الإسلاميين، وهو التفاوت الذي انعكس أثره باختلاف ترتيب الأوزان الشعرية لدى كل منهم من جهة، واختلاف ترتيبها عما هو في أشـعار سابقيـهم من المزنيين الجاهليين[١٠] من جهة أخرى، وهو الأمر الذي يدفعنا إلى شيء من الاعتقاد بانتفاء الطوابع الوراثية في استعمالاتهم لأوزانهم. وقد يكون عثورنا على جزء آخر من موروثهم الشعري الضائع معيناً لنا على تأكيد هذا الاعتقاد أو التقليل من شأنه.. غير أنه يتبين لنا مما سبق خلو أشعار هؤلاء المزنيين من أبحـر المتدارك والمضارع والمقتضب والمتـقارب والمنسرح والمجتث والمديد والهزج.. وهي الأبحر التي خلت أشعـار المجموعات الشعرية التي استخلص بعضُ الدارسين أوزانها، إضافة إلى المجموعة التي أجريتُ عليها إحصائي ـ من الثـلاثة الأولى منها، وجاءت الخمـسة الأُخَرُ فيهـا بنسب ضئيلة (٦ر٣، ٢ر١، ١٢ر، ٠٦ر٪).

وفي الوقت ذاته نلاحظ موافـقة بحري الطويل والكامل لتـرتيبهمـا، وتقدم أبحر الـبسيط والخـفيف والسـريع والرمل، وتأخر بـحري الوافر والـرجز عن مواضعـها في الشعر المزني، مـقارنة، بمثيلاتهـا بالمجموعتين الشعـريتين المشار إليهما قبل قليل.

---

(١٠) في شعر زهيـر الذي يحتوي على حوالي (٩٤٠) بيتاً يأتي بحـر الطويل بنسبة (٢ر٤٢٪)، فالبسيط (٩ر٢٢٪)، فالوافر (٨٧ر١٧٪)، فالكامل (١ر١٤٪)، فالمنسرح (٤ر٢٪)، فالوافر (٣١ر٪).. وقارن: شعـر بني مزينة في الجاهلية: ١٧٩.. وفي شـعر أبيه (ربيعة) سـبعة أبيات من الرجز وسـتة من الكامل، (راجع: شعراء مـغمورون، ص ٥)، وفي شعـر عبد العزى بن وديعة بـيت من الكامل، وخمسة أبيات من الـوافر، وجاءت مقصـورة مقرن بن عائذ من الكامل، وفي شعـر كعب بن زهير الذي أنشده في جاهليـته تطالعنا أبحر الطويل (٥ر٤٥٪) والمتقارب (٣ر٢٣٪)، والكامل (٣ر١٨٪) والوافر (٧ر١٢٪).

واختلاف ترتيب معظم الأوزان لدى المزنيين، عن مثيلاتها في الأشعار المواكبة لهم، يعضده اختلافُ نسبة ورود بحري الطويل والكامل في هذه الأشعار وتلك، فالطويل في أشعار المزنيين قد ورد بنسبة (٥ر٥٩٪)، على حين رأيناه في الأشعار الأخرى بنسبة (٤ر٤٢٪)، كما أن الكامل في شعر بني مزينة بنسبة (٨٪)، وهو في أشعار المجموعتين المختارتين بنسبة (٩ر١٣٪).

ولا يكاد الدارس يعثر على أوجُه تشابُهٍ ملحوظة بين نسب مجيء الأوزان الشعرية في أشعار المزنيين، قلة وكثرة، موازنةً بأشعار غيرهم ممن أشرتُ إليهم، باستثناء التشابه بين نسبة ورود هذا البحر (الكامل) في شعر كعب (٨٨ر١٤٪)، وبين مثيلتها في المجموعة التي أجريتُ عليها إحصائي (٢٨ر١٤٪)، إضافة إلى التقارب بين نسبة ورود الرجز في شعر مزينة في الإسلام بعامة (٣ر٢٪)، ومثيلتها في أشعار حمير (١ر٢٪) من جهة، ونسبتها في أشعار الأجزاء الاثنى عشر الأولى من الأغاني (٤٪)، وإجمالي نسبة ورود مجيئه في المجموعتين معاً (٧ر٤٪) من جهة أخرى.

ويدل اختلاف نسبة استعمال الأوزان الشعرية لدى المزنيين مواكبةً لمعاصريهم على جانب من ذاتيتهم ومعاناتهم الخاصة عند إنشاد أشعارهم، غير أنه في الوقت نفسه لا ينفي سيرهم في الدرب الفني الذي سلكه غيرهم من أبناء عصرهم، وربما كان اطلاعنا على نصوص شعرية للمزنيين وغيرهم دليلاً يساعدنا على تتبع ملامح أخرى من التشابه أو الاختلاف في هذا الجانب من عملية الإبداع الشعري.

ويلفت انتباهَنَا، ما أشرتُ إليه سابقاً، من لجوء المزنيين، وغيرهم، في مواضع كثيرة من أشعارهم إلى الخوض في أكثر من موضوع، دون أن يخصصوا أبحراً بعينها لمعان أو موضوعات بذاتها، مما يدعوني إلى رفض

الفكرة الشائعة لدى بعض النقاد القدامى[١١] والمحدثين[١٢]. . فالحق، كما يذهب إليه صفوة من الباحثين[١٣] أن هذا الربط بين الوزن والمعنى إن صح، فإنما يصح على الشعراء الأولين، الذين انبثقت جذوة الشعر على ألسنتهم دون جواز التعميم على كل ما وصل إلينا من الشعر العربي القديم بخاصة.

على أن محاولة استكناه الصلات بين عواطف الشعراء وروافد موسيقاهم الشعرية تدعونا إلى استقصاء تام لحالات كل شاعر عند إنشاده لقصائده المتعددة، وهذا الاستقصاء من الأمور العسيرة التطبيق، في ظل ما نفتقده من مصادر هامة تكشف لنا، بحق، عن الأجواء النفسية لإنشاد كل قصيدة على حدة، من شعر بني مزينة وغيرهم، كما أن إيماننا بأن وزن القصيدة أو المقطوعة ما هو إلا جزء حيوي من بنائها الفني الداخلي، وليس شيئاً زائداً عليه، أو خارجاً عن مكوناته، يدفعنا إلى الاعتقاد بأن وزن القصيدة أو المقطوعة يولد مع معانيها، في التو واللحظة، كما تولد الكلمات والجمل والعبارات. . بتنسيقها الذي يرتضيه الشاعر، مدفوعاً بفطرته الشعرية، مطبوعاً، في غير تكلف، أو تعمد، خاصة في الأبيات الأولى من كل قصيدة، أما معرفة وزنها، ومحاولة

---

(١١) ينظر مثلاً: العمدة: ٢/١٣٦، وعيار الشعر: ١٩-٢٠، ومنهاج البلغاء: ٢٠٥، ٢٥٨، ٢٦٦.

(١٢) يراجع مثلاً: مقدمة الإلياذة، ص: ٨٩-٩٤، وأصول النقد الأدبي: ٣١٩-٣٢٤، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب: ١٣٥-١٣٦، وموسيقى الشعر: ١٧٤-١٧٥، والنقد الأدبي: ٧٣، والقيان والغناء في العصر الجاهلي: ١٩٥-١٩٦، والطبيعة في الشعر الجاهلي، وأنا والشعر: ٨٨.

(١٣) الأدب وفنونه: ٥٤، والمدخل إلى النقد الأدبي الحديث: ٥٣٤-٥٣٥، والأسس الجمالية في النقد العربي: ٣٧٥، واتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ٥٧٠-٥٧١، وأشعار آل محمد بن أبي عيينة المهلبي، ١٤٣-١٤٤، وأشعار آل أبي أمية الكاتب، ص ٥٣.

المحافظة على الإنشاد في إطاره، فربما كانت من الأشياء اللاحقة لعملية الإنشاد الأول لأبيات القصيدة.

ومن جهة أخرى لا يكاد المطالع لما بين أيـدينا من أشعار المزنيين في الإسلام يعثر على شيء من المواضع التي وقعت بها بعض الهنات العروضية التي اضطر أصحابها إليها توفيراً لرتابة إيقاعاتهم وانسجامها، باستثناء ما يلي:

١ـ صرف الممنوع من الصرف، كظعائن ورابغ في قول عبدالله بن عمرو:

سـقـى اللهُ من نَوءِ الثـريا ظعـائناً تيـمَّمنَ نجـدًا واختصـرن المرَخَّصـا
ظعـائن ممَّن سـار فـاحـتل رابـغـاً و (ودَّان) أيام الجـلاء ، فَالاخْـمَصَـا

٢ـ وفي البيت الثانـي، من هذين البيتين، نلاحظ اضطرار الشاعـر إلى تخفيف همزة القطع في (الأخمص)، ومثلها في قول خـارجة، في تخفيف الهمزة المتطرفة:

(فلبـى وأنشـا مـزنة مـن نواله)

ونجد (المخرّق) يخاطب خاله معن بن أوس، مضطرا إلى قَطْع همزة الوصل في كلمة (استطعت) قائلاً:

فخذ كلَّ مال كنـتَ أنتَ احتويتَه عليّ وإن إسطـعتَ ضُـرّيَ فَـافْـعَلِ

٣ـ الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمنادى كقول بجير يخاطب أخاه:

وِفاقُ ، كعبُ ، بُجَيْرٍ منقذ لك من تعـجـيل تهلكة ، والخلد في سـقـرا

٤ـ حذف النون من المضارع المرفوع، أو إبقائها من المجزوم، وتظهر الضرورة الأولى في قول ابن أبي صبح:

أبى الضيمَ لي قلبٌ ذكي وصارم　　وأنف حَمِيّ يأبيا الذل والخذلا

أما الثانية فنلاحظها في قول معن يخاطب زوجته:

فلاتحسبين الشر ضربةَ لازم　　ولا الخير في الدنيا على المرء سرمدا

٥ـ الإبقاء على ياء المنقوص المضاف إلى سابقه، كقول ابن أبي صبح:

فلست ولا أطغى بأول عاشيِ　　عشا فجعلتُ القافيات له كُحْلا

٦ـ تسكين المتحرك وأمثلته كثيرة في أشعارهم كقول معن يصف النخلة:

(كأنما هِيْ عانس تصدّى)

ب- القوافـــي :

ينظر الدارس إلى قوافي الشـعر المزني انطلاقاً من إدراكه لكون القافـية جزءاً حيوياً لا يتـجزأ من الوزن الشعري، قـد تسبقه، أو تواكبـه، فتتممـه وتنميه، وتعمل علـى تقوية آثاره الإيقاعـية وتعـضيدها، إضـافة إلى أنهـا ذات معنى، وأنها، بذلك، عمـيقة التشابك مع السمـة العامة للعمل الشعـري؛ فالكلمات تُقرَنُ بعضها إلى بعض بالقـافية أو تتقابل[1]، لذا فهي لا تعد حلية زائدة، أو عبثاً، يضطر الشـاعر المطبوع إلى حمله، اضطراراً، بل إنه ليختـارها اختيارا لا اضطرار فيه ولا عناء، توفـيراً لجانب حيوي من بنائه الشـعري، الذي لا ينمو، ولا يتكامل من دونها، إحـساساً منه بكونها تركـيبة من الإيقاع الصـوتي القائم على النظام والتـوقع، بما يدخل فـيهـا من حرف الرويّ، وهو الصـوت الذي تُنسَبُ إليه القصيدة أحياناً لاشتراكه في كل قوافي القصيدة[2].

وبمطالعـتنا لما بين أيدينا من رَوِيّ أشعـار المزنيين في الإسلام، نـدرك تفوق استـخدام اللام في أكثـر من (٣٦٢) بيتا، (١ر٢٧٪)، تليـها الراء (٥ر١٩٪)، فالدال (٨ر١١٪)، فالميم (١١٪)، بينما توسطت أحرف القاف (٦ر٦٪)، والفاء (٣ر٥٪)، والعين (٤٩ر٤٪)، والنون (٤٪)، والباء (٩ر٣٪)، والحاء (٤ر٢٪)، وندرة اسـتعـمال كل من الكاف (١ر١٪)، والتـاء (١٪)، والهمـزة (٦٧ر٪)، والصـاد (٥٩ر٪)، والياء (٥٢ر٪)، والهـاء (٢٢ر٪)، والسين (١٤ر٪).. في حين لم نرهم قد استعملوا الألف المقصورة، والتاء والجيم والخاء والذال والزاي والشين والضاد والطاء والظاء والغين والواو رويّا.

---

(١) نظرية الأدب، دمشق: ٢٠٨.

(٢) لغة الشعر الحديث: ٢٤٠.

(٣) موسيقى الشعر: ٢٣٧-٢٤٨.

وتأتلف هذه النتيجة، في خطوطها العامة، مع ما لاحظه كل من الدكتورين/ إبراهيم أنيس[٣] وصفاء خلوصي[٤] في استخدام الأحرف رويا في الشعر العربي بعامة بين الكثرة والتوسط والقلة والندرة من جهة. . كما تأتلف مع ما لاحظته من الإحصاء الذي قمتُ به في استقرائي لأحرف الرويّ في المجموعة الشعرية التي أجريتُ عليها تجربة الأوزان في المبحث السابق من جهة ثانية، وتنسجم مع بعض النتائج التي توصل إليها بعضُ الباحثين في قراءاتهم لبعض الدواوين والأشعار الأخرى[٥] من جهة ثالثة.

وقد تبين لي من متابعة حركات الرويّ في أشعار المزنيين ميلهم للرويّ المضموم الذي يأتي لديهم بنسبة (٤٧ر٥٠٪)، فالرويّ المفتوح (١ر٢٤٪)، فالرويّ المكسور (٦٩ر٢٢٪)، فالساكن (٦ر٢٪)[٦].

ويختلف هذا المسلك الفني عما لاحظته في استقرائي لحركات الرويّ في مجموعة الأشعار التي أجريت عليها إحصائي الأوزان والقوافي، إذ رأيتُ أصحابها يميلون إلى الرويّ المكسور (٤ر٣٩٪)، فالمضموم (٤ر٣٦٪)، فالمفتوح

---

(٤) فن التقطيع الشعري والقافية: ٢١٥-٢١٦.

(٥) أشار الدكتور عسيلان في دراسته عن (العباس بن مرداس، ص:١٢٣)، إلى أنه لم يستخدم الضاد والطاء والغين والصاد والظاء والذال والثاء والشين والزاي والواو. وقال الدكتور كشك في كتابه (القافية تاج الإيقاع الشعري، ص: ٥٦-٥٨): إنه لم يجد في ديوان علي بن جبلة العكوك قوافي الصاد والضاد والطاء والظاء والذال والزاي والشين والغين والثاء، وفي ديوان (لبيد) لم يجد من النوادر السابقة إلا ضادية مكونة من ستين بيتا، وظائية من أربعة أبيات، وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة لم يرد من الأصوات السابقة إلا الصاد سبع عشرة مرة والثاء ثلاث مرات والذال مرتين، وانظر أيضاً: الأرجوزة بداياتها وخصائصها، ١٨٥ ـ ١٨٨، وأشعار آل محمد بن أبي عيينة المهلبي، ١٤٧ ـ ١٤٨، واليزيديون أخبارهم وأشعارهم، ص ١١٥، وشعراء مغمورون، ص ١٦، ٩٨، ١٨٥، وأشعار آل أبي أمية الكاتب، ص ٥٧.

(٦) وقارن: أشعار آل أبي عُيينة، ١٤٨، واليزيديون، ١١٦، والأرجوزة، ١٨٨ وغيرها.

(٤ر٢٢٪)، فالساكن (٨ر١٪). . على أن هذا النهج المزني في حركات الرويّ لا يعد شذوذاً أو نُتُوءاً في عقد شعرنا العربي القديم بعامة، فالمتابع لعيون تراثنا الشعري يدرك أن الشعراء يختلفون في استخدامهم لحركات الرويّ وغيرها من الخصائص الفنية والموضوعية لعملهم الشعري حسب ميولهم ونظم معايشهم.

وربما كان حرص المزنيين على توفير أكبر قدر من الإيقاع والترنم والتنغيم في أثناء عملية الإنشاد الشعري دافعاً لميلهم للرويّ المضموم والمفتوح، لما تتيحه كل من الضمة والفتحة المتكررتين من فرص التطريب والتنغيم المأمولين منها.

ومن جهة أخرى يدل إنشادُنا لمطالع القصائد المزنية، على تعدد أطوالها، أن سبعاً وعشرين قصيدة من حوالى خمسين قصيدة تتراوح أطوالها بين ثمانية أبيات وستين بيتاً، قد ابتدأها أصحابها بتصريع شطري البيت الأول منها، إضافة إلى تسع مقطوعات رجزية وغير رجزية تتراوح أطوالها بين بيتين وسبعة أبيات، حرص منشدوها على توفير هذه السمة الموسيقية لها، أما في الرجز ففي كل الأشطار، وأما في غيره ففي المطالع فقط.

ويبدو أن هذه المقطعات غير الرجزية بخاصة كانت مطالع ضاعت بقاياها من ذاكرة التاريخ، وبقيت هي شاهدة على وقوع هذا الحذف المقصود أو غير المقصود.

ومن أكثر الحروف المستعملة تصريعاً في مطالع المزنيين حرف اللام الذي تكرر سبع مرات، وكل من الراء والميم سبع مرات، والقاف أربع مرات، والدال ثلاث مرات، وكل من الباء والتاء والحاء والصاد والفاء والنون والياء مرة واحدة.

ومجيء عدد كبير من القصائد المزنية من دون تصريع يعيد إلى الأذهان ما لاحظه كل من الدكاترة/ أحمد كمال زكي[7]، في دراسة شعر الهذليين، ويوسف خليف[8]، وعبدالحليم حفني[9]، في دراسة شعر الصعاليك، وعبدالحميد المعيني[10]، في دراسة شعر تميم، من خلو بعض هذه الأشعار من التصريع.

وقد راح هؤلاء الباحثون، عدا الدكتور خليف، يعللون هذه الظاهرة بشيوع المقطعات، وهو تعليل يبدو مقبولاً وصالحاً للتعميم على كثير مما بين أيدينا من مقطعات وقصائد مزنية قصيرة غير مصرعة المطالع.

أما الدكتور خليف فهو يرجع هذه الظاهرة إلى تلك " الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم "، وهو رأي إن صح تطبيقه على بعض أشعار الصعاليك الجاهليين، إلا أنه لا يصح الأخذ به في دراستنا لأشعار المزنيين في الإسلام، لإدراكنا لجوهر الاختلاف الملموس بين مظاهر المعيشة لدى هؤلاء المزنيين والصعاليك، خاصة وقد أدركنا مدى الالتزام المزني بقضايا المجتمع العربي الإسلامي لعصرهم، مما انعكس أثره على الانسياق في الإطار العام للأسس الفنية التي جرى عليها الاصطلاح وقتئذ، غير شاذة إلا بما تسمح ميولهم ورغباتهم وطاقاتهم الفنية المختلفة.

---

(٧) شعر الهذليين: ٢٣٢-٢٣٤.

(٨) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: ٢٧٢.

(٩) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه: ٤٠١.

(١٠) التميميون أخبارهم وأشعارهم، ص: ٢٦٥-٢٦٦.

وفي رأيي أن وجود ظاهرة التصريع أو عدمه في مطلع القصائد يخضع في الدرجة الأولى للحالة الشعورية التي يكون عليها الشعراء إبان إنشادهم لأول بيت من أبيات قصائدهم.. إن جاز لنا تعليل الاستغناء عن التصريع في بعضها فإن هذا التعليل يظل محدوداً بالجزء دون الكل؛ لافتقارنا إلى ما يساعدنا على تحديد "كيف" الحالات الشعورية و"مقدارها" في أغلب ما بين أيدينا من أشعارهم.

جـ - الإيقاع :

تتجاوز حدود موسيقى الشعر عند المزنيين الأوزانَ والقوافيَ، إلى الاستفادة من طاقات التماثل والتآلف في الحروف والمقاطع والكلمات استفادة تضفي على أبياتهم طوابع أكثر غنى وثراء يتضح لنا بعض آثارها بقراءة أبيات كعب بن زهير:

إنّ عِرسي قد آذنتني أخيرا ... لم تعرّج ، ولم تؤامر أميرا
أجهاراً جاهرْتِ لا عتبَ فيه ... أم أرادتْ خيانة وفجورا ؟!
ما صلاحُ الزوجين عاشا جميعا ... بعد أن يصرم الكبيرُ الكبيرا
فاصبري مثل ما صبرت فإني ... لا إخالُ الكريمَ إلا صبورا
أيّ حين وقد دببت ودبّت ... ولبسنا من بعد دهرٍ دُهورا

وقارئ هذه الأبيات يدرك ما توافر لصاحبها من قدرة على الإحساس بالإيقاع الموسيقي وتنظيمه يدلف بنا إلى الاستمتاع بطاقاته المتجددة بالتصريع في شطري البيت الأول، وبتلاؤم الألفاظ في (تؤامر أميرا، جهارا جاهرت، الكبير الكبيرا، فاصبري، صبرت، صبورا، دببت، دبت، دهر، دهورا)، إضافة إلى

قدرة الشاعر على استخدام المقاطع الطويلة ذات الحس الغنائي والموسيقي في أكثر من ثمانية وأربعين مقطعاً، بينما لا تتجاوز المقاطع القصيرة بها أكثر من أربعة وعشرين.

وشبيه بأمر هذه الأبيات، في المجانسة، والاعتماد على المقاطع الطويلة، قول نصر بن نصر:

تحمل صفوان فأصبح عادياً ... بأبنائه عمداً وخلّى المواليا

فياليتني يوم الحنين اتّبعتُهم ... قضى الله في الأشياءِ ماكان قاضيا

فقد حرص الشاعر على توفير أكبر قدر من المقاطع الطويلة، على حساب غيرها من المقاطع الصغيرة، وجانس بين "قضى، وقاضيا، وعاديا، وعمدا؛، وزاد من طاقة هذه المجانسة بتصريع البيت الأول.

ويسلك بجير بن زهير ذلك المسلك الفني نفسه؛ عندما يلائم في أبياته التالية بين ألفاظ (تسلم، مسلم، تنجو، النجاء، ينجو، والله، اللات)، وعندما يكرر كلمة "دين"، وكلمة "لا"، وعندما يفرط في التعريج على المقاطع الطويلة:

إلى الله لا العُزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النَّجَاءُ وتسْلمُ

لدى يوم لا ينجو وليس بمُفْلت ... من النار إلا طاهر القلبِ مُسْلمُ

فدين زهير ، وهو لا شيءَ دينُه، ... ودينُ أبى سُلمى عَليّ مُحَرَّمُ

ومثل هذه المجانسة التامة أو الناقصة تطالعنا في قول معن بن أوس:

أُمِرّ وأُحْلي والحياءُ خليقتي ... ولا خير فيمن لا يُمرُّ ، ولا يُحْلي

أجودُ بمالي دُون عِرضي ومَنْ يُرِدْ ... رزيةَ عرضي يَعترضْ دونه بخلي

فالشاعر يماثل، في هذين البيتين بين (أمر، ويمر، وأحلى، ويحلي، وعرضي، ويعترض، يحلي وبخلي)، مرتكزاً على تكرار أحرف الميم والراء

والحاء واللام والعين والضاد والياء بكثرة، في ميل واضح لاستعمال المقاطع الطويلة، مما أضفى على موسيقاها رونقاً خلاباً نتابع نظيره في قراءتنا لقول عبدالله بن عمرو، وهو يتحدث عن ممدوحيه:

ولكنهم جادوا وسادوا وأنعمُوا — وقادوا وردّوا بالندى طَيْرَةَ الجهل
وماحوا وراحوا بالندى حين لم تَرُح — بِدِرِّتِهَا أمٌ عوانٌ على طفل

فاستعماله المجانسة في كل من "راحوا، ترح، وتكريره لكلمة "الندى"، ومجانسته الناقصة بين كل من (جادوا، وسادوا، وقادوا، وردوا، والجهل، وطفل..) تعطينا إحساساً بالانسجام الموسيقي، الذي وفره الشاعر في شعره، ببراعة.

ويأخذ إحساسنا بقيمة هذا الانسجام الموسيقي، في جل مابين أيدينا من أشعار المزنيين، بأسماعنا إلى تتبع مظهر آخر من مظاهر تنويعهم بين الأصوات المهموسة والمجهورة، إذ يلاحظ المتأمل في الأمثلة السابقة تعريج أصحابها على أحرف: الهاء والحاء والخاء والكاف والسين والشين والتاء والصاد والثاء، والفاء، وهي من الأصوات المهموسة، التي تكون فيها فتحة المزمار في حالة انتفاخ، ولا يتلاقى الوتران الصوتيان ولايهتزان، مع الإكثار من أحرف العلة وغيرها من الأصوات المجهورة، التي تتذبذب فيها الأوتار الصوتية، بسبب تماس الوترين الصوتيين، وابتعادها بشكل متكرر، إضافة إلى الميل الواضح إلى استخدام الأصوات الجوفية، وهي أصوات اللين الطويلة، كألف المد والياء والواو.

وإكثار المزنيين من استخدام هذه الأصوات، إنما ينسجم، في رأيي، مع بعض حالات التوتر النفسي التي كانت تصاحب إبداع هذه الأشعار وإنشادها، فإن صح ما أذهب إليه هنا جاز لي الذهاب إلى أن هذا المسلك الفني لم يأت

عن مهارة فنيـة مقصودة، أو شبه مـقصودة، لذاتها فحـسب، وإنما كانت أيضاً وراءه أسبابٌ عضـوية تجسدت في حالاتهم النفسية إبان ترنمـهم، كما يتضح لنا من الإلمام بالأجواء التي أنشد فـيها كعب لاميته المعـروفة "بـ(بانت سعاد) وهي أجواء تركت آثارها جليـة في أوتار معزوفته الشـعرية، فدفعتْـه إلى الاستئناس بحـروف المد الطويلة، فالألف تتكرر أكـثر من (١٤٠) مـرة، والواو أكثـر من (١٣٤) مرة، كما يعرج على الهمزة التي تأتي (١١٣) مرة، والعين (٨٨) مرة، والهاء (٨٠) مرة، والحاء (٤١) مرة، والخاء (١٨) مرة، والغين (١٣) مرة.

واستئناس كعب في هذه القصيدة بهذه الأصوات بهذا الكم الظاهر يعود إلى كونهـا وسيلة لتعـضيد لجوئه إلى أحـرف المد، لأن الهمزة والهـاء من الحروف الحنجريـة، والعين من الحروف الحلقيـة، والخاء والغين من الحـروف الطبقـية، توفيراً للمواءمة بين أحاسيسه الملتهبة بين جوانح صدره والأصوات التي تعبر عن هذه الأحاسيس خير تعبير.

ولنسمع إلى مطلع هذه اللامية لنتبين جانباً مما نشير إليه:

بانت سعـاد فـقلبي اليـوم متبـول	مُـتَـيَّم إثرها لـم يُجْـزَ مكبـولُ
ومـا سـعـادُ غـداةَ الـبينِ إذْ رَحَلوا	إلا أَغَنُّ غـضـيضُ الـطرفِ مكحـول

ولنسمع إلى قوله الذي يصف به حالته قُبيل لقائه بالنبي ﷺ:

يسـعى الوشـاة بجنبيـهـا وقـولهمُ	إنك يـابن أبى سُلـمى لمقـتـولُ
وقـال كل خـليـل كنـتُ آملُـهُ	لا أُلفـينَّك إني عـنك مـشـغـولُ
فـقلـتُ خلّوا طريـقي لا أبا لـكُمُ	فكلُّ مـاقـدَّر الرحـمنُ مـفـعـولُ
كل ابن أنثـى وإن طالت سـلامـتـه	يومـاً عـلى آلةٍ حـدباءَ مـحـمـولُ
أُنبـئتُ أنَّ رسـول الـله أوعـدني	والعـفـوُ عنـد رسـول الله مـأمُـولُ

.. لنلاحظ صدق مانذهب إليه هنا، فالألف تتكرر في هذه الأبيات السبعة أكثـر من أربع وعشرين مـرة، والياء تتكرر أكثـر من (١٥) مرة، والواو (٢٣) مرة، في الوقت الذي تكررت فيه الهمزة (١٧) مرة، والعين (٨) مرات، والهاء (٦) مرات، والحاء (٥) مرات، والخاء مرتين، والغين (٤) مرات.

ومثل هذا اللجوء إلى التنويع بين الأصوات المهـموسة والمجهورة نلاحظه في رائيته التي أفردها لمدح الأنصار، بُعَيْد الانتهاء من إنشاد لاميته، وغير ذلك من أشعـاره، وأشعـار غيره من أبناء قـبيلتـه، كمعن بن أوس الذي دفـعتـه حالةُ الغضب التي انتابتـه، وهو يرد اتهامات زوجته المؤنبـة له، والساخرة منه، إلى الإفراط في استخدام ألف المد في داليته التي يستهلها بقوله:

قـــفـــا يـاخليلـيَّ المطيَّ المقـــرَّدا   على الطـلل البـالي الذي قـــد تأبَّدا

أكثر من (١٦٠) مـرة، والواو أكثر من (٨٨) مرة، والياء (٨٦) مـرة، والهمزة (١٠٧) مرات، والعين (٥٧) مرة، والهاء (٣٠)، والحاء (٢٦)، والخاء (١٥)، والغين (٨) مرات، إطفاءً لنيران غضبـه، وحَنَقِه على هذه الزوجة.. ولنستمع له في قوله:

وعـــاذلةٍ هـبت بليـلٍ تلُومـني   وقـد غـاب عَيُّـوقُ الثـريا ، فـعَـرَّدا
تَأَوَّبَنـي همٌّ فــبتَّ مُـســهَّـدا   وبات الخلـيُّ الناعمُ البـــالِ أرقـــدا
تَأَوَّبـهُ مكذوبةٌ شُـــبِّـــهـت لهُ   وطاف خـــيـالٌ طاف من أُمِّ أســـودا

.. فالواو مســتعملة في هذا المقطع إحدى عشرة مـرة، والألف اثنتي عشرة مرة، واليـاء تسع مرات، والهـاء سبع مرات، والهـمزة خمس مـرات، والخاء مرتين، والغين مرة.. واستعمال هذه الأحرف، بهذه الكثافة، إضافة إلى تكرير

الشاعر لكلمة "طاف"، و "تأوب" يومئ إلى حرص الشاعر على توفير جو إيقاعي، ينسجم مع حالته النفسية المضطربة.

وقد وفر كعب بن زهير لإيقاع شعره الموسيقي جانباً آخر من الثراء والحيوية، بلجوئه إلى حسن التقسيم، في مثل قوله الذي يصف به ناقته:

ضخمٌ مقلَّدُها ، فَعْمٌ مُقَيَّدُها   في خَلْقِها عن بناتِ الفحل تفضيلُ

وهو التقسيم الذي ندركه في قول العوام يصف محبوبته:

فَسُودٌ نواصيها ، وحُمْرٌ أَكُفّها   وصُفْرٌ تراقيها ، وبيضٌ خدودها

.. فحرص كعب هنا على المجانسة بين (ضخم وفعم) من جهة، و(مقلدها، ومقيدها) من جهة أخرى، وحرص حفيده على المجانسة بين (نواصيها وتراقيها وأكفها وخدودها) في تقسيم وانتظام يدلفان بنا إلى الإحساس برحابة هذا الإيقاع الشعري الذي وفراه في بيتيهما بتنسيق فريد.

.. ويُستفاد مما أسلفتُه أن لموسيقى الشعر عند المزنيين روافدها المتعددة وطبقاتها المتتالية وطاقاتها الرحبة التي يتآلف بعضها مع بعض ويعضده ويكمله ويقويه، ابتداء من الأوزان والقوافي المصَرَّعة وغير المصَرَّعة، وما يواكبهما من المظاهر الأخرى كالمواءمة بين الحركات والسكنات، والاستفادة من الجرس الصوتي بتكرار الحروف والمقاطع والكلمات تكراراً فيه مجانسة وتماثل وميل إلى حسن التقسيم. وغير ذلك مما يُضفي على الإيقاع الشعري حيوية وتألقاً، على أن رافداً آخر من روافد هذه الموسيقى يمكن أن نتلمسه بدراستنا لعناصر الصورة الشعرية في أشعارهم، وهي الدراسة التي أُفرد لها الفصل التالي..

الفصل الثالث

الصورة في الشعر المزني

الصورة في الشعر المزني

الصورة الفنية هي "لغة الأديب التلقائية"[١]، التي تستعمل في الدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات[٢]، وهي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر أبعاد تجربته، ويتفهمها، ويمنحها المعنى والنظام والمغزى، بكل ما يتطلبه ذلك من تدفق الخيال وفاعليته وثرائه[٣].

ويقاس نجاح الأديب في بنائه لصوره بمدى قدراته على نقل أفكاره وعواطفه إلى قرائه ومستمعيه، كما يرجع حكمنا على جمال هذه الصور أو دقتها إلى مدى استطاعتها تحقيقَ التناسب بين حالة منشئها الداخلية، وما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة والتعقيد، فيه روح الأديب وقلبه[٤].

وعند دراستنا لعناصر الصورة في أشعار المزنيين في الإسلام، يتفرع بنا الحديث إلى الإلمام بمصادر هذه الصور وتطورها ومكوناتها.

أ - مصادر الصورة في الشعر المزني :

اجتمعت عدة مؤثرات رئيسية لكي تكوِّنْ العناصرَ الأساسيةَ للصورة في الشعر المزني، ومن أهم هذه المؤثرات: الحياة البدوية، والروح القبلية، واعتناق

---

(١) الصورة والبناء الشعري: ٤٣.

(٢) الصور الأدبية، ص: ٣.

(٣) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٤٤٣، ص: ١٤.

(٤) أصول النقد الأدبي: ٢٤٢, ٢٤٩.

الإسلام ومعـايشة قضايا المجتـمع الإسلامي، إضافة إلى الاستـفادة من التراث الشعري للشـعراء الجاهليين المزنيين وغيـر المزنيين.. كما يتضح في الصـفحات الآتية..

١- أثر البادية في تكوين الصورة المزنية :

انعكستْ أصداءُ البيئة البدوية التي عايشها المزنيون على بناء صورهم انعكاسا يتضح لنا بعضُ معالمه بتتبعنا نماذجَ من أشعارهم التي صوَّرُوا بها الأماكن المقفرة من أهليها الغابرين، مُعرِّجِينَ على الأسباب التي وقفتْ وراء دُروسِ هذه المنازل وخلائها.. ويصح لنا التمثلُ هنا بما سبقت الإشارةُ إليه من قول معن بن أوس الذي يصف به ما ألمّ بديار أهليه من عفاء وخلاء[٥]:

عـفـا وخـلا مِـمّن عـهـدتَ به خمٌّ ... وشـاقك بـالمسـحـاء مـن سَـرَفٍ رَسمُ
عَـفَا حِـقَـبًا من بعـد مـا خَفَّ أهلُه ... وحنَّـت به الأرواح والهُطَّـلُ السُّـحْمُ
يلـوح وقـد عـفّى مـنازلَه البِـلَى ... كـما لاح فـوق المعصم الحسنِ الوشمُ
مَـدَامـنُ حيٍّ صـالحينَ رمَـتْ بهم ... نَوَى الشَّحط إذْ ردَوا الجمـالَ وإذْ زمُّوا

فهـو يومئ إلى ما أصـاب الديار من العفـاء والخلاء اللذين وقـف وراءهما حنين الرياح وهطول الأمطار، بُعـيد ارتحـال أهليها الـصالحين عنها مـضطرين مستـعينين، كغيرهم، بالجمـال التي تنقلهم إلى مكان آخر أكثر ملاءمـة للحياة الآمنة المستقرة.

---

(٥) ديوان معن، بغداد، ص: ٣٥-٣٦.

ويتحدث كعب، كما مر بنا، عن هذه المعاني نفسها، مضيفاً إليها إشارته إلى وقوفه متأثراً حزيناً في ديار محبوبته قليلاً، مسائلاً إياها عن أخبار ماضيه الرغيد بها، ومانتج عن هذا الوقوف من انهمار الدموع غزيرة على خديه، مدركاً ماكان لتلك الديار الخالية على عفائها من قدرة على الإيحاء والحديث والجواب، مقرراً أن هبوب الرياح على هذه المنازل بشدة وضراوة قد أرسل إليها وابلاً كثيفاً من الأمطار فأدى إلى دروس معالمها وإنبات كثير من الأشجار والنباتات ذات الأزاهير الطيبة الرائحة، إضافة إلى أنها أصبحت مرتعاً لكل من الحيوانات الوحشية والأليفة معاً (٦):

أمن نَوارَ عرفتَ المنزلَ الخَلَقَا ... إذ لا تفارق بَطنَ الجوِّ فالبُرَقَا
وقفتُ فيها قليلاً ريث أسألُها ... فانهلَّ دمعي على الخَدَّيْنِ منسَحِقا
كادت تبيّنُ وحياً بعضَ حاجتنا ... لو أنَّ منزل حيٍّ دارساً نطقا
لازالتِ الريحُ تُزجي كُلَّ ذي لَجَبٍ ... غيثاً إذا ما ونَتْهُ دِيمةٌ دَفَقَا
فأنبت الفَغْوَ والرَّيْحانَ وابِلُه ... والأَيْهُقَانَ مع المُكْنانِ والذُّرَقَا
فلم تَزَلْ كلُّ غنَّاءِ البُغَامِ به ... من الظباء تُراعي عاقِداً خَرِقا

ودفعت مظاهرُ المعيشة البدوية أبناءها إلى كثرة التنقل والترحال، وهما اللذان نجد آثارهما في أشعار كعب بن زهير، التي يتحدث فيها عن أسفاره المستمرة بالصحراء القاحلة المهلكة، التي تسكنها الجن وشتى الحيوانات الضارية، ممتطياً ناقته التي أحسن اختيارها وتربيتها، كما يتضح لنا من مطالعة أبياته التالية:

ان كعب، القاهرة، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥.

ولا حبٍ كـحصير الرّامـلاتِ ترى من المطيِّ عـلى حـافَـاته جـيَـفـا
والمُرْذيَات عليـهـا الـطـيرُ تَنْقُـرُها إمَـا لَـهـيـدًا وإمـا زاحـفًـا نَطـفَـا
قـد ترك العـامـلاتُ الراسـمـاتُ به من الأحـزَّة في حـافـاتِه خُنُفـا
يهـدي الضَّلُولَ ذلولِ غـيرِ مـعتـرف إذا تكـاءَدَه دَوِيُّه عَـسَـفـا
سـمحٍ دريرٍ إذا مـا صُـوَّةٌ عـرضتْ له قـريبـا لسـهلٍ مـال فـانحـرفـا
يومـاً قـطعتُ ومَـومَـاةٍ سَـرَيْت إذا مـا ضاربُ الـدُّفِّ من جنَّانهـا عزَفَـا
كَلَّفـتُـهـا حُـرّةَ اللِّيـتَينِ نَاجِـيَـةً قَـصرْ العَشِيّ تبـاري أَينُقًـا عُـصُفَـا
تَنْجـو وتـقطُرُ ذِفْـراها علـى عُنُقٍ كـالجِـذْع شذَّبَ عـنه عَاذقٌ سُـعُـفَـا
كـأنّ رحلي وقـد لانَـتْ عَـرِيكَتُـهـا كَـسَـوْتُه جَـوْزَفـا أقـرابه خَـصِـفـا
يجـتـاز أرضَ فـلاةٍ غـيـرَ أنّ بهـا آثارَ جِن وَوَسْـمًـا بينهم سَـلَفـا
تَبـري له هِقْلَةٌ خَـرْجَـاءُ تَحْـسِبُـهـا في الآلِ مخلولةً في قَـرْطَفٍ شرَفَا(٧)

.. فـهو في هذه الأبيـات يؤكـد، بلغـة بدوية تجنح إلى الغـرابة، خبـرتَه ومهـاراته في اجتيـاز هذا الطريق، على رغم ما يحيطه ويعـترضه من مـهالك ومخاوف وهواجس، مـستعيناً بناقة سـريعة حرة صفحـتي العنق من عين يمينها وشمـالها، وتسـابق أينقا سـراعا قد تـرك سير الهـاجرة بهـا قدرة فائـقة على التحمل، فـجعلها تقطع صحراء شـاسعة على جوانبهـا آثار الجن، واعتراض

---

(٧) ديوان كعب، قراقو: ٤٤-٤٧، والقاهرة: ٧٣-٨٣، والأحول: ١٨-٢٢.
واللاحب: الطريق البين الموطوء. والمرذيات: النوق التي أهزلهـا السفر وأتعبهـا من يمتطيها. والعاملات: النوق الدائبات في السير. والراسمات: اللوائي يرسمن في سيرهن، فيتركن في الأرض أثر وقع مناسمهن. والخنف: جمع خنيف وهو الثـوب الأبيض. والدرير: المستقيم. والموماة: الصـحراء الواسـعة التي لاماء فـيها. والـليتان: صـفحتـا العنق من عن يمين وعن شمـال. والناجية: السـريعة. والهقلة: الفـتية من النعـام. والخرجاء: التي في لونهـا بياض وسواد.

قطعــان صغار النعــام، ذوات الألوان التي تتــراوح بين البياض والــسواد، وهي تتراءى لناظرها وقت الظهيــرة، والسراب يشد الأبصار، كنسوة يلتحــفن بأكسية لها خمل تشبه القطيفة.

ومن معاناة هموم الرحلة جوّاباً بنفسه، إلى تأمل رحلة الظعن أمام ناظريه:

مـا أنسَ لا أنْسَهَـا والدمع مُنْسَـرِبٌ ... كـأنه لؤلؤ فـي الخـد مـحـدور (٨)
لما رأيتُــهُمُ زُمَّتْ جــمــالُـهمُ ... صـدّقْتُ مـازعمـوا والبين مـحـذورُ
يحــدو بهنّ أخــو قـاذورة حــذرٌ ... كـأنه بـجـمـيع الناس مـوتور
كـأن أظعــانهم تُحْدَى مُـقَــفِّـيَـةً ... نخلٌ بـعــينين ملـتفٌ مــواقــيــرُ
غُلْبُ الرِّقـابِ سَقَـاها جَدْوَلٌ سَـرِبٌ ... أو مُـشْعَبُ من أتِيِّ البـحر مـفجـورُ

٢- الروح القبليــــة :

على الرغم من تطور المجتـمع العربي، عـبـر رحاب الزمـان والمكان، من الجاهلية إلى أنوار الإســلام، فقد ظلت الرابطة القبليـة تعيش في وجدان بعض الشعراء، فراحـوا ينوهون بها في اعتزاز بمزنيتهم، مفـردين لها لوحات فنية في إشارات صـريحة مفـصلة، أو ضمنية مـوجزة، كتـلك التي رسمهـا كعبُ بن

---

(٨) منتهى الـطلب، خ، ١/٩-١٠، وط. فرانكفورت: ١/١٨-١٩، وانظر الـديوان، القاهرة: ٢٥١-٢٥٢.

والمنســرب: السائل على الخـد. والمحدور: المتـســائل في انحدار. وزُمتْ: جـعل لها أزمـة وأُعدت للسفر والرحيل. والقاذورة: الناقة التي تبـرك ناحية من الإبل وتستبعد وتنافرها عند الحلب. والموتور: من الوتر وهو الظلم فـي العداوة والانتقـام، وهو من قتل له قـريب فلم يطالب بدمه. وغلب الرقاب: غلاظها. والأتي: السيل والماء.

زهير، وهو ينافح مُزَرِّد بن ضِرَار الغطفاني كاشفاً عن قوة نزعته القبلية وامتلاء وجدانه بحرارة الإحساس بها قائلا:

أعيَّرتَنِي عِزّاً عزيزا ومعشرا ... كِراما بَنَوا لِيْ المجَد في باذخٍ أشمْ
هُمُ الأصلُ مني حيثُ كنتُ وإنَّني ... من المزَنيّينَ المصَفَّين بالكرمْ
هُمُ ضربوكمُ حين جُرتُم عن الهدى ... بأسيافِهم حتى استقمتُم على القِيَمْ
وساقتْكَ منهم عصبةٌ خِنْدِفِيَّةٌ ... فَمَالَكَ فيهم قيدُ كَفٍّ، ولا قَدَمْ
هُمُ منعوا حَزْنَ الحجاز وسهله ... قديما وهُمْ أجْلَوا أباك عن الحَرَمْ
هُمُ الأُسْدُ عند البأس والحَشْدُ في القُرى ... وهُم عند عَقْدِ الجار يُوفُون بالذِّمَمْ
فكمْ فيهِمُ من سيِّدٍ متوسِّعٍ ... ومن فاعلٍ للخير إنْ هَمَّ أو عزمْ
متى أَدعُ في أوسٍ وعُثمانَ يأتِنِي ... مساعيرُ حربٍ كُلُّهُمْ سادة دِعَم(٩)

فهو يرتكز في لوحة فخره التي يرسمها في هذه الأبيات على ما كان العربي في عصره يعتز به، ويحرص عليه من كرم محتد ونبل ومروءة، وبر وقوة وشجاعة وإقدام، تلك السمات التي تنبني عليها دعائمُ السيادة والشرف القبلي الذي يميز القبيلة من غيرها، ويسجل لها قصبَ السبق عن مثيلاتها من القبائل.

ويلوح معن بن أوس بشعار هذه "المُزنيةِ"، وهو يفتخر بقومه، في خيلاء وأنفة، مثبتاً لهم شمائل العزة والكرم والعفة والوفاء وقوة الشكيمة والاستقامة وغيرها من دعائم الملك وقواعد المجد، بقوله(١٠):

(٩) ديوان كعب، قراقو: ٤١-٤٣، والقاهرة: ٦٧-٦٩.

(١٠) ديوان معن: ٦١-٦٣.

مُــزينةُ قــومي إن ســألتَ فــإنهم لهم عــزة لا تسـتطيـعُ لهـا نَـقْـلا
ولو سرتَ حتى مطلعِ الشمس لم تجد لقــومٍ على قومي وإن كَـرُمُوا فَـضْلا
أعفَّ وأوفى بالـصـبــاح فـوارسـا إذا الخـيل جـالت في أعنتـها قُـبْـلا
نقــول فـيُــرضَى قــولُنا ونعُــينُه ونحن أناسٌ نُحـسن القـيلَ والفعـلا
ونحن نـفــينا عن تِهَـامــة بالـقنا وبالجُـرْد يَمْـعَلْـنَ الرفـاقَ بنا مـعـلا
مُـدرّبـة ، قبَّ البطونِ ، ترى لـهـا مـتونا طوالا أُدمـجت وشَـوًى عَبْـلا
لكل فـتى رِخْـوِ النجـاد سَـمَـيْدَعٍ وأشـمطَ لم يُخلق جـباناً ولا وغْـلا
بأيديـهمُ سُــمْــرُ المتــون مــوارنٌ ومـشـهورةٌ هنديـةٌ أُخضِلَتْ صَـقْـلا
إذا مـا فَـرَغْـنا من قـراعِ كـتـيـبـةٍ نَصَـبْنَا إلى أخـرى تكون لنا شـغـلا
فكم من عـدوٍ قـد أبـاحت رمـاحُنا وكم من صديقٍ نال من سَيْبنا سَجْلا

.. وبمطالعة أشعـار غير هذين الشاعرين نلاحظ أن هذا الإحسـاس بالقبلية لم تفتر حرارته، وإن أخـذت دلائله تتجه نحو الإيجاز، مثل كلـمة عبدالله بن عمرو بن أبي صبح التي توجـه بها إلى زوجته، متحدثاً عن مـسيره لمصعب بن عبدالله الزبيري(١١):

لســارت إليــه مِــدْحــةٌ مــزنيــة يَلَذُّ بـهـا فـي المنشــدين نَشِــيــدُ

وينحو عمـرو بن رياح بهذه "المزنية" منحى آخر في إلباسـها ثوب الإسلام وقيمه قائلا(١٢):

أنا ابن أوسٍ وعـثـمـانَ الأُلى بَلَغُـوا مع الرسـول تمامَ الألـف وانتـسـبـوا
ومـا وَفَى مَـعَهُمْ مِـن غيـرِهم أحـدٌ ألفـا ومـا خـذلوا عـنهم ولا نكبـوا

(١١) ملحق الشعر، ص: ٥٦٦.
(١٢) معجم الشعراء، الحلبي: ٥٣، وانظر ملحق الشعر: ٥٩٩.

٣- الإسلام وقيمـــه :

انشرحــت صدور المزنيين لأنوار الإســلام الحنيف، وأخذت دعــوته السامــية لبنـاء الإنسـان الصالح الجـديد بخلافة الله في أرضه تلقي أصــداءها القوية في وجداناتهــم وأفكارهم ومعانيــهم، فراحــوا ينهلـون مـن معـين إيمانهـــم بمبادئه وقيمــه الرشيدة ما يدل على تمثلهم لألفاظه وعــباراته وأساليبه ومــعانيه، ومـن ذلك مـا مـرت بنـا الإشـارةُ إليـه من صــور شــعــرية رسمــهـا بعض المزنيـين لأصنامهم وما كانوا يمارسونه حولهـا من طقوس في الجاهلية، إظهاراً لبطلانـها وزيـف حقيقـتها، كقـول خزاعى بن عبد نُهم، في وصفه "لنُهم"(١٣):

ذهـبـتُ إلـى نُـهـمٍ لأذبـح عـنـده ... عـتـيـرةَ نُسكٍ كـالـذي كُنتُ أفـعلُ
فـقلتُ لنفـسي حين راجـعتُ أمـرها ... أهذا إلهٌ ، أبكـمٌ ، ليس يعــقلُ ؟!

ومن هذا المعين نهل بجـيــر بن زهير، وهو يصــور جــانباً من جــوانب يوم النشور مخاطباً أخاه كعباً بقوله(١٤):

إلى الله ـ لا العُزَّى ولا اللاتِ ـ وحدَه ... فـــتنجـــو إذا كـان الـنّجـاء وتـسلمُ
لدى يوم لا يـنجـــو وليس بُـمـــفلتٍ ... من النـارِ إلا طاهرُ القـلبِ مُـســلم

وغدا في صورة أخـرى يوضح معلماً من مـعالم وقعة حنين، مـدركاً فضل اللـه على عــباده المؤمنين، في إحــراز النصـر، ومقــرراً لأصــحـابه من جنود المسلمين أنه:

---

(١٣) ملحق الشعر، ص: ٥٢٢.
(١٤) ملحق الشعر، ص: ٥١٤.

لولا الإلـهُ وعـــبـــــده ولَيْـــتُمُ   حين استـــخف الرعبُ كلّ جـــبان
واللـهُ أكـــــرمنا وأظـهـــــر ديـنـنا   وأعـــزَّنا بـعـــبـــادة الرحـــــمن
واللهُ أهلـكهم وفـرَّقَ جَـمْـعَـهُمْ   وأذلَّهـم بِعِـــبَـــادةِ الـشـيـطان
إذْ قـــام عـمٌّ نبــيكم ولـيُّـــه   يدعـون : ياكتـيـبـة الإيمان !!
أيـن الذيـن هُمُ أجـــابُـوا ربهـم   يومَ العُرَيض ، وبيعةِ الرضوان ؟![15]

منتقلاً في صورة موجزة إلى قطع عهد على نفسه وهو[16]:

إلى الله وجـهي والرسـولِ ومن يُقم   إلى الله يـومـا وجـهَـهُ لا يـخـيَّبِ

أما أخوه كعب فقد راح ينهل من هذا المعين عـناصر لوحته الفنية التي يؤكد فيهـا توكله على الله سبحانه، مقسما به وحده، مؤمناً أنه واحـد أحد، يحيي ويميت، ويحفظ من كل سوء، قائلاً في معرض صورته الكلية لرحلته[17]:

أنختُ قلوصـي واكـتـلأت بعـينهـا   وآمـــرتُ نفـسـي أيَّ أمـرَيَّ أفـــعلُ
أأكلؤهـا خــوف الحــوادث إنـهـــا   تَرِيب عـلى الإنســـان أم أتوكل ؟!
فـأقسـمتُ بالرّحـمن لا شيءَ غيـرُهُ   يَـمينَ امـــرئٍ بَـرٍّ ، ولا أتحَلَّـل
لأستَـشْعِـرَنْ أعْلَى دَرِيسيَّ مُـسْلِمـا   لوجـهِ الذي يُحْـيِي الأنَامَ ويقـتلُ
هو الحـافظُ الـوَسْنانَ بالليل مـيـتًـا   علـى أنه حيٌّ من الـنوم مُـثـقلُ
من الأسْـودِ السَّـاري وإنْ كـان ثائراً   على حـد نَابَيْـه الـسِّـمامُ المُثَـمَّلُ

---

(15) ملحق الشعر، ص: ٥١٤.

(16) ملحق الشعر، ص: ٥٠٨.

(17) ديوانه، قراقو، ص: ٣٤-٣٥، والقاهرة: ٥٥-٥٧، والأحول، ص: ٤٠-٤١.

وانتقل في لوحة أخرى يـثني على الرسول وصحبه، مستلهـماً بعض المعاني الإسلامية التي أسندها الله تعالى لهم، سواء في لاميته الشهيرة بقوله(١٨):

مَـهــلاً هداكَ الذي أعطاكَ نَـافلة الـ ... ـقـرآن فـيـهـا مَـوَاعِـيظ وتفـصـيلُ
إنَّ الرسـولَ لَـسَـيفٌ يُسـتَـضَـاءُ به ... مُـهَـنَّدٌ من سـيـوفِ اللهِ مـسلولُ
في عُـصْبَـةٍ من قُـريش قالَ قَـائلُهُمْ ... ببـطنِ مكَّـةَ لما أسْلَـمُـوا : زُولوا
زَالُوا فـمـا زَالَ أنْـكَاسٌ ولا كُـشُفٌ ... عند اللـقـاء ، ولا مِـيلٌ مـعـازيلُ
شُمٌّ العَـرَانينِ أبطالٌ لَبُـوسُـهُمُ ... مِن نَسْجِ داودَ في الهَـيْجَـا سـرابيلُ
لا يفـرَحُـونَ إذا نَالَـتْ رمـاحُـهُمُ ... قـومًـا وليسُـوا مَـجَـازِيعـا إذا نِيلُوا
لا يَقَـعُ الطعـنُ إلا في نُحُـورهُمُ ... مـا إنْ لَهُمْ عن حيَـاضِ الموتِ تهليلُ

أم في رائية الأنصار التي يقول فيها(١٩):

من سـرَّهُ كَـرَمُ الحَـيـاةِ فـلا يَزَلْ ... في مِـقْنَبٍ مِنْ صَـالِحِي الأنصـارِ
تَزِنُ الجـبـالَ رزانـةً أحـلامُـهـم ... وأكُـفُّـهم خَـلَفٌ من الأمـطارِ
الـذّائـدِيـنَ الـناسَ عـن أديـانـهـم ... بـالمَشْـرَفِيِّ وبـالقَـنَـا الخطَّـارِ
والبـاذلين نفـوسَـهم لنبـيـهم ... يومَ الهِـيَـاج ، وقُـبَّـةِ الجـبَّـارِ

---

(١٨) ديوانه، قراقو، ص: ١٢-١٥، والقاهرة: ١٩-٢٥، وإسلام كعب وقصيدته: ١٨.
(١٩) ديوانه، قراقو، ص: ١٦-١٧، والقاهرة : ٢٥-٢٧، والأحول، ص: ٣-٤.

٤- الاستفادة من تراث السابقين :

توارث المزنيون جذوة الشعر عن آبائهم وأجدادهم؛ فاستفادوا من تراثهم الشعري، استفادة واضحة، تتجلى بعض معالمها للمطالع فيما بين أيدينا من أشعارهم وأشعار سابقيهم.. وقد أفاض الدارسون[٢٠] في الحديث عن تأثر كعب بن زهير، ولاسيما في لاميته المعروفة بـ(بانت سعاد)، بأكثر من شاعر جاهلي في مقدمتهم النابغة الذبياني[٢١]، وطفيل الغنوي[٢٢]، وأوس بن حجر[٢٣]، والأعشى ميمون[٢٤]، ولقيط بن يَعمَر الإيادي[٢٥]، والشمّاخ

(٢٠) ينظر بالتفصيل: في الأدب الجاهلي: ٢٩١,٢٩٢، وحديث الأربعاء: ١/١٢١-١٢٤، ومشكلة السرقات في النقد العربي، ص: ٢٦، والعصر الإسلامي: ٨٥، والشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية: ١٩٢-٢٠٤، وقصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ١٨٥-٢٠٦.

(٢١) تنظر داليته التي يستهلها بقوله (الديوان، ص: ١٤-٢٨):

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقوتْ وطالَ عليها سالِفُ الأمَدِ

(٢٢) ديوان طفيل، ص: ٢٩-٣٠: اللامية التي يستهلها بقوله :

هل حبلُ شَمْطَاءَ قبل البَيْن موصولُ أم لَيْسَ للصَّرْمِ عن شَمَّاءَ مَعْدُول

(٢٣) ديوان أوس، ص: ٤١، ١٠٥.

(٢٤) ديوان الأعشى: ١٠١، ٣٦١.

وراجع قوله (بديوانه، ص: ٤٨ والحماسة الشجرية، حيدر آباد، ٩٧) ومايليه :

لا مشرفا إنْ رخاءُ العيشِ ساعده ولا إذا عَضَّ مكروهٌ به خَشَعَا

(٢٥) وقول كعب في اللامية:

لا يَفرحُون إذا نالت رِمَاحُهُمُ

قوما وليْسُوا مَجَازِيعًا إذا نِيلوا

ابن ضِـرار[٢٦]، وزهير بن أبي سُلْمَى[٢٧].. وهذه الإفاضة تغنينا عن الخوض في غمـارها وتتبع تفاصـيلها، وتدعـونا إلى الانتقال إلى الإشـارة الموجزة إلى بعض مـلامح التأثـر الأخرى، التي تكشف عنـها مطالعـتنا لقـول حسـان بن ثابت[٢٨]:

لا فـخرَ إنْ هُمْ أَصَـابوا مِنْ عـدوِّهِمُ وإن أُصـيـبـوا فـلا خَـوْرٌ ولا جَـزَعُ

فقد نهل من معينه كعبٌ ببيته المشار إليه قبل قليل، وهو:

لا يفـــرحـون إذا نالـت رمـاحُـــهم قــومـاً وليســوا مــجـازيعـا إذا نيلوا

كما تكشف عنها قراءتُنا لأبيات قافية هذا الشاعر التي يستهلها بقوله[٢٩]:

نفى شَـعَـرَ الرأس القـديم حـوالقُـهْ ولاح بشـيب في الـسـواد مـفـارقُـهْ

إذ يطالعنا قولـــه:

تبـصَّـرْ خليلي هـل ترى من ظعـائنٍ كنخلِ القُـرى أو كـالسَّفِـين حزائقُـه

---

(٢٦) ديوان الشماخ: ٢٧٤-٢٨٠.

(٢٧) شرح ديوان زهير، الهيـئة: ٣١٠، والآفاق: ٢٢٧، وانظر مطلع قافيته التي استهلها بقوله (الآفاق: ٥٠ - ٥١، الهيئية: ٣٣):

إن الخليطَ أَجَـدَّ الـبينُ فـانفـرَقـا وعُلِّقَ القلـبُ مِن أَسْـمَـاءَ مـا عَلِقَـا

(٢٨) ديوان حسان، الهيئة: ٢٣٩، والشجرية، نفسه: ٩٧.

(٢٩) ديوان كعب، قراقو: ١٠٦، والقاهرة: ١٩٠، والأحول: ١٢.

والشطر الأول من هذا البيت من العبارات التي توارد عليها كثير من الشعراء الجاهليين، كامرئ القيس في قوله(٣٠):

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن سوالكَ نقْباً بين حزْمَيْ شعَبْعبِ ؟!

وكعبيد بن الأبرص في قوله(٣١):

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن يمانية قد تغتدي وتروح ؟!

وكزهير في موضع من شعره(٣٢):

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحمَّلنَ بالعلياء من فَوقِ جُرثُم

.. ويصف كعب بهذه القافية بعض أحواله في شبابه قائلاً(٣٣):

وقد ينبري لي الجهل يوما وأنبري لِسِربِ كَحُرَّاتِ الهِجَان تُوَاهِقُهْ
ثلاثٌ غَرِيراتُ الكلامِ وناشِص على البَعْل لا يخلو ، ولا هي عَاشِقُه

وهذان البيتان امتدادٌ لقول أوس بن حجر(٣٤):

وقد أنتحي للجهل يوما وتنتحي ظعائنُ لِلهوِ وُدُّهنّ مساعفُ
نواعم مايضحكن إلا تبسما إلى اللهو قد مالت بهن السوالف

---

(٣٠) ديوان امرئ القيس: ٤٣.
(٣١) ديوان عبيد: ٣٠.
(٣٢) المفضليات: ٢٤٥، شرح ديوان زهير، الهيئة: ٩.
(٣٣) شرح شعر زهير، الآفاق: ١١٩، وانظر أيضاً، ص: ٢١٤-٢١٦، وشرح ديوان كعب، القاهرة: ١٩٨ والأصمعيات: ١٨٦.
(٣٤) ديوان أوس: ٦٣.

وفي رائية الأنصار وصف الشاعر عين ناقته قائلاً(٣٥):

عَـيْنًا كـمِـرآة الـصَّنَاع تُدِيـرها ... بـأنامـلِ الـكَفَّـين كُـلَّ مَـدَارِ

ومورد هذا البيت قول امرئ القيس(٣٦):

وعين كـمـرآة الـصَّنَاعِ تديـرها ... لِمَـحْـجَـرِها من الـنَّصِـيفِ المثَـقَّبِ

ومثل ذلك مانلاحظه في قراءتنا لقول معن(٣٧):

نُدِرُّ الحـرب مـادرَّتْ عـصَـوبًا ... ونحلـبُـهـا ونُمِـريـهـا عَـلاَلا

فمن الواضح أنه تـلخيص موحٍ لأبيـات زهير الشهـيرة بمعلقـته في وصف الحرب وأهوالها المميتة.

ويدرك المتابعُ لتفاصيل ما ألمحتُ إليـه من إشارات بعض الباحثين، وغيره مما أثبتُّهُ في السطور السابقة أن المزنيين في تأثرهم بالـسابقين والمعاصرين في شعراء عصرهم لم يـنسوا هويتهم الشعريـة، ويذوبوا في تراث السابقين ذوباناً يطمس معالم شـاعريتهم، أو ينحرف بها انحـرافاً يعطل من مراحل نموها واكتـمالها، وإنما راحوا يتمثـلون ماتيسر إلى مدركاتهم، مما كـانوا يضطلعون هم بروايته في تخصص، أو غـير تخـصص، عن بعض أساتذتهم كـأوس بن حجـر وطفيل الغنوي، وزهير وغيـرهم، إضافة إلى ما كان الرواة في عـصرهم يتناشدونه في

---

(٣٥) ديوان كعب، القاهرة، ص: ٤٠.

(٣٦) ديوان امرئ القيس: ٤٨.

(٣٧) ديوان معن، بغداد، ص: ٧٥.

مجالسهم الأدبية وغير الأدبية، ويبقى لنا الاعتقاد بأن هذا الاشتراك المتعمد أو غير المتعمد بين بعض ألفاظ هذه الأشعار ومعانيها وصورها الفنية، قد يعود إلى بعض الاتفاق في الأوزان والقوافي التي يختارها أصحابها تجسيداً لروافد تجاربهم الفنية التي يعايشونها، إضافة إلى دور الرواة الحيوي المعتمد في أغلب الأحيان على الطابع الشفوي والذاكرة، وهو دور قد ترك بصماته، من غير شك، على صفحات تراثنا الشعري بعامة، وبنسبة بعض الأبيات الشعرية إلى أكثر من شاعر، وبالتعبير الجزئي في بعض النصوص الشعرية بخاصة، وغير ذلك مما نلمسه في روح العصر، والإطارين الشعري والثقافي لشعرائنا القدامى بشكل عام[٣٨].

(٣٨) مشكلة السرقات، ص: ٢١١ - ٢١٥ و ٢٨١-٢٨٢ و ٢٨٩-٢٩٢ وغيرها.

ب- تطور الصورة المزنية وتأثيرها :

يلاحظ المتـأمل في عناصر الصـورة الفنيـة في أشعـار المزنيين أنها قـد نمت مواكبـة لركب التطور الفني الذي طرأ على الشعـر المزني، بما ينسجم مع روح العصر الذي عايشه المزنيون، حينئذ، في تأثرهم واستفادتهم من تراث سابقيهم من جهة، وفي انتقالهم من الجاهلية إلى رحاب الإسلام من جهة أخرى.

والأمثلة على صـدق هذه الملاحظة كثـيرة نجتـزئ منها قول كـعب بن زهير الذي أشرتُ إلى استفادته من سابقيه في شطره الأول وهو:

تبـصـر خليلي هـل ترى من ظعـائن كنخل القُـرى أو كـالسَّفِـين حزائقُـه

وقارئ هذا البـيت يدرك إلى أي مدى هيأ له صاحـبه صورة موحـية لرحلة الظعن، بتشبيه الظعائن بالنخيل تارة، وبالسفين تارة أخرى.

وتشبيه الظعـائن بالنخل صورة شعرية كثر توارد الشعـراء الجاهايين عليها ؛ فقد سبق إليها كل من امرئ القيس[(١)]، وزهير[(٢)]، والنابغة الذبياني[(٣)]، وعبيد ابن الأبرص[(٤)]، والأعـشى[(٥)]، وأبي دؤاد الإيادي[(٦)]، والمرقِّـشَين[(٧)]، وغيرهم.. كـما أن تشبيه الظعائن بالـسفن صورة شعرية مألوفـة طرقها هؤلاء

(١) ديوان امرئ القيس، ص: ٤٣، ٥٧، ١١٥.

(٢) شرح شعر زهير، الآفاق: ٩٩، ٢١٤.

(٣) ديوان النابغة: ٢١٩.

(٤) ديوان عبيد، ١٢٨.

(٥) ديوان الأعشى: ٢٠١.

(٦) شعر أبي دؤاد: ٢١١، ٣٣٨.

(٧) المفضليات: ٢٢٧، ٢٣٨.

الشعراء الجاهليون[8]، وغيرهم[9].. غير أن استعمال كعب لصدر البيت الذي ألفه الشعراء في تجسيد هذه الرحلة دون أدنى تغيير، والتعريج على هاتين الصورتين المكررتين لدى سابقيه لم يمنعاه من تطوير هذه الصورة بالجمع بين عناصرها في صورة واحدة تأتلف أجزاؤها، ويعضد بعضها بعضا، على عكس مانلمسه في مسلكه الذي سلكه في الصورة التي رسمها لعين ناقته بقوله[10]:

وتُديرُ للخَرْقِ البعيدِ نِياطُهُ بعد الكَلاَلِ وبعدَ نَوْمِ السَّاري
عَينًا كَمِرآة الصَّنَاع تُديرها بأنامل الكَفَّيْنِ كلَّ مَدَار
بِجَمَال مَحْجِرِها وتعلمُ ما الذي تُبْدِي لنظرة زوجها وتواري

متكئاً على صورة امرئ القيس التي رسمها لعين فرسه بقوله[11]:

وعين كمرآة الصَّناع تديرُها لِمِحْجَرِها من النَّصِيفِ المُثَقَّبِ

إذ نلاحظ حرصه على التفصيل في عناصر هذه الصورة وتطويرها، وإعطائها الرونق الذي يميزها عن سابقتها، كما يتضح للمتفحص في أجزاء الصورتين كل على حدة؛ فقد شبه امرؤ القيس عين فرسه بمرآة الحاذقة بالعمل، الصانعة بيدها، التي لا تتكل على غيرها، فإذا تنقبت بالخمار، أدارت مرآتها

---

(٨) انظر مثلاً: ديوان امرئ القيس: ٥٧، وشرح شعر زهير، الآفاق: ١١٧، ١٢٨، وديوان النابغة: ٢١٩، وديوان ابن الأبرص: ١٣٢، وشعر أبي دؤاد: ٣٣٧، والمفضليات (شعر المرقش الأكبر) ٢٢٧.

(٩) انظر مثلاً: ديوان طرفة: ٣١,٣٠، وديوان بشر بن أبي خازم: ٣٥، وديوان عمرو بن قميئة: ٦٠، وديوان المثقب العبدي، ص: ٣١.

(١٠) ديوان كعب، قراقو: ٢٤-٢٥، والقاهرة: ٤٠-٤١، والأحول: ٩.

(١١) ديوان امرئ القيس: ٤٨.

لتنظر إلى ما استدار حول عينها ؛ فتعلم هل استوى النقاب عليه أم لا.

أما كعبُ فـقد استعان بالشق الأول من صورة امـرئ القيس، وهو ما يرتكز على تشبيه العين بمرآة الحـاذقة، مضيفاً إليه تأكيده على حِـدّة بصيرة هذه الناقة وصفائها وقدرتها على مغالبة سـير الليل والإعياء الناجم عنه، غير مبالية إدلاج الليل، وقيامهـا بالإمساك بهذه المرآة بأنامل الكفين، وما يسري فـيها من حرارة الحيـاة وتدفق المشاعـر والأحاسـيس، تحكماً في مـسارها، مشـيراً إلى جـمال المحجر، الذي تستمتـع به هذه المرآة، إضافة إلـى خبرتها في التأثير في رائيها، والمتيم بعشقها؛ فهي دائماً تجلو مرآتها، لأنها تكثر النظر إلى وجهها، لتتزيـن، وتصلح مايكره فيه، لتظل دائماً محل نظر وإعجاب وتقدير وثناء.

ويستـعين الشعراء المزنيـون على تطوير بعض جوانب صورهم الفنيـة ببعض المبادئ والقـيم الإسلاميـة التي ارتووا من معينهـا بعد إسلامـهم، ارتواء جعل كعب بن زهير يستـفيد ـ في مستهل اعتذاره للنبي ﷺ ومـدحه إياه، بقصيدته المعروفـة بـ (بانت سعـاد) ـ بقصيـدة النابغة الذبيـاني الدالية التي اعـتذر فيـها للنعمان بن المنذر، قائلاً في أحد أبياتها[١٢]:

أُنبـــئتُ أن أبا قـــابوسَ أَوْعَـــدَني ... ولا قـــرارَ علـى زَأْرٍ من الأســـد

مما دعاه إلى القول:

أنبـــئت أن رســـول الـله أوعـــدني ... والعـفـو عنـد رسـول الله مـأمـول

---

(١٢) ديوان النابغة: ١٦.

ـ فعلى الرغم مما نلاحظه على القصيدتين من أوجه الشبه القوية المتعددة في الغرض، والوزن الشعري، وبعض الألفاظ، والبناء الفني.. نلاحظ أن هناك فرقاً عظيماً بين "الليثين اللذين يُوعِدَان فَيُخَاف وعيدهما، فأما أحدهما، وهو النعمان فوعيده مخيف موئس، وأما الآخر فوعيده مخيف، ولكن الأمل من ورائه؛ لأن صاحبه هو النبي الذي عُرف بالعفو والحلم والرحمة وسعة الخلق، والذي أنزل الله عليه السكينة حين أنزل عليه القرآن الكريم"(١٣).

وإذا تابعنا قراءتنا لجانب من صورة المهاجرين الذي كانوا يشدون من أزر هذا النبي الكريم ﷺ رأينا كعبا يصفهم بقوله:

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا : زولوا

وهو البيت الذي يقترب من قول أوس بن حجر(١٤):

لولا الهمامُ لقد خَفَّتْ نَعَامَتُهم وقال راكِبُهُمْ في عصبةٍ : سِيرُوا

وملامح تأثر كعب بهذا البيت واضحة في الاشتراك في الوزن الواحد، وفي الاشتراك في بعض الألفاظ، كقول كعب "في عصبة، قال قائلهم: زولوا"، مقارنة بقول أوس: "قال راكبهم في عصبة: سيروا".. غير أننا نلاحظ إدخال كعب على صورته جانباً ملموساً من التغيير في تحديد نسب هذه العصبة "من قريش" وفي تخصيص مكان المقولة التي أطلقها القائل يومئذ: "ببطن مكة"، وفي الكشف عن حال الذين كانوا يستمعون إليه: "لما أسلموا".. ولا شك أن

(١٣) حديث الأربعاء: ١/ ١٢٤.

(١٤) ديوان أوس: ٤٥.

هذا الجانب، الذي أدخله الشاعر، هنا، قد أضفى على صورته شيئاً من الأصالة والعمق والإيحاء والتأثير، مستفيداً دون شك من رحاب دينه، ومعايشته لتاريخه، وأمجاده.

ونستطيع أن نلاحظ هذا الإشعاع الديني النير في مطالعتنا للأبيات التي أنشدها كل من زهير بن أبي سلمى، ومعن بن أوس في حقيقة الموت.. فللأول بيته الذي أنشده ضمن أبيات معلقته قائلاً(١٥):

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصب ... تُمِتْهُ ومن تُخطئ يُعَمَّرْ فيهرَمِ

وللثاني قوله(١٦):

فإني أرى ما لا تَرَيْنَ وإنني ... رأيتُ المنايا قد أصابت مُحَمَّدا
وإني أرى كُلَّ ابنِ أنثى مُؤجَّلاً ... ولم تُضرَبِ الآجالُ إلا لتنفدا

فالتشابه قوي في موضوع الأبيات الثلاثة؛ بيد أن المتأمل في الصورتين الشعريتين اللتين رسمهما كل من الشاعرين للموت، يلاحظ أن البون شاسع بين عناصر كل منهما على حدة؛ فزهير المتأثر بجاهلية عصره، وما شاع فيها من تخبط في ظلمات الكفر والإلحاد والزندقة وغيرها يصدر في صورته متأثراً بروح عصره، فيرى "المنايا خبط عشواء" دون تمييز أو إدراك أو عدل، لذا فقد انعكس ذلك كله على عناصر صورته التي باتت توحي بالتشاؤم والإحباط واليأس والإحساس بالظلم الواقع على الكائنات من القوة الخالقة.. أما معن

(١٥) شرح شعر زهير، الآفاق: ٣٤، الهيئة: ٢٩.
(١٦) ديوان معن، بغداد: ٨٠.

المسلم، الذي انشرح صدره بنور الإيمان بالله سبحانه، وعايش مجتمعاً مسلماً يؤمن بحتمية الموت والبعث والحساب.. فقد صدر في صورته الشعرية التي رسمها لهذه الحقيقة عن نفس مؤمنة ترى أن كل ما على البسيطة فانٍ ولايبقى في الكون كله غير وجهه سبحانه وأنه ﴿ **لكلِّ أَجَلٍ كتاب** ﴾ (سورة الرعد: ٣٨) ﴿ **فإذا جَاءَ أَجَلُهم لا يَسْتَأْخِرونَ ساعةً ولا يَسْتَقْدِمُون** ﴾ (سورة الأعراف: ٣٤، وسورة النحل: ٦١) ولذا جاءت صورته واضحة العناصر، يجلو جانباً من جوانب إيمانه بالله، وشريعته السمحة، وتدبيره المحكم، وعدله المطلق، فالموت لايستثني أحداً حتى محمدا رسول الإنسانية ﷺ الذي بعثه الله رحمة للعالمين وشاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً.. ذلك لأن أمر الله قدر مقدور، يسير وفق إرادته سبحانه ومشيئته النافذة وعدله وحكمته، دون أدنى ظُلم أو تأخير أو تقديم.

وواضح من هذه الأمثلة وغيرها، أن نمو الصورة في أشعار المزنيين كان أشبه بلبنة من لبنات التطور الشعري الذي أحرزه شعرنا القديم حينئذٍ بعامة، مما كان له الأثر في عكوف بعض اللاحقين على موروثهم الشعري متأثرين ببعض جوانب من صورهم الشعرية، تأثراً نجتزئ منه بالأمثلة القليلة التالية:

* ففي الخطاب الذي وجهه معن بن أوس لزوجته قائلاً[17]:

أريني جَوَادا مات هُزْلا لعلّني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بَخِيلا تَخَلَّدا

دَعِيني ومالي إن مالَكِ وافِرٌ ... وكل امرئ جارٍ على ما تَعَوَّدا

---

(١٧) ديوان معن: ٨٠-٨١.

* نلاحظ أن الخطيم المحرزي قد أخذ من معنى البيت الثاني، فقال(١٨):

وأنت امـرُؤ عـوّدتَ نـفـسَك عـادة ... وكل امـرئ جـــارٍ على مـا تـعـوّدا

* أما الأحوص الأنصاري، فقد تناول معنى بيتي معن كليهما بقوله(١٩):

أهَانَ تِـلادَ المال في الحـــمــــد إنه ... إمـامُ هدى يجـري عــلى مـا تعـوَدا

ولو كـان بذلُ المال والجــودِ مُـخْلدًا ... من الـناس إنســـانا لـكنتَ المخـلَّدَا

* وراح كُثَيِّر يعزف على أوتار كعب الذي يصف به المهاجرين:

لا يفـــرحـــون إذا نالـت رمـاحُـــهم ... قـومـا ولَيْســوا مـجـازيعـا إذا نيلوا

قائلاً في مديحه(٢٠):

هو المرء لايبـدي أسًى عن مـصـيبـة ... ولافَـرَحـــاً يومـا إذا النفـس سُـرَّتِ

* ولكعب قوله يصف سير ناقته:

تَخْـدي على يَسَـرَاتٍ وهي لاحِـقَـةٌ ... ذَوَابِلٌ وَقْـــعُـــهُنَّ الأرضَ تحليـل

كـأنَّ أوبَ ذِراعَـيْـهـا وقـد عَـرِقَتْ ... وقـــد تَلَفَّعَ بالقُـــورِ العَـــسَاقِـــيلُ

---

(١٨) منتهى الطلب: ١/ ١٢٤.

(١٩) شعر الأحوص: ١٠٣.

(٢٠) ديوان كثير: ٣٢٤.

* وقد أخذ الأحوص معاني هذه الصورة، وفصّلها بقوله[٢١]:

وشواشة سوطها النقر الخفيّ بها ... ووقعها الأرض تحليل إذا يخِدُ
كأن أوْبَ يديها بالفلاة إذا ... لاحت أماعزُها والآلُ يطَّرِدُ
أوبُ يَدَيْ سابحٍ في الآل مجتهدٍ ... يَهوي يقحِّمهُ ذو لجَّةٍ زَبَدُ

* أما قول كعب في وصف النبي ﷺ:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

* فقد تأثر به الأحوص، فقال في المعنى نفسه[٢٢]:

رسول الإله المستضاء بنوره ... عليه سلام بالضحى والأصائل

.. وتأخذ هذه الأمثلة بأنظارنا إلى ما لاحظه بحق الدكتور/ السيد إبراهيم محمد[٢٣] عند موازنته بين لامية كعب، ولاميتين، من وزنها، تشتركان معها في كثير من التعابير والتراكيب اللغوية، أولاهما لعبدة ابن الطبيب[٢٤] وثانيتهما للشماخ بن ضرار الذبياني[٢٥]، من أن هذه القصائد تقوم على محاور متوازية

---

(٢١) شعر الأحوص: ٩٥.

(٢٢) المصدر نفسه: ١٨٣.

(٢٣) قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي: ٢٩١-٢٩٢، وانظر بالتفصيل، ص: ١٩٢-٢٠٥ وما بعدها.

(٢٤) المفضليات: ١٣٤-١٤٥، ومنتهى الطلب، خ، ١/ ٩٢-٩٤. اللامية التي استهلها بقوله:

هل حبلُ خَولَةَ بعد الهجر موصولُ ... أم أنت عنها بُعَيْدَ الدارِ مشغولُ

(٢٥) ديوان الشماخ: ٢٧١ - ٢٨٠. اللامية التي استهلها بقوله:

بانت سعاد فنومُ العينِ مملول ... وكان من قِصَرٍ من عهدها طولُ

من المعاني، قائلاً: وكأن عبدة كان ينظـر إلى تجربة كعب في قصيدته، وكذلك الشماخ أو كـأنهما يضعان تجربتـه في سياق جديد: رأى عبـدة بن الطبيب جو الفتنة والزخرف والتصاوير فانسـاق إليه بهمته، ورأى، وهو الجندي الرافع لواء الثقافة الإسلامية، أن ذلك مخالف بطبيعته لروح الثقافة الإسلامية في جوهرها فتعـوذ منه بالرجاء في "فواضل رب سـيده حسن"، هذه رؤية جديدة لتـجربة كعب الذي عادى الإسلام (زمنا)، فاكـتنفه خطر القتل ثم تعوذ منه بالرجاء في عفو صاحب الرسـالة ونبي الإسلام، وقصيدة الشمـاخ، ومحورها فكرة الميلاد المنبثق عـن الظلمات أو الحيـاة الخارجـية من الأخطار هي كذلـك رؤية جديدة لتجربة كعب.. ".

جـ - مكونات الصورة المزنية :

ارتبطت الصـورة المزنية، في إطار تـكوينها، بعـدة مقـومات أسـاسيـة في مقدمتها روح العصر والبيئة العربية الإسلامية، والذوق الأدبي العام الذي جرت دماؤه في عروق المزنيين بتفاعلهم بتراث سابقيـهم، إضافة إلى المعاناة الشخصية وروافد التـجربة الذاتيـة التي عايشـوها وخاضـوا غمارها، كـل على حدة.. ولذلك نلاحظ عند مطالعـتنا لنماذج من صـورهم الفنية أنهم ركـزوا على كل مايتصل بهذه المقـومات كما يتضح لنا في بعض لوحاتهم الـتي رسموها للمرأة والناقة والطريق والمشيب والموت.. وهي اللوحات التي نقـبس منها الصفحات الآتية:-

١ـ المـــرأة :

تنوعت نظرات المزنيين للمـرأة تنوعاً وقف وراءه تبـايُنُ مشاعـرهم المتدفـقة نحوها وأحاسيسهم الجياشة تجاهها، تبعاً لقربها منهم، أو بعدها عنهم، ونتيجة لما قد تكنه أرواحُهُم لها من إعجاب وتقدير وحب وهيام، أو تضمره صدورُهم لها من بُغض وحـقد وكراهية. . وتبع ذلك كله تنوعُ أنماط صـورهم الفنية التي أفردوها لهـذا المخلوق، فقـد عكف بعضهم على رسم صـورة مثلى، حـريصاً على وصفها وصفاً بديعاً، يرتكز فيه على المنظور العام لجسدها، وبعض ملامح وجهها، كتلك التي نطالعها في أبيات معن بن أوس التي يقول فيها[١]:

وفي الحيّ (نُعمٌ) قُـرةُ العينِ والهـوى ... وأحـسنُ من يمشي عـلى قَـدَمٍ (نُعمُ)
وكـانت لـهـذا القلب (نُعْـمٌ) زمـانة ... خـبـالا وسُـقـمـاً لا يعـادله سُـقمُ
مُنَعّـــمــةٌ لم تُغـذ في رسْـل ثلَّةٍ ... ولم تـتـجـاوبْ حول كِلّـتِهـا البَـهْمُ
سـبـتـني بعـينَيْ جُـوذَرِ بخـمـيلةٍ ... وجِـيـدٍ كــجـيـدِ الرئم زيّـنهُ النظمُ
ووَحْفٍ تثنّـى في العِـقَـاص كـأنه ... عليـهــا إذا دنّتْ غــدائرَها كــرمُ
وأقنى كـحدّ السّـيفِ يشـربُ قبلَهـا ... وأشنَـبَ رفّـــافِ الثـنايـا له ظَـلْم
لهـا كَـفَلٌ رابٍ وســاقٌ عَـمـيـمـةٌ ... وكَـعْبٌ عَـلاهُ اللّحمُ ليس له حَـجْمُ
تَصـــيّـدُ ألْبَـابَ الـرجـالِ بأنســهـا ... ويقـتلُـهم منهـا التّــدلل والـنّعم
لُبَـاخـيَّـةٌ عـجـزاءُ جَمٌ عظـامُـهَـا ... نَمتْ في نَعـيمٍ وانْمَـهلّ بهـا الجِـسمُ
توالدَهـا بيضٌ حـــرائرُ كـــالـدُّمى ... نواعمُ لابـيضٌ قـصـارٌ ولاخُـــثْمُ

---

(١) ديوانه، ص: ٣٦-٤٠، وانظر حاشية (٩) ص ٢٩٣ من هذا الكتاب.

وأجـدادُ صـدقٍ لا يُعـابُ فـعـالُهم   هُمُ النَّضَـدُ السَّـرْوُ الغطارفـةُ الشُّمُ
مطاعمُ في الـبـؤسى لمن يعـتـريهمُ   إذا يُشتكى في الـعام ذي السّنة الأزْمُ
مـصاليتُ أبطالٌ إذا الحـربُ شمَّـرَتْ   بأمـثـالهم يوم الوغى يُكـشفُ الهَمُّ
إذا انتَـسَبـتْ مَدَّتْ يديهـا إلى العُـلا   وصَدّقَـها الإسلامُ والحَـسَبُ الضَّخْمُ

.. فصـفات هذه المحبـوبة، كما تتـراءى لقارئ هذه الأبيـات، تتجلى في كونهـا (قرة العين والهوى) و (أحـسن من يمشي على قدم)، إذ هي "منعـمة" عيناها عينا مهـاة، وجيدها جيد غزال، وشعرها أسود فـاحم كثيف طويل كأنه كرم، وأنـفها طـويل ليس بكزم، وثغرها أشنب، وأسنانـها ناصـعة البـياض، وريقها عـذب، بريقها أخاذ، وكفلـها مشرف، وساقـها تامة، وكعبـها مكسو باللحم لا تظهر عـظامها منه، كمـا أنها ذات حديث سـاحر وتدلل محـبوب، وصوت شجي رخيم، مكتملة الخلق، كثيـرة اللحم، عظيمة العجيزة، توارثت الحسن والنعيم ورفه العيش من بيض حرائر كالدمى، نواعم لا بيض قصار ولا خثم، وأجـداد صدق لاتعـاب أعمالهم، لأنهم جـمعـوا بين مكارم الأخلاق، وفضائل القيم التي هداهم إليها الإسلامُ الحنيف.

وتتضح مسايرةُ الشاعر لذوق عصره، في تشبيهاته التقليدية التي اعتاد عليها سابقـوه، لعيني المحبـوبة بالجؤذر، ولجيـدها بجيد الرئم، ولـغدائرها بالكرم، ولأنفها بحد السيف، ولأمهاتها بالدمى.. كما تتضح محاولته لاستشراف روح عصـره، وما يشيع فـيه من قيم إسـلامية رشـيدة، حث عليـها الدين الحنيف كالصدق وصلاح الأعمال، وتبُّـوؤ المكانة العليا من مكارم الأخلاق، كالسخاء والإيثار والبطولة والإقدام في قوله:

إذا انتَـسَبـتْ مَدَّتْ يديهـا إلى العُـلا   وصدّقـها الإسلامُ والحَـسَبُ الضّخْمُ

ويبرز نزوعه نحو نمط معيشي يخالف في بعض مظاهره، واقعه الذي بات بشيخوخته البغيضة يصطلي بناره، في وصفه للمحبوبة بأنها:

مُنَعّـــمَـــة لم تُغـذَ في رِسْل ثلّة ولم تتجاوَبْ حول كِلّتها البَهْم

و "نمت في نعيم".. ثم يمزج في مهارة، بين وصفه الحسي الواضح المعالم لعناصر جمال "نُعْم" التي ينطق بها تفصيله المحكم لأعضاء جسدها.. ووصفه المعنوي لآثار تعلقه بها، وهيامه بعشقها على قلبه بقوله:

وكانت لهذا القلب "نُعْمٌ" زمانةً خبالا وسُقمًا لايُعادله سُقْمُ

وفي قوله: "سبتْني"، و "تصيد ألباب الرجال بأنسها" و "يقتلهم منها التدلل، والنغم"، وفي تأصيل هذا الجمال والتنويه بجذوره العريقة التي يدل عليها قوله:

توالدها بيض .... وصدَّقها الإسلامُ والحسبُ الضخمُ

وعلى الرغم من هذا الوصف، فإننا نلاحظ أن عناصر هذه الصورة يغلب عليها الطابع الحسي البصري الذي يلخصه قوله: "نعم قرة العين"، وما يليه من أوصافه لأجزاء جسدها، التي لا تُدرَك قيمتُها إلا بالتملّي فيها وإمعان النظر.. إضافة إلى ما نلمسه فيها من عناصر صوتية وحركية أخرى، كالذي يظهر من قوله:

"أحسن من يمشي على قدم نُـعم"، ومن وصفه لها بأنها "منعـمة، لم تغذ في رسل ثلة"، ولم تتـجاوب حول كلّتـها البـهم"، وفي الإشارة لأثرها فـيه بقوله "سبتني"، وتصيد ألبـاب الرجال بأنسها، ويقتلهم النغم".. وفي التنويه بصفات أهليها، الذين "لا يُعـاب فعالُهم، والذين هم "مطاعم في البؤسى لمن يعتريهم" وهم "مصاليت إذا الحرب شمَّرت".. "وبأمثالهم يوم الوغَى يكشف الهمّ"، ومدت يديها إلى العلا..

ومن جـهة أخـرى فإن مـحـاولة إفراد صـورة جزئيـة لكل من عـيني هذه المحبوبة، وجيـدها، وشعرها، وأنفها، وكفلها، وغيـر ذلك من أجزاء جسدها على حدة، إضافة إلى صورة أهليها وأجدادها ـ تضع أيدينا على تلك الجزئيات المتآلفة، التي برع الشـاعر في الربط بين عناصرها، ليرسم منهـا صورته الكلية لمحبـوبته عن طريق "الـزمن" الذي تنسرب دلائله، في مـراوحة بين الحـضور والاستمرار في قوله:

(يمشي، تثني، يشـرب، تصيد، يقـتلهم، يعتريهم، يشـتكي، يكشف..) وبين المُضى المستمـر في قوله: (كانت، لم تغذ، لم تتجـاوب، سبتني، زينه، دنت، علاه، نمت، انهلّ، توالدها، شـمرت، انتسبت، مدت، صـدقها) مع انطلاقه من "الحيّ" بوصفـه المكان الذي ينتمي إليه هو ومحبوبـته، مازجاً كل ذلك بما يضطرم بداخل "هذا القلب" من "خبال وسـقم لا يعادله سقم"، ولا عجب إذا رأيناها قـد سبتـه بجمالها، واصطادت فـؤاده، بأنسها، وقـتلت لبه بتدللها، وطلاوة نغمها، كما تصيد ألباب الرجال فتقتلها.

ويؤكد كعب بن زهير هذه العناصرَ، مضيفاً إليها شيئاً من تَوَقُّدِ تجربته وأريج

معاناته، بوقوفه على ديار محبوبته "أم شداد" ووصفها لمحاسنها، بقوله(٢):

أمِن أمِّ شَـــدَّادٍ رســـومُ المنازِلِ | تَوهَّمْـــتُـها من بعـد ســافٍ ووابلِ
وبعـــد ليــالٍ قــد خلون وأشــهــرِ | على إثْرِ حــول قــد تجرّم كــاملِ
أرى أمَّ شــداد بـهـا شِـبـهَ ظبـيـة | تُطيف بمكحـــول المدامع خـــاذلِ
أغنَّ غَـضيضِ الطَّرْفِ رَخْصٍ ظُلوفُـه | ترود بمعـــــتَمٍّ مـن الرمـل هائـلِ
وترنُو بعـــينَيْ نـعـجــةٍ أمِّ فـرقــد | تظل بـوادي روضـــة وخـمـــائلِ
وتخطـو على بُرديَّـتَينِ غــذاهـمــا | أهاضـيبُ رَجَّـافِ العشـيّـاتِ هاطلِ
وتفـــتــرُّ عن غُـــرٍّ الثنايا كــأنَّهــا | أقـــاحٍ تَرَوَّى مـن عُـــروقِ غَـــلائلِ
ليـــالِيَ نحـــتلّ المَرَاضَ وعـــيــشُنا | غـريـر ولا نُرعِي إلى عـــذل عــاذلِ

فنحن نلاحظ من قراءتنا لهذه الأبيات، حرص الشاعر على رسم صورة فنية تبدو فيـها محبوبتـه، أشبه بالظبية الكحـيل، التي تسير خلف أمها، فـتية لينة ناعمـة مدللة، بصوتـها ذي الغنة العذبة، وطرفـها الفاتر، تـروح وتجيء بعيني نعجة أم فـرقد، تظل بوادي روضه وخمـائل، ومتقدمـة في خيلاء، مسـتعينة بساقين مـستويتـين ناصعتي البـياض، وتبتـسم عن أسنان كالأقـحوان النديّ، وترتوي بريق عذب، كأنه يتدفق من جداول معرقة في القدم.

---

(٢) ديوان كعب، قراقو: ٥٠-٥١، والقاهرة: ٨٩، والأحول: ٦٩-٧٠.
والسافي: الريح التي تـسفي التراب فـتمحو مـعالم الديار. والوابل: المطر الغـزير. وتجرم: انقضى تتخيل إليه، والمدامع: مجرى الدمع. والخاذل: المتخلف عن أمه. وغضيض الطرف: فـاتره. والرخص: اللين الناعم. والظلـوف: الأظافر الضـخـمـة. وترود: تذهب وتجيء. والمعتم: التام. والهائل: الذي لايتماسك إذا وطئ. وتفتر: تبتسم. والمراض: اسم موضع. والغرير: الناعم الهادىء. ونرعى: نستمع.

وواضح من تأملنا في عناصر هذه الصورة أن كعباً قد استمدها من البيئة المحيطة به، منطلقا من رسوم المنازل التي تتراءى لناظريه، موحية بذكريات عيشه بمنطقة "المراض" بوصفها "المكان"، عازفاً على وتر "الزمن" الذي يسير إليه، بتقريره أنه قد عاد لمطالعة هذه الرسوم "بعد ليال" وأشهر، على إثر حول كامل"، وبوصفه لسني أُنسه، مع هذه المحبوبة بأنها كانت مجرد "ليال".

وإحساس الشاعر بقصر هذه الفترة الزمنية التي سعد فيها بوصال هذه المرأة قد دفعه، فيما يبدو، إلى الإفراط في استخدام الأفعال الدالة على الحضور والاستمرار، في قوله: (أرى، وتطيف، وترود، وترنو، وتظل، وتخطو، وتفتر، وتروى، ونحتل، ونرعي)، على حساب الأفعال التي تدل على المضي المستمر، في: "توهمتُها، وغذاهما".

وتتضح معالم الأصوات والحركات في تعريجه على ذكر الريح السافي "والمطر"، "الوابل" ومكحول المدامع "الخاذل الأغن"، وفي تقريره أن أطرافها الضخمة "ترود بمعتّمٍ من الرمل هائل"، وفي تأكيده أن محبوبته "تخطو على برديتين غذاهما أهاضيب رجّاف العشيات هاطل، و" نحتل المراض، ونُرعي إلى عذل عاذل".. وغيرها من المعالم التي لاتُدرَك إلا من خلال المرئيات الواضحة في قوله: "رسوم المنازل" وأرى أم شداد بها شبه ظبية"، تطيف بمكحول المدامع خاذل"، وغضيض الطرف، ورخص ظلوفه، ومعتمّ من الرمل هائل، وترنو بعيني نعجة، تظل بوادي روضة وخمائل، وتخطو على برديتين، وتفتر عن غر الثنايا، كأنها أقاح تَروّى من عروق غلاغل.. أما عبق الرائحة فنشمه من إشاراته للروضة، والخمائل والأقاحي.

وواضح من دلالات هذه العناصر السابقة أنها في مجملها حسية، وإن تخللها بعض الكلمات ذات الإيحاء المعنوي، والتدفق الوجداني، كقوله: توهمتُها، بعد ليال، خلون وأشهر، وحول قد تجرم، و "تطيف" و "خاذل"، وتفتر، وعيشنا غرير"، مما يدعونا إلى الاعتقاد بأن صاحبها قد مزج فيها بين إحساسه المنسرب من أعماقه، مكوناً صورة كلية في ثناياها معالمُ عدة صورة جزئية، متعددة الأطراف والصُّور، تحتل فيها رسوم منازل أم شداد مكان الصدارة، وتأتي بعدها صورة هذه المحبوبة نفسها، متفرعة، بدورها، إلى صور جزئية صغرى متآلفة، منها صورة طرفها، وصورة عينيها، وصورة ثغرها وأسنانها، وصورة عيشه الغرير معها.

وقريب من هاتين الصورتين ما نطالعه في لوحة خارجة بن فليح الذي راح يرسم بها صورة لمحبوبته مع صاحباتها بقوله[٣]:

ولقد قالتْ لأترابٍ لها	كالمها يلعبن في حجرتها
خُذْنَ عنّي الظلَّ لا يُفزِعُني	ومضتْ تَسعى إلى قُبَّتها
بنت عَشْرٍ لم تعانق رجلا	صُوَرُ البدرُ على صورتها
ولقد قَبَّلتُ فاها قبلةً	كدت ألقى اللهَ من لَذَّتِهَا
لم تُعَانِق رجلا فيما مضى	طفلة غيداءُ في كِلَّتِها
لم يَطِشْ سهمٌ لها قط ومن	تَرمِه لم ينجُ من رَمْيَتِها

(٣) التعليقات والنوادر، خ، المصرية، الورقة الأخيرة، ومطبوعة بغداد: ٢/ ٢٩٠، وط. العبيكان، ٢/ ٦١٥، وانظر ملحق الشعر: ٥٤٨.

وصفات هذه المحبوبة تتلخص في كونهـا تعيش مع "أتراب لها كالمها يلعبن في حجرتها" ، وفي كونها رقيقة المشاعر، لأنها طفلة بنت عشر، ناعمة، متثنية قد اكتـمل لينها وحسنها، فصـارت ذات سحر ودلال فائقين؛ حـتى ليخيل لمن يتملى في مظاهر حسنها وجمالها وزينتها أن الله، سبحانه، قد صور البدر على صورة تحاكي ما أحـسن من خلقها وخلقتها، ولذلك فهي تغـدو كصائد ماهر، دأب على نصب شباكه لفرائسه، التي لا تنجو منها أبداً، في الوقت الذي يعلن فيـه استمتـاعها بأقـصى درجات الرعاية والصـيانة والحفظ من أعين المعـجبين بحسنها، والمشـدودين لجمالها من الرجال، فلا تصل إليـها، بسبب ذلك كله، قَدَمَا أحد منهم ولا شباكُه، ولا ينال أحـدٌ منها شيئاً، على عكس ما حظى هو به، مقـتدرا، بعد لأيٍ، مـن تقبيل فـمها، قـبلةً شهـيةً، غرَسَتْ في عـروقه وأوصاله نشـوة الوصال، التي تجاوز الإحسـاس بها سعـادة القرب من الأنيس المخلوق، إلى الفوز بلقاء الله سبحانه الخالق المصور.

وتدل كلمـاتُ هذه الصورة وعـباراتُها وإحـساسُ الشـاعر المتـدفقُ فيـها أن صاحـبها، قـد ارتكز، في سبيله لإبراز مـلامح صورته، على موروثه الثـقافي عندما شبـه الأتراب بالمها، وعندما قـرر في صورة مقلوبة موحـية، على قرب الشبه وتمامه بين البـدر، عند اكتمال حسنه وبهائه، والمحبـوبة التي يصفها على عادة سابقيه بأنها:

لم يـطش سـهم لهـا قـطُّ ومن ترْمِـهِ لم يـنجُ من رَمْـيَـتِـهـا

كمـا يتأثر بروح عصـره وما ساد لدى فـئاته من ترف ونعيم، تركـا آثارهما جلية على ألفـاظه، فصارت سهلة ميـسورة، تسيطر عليهـا البساطةُ والشفـافية سيطرة ملـموسة، في الوقت الذي سـمت به عقـيدتُه الدينيةُ إلى التـحليق في أجواء عليا يستأنس فيها بقربه من الله سبحانه، بنزعة صوفية واضحة.

وقد مزج الشاعر، في حرارة وصدق، بين هذه المؤثرات الثلاثة، مزجاً طيبا تحرك مـن خلاله تيـار "الزمن"، الذي ندلف إليه عـبر وصف الشـاعر لـهذه الفتـاة، بأنها بنت عـشر (لم تعانق، وصـوّر، وقبلت، وكـدت، ولم تعانق، ومضى، ولم يطش، ولم ينج..) وبين الأفعال الدالة على الاستمرار والتدفق في قوله:

(يلعبن، ولا يفزعني، وتسعى، وألقى، وترميه، وخذن..)

وتتضح بعـض معالم المكان في الإطار الـعام الذي تتحـرك فيه مـحبـوبته، وخاصة فـي إشارته إلى (حجرتهـا)، و "الظل"، وقبتهـا.. ومن هذه المعالم نَطالع بعض العناصر المرئية ذات الألوان المتعددة، وذلك في صورته الجزئية التي رسـمهـا للأتراب اللائي يلعبن، كـالمهـا في حجـرتهـا، وفي "الظل"، وفي "مضت" ولم تعانق رجلا، والبدر على صورتها، وطفلة غيداء، و "سهم".. أما العناصـر الصوتية والحـركية الأخـرى فتظهر في: (قـالت، يلعبن، خذن، يفزعني، مضت، تسعى، تعانق رجـلا، قبلت، لم يطش سهم لها، ومن ترمه لم ينج من رميتـها..) وهي الأشياء التي تتراوح في تنوع ملحوظ بـين الحسية والمعنوية، والجزئية والكلية والمحافظة والتجديد.

وإلـى جـانـب هـذا التصـور المثـالـي للمـحبـوبة أفرد بعض المزنيين صـوراً

أخرى للمرأة، هي أكثر ميلاً للواقعية، كتلك التي يطالعنا بها كعب بن زهير بقوله[٤]:

إنّ عِرسي قد آذنتني أخيرًا ... لم تعرِّجْ، ولم تُؤامرْ أميرا
أَجِهارا جاهرتِ لا عَتْبَ فيه ... أم أرادتْ خيانة وفُجُورا
ما صلاحُ الزوجين عاشا جميعا ... بعد أن يصرِمِ الكبيرُ الكبيرا
فاصبري مثلَ ما صبرتُ فإني ... لا إخالُ الكريمَ إلا صَبُورا
أيّ حينٍ وقد دببتُ ودبَّتْ ... ولبسْنا من بعد دهرٍ دُهورا
عذلتْني، فقلتُ: لا تعذِلِيني ... قد أغادي المعَذَّلَ المخمورا

.. فهو يلقي الأضواء حزيناً على ما فعلته زوجته على كبر، من سوء في حقه، بعد طول معاشرتها، متبرمة بما تراه عليه من شيخوخة باتت تحرمها، وإياه، مما كانت تشهده عليه، من نضارة وشباب في عهدهما، مما أدى إلى شبوب نيران المعارك الحامية، التي أضحت تصطلي بها جدران بيتهما، في هذه الحقبة من حياة كل منهما على هذه الأرض، وهو يطالبها بين الحين والآخر، بالتجمل بالصبر؛ دواء، وتسلية، يواجهان به أخطار الكبر العاتية.

وعناصر هذه الصورة المختصرة على إيحائها، تمتد، إلى جانب دلالات الزمان والمكان، عبر مزيد من المرئيات والحركات والأفعال التي تنبجس من قوله (آذنتني، ولم تعرج، ولم تؤامر، وأَجِهارا جاهرت، وأرادت، وعاشا، ويصرم، ودببت، ودبت، ولبسنا، وعذلتني، فقلت: لاتعذليني، وأغادي..).

---

(٤) ديوانه، قراقو: ٨٥-٨٦، والقاهرة: ١٥٣-١٥٥، والأحول: ٢٤-٢٥.

وواضح من تتبع هذه الأفعـال أن الشاعر، وهو يشعر بأن موكب الـعمر قد صار وراءه، أكثر من كونه معه، أو أمامه، قد اسـتعان بالأفعال الماضية استعانة مفـرطة على حسـاب الفعل المضـارع. كما تتـبدى مظاهر الشـعور بالحسرة، والأسى في تساؤلاته التي أخذ يطرحها أمام هذه الزوجة عسى أن تتمسك واعية بأهداب التعـقل والوقار والحكمة، بعـد أن "عاشا جـميعا" فـاصبري مـثل ما صبرت "ودببت"، لبسنا من بعد دهر دهورا.. عذلتني..".

٢- الناقـــة :

رأينا كيف أفرد المزنيون لوصف الناقة صوراً متعددة، ألممنا ببعض جزئياتها، وألمحنا إلى تنويه بـعض القدامى بـتفـوق كـعب بن زهيـر في هذا الفن، وفي السطور التالية، سوف أتناول لوحتين مما رسمته ريشة هذا الشاعر.

ففي اللامية المعـروفة بـ(بانت سعاد) قدم الشاعـر لاعتذاره للنبي ﷺ وثنائه عليه هو ومن مـعه من الصحابة، بأبيـات غزل، وانتقل منها إلى وصف نـاقته التي ستحمله إلى مقابلة رسول الله ﷺ، بقوله(٥):

أمـستْ سـعـاد بأرض لا يبلغـهـا | إلا العِـتَـاقُ النجـيـبـاتُ المراسـيلُ
ولن يـبلِّغَـهـا إلا عُـذَافـرةٌ | فـيـهـا على الأيْـنِ إرقـال وتبـغـيلُ
من كل نَضّاخـةِ الذِّفرَى إذا عَـرِقَتْ | عُرْضَـتُهـا طامسُ الأعـلام مجـهولُ
تَرمِي الغـيـوبَ بعـينَيْ مُـفْـرَدٍ لَهِقٍ | إذا توقَّـدَتِ الحـزَّانُ ، والمِـيلُ

---

(٥) ديوانه، القاهرة: ٩-١٩، وإسـلام كعب وقصيدته: ٨٠-٨١، وملـحق الشعر، ص:٥٢٩.
والعتاق: السنوق الكريمة. والمراسيل: الخفاف التي تعطي مـا عندها عفوا. والعذافـرة: الناقة الشديدة الغليظة. والأين: التعب. والإرقال: ضرب من العدو فيـه سرعة. والتبغيل: السير السهـل السريع الحسن. والنضاخـة: التي يفور ماؤهـا. والذفرى: العظم الشاخص خلف =

ضخمٌ مُقَلَّدُها فَعمٌ مُقَيَّدُها ... في خَلْقِها عن بَنَاتِ الفَحلِ تفضيلُ
غَلْباءُ وجناءُ عُلكومٌ مُذَكَّرةٌ ... في دَفِّها سَعَةٌ ، قُدَّامُها مِيلُ
وجلدُها من أَطُومٍ ما يؤيِّسُه ... طلحٌ بضاحيةِ المَتْنَينْ مهزولُ
حرف أخوها أبوها من مُهجَّنَةٍ ... وعمُّها خالُها قوداءُ شِمْليلُ
يمشي القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ... منها لَبَانٌ وأقرابٌ زهاليلُ
عَيرانةٌ قُذِفتْ في اللحم عن عُرُضٍ ... مرفقُها عن بنات الزَّور مفتولُ
كأنّ ما فات عينيها ومذبَحَها ... من خَطْمِها ومن اللَّحْيَينِ بِرْطِيلُ
تمرّ مثلَ عَسيب النخل ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تَخَوَّنْهُ الأحاليلُ
قَنْواءُ في حُرَّتَيْها للبصير بها ... عِتْقٌ مُبينٌ وفي الخدّين تسهيلُ
تَخْدي على يَسَرات وهْي لاحِقَةٌ ... ذوابلٌ وقعُهن الأرضَ تحليلُ
سُمْرُ العُجَايات يتركن الحصى زِيَمًا ... لم يَقِهِنَّ رؤوسَ الأُكْم تَنْعيلُ
يومًا يَظَلّ به الحرباءُ مُصْطَخِماً ... كأنَّ ضاحِيَهُ بالنار مملولُ
كأن أوبَ ذراعَيْها وقد عَرِقَتْ ... وقد تلفَّع بالقُور العساقيلُ
وقال للقوم حاديهم وقد جَعَلَتْ ... وُرْقُ الجنادب يركضن الحَصَى: قيلوا
شَدَّ النهارِ ذراعا عيطلٍ نَصَفٍ ... قامت فجاوبَها نُكْدٌ مثاكيلُ
نوّاحةٌ رِخوةُ الضَّبْعَيْنِ ليس لها ... لمّا نَعَى بِكْرَها الناعون معقولُ
تفري اللَّبَانَ بكفيها ومِدْرَعُها ... مشقّقٌ عن تراقيها رعابيلُ

= الأذن. والعرضة: الهمة. وترمي الغيوب: تنظر ما غاب عن راكبها. والمفرد: الحمار الوحشي الذي خذل عن صواحبه. واللهق: الشديد البياض. والحزان: ما غلظ من الأرض. ومقلدها: عنقها. والفعم: الممتلئ. ومقيدها: رسغها. وبنات الفحل: النوق. والغلباء: الغليظة الرقبة. والوجناء: العظيمة الوجنتين. والعلكوم: الشديدة. والمذكرة: التي تشبه الذكر في عظم خلقتها. ودفها: جنبها. وقدامها ميل: كناية عن طول رقبتها. والأطوم: كالثوب من الديباج الناعم، يؤيسه: يثبت عليه. والطلح: القراد. والمتنان: الظهر. والمهزول: المتنحلة الخفيفة. والقوداء: الطويلة العنق. والشمليل: الخفيفة. ويزلقه: يبعده ويزيله. واللبان: الصدر. والأقراب: الخواطر. والزهاليل: الملس. والعيرانة: التي تشبه =

وقارئ هذه الأبيـات يراوده إحساس قوي بأن هذه الصـورة التفصيليـة لهذه الناقة، وما يحـيط بها، رواسب عبادة قديمة بالية، ربما دان بهـا بعضُ الساميين لهذا المخلوق الصـحراوي المؤنس العجـيب، وهي الرواسب التي ربما سَرَتْ في مُخيلة الشاعر، نامية متطورة إلى ما يشبه المُعين على تحقيـق الحلـم الـذي كـان يضطـرم قويـاً بـوجدانــه، قُبيـل توجهه للقاء الـنبي ﷺ. تاركة آثارها على جوانب هذه الصورة، التـي تبدو فيها هذه الناقـةُ الفريدةُ من العتاق النجـيبات المراسيل، عـذافرة، ذات إرقـال وتبغيل، تخـدي، عيناها عـينا حمـار وحشي واسعـتان، وعنقـها ضخم ورسـغهـا ممتلئ، وهي حرف، وعيـرانة، وقنواء، وغلباء، ووجناء، وعلكوم، ومذكرة، صارت بعـراقتها، وكرم أصلها، وطيب منبـتهـا، فريدة أخـواتها، مـصونة مـحروسـة، لا يصل إليهـا أدنى خطر من الأخطار، كائنا مـا كان، لأنها صلبـة، متينة، مـتكاملة الخلق، تسيـر بأضرُب مختلفة من السير، مطواع، ينعكس عليها كل ما يختمر بفكر راكبها، من توتر وتوجس وقلق، لذا فإنها، على مـا تتميز به من قوة وصـلابة، طريقُها طامس الأعلام مجهول، وعـيناها قلقتان حائرتان، كعيني حمـار وحشي ضل الرفقة، وأُبعد عن قطيعه، فأخذ يحسُّ بلهيب الحسرة والحيرة والندم، وهي المشاعر التي تبدو واضحة دلائلها على صفحة بصره، إضافة إلى أن العرق الذي ينصب من هذه الناقة، بسبب طول السفر، وتتابعه وعـنائه يشبه في تساقطه على ذراعيها،

= العـير لصـلابتهـا. وبنات الزور: العضـلتان والملاطان والمذبح. والزور: عظام الصـدر. الخطم: الأنف أو مقدمـه. واللحيان: عظام الحنك الذي عليهـا الأسنان. والغارز: الضرع. والأحاليل: مجـاري اللبن. والقنواء: التي في أنفها احديداب. وحـرتاها: أذناها. تخدي: تسرع وتزج بقـوائمهـا. والعجايات: عـصب باطن اليدين. وزيم: مـتفرقـة. والمصطخم: المنتصب من الحـر. وتفرى: تشق. والتراقي: العظام التي بين ثغرة النحـر والعاتق في أعلى الصدر. والرعابيل: المنخرقة.

والسـراب يلفع الجبـال والمرتفعـات من حوله، هـيئـة النسوة النائحـات النكد المثاكيل..

والشاعر في رسمـه لعناصر هذه الصورة بجزئياتها المتتـابعة لم يغفل الإشارة إلى الأمـاكن التي تنقلت ناقـتُـه في سـيرها بهـا، كـالطريق الطامس الأعـلام المجهـول، وكالعـساقيل، وهي الجـبال التي تحـيط به من كل جهـة، ممتدة في رحاب الزمـان، الذي يتمثل في هروبه من مـاضيه المشـوب بالقلاقل والأوهام والأباطيل، وتوقه الشـديد إلى مستـقبل مضيء بهـدى الرسول ﷺ، الذي لن يبلغـه إلا بالعُذَافـرة الموصوفة بـالشدة والغلظة، اللتين تـتـغلب بهمـا على كل مايواجهه هو، وناقته التي تكابد، معه، أهوال الرحلة ونصبها.. ثم يراوح بين الأفعال التي تختلط فيها الدلالة على الزمن الماضي في قوله (عرقت، توقدت، قذفت، فـات، لم تخونه، لم يقهن، قـال، جعل، قامت، فجـاوبها، ليس، نعى..) والزمنين الحاضر والمسـتقبل في قوله (لا يبلغهـا، ولن يبلغها، ترمى، يمشي يزلقه، تمر، تخدي، يتركن، يظل، يركضن، تفري..).

كـما يمزج المـرئيات، التي تمـتد إلى أغلب عـناصر هذه الصـورة، ببـعض المسمـوعات والحركـات الأخرى، كالإشارة إلى الإرقـال والتبغـيل، والخدي، وكقوله: (ترمي، وتـوقدت، تمر، يتركن الحصى زيما، قال حـاديهم، يركضن الحصى، قيلوا، قامت، فجاوبها نكد مثاكيل، نواحة، الناعون..).

وعلى الرغم من سـيطرة العناصر الحـسية علـى معظم هذه الصورة الـكلية لناقتـه، تبرز بعضُ الروافد المعنويـة التي تشع بإيماءات الشاعر إلى: "العـتاق" و"العتق"، والمجهول، والمفرد، و "تفضيل"، والنار، ونكد مثاكيل، ونواحة، ومعـقول.. وهي الروافـد التي أضفت على العناصـر الأخـرى رونقاً وحـيوية

وإيحاءً ندرك بعض مظاهره في مطالعتنا للوحته الأخرى التي رسمها هو أيضاً لناقته التي يقول فيها(٦):

وخَرْقٍ يَخَافُ الركبُ أن يُدلجُوا به ... يَعَضُّون من أهْواله بالأناملِ
مَخُوفٍ به الجِنَّانُ، تعوي ذئابه ... قطَعْتُ بِفتلاءِ الذّراعَين بازلِ
صموتِ السُّرى خرساءَ فيها تلفتٌ ... لنبأة حق أو لتشبيه باطل
تظل نُسوعُ الرحل بعد كَلالَها ... لهن أطِيطٌ بين جَوزٍ وكاهلِ
رَفيع المَحَالِ والضلوعِ نَمَتْ به ... قوائمُ عوجٌ ناشزاتُ الخصائلِ
تُجاوبُ أصداءً وحينًا يَرُوعُها ... تَضَوُّرُ كسّابٍ على الركب عائلِ
عُذَافرةٍ تختال بالرحل حُرّةٍ ... تباري قِلاصاً كالنَّعَامِ الجوافلِ
بوقعٍ دِراكٍ غيرِ ما مُتَكَلَّفٍ ... إذا هبطت وَعْثًا ولا مُتَخَاذلِ

وصفات الناقة في هذه الصورة المصغرة نسبياً تكاد تلتقي مع مثيلاتها في الصورة السابقة، فهي فتلاء الذراعين، بازل، أي مال ذراعاها عن زورها، بعد أن طلعت نابها وبلغت من عمرها تسعة أعوام، وهي عذافرة، حرة، كريمة نجيبة مكتنزة اللحم، تباري القلاص بوقع من سيرها، متدارك، ليس فيه تكلف أو انخذال.. غير أن المتأمل في هذه الصورة يلاحظ أن الشاعر أثبت لناقته،

(٦) ديوانه، قراقو: ٥٢-٥٤، والقاهرة: ٩٤-٩٧، والأحوال: ٧١-٧٢.
والخرق: المتسع من الأرض. والصموت: التي لا ترغو من ضجر السرى والتعب. والنبأة: الصوت الخفي. والنسوع: الحبال. والجوز: الوسط. والكاهل: ملتقى فروع الأكتاف. والمحال: فقار الظهر. ونمت به: ارتفعت. وقوائم عوج: طوال. والناشزات: المرتفعات شاخصات مشرفات. ويروى "ناشلات" في موضع ناشزات. والنشل: قلة لحم الفخذين والساقين. والخصائل: جمع خصيلة وهي كل عضلة أو لحمة منبترة في سائر الجسد. والتضور: صوت الذئب. والكساب: المحترق. والعائل: المحتاج وذو العيال.

إلى جانب تلك الصفات المكررة نسبياً، كـونها: صموت السرى، خرساء، فيها تلفت، لاتـقلق نسوعها، تجاوب أصداء، وحينا يـروعها صوت الذئب الذي بات يتلوى من الجوع، إضافة إلى أنها تختال بالرحل.. إلى آخر هذه الصفات المعنوية التي تضـافرت مع غيرها من الصفات الحسـية لهذه الناقة، فجسـدت، في حرارة وتدفق، مايعتمل بصـدر صاحبها من إحـساس قوي بالثقة والاقتدار، يجوب بهما، مستعيناً بهذه الناقة، الصحراء المهلكة، دون إعياء، أو توجس، أو خوف.

وغيـر خاف عـلى قارئ أبيـات هاتين الصورتين مـعاً، مـا نلاحظه من اختلاف الحـالة النفسية التي تـعيشها الناقـة في كل منهما على حـدة، تبعًا لتباين الحـالات الشعورية التي يعايشـها الشاعر الذي يستـعين بها في شتى مواقفه المعيشية التي تتنوع فيها مظاهر الحياة.

٣- الطريــــق :

وقـفنا، في مـوضع سابـق، عند وصف المزنيين للطريق، وعـرضنا لثـلاثة نماذجَ، تباينت فيها طرقُ معالجتِهم لدروبهم التي سلكوها، تبعاً لتباين حالاتهم النفسية[٧].

وفي اللوحة الأخـيرة التي ألممنا فيـها بجانب من جـوانب تغييـر كعب في بعض خصائص ناقته، رأيناه يعرج على ما تقطعه من مسالك قائلاً[٨]:

ومُـسـتَـهْلِكٍ يهـدي الضَّلُولَ كـأنه	حـصـيـرُ صَنَاعٍ بـين أيدي الرواملِ
مـتى مـا تشأْ تسـمعْ إذا مـا هَبَطْتَـهُ	تراطُنَ سِـرْبٍ مَغـرِبَ الشـمسِ نازلِ
رَوَايا فِـــــراخٍ بالـفَـــلاةِ تَـوائِمٍ	تحطَّمَ عنهـا البَـيْضُ حُـمْرِ الحَـواصلِ
تَوائِمَ أشـــبـــاهٍ بغـيـــر عـــلامـــة	وُضِـعْنَ بمجهـولٍ من الأرضِ خـاملِ

* وهي الأبيات التي أخذ يتممها بما أسلفناه من قوله:

وخَـرقٍ يَخَافُ الرَّكبُ أن يُدلِجـوا به	يَعَـــضُّـــونَ مـن أهواله بالأنـامل
مَـــخُـــوفٍ به الجِنَّان تَـعـــوي ذِئابُهُ	قَطَعْـتُ بِفَــتْــلاءِ الذِّراعَــيْنِ بازِلِ

ويلاحظ قارئ هذه الأبيات أن صاحـبها قد أفردها لعدة صـور جزئية، تبدأ باللقطة المصغرة للطريق، وقد اسـتوى، واتضحت معالمه، فصار أشبـه بحصير

(٧) الفصل الأول من الباب الثاني. ص: ١٩٦ ـ ٢٠٠.

(٨) ديوان كعب، قراقو: ٥١-٥٣، والقاهرة: ٩٢-٩٤، والأحول: ٧٠-٧١.

والمستهلك: الطريق الواضح المستوي. والـروامل: النواسج للحصر. والمجهول: المكان الذي لا يعرفه. والخامل: المجهول.

امرأة حاذقة بالعمل بين أيدي النواسج للحصر.. وتثنّي بصورة القطا، التي تخرج من أفواهها أصواتا مبهمة، كتراطن بعض الأعاجم، مغتدية، رائحة، في طلب السقيا والزاد لفراخها الصغار الحديثي الولادة، بعد أن تركتْها وحيدةً في مكان مجهول، لا يعرفه أحد، وتنتهي بالصورة التي رسمها للمكان المتسع من الأرض المجدبة، التي يخاف المرتحلون أن يسيروا به ليلاً، رعباً من أهواله وأخطاره المحدقة، لأنه صار مأوى للجِنّان، ومرتعاً للذئاب الضارية، التي قد أنْهكَهَا الجوع فأخذت تعوي بحثاً عن فريسة تسد بها رمقها.

وعناصر هذه الصورة الجزئية الثلاثة تتكامل وتتآلف لإبراز ملامح صورة كلية موحدة لـلطريق المستوي الواضح الذي تتخلله أسراب الطيور، وتحيط به الأخطار، ممثلة في عزيف الجن وعواء الذئاب.

وعلى جانبي هذه الصورة تنبت عناصر الزمن الماضي الذي نرى الشاعر هنا يؤكد اجتيازه له قادراً، بقوله: " قطعتُ " منتقلاً إلى إثبات حضوره ومعايشته المستمرة التي تتضح في تعريجه على الأفعال المضارعة كقوله: "يهدي، ويخاف، ويدلجوا، ويعضون وتعوي.. "، مستشرفا آفاق المستقبل، الذي يحن إليه تواقاً، في خطابه الذي يوجهه لمن يستمع إليه قائلاً: متى ماتشأ تسمع إذا ماهبطته.. مغرب الشمس"، محلقاً بأجنحة خياله فوق رحاب المكان التي يجسدها "الطريق بكل مشتملاته والفلاة، و "مجهول من الأرض خامل" و"خرق"، معضداً إحساسه الإنساني، بالإشارة إلى بعض أعمال غيره ومشاعرهم، كـإشاراته للصناع "وأيدي الروامل"، "ومتى ماتشأ تسمع إذا ماهبطته"، "ويخاف الركب أن يدلجوا به"، ويعضون بالأنامل".

والشاعر، في كل ذلك، يعتمد جل الاعتماد على العناصر المرئية بألوانها وأحجامها المتعددة، دون إهمال سواها من العناصر الأخرى، سمعية أو حركية. . منبجسة من بعض كلماته كـ (يهدي الضلول، وحصير صناع بين أيدي الروامل، وتسمع إذا ما هبطته تراطن سرب نازل، تحطم عنها البيض، ويدلجوا به، وتعوي ذئابه . .) معبراً عن ثقته بنفسه، على الرغم مما قد يعترضه من أهوال، يخاف من خوض غمارها أمثالهُ، من محترفي الصيد والترحال، جامعاً بين (الحسية) التي تتضح ملامحها في أغلب الأجزاء، و(المعنوية) التي تدل عليها أقواله: يهدي الضلول، ومتى ماتشأ، ومجهول، وأهواله، ومخوف، وغيرها.

٤- الشيب والموت:

للمزنيين لوحاتُهم الفنيةُ التي أبدعوا فيها التعبير عن هذه الحقبة المتأخرة من حياة الإنسان على هذه الأرض، وقد وقفتُ في موضع سابق[٩] عند بعض النماذج الشعرية التي تكشف، بوضوح، عن اضطرام مشاعر أصحابها، إبان مرورهم بهذه المرحلة العمرية المشحونة بالانفعالات والهواجس والآلام.

وإذا عاوَدْنا النظر في بعض أبيات كعب بن زهير الفائية[١٠] التي يبكي بها زهرة شبابه الذابلة، ويصف بعض أحوال زوجته المتبرمة بهذه الشيخوخة مثله، رأيناه يقول:

---

(٩) الفصل الثالث من الباب الثاني، ص: ٣١١-٣١٥.

(١٠) ديوانه، قراقو: ٤٣-٤٤، والقاهرة: ٧٠-٧٢، والأحول: ١٦-١٧.

بانَ الشبابُ وأمسى الشَّيبُ قد أزِفا

ولا أرى لشَبابٍ ذاهبٍ خَلَفا

عاد السوادُ بياضا في مفارقه ... لا مرحباً ها بذا اللونِ الذي رَدِفا

في كل يوم أرى منه مُبَيِّنةً ... تكاد تسقط مني مُنَّةً أسَفا

ليت الشبابَ حليفٌ لا يزايلُنا ... بل ليته ارتدّ منه بعضُ ماسلفا

ما شرُّها بعدما ابيضَّتْ مسائحها؟! ... لا الودَّ أعرِفُه منها ولا اللَّطَفَا

وقارئ هذه الأبيات يلاحظ أن صاحبها قد رسم لوحة لمعالم شيخوخته، التي بات يعاني من أطوارها، شاعراً بتقدم سنه، تقدما يدفعه إلى الجنوح الواضح إلى التركيز على الأفعال الماضية كـ " بان، وأمسى، وأزف، وعاد، وردف، وارتد، وسلف، وابيضت "، إحساساً منه بقدم عهده، وانحسار عمره، في الوقت الذي يتشبث فيه بأواصر الزمن الحاضر، الذي صار يجتر فيه آلامه، ويكتفي بتذكر صباه، عاجزاً عن رؤية الأشياء من حوله بإدراك سليم، بسبب مايراه من سحب كثيفة، تحجب عنه نعمة البصيرة، فيلجأ إلى استخدام أسلوب النفي، استخداماً ملحوظاً في مثل قوله: " لا أرى لشباب ذاهب خلفا "، (لا مرحبا ها بذا اللون، ولا يزايلنا، ولا الود أعرفه منها ولا اللطفا..).

ونلاحظ أن روافد انفعالات الشاعر كما تنطق بدلالاتها كلماتُ هذه الأبيات وصورها الجزئية المتتابعة، تتجسد في عدة اتجاهات تأخذ مساراتٍ مختلفةً، نلمس أحدها في تحسره على فقدان شبابه: (لا أرى لشبابٍ ذاهبٍ خلفا)، ونشتم رائحة إحساس آخر، في شعوره بالكراهية والبغضاء لبياض شعره، الذي

بات يصاحبه، منـذ بلغ من العمر عتياً: (لا مرحـبا هَا بِذا اللون الذي ردفا)، ونشعر بخيط شعور ثالث، يتدفق حزيناً في تمني ما لا يجيء، والتمسك بحبال واهية من الأمل اليائس:

ليت الشـبـاب حليف لايُـزايلنا بل ليتـه ارتدّ منه بعضُ مـاسَلَفـا

ويفجؤنا إحساس رابع يتـرجمه الشاعر بتساؤله الحائر عن سـر عقوق زوجته له، ومجافاتها إياه: (ما شرها بعد ما ابيضت مسائحها)؟!.

وفي أُتُـون(*) هذه الانفـعـالات، التي مـا فَـتِـئت تغلي في صـدره وفكره ووجـدانه، ينطلق كعب من "بيـت الزوجيـة" الذي أمست تهـدده الأخطار، بسبب نكوص الزوجـة، التي جمـعته بهـا صحبـةٌ طويلة وعشرة مـديدة بهذا المكان، معرجـاً على الاستفادة من الطاقات التـعبيرية الموحيـة لبعض الكلمات ذات الدلالات المرئية، واسـتيحاء الألوان، كـقوله: (أمسى الشيب قـد أزفا)، و(لا أرى لشباب ذاهبٍ خلفا)، و(عاد السـواد بياضا في مفارقه)، و(وذا اللون قد ردفا)، و(أرى مبينة)، و(ابيضت مسائحها..) وبين الكلمات ذات الدلالات الصوتية والحركية الأخرى، كقوله (بان الشباب، ليت الشباب ارتد، ما شرها، لا الود أعـرفه، ولا اللطـفا..)، في الوقت الذي تنـاثرت بين ذلك كله بعضُ الكلمـات ذات الدلالات المعنوية كالشـباب، والشـيب، والأسف، والحليف، والشـر، والود، واللطف، وغيـر ذلك مما يأخـذ بأيدينا إلى تلمس جـانب من انفعالاته التي أشرت إلى اتجاهاتها في السطور السابقة.

(*) في لسان العرب: والأتّون بالتشديد، والعامة تخففّه.

ولكعب نفسه قافيَّةٌ موجزةٌ أفردها للحديث عن الموت، يقول فيها(١١):

أعلمُ أني متى ما يأتني قدري ... فليس يحبسه شُحٌ ولا شَفَقُ
بينا الفتى معجَبٌ بالعيش مُغتَبِطٌ ... إذا الفتى للمنايا مُسْلَمٌ غَلِقُ
والمرء والمال يَنمي ثمُ يُذْهِبُه ... مرُّ الدهور ويُفنيه فينسحقُ
كالغصن بينا تراه ناعماً هَدِباً ... إذْ هاج ، وانحتّ عن أفنانه الورقُ
كذلك المرء إن يُنسَأُ له أجَلٌ ... يُركَبْ به طَبَقٌ من بعده طبقُ

والشاعر في هذه الأبيات يجسد فلسفته تجاه الموت، مؤكداً أنه يعلم حتميته، لأنه مهما أُعجب المرءُ بعيشه مغتبطاً، ومهما امتدت به الحياةُ، فهو رهنُ إشارة خالقه ومدبر الكون من حوله، يودع الروح في جسده، متى شاء، وينزعها منه متى أراد، بغير تأخير ولا تقديم.

وتجسيد الشاعر لملامح هذه الفلسفة لا يجيء من فراغ أشبه بنصيحة جوفاء تفتقر إلى المعايشة والتمثيل والحيوية، بل يتجه إلى مداركنا، منسربا من أعماق ذاته، ومايختلج فيها من أحاسيسَ ومشاعرَ وأفكارٍ وآمالٍ. . (أعلم أني متى ما يأتني قدري)، مستخدما، في براعة أسلوب الشرط الذي يستوجب الارتباط الوثيق بين المقدمات والنتائج، في هذا الشطر، وفي قوله (بينا الفتى معجب. . إذا الفتى مسلم)، (كالغصن بينا تراه ناعما هدبا، إذهاج، وانحت. .)، (كذلك المرء إن يُنسأ له أجل، يركب به طبق) مؤكداً بهذا الأسلوب دليلاً آخر على تيقنه وتسليمه بالقدر المحتوم، الذي لا يُستثنى منه مخلوق، ثم يلفت أنظارنا إلى إدراك ذلك بأنفسنا من خلال الدعوة إلى التفكر في ملكوت الكون من

(١١) ديوانه، قراقو، ص: ١٣٢، والقاهرة: ٢٢٨.

حولنا، لتتــمثل لنا صورةُ الطبيعــة الناطقة بحكمة الله وقدرته، فالشــجرة تبدأ ببذرة حقيرة، تنبت، فتصير شجـرة، تمر عليها الدهور، فتجعلها خضراء يانعة وارفة الظلال، وتجود بأطيب الثـمرات.. ثم تأتي عليها سُنّةُ الحيـاة، فتراودها أخطارُ الجـفاف واليبس والاندثـار، مشبـهة في ذلك رحلة الإنســان على هذه الأرض، في بدايته البـسيطة، ونموه شيـئاً فشـيئاً، فـصيرورته معـجباً بنفـسه، وبعيشــه، مغتبطاً بماله وجـاهه وسلطانه، معتداً على أقـرانه.. ثم يتقدم رويدا رويدا، فتتبدل أحوالهُ من بعد قوته ضـعفاً، ومن بعد غناه فقرا، ومن بعد عزه ذلا، حتى نراه محـمولاً على الأكتاف، وديعة، ترتد لمودعهـا، بعد أن عاشت على سطح أجـزاء من هذه (المعـمورة)، بوصـفهـا المكان، الذي تنبـجس منه عناصر الصــورة التي يُكوّنها الشـاعرُ، في إحساس مـلموس بمر الدهور، الذي يذهب بافتـتان الإنسان وخـيلائه وإعجـابه وبهجتـه، ويدفعه إلى حـافة الفناء والزوال، مهـما تقاعس ركب هذا الزمن أو تأخـر أحياناً، عن ملاحـقة بعض العبـاد، مستـشرفاً آفـاق مستـقبل يرجوه فـيه، أن يحظى بعـفو ربه ورحمـته وإحسانه، منوهاً بما يدركه ويستشـعره من أصداء حركة الكون في داخله، ومن حوله، في قوله: "يأتني"، و "تحبسه"، و "الفـتى معجب بالعيش مغتبط"، الفـتى للـمنايا مـسلم، والمرء والمال يـنمي، ثم يذهبـه مـر الدهـور، ويفنيـه وينسحق"، كـالغصن تراه ناعماً هـدبا، إذ هاج، وانحتّ، المرء يُنسأ له أجل، يركب به طبق من بعده طبق..

ويُستفاد مـن النماذج السابقة أن المزنيين في تجسيـدهم لملامح صورهم الفنية قد نهلوا من روافد انفعالاتهم، وأحاسـيسهم، وتصوراتهم، وخواطرهم، التي كانـت تجيش بأفـئدتهم، وأنفـسهم، وتضطرم بهـا جوانحـهم، متنوعـة بتنوع

مواقفهم المعيــشية، ومتطورة نامية، بتطور عصرهم ونموه، ومتــجددة متألقة بتجدد الكون من حــولهم وتألقه، مستشرفـة آفاق الزمان والمكان، في حنين للماضي، ومعايشة للحاضر وتَوْقٍ للمستقبل، مؤلفين بين العناصر الحسية، ذات المدلولات المرئية والسمـعية والحركية الأخرى، وغـيرها، مما لمسوه في بيئتهم، التي يحيون في رحابها، إضافة إلى العناصر المعنوية ذات الإيحاءات النفسية المتدفقة بتدفق أخيلتهم، والمرتكزة على حسن إدراكهم للأمور.

* * *

* *

*

الخاتمة ونتائج البحث

الخاتمة ونتائج البحث

تناولتُ في الصفحات السابقة قبيلة مزينة وشعرها في الإسلام حتى نهاية القرن الثاني الهجري، وقسَّمتُ دراستي ثلاثة أبواب خلا المقدمة والتمهيد كالتالي:

أ - في الباب الأول درستُ تاريخ مزينة في الجاهلية والإسلام، وقسمتُه إلى:-

١- الفصل الأول، وخلصتُ فيه إلى القول بأن مزينة هم بنو عثمان وأوس ابني عمرو بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن نزار بن معد بن عدنان، الذين كانوا، عند مجيء الإسلام، من عرب الحجاز، يسكنون قرب المدينة المنورة، بآرة، والأجرد، والأحوس، والأشعر، وأكحل، والحاجر، وألاب، وأيد، وبحرة، وبَرام، وثور، ودهماء، مرضوض، وذي المروة، وذي يدوم، والريان، وساية، وسيالة، وشمس، والعقيق، وعمق، والفرش، والفرع، وفيحة، واللوى، والمكّسر، ومَلَل، وميطان، ونهبان، وورقان، وغيرها.. محترفين مهن الرعي والزراعة والسدانة والصيد والحداء والاستقاء والتجارة وبعض الصناعات اليدوية الخفيفة، منضوين تحت لواء الحياة الجاهلية بنظمها الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية، متأثرين ببعض التيارات من الديانات اليهودية والنصرانية والحنيفية، عاكفين على " نُهْم " و " سُوَاع " وغيرهما من الأصنام، منحرفين إلى بعض عقائد الزنادقة والدهريين والقائلين بالتناسخ، وإنكار البعث وغير ذلك من روافد الفكر الديني الجاهلي.

٢ـ ودرستُ تاريخ مزينة في الإسلام في الفصل الثاني، مقسماً إياه حقبتين متتاليتين، أولاهُما : حقبةُ عصر النبوة والراشدين، وثانيتهما : حقبةُ عصر بني أمية، ومابعده، وفي الأولى أشرتُ إلى إسلام بعض المزنيين المبكر قُبيل الهجرة، أو في أثنائها، أو أعقابها، كذى البجادين وعمرو بن عوف ومالك بن ثابت بن نميلة وعاصم بن نكير وغيرهم، ممن بايعوا النبي ﷺ في العام الرابع الهجري، ممهدين للبيعة المزنية الكبرى، في رجب من العام الخامس، بوصفها أول مبايعة قبلية، بهذا المفهوم في حياة الدعوة، منضمين، منذ تلك اللحظة، إلى صفوف المجاهدين، تحت قيادة النبي وصحبه، في الأحزاب، وخيبر، والجموم، وذي القَصّة، ومكة، وحُنين، وأوطاس، ودومة الجندل، وتبوك، وغيرها، متحملين بعد وفاته عليه السلام، أعباء الدفاع عن المدينة المنورة تحت قيادة أبي بكر رضي الله عنه، ضد هجمات المرتدين العبسيين والغطفانيين، منتقلين، بعد القضاء على الردة، إلى جيوش خالد بن الوليد وغيره من قادة الفتوحات في العراق، والشام، ومصر، وإفريقية، وأواسط آسيا، وغيرها، مُسجّلين أروع صفحات البطولة والفداء في تاريخ الإسلام والمسلمين، نازلين إلى جانب منازلهم الجاهلية في المدن والأمصار التي امتدت إليها خطواتُهم مع الفتوحات كالبصرة والشام والكوفة، ومصر والأندلس، والسند، وبُخارى، وخراسان، وبغداد، وأصبهان، وواسط، وجند يسابور، واليمن، وغيرها.. محتلين مناصب قيادية في شؤون الجيش والجباية والولاية في عهد الراشدين، مدفوعين، لأسباب أو لأخرى، إلى جبهة الإمام علي في حروبه ضد خصومه في الجمل

وصفين وغيرهما، ممهدين، بهذا الاندفاع، إلى ما يشبه "الالتزام" بالوقوف إلى جانب آل البيت النبوي، ضد خصومهم في الحقبة التي تلت استشهاد الإمام علي، فكانوا. على رغم بعض الأحاسيس والنزعات الفردية المضادة، في الصفوف الأولى من الثورات القائمة ضد حكم بني أمية وبني العباس.

وقد تبين لي أن المزنيين قد مارسوا المهن التي كان بعضهم يمارسها في العصر الجاهلي باستثناء العرافة والسدانة، إضافة إلى ما جَدَّ في حياتهم من المشاركة في مسيرة الفتوحات وعمارة المساجد، والجباية والولاية وغيرها، منتظمين في عقد المجتمع الإسلامي، بنُظُمِهِ الاجتماعية والثقافية التي نسجتها مبادئُ الشريعة الإسلامية.

٣ـ وفي الفصل الثالث أشرتُ إلى ضياع كل من ديوان مزينة الذي جمعه السكري، و "كتاب مزينة" الذي ألفه ابنُ الكلبي.. مرجحاً أن تكون لأشعار المزنيين مساحات متفاوتة في جهود كل من أبي تمام، وأبي عمرو الشيباني، وخالد بن كلثوم، وأبي عمر الزاهد، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وابن حبيب، وغيرهم، ممن لم تصل إلينا أعمالهم في جمع أشعار القبائل وأخبارها.. منتقلاً إلى تقسيم الشعراء المزنيين إلى مخضرمين وإسلاميين، ومجهولي العصر، وشعراء بغير شعر، مكتفياً بدراسة موجزة لحياة كل من بجير وكعب ومعن بن أوس وأشعارهم من القسم الأول، والمضرب بن كعب وابنه العوام وأبي المعافى وخارجة بن فليح وعبدالله بن عمرو ومكنف بن نميلة وزينب بنت عرفطة من القسم الثاني، وأوس بن أبي سُلمَى وأخته الخنساء وحسان بن الغدير ومضرس

ابن قرطة من القسم الثالث، ملماً ـ بقدر ما ساعدتني المصادر والأشعار ـ بما بين يدي من نسخ ديوانَيْ كل من كعب ومعن، ومراحل أشعارهما جاهلية وإسلاماً، رائيًا في أولهما رائدًا للاتجاه المزني نحو الإمام علي وآل بيته، وملاحظاً في الثاني عدم اختصاصه بحزب دون الآخر.

ب- أما الباب الثاني فقد خصصتُه لدراسة موضوعات شعر مزينة، وقسمته إلى: -

١ـ الفصل الأول الذي تناولتُ فيه موقف المزنيين من ظواهر الطبيعة ملاحظاً أن للمكان بجوانبه المختلفة مكانتَه الفريدة في قلوب المزنيين، كغيرهم من معاصريهم، مُعرّجاً على نماذجَ متعددةٍ لوصفهم الأطلالَ والطريقَ والسرابَ والجبالَ والرياحَ والمياه والربيعَ، متنقلاً إلى إبراز مكانة الحيوان في أشعارهم، مُفرداً لكل من الأسد، والذئب، والفرس، والناقة أحاديثَ تتلاءم وما خلفوه من أشعار في هذه الحيوانات، مسلطاً بعض الأضواء على التفات بعض المزنيين إلى ريش الطير والعقاب وسجع الحمامة والغراب والقطا، مختتماً بوصف كل من معن لنخلته العجوز، وكعب لغصنه الذي يطارده الموت، وملاحظاً في ذلك كله أن المزنيين في عكوفهم على ظواهر الطبيعة، بتعدد جوانبها، ومعايشتهم لها، قد بثوا فيها خواطرهم، وانفعالاتهم، ولونوها بما يعكس صوراً من تغيُّر حالاتهم الشعورية واختلاف أنشطتهم وأحوالهم المعيشية المتعددة.

٢ـ الفصل الثاني الذي تناولتُ فيه آفاقاً من معايشة المزنيين لمبادئ الدين الحنيف، وقضايا المجتمع العربي الإسلامي، من خلال ما لاحظتُه من اتجاهاتهم إلى طمس معالم الجاهلية وأباطيلها، وتثبيت مظاهر العقيدة

الصحيحة في عبادة الله، سبحانه، والمبادرة الشخصية بالدعوة إلى الدين القويم بقيمه الرشيدة، وتخصيب المجتمع الإسلامي، بلفت الأنظار إلى قدواته الحسنة، المستهلة بشخصية الرسول الأعظم ﷺ وخيرة صحابته من المهاجرين والأنصار وآل البيت رضي الله عنهم، وغيرهم، والتبشير بمبادئ الإسلام في تربية الفرد والمجتمع والمشاركة في التيارات السياسية لعصرهم، ومواكبة التطور الحضاري، إلى جانب نظراتهم الصائبة للموت والبعث والحساب والقضاء والقدر، ومشاركتهم الشعرية في مسيرة الفتوحات الإسلامية، نافياً ما تردد من أفكار خاطئة ـ لدى بعض الباحثين ـ بأن الشعر العربي، في مجمله، لم يتأثر بالإسلام، وأن شعر كعب بن زهير، ولا سيما لاميته (بانت سعاد) تغلب عليها الروح الجاهلية.

٣ـ وفي الفصل الثالث حاولتُ الوقوف على أبعاد التأمل الذاتي في الشعر المزني من خلال ما ارتضيتُه من تعريف لمفهوم الذاتية مؤكداً أن شعرنا العربي القديم، الذي يأتلفُ في عقده ما بين أيدينا من أشعار المزنيين، ذاتي تبرز فيه شخصيةُ صاحبه بروزاً شديداً، ومهما كان من سلطان الجماعة الواضح في بعض القصائد؛ إلا أن إيقاننا بأن اهتمام الإسلام بالفرد وعنايته به، وتوجيه سلوكه، قد أدى إلى قيام الفردية الجماعية الأصيلة التي يحقق فيها الفردُ ذاته في الوقت الذي ترتبط فيه استقامةُ أمر الجماعة باستقامة أفرادها وصلاح أمورهم.

ولاحظتُ أن روافد التأمل الذاتي لدى المزنيين تتشكل في الغزل والنسيب ورحلات الظعن والأطلال ووصف الشيب وغير ذلك من الصفحات التي تحدث

فيها بعض الشعراء عن حالات ضعفهم الإنساني، وفقرهم الاقتصادي، كما فعل عبدُالله بن عمرو، أو عن طريق تصوير رحلات الصيد الممتدة في الصحراء المهلكة التي برع فيها كعبُ بن زهير أو بإجلاء بعض مظاهر الالتزام الشخصي بمبادئ الدين الحنيف كما كشف معنُ بن أوس، في أكثر من موضع من شعره.

جـ- وفي الباب الأخير تناولتُ الظواهر الفنية في الشعر المزني، بادئاً في الفصل الأول منه بدراسة : البناء الفني للقصيدة المزنية، متحدثاً عما بين أيدينا من التراث الشعري للمزنيين في الإسلام الذي رأيتُ أنه يزيد على ثلاثمائة وألف بيت موزعة على أكثر من ثلاثين شاعراً وشاعرة.. مقسماً هذه الأشعار أقسامًا حسب عصر قائليها، مخضرمين وإسلاميين ومجهولي العصر، متدرجاً إلى التنويه باحتلال الأبيات المفردة والمقطوعات والقصائد القصيرة، التي لايتجاوز طول كل منها خمسة عشر بيتاً، مساحة كبيرة تصل إلى نصف مجموع ماوصل إلينا من أشعارهم في الإسلام، معللاً وجود هذه الظاهرة باحتمالات ضياع بعض الأشعار المزنية من جهة، وملاءمة هذه الأشعار القليلة الأبيات لأغراضها ومناسباتها التي كان أصحابها يفردونها للتعبير عنها، كخوض الحروب أو وصف حالات العجز والشيخوخة، أو الحكمة والأمثال وغيرها، منتقلاً إلى دراسة عناصر البناء الفني للقصيدة المزنية قصيرة، أو متوسطة، أو طويلة، ملاحظاً أن المزنيين لم يخضعوا، في الجانب الأكبر من قصائدهم، لقواعد ثابتة أو شبه ثابتة من دعائم منهج فني معين، وإنما صدروا، في بنائهم الفني لقصائدهم، عن دوافع نفسية مختلفة، استوحوْها من نُظم معايشهم المتنوعة، بتنوع البيئات والأذواق التي امتلكوا أزمَّتَهَا.

ودفعتْني هذه الملاحظةُ إلى محاولة القراءة لبعض القصائد المزنية، بحثاً عن روافد وحدتها الفنية، واضعاً نصب عيني ما أشار إليه معظم النقاد من شروط لتوافر دعائم هذه الوحدة، كالوحدة الشعورية والصور الحية والموسيقى والألفاظ ووحدة الباعث، متوصلاً، من خلال التأمل في بعض القصائد، إلى أنها، في مجملها، متحدة المشاعر والانفعالات والصور الفنية والموضوعات والبواعث، وإن اختلفت وسائل التعبير عنها في جانب من جوانبها.

٢ـ وفي الفصل الثالث منه تناولتُ بالدراسة لغة الشعر المزني وموسيقاه، مخصصاً قسمه الأول للغة هذا الشعر، ملاحظاً أنها قد تكونتْ متأثرةً بالحياة البدوية والمعيشة الصحراوية، ذات الطوابع الوحشية الجزلة، مرتكزة على التراث الشعري للجاهليين المزنيين وغير المزنيين، ومهتدية بأنوار القرآن الكريم وقاموسه اللغوي، ومستشرفة آفاق التطور الحضاري الذي شهده المجتمع الإسلامي فيما بعد، معبرة عن جوانب حية متجددة من الحياة اليومية، مدركاً أن هذه الروافد المتكاملة قد جسدت في لغة الشعر المزني عدة روافد، (أولُها): ذو الصبغة البدوية الخشنة، الذي يستلهم من الحياة الصحراوية معينه ورعونته، و(ثانيها): ذو البريق القرآني العذب الذي ينهل من قاموس القرآن بمعايشة وحرارة وانفعال،ماينمي عناصر تجربته ويكسبها تجدداً وتألقاً. و(ثالثها): ذو الشفافية والبساطة المواكبة لركب التطور الثقافي الذي شهدتْه أركانُ المجتمع، منذ بدايات القرن الثاني الهجري، مختتماً حديثي عند هذا الجانب بالوقوف عند بعض الصيغ الأسلوبية المتكررة في أشعار المزنيين، رائياً فيها محاولة لإضفاء نسيج إيقاعي ينسجم وتجاربهم الفنية، منتقلاً إلى تفصيل ملامح

هذا النسيج في المبحث الذي أفردتُه لدراسة موسيقى الشعر المزني، مقسماً هذه الدراسة ثلاثة مباحث رئيسية متكاملة، بدأتها بالأوزان، ملاحظاً، من خلال استقرائي لنتائج بعض المحدثين على مساحات واسعة، إضافة إلى ماتوصلتُ إليه باستقرائي لمساحات أخرى من عيون شعرنا القديم، أن الشعراء المزنيين لم يخرجوا عن الإطار الفني العام الذي رسمه، أو سار عليه، معاصروهم من هذه الناحية، وإن اختلفوا، اختلافات فرعية في بعض نواحي استعانتهم بالأوزان، قلة وكثرة وتقديماً وتأخيراً، بما ينسجم وإحساسهم بذواتهم ومعاناتهم الخاصة، عند إنشاد أشعارهم، نافياً المقولة الذاهبة إلى أنهم ربما خصصوا أوزاناً بعينها لأغراض بعينها، لإيماني بصعوبة التأكد من صحة هذه المقولة، واعتقادي أن وزن القصيدة أو المقطوعة ما هو إلا جزء حيوي من بنائها الفني الداخلي، وليس شيئاً زائداً عليه، أو خارجاً عن مكوناته.. وفي دراستي لقوافي الشعر المزني لاحظتُ تفوق استخدام اللام والراء والدال والميم حروف روي وتوسط أحرف القاف والفاء والعين والنون والباء والحاء، وندرة استعمال كل من الكاف والتاء والهمزة والصاد والياء والهاء والسين، وانعدام استعمالهم للألف المقصورة والثاء والجيم والخاء والذال والزاي والشين والضاد والطاء والظاء والغين والواو، وانسجاماً مع الاتجاه الغالب على عيون الشعر العربي في هذا الجانب وقتذاك، وإن اختلفَ الشعرُ المزني، بميله إلى الرويّ المضموم، فالمفتوح، فالمكسور، فالساكن، عن الإطار العام السائد في عصرهم، نتيجة الحرص على توفير أكبر قدر من الإيقاع والترنم والتنغيم أثناء عملية الإنشاد الشعري،

وتبين لي من تأمل مطالع القصائد المزنية أن ستا وعشرين قصيدة فقط من خمسين قصيدة، تتراوح أطوالها بين ثمانية أبيات، وستين بيتا، ابتدأها أصحابها بتصريع شطري البيت الأول منها، إضافة إلى تسع مقطوعات رجزية وغير رجزية، تتراوح أبياتها بين بيتين وسبعة أبيات، حرص منشدوها على توفير هذه السمة الموسيقية لها، أما في الرجز ففي كل الأشطار، وأما في غيره ففي المطالع فقط، ورجحتُ أن تكون هذه المقطعاتُ غيرُ الرجزية المصرعةُ قصائدَ ضاعت بقاياها من ذاكرة التاريخ، كضياع غيرها من الأبيات، مطالع وغير مطالع من الأشعار التي أنشدها أصحابُها، ذاهباً إلى أن ظاهرة التصريع أو عدمه في مطالع القصائد يخضع، في الدرجة الأولى، للحالة الشعورية التي يكون عليها الشعراء، إبان إنشادهم لأول بيت من أبيات قصائدهم، وإن جاز لنا تعليل الاستغناء عن التصريع في بعضها، فإن هذا التعليل يظل محدوداً بالجزء دون "الكل"، نظراً لافتقارنا إلى ما يساعدنا على تحديد "كيف" الحالات الشعورية، و "مقدارها"، في أغلب مابين أيدينا من أشعارهم، مدركاً أن حدود موسيقى الشعر عند المزنيين قد تجاوزت الأوزان والقوافي إلى الاستفادة من طاقات التماثل والتآلف في الحروف والمقاطع والكلمات، والتنويع بين الأصوات المهموسة والمجهورة، والتقسيم وغيره من الوسائل ذات الطاقات الإيقاعية الرحبة.

٣ـ وفي الفصل الأخير الذي خصصتُه لدراسة الصورة في الشعر المزني، بدأتُ بالإلمام بمصادرها، فرأيتُها ممثلة في حياة البادية، والروح القبلية، واعتناق الإسلام والاهتداء بقيمه، ومسايرة ركب التطور الحضاري

للمجتمع العربي الإسلامي، والاستفادة من تراث السابقين من الشعراء الجاهليين المزنيين وغير المزنيين، منتقلاً إلى الإلمام بملامح تطور الصورة في أشعار بني مزينة، من خلال الاستفادة من المصادر المشار إليها، وهضم روافدها، حتى صارت مثلا يحتذيه بعضُ الشعراء اللاحقين، ملاحظاً أن الشعراء المزنيين، في تكوينهم لصورهم الفنية قد تأثروا بروح العصر والبيئة العربية الإسلامية والذوق الأدبي العام، الذي جرت دماؤه في عروقهم، بتفاعلهم مع تراث سابقيهم من جهة، ومعاناتهم الشخصية وروافد تجاربهم الذاتية من جهة أخرى، مسلطاً بعض الأضواء على نماذج متعددة من لوحاتهم الفنية التي أفردوها للمرأة في صورتيها المثلى والواقعية، إضافة إلى الناقة والطريق والمشيب والموت، مدركاً أن أصحابها قد راوحوا في هذه اللوحات وغيرها بين الجزئية والكلية، والحسية المرئية والمسموعة والحركية بأنواعها، والمعنوية ذات الإيحاءات النفسية المتدفقة، بتدفق انفعالاتهم، وقوة أحاسيسهم، وتصوراتهم، وخواطرهم التي كانت تجيش بأفئدتهم، وأنفسهم، وتضطرم بها جوانحهم، متنوعة بتنوع مواقفهم المعيشية، ومتطورة نامية، بتطور عصرهم ونموه، ومتجددة متألقة، بتجدد الكون من حولهم وتألقه، مستشرفة آفاق الزمان والمكان، في حنين للماضي، ومعايشة للحاضر وتوق للمستقبل.

د- وتبقى الفرصةُ بعد ذلك مهيأة للاستفادة من دلالات هذه النتائج وموازنتها بمثيلاتها من النتائج التي توصل إليها الباحثون في دراساتهم لأشعار القبائل الأخرى، جاهلية وإسلاماً، وهِي الموازنة الموضوعية والفنية الطموح التي

يُرجى أن يضطلع بمسؤولياتها باحثٌ واحد، أو أكثر، في تخطيط محكم موحد، بين المؤسسات والجامعات المعنية بالأدب العربي، استكشافاً لعناصر الاتفاق والتفرد والأصالة والتجديد في سموات تراثنا الشعري المجيد، ومشاركة في إحياء دعامة من دعائم ثقافتنا العربية والإسلامية، ومواكبة لروح العصر، بكل معطياته المادية والمعنوية. والله ولي التوفيق والهدى والسداد.

* * *

* *

*

الملاحق

أ - شجرة نَسَب مزينة (*)

(*) جمهـرة النسب لابن الكلبي وجمهرة أنسـاب العرب لابن حزم ونسب عدنان وقحطان للمبرد وغيرها.

ب- أعـــلامُ مُزينـــة

بين أيدينا أخبار وفـيرة عن بعض الأعلام المزنيين الذين أثروا حيـاة المجتمع العربي والإسلامي لعصرهم إثراء أقتبسُ من فيضه السطور التالية:

١ـ إبراهيم بن سليـمان بن داحة، مـولى آل طلحة بن عبـيدالله، من الشيـعة الإمامية، روى عن جعفر الصادق (ت١٤٨هـ) رضي الله عنه، ومحمد بن عمـير، وكان يحضـر مجالس أبي عـبيدة معـمر بن المثنى (ت بين ٢٠٧-٢١٣هـ) وأخرج كـتاب أبي الشمقـمق (ت نحو ٢٠٠هـ)، وكان معـروفاً بالزهد والأدب، وجودة الخط[١].

٢ـ إياس بن معاوية بن قرة، تابعي بصري، كانت أمه خراسانية، روى عن أبيه وعن أنس، وابن المسـيب، وابن جبـير، ونافع وغـيرهم... وكـان على السوق بواسـط، وولي سد (بشق) فيـها، وكـان موسـراً، زاهداً في أمور الدنيا، سـخيـاً، معطاء للفـقراء والمساكين سـريع البديهـة، قوي الحـجة، حكيماً، حـتى عينه عمرُ بن عـبدالعزيز (ت ١٠١هـ) على قضـاء البصرة، فكـان مـن مـقـدمـي القـضـاة، تُوفي بقـريـة عـبـدسـي بيـن البـصـرة وخـوزستـان، وقـيـل بمنزله بالسِّي، بـين سنتي (١٢١/ ١٢٢هـ) عن ست وسبعين سنة[٢].

---

(١) البيان والتبيين: ١/ ٨٤، والحيوان: ٣/ ٤٠٢، ورجال النجاشي: ١/ ٨٧، وفهرست الطوسي ٣١، والكنى والألقاب: ١/ ٢١٢، وبدائع السلك: ٢/ ٨٩٤، ٨٩٥.

(٢) مناقب الإمام أبي واثلة (خ)، والبيان والتبيين: ١/ ١٠١، والمعارف: ٤٦٧، وتاريخ الثقات: ٣٩٠، ومجمع الأمثال: ١/ ٣٢٥,٣٢٦، وأخبار القضاة: ١/ ٣٢٦-٣٧٣، وتاريخ واسط: =

٣ـ بُسر (أو بشر) بن عصمة (وقيل: عطية)، أحد بني ثور بن هذمة، بن لاطم ابن عثمان المزني، أحد سادات مزينة في الجاهلية والإسلام، وأحد شعرائها، وفُرسانها، أدرك النبي ﷺ، ووجهه أبوعبيدة بن الجراح قائداً لخيل وجهها لموقعة اليرموك (١٣هـ)، كان علوياً، ثم لحق بمعاوية في (صِفين)، وقَتَلَ ابنَ العَقَدية أحد جنود الإمام علي، وظل يحضر مجالس معاوية حتى خرج من عنده يوماً مغضباً(٣).

٤ـ بكر بن عبدالله بن عمرو بن مسعود بن النعمان بن سليمان بن صبح، أمه صفية بنت عويمر بن قطاية، من بني نصر بن معاوية، ولجده صُحبة، وكان أبوه بصريا صدوقاً، وكان بكر من التابعين، ممن صحت روايتُهم عن الثقات، روى عن أبيه، وعن ابن عباس وعبدالله بن عمر وأنس، وابن مغفل، ومعقل بن يسار وغيرهم، وروت عنه جماعةٌ منهم قتادةُ وثابت وحميد وغيرهم، عُرِف بزهده وحكمته، وترفُّعه عن الخوض في مسائل القدر، توفى بين سنتي (١٠٦/١٠٨هـ) عن تسعين عاماً(٤).

= ٩٣، ٢٩٤، ٢٦٥، ووفيات الأعيان: ١/ ٢٤٧-٢٥٠، وصفة الصفوة: ٣/ ١٨٨، وميزان الاعتدال: ١/ ٢٨٣، والإصابة الكليات: ١/ ٢٢١، والجرح والتعديل: ١/ ٢٨٢، وتهذيب التهذيب: ١/ ٣٩٠، ومرآة الجنان: ١/ ٢٥٨,٢٥٩، وجمع الجواهر: ٧١، والممتع: ٢٣٦.

(٣) جمهرة النسب: ٢٩٠، والمؤتلف والمختلف: ٧٨، والإصابة، الكليات: ١/ ٢٥٣، ولسان الميزان: ٢/ ٢٦,٢٧، وتجريد أسماء الصحابة: ١/ ٤٨، والإكمال: ١/ ٢٦٩، وتاريخ دمشق: ٣/ ٣٤٥.

(٤) طبقات ابن خياط: ٣/ ٤٩٣، والمعارف: ٢٥٧، وابن سعد: ٧/ ٣١، والكنى والأسماء: ١/ ٦رح والتعديل: ١/ ٣٨٨، وتهذيب التهذيب: ١/ ٢٨٤، والبصائر والذخائر: ٤/ ٢٠٠، وتاريخ الثقات: ١٤، والبيان والتبيين: ١/ ١٠١، والبخلاء: ١١٠، ١١١، ومرآة الجنان: ١/ ١٥٩، ووفيات الأعيان: ١/ ٤٩، ومسند ابن الجعد: ١/ ٥١٠، والمنهل العذب: ١/ ١٩٨، والعبر: ١/ ٢٤٤، وسؤالات أبي عبيد الآجري: ٣/ ٢٤٥، وحلية الأولياء: ٢/ ٢٢٥، وشذرات الذهب: ١/ ١٣٥، وجمع الجواهر: ١-٢.

٥ـ بلال بن الحارث بن عاصم (وقيل: عصم)، بن سعيد بن قرة ابن خلاوة ابن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان، ولد قبل الهجرة بعشرين عاماً، ونشأ قريباً من المدينة، مشتغلاً بالزراعة والصيد والرعي بالأشعر والأجرد، إضافة إلى بيع الإذخر، وكان أحد العشرة المزنيين، الذين وفدوا على النبي ﷺ ، قبل الأحزاب مسلمين، ثم كان أحد المبايعين من مزينة في رجب سنة (٥٠هـ)، مشاركاً في الغزوات التالية لهذه البيعة، قائداً لأحد ألوية مزينة يوم الفتح (رمضان ٨٠هـ)، وأحد جنود خالد بن الوليد بدومة الجندل، وانتقل مع الفتوحات إلى البصرة ومنها إلى مصر، فشمال إفريقية، قائداً للواء مزينة تحت قيادة ابن أبي سرح، ثم انتهى به المقام بالبصرة، حتى مات بها سنة (٦٠هـ)، عن ثمانين عاماً[٥].

٦- الجعالي: شاعر مزني، لم يتيسر لي معرفة اسمه كاملاً، ولاسيرته ولكني قد أستدل من تكراره للفظة الجلالة (الله) في الأبيات الخمسة الوحيدة، التي وصلت إلينا من شعره[٦]، ثلاث مرات، بصيغة (أشكو إلى الله، ويا أمة الله، وجزاك الله)، إضافة إلى قوله: "هلا صبرت وغب الصبر مشكور؟" ـ على أن هذا الشاعر عاش في العصر الإسلامي.

---

(٥) المعارف: ٢٩٨، وطبقات ابن خياط: ١/ ٨٦، ٣/ ٤١٦، وحسن المحاضرة: ١/ ١٠٤، والمستدرك وتلخيصه: ٣/ ٥١٧، واليعقوبي: ٢/ ٧٩، والاستيعاب: ٤/ ١٥٠٥-١٢٥٠٦، وطبقات علماء افريقية وتونس: ٦٩, ٧٣, ٧٤، ورياض النفوس: ١/ ٧٦، ومشاهير علماء الأمصار: ٣٤، وتهذيب التهذيب: ١/ ٥٠١، وتقريب التهذيب: ١/ ١٣٩، والأموال: ٣٨٧، ووفاء الوفا ٢/ ١٩٠.

(٦) ملحق الشعر، ص: ٥٤٦.

٧ـ أبو الحسين المزني، عالم لغة، لم يتيسر لي معرفة اسمه ولا سيرته، عثر له كل من الدكتورين: محمود حسني محمود، ومحمود حسن عواد، المدرسين بكلية الآداب بالجامعة الأردنية، على نسخة وحيدة من كتابه الذي يحمل اسم " الحروف "[٧].

٨ـ خزاعى بن عبد نُهم بن عفيف بن سحيم بن ربيعة بن عداء بن ذؤيب المزني، قيل: إنه أخو ذي البجادين لأبويه، وعم عبدالله بن مغفل، كان سادناً لنُهم صنم قبيلته في الجاهلية فشرح اللهُ صدره لنوره، بُعَيْدَ الهجرة، فهجر الصنم، وقال فيه شعراً يسبه، ويثني على الله، سبحانه، بما هو أهل له، ثم وفد في العشرة المزنيين الأُوَل، الذين بايعوا النبي ﷺ قبل الأحزاب، ثم كان أحد المبايعين منهم في رجب سنة (٥هـ)، فأميراً لأحد ألوية مُزينة في الفتح (رمضان ٨هـ) [٨].

٩ـ أبو رجاء المزني، عالم لغة، لم يتيسر لي معرفة اسمه ولا سيرته وآثاره، تمثل له السكري في شرحه لديوان كعب بن زهير[٩] بشيء من آرائه في تفسير بعض الكلمات.

١٠ـ سنان بن مخنف بن عمير، فارسي، استخلفه النعمانُ بن مقرن (ش/ ٢١هـ)، إذ سار إلى نهاوند[١٠].

---

(٧) الحروف، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٨) جمهرة النسب: ٢٩١، والإصابة، الفكر: ١/ ٢٢٤، وتجريد أسماء الصحابة: ١/ ١٥٨، والأصنام: ٣٩, ٤٠، ومعجم البلدان: ٥/ ٣٢٧, ٣٢٨، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٨.

(٩) شرح ديوانه، قراقو: ٩٨، والقاهرة: ١٧٨, ١٧٩.

(١٠) جمهرة أنساب العرب: ١/ ٢٠٢.

١١ـ ابن شهاب: شاعر مزني لم أستدل على ترجمته، والأبيات الأربعة الغزلية الوحيدة التي وصلت إليـنا من شعره لا تساعدنا على تحـديد عصره، ولا مكانته الأدبية[١١].

١٢ـ صبَّـاح بن يحيى: كوفي شيـعي زيدي، وأحد تلامذة البـاقر (ت١١٤هـ) وابنه الصادق (ت١٤٨هـ) رضي الله عنهـما، ويزيد بن أبي زياد، وقيل: إن له كتاباً يرويه جماعة منهم أحمد بن النضر[١٢].

١٣ـ صفـوان بن قدامة وآل بيتـه، عاش الشطر الأكبـر من حياته جـاهلياً، ثم شرح الله صدره للإسلام، في السنة الثامنة بعـد الهجرة، فبايع النبي عليه السلام، وكان معـه ابناه عبدُ العزى وعبد تيم، فغـيرهما الرسول ﷺ، إلى: عبدالرحمن وعبدالله، فـتنذّر من ذلك نصر بن نصر أخي صفوان، وقال في ذلك شعـراً، يندم فيه على تأخره عن اللحـاق بركب عمه وابني عمه، فرد عليه عمُّه بشعر يعاتبه فيه، وظل يقيم بالمدينة حتى مات، فرثاه ابنهُ عبدُالرحمن بأبيات لم يصل إلينا منها سوى بيت واحد[١٣].

١٤ـ عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيـد بن يزيد بن رواحة بن ربيئة بن عدي بن عامر بن عـبدالله بن ثعلبة، بن ثور بن هذمة بن لاطـم، صحابي، أسلم قبل الحديبيـة، وكان من أصحاب الشجرة، وكانت له وقـائع مشهورة في خيـبر (وقـيل: في حُنَين)، شـارك في فتح مكة، وكـان من البكائين في تبوك، وانتقل مع الفتوحات إلى البصرة، وفي عهد عمر استخلفه أبوموسى الأشـعري (ت٤٤هـ) على أصبـهان، وانتـقل منهـا ثانيـة إلى البصـرة،

---

(١١) ملحق الشعر، ص: ٦٢٠.

(١٢) رجال النجاشي: ١/٤٤٦، وفهرست الطوسي: ١١٥، والضعفاء الكبير: ٢/٢١٢.

(١٣) ملحق الشعر، ص: ٥٢٠.

فتحسنت أحـوالـه الاقتصادية، وكان ميـالاً للعلويين، روى عنه عمرو بن سليم، وهلال بن عـامـر، وأبوشمـر ومـعاوية بن قـرة المزنيـون وعامـر الأحول، تُوفّي سنة (٦١هـ)(١٤).

١٥ـ عـبد العُزَّى (وقيـل: عنبسة) بن عبد نُهم بن عفيـف بن شحيم بن عداء ابن ثعلبـة بن سعـدى المزني، سـماه النبي ﷺ (عـبـدالله)، ولقبـه بذي البجادين، وكان من أهل الصُّفَّة، أَوَّاهًا صَـيِّتًا، يقرأ القرآن، ويرفع صوته في الدعـاء، حتى لقي ربه بالحُـمَّى، شهـيداً والمسلمـون يتأهبـون لملاقاة عدوهم في تبوك (٩هـ)(١٥).

١٦ـ عـبدالـله بن عنمـة، صحـابي مـزني، شـهد فـتح مـصـر والإسكندرية الثاني(١٦).

١٧ـ عبدالله بن مـغفل بن عبد نُهم، بن عـفيف بن سحيم بن ربيـعة بن عدي ابن ثعلبـة بن ذؤيب بن أسد بن عـداء بن عثمـان المزني، أمَّه عـبلةُ بنتُ معاوية بن قُرة المزني، وأبوه مغفل الصحابي الذي مات عام الفتح (٨هـ)، وكـان عبدُالـله ممـن شـهدوا الحديبية، وبايعوا تحت الشـجرة، وقد زوجه

(١٤) طبـقات ابن خـياط: ١/ ٨٤، ٣/ ٤١٥، والمسـتدرك: ٣/ ٥٨٧، وذكـر أخـبـار أصبـهان: ١/ ٦٥، والمعارف: ٢٩٨ ، والمسند: ٥/ ٦٤, ٦٥، والاسـتيعاب: ٢/ ٤٨٢، وعـيون الأثر: ٢/ ٢٧٦، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٢٢٤، وتجريد أسماء الصحابة: ١/ ٢٩٠.

(١٥) جمهـرة النسب: ٢٩٣، والمعارف: ٣٢٢، وسمط اللالىء: ١/ ٣٦٠، ومـغازي الواقدي: ٣/ ١٠٠٣، والكنى والألقـاب: ٢/ ٢٤٦، والفـائـق في غـريب الحـديث: ١/ ٦٣، وجنى الجنتين: ١٥٦، وحلية الأوليـاء: ١/ ٣٦٥، وتاريخ الخميس: ٢/ ١٢٩، وسيـرة ابن هشام: ٤/ ١٢٧، وإمتاع الأسماع: ١/ ٤٧٣، ومجمع الفوائد: ٩/ ٣٦٩، واللسان والتاج، (بجد)، والتعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٨، وط العبيكان، ٢/ ٩٨١.

(١٦) أسد الغابة، الشعب: ٣/ ٣٥٨.

النبيُّ ﷺ امـرأةً من الأزد حين أسلـم، وظل يجـاهد تحت قـيـادة النبي وصحبه، حتـى كان أحد العشرة الذين أرسلهم عُمَر إلى البصـرة يفقهون الناس، ثم شـارك في فتح (تسـتر)، فكان أول من دخل بابهـا، مفـضلاً الاستقـرار بالبصرة، فتـتلمذ على يديه صفوةٌ من أهل العـلم، حتى مات بين سنتي (٥٩-٦٠هـ) مُـخلفاً ذريةً طـيبـةً، ضربت في العلم والفـضل بسهام وفيرة(١٧).

١٨ـ عمارة بن عبد المحرق (وقيل: المخرق)، ابن أخت معن بن أوس الشاعر، ويبدو من مطالعـة أبياته القليلة التي بين أيدينا له، أن عـلاقتهمـا الواحد بالآخر لم تكن حسنة، مما أدى إلى قيام بعض المشاحنات الشعرية بينهما، وهي المشاحنات التي لم يقصـرها عمارة على خاله فحسب، بـل امتد بها إلى بني الأدرع أيضاً، منتقلاً إلى شـيء من الغزل الذي لم ينجُ من شعره فيه غيرُ بيتين(١٨).

١٩ـ عمرو بن رياح، من بني جـآوة بن عثمان المزني، شـاعر قال عنه كل من ابن الجراح والمرزباني(١٩): إنه كان يهجو أبا وجزة السعدي (ت١٣٠هـ)، وهـي مقولـة أفتقـر إلـى مـا يؤكـدهـا أو يعللها، بيد أنني أستنبط منها أن

(١٧) جمـهرة النسب: ٢٩١، وطبـقات ابن خـياط: ١/ ٨٥ و٣/ ٤١٥، والمسـتدرك: ٣/ ٥٧٨، والمعارف: ٢٩٧، وطبقات ابن سـعد: ٧/ ١٣, ١٤، والإصابة، الفكر: ٤/ ٢٤٢، والمسند، صادر: ٤/ ٨٥، وتنبـيه المنتبه: ٤/ ٣٠٢، والاسـتيعاب: ٣/ ٩٩٦, ٩٩٧، والإكـمال: ٢١، وتجريد أسماء الصحابة: ١/ ٣٣٦، وتفسير الطبري: ٩/ ١٥٩.

(١٨) شعر معن، ليبزج: ٣١، وحيـاته وشعره: ٧١، وديوانه، بغداد: ٨٣، وشعره، جدة: ٤١ والمغانم: ٥٢, ٥٣، وانظر في أشعار أبيه: الورقة، ١٠٤-١٠٦.

(١٩) معـجم الشعراء: ٢٣٢، وملحق الـشعر، ص: ٦٠٥، ومع الفـقهاء الشـعراء، ٦٣، ومن اسمه عمرو من الشعراء، ١٦٧.

ابن رياح كان معاصراً لهذا السعـدي، وليس بين أيدينا لعمرو غير بيتين، قالهما مُفتخراً بأيادي قبيلته البيض في تاريخ الإسلام.

٢٠ـ عمرو بن عوف بن زيد بن مليحة بن عـمرو بن بكر بن أفرك بن عثمان، صحابي قـديم الصحبة من الـبكائين، روى أنه قدم مع النبي ﷺ المدينة، فشارك في أول غزوة غزاها وهي الأبواء، وكان أحد المزنيين العشرة الذين وفدوا على رسول اللـه بالمدينة، قبل الأحزاب، وشهد الخـندق وما بعدها من غزوات، منتقلاً مع الفتوحات، إلى مصر، فشمال إفريقية، تحت لواء بلال المزني عائداً مـرة أخرى إلى طَيبَةَ حـيث وافته منيته بـها، في أواخر عهد معاوية(٢٠).

٢١ـ المحتفز بن أوس بن زياد، صحـابي بايع الرسول ﷺ، تحت الشجرة، عام الحديبية (٦هـ)، وشـارك في غزواته وفتوحاته هو وصحبه، مـتوجهاً إلى (مرو)، فاتحاً مع الفاتحين، فاستوطن بها، ثم توجه إلى خراسان في جيش عبدالرحـمن بن سمرة. وللمحـتفز ابن يقال له (بشـر) كان له على جند يسابور، فاشتكاه هو وغيره من عمال الأهواز أبو المختار يزيد بن قيس بن يزيد بن الصعق، في كلمة شعرية، رفعها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت٢٣هـ)(٢١).

---

(٢٠) طبـقـات ابن خيـاط: ١/ ٨٧، وابن سـعـد، الفكر: ٢/ ٣، وصـادر: ١/ ٢٩١، وتاريخ اليعقـوبي: ٢/ ٧٩، والاستيعاب: ٣/ ١١٩٦، وتاريخ الإسـلام: ٢/ ٣٠٩، ومعالم الإيمان: ١/ ٩٢، ٩٦، وحلية الأولياء: ٢/ ١٠، وطبقات علماء افريقية: ٧٧.

(٢١) جمهرة النسب: ٢٩١، وفـتوح البلدان، بريل: ٣٨٤, ٣٨٥، والإصابة، الفكر: ٣/ ٣٦٦، وجمهرة أنساب العرب: ١/ ٢٠٢.

٢٢ـ المزنيات: من المزنيات اللائي توافر لي عنهن بعضُ المعلومات:

أ - أم بلال بنت هلال المزني، صحابية، روت عن النبي ﷺ (٢٢).

ب- أم حبيبة (ويقال: أم حبيب)، بنت ذؤيب بن قيس المزنية، روت عن زوجها ابن أخي صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، عن عمته في الصاع، وروى عنها عبدالرحمن بن حرملة الأسلمي(٢٣).

جـ- جميل (وقيل: ليلى، وقيل: فاطمة، وقيل: جمل) أخت معقل ابن يسار، كانت زوج أبي البداح بن عاصم الأنصاري (وقيل: بل كانت زوج أحد أبناء عمومتها)، فطلقها، ثم خلَى عنها، حتى انقضت عدتها، ثم خطبها، فحمي معقل من ذلك، أنفا، قائلاً: خلَّى عنها، وهو يقدر عليها ثم يخطبها!! فحال بينه وبينها، وكانت أخته تريد العودة لزوجها، فأنزل الله سبحانه قوله: ﴿ **وإذا طلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أنْ يَنْكِحْنَ أزواجَهُنَّ إذا تَرَاضَوْا بَيْنَهمْ بالمعروفِ ذَلكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ** ﴾ (٢٤)، فدعا رسول الله أخاها فقرأ عليه الآية الكريمة، فترك معقل الحمية واستقادَ لأمر الله تعالى(٢٥).

---

(٢٢) الاستيعاب: ٤/ ٩٢٧.

(٢٣) طبقات ابن سعد: ٨/ ٤٩١، وتهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٦٢، وتهذيب الكمال: ١٧٠٠-١٧٠١، وإيضاح الاشكال: ١٣٤.

(٢٤) سورة البقرة: ٢٣٢.

(٢٥) البخاري، ط. الرياض: ٩/ ١٨٣، ٤٨٢، وسنن أبي داود، ط سورية: ٢/ ١٩٢، والبيهقي: ٧/ ١٠٣و١٣٨، وغوامض الأسماء: ٢٩٣، وتفسير الطبري، دار المعرفة: ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧، والإصابة، الفكر: ٤/ ٢٦٠، ٢٦١.

د- جميلة بنت أوس المزنية، لها رواية عن النبي ﷺ [٢٦]، ولها أخت تدعى (حمدة) حدثت أن أباها بايع النبي ﷺ وآمن به[٢٧].

هـ- حسانة (وقيل: حضانة)، أم زفر، كان اسمُها (جثامة)، فقال لها رسول الله ﷺ: بل أنت حضانة (وقيل: حسانة)، وهي عجوز كانت تدخل على خديجة رضي الله عنها، في مكة، فأتت رسول الله أيام عائشة رضي الله عنها، (ت ٥٨هـ)، فأقبل عليها، ورحَّب بها، وقال: كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا ؟ فقالت: بخير، بأبي أنت وأمي يارسول الله !!.

فلما خرجت، قالت السيدةُ عائشةُ (راوية الحديث): يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبالَ !! فقال ﷺ: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حُسنَ العهد من الإيمان»[٢٨].

و- حليمة المزنية: امرأة كانت تقيم مع زوجها في بني سليم بالجموم، فلما أرسل رسول الله ﷺ، زيد بن حارثة رضي الله عنه (ش/٨هـ) إليهم في ربيع الآخر، من السنة السادسة، بعد الهجرة، سار حتى وردها، فأصاب هذه المزنية، فدلتهم عن محلة من محال بني سليم، فأصابوا فيها نعما وشاء وأسراء، وكان فيها زوجها، فلما قفل زيد بما أصاب، وهب رسول الله للمزنية نفسَها وزوجها، وقال في ذلك بلال المزني رضي الله عنه (ت٦٠هـ) شعراً ينوه بفعلها[٢٩].

---

(٢٦) الاستيعاب: ٤/ ١٨٠٢.

(٢٧) تجريد أسماء الصحابة: ١/ ٣٨,٣٧ و ٢/ ٢٦٠، والإصابة: ٤/ ٢٧٢، وإيضاح الإشكال: ١٣٤.

(٢٨) الاستيعاب: ٣/ ١٨١٠, ١٨١١، والإصابة، الفكر: ٤/ ٢٥٨, ٢٧٢، والأسماء المبهمة: ٤٨,٤٧، وتجريد أسماء الصحابة: ٢/ ٢٥٤-٢٥٩.

(٢٩) ملحق الشعر، ص: ٥١٩.

ز- سلمى بنت أبي سُلْمَى ربيعة، أخت ثانية لزهير، وشاعرة من شواعر العرب، ذكرها أبو الفرج، عن ابن الأعرابي (ت٢٣١هـ)[٣٠]، ولم يعضد ذكره لها بشيء من شعرها.

حـ- شهيمة بنت عمير المزني، كانت زوجة ركانة بن يزيد المطلبي، فطلقها، فأخبر رسول الله ﷺ، بذلك، فقال: والله ما أردتُ إلا واحدة، فردَّها النبيُّ، وطلقها الثانية، في زمن عُمرَ (ت٢٣هـ)، والثالثة في زمن عثمانَ (ت٣٥هـ)[٣١].

ط- عبدة بنت حسان المزني، كانت من ربات الفصاحة والبلاغة، وكان الشاعر الأموي محمدُ بن بشير الخارجي (ت بعد ١٢٠هـ) يتحدث إليها، ويقيل عندها، وربما بات عندها لإعجابه بحديثها فنهاها قومها عنه، وقالوا: ما مبيتُ الرجل بامرأة أيم ؟! فجاء ذات يوم بمنزلها بالروحاء، فلم تُدخله خباءها، وقالت له: قد نهاني قومي عنك، وكان قد أمسى، فمنعتْه المبيت، وقالت: لا تبيت عندنا فيُظنّ بي وبك شراً، فانصرف وقال فيها شعراً ينوه بمكانتها وفضلها[٣٢].

ي- كنود (ويقال: سارة)، مولاة لمزينة (وقيل: لعمرو بن هشام)، ورد ذكرُها في أخبار مكة وفتحها (٨هـ)، ممن أهدر رسول الله ﷺ دماءهم، لأنها كانت مغنية ارتدت عن نور الإسلام، وأخذت تلهجُ بهجائه عليه السلام، وكانت رسولَ حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه،

(٣٠) الأغاني، الدار: ١٠/ ٣١٤، ومعاهد التنصيص: ١/ ١١٠.

(٣١) الاستيعاب: ٣/ ١٦٢٧، والإصابة، الفكر: ٤/ ٣٣٧.

(٣٢) الأغاني، الثقافة: ١٦/ ٧١ ومابعدها.

(ت٣٠هـ)، إلى حلفائه من قريش، يعلمهم غزو رسول الله ﷺ إياهم[٣٣].

ك- هند بنت معقل بن يسار رضي الله عنها من أهل البصرة، روت عن أبيها[٣٤].

ل- وبرة بنت زهير بن أبي سلمى، شاعرة، لم يصل إلينا من شعرها سوى بيتٍ واحد، في الرد على أبيها وأخيها كعب، في إحدى المطارحات الشعرية، وربما كانت هذه السيدة الزهيرية المزنية التي أشار السيوطي إلى وفادتها وابنة هرم بن سنان على السيدة عائشة رضي الله عنها، وأنها أنشدت بين يديها بيتين اثنين، وإن صح هذا المذهب، جاز لي أن استنبط كونَ هذه الشاعرة من المخضرمات[٣٥].

٢٣ـ معاوية بن فراس، مزني كان في صحابة عمرو بن سعيد بن العاص، حين غلب على دمشق، وكان به واثقاً، وكان ذا رأي، واستشاره في صلح عبدالملك بن مروان (ت٨٦هـ)، فأشار عليه ألا يضع يده في يده[٣٦].

٢٤ـ معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رئاب، وفد أبوه على النبي ﷺ بالمدينة، وانتقل، بعد وفاته، مع صفوف المجاهدين في عهدي أبي بكر

---

(٣٣) أنساب الأشراف: ١/ ٣٥٤، وإمتاع الأسماع: ٣٦٣، وتهذيب اللغة (خاخ) والتعليقات والنوادر، خ، م (١٨٠).

(٣٤) طبقات ابن سعد، الفكر: ٨/ ٣٥٣، وصادر: ٨/ ٤٨١.

(٣٥) ملحق الشعر، ص: ٥٢١. وانظر شرح ديوان زهير، الهيئة، ص ٣٤٥.

(٣٦) تاريخ دمشق: ٤/ ٧٧١.

وعُمرَ، وأقـام بالبصرة، مُـشايعاً للإمام علي وبَنِيـه، من بعده، مما أحنق عليـه الحجـاجَ الثقـفي (ت٩٥هـ)، وجعلـه ينفيـه إلى السند، وقد ظفـر أبوإياس بثقـة العلماء، فروى عن أبيه وعـمه، وعن علي بن أبي طالب، وأنس وابن مغفل وعـائد بن عمرو وشهـر بن حوشب رضي الله عنهم، كمـا روى عنه ابناه إياس وشبيب، وأبو إسـحاق الهمداني، وسـماك بن حرب وقتادة وغيرهم، مات بين سنتي (١١٣/ ١١٤هـ)، عن ستة وسبعين عاما(٣٧).

٢٥ـ معقل بن يسار بـن عبدالله بن معبر بن حراق بن لأى بـن كعب ابن عبد ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان، صحابي جليل من البكائين، أسلم قبل الحديبية، وشـهد بيعة الرضوان، وما بعدها من مشـاهد في حياة الرسول وصحبه، حتى استقر بالبصرة، وبنى بها داراً له، مشتركا تحت قيادة الإمام علي (كرم الله وجهه)، في معركة الجمل، مـشرفاً، فيما بعد، على حفر نهـر سُمَى، من بعـدُ، باسمـه، وفجّـر فُـوَّهته، ويُنسب لمعـقلِ الرطبُ المعـقـلي، حظى بثـقـةِ العلمـاء والرواة، تـوفى بالبـصـرة بـين سنتي (٥٨/ ٦٠هـ)(٣٨).

---

(٣٧) طبقات ابن خياط: ٣/ ٤١٥، وتاريخ دمشق: ٤/ ٧٧١-٧٧٥، والمسند، الفكر: ٣/ ٤٣٤، و٥/ ٣٥، والاستيعاب: ٣/ ١٢٨٠، وطبقات ابن سعد: ٧/ ٣٢، والحلية: ٢/ ١٩,١٨ و٢٩٩-٣٠١.

(٣٨) جمهرة النسب: ٢٩٠، وطبقات ابن خياط: ٣/ ٨، والمستدرك: ٣/ ٥٧٧، وجمهرة أنساب العـرب: ١/ ٢٠٢، والكنى والأسـمـاء: ١/ ٥٥٣، والمعارف: ٢٩٨,٢٩٧، وطبـقـات ابن سعد: ٧/ ١٤.

٢٦ـ المزِّق بن العوام بن المضرَّب بن كعب بن زهيـر، الفرع الأخير من الحلقة الخامـسة في سـلسلة شجـرة الشعـر بآل أبي سلمى، سُمّي بهـذا اللقب لقوله: -

أنا المـــزِّق أعـراضَ اللئِـام كـمـا كان المخـرِّقَ أعراضَ اللئـام أبي[٣٩]

٢٧ـ مـوالي مزينـة: أتيح لي الإلمامُ ببـعض موالي مـزينة، وهم الذين أوجِـزُ الحديثَ عنهم فيما يلي:

أ - أبو صالح بن رستم المزني، البـصري، كان صدوقاً، كثـير الخطأ، مات سنة (٥٢هـ)[٤٠].

ب- أبو مويهبـة، مولى رسول الله ﷺ، قال القتـبي عنه: كان من مُولَّدي مزينة، فاشتراه النبيُّ، فاعـتقه، وهو الذي انطلق به إلى البقيع، وقال: إني أُمرتُ أن أستغـفر لهم، وقال ابنُ عبدالبر: يقـال إنه شهد المريسيع (٦هـ)، روى عنه عبدالله بن عمرو بن العاص وعبيد بن جبير[٤١].

جـ- أفلح بن سعيد، أبو محمد، من المدنيين، مات سنة (١٥٦هـ)[٤٢].

---

(٣٩) تثقيف اللسان: ١٦٢, ١٦٣، وملحق الشعر، ص: ٦١٣، وقارن: الورقة، ١٠٤.

(٤٠) تقريب التهذيب: ١/ ٣٦٠.

(٤١) المعارف: ١٤٨، وتاريخ الطبـري: ٣/ ١٧١، والبداية والنهـاية: ٥/ ٣٢٤، والاستيـعاب: ٤/ ١٧٦٤-١٧٥٦، وأنساب الأشراف: ١/ ٣٨٣، ٣٨٤.

(٤٢) طبقات ابن خـياط: ٢/ ٦٨٥، والمعارف: ٢٩٨، وتقريب التـهذيب: ١/ ٥٢، والجمع بين رجال الصحيحين: ١/ ٩٧.

د - حبيب بن أبي قريبة المعلم الثقة الحجة، مولى معقل بن يسار (ت بعد ٥٨هـ) اختلف في اسم أبيه، فقيل: زائدة، وقيل: زيد، ويقال له: حبيب المعلم، مات سنة (١٣٠هـ)[٤٣].

هـ - حسين الشهيد، قال عنه ابن سعد: مات سنة (١٥٦هـ)[٤٤].

و - خالد بن عبدالله الطحان أحد الفقهاء والمحدثين بواسط[٤٥].

ز - سلام بن سلام، أبو المنذر المزني، مولاهم البصري، الكوفي، القارئ النحوي الصدوق، أخذ عن عاصم بن أبي النجود وأبي عمرو وحدث عن ثابت البناني وغيره، وهو شيخ يعقوب الحضرمي المقرئ، وروى عنه عفان ومسلم بن إبراهيم وموسى بن إسماعيل وغسان بن مالك وعلي بن الجعد وعبيد الله بن عائشة، وابن عيينة، وغيرهم، مات سنة (١٧١هـ)[٤٦].

ح - عبدالرحمن بن مهران، أبو محمد، من الطبقة السابعة من المدنيين[٤٧].

ط - عبدالله بن سرجس البصري، قيل: إن له حلفا في بني مخزوم، أكل مع النبي ﷺ خبزاً ولحما واستغفر له، روى عنه عاصم الأحول وقتادة[٤٨].

---

(٤٣) تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم: ٩٨، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته: ١/ ١١٤ و ٢/ ٥٧، وذكر من تكلم فيه وهو موثق: ٦٣, ٦٤.

(٤٤) طبقات ابن سعد: ٧/ ٢٧١.

(٤٥) نفسه: ٧/ ٣١٣، وطبقات ابن خياط: ٢/ ٨٤٧.

(٤٦) الجرح والتعديل: ١/ ٢٥٩، وتقريب التهذيب: ٧/ ٣٤٢، وميزان الاعتدال: ٢/ ١٧٧ وشذرات الذهب: ١/ ٢٧٩، والعبر: ١/ ٢٦٠.

(٤٧) طبقات ابن خياط: ٢/ ٦٢٤.

(٤٨) طبقات ابن خياط: ١/ ٨٦، والاستيعاب: ٣/ ٩١٦ وأسد الغابة، الشعب: ٣/ ٢٥٦.

ي- عبدالله بـن عون بن أرطبان، أبو عون، وكان أرطبـان مولى لابن برزة المزني، وقـيل: لعبـدالله بن مـغفل (ت٦٠هـ)، وقـال القُتـبي: نكح عبدالله (بن عون) عربية، فضربه بلال بن أبي برزة بالسياط[٤٩]، وقال ابن خياط[٥٠]: عبدالله بـن ذرة مولى أرطبان، جد عبـدالله بن عون، ابن أرطبان، لا يحـفظ عنه حديث، له دار بالبصرة، وهو عـبدالله بن ذرة بن عائد بن طانِخة بن لأي بن خـلاوة بن ثعلبة بن هذمة بن لاطم ابن عثمان بن عـمرو. وقال ابن حجر[٥١] : أرطبان المزني، مولاهم، جـد عبـدالله بن عـون، مخـضرم، له إدراك، أسلـم في عهـد عمـر (١٣-٢٣هـ) وقال أبوخليـفة: حدثنا الوليد بن هشـام، حدثنا أبي عن ابن عون، عن أبيـه، عن أرطبان جـده، قال: كنت شَمَّـاساً في بيـعة غسانَ، فوقع في السهم لعبدالله بن ذرَّة المزني.

ك- كنود، تُرجم لها في المزنيات (ص ٤٩٩).

٢٨ـ النضر المزني، صحـابي شهد فتح مصـر (٢١هـ): واختط بها، ووُلِّي ابنه بُشَيْرُ قضاءها من قِبَلِ عبدالعزيز بن مروان، بين سنتي (٦٨/ ٦٩هـ)[٥٢].

٢٩ـ نعيم بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن حبشية بن كعب المزني، كان أبوه سيـد قومه، في إحدى وقـائع (بعاث) مع الأوس، ضد الخـزرجيين وحلفائهم في الجـاهلية، فأحرز النصر لقـومه، وأسر زعيم خـصومه في تلك الوقعة، وهو ثابت بن المنذر والد حسان الشاعر.

---

(٤٩) المعارف: ٤٨٧.

(٥٠) الطبقات: ١/ ٨٦، و٣/ ٤١٦, ٤١٧.

(٥١) الإصابة، الكليات: ١/ ١٦٦.

(٥٢) الولاة والقضاة: ٣١٣, ٣١٤، والانتصار: ٤/ ٣٩.

ويُستدل من إشارة بعض العلماء إلى كون البكائين في غزوة تبوك من بني مقرّن، إلى أن هذا الرجل كان معسراً، بسبب ما كان يعوله من أبناء كثيرين هم: النعمان ونعيم وسعيد وسواد، وعبدالرحمن وعقيل ومعقل وعمرو وسنان ومعاوية وضرار وعبدالله وسعيد ومرضى، وهم الأبناء الذين وفد سبعةٌ منهم على النبي ﷺ بدار الهجرة، وأبلَوا في سبيل الله خيرَ البلاءِ، وتوَّجَ آلُ مقرن ذلك بالدفاع عن المدينة، ضد المعتدين عليها من المرتدين، واستشهد النعمان، قائداً في موقعة نهاوند (٢١هـ)، وواصل أخوه سويد قيادته للجيش المتوجه إلى (قومس) وأخذها سلماً، وانتقل منها إلى جرجان، وطبرستان، وغيرهما حتى أتاه اليقينُ.

أما نعيم، فيروى أنه بعد أن سُجِّي أخوه النعمان شهيداً، وأتى حذيفة بن اليمان (ت ٣٦هـ)، بالراية، فدفعها إليه، احتل مكانه في قيادة الجيش، بعد أن أعطاه حذيفةُ اللواء في هذه المعركة، حتى كتب الله النصر للمسلمينَ، مما دعا (الفيرزان) قائد الفرس، آنذاك، إلى الهرب إلى همذان، فأتبعه نعيم، متقدماً حتى فتح همذان، وتقدم لمواجهة أهل الديلم والري وأذربيجان "بواج الروذ"، فأعانه الله عليهم، مما جعله ينوه بنصر الله عليهم بعدة أبيات شعرية، مواصلاً مسيرته الظافرةَ حتى وافته منيتُه، قريباً من هذه المناطق(٥٣).

---

(٥٣) طبقات ابن خياط: ١/ ٨٧، وجمهرة أنساب العرب: ١/ ٢٠٢، وطبقات ابن سعد: ٦/ ١٨ وسير أعلام النبلاء: ١/ ٢٨٩، والإصابة، النهضة: ٣/ ٢٢١، والفكر: ٢/ ٥١، وأسد الغابة، الشعب: ٤/ ٦٦، والجرح والتعديل: ٢/ ٢٥١، وتجريد أسماء الصحابة: ٢/ ٨٤، والمستدرك وتلخيصه: ٣/ ٢٩٣، والاستيعاب: ٤/ ١٥٠٥، وتهذيب التهذيب: ١/ ٤٥٦ و٢/ ٣٤، وشرح المواهب اللدنية: ٤/ ١٢، وشرح ألفية العراقي: ٣/ ٧٦,٧٧، وتاريخ الطبري: ٣/ ٢٤٦، والكنى والألقاب: ٣/ ١٨٣، والإكمال: ١/ ٣٣، وتجريد أسماء الصحابة: ١/ ٢٥٠، والبداية: ٦/ ٣١٥، والمعارف: ٢٩٩... وغيرها.

٣٠ـ وهب بن قابوس وابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، كانا من السابقين إلى دين الله الحنيف، بُعيد الهجرة، فأقبلا بغنم لهما، من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلوا، فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأُحد (٣هـ)، فخرجا، حتى أتيا النبي ﷺ، بأُحد، ووجدا القوم يقتتلون، فدافعا عن النبي دفاعاً مستميتاً، حتى فازا بنعمة الشهادة في سبيل الله، والدعاء من الرسول ﷺ (٥٤).

* * *

(٥٤) مغازي الواقدي: ١/٢٨٦-٢٨٧، وطبقات ابن سعد: ٢/٤٢ و٤/٢٤٧، ٢٤٨، والاستيعاب: ٤/١٥٦٢، وصفة الصفوة: ١/٢٤٨، والإصابة، الكليات: ٢/١٦٥.

جـ - ملحقُ الشعرِ (جمعٌ وتوثيقٌ)

بين يــدي هذا الملحق :

اتبعتُ في هذا الملحق المنـهج الذي سلكتُه في دراستي للشـعراء المزنيين في الفصل الثـالث من الباب الأول، مرتبـاً الشعر الذي أثبـته هنا، حسب تقـسيم الشعـراء، مخضرمـين، فإسلاميين، فـمجهـولي العصر، ونهـجتُ في تنسيق الأشـخاص المنهـج الذي سلكه المزنيـون أنفسُـهم بدءًا بالقـوافي المضـمومـةِ، فالمكسـورةِ، فالمفتـوحةِ، فالساكنةِ، مـن الكثرة إلى القلة، مع ترقيم القـصائد والمقطعات والأبيات المفـردة، ترتيباً يعتمد على وضع الشـعر، في إطاره العام، بنظام حـسابي (١، ٢، ٣، ٤ . .) وفي إبداع كل شـاعر على حـدة، بحروف أبجدية (أ ـ ب ـ جـ) مشيراً إلى القصة أو الخبر الذي قد يرد فيه الشعرُ، مبيناً بحره، مُثـبتا النص الشعري مضـبوطاً، في المتن، مرقما، يذيله تعـريفٌ موجز ببعض غوامض كلماتـه، فإشارة إلى المصادر، فتوضيح نسـبة الأبيات المختلف في أمر روايتهـا، معرجاً على بعض اختـلافات الرواية، إن وُجِدَتْ، مثبـتاً ما ثبتت نسبتُه لهؤلاء الشعراء أوّلاً، فما وقع فيه اختلاف النسبة، مرتبا شعراء كل قسم على حدة ترتيباً أبجدياً.

والله الموفق والمستعان. . . .

أولاً : أشعار المزنيين المخضرمين

١- بجير بن زهير (رضي الله عنه) (*)

---

(١)

أ - قال (الطويل):

١- إلى اللهِ وجهي والرسولِ ومن يُقِمْ

إلى اللهِ يوماً وجهَهُ لا يُخَيَّبِ

الأعلام : (*) ينظر الفصل الثالث من الباب الأول، ص : ١٢٣-١٢٧ .

المصدر : مناقب آل أبي طالب : ١/١٦٨ .

* * *

(٢)

ب - وشهد حُنيناً، وقال في ذلك (وافر):

١- وجُلنا جَوْلَةً ثم ارعوينا فأمكنّا لمن حَضَرَ الجلادا

المصدر : المذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥٧ .

* * *

(٣)

جـ- وقال يحرض أخاه كعبا على اعتناق الإسلام الحنيف (بسيط):

١- وِقَاقُ كعبُ بُجَيْرٍ مُنقِذٌ لَكَ مِنْ

تعجيلِ تَهْلُكَةٍ ، والخُلْدِ في سَقَرا

١- الوفاق: الموافقة، وفصل الشاعر في صدر البيت بين المضاف والمضاف إليه بالمنادى. وسقر: اسم من أسماء نار جهنم.

المصادر:

البيت لبجير في شرح شواهد الألفية، بهامش الخزانة، بولاق، ٣/ ٤٨٩، ومنهج السالك إلى ألفية ابن مالك: ٢/ ٥٢٤، وحاشية الصبان على الأشموني: ٢/ ٢٧٩، والدرر اللوامع: ٢/ ٦٧. ووهم صاحب (همع الهوامع: ٢/ ٥٣) أو ناسخه، فنسبه لزهير، وروايته في الهمع: (رفاق كعب بجير منقذ لك من ..).

* * *

(٤)

د - وقال في يوم فتح مكة (رمضان ٨هـ) (وافر):

١- نفى أهلَ الحَبَلَّق يومَ وَجٍّ مُزَيْنةُ جَهْرةً ، وبنو خِفَافِ
٢- ضربْناكم بمكةَ يومَ فتحِ النبيِّ الخَيْرِ ، بالبِيضِ الخِفَافِ
٣- صَبَحْناكم بألفٍ من سُلَيْم وألفٍ من بني عُثمانَ وَافي
٤- حَدَوْا أكتافَهم ضَرْباً وطعناً ورَمْياً بالمرَيَّشةِ اللِّطافِ
٥- رميناهم بشُبانٍ وشِيبٍ تكفكِفُ كلَّ مُمتنعِ العِطافِ
٦- ترى بين الصُّفوف لهُنّ رَشْقاً كما انصاعَ الفُواقُ من الرِّصافِ
٧- ترى الجُرْدَ الجِيادَ تلوحُ فيهم بأرماحٍ مُقوَّمةِ الثِّقافِ
٨- ورُحْنا غانمينَ بِمَا أَرَدْنَا ورَاحُوا نادمينَ على الخِلافِ
٩- وأعطينا رسُولَ اللهِ منا مواثيقاً على حُسْنِ التصافي
١٠- فجُزْنا بطنَ مكةَ وامتنعْنا بتقوى الله في البِيْضِ الخِفَافِ
١١- وقد سَمِعُوا مَقَالَتَنا فَهمُّوا غداة الرَّوْعِ منّا بانصرافِ

١٢- وَحَلَّ عـمودُنا حَـجَرات نَجْـدٍ	فـإليـــةَ ، فـالقَـدُوسَ إلى شُـرَافِ
١٣- أرادُوا اللاتَ والعُـــزى إلهـــا	كـــفى باللهِ ، دون اللاتِ ، كـــافي

١- قال السهيلي: الحبلق: أرض تسكنها قبائل من مزينة وقيس. والحبلق: الغنم الصغار، ولعله أراد أهل الغنم. ووج: هي الطائف أو أحـد عيونهـا. وذكر الشيخ حـمد الجاسـر (مجلة العرب، الربيـعان، ١٤١٠هـ) أنه يأخذ أعلى مسايله من ديار (الطلحات) من هذيل وديار بني سفيان، من ثقيف، وديار قـريش، فأعـلان من بلد الطلحـات يعرف بـوادي المخاضـة، ويظل بهـذا الاسم حتى يصل مـزارع (الوهيط)، فيلتقي بوادي (شـفرا) الآتي من اليمن، من ديار بني سفـيان، وبعد التقائهمـا وتجاوزهما للوهيط يأتيهما من اليسار وادي (الماوين) الآتي من حمى قريش، ومن ثم يطلق عليه وادي (وج).

٢- النبي الخيـر: ذو الخير، أو الخـير بالتـشديد، ثم خُفِّـفتْ، لضرورة الوزن. والبِـيض الخفاف: صـفة للسيوف المجردة البتارة.

٣- صبحناهم: أتيناهم صباحاً، والوافي: التام.

٤- حدوا: تبعـوا. والمريّشة: السهام ذوات الريش، يقـال: رشت السهم أريشه ريشا فـهو مريش: ألزق عليه الريش (اللسان/ ريش).

٥- تكفكف: تدفع وتصرف وتمنع. والعطاف: جمع عطف، وهو الجانب من الرأس.

٦- الرشق: الضـرب والطعن. وانصاع: نصل. وخـرج: ذهب من موضـعه وانشق. والفـواق: صوت الصدر، وهو بالهمز في قول الأعرابي، لأنه من ذوات الواو (الروض).

والمراد بالفواق هـنا: طرف السهم الذي يلي الوتر. والرصـاف: جمع رَصَفَـة، ورصف، وهي عظام الجنب، أو العقب الذي يلي فـوق الرُّعْظ، وهو مدخل النصل في السهم، وقـال السكري: الفواق: عقب يشد على الفواق (شرح ديوان كعب).

٧- الجرد: جـمع الأجرد، وهو من الخـيل، والدواب كلها، القـصيـر الشعـر، حتى يقـال: إنه لأجرد القوائم. وفـرس أجرد: قـصيـر الشعر، وقـد جرد وانجـرد، وكذلك غيـره من الدواب، وذلك من علامات العـتق والكرم (اللسان/ جرد). . وقوله: بأرماح، يريد مع أرمـاح، ومقومة الثقاف، مـقومة التـشقيف، وهو ماقُوّمت به الـرماحُ، والثقاف: حـديدة تكون مع القوس والرماح: يقـوم لها الشيء المعوج. والتثقيف: التسوية.

٨- رحنا: عدنا. غانمين: فائزين مأجورين. الخلاف: المخالفة لرسول الله.

٩- المواثيق: العهود الموثقة. حسن التصافي: التقوى والورع والإحسان.

١٠- جزنا: اخترقْنا. وامتنعنا: لم يصبنا أذى أو سوء.

١٢- عمـودنا: ديننا. وحجرات نجد: نواحـيها. وإليـة: بئر في حرم بني عوال، بـينها وبين المدينة نيف وأربعون ميلاً، وقيل: هو واد بفسح الحبابية، والفسح واد بجانب عرنة. (المغانم/ ٢٩).

وشُراف (بضم الشين وفـتحهـا وكسرها): مـاء بنجد، وقيـل: هي بين واقصة، والقـرعاء، على ثمانيـة أميـال من الأحساء التي لبني وهـب، وبشراف ثلاث آبار رشاؤها أقل من عـشرين قـامة، وماؤها عذب كثير وبها قلب كثيرة طيبة الماء، يدخلها ماء المطر (معجم البلدان، ٣/ ٣٣١).

المصادر:

السيرة النبوية، لابن هشام: ٤/ ٥١-٥٢، وديوان كعب، قراقو: ١٤٢-١٤٣، والقاهرة: ٢٤٤-٢٤٧، والأحول: ٨١-٨٢، والشواف: ٩٨-٩٩، وبيروت: ٥٢-٥٣، وطبقات فحول الشعراء: ١/ ١١٠، والمقتضب: ٢/ ٢٨٢، والمؤتلف والمختلف: ٧٤-٧٥، والأغاني، الشعب: ١٨/ ٦٣٦٧، وتهذيب اللغة واللسان (صبح)، والروض الأنف، دار الكتب الحديثة: ٧/ ١٢٢-١٢٣، والبداية والنهاية: ٤/ ٣١١-٣١٢ والسيرة لابن كثير: ٣/ ٥٨٩-٥٩٠، وحاشية على بانت سعاد ص:٥٨، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، ٥٧، والبرصان، ١٨٢.

التخريج والروايات:

١- الأبيات لبجير في المصادر السابقة كلها (عدا ديوان كعب بنسخه المختلفة)، ففيها لكعب وهو خطأ نبهت عليه من قبل.

٢- الأبيات، عدا الثاني والثاني عشر في ديوان كعب، وعدا الخامس والعاشر والثاني عشر والثالث عشر في السيرة والروض والبداية، والأبيات (٢، ٩، ٣، ٨) في الإصابة، و (١، ٣) في المؤتلف، و(٣، ٧) في الأغاني، والثالث فقط في الطبقات والتهذيب والمقتضب، واللسان، والثاني والتاسع والثالث والسابع والرابع والثامن في الحاشية، و(٣، ٧، ٤) في المذاكرة والثالث في البرصان للعباس بن مرداس، وعنه في ديوانه، ١٧٨، وفي المذاكرة: منحناهم بسبع . . . .

٣- رواية البيت الأول في السيرة والمؤتلف والروض والبداية:

نفى أهل الحبلّق يوم فج   مزينة غدوة وبنو خفاف

والثالث في الطبقات والسيرة والروض والبداية: صحبناهم بسبع . . وألف . .

وفي المقتضب والتهذيب واللسان: صبحناهم بألف . . وسبع . . .

والرابع في مطبوعة قراقو من ديوان كعب، شذوا أكتافهم ضربا وطعنا . .

وفي السيرة والروض: تطأ أكتافهم ضربا وطعنا . . ورشقا . .

في البداية: نطـــا . . وفي المذاكرة: وفي أكنافهم طعن وضرب ورشق. . .

والخامس في مطبوعة قراقو: حصرناهم بشبان وشيب.

والسادس فيها: ترى بين الصفوف لها حفيفا . . .

والسابع في السيرة والروض والبداية: فرحنا والجياد تجول فيهم.

وفي الأغاني: فرحنا والجياد تحول فيهم . . . وفي المذاكـرة : فرحنا والجياد تجولُ فيهم. . . . بأرماح مُثقفة خفاف. .

والثامن في الإصابة: فأبنا غانمين بما أردنا . . وآبـــوا.

وفي السيرة والروض والبداية: فأُبنا غانمين بما اشتهينا . . وآبوا.

والتاسع في الثلاثة: وأعطينا رسول الله منا . . مواثقنا.

* * *

(٥)

هـ- وقال لما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف (٨هـ)، بعد القتال والحصار يذكر حُنيناً والطائف (كامل):

١- كانت عُلالةُ يوم بطنِ حُنَيْنكمْ ... وغداةَ أوطاسٍ، ويوم الأَبْرَقِ

٢- جَمَعَتْ بإغواءٍ هوازنُ جَمْعَهَا ... فتبدَّدُوا كالطائرِ المتمزِّقِ

٣- لم يمنعُوا منا مقاماً واحداً ... إلا جِدَارَهمُ، وبطنَ الخندق

٤- ولقد تعرَّضْنا لكيما يخرُجوا ... فتحصَّنوا منا ببابٍ مُغْلَقِ

٥- ترتدُّ حَسْرانَا إلى رَجراجةٍ ... شهباءَ تلمعُ بالمنايا فيلقِ

٦- ملمُومَةٍ خضراءَ، لو قذفوا بها ... حَضَنًا، لظل كأنه لم يُخْلَقِ

٧-مشْيَ الضِّراءِ على الهَرَاسِ كأننا ... قُدْرٌ تفرَّقُ في القِيَاد وتلتقي

٨- في كُلِّ سابغةٍ إذا ما استحصنت ... كالنِّهي هَبَّتْ ريحُه المترقرق

٩- جُدُلٌ تمسُّ فُضُولُهُنَّ نِعالَنَا ... مِنْ نَسْجِ داودٍ وآلِ مُحَرِّقِ

١- العلالة: الجري بعد الجري، أو القتال بعد القتال، يريد أن هوازن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم، وحذف التنوين من (علالة) ضرورة، وأضمر في كانت، وهو القصة، وإن كانت الرواية بخفض "يوم" فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب (الروض)..

وأوطاس: واد في ديار هوازن، وهناك عسكروا هم وثقيف، إذ أجمعوا على حرب الرسول وصحبه، فالتقوا بحنين (معجم ما استعجم: ١/٢١٢). ولعل المراد بالأبرق، هنا أحد منازل بني عمرو بن ربيعة، وفي معجم البلدان إشارة إلى أكثر من خمسة وعشرين منزلاً يقال لها الأبرق، كأبرق زياد، وأبرق العزاف، وأبرق الهيج (١/٦٦-٦٩).

٢- الإغواء: التضليل والغي، وهما ضد الرشد والهداية، تبددوا: تفرقوا.

٥- الحَسْر والحَسَر: الإعياء والتعب، ودابة حاسر وحاسرة وحسير، الذكر والأنثى سواء، والجمع حسرى، وحسرت الدابة إذا تعبت حتى تنقى، واستحسرت: إذا أعيت، والرجراجة: الكتيبة الضخمة من الرجرجة، وهي شدة الحركة والاضطراب. وشهباء: من الشهبة، وهي لون بياض يصدعه سواد في خلاله، يصف بذلك الكتيبة لما فيها من لمعان الحديد المشوب بالسواد. والمنايا: جمع منية وهي الموت. والفيلق: ويجمع على الفيالق، وهو الجيش العظيم الداهية.

٦- ململمة: مجتمعة. خضراء: تظهر خضراء اللون لكثرة ماعليها من الحديد والسلاح. وحصن: اسم جبل بأعلى نجد. وقيل: قرية لقريش، من بني مالك في سراة بجيلة، جنوب الطائف.

٧- الضراء: الكلاب. وأراد بمشيها: المشي في استخفاف وختل. والهراس: شجر كبير الشوك، وقيل: الهراس: شوك كأنه حسك، الواحدة هراسة، وقال أبوحنيفة: الهراس من أحرار البقول، واحدته هراسة، وبه سمي الرحل، وأرض هريسة: ينبت فيها الهراس (اللسان/ هرس).

والقُدْر: جمع أقدر، وهي الخيل تجعل أرجلها في مواضع أيديها إذا مشت، ويروى: فُدُر (بالفاء) وواحدها فادر: وهي الوعول المسنة. والقياد: حبل يقاد به.

٨- السابغة: الدروع التامة الكاملة، والنهى والجمع (أنه)، وأنها، ونهى، ونهاء: وهو الغدير أو شبهه، سُمّي بذلك لأن ماءه نهاه ما ارتفع من الأرض عن السيلان فوقف (الروض).

٩- جُدُل: جمع جدلاء، وهي الدرع الجيدة النسج والفتل والمنسوجة نسجاً محكماً يجعلها شديدة، ومن رواه: جَدَل "فمعناه: ذات جدل". والفضل: الزيادة. ومحرق: عمرو بن هند ملك الحيرة، وفي زمانه وُلدَ رسولُ الإنسانية محمد ﷺ.

المصادر:

الأبيات كلها لبجير في سيرة ابن هشام: ٤/ ٩٧-٩٨ وتهذيبها: ٢/ ٢٧٣، والسيرة لابن كثير: ٣/ ٦٦٤، والروض الأنف: ٤/ ١٥١-١٥٢. والأربعة الأول فقط له في الاستيعاب: ١/ ١٤٩ وأسد الغابة: ١/ ١٩٩ والأول في العمدة: ١/ ١٦٥.

* * *

(٦)

و - وكتب إلى أخيه كعب، يدعوه إلى الإسلام، قائلاً: إن كانت لك في نفسك حاجةٌ فَأَقْدَمْ إلى رسول الله ﷺ؛ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً. . وبعث مع هذه الرسالة قوله (طويل):

١- فَمَنْ مُبلغٌ كعبا ، فهل لك في التي

تلومُ عليها باطلاً ، وَهْيَ أحزَمُ

٢- إلى الله ، لا العُزى ولا اللاتِ ، وحده

فتنجوَ إذا كان النَّجَاءُ وتسلَمُ

٣- لدى يوم لاينجو وليس بمُفلت

من النار إلا طاهرُ القلب مُسْلِم

٤- فدينُ زُهيرٍ ، وَهْوَ لاشيءَ دينُه

ودينُ أبي سُلْمى عليّ مُحَرَّمُ

٢- النجاء: النجاة والفوز.

المصادر:

وردت هذه الميمية في عشرات المصادر المطبوعة والمخطوطة، ومنها :

فتح باب الإسعاد في شرح بانت سعاد، خ، الورقة الثانية، وكنه المراد في بيان بانت سعاد، خ/٣/أ.. وشرح قصيدة المكي، خ، الورقة الثانية، وراحة قلب المستجير، خ، الورقة، ٤٣/ب، وسيرة ابن هشام: ٤/١٠٨-١٠٩، وديوان كعب، قراقو: ٢، والقاهرة: ٤، والأحول: ٢، وعيون الأثر: ٢/٢٦٨، والعقو والاعتذار: ٢/٤٤٩، والاستيعاب: ١/١٤٩، والمستدرك وتلخيصه: ٣/٥٨٢-٥٨٣، والروض الأنف، دار الكتب الحديثة: ٧/٢٥٧، والبداية والنهاية: ٤/٣٦٩، وسيرة ابن كثير: ٣/٧٠٠، وزاد المعاد: ٢/٢٠٥-٢٠٦، وطبقات الشافعية الكبرى: ١/١٢٢، وشرح ابن هشام لقصيدة كعب، الحلبي، ص: ٥ وغيرها.

التخريج والروايات:

١- الأبيات الأربعة لبجير في المصادر السابقة، عدا كُنه المراد، ففيه (١-٣) فقط.

٢- صدر البيت الأول في جميع المصادر من دون الفاء في كلمة (مَن)، عدا الاستيعاب.

٣- رواية البيت الثاني في طبقات الشافعية (فتنجو إذا كان النجاة وتسلم).

والرابع في شرح المكي: (فدين زهير وهو لادين دينه).

وفي مطبوعة قراقو من الديوان، والاستيعاب: (فدين زهير وهو لاشيء غيره).

وفي المستدرك وتلخيصه: (فدين زهير وهو لا شيء باطل).

* * *

(٧)

ز - وقال في يوم حُنَيْن وغزوة هوازن، حين فر الناسُ من هول المعركة (كامل):

١- لولا الإلهُ وعبدُه ولَّيتُمُ ... حين استخفَّ الرعبُ كلَّ جبانِ

٢- بالجزع يوم حَبَا لَنَا أقرانُنَا ... وسوابحٌ يكبُونَ للأذقانِ

٣- من بين ساعٍ ثوبُه في كَفِّهِ ... ومُقَطَّرٍ بسنابكٍ ولَبَانِ

٤- واللهُ أكرمَنَا ، وأظهرَ دينَنا ... وأعَزَّنا بعبادةِ الرحمنِ

٥- واللهُ أَهلكَهُمْ وفرَّق جَمْعَهُم ... وأذلَّهُمْ بعبادة الشيطانِ

٦- إذ قام عمٌّ نبيكم ، ووليُّهُ ... يدعون : يَالكَتيبَةِ الإيمانِ

٧- أين الذين هُمُو أجابوا ربَّهم ... يوم (العُرَيْضِ) ، وبيعة الرضوانِ !!؟

١- وليتم: فررتم هاربين، استخف: تملك.

٢- الجزع: منعطف الوادي، وفي معجم البلدان (٢/ ١٣٤)، ذكر لجزع بني كوز من ديار بني العيناء بنجد، وهو مسير يوم على وجه واحد. وجزع بني جماز وهم من بني تيم عدي، وهو واد باليمامة، وجزع الدواهي، وهو موضع بأرض طيء، ولا أدري أي المقصود من هذه المواضع، أو غيرها.
وأقران: جمع قرين، وهو المثل، الكفء. والسوابح: جمع سابحة، وهي الخيول السريعة القوية، يكبون: يسقطون، يخرون، يذودون.

٣- مُقطّر: مُدميّ، ومقرّب بعضها إلى بعض على نسق.

٦- عم النبي: لعله يقصد العباس بن عبدالمطلب، ووليه: الإمام علي رضي الله عنهما.

٧- العريض: واد بالمدينة له ذكر في المغازي.

المصادر:

الأبيات السبعة لبجير في سيرة ابن هشام: ٤/ ٧٦، وسيرة ابن كثير ٣/ ٦٤٥، والبداية والنهاية ٤/ ٣٣٠، والبيتان الأول والسابع في معجم البلدان (عريض) ٤/ ١١٤ والمغانم المطابة ٢٦٠.

* * *

ب- ما ينسب له ولغيـره :

(٨)

حـ - نسب ابنُ شهرا شوب (ت٥٨٨هـ) لبجير قوله (طويل):

١- أتانا نـبيٌّ بعــد يأسٍ وفَــتـرَةٍ ... من اللهِ والأوثانُ فـي الأرض تُعْـبَـدُ
٢- وشقَّ له مـن اسـمـه لجـلاله ... فذو الـعرش مـحمودٌ وهـذا محـمدُ
٣- وأشـركَـهُ في ذكــره جلَّ ذِكْـرُهُ ... تخلّـد في الجنات فــيــمن يُـخلَّدُ
٤- أغــرُّ علـيــه للنبــوَّةِ خــاتمٌ ... من الله مــشـهـودٌ يلوح ويشــهـدُ

المصادر:

١- مناقب آل أبي طالب: ١/ ٦٩.

٢- وقد أورد المؤلف نفسه، في موضع آخر من كتابه، ١/ ١٦٥، البيتين الثاني والأول منسوبين لحسان بن ثابت الأنصاري، وروايتهما:

وشق لـه من اســمــه ليُـجِـلَّهُ ... وذو العـرش مـحـمود وهذا مـحـمـدُ
نبـي أتانـا بعـــد يأس وفـــتـــرة ... من الرُّسْـلِ والأوثانُ في الأرض تعــبــدُ

٣- وهمـا ـ مع الرابع ـ لحـسـان في ديوانه، الهـيـئـة: ٣٣٨-٣٣٩، وصـادر، ٣٠٦، وشـرح ديوانه: ١٣١, ١٣٢ وخزانة الأدب، بولاق، ١/ ١٠٨-١٠٩ وشرح المواهب اللدنية: ٣/ ١٥٥.. وغيرها.

٤- رواية الرابع في الخزانة: (من الله من نور يلوح ويشهد).

٢- بُسْر (بِشْر) بن عصمـة (*)

(٩)

أ- روي أنه خـرج في وقعـة صـفين (٣٦هـ)، يسـأل المبارزةَ، وكـان من أهل الكوفـة، فلحق بمعـاوية، فخـرج إليه مـالكُ بن الجـلاحِ، وكان يقـال له ابنُ العقدية، فأقـبلا في خيلهما، فتـغفَّله بُسرٌ، فطعنه، فصرع ابنَ العـقديةِ، فقال بسر (طويل):

١- وإني لأرجــو مــن مليكي وخـــالقي
ومن فـارسي الموسـوم في الصـدر هاجسُ
٢- دلفـتُ له تحت الـغـــبـــار بطعـنةٍ
على ســاعــة فـيــهـا الطعـان يُـخـالسُ

١- المليك: الله رب العالمين، الموسوم: الذي به علامة، وفي القاموس (وسم): الموسوم: فرس مالك بن الجلاح. وهاجس: وسوسة. والجمع: هواجس.

٢- دلفتُ: دخلت خفية، والطعان: معمعة القتال. ويخالس: يؤخذ خدعة.

(*) الأعلام: انظر ملحق الأعلام، ص: ٤٩٠.

المصادر:

البيتـان لبسـر (بشر) في وقـعة صـفين: ٢٦٩، واعتـمدت رواية المنـقري، وفي تاريخ الطبري: ٥/٢٨-٢٩ وتاريخ دمشق، م. الدار: ٣/ ٣٤٥ وتهذيبه: ٣/ ٢٤٨.

الروايات:

١- رواية الطبري للبيت الأول: (وإني لأرجو من مليكي تجاوزا).

وفي تاريخ دمشق وتهذيبه: (وإني لأرجو من مليكي رحمة).

٢- والثاني في الطبري: .. (على ساعة فيها الطعان تخالس).

ولدى ابن عساكر: (زلفت له عند اللقاء بطعنة).

(١٠)

ب- قال الآمـدي (ت ٣٧٠):

"كان بسـرُ بن عصمـة في سُمَّارِ مُـعاويةَ؛ فتـحدثَ عند مـعاويةَ رجلٌ مِن جُهـينةَ، فحَـصرَ، وقطعَ الحـديثَ؛ فتضـاحك القومُ؛ فـقال له بسـرٌ: تحدَّثْ ياأخي، فقد سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: "جُهينة مني وأنا منهم، من آذى جُهينةَ فقد آذاني، ومن آذاني فقـد آذى الله.."، فغضب معاويةُ، وقال: (ما) هكذا؟ إنما قال هذا لقريش !! فانصرف بُسرٌ، وقال (وافـر):

١- أيشـتـمنُـي مـعـاويةُ بنُ حـربٍ ويكذبُـني لقـولـي في جُـهـينَهْ
٢- ولو أني كـذبت لـكان قـولي ـ ولـم أكذب ـ لـغيري في مُـزينَهْ !!

المصدر:

المؤتلف والمختـلف ط. دار الإحـيـاء: ٧٨، وط. القـدسي، ص: ٦٠، وروايـة الشطر الأول في المطبوعة الثانية: (أيتمني معاوية بن حرب). ولعله تصحيف.

٣- بلال بن الحارث (رضي الله عنه) (*)

(١١)

في ربيع الآخر من السنة السادسة بعد الهجرة أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة (رضي الله عنه) (ش/٨هـ) إلى بني سُليم بالجموم، فسار وجنده حتى وردوها، فأصابوا عليها امرأة مزنية يقال لها (حليمة) (**)، فدلتهم عن محلة من محال بني سليم، فأصابوا في تلك الحملة نعما وشاء وأسراء، وكان بين هؤلاء الأُسراء زوجُ هذه المزنيةِ ؛ فلما قفل ابنُ حارثة بما أصاب، وَهَبَ رسولُ الله لحليمةَ نفسها وزوجَها، فقال بلالُ بن الحارث ينوه بهذا العمل (طويل):

١- لعمرُك ما أخنى المسولُ ولا ونَتْ
حليمةُ ، حتى راح ركبُهما معًا

١- أخنى: أتى. ونت: قصرت وضعفت.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩١.

(**) ملحق الأعلام، المزنيات، ص: ٤٩٨.

المصادر:

١- طبقات ابن سعد: ٢/٨٦، وتاريخ الطبري: ٢/٦٤١، والبداية والنهاية: ٤/١٧٨، والكامل في التاريخ: ٢/ ١٤٠-١٤١.

٢- الخبر والشعر في الطبقات، والخبر فقط في المصادر الأُخر.

* * *

٤- بنو قدامة (رضي الله عنهم) (*)

(١٢)

أ- رُوي أن صفــوانَ بـن قدامـة وابنيـه عبــد العزى وعـبد تميم وفـدوا على النبي ﷺ؛ فـبايعـوه على نعـمة الإسـلام، وغيَّـر الرسولُ اسـمَيْ الابنين إلى (عبدالرحمن) و (عبدالله)، فقال نصرُ بن نصر بن قدامة (طويل):

١- تحـمل صـفوانٌ فـأصـبح عـاديا بأبنـائه عــمــدا ، وخلَّى المـواليــا

٢- فـيالـيتني يوم الحُـنَيْنِ اتّبعـتُـهم قضى اللهُ في الأشـياءِ ما كان قـاضيا

* * *

(١٣)

ب- فأجابه صفوان عمه بقوله (طويل) :

١- فمن مُبْلِغٌ نصْـراً رسالة عاتِبٍ بأنَّكَ بالتـقـصيـر أصـبَـحْتَ راضيـا

* * *

(١٤)

جـ- فأقام صفوان بالمدينة حتى مات، فرثاه ابنه عبدالرحمن بأبيات منها (كامل):

١- وأنا ابن صـفـوانَ الذي سَـبَـقَتْ لَهُ

عنـد النـبيِّ ســــوابـقُ الإسْـــــلام

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩٣.

المصدر:

الإصابة، دار الفكر: ٢/ ١٩٠.

* * *

٥- بنت زهير (*)

(١٥)

قال السيوطي (ت٩١١هـ): ذُكِر أن بنتَ زُهير دخلتْ على عائشة (رضي الله عنها). وعندها بنت هَرِمِ بن سنان؛ فسألتْ بنتُ هرمٍ بنتَ زُهَيْرٍ: من أنت؟ فقالت: أنا بنتُ زهير.

فقالت بنتُ هرم: أما أعطى أبي أباكِ ما أغناكم؟!!

فقالت بنتُ زهير: إن أباكِ أعطى أبي ما فني، وإن أبي أعطى أباكِ مابقي!! وأنشدتْ تقولُ (طويل):

١- وإنكِ إن أعطيتني فمن الغنى | حمدتُ الذي أعطيتِ من ثمن الشكرِ
٢- وإن يفنَ ماتُعطيه في اليومِ أو غدٍ | فإن الذي أعطيكِ يبقى على الدهرِ

المصدر:

شرح شواهد المغني: ٢/ ٧٥٤.

الأعلام:

(*) أكاد أظن أن هذه الشاعرة هي وبرة التي أشرتُ إليها في السطور السابقة، ص ٥٠٠.

* * *

٦- خزاعى بن عبد نُهم (رضي الله عنه) (*)

(١٦)

قال عندما شرح الله صدره لنور الإسلام (طويل):

١- ذهبتُ إلى (نُهْـمٍ)(**) ؛ لأذبَحَ عنده
عـــتـــيـــرةَ نُـسْكٍ كـــالذي كنـتُ أفـــعلُ

٢- فـقلتُ لنفــسي حين راجعــتُ عقلَهَــا :
" أهذا إلــهٌ أبكـمٌ ، ليـس يعـــــقِلُ "؟!

٣- أَبَيْتُ ؛ فــديني اليـــوم دينُ مــحـــمَّـدٍ
إلهُ الـــســمـــاءِ المـاجـــدُ المتـــفـــضِّلُ

١- العتيرة: ما كان الجاهليون يذبحونه من الغنم عند أصنامهم وأنصابهم.

٣- الماجد: ذو المجد، سبحانه وتعالى. والمتفضل: المنعم على عباده بوريف فضله ووسيع إحسانه.

المصادر:

وردت الأبيــات لخزاعى في الأصنام: ٣٩-٤٠، ومـعجم البلدان: ٥/٣٢٧-٣٢٨، والإصــابة، دار الفكر: ١/٢٢٤، ونهضة مصر: ٢/٢٧٦.

الروايـــة:

١- رواية البيت الثاني في الإصابة: (فقلت لنفسي حين راجعت حزمها).

٢- رواية البيت الثالث في معجم البلدان (أنبت فديني اليوم دين محمد).

الأعلام :

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩٢.

(**) نُهم: صنم قبيلة مزينة الذي كان خزاعى سادنا له في الجاهلية.

* * *

٧- ذو البجادين (رضي الله عنه) (*)

(١٧)

قال حادياً بين يدي رسول الله ﷺ (رجز):

١- تعــــرضي مَــــدَارِجـــاً وسُـــومِي
٢- تعـــــرُّضَ الجـــوزاءِ للـنجـــومِ
٣- هذا أبو الـقـاسم فـــاســتـقـيــمي

١- يقال: تعرض البعير في الأكمة أو الجبل، إذا مشى في عراضها. والمدارج: الثنايا الغلاظ بين الجبال، واحدتها مدرجة، وهي المواضع التي يدرج فيها، أي يمشي (اللسان/ درج). وفي الاشتقاق قال ابن دريد: ناقة مدراج: تزيد على عدد أيامها في النتاج. والمدارج: طرق في ثنية أو أكمة معترضة، يقول لناقته: خذي طريقك يمنة ويسرة، وتنكبي الثنايا.

وقال الأصمعي: السوم: سرعة المر، يقال: سامت الناقة تسوم سوما، وقال غيره: السوم: سرعة المرَ مع قصد الصوب في السير (اللسان/ سوم).

٢- قوله: تعرض الجوزاء، لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة ليست في السماء بمستقيمة.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩٤.

المصادر:

١- وردت هذه الأرجوزة لذي البجادين في الاشتقاق: ٢١٧ وجمهرة اللغة: ٢/ ٣٦٣، وأمالي القالي، الآفاق، ١/ ١٢١، وسمط اللآلي: ١/ ٣٦٠، ومعجم ماستعجم: ٢/ ٦٧٠، والتعليقات والنوادر، بغداد: ١/ ٥٩، والمخطوطة المصرية، الورقة الثامنة، وط. العبيكان، ٢/ ٩٨١، ومعجم البلدان: ٣/ ٦٤ والإصابة، البجاوي: ٤/ ١٦٣، واللسان (ثنى) والتهذيب (عرض) وفي السمط وردت الشطرة الأولى فقط، وفي اللسان (درج وسوم)، والتهذيب (درج وثنى وسوم) وردت الشطرتان الأوليان، ورويت لابن أم مكتوم في شرح هاشميات الكميت، ٤٤.

٢- في مطبوعة التعليقات والنوادر، العراقية (تعرض مدارجا وسومى).

* * *

٨- كعــب بــن زهيــر

(زيادات على مطبوعتي ديوانه بشرح السكري

وعن مخطوط الأحول وفائت اليمني)

(١٨)

أولاً : ما تفـرد بــه:

أ - قال يصف فلاة (كامل):

١- فـيــهــا ابــن بجـدتهــا يكاد يُذيـبُـهُ

وقْــدُ النهــار إذا اســتنار الصَّــيــخــدُ

١- يعني بابن بجدتها: الحرباء، والهاء في قوله "فيها" ترجع إلى الفلاة. والوقد: النار وارتفاع الحرارة. والصيخد والصيخود: والجمع صياخيد: الهاجرة الشديدة الحر.

المصدر:

مجمع الأمثال: ١/٢٢.

* * *

(١٩)

ب- وقال (بسيط):

١- إن تُعن نـفـسُك بـالأمـر الذي عُـنيَتْ
نفـوسُ قـوم سَـمَـوْا تَـظْفَـرْ بما ظفـرُوا

٢- لاتركـننَّ إلى الأمـــــر الذي ركـنتْ
أبناءُ يـعــصُــرَ حـين اضطرها الـقَــدَرُ

٢- تركن: تميل، وتسكن وتثق.

المصدر:

حاشية الصبان على شرح الأشموني، ومعه شرح شواهد العيني: ١/١٧٣.

* * *

(٢٠)

جـ- زاد الحـاكم في رائيـة كـعب التي مـدح بهـا الأنصـار (رضي الله عنهم) (كامل):

١- حـتى اسـتـقـامـوا والرياحُ تـكبُّـهُمْ
في كل مَـجْـهَـلَةٍ ، وكل خَـتَّـار

٢- لـلحـقّ ، إن اللـه ناصـــرُ دينِـهِ
ونـبـيِّـه بـالحقِ والإنـذار

٣- والمُقْـــدمينَ إذا الكُـمَـــاةُ تواكـلتْ

والضـــاربين النـاسَ في الإعــصـــارِ

٤- يســـعـــون للأعـــدا بكل طِـمِـــرَّةً

وأقَبَّ مـــعـــتـــدلِ البـليل مُـطَارِ

٥- مُـتـــقـــادم بَلِـغٍ أجَشَّ مــهـــيلة

كـــالسـيـفِ يهـدم حلقـــه بســوار

٦- وكُـهُـولُ صِـدْقٍ كالأُسـود مـصَـالتٌ

وبكـل أغـــبـــرَ مـــدرك الأوتارِ

٧- وبمتـــرصـــات كـــالـثـقـــاف نواهل

يُشـــفَـى الغليـلُ بهـــا من الـفُـجَّـــارِ

١- تكبهم: تقلبهم على رؤوسهم ووجوههم. والمجهلة: مايحمل على الجهل. والختّار: الغدر القبيح.

٣- الكماة: الفرسان الشجعان اللابسو ثياب الحرب.

٤- الطمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم. والأقب: الضامر البطن الدقيق الخصر، والبليل: الريح الباردة مع ندى. والمطار: السريع. والمطار من الآبار: الواسعة الفم.

٥- المتقادم: المتقدم السابق. والبلغ: المتناهي في الشيء والبلغ النافذ. والأجش: الغليظ الصوت. والمهيلة: شديد الانهيال والانصباب والسوار: الحلية.

٦- المصالت: الشجعان الماضون في الجوائح. والأغبر: مالونه الغبرة.

٧- المترصات: الرماح المثقفة والثقاف: التقويم والتسوية. والنواهل : الجياع العطاش. يشفي الغليل: يروي الشديد الظمأ.

المصدر:

المستدرك وتلخيصه: ٣/ ٥٨٥-٥٨٦.

* * *

(٢١)

د- زاد أبو حيان التوحيدي في رائية كعب التي يستهلها بقوله (بسيط):

لو كنت أعـجبُ من شيء لأعجـبَني سعيُ الفـتى ، وهْو مخبـوءٌ له القدَرُ

....

١- لومُ الفـتـى نفـسـه من دون عـاذلةٍ يُثنـي عليـه ولـومُ النفسِ يُفـتْـقَـرُ

١- العاذلة: اللائمة. ويثني: يمدح ويحمد.

المصدر:

البصائر والذخائر: ٣/٤٤٦.

* * *

(٢٢)

هـ- وقال كعب وهو يرعى الغنم صبياً (رجز):

١- كـأنما أحـدو ببَـهـمي عِـيـرا

٢- من القُـرى مـوقـرَةً شَـعـيـرا

١- البهم: الصغار من ولد الضأن. والعير: قافلة الحمير.

٢- الموقرة: المحمَّلَة حِملاً ثقيلا.

المصادر:

البيتان في شرح ديوان زهير، الهيئة: ٢٥٦، والآفاق: ١٨٣، وصعوداء: ٤٦-٥٠، والأغاني، الشعب: ١٨/٥٩، وبدائع البدائه: ١/١٨.

* * *

(٢٣)

و- وقال (بسيط):

١- فَـأَبْصَــرَتْ لمحـةً من رأس عِكْـرِشَـة
في كـــافــر مـــا بــه أمْتٌ ولا شَــرَفُ

١- العكرشة : الأرنب الضخمة . والكافر : الليل المظلم، والأمت : المكان المرتفع .
المصدر:
المذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١٠٣ .

* * *

(٢٤)

ز- زاد بعضُ الرواة في كافـية كعب الـتي بعثهـا، في جاهليتـه، لأخيه بجـير عندما شرح الله صدره للإسلام، (طويل):

١- فــإن أنت لم تـفــعلْ فلســتُ بآسفٍ
ولا قــائـلٍ ؛ إمَّـا عــثـرتَ : لعًــا لكَا

١- عثرت: زللت وسقطت. ولعا لك: دعاء يقال للعاثر، بمعنى: أنعشك الله وأفاقك من عثرتك !.
المصادر:
البيت في سيرة ابن هشام: ١٠٨/٤ وسيرة ابن كثير: ٦٦٩/٣، وزاد المعاد: ٢٠٥/٢، والمستدرك: ٥٨٣/٣، والبداية والنهاية: ٣٦٨/٤، وطبقات الشافعية: ١٢٢/١، والمذاكرة في ألقاب الشعراء، ونهاية الأرب في فنون الأدب: ٤٣٠/١٦، وشرح ابن هشام لقصيدة كعب، الحلبي: ٤. وراحة قلب المستجير، الورقة (٤٣/ب)، وشرح الهيتي، الورقة الثانية، وكنه المراد: ٣/أ وشرح ابن الوجيه، الورقة الثانية، وغيرها.

* * *

(٢٥)

ح- زاد بعضُ الرواةِ والشراحِ بعد البيت الثاني من قصيدة (بانت سعاد) قوله:

١- هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً لا يُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

وزاد ابنُ سيد الناس بعد البيت السادس قوله:

٢- من اللواتي إذا ما خُلَّةٌ صدقت يَشْفِي مُضاجِعَهَا شَمٌّ وتَقْبِيلُ

وزاد بعضهم بعد التاسع عشر قوله في وصف الناقة:

٣- غلباءُ وجناءُ عُلكومٌ مذكَّرةٌ في دَفِّها سَعَة قُدَّامُها مِيلُ
٤- وجلدُها من أَطُوم ما يؤيِّسُه طِلْحٌ بضاحيةِ المَتْنَينِ مَهْزُولُ

وزاد الحاكمُ بعد الثامن والعشرين:

٥- لما رأيتُ حدابَ الأرض يرفعها مع اللوامِعِ تَخْليط وتَرْجِيلُ

وزاد بعد السادس والثلاثين:

٦- فقد أتيتُ رَسُولَ الله معتذراً والعذرُ عند رسولِ الله مقبولُ

وزاد ابن هشام بعد الرابع والأربعين:

٧- مـازلتُ أقـتطع البـيداءَ مـدَّرِعـاً جُنْحَ الظَّـلامِ وثوبُ الليل مـسـدولُ

---

(١) الهيفاء: الممشوقـة القوام، المرتجة لفرط ثقل أردافها حال كونها مقبـلة. والعجزاء عظمة العجز، وهو المؤخر، حال كونها مدبرة.

(٢) الخلة: الخليلة والزوجة والصداقة والصحبة.

(٣) الغلباء: الغليظة الرقبة. والوجناء: العظيمـة الوجنتين، أي الخدين. والعلكوم: الشديدة، وهي صفة خاصة بالإبل، وبعض أوصافها الحسنة. والمُذكَّرة: التي تشبه الذكر في عظم خلقتها. ودفها: جنبها، وقدامها ميل: كناية عن طول رقبتها.

(٤) الأطوم: كـالثوب مـن الديباج النـاعم. يؤيسه: يثـبت عليـه. والطلح: القـراد. والمتنان: الظهـر. والمهزول: المتنحلة الخفيفة.

(٥) حـداب الأرض: الغليظ المرتفع منهـا. واللوامع: جـمع لامـعة، وهي يـافوخ الصـبي مـادام لبنا. والتخليط: المزاوجة والمداخلة. والترجيل: بياض في إحدى رجلي الدابة.

(٧) أقتطع البيـداء: أجوب الفيافي وأخترق الصـحراء. مدرعا: مرتديا الدرع، ويقـصد هنا أنه اتخذ من الظلام درعًا يخفيه. وجنح الظلام: الطائفة منه. والمسدول: المرخى والمرسل.

المصادر:

أ- ورد البـيت الأول في سيـرة ابن هشام: ١٠٩/٤، والعـقد، التـأليف: ٢٨٨/٥، والبداية والنهـاية: ٣٧٠/٤-٣٧١، ونهـاية الأرب في فنـون الأدب: ١٦/ ٤٣٠، وفـتح باب الإسـعـاد، خ، الورقـة الأولى، وشرح ابن الوجيه على بانت سعاد، خ، الورقة الثالثة، وشرح العرياني، خ، ٧/أ.

ب- مصدر البيت الثاني: عيون الأثر: ٢١٣/٢.

جـ- ورد البيتان الثالث والرابع في سيرة ابن هشام: ١٠٩/٤، وجـمهرة أشعار العرب: ٦٣٢، وطبقات الشافعية، الحلبي: ٢٣٧/١، واللسان (علكم)، وشـرح ابن هشام لبانت سعاد: ٦٢، وابن الأنباري: ١٢٢، والتبريزي: ٢٠، والمكي، خ، الورقة (١٢)، وابن الوجيه، خ، السابعة، والأبادي: التاسعة، الظاهرية، ١٢، عارف حكمت، وكنه المراد، خ، الورقة (١١)، وراحة قلب المستجير: ١١٣، ١١٤، والإسعاد في تحقيق بانت سعاد: ١٨، ١٩، والهيتمي: ١٥٤، وفتح باب الإسعاد: ١١، ١٢.

د- مصدر البيتين الخامس والسادس: المستدرك: ٣/ ٥٨١-٥٨٤.

هـ- مصدر البيت الأخير، السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٩/٤.

* * *

(٢٦)

ط - وقال (طويل):

١- ورنَّة هَـتّـاف العـشيّ مُكَـبَّلٍ يُنَازعُـه الأوتـارَ من ليس رامـيـا
٢- تنازعُـه مـثل المهـاة رفـيـقـةٌ بحس الـندامى تَتْـرك الـلبَّ رانيـا
٣- كـأن دَوِيَّ النَّحْلِ صـوتُ بَنَانِهَـا إذا ضَـرَبَتْ سُـمْـرَ المُتُـونِ ثمـانيـا

١- الهتاف: المرن والمصوت. والمكبل: المقيد.

٢- الندامى: الرفقـاء، والصحاب المنادمون على الشـراب، واللب: العقل. والراني: الطارب اللاهي مع شغل قلبه وغلبة هواه.

٣- المتون: الظهور، مفردها متن.

المصدر:

المعاني الكبير: ١/ ٤٧٠.

* * *

(٢٧)

ثانياً : ما نسب له ولغيره :

أ - نسب المرتضى لكعب قوله يخاطب الرسول ﷺ (طويل):

١- تعلَّمْ رســـولَ اللهِ أنَك مُـــدرِكي   وأن وعـيـداً منكَ كـــالأخـذِ بالْيَـدِ

١- تعلَّمْ: اعلم. يقول: لامفر من النزول على أمرِك ونهيِك.

المصدر:

١- البـيت في أمالي المرتضى: ٤١٨/١، وعنـه في فائت الأحـول: ٨٥، وذيل ديوان كعب، القـاهرة: ٢٥٨، لكعب.

٢- وهو في الإصابة، دار الفكر: ١٠١/١-١٠٢، وعنها أثبته جـامعُ أشعار اللصوص وأخبارهم، ص: ٦٩، ثاني أحد عـشر بيتا منسـوبة للصحابي سارية بن زنيـم بن كنانة الدئلي، ثم ورد في الإصابة، المطبوعة نفسها، ٦٩/١ منسوباً للصحابي أنس بن زنيم، وقبله:

تـعلـم رســـــول الـله أنـك قـــادر   علـى كل حـيّ من تِهَـــامٍ ومُـنْجِـــدِ

* * *

(٢٨)

ب - نسب البكري لكعب قوله (بسيط):

. . . . (لا يرسل الساق إلا مُمسكا ساقا)

١- الساق: الغصن من أغصان الشجرة، أي إنه لا تنقضي له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبيها له بالحرباء.

المصدر:

١- فصل المقال، ص ٢٥٠، وصدر البيت: (أنَّى أتيح له حرباء تنضبة).

٢- البيت في شعر أبي دؤاد الإيادي، ملحق بكتاب (دراسات في الأدب العربي)، ٣٢٦ وبدون نسبة في حياة الحيوان الكبرى، ط. مصر: ١/ ٢٠٩ - ٢١٠، مادة (الحرباء).

* * *

(٢٩)

جـ - نُسب لكعب قوله يصف قطاة (طويل):

١- غدت من عليه بعد ما تمَّ خِمْسُهَا تَصِلُّ وعن قيضٍ بزيزاءَ مجهَل

١- يصف القطاة وهي في أشد أحوالها وحاجتها إلى الطيران من عطشها، وحاجة فرخها إلى الري، لأنها غدت في الخامس من شربها الماء وجوفها يُصوّت من يُبسه وبُعد عهده بالماء وعن قيض: عن فراخ. والقيض في الأصل: اسم لما يقشر من البيض عن الفراخ، وإنما يريد أن يذكر سرعة طيرانها من أجل ذلك. وفي بعض المصادر: (ظمؤها) مكان "خمسها".

المصادر:

١- البيت لكعب في (النكت في تفسير كتاب سيبويه) ٢/ ١١٣٣.

٢- وهو في شعر مزاحم العقيلي: ١٢٠، وله في الحيوان: ٤/ ٤١٨، والتهذيب: ٣: ١٨٤، واللسان (صلل وعلل)، والخزانة، بولاق، ٢/ ٢٥٥ وغيرها، ودون نسبة في المقتضب: ٣/ ٥٣، والمخصص: ١٦/ ٦٥ وغيرها.

(٣٠)

د - ونُسِبَ لكعب قولُه (سريع):

١- إن كـنـتَ لا تـرهـبُ ذَمِّـي لـمـا تعـرفُ مـن صـفـحي عـن الجـاهلِ
٢- فـاخشَ سكوتي إذ أنا منصت فـيـك لمسموعِ خنا القـائل
٣- فـالسـامع الذمَّ شـريك له ومطـعم المأكـول كـالآكل
٤- مـقـالة السـوء إلـى أهلهـا أَسْـرعُ مـن منحـدر سـائل
٥- ومَنْ دعـا النـاس إلى ذمـه ذمـوه بـالحق ، وبـالبـاطل
٦- فـلا تهجْ إن كـنت ذا رِيْبـة حـربَ أخي التـجـربـة العـاقل
٧- فـإن ذا العـقـل إذا هِجْـتَـهُ هِجْـتَ به ذا خَـبَلٍ خَـابل
٨- يُبْـصِـرُ في عـاجل شـدَّاتِه عـليـك غِبَّ الـضَّـرَرِ الآجـل

١- الصفح: العفو والسماح.
٢- خنا القائل: فُحش كلامه.
٤- تهيج: تثير وتحرك.
٧- الخبل: فساد العقل ونقصه، والخابل: المفسد والشيطان.
٨- غب الضرر: عاقبته.

المصادر:

١- الأبيات لكعب في بهجة المجالس: ١/ ٤٠٠-٤٠١، والرابع له فيه: ١/ ٤٣٤. وهو والخامس في ١/ ٥٧٧ و (١-٥) له في الاستيعاب: ٣/ ١٣١٥، وأسد الغابة، الشعب : ٤/ ٤٧٧، والروض الأنف، والحديثة: ٧/ ٢٩٤، والخزانة، بولاق: ٤/ ١١. وشرح ابن هشام على بانت سعاد ص ٣. والرابع والخامس في نهاية الأرب في فنون الأدب: ٣/ ٧٠، والتمثيل والمحاضرة: ٦٢.

٢- الأبيات الثمانية للباهلي في ديوانه: ٨١. و (١، ٢، ٣، ٥، ٤) له في الورقة: ١١٧-١١٩، و(١، ٢، ٣) لعبيد بن عبدالله بن عتبة في شرح مقامات الحريري: ٢/ ١٤٠، وعنها له في مجموع شعره، لكاتب هذه السطور بمجلة العرب، جـ١١، ١٢، الجماديان ١٤١٤هـ تشرين الثاني ـ كانون الأول/ نوفمبر ـ ديسمبر، ١٩٩٣م، ومع الفقهاء الشعراء، ٤٢.

٣- الأبيات كلها بدون نسبة في الحيوان: ١/١٥-١٦، و (١-٥) في الزهرة، المنار: ٥٧١-٥٧٢ و (١، ٢، ٣، ٥، ٤) في ذيل زهر الآداب: ٣-٤، وشرح نهج البلاغة: ٢/٢٠٢.

* * *

(٣١)

هـ - نُسب له قوله يمدح النبي ﷺ (بسيط):

١- تحـمله الناقـةُ الأدماءُ مُـعْـتَجِـراً   بالبُــرْدِ كـالبــدرِ جَلّى ليلـةَ الظُّلَمِ

٢- وفي عِطَافَــيـه مَعْ أَثْنَاء رَيْـطَتِـهِ   مــايعــلمُ اللهُ من ديـنٍ ومن كَــرَمِ

١- الأدمة من الإبل: لون مشرب سوادا أو بياضا، فهو آدم وهي أدماء والمعتجر: الملتف، من اعتجر الرجل: إذا لف عمامته على رأسه. وجلّى: كشف.

٢- عطافاه: رداءاه، والريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً، ولكل ثوب يشبه الملحفة.

المصادر:

١- البيتان لكعب في العمدة: ٢/١٣٦، وربيع الأبرار: ٤/١٦١، وزهر الآداب ،الحلبي: ٢/١٠٩٠، ونور القبس: ١٥٠، وسيرة ابن كثير: ٣/٧٠٩، والبداية والنهاية: ٤/٣٧٤، وزاد المعاد: ٢/٢٠٧، ومعجم الشعراء: ٢٣٠، ومسالك الأبصار: ١٤٠/ ص ١٣، والدر الفريد، ١/٩٥.

٢- وهما في المصدرين الأخيرين لأبي دهبل الجمحي، وفي ديوانه: ١٠٢ وأولهما له في الأغاني، الثقافة: ٧/١٣١، والحماسة، عسيلان : ٢/٢٨٤، والسعادة: ١/٢٨٣، والتبريزي، التجارية: ٤/١٦٥، والقلم: ٢/٢٨٢، والأعلم، ٢/٩٣٤، وعنوان النفاسة ٨٩/ (أ)، والبصرية، القاهرة: ١/٥٧٢، وبيروت: ١/١٨٠، والشعر والشعراء: ٢/٦١٤، والفرائد الغوالي: ٤/٢٩٨، وشرح المرزوقي على الحماسة: ٤/١٦١٩.

٣- وهما لعبدالله بن رواحة (رض) في تحرير التحبير: ١٠٨ وعنه في ديوانه: ١٦٤ وأولهما له في البديع في نقد الشعر: ٣٠.

الروايات: -

١- الأول في العمدة والبداية: (تجري به الناقة الأدماء معتجرا).

وفي زاد المعاد: (تحدى به الناقة الأدماء).

وفي البديـــع: (جلى نوره الظلما).

٢- الثاني في العمدة: وفي عطافيه أو أثناء ريطته.

٣- بعده في البصرية وغيرها: وكيف أنساك لا نُعماك واحدة

عندي ولا بالذي أسْدَيْتَ مِنْ قِدَمِ

* * *

(٣٢)

و - نسب ابن عبد ربه لكعب قوله (بسيط):

١- بُخْـلاً علينا وجُـبْناً من عـدوكم   لبئـستِ الخَلَّتـانِ : البُـخْلُ والجـبُنُ

١- الخلة: الخصلة والصفة.

المصادر:

١- البيت لكعب في العقد الفريد: ١/ ١٥٢.

٢- في حماسة البحتري: ٣٣٢ لابن أم الصاحب الغطفاني.

٣- بدون نسبة في بهجة المجالس: ١/ ٤٣٣.

* * *

٩ - معـن بن أوس (*)

(فائت طبعات ديوانه)

(٣٣)

أ - قال معن بن أوس (طويل):

١- هل الدهرُ والأيامُ إلا كـمـا ترى رَزِيَّةُ مـال ، أو فِـراقُ حـبـيب ؟!

١- الرزية: المصيبة العظيمة، تجمع على (رزايا).

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص ١٤٦ وما بعدها.

المصدر:

أنوار الربيع في أنواع البديع: ٢/ ٨٤. والبيت في المستطرف: ٢/ ٣١٠، لأبي الأسود مصدرا بقوله: (وما) وقبله: وإن امرأ قد جرب الدهر لَمْ يخف... تقلبَ عصريه لغيرُ لبيبِ.

وقد تمثل عبدالملك بن مروان بالبيت مع هذا الأخير، وثالث لهما في بلاغات النساء، ١٥٢.

* * *

(٣٤)

ب - وقال يصف نخلة (رجز):

كـأنما هِيْ عـانسٌ تـصـدَّى تخـشى الكسـادَ وتُـحبُّ النقـدا

فَـهْـيَ تردَّى بعـد بُـردٍ بُرْدا

١- التصدي: التصفيق.

٢- كساد: الشيء وكسوده: عدم إنفاقه لقلة الرُّغَّاب فيه.

٣- تردّى: ترتدي وتلبس.

المصدر:

حماسة الخالديين: ٢/ ٢٤٧. واستدركها الدكتور حاتم الضامن بمجلة العرب عدد رمضان ١٤١٢هـ.

* * *

(٣٥)

جـ - وقال (بسيط):

١- إذا تقاعس (صَعْبٌ) في حَزَامتِه ... وإن تعرَّضَ في خَيْشُومِه صَيَدُ

٢- رُضْنَاه حتى يُذِلَّ القسرُ هامتَه ... كما استمرَّ بكفِ القائلِ المَسَدُ

٣- فلا تكونوا كمن تغذو بدرَّتِهَا ... أولادَ أخرى ولا يُغذَى لها وَلَدُ

٤- إن تُصْلِحُوا أَمْرَكم تَصْلُحْ جماعتُكم ... وفي الجماعة ما يستمسك العَمَدُ

١- الحزامة والحزم: ضبط الأمر وإحكامه، وأخذه فيه بالثقة. والخيشوم، والجمع (الخياشيم): أقصى الأنف، وهي عروق في بطن الأنف، وخياشيم الجبال: أنوفها.. والصَّيَدَ: داء يصيب الإبل، فتسيل أنوفها، فتسمو برؤوسها ولاتقدر أن تلوي معه أعناقها.

٢- رضناه: ذللناه، وطوعناه، والقسر: القهر والإكراه على الشيء. والمسَدُ: الحبل، يهدده ويتوعده.

المصدر:

حماسة الخالديين: ٢/ ٢٦٠. واستدركها الدكتور حاتم الضامن بمجلة العرب عدد رمضان ١٤١٢هـ.

* * *

(٣٦)

د - ونُسب له قوله (بسيط):

١- مـا مـسّني من غنى يومـاً ولا عـدمٌ
إلا وقـــولي عليـــه : الحـــمــدُ لـله
٢- قـد يُرزق المرءُ لا من حسـن حيلتـه
ويُصـــرف الـرزقُ عن ذي الحـيلـة الدَّاهِي

المصدر:

١- تاريخ دمشق: ١٧/٤٨.

٢- البيتـان ضمن ستة أبيـات في العقد الفريـد، دار الفكر: ٢/٤٦، منسوبة لعبدالله بن مـعاوية، وعنه أثبتها له جامعُ شعره، ص: ٨٥.. وهما في البـصائر والذخائر: ٤/ ٢١٠، مع بيتين آخرين من غير نسبة، بتقدم الثاني على الأول.

الروايات:

١- رواية الأول في العقد ما نالني..

والثاني في البصائر: والمرء يرزق لا من حُسن حيلته).

وفي العقد : قد يرزق المرء لا من فضل حيلته).

* * *

(٣٧)

هـ- استدرك الدكتور حاتم الضامن، لمعن قوله: (مجزوء الخفيف):

١- رُبَّ خـــــيــــــرٍ أتاك مـن حـــــــيــــــثُ تـأتـي المـكـارهُ

المصدر: الدر الفريد، ٣/٣٠٨، ومجلة العرب، رمضان، شوال ١٤١٢هـ.

* * *

١٠- النعمان بن مُقَرِّن (رضي الله عنه) (*)

(٣٨)

أ - قال في قيادته لموقعة (أرْبك سنة ١٧هـ) (طويل):

١- غـوت فارسٌ والـيومُ حـامٍ أُوارُهُ بمُحــتــفَـلٍ بين الدكـــاك وأربكِ
٢- فـلا غـروَ إلا حين ولَّوْا وأدركتْ جُـموعُـهـمُ خـيلَ الرئيسِ ابنِ أرمكِ
٣- وأَفْلَتَـهُنَّ الهُـرْمُـزانُ مُـوابِلاً به نَـدَبٌ من ظاهـر اللون أعـتكِ

(*) الأعلام: ملحق الأعلام، ص ٥٠٤ - ٥٠٥، وأخباره مع أخبار أخيه نعيم بن مقرن.

المصدر: معجم البلدان، ١/ ١٣٧.

* * *

١١- نعيم بن مقرن (رضي الله عنه) (*)

(٣٩)

قال (في إحرازه النصر على الأعاجم بواج الرّوذ (٢٢هـ) (طويل):

١- ولما أتاني أن (مُوتا) ورهطه بني باسل جرُّوا جنودَ الأعاجِمِ
٢- نهضتُ إليهم بالجنودِ مُسامياً لأمنعَ منهم ذمَّتي بالقواصم
٣- فجئنا إليهم بالحديدِ كأننا جبالٌ تراءى من فُروع القَلاَسم
٤- فلما لقيناهم بها مُستفيضَةً وقد جَعلُوا يسمُون فِعْلَ المُسَاهِمِ
٥- صدمناهُمُ في (واج روذ) بجمعِنَا غداة رميناهُم بإحدى العظائمِ
٦- فما صبرُوا في حَوْمَةِ الموت ساعةً لحدِّ الرماح والسيوف الصوارمِ
٧- كأنهمُ عند انبثاث جُموعهم جدارٌ تشظّى لَبْنُه للهوادم
٨- أصبنا بها (مُوتا) ومن لفّ جمعَهُ وفيها نهابٌ قَسْمُه غيرُ عاتم
٩- تبعناهُم حَتَّى أوَوْا في شعابهم نُقتِّلُهم قَتْلَ الكلاب الجواحِمِ
١٠- كأنهم في (واج روذ) وَجَوِّهِ ضئينٌ أصابَتْها فروجُ المخارم

١- في البداية والنهاية (٧/ ١١٥) (موثا).

٢- القواصم: صفة للأسلحة البتارة المهلكة المنزلة البلايا على الأعداء.

٤- المساهم: المتغير لونه من ضعف وهزال.

٦- الصوارم: القواطع، مفردها صارم، وهو الحاد.

٧- تشظى: انشق، تفرق، تطاير شظايا. ولبنه: هي لبنه، سكنها الشـاعر لضرورة الوزن، وهي الآجر، مفردها: لبنة.

٨- النهاب: الغنيمة: ونهابها: عطاؤها. والعاتم: البطيء المس، المظلم من غبرة.

٩- الشعـاب: الأحياء العظيـمة، مـفردها (الشعب)، وهو الطريق في الجـبل، أو ما انفـرج بين جبلين.

والكلاب الجواحم: ذات العيون الحادة الشاخصة من ورم، أو حمرة.

١٠- فروج المخارم: فتحات الطرق في الجبال وأفواه الفجاج.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٥٠٤ - ٥٠٥.

المصادر:

الأبيات كلها لنعيم في تاريخ الطبري: ٤/ ١٤٩، والبداية والنهاية: ٧/ ١١٥ و (١, ٥, ٦, ٨, ١٠) في معجم البلدان، (واج روذ)، ٨/ ٣٤١.

* * *

ثانياً: الإسلاميون :

١٢- أبو المعافــى (*)

(٤٠)

أ- قال يمدح ابن محمد بن إبراهيم الإمام (ت١٨٥هـ/ ٨٠١م) (وافر):

١- إليك مـديحــتي يا خـيـرَ ـ إلا رســولَ اللـهِ ـ مَنْ وَلَدَ الـنِّسَــاءُ
٢- ســتـأْتـيكَ المدائحُ من رجــال ومــا كفٌّ أصــابِـعُــهَــا ســواءُ

الأعلام:

(*) الباب الأول: الفصل الثالث ، ص: ١٦٨ وما بعدها.

المصدر:

المحمدون من الشعراء: ١٢٤ .

* * *

(٤١)

ب - وقال في سمراء كان يحبها (طويل):

١- أحِبُّ النساء السـمر من أجل (تكتُم)
ومن حُـبِّـهـا أحـببتُ مـن كـان أسـودا
٢- فـجـئـني بمثلِ المِسْك أطيبَ نـكهـةً
وجِــئني بمـثلِ اللـيلِ أَطْيبَ مَـــرْقَـــدا

المصدر: معجم الشعراء: ٤٩٦ .

(٤٢)

جـ - وقال في الحكمة (طويل):

١- وإن التَّــوانى زوَّج العــجـزَ بِنْتَــهُ
وسـاق إليــهـا حين زوَّجَـهَا مَـهـرا

٢- فـراشـاً وَطِيّـا ثم قـال لهـا : اتكي
فـقـصـرُكـمـا ، لاشكَّ ، أن تلدا الفـقـرا

المصادر:

البخلاء، ط. دار المعارف: ١٨٤-١٨٥ وفيه «ابن المعافى»، وعيون الأخبار، ١/ ٣٥١ وربيع الأبرار، ٣/ ٦١٠، والمحمـدون من الشعراء: ١٢٤، وفي المستطرف: ٢/ ٣٠٤ لهلال بن العلاء الرفـاء من جملة أبيات، ورواية الشطر الأول فيه: كان التواني أنكح العجز بنته.

* * *

(٤٣)

د - وودع صديقا له أراد سفراً ، فأنشده عند وداعه (رمل):

١- خلَفَ اللهُ الذي خـلَّفْـتَـه
ووقـاك اللهُ وعْـثَـاءَ السَّـفَـرْ

٢- إنَّنـي أشكرُ مـا أوليـتَـني
لم يُـضِعْ حُـسْنَ بلاء ، مَنْ شكر

٣- ردك الله إليـنـا سـالما
بعـد غُنْمٍ واغـتـبـاطٍ وَظَفَـرْ

المصدر:

ديوان المعاني: ٢/ ١٩١.

* * *

(٤٤)

هـ - ورُوي أنه قال: أنشدتُ العباس بن محمد مديحًا في هارون وموسى:

١- ياخـيـزرانُ ، هَناكِ ثـم هَناكِ   إن العـبـادَ يسـوسُـهـم ابناكِ

فقال له العباس: لا تذكر أمي بخير ولا بشر.

المصدر: تاريخ ، ٨/ ٢٢٣.

* * *

(٤٥)

و - وقال يمدح رجلا من قريش (وافر):

١- فلم تَحـوِ الرياسَـةَ من بعـيـدٍ   ولم تَرِثِ السّـمـاحـة من كَـلالِ
٢- ومـا قَـصُـرَتْ يداك عن المعـالي   ولا طاشت سِـهَـامُك في نضـال
٣- فـأين لنا نظيـرُك من قـريشٍ   لقـد بعُـدتْ يمـينٌ من شِـمـالِ

١- تحوى: تُحرز وتمتلك وتجمع. والكلال: العجز والتواني.

٢- المعالي: المكارم.

المصدر:

معجم الشعراء: ٤٩٦.

* * *

١٣- الجعالــي (*)

(٤٦)

قال الجعالي المزني في (الشِّعْرِيّ المزني)(*) ؛ وربطته امـرأتُه ليلةَ دَخَلَ بها (بسيط):

١- أشكو إلى اللـه أخبـارا تُؤَرِّقُني | بأن حنـظلةَ الشِّــعـريَّ مــوتورُ
٢- ما فـارقتْه بفضل النِّسْعِ ، تحـزُمُه | حــتى رمى بأُخيٍّ البَــوْلِ مــسطُورُ
٣- باتت قــوابلُه سُــودا مُــزَرْفَلَةً | كــأن دَنَّتَــهَــا نَقْــرٌ بـطنبــور!!
٤- يا أَمَـةَ الله أدِّي حـقَّ صـاحـبنا | فكل شيء سـوى التـسليح مـغفـورٌ
٥- يا بنتَ قـيسٍ جـزاكِ اللهُ عارفـةً | هلاّ صبرتِ وغِبُّ الصَّـبْرِ مشكورُ ؟!

١- موتور: مصاب بمكروه.

٢- النسع: سير يضفـر على هيئة أعنة النعال تشد به الرحال، والجمع أنـساع ونُسوع ونُسُع، والقطعة منه نسعة، وقيل: النسـعة التي تنسج عريضاً للتصدير. وقـال ابن الأثير: هو سير مضفـور يجعل زماما للبعير وغيره، وقد تُنسج عريضة، تُجعَل على صدر البعير (اللسان/ نسع).

٣- قوابله: أوائله، ودنتـها: صوتهـا وتنغيمهـا. والطنبور والطنبار: كلمـة فارسيـة الأصل، تجمع على الطنابير، وغب الشيء : مصيره وعاقبته وخاتمته.

الأعلام:

لم أستـدل على ترجمة لهذا الـشاعر، ولا ما يكشف لي النـقاب عن عصره، ولا مـايتيح لي الإلمام بصاحبه المذكور في الأبيات.

المصدر:

التعـليقات والنوادر، خ، الـهندية، الورقة: ٢٤٠، ومطبـوعة العـبيكان، ٢/٥٦٩، ومجلـة العرب السعودية، رمضان ـ شوال ١٤١١هـ / مارس وأبريل (آذار ونيسان) ١٩٩١م.

* * *

١٤- خارجة بن فليح الـمِلَلَيّ (*)

(٤٧)

أ - قال ابنُ الجراح (ت٢٩٦هـ): أخـبرني أحمد بن يحـيى النحوي (ثعلب)، قال: أخبرني عبدالله بن شبيب، قال: حـدثني محمد بن إسماعيل قال: جئت عبدالعزيز بن عمران الرهوي يوما، فلما كنت عند خَوْخَتِه، سمعته يقول: عليّ أيمان البيعة، إن لم يكن أشعرَ الناس، فـدخلتُ عليه؛ فقلتُ: من هذا؟ فقال: خارجةُ المللي، قلتُ: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول (طويل):

١- تخـايلـهـا طَرْفُ السُّـمُــوِّ لِعَـاشِقٍ
هفَـا هفْــوةً ثم اســتــفــاق فــأكْــذَبَا

١- تخايلها: كان يرجيها ويتصور هيأتها. وهفا: حن واشتاق.

المصدر:

الورقــة، ص: ٧٤.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٦٩ ومابعدها، ومجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، جـ ٦٧، ربيع الآخر ١٤١١هـ / تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٩٠م.

* * *

(٤٨)

ب - وقال (طويل):

١- فـهمَّ نيـاطُ القـلبِ إذ نَشَـرَتْ به
بناتُ الهـوى في الصـدر أن يَـتَـقَـضَّـبَـا

١- النيـاط (والجمع أنوطة ونُوط): الفـؤاد ، عـرق غليظ متـصل بالقلب فـإذا قطع مات صـاحبـه. . ونشرت: أهاجت وأثارت وحركت. ويتقضب: يتقطـع. يقول: لما تذكرت المحبوبة باتت عروق قلبي تتقطع حسرة وشوقاً للقائها.

المصدر :

الورقة: ٧٤.

* * *

(٤٩)

جـ - وقال (رمل):

١- ولقـــد قـــالت لأتراب لـهـــا ... كـــالمهـــا يلعبن في حُـــجْـــرتهـــا

٢- : " خُـذْنَ عني الظـلَّ لايُفـزعُني "
ومَـــضَتْ تســـعى إلى قُـــبـــتـــهـــا

٣- بنت عَـــشْـــرٍ لم تُعـــانق رجـــلا ... صُـــوِّرَ البـــدرُ على صُـــورتِـــهـــا

٤- ولقـــد قَـــبَّلْتُ فـــاها قُـــبْلَةً ... كِـــدْتُ ألقى الـلهَ مِـن لذتهـــا

٥- لم تُعـــانق رجـــلا فـــيـــمـــا مـــضى ... طفـلةٌ غـــيـــداءُ فـــي كِلَّتِـــهـــا

٦- لم يطِـشْ سَـهْـمٌ لهـــا قط ومن ... تَرْمِـــه لم يـنجُ من رَمْـــيَـــتـــهـــا

١- الأتراب: الصديقات والخادمات.

٥- الغيداء، وتجمع على الغيد، الناعمة المتثنية من اكتمال لينها وحسنها.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٤٨٤، ومطبوعة بغداد: ٢/ ٢٩٠-٢٩١، ومطبوعة العبيكان، ٦١٥/٢.

* * *

(٥٠)

د - وقال أبوعلي القالي: أنشدنا أبوبكر: أنشدنا عبدالرحمن عن عمه، قال: أنشدنا بعضُ أهل المدينة لخارجة بن فليح المللي (طويل):

١- ألا طَرَقَتْنَا والرفاقُ هُجُودُ فباتَتْ بِعِلاَّتِ النَّوالِ تجُودُ
٢- ألا طرقَتْ ليلى لَقيَّ بين أَرْجُلٍ شَجاهُ الهوى والنأيُ فَهْوَ عَميدُ
٣- فليت النوى لم تُسْحِقِ الخَرْقَ بيننا وليت الخيال المستراتَ يعُودُ
٤- إذًا لأقادَ النفسَ من فَجْعَةِ الهوى بليلى، وروعاتُ الفؤادِ تُقيدُ
٥- كأن الدموعَ الواكفاتِ بذكرِها إذا أسْلَمَتْهُنَّ الجفونُ فريدُ
٦- إذا أدْبَرَتْ بالشوق أعقابَ ليلةٍ أتاك بها يومٌ أغرُّ مَجِيدُ

١- وطرقتنا: راودتنا ليلا. وهجود: نيام. وعلات النوال: مايتلهى به من طيوف الوصال.

٢- لقى: المطروح لهوانه. وشجاه: أحزنه. والنأي: البعاد والفراق. والعميد: الذي هده العشق وحطمه الشوق للمحبوب.

٣- تسحق: تبعد. والخرق: المسافة الواسعة. والمسترات: المستبطأ.

٤- أقاد: اقتص، من قولهم: أقاد القاتل بالقتيل: شفى غله بقتله به.

٥- الواكفات: النازلات بغزارة.. والفريد هنا بمعنى الدر إذا نظم وفصل بغيره، شبّه الدموع به للمعانه وجمال تحدّره على الخدين.

٦- أدبرت: جعلت وراءها. أعقاب ليلة: مايجيء بعد آخرها. والأغر: الحسن والأبيض من كل شيء.

المصادر:

الأبيات في أمالي القالي: ١/ ١٤-١٥، م. الآفاق ببيروت، وحماسة الخالديين: ٢/ ١٨٧.

* * *

(٥١)

هـ - وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري(*) (طويل):

١- أرى البـرق يدنو من يد مُـصْـعَبِـيَّـة
إلينَـا ويذكـو في صَـبـيـر مُنَضَّـدِ

٢- يدٌ عَـوَّدَتْنا أن يروحَ غـمـامُـهـا
علينـا بِنَجـوِ مُـسْـتَـهَلٍ ويَغـتْـدي

٣- بِسَـيْبِ أبى بكـرٍ نفـاد بـدولة
على سـالفٍ من عـيشِنَا غـيـرِ مُـرْغَـدِ

٤- ومـازال مُـولَيّ الـتـحـيـةَ بالندى
ومـازال مـشـفـوعَ الـنَّوَال بموعِـد

٥- إذا هزَّ هـزَّتْهُ عـروقٌ كـريمةٌ
يؤول إليـهـا المجـدُ مـن كل مَـحْـتِـدِ

٦- ترى سُـبُل المعـروف نحـو سِـجَـاله
عَـوامـرَ بالجـادينِ من كـل مَـوْرِدِ

٧- أغـرُّ زبيـريٌّ نَمَـتْـهُ جُـدُودُه
بنو مـالك في بيت مـجـدٍ مُـشَـيَّـدِ

٨- كـأنّ عـلى عِـرْنِينِه وجَـبـينه
شُـعـاعين لاحـا مـن سِمَـاكٍ وفَـرْقَـدِ

٩- له نَسَبٌ بين الزُّبيرِ وهاشمٍ رفيعٌ وصدِّيقُ النبيِّ مُحَمَّدِ

١٠- هو السابقُ التالي أباه كما تلا أبوه أباه ، سيدٌ وابنُ سيدِ

١١- أهابك إجلالا ، وأرجوك للتي تلين بها للراغب المُتَوَدِّدِ

١٢- له لحظة فيها لنا اليُسر بالغنى وأخرى رَمُوق للعدوِ بمرصدِ

١٣- لقد لاذ منه العائذون من الرَّدَى بركنٍ منيعِ السَّاحتين مؤيَّدِ

١٤- له عَطَنٌ رَحبٌ وحوضٌ وفارِطٌ يَعُلُّ وفودا أولِهَتْ بتوفُّدِ

(*) هو أبو عبدالله وأبو بكر مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام المديني عم الزبير بن العوام، سكن بغداد، وحدث بها عن مالك بن أنس، وعبدالعزيز الدراوردي والضحاك بن عثمان وغيرهم، وكتب عنه يحيى بن معين وأبو خيثمة والزبير بن بكار وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهم، وكان ناب قريش ومدرهها شرفاً وبياناً ولساناً وجاها وسلطانا وكانت العرب تسميه راعي المخاض، توفي ببغداد في شوال ٢٣٦هـ. (جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٦٣ ومابعدها، وتاريخ بغداد: ٣/ ١١٢-١١٣، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٤٩ . .).

١- يذكو: يشتد. والصبير: السحاب الأبيض الكثيف. والمنضد: الذي ضم بعضه إلى بعض متسقا أو مركوما.

٢- الغمام: السحاب والقصعة منه، وهو هنا الخير. والنجو: السحاب الذي به بريق المطر. والمستهل: المنهل، الذي اشتد انصبابه مع صوت.

٣- المرغد: المخصب الذي صار في رغد العيش واتساعه وهناءته.

٤- المولى: الذي أولى عليه. والمشفوع: المقبول.

٥- يؤول: يصير، والمحتد: الأصل.

٦- السجال: جمع سجل، وهو الدلو العظيمة فيها ماء قل أو كثر، وهي هنا بمعنى العطاء. والجادين: معطي الجدوى وهي السخاء والكرم.

٧- بنو مالك، هنا: مالك بن نصر بن كنانة، يقصد قريش.

٨- العرنين: الأنف كله أو ماصلب منه. ولاحا: ظهرا. والسماك: كوكب نير. والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به.

٩- النسب الرفيع: العريق.

١٢- الرموق: التي تطيل النظر وتديمه حسداً وعداوة.

١٣- العائذون: المستجيرون. الردى: الفقر، الموت.

١٤- العطن: مبرك الإبل. والفارط: هو الذي يقدم الواردين إلى الماء، ليعد لهم السقاء. ويعل: يسقيهم مرة بعد مرة. وأولهت: أغرمت. والتوفد: التسابق على الورود.

المصادر:

الأبيات كلها في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٧٠-١٧٢ والأبيات (٨, ١٠, ١١) في مجالس ثعلب: ١/ ٢٣٥، و ٨-٩ في ربيع الأبرار، ٤/ ٤٢٧.

الرواية:

رواية الحادي عشر بالمجالس: (.. تلين بها للراغب المتردّدِ).

* * *

(٥٢)

و - وقال أبو علي الهجري: وأنشدني أبو الحسن إبراهيم بن يوسف بن عيسى ابن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر لخارجة ابن فليح المللي، في محمد بن جعفر جده المذكور هاهنا (طويل):

١- ألا هل من البين المُشتِّ مُجِيرُ ؟ ... وهل لِلّيالي السالفاتِ عكُورُ ؟
٢- لقد صدَعتْ بين القرينين بغتةً ... نوىً يوم جرعاء الرِّماضِ ـ هَجُورُ
٣- ففي كَبدي ياليْلَ من فَجْعةِ النوى ... نوائبُ وحْيٍ بينهن فُطُورُ
٤- يُميت المنى شوقي مرارا وللهوى ... بشوقي من أحداثهنّ نُشور
٥- غَريبٌ عِداويٌّ يكاد فُؤادُه ... إلى أهل جلسيٍّ البلاد يطير
٦- غريب له قلب يحنُّ صبابةً ... وعينٌ بأسراب الدموع دَرُورُ
٧- وإني لعينٍ أسعدتني بدمعها ... وقلبٍ مَراهُ شوقُهُ لشكُورُ
٨- ولي روعةٌ عند الإيابِ وزفرةٌ ... لها تحت أحناءِ الضُّلوعِ سَعِيرُ
٩- خليليّ ماالليل باتت نجومُه ... رواكدَ ما يُسْرى بها فتغُورُ ؟!
١٠- أظن الليالي زدن طُولاً على ... يطول عليه الليلُ وهْوَ قصِيرُ

١١- سقى هَضَبَاتِ الفَرْش كُلُّ مُجلجلٍ … لَهُ نَضَـدٌ مـن مُـزْنِه وصَبِـيرُ
١٢- وعـادَ بأرضِ الجعـفـريينَ رائحٌ … هزيمٌ ومُنْهَلُّ الغَـمـام بـكورُ
١٣- هُناكَ بنُو الطيارِ في الغُرَفِ العُلَى … وُجُـوهٌ عليـهـا نَضْـرةٌ وسُـرورُ
١٤- لهم غُـرَرٌ تحت الدُّجَى جعفـريةٌ … لهـا تحتَ جلْبـاب الظلام زُهورُ
١٥- ثرى أرضهم من وقْعِ أقدامهم بها … ومسِّ الجبـاه الساجـدات طهـورُ
١٦- لَهُم نَسَـبٌ لو يُستـلان بحـقّـه … ذُرَى الصَّخْـرِ ظَلَّتْ صُمُّهُنَّ تَمُورُ
١٧- دعـوتُ لنكْباتِ الزمـانِ مُحمـدا … وقـد هِيض عَظْمُ الجُود فَهْوَ كَسيرُ
١٨- فَلَبَّى وأنشـا مُـزنةً مـن نَوالهِ … لَهَا عَارِضٌ جَمُّ السِّجالِ مطيرُ
١٩- لَهُ شِـيَمٌ فـيـهَـا أنـاةٌ ونائلٌ … عتيـدٌ وفيـهـا للنكيرِ نكيـرُ
٢٠- تلاقَتْ عليـهِ بالمكارِمِ منـهمُ … بُطونٌ نَفَتْ عنه القَـذَى وظُهُورُ
٢١- تلاقت عليـه أمـهـاتٌ حَوَاضِنٌ … ··· في الكرام فَـخُـورُ!!
٢٢- يمانيـةُ الأنسـاب أو مُضَـرِيَّةٌ … تخيّـرهـا من سالفيـه عـشيـرُ
٢٣- مُلكْـنَ بعـقـد الخاطبين وإنما … دَعَـاهُنَّ مَجْـدٌ ثاقبٌ ومُهُـور
٢٤- بعَلْيَاءَ تجري الشمسُ دون فروعها … ويقـصُـر عنها الطرف وَهْوَ حَسيـر
٢٥- بحيث استوى نجم السماء وبدْرُها … هناك لـهم مَجْـدٌ أشمُّ فَخُـور
٢٦- فتىً عَلِقتْ كَفِّي بأسبابِهِ التي … أغارَ عليـهـا بالسماحِ مُغيـرُ
٢٧- هناك لـه بين النبيِّ وجـعـفـرِ … وبين علـيٍ مَـعْـقِلٌ ومَصِيـرُ
٢٨- ورثتَ يمين الجود جودِ ابنِ جـعفر … فـأنت له في الغَـابرينَ نظيـرُ
٢٩- وحـرَّمْتَ (لا) يابن النبيِّ فلفظُهـا … لبـاغي الندى عِبءٌ عليك كَبِيـرُ

١- المشت: المفرق المباعد. العكور: الرجوع والانصراف.

٢- صَدَعت: شقّتْ وفرّقت. والقرينين: تثنية: قرين وهو المقارن أو المصاحب الملازم.

٢- الوحيُ: الكتاب أو المكتوب، والكلام الخفيّ. الفُطُور: الشقوق واحدها: فَطْر.

٤- نشور: بعث وتوقد وحركة مستمرة.

٥- عداوي: نسبة إلى عِداء مزينة قبيلته. وجِلْسيّ: جبل مما يلي عليا أسد وعليا غطفان.

٧- مراه: استدره، وربما كانت (براه) بمعنى أضعفه وجعله رقيقا شفافا.

٨- الزفرة: التنفس مع مد النفس الحار. والروعة: الفزعة. وأحناء الضلوع: جوانبها.

٩- تغور: تغيب وتزول.

١١- الفرش: من ملل وهو الموضع الذي يُنسب إليه الشاعر نفسه، وقال المرحوم الأستاذ الرفاعي إن الفرش والفريش لايزالان معروفين بهذا الاسم حتى اليوم، وكان الفريش على الطريق القديم للسيارات بين مكة والمدينة وقد مررتُ به، وهو على مقربة من المدينة المنورة (مجلة العرب، ذوا القعدة والحجة ١٤١٠هـ).

والمجلجل: السحاب الراعد المطبق بالمطر، والنضد: السحاب المتراكم والعز والشرف. والصبير: مفرد صبراء وهو الكفيل ومقدم القوم في أمورهم، وأصله السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجات.

١٢- الهزيم: صوت الرعد، كأنه يتكسر، أو الرعد نفسه. والغمام: السحاب الكثيف المياه.

١٣- النضرة: النعمة والحسن والجمال.

١٤- الغرة: أول الشيء وأكرمه. والزهور: النور.

١٦- يُستلان الشيء: يُطلَب لينُهُ. وتمور: تتحرك وتجيء وتذهب وتتردد.

١٨- أنشا: أنشأ، واضطر الشاعر لتخفيف الهمزة. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. جم السجال: كثير الخير والعطاء والبركة.

١٩- الشيم: المكارم. والنائل : الفضل والعطاء. والعتيد: الحاضر والمهيأ. والنكير: الصعب.

٢٠- القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة وغيرها.

٢٢- العشير: جمع العشراء، وهي القبيلة، أو القريب والصديق، أو زوج المرأة أو المرأة نفسها وربما كان للأخيرين، هنا، أقرب من الأولين.

٢٣- المجد: العز والرفعة والشرف الرفيع.

٢٦- في الأصل: (أغار (قواها) بالسماح مغير)، ولعل الصواب ما أثبتُه، وهو ما رجحه الأستاذ الرفاعي.

٢٧- المعقل: الحصن الثابت الأركان والدعائم.

٢٩- باغي الندى: مرجيه وطالبه.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، الهندية، ص : ١٢١، وط. العبيكان، ٢/ ٦١٤-٦١٥.

* * *

(٥٣)

ز - وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب (بسيط):

١- بين البـــــروج أبو بـكر ووالـدُه ... حيث استوى فوق طرف الناظرِ القَمَرُ

٢- في منزل بين مضحى الشمس مُعْتَدِلٍ ... ومـخفق النَّجمْ يعـشـو دونه البصـرُ

٣- أنت الإمـام الـذي بالبرّ نعـرفُـه ... اعْـتَـامَــهُ لدوام النعــمـة القــدرُ

٤- يومـاك : يوم ، تعم الناس رأفتُـه ... ويوم حُكـم لدينِ اللـهِ مُنْتَــصِــرُ

٥- كم من يدٍ لك لاتبلـى صنيـعتُـهـا ... مَـرْهوبَة الشَّـدْي معـلولٍ بها الـبَشَـرُ

٦- تُضـحى لديك جنودُ الرأى عـاكفـة ... يعـتـامـهـا عكر مـن خلفـهـا عكَرَ

٧- تسمو بك الأرضُ عُلْوا في مناكـبها ... حـيث انتـحى بك من أقـطارها قُطَرُ

٨- أكـرِمْ بأولِكم في الـناس من سَلَفٍ ... والآخـرين إذا مـاعُـدّت الأُخَـرُ !!

٩- إن يسـبـقـوك ـ أبا بـكر ـ بأُسِّـهِمُ ... تحت البناء فـقـد شيَّـدتَ مـاعمـروا

١٠- مُـرَفَّـهُ الشَّأْو سـبَّـاقٌ على مَـهلٍ ... مُسـتحصـدُ الرأي لا كهل ولا غَـمِرُ

١١- مـستـعجم عـن أذاة القوم مَنْطِقُـه ... مـسـتـسـمع القـولِ لا عَيٌّ ولا هَذِرُ

١٢- مـدَّ الزبيـرُ لَهُ بـاعـاً على شَـرَفٍ ... مُطَهَّـرَ البـيت والـقُطَّانُ قـد طَهُـرُوا

١٣- ماتدلُـكُ الشمسُ إلا حذو منـكبه ... في حومـة تحتـها الهـاماتُ والقـصرُ

١٤- آلُ الزُّبَيْـــرِ نجــومٌ يُسـتنار بهـــا ... إذا دَجَـــا الليلُ من ظـلمـــائه زهرُوا

١٥- قوم إذا شومسـوا لجَّ الشّماسُ بهم ... ذَاتَ العنـاد وإن ياسَـــرْتَهُمْ يَسَـرُوا

١٦- خُـصَّ المـديـحَ أبا بـكـر ووالـدَهُ ... وعمـهم مِنْكَ إن غَابُوا وإن حَـضَرُوا

١- يعشو: لا يبصر.

٣- اعتامه: اختاره.

٥- مرهوبة الثدي: كذا بالجمهرة، وذهب الأستاذ شاكر إلى أنها ربما كانت: مربوبة الثدي كأنه من قولهم رب المكان: إذا لزمه. وقرر الأستاذ الرفاعي (مجلة العرب، ذوا القعدة والحجة ١٤١٠هـ) إلى أنها ربما كانت (مرغوبة الثدي). المعلول: الذي أسقي ثانيا أو تباعا.

٦- العكر: صدأ السيف، وهو من كل شيء : خاثره، ويقصد بها هنا: الاختلاط والالتباس.

٧- القطر: العود الذي ينحر به.

٩- الأُس والأَسَسُ والأَس: أصل البناء ومبتدأ كل شيء.

١٠- المرفه: المنعم، طيب العيش. والغمر: الجاهل عديم الخبرة.

١٣- تدلك الشمس دلوكًا: تغرب وتصفر وتميل للغروب، وتزول عن كبد السماء. والقصر: جمع قصرة، وهي أصل العنق.

١٤- زَهَر السراجُ أو القمرُ: تلألأ وازدهر.

١٥- شامسه مشامسة: عاداه وعانده. وياسرتهم: لاينتهم ولاطفتهم.

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/١٦٩, ١٧٠ و (١٢-١٥) في مجالس ثعلب: ١/٢٣٥، والورقة: ٧٤-٧٥ والثالث عشر في اللسان، (دلك، وقصر) والرابع عشر فيه، مادة (زهر) وفي الدر الفريد، ١/٢٠٣، والخامس عشر، في مادة (شمس) بدون نسبة في جميعها.

الروايات:

١- رواية الثالث عشر بمادة (قصر) من اللسان.

(لاتدلك الشمس إلا حذو منكبه) وفي (دلك): (في حومة دونها الهامات والقَصَرُ).

٢- والرابع عشر بمادة (زهر) :

.... (إذا دجا الليل من ظلمائه زهرا)

٣- الأخير بالورقة، ومجلة العرب (ذوا القعدة والحجة ١٤١٠هـ):

(خُص المديحُ أبا بكر ووالده).. بالبناء للمجهول.

* * *

(٥٤)

ح - وقال يمدح عبدالله بن مصعب (طويل):

١- دعانا لعبدالله والدهرُ باسط … علينا جناحَ البؤسِ والجودُ عاثرُ
٢- تواتُرُ أخبار يَرِدْنَ بحمده … علينا وللمعروف والنُّكْرِ آثرُ
٣- فإني لِمَا أوليتَني يا بنَ مُصْعَبٍ … يداً بعد أيدٍ مُنعمات لَشَاكِرُ
٤- وإنك والحيّ الذي أنت منهمُ … لكالبدر حفَّته النجومُ الزواهرُ
٥- ويسمو بكم مجدُ الزبيرِ وفخرُه … إذا عُدِّدَتْ عند النفارِ المآثرُ
٦- وتسطع منه غرةُ الفجرِ فيكمُ … فتُغْضي لَهَا عنكَ العُيونُ الشوازرُ
٧- فإن يكُ قومٌ قوّضوا عرشَ مجدكُم … فَقَدْ رَبَّ مَجْداً أولاً منك آخرُ
٨- رأيتُكَ تسمُو للمكارِمِ والعُلا … فلا زاهقٌ عنها ولا أنتَ قاصِرُ
٩- وتعلو بك الأيامُ للذروةِ التي … لها كَنَفٌ يأوى إليه المعاشِرُ
١٠- لكم منكباها حيث قرَّ قرارُها … وفرعُكَ منها أيمنٌ متياسِرُ
١١- وجادت يداك المستهلُّ نداهما … فأغنى وأقنى سَيْبُكَ المُتَظَاهِرُ
١٢- فلا مجدَ إلا منكمُ فيه أوّلُ … ولا مجدَ إلا منكُم فيه غابرُ
١٣- ولا حربَ إلا قد قرعتُمْ كماتَها … عليها بكم كانت تدور الدوائرُ
١٤- لَعَمْرُك ، ماسُدَّتْ عليَّ مواردي … لديك ولا ضاقت عليَّ المصادرُ

١- العاثر: الذي زل وكبا.

٢- تواتر: تتابع مع فترات بينها.

٦- الشوازر: من الشزر، وهو النظر بغضب وضيق بمؤخر العين.

٧- قوضوا: هدموا. ورب المجد: ساسه أو جمعه.

٨- الزاهق: الباطل والهالك المضمحل. والقاصر: العاجز، الناقص الذي لم يبلغ الحد.

٩- الكنف: الجانب والظل والحرز والصون. والمعاشر : الجماعة والأهل.

١٠- قر: ثبت ورسخ.

١١- المستهل: المنهل المتساقط. وأقنى : أرضى. والسيب: العطاء.

١٢- الغابر: الماضي والباقي.

١٣- قرعتم كماتها: من قرع الباب بمعنى دقه ونقر عليه، أي خاضوها بقوة وشراسة. وتدور الدوائر: تقع الكارثة والهزيمة الكبرى.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٣٥.

وذهب الأستاذ محمود شاكر إلى أن البيتين التاليين بعدُ من هذه القصيدة، وأيده في مذهبه الاستاذ الرفاعي، ولا أرى ذلك بعيداً عن الصواب.

* * *

(٥٥)

ط - وقال لبني مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير (طويل) :

١- بني مُصْعَبٍ أنتم خيارُ خيارِنَا ... أكَابِرُنا والمعقِبُون الأصَاغِرُ

٢- بَهَالِيلُ قوَّامُونَ بالقِسْطِ بيننا ... لكم خُطَبٌ تهتزُّ مِنْهَا المَنَابِرُ

١- المعقبون: المخلفون.

٢- البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الجامع لصفات الخير. وقَوّامون بالقسط: عُدول.

المصادر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٢٢.

* * *

(٥٦)

ي - وقال يصف الظعن (طويل):

١- لقد ظعنَتْ في رَبْرب شَابَهَ الدُّمى رقـاق الثنايـا واضـحـاتِ المحـاجـرِ
٢- ويُسْـفِرْن للسـاري إذا جَنَّ ليلُهـا سَـبِيـلَ المطايا بالوُجُـوهِ الـسَّـوافِـرِ

١- ظعنت: سارت ورحلت. والربرب: الجماعة. والمحاجر: جمع محجر، وهو ما دار بالعين.

٢- يسفرن: يكشفن. والساري : السائر ليلاً. والسوافر: الواضحات.

المصدر:

التذكرة السعدية: ٣٤٢.

* * *

(٥٧)

ك - وقال يصف حنينه (طويل):

١- أحِنُّ إلى ليلى وقـد شطَّ ولْيُـهـا كـما حَنَّ مَـحْبُـوسٌ عن الإلف نَازِعُ
٢- إذا خَـوَّفَـتْني النفـسُ بالنأى تارةً وبالصَّـرْم مـنهـا أكـذبتْـهــا المطامعُ
٣- أكلَّ هواكِ الطَّرْفَ من كُلّ بهـجةٍ ومَـسَّـتْ عن الدَّاعِي إليـهـا المسـامعُ

١- شط: بعد. والوَلْيُ: القـرب والوصال. والإلف: الصديق المؤنس. والـنازع: الغريب الذي يحن إلى وطنه.

٣- أكل: أحاط به فصيره كليلا وأعياه. والطرف: العين.

المصدر:

أمالي القالي: ١/٢٢٣ ، ط. الآفاق. الأبيات الثلاثة. و (١، ٢) في سمط اللآلي: ٥١٥-٥١٦.

* * *

(٥٨)

ل - وقال ابن الجراح: ومن قول خارجة أنشدنيه ابنُ أبي خيثمة عن مصعب والزبير بن بكار(*) (طويل):

١- ثَنَتْ طرفَهَا نَحْوَ المطيِّ صَبَابَةً ... إليَّ فكاد القلبُ أن يَتَصَدَّعا
٢- أقامتْ فطابتْ تُرْبَةُ الخَيفِ إذ ثَوَتْ ... به بعد تعريفِ المُعرَّف أربعا
٣- وطاب حجابُ المروتين بنشرها ... ومتنُ الصفا الشرقيّ حتى تضوَّعَا
٤- وما نلتُ مِنْ ليلى وفاءً بعهدها ... ومانلتُ منها العهدَ إلا تَضَرُّعا

(*) هو أبو عبدالله الزبير بن بكار حفيد ابن العوام (ت٣٦هـ) ، قاضي مكة ، وصاحب التصانيف المتعددة ، كان أخباريا ونسابة وشاعرا ، أشار ابن النديم إلى مؤلفاته في الفهرست: ١٦١ ، وأهمها الموفقيات ، وجمهرة نسب قريش وأخبارها ، له ترجمة في الوفيات: ١/ ١٨٩ ، وتاريخ بغداد: ٤٥٨٥، توفي (٢٥٦هـ).

١- يتصدع: يتحَطَّم.

٢- ثوت: أقامت ، مكثت. وتعريف المعرف: وقوفه بعرفات.

٣- الخيف والمروتان ، والصفا: من منازل الحجيج والمعتمرين. تضوع: انتشرت رائحته.

٤- التضرع: التذلل والاستكانة.

المصدر:

الورقة ص: ٧٥.

* * *

(٥٩)

م - وقال يصف حنينه (طويل):

١- أشـوقـاً ولمَّا يَسْلك البينُ مـسلكاً فمـا أنتَ إن شقَّتْ عصـا البينِ فَاعِلُ
٢- هنـاك يحـن القـلبُ حَـنَّةَ والـه ويَسْـتنُّ مُـرفَـضٌ مِنَ الدَّمع هَـاطِلُ
٣- وإن عَنَّ لي بالـليلِ ذكْـرُك عَنَّةً هفـوتُ وشـاقَـتْني الرسـومُ المواحِلُ
٤- وأقنعُ من ليـلى بأصـقـاب دارها وأُخْـدَعُ فـيـهـا بالمنـى وهْي باطِلُ

١- البين: الفراق.
٢- الواله: اسم الفاعل من الفعل (وَلِه) كوَرِث يَرِث ، ووَجِل يَوْجَلُ. ولَهًا : حَزِن حُزنًا شديداً حتى كاد يذهب عقله ، أو تحير من شدة الوجد. ويستن: ينصبّ. والدمع المرفض: السائل المتفرق.
٣- عنَّ: لاح وظهر واعترض. وهفوتُ: اشتقت ، حننتُ. وشاق: هاج. والرسوم المواحل: بقايا الديار المجدبة اليابسة.
٤- الأصقاب: الأعمدة الطويلة في وسط الدار.
المصدر:
الحماسة البصرية ، بيروت ، ٢/ ١٩٠.

* * *

(٦٠)

ن - ومن قوله (وافر):

١- فـقـد جـعلـتْ دواوينُ الغـواني سِـــوى ديوانِ لـيلـى يمَّحـــينَا

١- الغواني: جمع غانية ، وهي هنا: المرأة الغنية بحُسنها وجمالها عن الزينة .
المصدر:
الورقة: ٧٥.

١٥- زينب بنت عرفطة (*)

(٦١)

روى أبو الفرج بسنده أن أبا وجزة السعدي (ت١٣٠هـ) تزوج زينب بنت عرفطة المزنية فولدت له عبيدا، وكانت قد عنست، وكان أبو وجزة يبغضها، وإنما أقام عليها لشرفها، فقال لها ذات يوم شعراً يهجوها، فقالت زينب تجيبه (رجز):

١- أعطى عُبَيْداً من شُيَيخٍ ذي عَجَرْ
٢- لا حسنِ الوجهِ ، ولا سمحٍ يَسَر
٣- يشرب عُسّاً المذْقِ في اليوم الخَصِرْ
٤- كأنما يقذف في ذات السُّعُرْ
٥- تقاذُفَ السيلِ من الشِعْب المُضِرْ

١- ذو عجر (بالتحريك): ذو بطن عظيم.
٣- المذق: اللبن المخلوط، والخصر: البارد.
٤- السعر: حر النار.
٥- الشعب: مسيل الماء في بطن الأرض. والمضر: الداني القريب ، يقال: سحاب مضر ، وأضر السيل من الحائط: دنا منه.

الأعلام:

(*) الباب الأول ، الفصل الثالث، ص: ١٧٧ .

المصدر:

الأغاني ، دار الثقافة: ٢٤٦/١٢، ٢٤٧، ومع الفقهاء الشعراء وأخبارهم ، ١١٣ .

* * *

١٦- شبيب بن عقبة بن كعب

(٦٢)

أ - قال (طويل):

١- رعى اللهُ دهرًا أخرس العذلَ عُذرُهُ وشَرَخَ شـبابٍ لم يشُبْ صفـوه كُدْرُ
٢- أنال المُنى فــيــه بغــيــر مــلامــةٍ ولا لوم في شـيء إذا وضح العُــذْرُ
٣- إذِ العــيشُ حُلو والحــيــاة لذيذة وإذ نحـن لا ندري بما صـنع الـدهرُ

المصدر:

المختار من شعر بشار ، ٣٣٠ - ٣٣١.

* * *

١٧- عبدالله بن عمرو بن أبي صبح (*)

(٦٣)

أ - قال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري (**) (طويل):

١- إذا شئْتَ يوماً أن ترى وجْهَ سابقٍ بعيد المُنى ، فانـظرْ إلى وجهِ مُصْعَبِ
٢- تَرَى وَجْـهَ بسَّــام أغـرَّ ، كـأنما تفـرَّج تاجُ المُلكِ عن ضُـوءِ كَـوْكَب
٣- فَتىً همُّه أن يشتري الحَمْدَ بالندى فـقـد ذهبتْ أخــبـارُه كُلَّ مـذهبِ
٤- مُـفــيـدٌ ومـتـلافٌ كَــأنّ نَوالَه علـينا نجَــاءُ العــارضِ المُتَنـصِّبِ

٢- الأغر: الحسن والأبيض من كل شيء، وتفرج: تمخض وانكشف وتجلى.

٣- الندى: الكرم والجود والسخاء.

٤- النوال: السيب والعطاء. والنجاء: جمع نجو، وهو السحاب الذي صب ماءه وقيل: هو السحاب أول ما ينشأ. والعارض: السحاب المعترض في الأفق. والمتنصب: القائم المنتصب المرتفع.

الأعلام:

(*) الباب الأول ، الفصل الثالث ، ص: ١٧٢ ومابعدها.

(**) هذا الملحق ، ص: ٥٥١.

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٣ ، وتاريخ بغداد: ٢/ ١١٣ ، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥٠.

الروايات:

١- رواية الثاني في تاريخ دمشق: (يفرج تاج الملك عن ضوء كوكب).

ورواية الأخير فيه: (علينا بحار العارض المتنصب).

وروايته في تاريخ بغداد: (علينا نجاء العارض المتصبب).

* * *

(٦٤)

ب - وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري (طويل):

١- لعمرك ، إن المنتمي بابن مصعبٍ   لمعتدلُ المجراة جزل المواهبِ

٢- وإن امرأً بين الزُّبيرِ إذا انتضى   وبين أبي بكرٍ لَمَحْضُ المَضَارِبِ

١- المنتمي: المنتسب والمعتزي. معتدل المجراة: على طريق مستقيمة. وجزل المواهب: أجزل الله له الأعطيات والمكارم وأكثر الهبات.

٢- يريد أنه نسل من جدين شامخين هما: الزبير بن العوام ، جده من جهة آبائه ، والصديق: أبوبكر جد عبدالله بن الزبير لأمه. ومحضُ المضارب: عظيم جذور النسب ، أصيلها وعريقها.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها : ١/ ١٤٢.

* * *

(٦٥)

جـ - وقال يرثي عبدالله ومحـمدًا ابني مصعب بن ثابت، مخاطباً أبا بكر ابن عبدالله بن مصعب (بسيط):

١- قل للأمـيـرِ جــزاهُ اللهُ عَـارِفَـةً | وأهلِ وُدّي جَـمِـيـعًـا من بني أَسَـدِ
٢- : " إني نذرتُ إنِ الرحمنُ سلَّمَني | حـتى أقومَ صـحـيحـاً غيـرَ ذي أَوَدِ
٣- مـشـيـاً بحـقـكمُ ، حـتى أؤديَهُ | هل يُـبْـرِدَنْ ذاكَ من حَـرٍّ على كبَـدِي
٤- أو يُنْشِـرَنْ ذاكَ عـبــدَالله لي أبداً | أو يُنشِــرَنْ لـي أخـاه آخــرَ الأَبَدِ
٥- إن يشمتِ اليـومَ حُسَّادي بموتهـما | فَـقَدْ يموتُون قـبلَ اليـومِ من حَسَـدِي
٦- وقـد أرانـا وعـبــدُالله يَحْـمِلُنا | كَـحَامِلِ الـغَيْثِ بين الغَـوْرِ والنُّجُـدِ
٧- فإن جـزعتُ فمثل الشـرِّ أجزعني | وإن صـبْـرتُ فـأدنى لي إلى الرَّشَـدِ
٨- وإن شكرتُ فـقـد أبـقى الإلهُ لنا | خــلائقًـا من بـنيـه ثُـبَّتَ العَـمَــدِ
٩- إن يُعـقبِ اللهُ يومًا من مُـصِيـبَتِـهِ | فـبـالأمـيـر ، وإلا لجَّ بِي كَـمَـدِي

١- العارفة: (والجمع: عوارف): المعروف والخير وبنو أسد هم رهط بني الزبير.
٢- الأود: العوج والعلة والمرض.
٤- نشر الميت: بعثه من مرقده.
٦- الغور: ما انحـدر واطمَأن من الأرض. والنجد: (جمع نَجْد) وهو الـطريق المرتفع، أو كل ما أشرف من الأرض وارتفع.
٧- الجزع: عدم القدرة على الصبر وإظهار الحزن والهم.
٨- الثبت: (والمفرد ثابت وثبت): الأقوياء الشامخون الذين لا يتزعزعون.
٩- يُعقب: يُخلف. لجّ: تمادى وازداد. والكمد: الحزن والغم الشديد.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢٥٢، ٢٥٣.

* * *

(٦٦)

د- وقال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب، حين أجمع السير إلى اليمن (١٧٥هـ) لميعاده مصعبا أن يطلع أهله، ثم يأتيه بصنعاءَ (طويل):

١- تقُولُ ابنةُ الزَّيديِّ : أصبحتَ وافدا ... علـى مَلِكٍ ، أيَّ المُلُوك تُريدُ

٢- فقُلتُ لها : مُستَوْرِدٌ حَوْضَ مُصْعَبٍ ... فَقَالَتْ : وأنىَّ والمَسيرُ بَعيدُ ؟

٣- فَقُلتُ لها : لو كنتُ في سجن (عارم) ... بدمياط قَدْ شُدَّتْ عليَّ قُيُودُ

٤- لَسَارَتْ إِلَيْه مِدْحَةٌ مُزَنِيَّة ... يلَذُّ بها في المُنْشِدينَ نشيدُ

٥- أرى الناسَ فاضُوا ثم غاضُوا ومُصْعَبٌ ... على العهد يَغطي بَحْرُه ويزيدُ

٦- إذا صدرَتْ بالحمد عن حَوْضِ مُصْعَبٍ ... وُفُودٌ وحلَّتْ بعد ذاك وفُودُ

٧- تهلّل فيَّاضَ الندى عاجلَ القِرىَ ... إذا انهلَّ وهْناً قِطقِطٌ وجليدُ

٨- أقولُ لُمغتاظٍ عليَّ كأنما ... بلَبَّتِه حامي السَّنان حديدُ

٩- : " تبَّردْ بعيبي في الخلاء فإنه ... نفى العيْبَ عني مَشْهَدٌ وجُدُودٌ

١٠- وبغرة أملاك تَنَجَّيْتُ نوءها ... فأسقيتُهَا ، والحاسدون شُهودُ

١١- تَعَلَّلتِ الحُسَّادَ منها زَمَانةٌ ... فلم يبق إلا أن يَموتَ حَسُودُ

٢- مُستورد الحوض: الصائر إليه والقاصده.

٣- سجن عارم: قال ياقوت في معجمه: ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف (٤/ ٦٦).

٥- الفيض: الكثيرة والسيلان بوفرة والغيض عكسها، وغطى الماء يغطى: كثر وزاد.

٦- الصدور (عكس الوفود والحلول): الرجوع عن المكان وإليه.

٧- تهلل: تلألأ. القرى: الضيافة. والقطقط: صغار البرَد.

٨- اللبة: موضع القلادة، مأخوذ من لب الشيء، أي خالصه وخياره. والسنان: والجمع أسنة: نصل الرمح.

٩- تبرد: ابترد الماء: صبّ باردًا أو شربه ليبرّد كبده. وتبرّد فيه : استنقع. والمشهد (الجمع مشاهد): محضر الناس ومجتمعهم.

١٠- البغرة: قوة الماء. تنجيت: من النجو: وهو السحاب أوَّلَ منشئه. يريد: تطلب غيثها وحَيَاها.
١١- الزمانة: العاهة وعدم بعض الأشياء وتعطيل القوى والآفة والبلاء.

المصدر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١١، ٢١٢، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥٢.

* * *

(٦٧)

هـ - وقال يمدح عبدالله بن مصعب الزبيري وابنه أبا بكر (البسيط):

١- أكرمْ بذي شرف ألْفى مكَارمَهُ ... فوق الثريَّا، فَعَلَّى فوق ماوَجدا !!
٢- ذاك ابنُ مصعبِ المُوفي بذمَّته ... أعطى الجزيلَ وأوفى كُلّ مَاوَعَدا
٣- من فتيةٍ صَبَرُوا في كُل نائبةٍ ... حتى نَفَوْا عنهمُ ما عَابَ فانتُقدا
٤- بيضٌ بهاليلُ سيما المُلك شاملُهم ... لا يسأل الناسُ عنهم من هُمُ أبدا
٥- إن أمْتَدحْكُمْ فقد جلَّتْ صنائعُكم ... مجرى المديحِ، وقد راخيتُم الأمدا
٦- قد رِشتُموني فهذا ريشكُم خَضِلٌ ... بادٍ عليَّ وقد أنعمتمُ رغدا
٧- إن الحواريَ والصدّيقَ وابنَهُما ... وابنَ الربابِ بَنَوا بُنيانكم صُعُدا
٨- ثم الأميران شدَّاً عَقْد عُروتكم ... ولا سبيلَ إلى حَلِّ الذي عقدا
٩- نعم الأميرانِ بكار ووالده ... ما أشرف الوالدَ الميمونَ والولدا !!
١٠- المالئان بعدل اللهِ قَبْضَتَه ... والمُصلحانِ بإذن اللهِ ما فَسَدا
١١- والحافظانِ لما أوصَى الإلهُ به ... من حق ذي الحق إن غابا وإن شهدا
١٢- والصادران معا عن كل ما تركا ... والواردانِ جميعاً كلَّ ما وردا
١٣- والطاعنان صُدُورَ الخيلِ مُقبلةً ... والضاربان إذا غاب القَنا قَصَدا
١٤- أعززِ بمن كان عبدُالله ناصرَه ... ومن يكون أبو بكر له عَضُدا !!

٢- الذمة: العهد والأمان. والجزيل: الكثير من الشيء.

٣- النائبة: المصيبة. ونفوا: طردوا، ويقال: انتقد الدراهم وغيرها : أخرج الزيف منها.
٤- البهاليل : جمع البُهلُول، وهو السيد الجامع لكل خير. والسيما: العلامة. وشاملهم: محيط بهم.
٥- راخيتم: أطلتم أمد البناء.
٦- رشتموني: أحسنتم إليَّ وأصلحتم حالي بالإكرام والرعاية. والريش الخضل: الحي المتنامى. والبادي: الواضح الظاهر. والرغد: الواسع الطيب.
٧- الحواري: الزبير بن العوام (رضي الله عنه). والصعد: العالي الشامخ.
١١- شهد: حضر.
١٢- الصادر: المبتعد والمتجنب والوارد: عكسه.
١٤- العضد: الساعد والمعين.
المصدر:
جمهرة نسب قريش: ١/ ١٤١, ١٤٢.

* * *

(٦٨)

و - حدث الزبير بن بكار قائلاً: كان أبو غزية(*) كثيراً ما يجلس إليَّ، فجلس إليَّ ليلة، بين المغرب والعشاء الآخـرة، في مسجد رسول الله ﷺ وهو إذ ذاك قاضٍ، فتحـدثنا إلى أن ذُكر الشعر، فقال: ابن أبي صـبح المزني أشعرُ الناس، حيث يقول لعمك (مصعب بن عبدالله) (طويل):

١- فـما عـيشُنَـا إلا الربيعُ ومصـعبٌ ... يدُور عـلينا مُـصـعـبٌ ، ويدُورُ
٢- وفي مصعب إن غبَّنا القطرُ والنَّدَى ... لنـا ورَقٌ مُـغْـرَوْرَقٌ وشـكيـرُ
٣- متى مـا يَـرَ الراؤونَ غُرَّةَ مُـصْعبٍ ... يُنيـر بهـا إشـراقُـه فـينيـرُ
٤- يروا مَلِكـاً كـالبـدر ، أمـا فِنَاؤه ... فـرحبٌ ، وأمـا قـدرُهُ فكـبيـرُ
٥- له نِعَمٌ مـن عَـدّ قَـصَّـرَ دُونهـا ... وليس بهـا عـمـا يُـريد قُـصُـورُ

٦- عَدَدْنا فـقصَّرْنـا ، ومدّت فأكـثرت فَـقُلْـنا : كـثـيـرٌ طَيِّبٌ وكـثـيـرُ

٧- لعمري ، لئن عَدَّدْتُ نَعماءَ مُصعبٍ لأشـكُـرَهـا إنـي إذاً لـشَـكُـورُ

٢- يقال: غب غباء وغبا: جاء زائرا بعد أيام. ويقال: اغرورقت العين: دمعت، كأنها غرقت في دمعها. وقال الأستاذ/ محمود شاكر: ربما كانت (معرورف) بالفاء، يقال اعرورف النخل: كثر والتف. والشكير: ماينبت في أصول الشجر الكبار، وهو أيضاً صغار النبت والريش والشعر بين كباره، ولحاء الشجر.

٣- القصور: النقص.

الأعلام:

(*) هو محمد بن موسى الأنصاري من بني النجار، تولى قضاء المدينة للمأمون (ت٢١٨هـ) وكان هذا القاضي من أهل العلم، وروى عن مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، ولكنه كما يقول الأستاذ محمود شاكر بهامش الجمهرة: ١/ ٢١٢: ضعيف الحديث، مات سنة ٢٠٧هـ. (أخبار القضاة: ١/ ٢٥٧, ٢٥٨).

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٢، وتاريخ بغداد: ١٣/ ١١٣، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٤٩.

الروايات:

١- الثاني في تاريخ بغداد: (لنا ورق معرورق وشكير).

والثالث: في تاريخ دمشق: (ينير بها إشراقه فتنير).

* * *

(٦٩)

ز - وقال متغزلاً (طويل):

١- أبىَ قلبُــهُ منهنَّ أن يـتـخلَّصـــا وقـد محَّ سِـرْبالُ الشـبـابِ وقُلّصَـا
٢- رمَـيْنَ وأرمـاهن في كُلّ مَـوْطِنٍ فـأحْذَيْنَهُ نَـبْلَ الخبـالِ ، وأشـخصـا
٣- إذا شِـئْنَ أن يُوطينه حَـبْلَ عـاثرٍ ليـصطدْنَ منه فُـرصـةً مـرّ أفـرصـا
٤- تلبّـــسْن أبرادا وأبرزن أوجُـــهاً حِـسَاناً وأظـهرن الجُـمَـانَ المخرَّصَـا
٥- وفَتَّرْنَ حُورا إن دعت قلبَ تائبٍ أجـابَ وإن نَصْنَصن قلـبـا تَنصْنَصَا
٦- سقـى اللهُ من نَوْءِ الثُّريا ظَعَـائناً تيَـمّمنَ نجـدا واخـتصـرن المُرَخَّصـا
٧- ظعائن ممَّن سـار فاحـتلّ (رابغاً) و (وَدَّانَ) أيام الخـلاءِ ، فَالاخْـمَصَا
٨- أقمن به حتى أتى الصـيفُ قادما وقَـضَّـوْا لُبانـات الربيع فـأشخـصـا

١- مح: بلى وعفا. وقلص: تقلص وضعف.
٢- أرمى : رمى وألقى. وأحزى الشيء: أشرف وارتفع. وأحذينه: أصـبنَهُ. والخبال: العناء، والنقصان في العـقل وغيره. وأشـخص الرامي: جاز سـهمـه الهدف من أعـلاه، أو أجازه هو (على التـعدي واللزوم).
٣- يوطينه: يجعلنه سهلا لينا، وربما كانت يعطينه. والعاثر: الخاسر.
٤- تلبسنَ: لبسن وارتدين. والأبراد: الأثواب المخططة. والجمـان (فارسية): اللآلئ. والمخرص: المزدان وهي حلق الذهب والفضة، أو ما يماثلها.
٥- فترن: من التقصير، وهو السكون بعد حدة واللين بعد شدة. والنصنصة: الحركة، وكل شيء قلقلته، فقد نصنصته ونصنصته (اللسان: نصص).
٦- نوء الثريا: عطاؤها. وتيممن نجدا: تَوَخَيْنَهَا وقَصَدْنَ إليها.
٧- رابغ: واد من الجـحفة، وهـو أكبر بـلدة بين مكة والمدينة (المغانم: ١٤٩). وودان: قـرية من نواحي الفرع بينها وبين الأبواء ثمانية أميال، وهي لضمرة وغفار وكنانة (المغانم: ٤٢٦). والأخمص: شعب يرفد وادي مركوب من الجنوب، جنوب شرقي سعيا.
٨- لبانات الربيع : حاجاته من غير فاقة، بل من همة. وأشخص: ارتحل وحان وقت ذهابه.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، الهندية، ص: ٤٠٨، ط. العبيكان، ٢/٧٠٧.

* * *

(٧٠)

ح - وقال يمدح بني ثابت بن عبدالله بن مصعب (بسيط):

١- يا أيهـا الرجلُ المُهـدى الغناءُ له ... من كل شِـعْبٍ يُدانى ثم يـختلفُ
٢- دَعْ عنك ليلى ، فما ليلى بجـازية ... لا تجـهلـنَّ ، ولا يلجُجْ بك الـكَلَفُ
٣- واذكر بأحْسنِ قـول أنتَ قـائلهُ ... آلَ الزبيـر ، فـقد أعْطَوْا وَقَـدْ عَطَفُـوا
٤- وقـد سَقَـوْكَ بِسَجْلٍ من سِجَالِهِمُ ... حـتى رَويتَ ، وقد زادُوا وقـد لَطُفُـوا
٥- وقـد كَـفَـاكَ نَداهُـم نَوْءَ غـيـرهمُ ... فـلا تُعَـوِّل على الغَرْفِ الـذي غَرَفُـوا
٦- قَـدْ كَـانَ لي في أبـي بكرٍ ووالده ... ومُـصـعبٍ ذي النَدَى من تـالدٍ خَلَفُ
٧- والثـابتـيـون قـومٌ في ودادهمُ ... غُنْمُ الحـيـاةِ ، وفي أحـقـادِهم تَلَفُ
٨- اللاحظوُن بـنُور الله إن غَـضِـبُوا ... والشـاملون بيُـمْنٍ حيثُ ما انـصرفـوا
٩- والفـارطُونَ فـلا تُوبَى حـيـاضُـهُم ... بالـواردينَ وإن ذُوادُها قَـصَـفُـوا
١٠- إن ابنَ مـصـعبٍ الميـمـونَ طائرُه ... ثُبِّى على خـيـر مـا سَـدَّى له السَّلَفُ
١١- لا يُدرك الناسُ في المجـراة غايتَـهُ ... ولو تَعَـالَوْا ، ولو خَـبُّوا ، ولو خَنَفُـوا
١٢- تمشي المُـلوكُ على أذيال لأمَـتِـهِ ... إن سَارَ سَارُوا ، وإن أوْما : قِفُوا وَقَفُوا
١٣- يابن الزبير ، لقد فرَّجْتَ من كُرَبي ... ورفَّلْتَنـي لك الفـيـضـاتُ والتـحفُ
١٤- وَقَـدْ جَـبَرْتَ جناحـي بعدَ رِقَّتِـهِ ... حتى انـتهضْتُ ، وحـتى مسَّنـي الترفُ
١٥- وقـد تخلَّصْـتَني من بين مـأسـدة ... أذلّنـي لهـمُ السلـطانُ والـصُّـحفُ
١٦- أدركـتَني بعـد ما دارتْ عـقـابُهُمُ ... وقـد بلَلَتُ لـهم رأسي وَقَـدْ وَحَـفُـوا

١- الشعب: الطريق بين الجبلين. ويداني: يقارب. ويختلف: يجيء المرة بعد الأخري.

٢- يلجج بك الكلف: يزيد بك التكلف ويغرقك الولوع بالشيء مع شغل القلب ومشقة.

٤- السجل (ويجمع على السجال): الدلو العظيمة فيها ماء قل أو كثير، وهو هنا بمعنى العطاء.

٥- النوء: قطر السحاب الضئيل ماؤه، تعول: تحتاج. تفتقر والغرف: ما يدبغ به من نبات.

٦- التالد: المجد المؤثل والشرف الرفيع. والخلف: الولد الصالح.

٧- اليُمن: البركة والخير.

٨- اللاحظون: الناظرون بمؤخر العين عن يمين ويسار.

٩- الفارطون: المتقدمون إلى الماء، يتقدم الواردة فيهيّئ لهم الأرسان والدلاء ويملأ الحياض، ويستقي لهم. وتوبي: من الوباء وهو المرض العام، بترك الهمزة، أي لا تصير وخيمة تعقب المرض، لا تنقطع حياضهم من الماء. والذُّواد: رعاة الإبل وسائقوها. قصفوا: ازدحموا على المياه وتدافعوا، وسمع لهم صوت كالقصف.

١٠- ميمون طائره: مبارك الطلعة موفق. وثبىّ تثبية: اقتضى بأن يفعل فعل أبيه ويلزم طريقته، بمداومة. سدّي له السلف: أي ما نسج له أسلافه وخلّفوه من المكارم.

١١- المجراة: ميدان جريان المكارم. تعالوا: ارتفعوا. وخبوا: ساروا سيرا يميل إلى العدو السريع. وخنفوا: هو من الخنف، وهو إمالة الراكب رأسه في عدوه، كناية عن سرعته.

١٢- اللأمة: الدرع، سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها. أوما: أومأ، خفف الشاعر همزتها مراعاة للوزن: بمعنى أشار.

١٣- الكرب: جمع كربة، وهي المحنة والضيق والعسر. ورفلت: ذللت وملكت.

١٤- جبرت: داويت. والجناح: الكناف والظل، وهي هنا بمعنى ساعدي. ورقتخ: ضعفه، ولينه. انتهضت: تقويت. والترف: الغنى والنعمة والفضل.

١٥- المأسدة: موطن الأسد الذي تكثر فيه أو تربى، تجمع على المآسد، كناية عن الشراسة والضراوة والقوة. والسلطان: التسلط والقدرة، ولعل المراد بالصحف هنا من التصحف، وهو الخطأ.

١٦- العقاب: طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى، قوي المخالب، وله منقار أعقف (منقطع معوج)، وذهب المرحوم الأستاذ الرفاعي إلى أن قول الشاعر: أدركتني.. أي أدركتني بعد أن تهيأت لاستقبال الحالقة، وبللت رأسي لحلق لمتي، وهو نوع من التعزير كان يخضع له المغلوب والأسير (مجلة العرب، الربيعان ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ووحف أيضاً: عدا وسار سريعاً.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٢٢ و ١/ ١٣٩-١٤١.

الرواية:

الأبيات (٩،٨،٧) في الموضع الأول، والأبيات من (١-١٦) في الموضع الثاني، ورواية البيت الثامن في الموضع الأول:

(والشاملون بيُمنٍ أينما انصرفوا).

* * *

(٧١)

ط - وقال يمدح مصعب بن عبدالله أيضاً (طويل):

١- إذا رفعتْ أحراسُه السيرَ واستوى ... على ظهر مصفُوفٍ عليه النمارقُ
٢- بدا ملكٌ في صورة البدر طالعاً ... فيالك حُسْناً زيّنَتْه الخلائقُ !!
٣- خَلائقُ أحرارِ المُلوكِ ونُورُها ... يلوحُ عليه نظمُها المتناسق
٤- فَتىً لم تفُتْه خُطةٌ تجمعُ التُّقَى ... إلى المجدِ إلا ضمَّها ، فهْوَ رائقُ
٥- فنحنُ بحمدِ اللهِ في فضلِ مُصْعَبٍ ... لنا صابحٌ من ذي نداهُ وغابقُ
٦- ستبلغ عني مصعبا - غير باعدٍ ... مدائحُ تذروها الرياحُ الزواعقُ
٧- جزاءً بآلاءٍ له إن شكرتُها ... شكرتُ عظيما لم تَصِفْهُ المناطِق
٨- ألم تُلْفِنِي ذا خَلّةٍ فاصطنعتَني ... وأطلقْتَ مالي وَهْوَ في الرهن غالِقُ
٩- وأنقذتَني من لُجّةِ الدَّيْنِ بَعْدَ ما ... غَرِقْتُ ، وغاشي لُجّةِ الدَّيْنِ غارقُ
١٠- وأغنيتَني عَمّنْ سِواكَ وأنْبَتَتْ ... رياحُك ريشي والنّجاءُ الدوافقُ
١١- وأسْبَلْتَ إسْبالَ الربيعِ وأخْصَبَتْ ... رياضُك للجادين ، واللهُ رازقُ
١٢- فأقسمُ، لا أحصَى الذي فيك مادحٌ ... بمدحٍ ، ولكني جَزُوفٌ مُخارِق
١٣- ولا ضَنَّ نصحاً عنك بالغيب مؤْمنٌ ... تَقيٌّ ولا عاداك إلا منافقُ
١٤- ولا خِفتُ إلا الكاشحين مُلِمَّةً ... عليك ولكني بذي العَرْشِ واثِقُ

١- الأحراس: جمع حارس، وهو الحافظ. والمصفوف: الحصان البارع الحسن المزين بالدروع. والنمارق: جمع نُمرقة وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.

٤- يقال: راق فلان على فلان يروق فهو رائق، إذا زاد عليه فضلا.

٦- الزواعق: جمع زاعقة وهي المثيرة الحركة.

٧- الآلاء: النعم والمكارم. والمناطق: جمع المنطق، وهو الكلام، وقد يستعمل في غير الإنسان.

٨- الخَلة (بفتح الخاء): الحاجة والفقر. وغالق: فاعل من غلق، ويقال غلق غلقا: الرهن في يد المرتهن، صار ملكه، وذلك إذا عجز الراهن عن افتكاكه في الوقت المشروط.

٩- لُجة الدين ولُجاجه ولِجاجه: معظمه وكثرته وجلبته. والغاشي: النازل.

١٠- والنجاء (بكسر النون): جمع نجو، وهو السحاب أول ماينشأ ثم يهربق الماء ويمضي. والدوافق: جمع دافق ودافقة من دفق الماء والدمع: انصب. والريش: هنا بمعنى النعمة والفضل.

١١- أسبلت: أرضيت عطاءك الوفير، وأنعمت. والجادين: من الجداء وهو العطاء والجادي السائل ومعطي الجدوى.

١٢- الجزوف: من المجازفة، وهي تجاوز الحد. والمخارق: من الخريق وهي الريح الشديدة السريعة الهبوب. ومخترق الرياح: مهبها.

١٤- الكاشحون: الأعداء الذين يطوون عداوتهم. والملمة: المصيبة والمحنة.

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٢١٠، وتاريخ دمشق: ١٦/ ٥٥١, ٥٥٢، وقدم صاحب التاريخ وأخر في البيتين الأخيرين.

الروايات:

١- رواية الرابع في تاريخ دمشق (في لم يعته خطه تجمع التقى).

٢- والخامس فيه (.. وعلبق...).

٣- والثامن (ألم تلقني ذا خلة فاصطفيتني).

٤- والعاشر (.. رياحك ريشي والنجا الدوافق) ولعل ذلك كله من تصحيفات الناسخ.

* * *

(٧٢)

ي - وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب (رجز):

١- يابكْرُ أدعُـوكَ وفِـيّا صَادِقاً

٢- وَقَـدْ رأَيْنَا الحَلَق المَصَالِقَا

٣- وَهْيَ تَسَامى تُرسِلُ الشَّقاشِقَا

٤- إن نظرتْ يوماً إليه باسقا

٥- أوكـرٌ فـيـهـا ناظراً أو نـاطقـا

٦- ألقَت على الأرضِ لـه العَنَافِـقَـا

٢- الحلق: جمع حلقة القـوم، إذا استداروا في مجلسهم. المصالق: جـمع مصلاق، وهو الخطيب البليغ الذي يصاحب خطبته البليغة ضجيج.

٣- تسامى: تـتعالى. والشـقاشق: جـمع شقـشقة، وهي الرئة الـتي يخرجهـا البعـير من فـيه إذا هاج واستعارها الشاعر للخطباء، هنا، لأنهم يهدرون ويسردون الكلام سردا.

٤- الباسق: العالي المشرف.

٦- العنافق (جمع عنفقة)، وهي شعرات بين الشفـة السفلى والذقن، وكنى الشاعر بذلك عن خضوعهم له واسـتسـلامهم، أي إن حلقـات الرجال التي تهـدر بضـجيـجهم إذا جـاءها، فنظر أو نطق أبدت خضوعها واستمعت إليه (الرفاعي، مجلة العرب، الربيعان: ١٤١٠هـ).

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ١٨٥.

* * *

(٧٣)

ك - ذكر الزبير بن بكار أن عبـدالله بن عمرو حدثه قائلاً: لما استُـعمل عبدُالله ابن مصـعب على اليمن (١٧٣/ ١٧٤هـ) قـال لي مصعبُ بن عـبدالله: امضِ معنا إلى صنعاءَ، فقلتُ: لم أُعلِم أهلي ذلك، فـقال ترسلُ رسولاً ونكتب معه بحاجتك، وتمضي معنا وتُكفاهُم، فقلتُ: لابد لي من مطالعتهم، ثم ألحقكم، وهو حين قلتُ هذه القصيدةَ (بسيط):

١- قَالَتْ شُـمَيْسَـةُ إذ قامَتْ تُودّعُني	والدمعُ يجـري على الخديْنِ أَسْـلاَكَا
٢- لا يُلهِـينك عنا بَعْـدَ فُـرقَـتِنَا	بُعْـدُ المزار ، وإن صـاحبتَ أمـلاكـا
٣- فقلت : لو كنتُ أَنسَاكُمْ نَسِيتُكُمُ	إِذْ قَالَ لي مُصعبٌ : لو شِئْتَ أَجْزاكا

٤- خَطّان في شبـرِ قـرطاسٍ يطيـرُ بِهِ — منّا جَريٌّ ، ونَمْضِـي قُلْتُ : كَلاَّكَا !!

٥- لابُدَّ من نظرةٍ أَشْـفِي بهـا كَـمَدي — من أُم عـمـرو ، قليـلا ثم ألقـاكـا

٦- دعْ عنك مافات واكسُ الرحلَ مُعتَرِفاً — أعطاكَـهُ مُـصْـعَبٌ أيامَ ألْفَـاكـا

٧- عـارٍ جناحُك قـد حُـصّتْ قَـوَادِمُـهُ — قـد عَضَّكَ الـدَّهْرُ عَضّـات فَـأَدْمَاكَـا

٨- يا ذا الندى ليس لي في غـيركم وطرٌ — أغنيـتَني بـالغنى ، والـلهُ أغناكَـا

٩- إن أمْتَـدِحْكُمْ فخيرُ القـول مدحُكمُ — وقـد تُنالُ بغـيـرِ المدحِ جَـدْوَاكَـا

١٠- يا أوسعَ الناسِ فـضـلاً بعـدَ والدِهِ — إن تُعطِ خَـيْـراً فـإن اللهَ أعطاكَـا

١١- مَـجْـداً تطأطأ عنهُ كُلُّ ذي شَـرَفٍ — فـيـمـنعُ الناسَ أن يجـرُوا بمجـراكـا

١٢- مـدَّ ابنُ أسـمـاء كفـيـه بمكرمَـةٍ — وابنُ الربَّاب ، فقـالا : مُصْعَبٌ هاكا

١٣- أنت ابنُنا ما اجتـمعْنا قطُّ في رَجُلٍ — فـيـسـتطيـع له السـاعُـون إدراكـا

١٤- ثم الأمـيــرُ أدام اللهُ صَـالِحَـهُ — نعم المُـبَـوَّأ بحـمـدِ اللـهِ بوّاكـا

١٥- رقّـاك في المجـدِ حـتى نلتَ ذروتَهُ — فَـمَنْ بَغَـاك مَـحَلَّ النجمِ و افَـاكَـا

٢- يلهى: يشغل. والأملاكُ: جمع المُلك، وهو صاحب الملك.

٣- أجزاك: أجزأك، فسهل الهمزة للوزنَ، بمعنى كفاك، وفاعله في البيت التالي : خطان.

٤- القرطاس: الـصحيـفة التي لم يكتب فـيهـا. والجريّ (والجمع: أجـرياء): الوكيل بلـفظ واحد مع الجميع، الضامن، الخادم، الرسول. وقوله: كلاكا: كلا والله، وهي كلمة تعني الردع والزجر وتنبيه المخاطب على بطلان كلامه.

٥- الكمد: الحزن والغم الشديد.

٦- المعترف: المصابر، يريد بعيره عبر الأسفار، وربما كان المقصود هو نفسه.

٧- يقال: حص شـعره: انجـرد وتناثر، وانحص الشجر: انحـت وتناثر واستعـاره للقوادم، ليـعني أنها تكسرت، وتفرق ريشها، وقوادم الجناح: أربع ريشـات في مقدم الجناح، هي عماد طيرانه. وعضك الدهر: قسا عليك من صنوف محنه وتقلباته.

٨- الوطر: الحاجة والرغبة والبغية والجمع: الأوطار والغنى هنا: التعفف.

٩- الجدوى: الفائدة والنفع.

١١- تطأطأ: انخفض.

١٢- المكرمة: فعل الكرم والكريم، يقال: فعل الخير مكرمة: سبب للكرم والتكريم.

١٤- المبوا: المبوأ، بالهمزة، وسهلها الشاعر للوزن، وكذلك فعل في (بواكا): بوأك: أنزلك منزلا كريما مباركا.

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ٢٠٩,٢٠٨/١، وقد جاء صدر البيت الثالث فيها: فقلت لو كنت أنساكم يومًا نسيتكم.. وكلمة: يومًا زيدت سهواً فأفسدت الوزن، وتاريخ دمشق: ٥٥٠, ٥٤٩/١٦.

الروايات:

١- رواية الثالث لدى ابن عساكر :(لو كنت أنساكم يوما نسيتكمُ)، وقد يقرأ الشطر بقوله: فقلت لو كنت أنساكم نسيتكم).

٢- الخامس في تاريخ دمشق: لابد من نظرة أشفي بها كبدي.

والسادس فيه: دع عنك مافات واكسُ الرحل معتزيا.

٣- رواية الحادي عشر فيه: مجدا تطاطا عنه كل ذي شرف.

ومابعده: مدا بن أسما كفيه بمكرمة.

* * *

(٧٤)

ل - ويسترسل الشاعر قائلاً: "ثم قدمت عليهم بصنعاءَ، فأنزلني عبدُالله بن مصعب، معه، في دار الإقامة، وأجرى عليَّ خمسين دينارا في كل شهر وأكرمني، ثم غرضتُ (قلقتُ)، فشكوت ذلك إليه، واستأذنتُهُ في الانصراف، فأذن لي، وأعطاني خمسَمائةِ دينارٍ، وكساني كُسوةً فاخرةً من عَصْب اليمن، وأمَرَني فدخلتُ على نجائبه، فاخترتُ منه نجيباً مهرياً، فانصرفتُ سالما غانما إلى أهلي " قائلا في مدحه (طويل):

١- كـأن لم تَرَيْ غِبٍّ ارتحـالي وغَيْـبَـتي وعُـرْفِ أبي بكر بسَــجْل على سَـجْل
٢- مـدحْتُ أبا بكر ، فـما خـابَ عندَهُ مـديحي ومـا ألفيـتُـه عنه ذا شُـغل
٣- ومــا كــذبتْـني سُنَّحُ الطيــرِ دُونه ومــا كَــذّبتْ رُؤياي إذ نمتُ بـالرَّمل
٤- أنختُ فلمـا ملـتُ في نشـوة الكرَى رأيتُ عليَّ الـريشَ أخْـضَـرَ كـالـبـقل
٥- وأبصـرتُني أسـمُو إلى البـدر طالعـاً وأعـقـدُ فـي أسبـاب أحبُلِـه حَبْلي
٦- وأغـرِفُ من فـيض الفُراتِ وأكـتـفي من النّيـل عَـبّاباً فـأسقي بـه نخلي
٧- فقلتُ لأصحابي : جـرت طيرُ أسْعُدٍ لكم فَـوْتَ أعنـاقِ الغـريـريةِ الفُـتْلِ
٨- ورُؤياك أخـذُ الكفّ بـالكفّ بشَّـرَتْ بيـومٍ نَـدِيٍّ من ندى واسعِ الـفَـضْلِ
٩- مـتى تهبطُوا أرضَ الزُّبـيريِّ تُعـتقُـوا خِـشــاشَ المَطَايا مِنْ سـآمٍ ومِنْ هَزْل
١٠- أثابَـك عنـا اللـهُ حُـسْنَ ثـوابِهِ بعَـدْ لك في الأحكام والخُلُقِ الجَـزلِ
١١- خلفتَ لنا الصـدِّيقَ تَهـدي كَهَـدْيِهِ وهَدْيِ الزُّبَيْـرِ حَـذْوَكَ النعلَ بالـنعلِ
١٢- وسـرتَ إلينـا والبـلادُ كـأنهـا لِمَـا غَبَّ من أدوائهـا مـرْجَلٌ يغلي
١٣- فـداويتَـها حتى إذا مـاشـفيتـهـا من الداء والتامَتْ جَـمِيعـاً على العَدْلِ
١٤- وطِئْتَ علـى سِـيْـسَـائِهَـا فكأنما رَسَـا (ورَقَـانٌ) فـوقـهـا وقُـرى (تُبْلِ)
١٥- فأصبحتَ يابن الخيرِ تنمي إلى العُلا على حَنَـقِ الأعـداءِ والحَدَقِ الشُّـهْلِ
١٦- وإن أمـيـرَ المؤمنينَ لَعَـارفٌ غنـاءك عنه في البــلاء الذي تُبْـلِي
١٧- وإني لُمـثْنٍ بالذي قــد فَـعَلْـتُمُ بني ثابتٍ في الناس ما اسْتَدَّ لي عقلي
١٨- وإني لأدعـوكـم إذا جَلَّ حـادثٌ من الدهرِ أو ضـاقَتْ بنا عُـروةُ الحبلِ
١٩- وأعلـمُ لولا الـزُّهرُ مِـنْ آلِ ثابـتِ لـمَـرَّتْ ببعضِ القـومِ خَـفّاقـةُ الرِّجْلِ
٢٠- ولكنهم جَـادُوا وسَـادُوا وأنعـمُـوا وقــادُوا وردُّوا بالندى طَيْـرَةَ الجَـهْلِ
٢١- وماحُوا وراحُوا بالندى حين لَمْ تَرُحْ بِدِرَّتِـهَــــا أُمٌّ عَـــوَانٌ عَـلَى طِـفْلِ

١- الغب: (الجمع: الأغبـاب): العاقبة. والعرف: الرائحة مطلقـا وأكثر استعمـاله، كما هو هنا، في

الطيبة، وقد تعني المعروف.

٣- سنح الطير: المارات من المياسر إلى الميامن، من السنح: اليمن والبركة. والسانح (والجمع: سوانح): الذي يأتي من جانب اليسار والعرب تتيمن به.

٤- الكرى: النوم والنعاس. واخضرار الريش: نماؤه وازدهاؤه ونضارته.

٥- الأحبل والحبال والحبول والأحبال كلها جمع الحبل، وهو الرباط والوصال.

٦- أكتفى: أكتفىء، سهلها الشاعر لضرورة الوزن، من قولهم: اكتفأ الإناء: أماله وقلبه، ليصب ما فيه، والعباب: من قولهم: عبت الدلو، إذا صوتت عند غرف الماء لكثرته، وتدفقه.

٧- الغريرية: الإبل الكرام المنسوبة إلى (الغرير) وهو فحل معروف. والفتل: جمع أفتل، وفتلاء من (فتل) فتلا: تباعد جانباه كأنهما فتلا.

٩- الخشاش والخشاشة والجمع أخشة: العود يجعل في عظم أنف الجمل، يشد به، ليكون أيسر لانقياده، كأنه يأسره ويقيد حريته، والسأم: الملل، والهزل: الضعف والنحول والسقم.

١٠- الخُلق الجزل: الحميد.

١١- الهدى: الطريقة والسيرة.

١٢- غب الأمر غبا: صار إلى أواخره، وهي بمعنى فسد.

١٣- التامت: التأمت، وسهل الشاعر لضرورة الوزن، وهي بمعنى: عُوفِيَتْ وشُفِيَتْ. والعدل: السوية والاستقامة والأمر المتوسط.

١٤- وطئت: سرت. والسيساء: منتظم فقار الظهر، ومجتمع الوسط، كناية عن ضبطها، وحسن سياستها، وتدبير شئونها. ورسا: استقر وثبت. وورقان: أحد جبال مزينة. وتبل: واد متصل بسماوات كلب.

١٥- تنمى: تتجه في سيرك وتنتمي وتنتسب. وحنق الأعداء: حقدهم وغضبهم. والحدق: جمع حدقة، وهي سواد العين الأعظم. والشهل: جمع شهلاء، وهي العين إذا أشربت في سوادها حمرة، كنى بذلك عن شدة حنق الأعداء.

١٧- استد: استقام.

١٩- الزهر: جمع الزاهر وهو المشرق الصافي من الألوان، ذو الونق والبياض الجميل، وخفاقة الرجل: الضبع وخفق رجلها: خفة سيرها على الأرض ووقع أقدامها عليها.

٢٠- طيرة الجهل: طيشه وخفته، يقال: إياك وطيرات الشباب: طيشه.

٢١- ماح يميح ميحا وميحوحة: اغترف الماء بكفه وماح أصحابه: استقى لهم، اغترافا باليد، وماح الرجل: نفعه، وماح ميحا: أعطاه. والأم العوان: من كانت في منتصف سنها، أي الشابة الفتية.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/١٦٦، ١٦٧.

* * *

(٧٥)

م - وقال يردُ على أبي مدرك (طويل):

١- ألا حَـيِّيَـا الذَّلْفا ألا حَـيِّيَـا جُمْـلا   وقـولا : تغنَّى حـاتمٌ بِكمُـا جَـهْـلا
٢- لكيـــمـا تظُـنّا اليـوم ، أنـه فـارغٌ   وأُقْـسِمُ : إني قـد مـلأتُهُ بِي شُـغْـلا
٣- وفـضَّلكم ياجُـمْـلُ كـيـمـا لعلَّني   أروح مَـغيظـاً قد حـملت لكم ذَحْـلا
٤- وأنت من ان تشـفى بنا كـحـمامـةٍ   بمكة يَقـرو سِـربُـهـا حَـرَمـاً سَـهْـلا
٥- سـقى الله ذلفـاء الربيع وتِربُهَـا   وجُمْـلاً فأسقى اللهُ من صيِّفٍ سَـجْلاً
٦- سَـقَى كُلَّ مُنْجَـادِ المحلَّـةِ والنوى   أناة . . . ضا تملأ القلب والحِجْلا [؟]
٧- إذا بَـرزَتْ بـين القَـطِـين وأَبْـرزَتْ   جَـميلَ الُمـحيّـا لا كـئيبـاً ولا جَبـلا
٨- رأيتَ إليـهـا البِـيض مِـيـلاً كـأنما   أُمِـرْنَ بأن يرعـينـهـا الحَـدَقَ النُّجْـلا
٩- فإن قـلتَ لي مهـلا فمـهلاً أقولُـها   وإن قلتَ قـولا فـانْتـبِلْ نُبُـلاً جَـزْلا
١٠- إليك فـإني غـافـرٌ لك مـامـضى   من الذنـب إلا أن تُحـمِّـلنا ثِقْـلا
١١- وتلقي علينـا جانبـيك كلـيهـمـا   وتُشـرِعَ في أعـراضـنا الجـد والهـزلا
١٢- وتعـرضَ دون الجـانبين فـلا أرى   لمثـلك إلا أن أُعـــرِّضَــهُ نِـكْلا
١٣-فإن كنتَ قد أبصرْتَ من بعد عَشْوَةٍ   فَـأَهْلاً بِمَـا أَحْـدَثْتَ مِنْ سِـلْمِنَا أهْلا
١٤- فلستَ ، ولا أطغى ، بأولِ عَاشِيٍ   عَـشَا فـجـعلتُ القافـيـاتِ له كُحْـلا
١٥- ومـا إن أُحب الشَّـرَّ مـالم تجـرُّهُ   علـيَّ جُناتي أو أكــونَ لـه نَعْـلا
١٦- بلَ اَصـفح إجْمـالا ، وأدرأُ سبَّـة   بأحــسنِ مــا تُدْرَى وأدمَلُـهُ دَمْـلا
١٧- وأدفـعـه حـتى إذا حلَّ سـاحـتي   صلَيْـتُ بأذكى حَـرِّه كُلَّ من يَـصْلى
١٨- أبى الضـيمَ لي قلبٌ ذكيٌّ وصـارمٌ   وأنف حَـميٌّ يأبيـا الذُّلَ والخَـذْلا (!)
١٩- وأبناءُ صـدقٍ مـاجِـدُونَ وأُسْـرةٌ   مَـصَـاليتُ كـانوا لا بِـطاءً ولا نُكْلا

٢٠- وعقدي بِحَبْلَيْ مصعب وابن مصعب وحبل أبي بكر برغم العِدَا حَبْلا
٢١- كأنك تَشنَا أنْ فَخَرْتَ بِخِنْدَف كأنك لا ترضَى طريقتك المُثْلَى
٢٢- كأنك لم تعلم أباً لك مِثْلَهُ ولا وأبيكم ، لا تكُونوا له مِثْلا
٢٣- فإن تكُ قد أصبحتَ ثوبانَ آمنا مُثلاً وغرَّتْكَ الأكُولة والرّسلا (!)
٢٤- فلا تأمن الأولى التي قد تعرَّقَتْ فَقارَك حتى عُدْتَ ذا شيبةٍ كَهْلا
٢٥- ألا يالقوم من يُرَى مثلَ حاتمٍ يجورُ ويبغي بيننا حكَماً عَدْلا
٢٦- ويدعُو لَنا أن يُرْسِلَ اللهُ جالدا على شرِّنا رأياً وأقبحه فِعْلا
٢٧- وأشبهنا وجهاً إذا قِيسَ بيننا بوجهِ الظَّلُومِ ، ثم يُوجِعَه غسلا
٢٨- ويشهدُنا آلُ الزبيرِ وهاشمٌ وآلُ أبي بكرٍ مجالسَ لاتُقْلَى
٢٩- فَقُلتُ له : (آمين آمين) ، إنما دعوتُ على الأردى فَبَسْلاً له بَسْلا
٣٠- فإن شهدتْ آلُ الزبير وهاشمٌ وآلُ أبي بكرٍ فقد عَلِمُوا الغَسْلا
٣١- وكلُّ قريش يعلمون أُمورَنا وحيثُ يظنُون الدَّواغِلَ والدَّغْلا
٣٢- تمنيتَ للذلفاءِ بُخْلاً لعلها تُعاقَبُ ، والذلفاءُ خاليةٌ بُخْلا
٣٣- وسمَّحْتَ جُمْلاً وهيَ ظني بخيلةٌ ولكن بما قد تنطق الكَلِمَ الخَطْلا

٣- المغيظ: من الغيظ أو شدته وسورته. والذحل: الثأر والعداوة.

٤- يقرو: يقصد. الحرم: مايحميه الإنسان ويدافع عنه. والحرم السهل: المستباح.

٥- الترب: من كان معك وأكثر مايستعمل في المؤنث. والصيف: الكلأ ينبت في الصيف.

٧- برزت: ظهرت. أبرزت : أظهرت. والمحيا: الوجه. والجبل: أصله الجبل بفتح الباء وسكن الشاعر لضرورة الوزن، وهو الغيظ.

٨- الحَدَق النُّجْل : الحسان الجميلات.

٩- يقال: انتبل الأمر: انتبه وتهيأ له.

١١- تشرع: تسدد وتصوب.

١٢- النكل: القيد الشديد من أي شيء، ويقال: فلان نكل شر: ينكل به أعداؤه.

١٣- العشوة: المرة من العشى، وهو إساءة البصر بالليل، أو بالليل والنهار معاً.

١٥- يقال: جنى جناية وهم جناة وأجناء: مرتكبو الذنوب والآثام. ويكون له نعلا: يصلحه ويبرئه.

١٧- حلّ ساحتي: نزل بناحيتي. وصليتُه: أدخلتُه النار وأثويتُه فيها. وأذكى حره: أشده لهيبا وحرارة.

١٨- الأنف الحميّ: الذي لا يحتمل الضيم أبدا. يأبى: يرفض، وحسب رواية المطبوعة "يأبأ" السهم يأبوه: يرميه به.

١٩- الماجدون: الأعزاء الشرفاء. والمصاليت: الشجعان الماضون في الحوائج. والبطاء: ضد السرعة. والنكل: الجبناء الضعفاء.

٢١- تشنا: تشنأ بالهمزة المخففة للوزن بمعنى: تبغض مع عداوة وسوء خلق.

٢٣- المثل: من المثلة، وهي الآفة والعقوبة. والرسل: الرخاء والخصب.

٢٤- تعرقت فقاره: امتدت خرزات ظهره.

٢٥- يجور: يبغى، ويبغى هنا بمعنى يريد.

٢٧- يوجعه غسلا: يضربه فيوجعه ويؤلمه.

٢٨- تقلى: تكره.

٢٩- آمين: اسم فعل أمر بمعنى استجب، أو فليكن كذلك. والأردى: ربما كانت الأردأ، وخفف الشاعر همزتها للوزن، وهي الأسوأ والأقبح، وقد تكون من الردى: أي الساقط الفاسد الهالك. وبسلا: عبوسا.

٣١- الدواغل: جمع داغلة، وهي الحقد الباطن، والقوم يلتمسون عيب الرجل وخيانته، والدغل: من قولهم: دغل دغلا فيه: دخل دخول المريب.

٣٣- الكلم الخطل: الفاسد، من الخطل وهو الحمق والخفة والفساد.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، المصرية، ص: ٤٥٩، ومطبوعة بغداد: ٢/٢٥٨, ٢٦١، و ط. العبيكان، ٢/٧٠٧-٧٠٩، وأخذت الشطر الأول من البيت التاسع عن هامش المطبوعة، خلافا لبقية النص الذي أثبته من الأصل المخطوط ومطبوعة العبيكان.

الروايات:

١- رواية البيت الثالث في المطبوعة الأولى:

وفضلكم ياجمل وكيما لعلني ... أروح مغيظاً قد حملت لكم ذجلا

والرابع فيها: (................ بمكة يغدو.....................)

والخامس: سقى الله ذلفاء الربيع وتريمها)

٢- رواية التاسع في الأصل: (أ.... مهلا فإنك قلت لي مهلا)

٣- رواية العاشر في المطبوعة: (من اللغو إلا أن وتجملنا ثقلا).

والسادس عشر: بل أصفح إجمالا وأدراسبه بأحسن ماقُرى أدمله دملا

٤- رواية الثامن عشر: (وأنف حمى يأبأ الذل والخذلا).

والحادي والعشرين: كأنك نشنا إن فخرت بخندف كأنك لاترضى طريقتك المثلى

٥- رواية السابع والعشرين: (بوجه الظلوم ثم توجعه غسلا).

والثاني والثلاثين: (تمنيت للذلفاء بخلا لبعلها).

ومن الملاحظ أن أغلب هذه الاختلافات بسبب الأخطاء المطبعية التي لم ينبه إليها المحقق (الأمير).

* * *

ن - وقال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري (بسيط):

١- إن الحـواريَّ والصّـدِّيقَ وابنهـما ... دَعَـائمُ الدِّينِ إذ شُـدَّتْ لـه الدّعَمُ
٢- وثابتـاً ذا النَّدَى والمصعَبَينِ معـاً ... وذا اليـمينين عـبدَالله بعـدَهُم
٣- شَدُّوا عُـرى مُصْعَبٍ فـي كُلِّ مكرُمَةٍ ... وعلَّمُـوهُ من الخـيراتِ ما عَلِمـوا
٤- فَـهْوَ الـكريمُ مُلاقـاةً ، ومُـختبـرا ... وابن الكـرام إذا مـا حُـصِّل الكرَمُ
٥- رحب الفِناء رحيب الباع مُحتَمل ... للمُضْلِعَـات إذا اشـتـدَّتْ بنا الإزَمُ
٦- لا تنكرُ الـعُـوذُ منـه أن يُضِـرَّ بهـا ... ولا العِشُـارُ إذا أضْـيَـافُـهُ قـدمُـوا
٧- ولا يُبـالي وإن كـانت ممانـحـةً ... أن يُخـضِبَ السيفَ من أنسائِهِنَّ دمُ
٨- ياذا الندى والذي حـجَّ الحَـجِـيجُ لَهُ ... هل بَعْـدَ هذا على ذي مِحنةٍ قَسَمُ
٩- لئن نَـشَـرْتُ ثناءً لا خَـفَـاءَ به ... لقـد بَسَطتَ عطـايا مـالَـهـا قـيمُ
١٠- ذُقنـا الثنـاءَ فلم نـألُ الجَـزاءَ به ... وقـد جَـهَدْنا ومَـافِي نُصْـحِنَا وَخَمُ
١١- لن ينفدَ القولُ ما أسْدَيتَ من حَسنٍ ... يابنَ الحَـوَارِيِّ حـتـى يَنْفَـدَ الكَلِمُ
١٢- ولا نزال بخـيـر مـابقـيتَ لنا ... تمـت عـلـينا بـك الآلاءُ والـنِّـعَـمُ

٣- العرى: جمع العروة وهي مايوثق به.

٥- المضلعات: جمع مضلعة، وهي الثقيلة المعجزة من المهام والمسؤوليات. والأزم: جمع الأزمة، وهي المحن والشدائد والكوارث.

٦- العوذ: جمع العائذ وهي من الإبل والظباء والخيل: الحديثة النتاج، يعود ولدها بها، والعشار: جمع عشراء وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر، وهي عزيزات على أهلها.

٧- الممانحة: التي تدور في الشتاء بعد ماتذهب ألباب الإبل. والأنساء: جمع (نسا) وهو عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر.

٩- نشرت: بسطت وأظهرت وأعلنت.

١٠- نألو: نقصر. والوخم: العلة والآفة والمرض.

المصادر:

الأبيات في جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/٢١٣,٢١٤، وتاريخ دمشق: ١٦/٢٥٢.

* * *

(٧٧)

س - وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب، ويصف ما تمتع الناس به في عهد ولايته للمدينة المنورة (رجز):

١- أمسَى الحجازُ أَمِنَتْ أصْرامُهُ
٢- وصَحَّ نجدٌ وبَرَا سَقَامُهُ
٣- رقَّعَه ، وَقَدْ وَهَتْ أخْصَامُهُ
٤- بالعَدْلِ حتى سَكَنَتْ عُرامُهُ
٥- ثُمَّتَ جَادَتْ بالنَّدى رِهَامُهُ
٦- فَهْوَ كَغَيْثٍ مُسْبِلٍ غَمَامُهُ
٧- إرْزَامُهُ بالوبْلِ وانْهِزَامُهُ
٨- ما فال فيه بَصَرٌ يَشَامُهُ
٩- عَدْلُ أبي بكرٍ ولا إسْلامُهُ
١٠- ولا الحَوَاريّ ولا إقدامُهُ

١- الأصرام: جمع الصرم وهي الفرقة من الناس ينزلون بإبلهم ناحية من الماء.

٢- برا: برأ، وخففها الشاعر للوزن. وسقامه: مرضه.

٣- رقعه: أصلحه. وهت: ضعفت. والأخصام: المخاصمون والمنازعون، وقد تكون من الخصم وهي الزاوية في المزادة وجوانبها، يقول تحرك أمره وانتشر (محمود شاكر، حاشية الجمهرة).

٤- العرام: جمع عارم، وهو الشرير الفاسد الشرس الخبيث.

٥- الرهام: جمع الرهمة، وهي المطرة الخفيفة الدائمة.

٦- المسبل: المرسل والمرخي. والغمام: السحاب.

٧- الإرزام: صوت الرعد مقترنا بالغيث، والوبل: المطر الشديد. والانهزام: تشقق السحاب بالماء مع صوت.

٨- فائل الرأي: ضعيفه، إذا تفرس فأخطأ. وشام: نظر، تطلع.

المصدر:

جمهرة نسب قريش: ١/ ١٦٥.

* * *

(٧٨)

ع - وقال يمدح هاشم بن يحيى بن هاشم بن حمزة بن عبدالله بن الزبير (طويل):

١- فَمَنْ سائلي عن هَاشِمٍ: كَيْفَ هَاشِمٌ؟ فإنَّا وَجَدْنَا هَاشِماً خَيْرَ هَاشِمِ

٢- وَجَدْنا فَتىً أفْضَتْ إليه جُدُودُه بِبَنْيِ المعالي واكتسابِ المَكَارِمِ

٢- البنى والبناء والبنيان: كلها بمعنى واحد، وهي عكس الهدم.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١/ ٦٧, ٦٨.

* * *

(٧٩)

ف - روى ابنُ خيثمة عن دعبل الخزاعي (ق٢٤٧هـ)، قال: حضر محمد ابن عبدالملك الفقعسي(*) دارا فيها وليمة، وحضرها ابنُ أبي صبح الأعرابي، فازدحما على باب الدار، فغلبَ ابنُ أبي صبح ودخل قبل محمد، فقال ابنُ أبي صبح (وافر):

١- ألا يا ليت أنكِ أم عَمْرٍو ... شَهِدْتِ مُقَاومي كَيْ تعذُريني

٢- ودفعي منكبَ الأسديِّ عني ... على عَجَلٍ بناحيةٍ زبُونِ

٣- بمنزلةٍ كأن الأُسْدَ فيها ... رَمَتْني بالحَوَاجِبِ والعُيُونِ

٤- وكنتُ إذا سَمِعْتُ نَجِيَّ خَصْمٍ ... منعتُ الخصْمَ أن يتقدمُوني

٢- الزبون: الكثير الدفع وشديده.

٤- النجيّ (والجمع: الأنجية): السريع. والخصم: المخاصم والمنازع، وقد يجيء للاثنين والجمع والمؤنث وهو هنا للجمع.

الأعلام:

(*) هو راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها، وكان شاعرا، أدرك المنصور (ت١٥٨هـ) ومن بعده، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد، وله من الكتب المصنفة كتاب مآثر بني أسد وأشعارها (الفهرست، خياط: ٤٩).

المصادر:

الخبر والأبيات في الورقة: ١٤، والفهرست، الخياط: ٤٩، والمعرفة: ٧٣، وأثبت رواية الورقة.

الروايات:

١- رواية الأول في الفهرست بطبعتيه: (شهدت مقامنا كي تعذريني).

٢- والثالث في مطبوعة المعرفة: (بمنزلة كأنك الأسد فيها) وهي تخل بالوزن.

٣- رواية الأخير في الفهرست بطبعتيه: (وكنت إذا سمعت لحي خصم).

* * *

(٨٠)

ب - مانسب له ولغيره :

ونسب له قوله يمدح مصعب بن عبدالله الزبيري (بسيط):

١- وقــد علمتُ ـ ألاَ واللهُ يعلمُــهُ ـ ... مــا قلتُ زُوراً ولا من شيـمَـتِي المَلقُ
٢- إني لأحبسُ نفسي ، وَهْيَ صادية ... عن مُصْـعَـبٍ ، ولقد بانَتْ ليَ الطُّرُقُ
٣- رُعْوِي عليه كـما أرعى على هَرِم ... قــبلي زُهيــرٌ ، وفـينـا ذلك الخُلُقُ
٤- مدحُ الكرام وسَعيٌ فـي مسرّتِهِمْ ... ثم الـغِنَى ويـدُ المـــــدوحِ تَنْـدَفِقُ

١- الشيمة: الطبع والخُلق والسجية. الملق: الرياء والنفاق.

٢- صادية: متعطشة، تواقة. بانت: اتضحت، وظهرت معالمها.

٣- رعوي : رعايتي وإبقائي.

٤- الغنى هنا: التعفف، وتندفق: تسخو وتجود بالعطاء.

المصادر:

١- الأبيات الأربعـة لعبدالله بن عـمرو في جمهـرة نسب قريش وأخبـارها: ١/ ٢٧٠، وتاريخ دمشق: ٥٤٩/١٦، وعنهما أثبت المتن.

٢- والأبيـات (٤،٣،٢) في الأغـــاني، الدار: ١٠/ ٣١٥،٣١٤، وديوان المعــانــي: ٢٨٨/٢، وخـزانة الأدب، هارون: ٣٢٣/٢، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ٩٩/٢، لعقبة بن كعب بن زهير (المضرب).

الروايات:

١- الثاني في الخزانة والبلوغ: (إني لأحبس نفسي وهي صابرة).

والثالث في الأغاني، الذكر، ٣١٩،٣١٨/٩، والبلوغ :

رعوا عليه كما أرعى على هرم ... جدي زهير، وفينا ذلك الخلق

والشطر الثاني من البيت بهذه الرواية في الخزانة أيضاً.

٢- الرابع في ديوان المعاني: (ثم الغنى ويد الممدوح منطلق).

وفي الخزانة والأغاني والبلوغ: (ثم الغنى ويد الممدوح تنطلق).

* * *

١٨- عقبة بن كعب (المضرَّب) (*)

(٨١)

أ - قال المضرب (طويل):

١- فَـقُلْتُ لَها : فـيئي إليك فـإنَّني حَـرَامٌ ، وإنـي بَعْـدَ ذَاكَ لَبـيبُ

١- فيئي: ثوبي وارجعي. حرام: محرم. لبيب: ملب بالحج، ويجوز أن يكون من اللب، وهو العقل، قاله ابن دريد مضيفا: وقوله بعد ذاك: مع ذلك.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٦٥ ومابعدها.

المصادر:

١- البيت في مجاز القرآن: ١/ ١٤٥، ٢/ ٣٠٠، والإبدال: ١٣٣، وأمالي القالي، الآفاق: ٢/ ١٧١، وسمط اللآلىء: ١/ ٧٩١، وشرح المفضليات: ١/ ٧١٤، والصحاح (لبب) ومجمل اللغة (لب): ٤/ ٢٤٣، والمخصص: ١٤/ ٦٩، والشطر الثاني منه فقط، في اللسان (لبب) للمضرب، باستثناء (المجمل والمخصص وشرح المفضليات)، ففيها بدون نسبة.

٢- في الجمهرة، (حرم): ٢/ ١٤٢، لعروة بن حزام العذري، وللمضرب بن كعب، وهو ليس في ديوان عروة المخطوط، نسخة دار الكتب المصرية، برواية المرزباني، بسنده عن ثعلب (١٩٦/ ٥)، ولا في ديوانه المطبوع ببغداد، ١٣٨٩هـ، بتحقيق كل من السامرائي ومطلوب.

* * *

(٨٢)

ب - قال القُتَبيُّ (ت٢٧٦هـ): "كان لكعب بن زهير ابن يقال له عقبة شاعر، ولقبه (المضرّب)، وذلك أنه شبّبَ بامرأة من بني أسد، فقال (طويل):

١- ولا عيْبَ فيها غير أنك واجدٌ ملاقيهَا قد دُيِّثَتْ برُكُوب

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف، فلم يمت، وأخذ الدية، فسُمِّيَ المضرَّب... ".

١- الملاقى: شعب رأس الرحم، مفردها: ملقىً، وملقاة. ودُيِّثت: ذُللت، طرقت.

المصدر:

الشعر والشعراء: ١/١٤٨, ١٤٩.

* * *

(٨٣)

جـ - وذكر العسكري (ت٣٨٢هـ) الرواية السابقة، مضيفاً إليها قوله: فأفاق (عقبة)، وأنشأ يقول (كامل):

١- أفقتَ وَقَدْ أنى لَكَ أن تُفيقا فذاكَ أوانُ أَبْصَرْتَ الطريقا
٢- وكان الجهلُ مما يزدهيني إلى غُلَوَائِه حتى أذُوقَا

١- أفقت: من الإفاقة، وهي الانتباه والصحوة والتيقظ، أنى: حان، آن، وأدرك.

٢- يزدهيني: يستخفني. غلوائه: مجاوزته الحد، والجهل هنا بمعنى السفه والطيش.

المصدر:

شرح ما يقع فيه التصحيف: ٤٦٠.

* * *

(٨٤)

د - وقال متغزلا (طويل):

١- ومـا برحَ الرسمُ الـذي بين حَنْجَـرِ	وذلفـةَ حتّى قـيلَ : هَلْ هُوَ نازِحُ ؟!
٢- وما زلتَ تـرجُو نفعَ سُـعْدى وودَّها	وتُبْـعِـدُ حـتى ابيضّ منك المسـائحُ
٣- وحـتى رأيتُ الشـخصَ يزدادُ مـثلهُ	إليـــه وحـــتى نِصْـفُ رأسيَ واضِحُ
٤- عَـلا حـاجبيَّ الشيبُ حـتى كـأنَّه	ظبـــاءٌ جَـــرَتْ منهـــا سنيحٌ وبارحُ
٥- فـأصـبـحتُ لا أبتـاعُ إلا مُـؤامِـرًا	ومـــا بَيعُ من يبـتـــاع مـثـلي رابِحُ
٦- ألا ليت سَلْمى كلَّـما حـان ذكـرُها	تبـلِّغُـــهـــــا عني الـرياحُ النـوافحُ
٧- وقـالت : تـعلَّمْ أنَّ مـا كـان بـيننا	إليك أداءٌ ، إنَّ عَـــهْـدَكَ صَـــالِحُ
٨- جَـمـيـعـاً تُـؤديه إليك أمــانتي	كـــمـــا أُدِّيتْ بعـــد الغِـــراز المـنائحُ
٩- وقـالت : تعلَّم أن بعضَ حُـمُـوَّتي	وبعلي غِـضَـابٌ كلّهمْ لـك كـاشِحُ
١٠- يُحِـدُّون بالأيدي الشِّـفَـارَ وكُلُّهُمْ	لِحَـلْقِـكَ لو يسطيعُ حـلقَـك ذابحُ
١١- وهِزَّةِ أظعــانٍ عليــهن بهـجـــةٌ	طلبتُ ، وريعـان الصِّـبا بيَ جَـامِحُ
١٢- فلمـا قَـضَيْنَا من منـىً كُلَّ حاجـةٍ	ومـسّحَ ركـنَ البـيت مَنْ هُـوَ مَـاسحُ
١٣- وشُدَّتْ على حُدْبِ المهارِي رحالُها	ولا ينـظر الغـــــادي الذي هُـو رائحُ
١٤- قَفَلْنَا على الهُـوجِ المراسيل وارتمتْ	بهنّ الصّحـارى والصّمادُ الصَّحَاصِحُ
١٥- نزعْنـا بأطرافِ الأحــاديثِ بينَـنا	ومــــالـتْ بأعنـاقِ المطيِّ الأبـاطحُ
١٦- وطِرْتُ إلى قَـوْداءَ قـاد تليلُهـــا	مناكبَـــهـا واشـتـدَّ منهـا الجـوانحُ
١٧- كأني كـسوتُ الرَّحلَ جَوْناً رَبَاعِيا	تضـمَّـنَهُ وادي الرَّجـا ، فـالأفـايحُ
١٨- مُـمَرًا كـعـقـد الأنْدَرِيِّ مُـدَمَّجًـا	بدا قَـــارِحٌ مِنْهُ ولَـمْ يَبْـدُ قَـــارِحُ
١٩- كـأن عليــه من قَـبَــاءٍ بـطانةً	تفـرَّجَ عـنهـا جَـيْـبُـهَـا والمناصِحُ

٢٠- أخو الأرض يستخفي بها غير أنه إذا استافَ منهـا قارحـاً فَهْوَ صـائحُ
٢١- دعاها من الأمـهادِ أمـهادِ عـامرٍ وَهَاجَتْ من الشِّـعْـرَى عليه البَـوَارِحُ

١- الرسم: بقية الدار بعد هجرة أهلها عنها. وحنجر: موضع بالجزيرة من أرض بني عامر. و(ذلفة) كذا وردت في مطبوعات ديوان كعب، وربما كانت (زلفة)، وهي مـاء شرقي سميراء. والنازح: المهاجر، والبيت بدون الواو في صدره، وقد أضفتها إزالة للخرم.

٢- المسائح: جمع مسيحة، وهي شعر جانبي الرأس. والذؤابة: مابين الصدغين، إلى الجبهة، والضمير في (تبعد) عائد على (سعدى).

٤- السنيح والسانح: مـاأتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، والبارح: عـكسه، والأول أحسن حالاً عند العرب في التيمن (اللسان/ سنح).

٥- المُؤامر: المُشاور. وابتاع: اشترى.

٦- النوافح: جمع نافحة، وهي الريح المنداة بالعطر والنسيم العليل.

٧- تعلم: اعلم.

٨- الغراز: قلة اللبن، والغـارز من النوق: القليلة اللبن، وغرزت الناقة تغرز غـرازا، وهي غارز من إبل غرز: قل لبنها (اللسان/ غرز). والمنائح: جمع منيحة، وهي الشاة والناقة يمنحها الرجل فيأكل لبنها، فإذا انقطع لبنها ردها على صاحبها (ديوان كعب، اللسان: منح).

٩- حمـوة المرأة: أقارب زوجها، والبعل: الزوج. والغضاب: جمع الغاضب. والكاشح: الكاره.

١٠- يحدون السكين ويحدونها: يشحذونها بحجر أو مبرد. والشفار: جمع شفرة، وهي السكين العظيمة العريضة، وحد السيف وجانب النصل.

١١- الأظعان: جمع ظعن والظعن جمـع ظعينة، وهي المرأة في الهودج، وعن ابن السكيت: كل امـرأة ظعينة في هودج أو غيره (اللسان/ ظعن). والبهجـة: السرور والجمال. وريعان الصبا: أوله وأفضله وأوجه. والجامح: الخارج عن المقدار بغير انثناء.

١٢- المراد بالبيت هنا هو البيت الحرام شرفه الله سبحانه.

١٣- الحدبة: خروج الظهر ودخول البطن والصدر وموضـع الحدب من الظهر، والمهارى : جمع مهرية، وهي المنسوبة إلى مهـر بن حيدان من عرب اليمن، وقالوا: أنها كانت لايعـدل بها شيء في سرعة جريانها.

١٤- الهوج: جمع الهوجاء، وهي الناقة المسرعة، كأن بها هوجا، (حمقا وسفها وطيشا)، ولايقال جمل أهوج. والمراسيل: جـمع مرسال وهي الناقـة السهلة السيـر. والصماد: مـاغلظ من الجبل وتواضع واطمأن ونبت فيه الشجر (اللسان/ صمد).

والصحاصح: جمع الصحصاح، والصحصحان وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد وقال السكري: ويروى: "فقلنا على الهوج" وهي من القيلولة، وهي النوم في نصف النهار، وذهب محققو مطبوعة القاهرة من ديوان كعب إلى أن الرواية لعلها: ثقلنا أي أخذتنا ثقلة وهي النعسة الغالبة.

١٥- أطراف الأحاديث: مايتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون من التعريض والتلويح والإيماء دون التصريح. والأباطح: جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى.

١٦- الأقود: الطويل العنق والظهر من الإبل والناس والدواب. وفرس أقود: بيِّن القود وناقة قوداء: طويلة، والتليل (مفرد أتلة وتلل وتلائل)، وهو العنق، والجوانح: جمع جانحة وهي الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، سميت بذلك بسبب انحنائها وميلها.

١٧- الجون من الخيل والإبل والجمع: جون: الأدهم الشديد السواد. والرباعية (والجمع: الرباعيات): السن التي بين الثنية والناب. والرجا: موضع قريب من (وجرة)، والصرائم: والافايح: موضع.

١٨- الممر: المدمج الفتل المحكمه، والأندري: الحبل الغليظ المنسوب إلى (الأندر)، وهو بلد بالشام كانت تعمل فيه الحبال والنسبة إليه أندراني على غير قياس (القاموس/ندر)، والقارح هنا: الناب الذي ينبت مكان السن التي تلي الرباعية بعد سقوطها، وفي الأسنان بعد الثنايا والرباعيات أربعة قوارح.

١٩- القَبَاء: الثياب. البطانة: الحشاوة والسريرة. وتفرّج: اتسع. والجيب: القلب والصدر. والمناصح: جمع منصحة وهي الإبرة. النصاح: الخيط، والناصح: الخياط.

٢٠- استاف: اشتم والمساف الأنف لذلك، والقارح: الحامل، وقوله أخو الأرض: أي إن لونه كلون الأرض فتصعب مشاهدته وتمييزه.

٢١- دعاها: طلبها ويروى: رعاها. والأمهاد: مواضع معروفة في الديار التي ذكرها. وهاجت: اشتد حرها. والشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر. والبوارح: الرياح الحارة في الصيف.

المصادر:

وردت هذه الحائية أو بعض أبياتها في عشرات المصادر منسوبة لأكثر من شاعر ومنها:

١- ديوان كعب بن زهير، قراقو: ١٤٠، ١٤١، والقاهرة: ٢٣٩-٢٤٤، وعنها أثبتُّ المتن، وفي مطبوعة الشواف: ٥١/ ٥٢، وقد أورد السكري الأبيات منسوبة لأبي المضرب (كعب)، قائلاً: ويقال: انها لعقبة بن كعب. والأبيات (١٢, ١٣, ١٥) في الشعر والشعراء: ١/ ٧٢، والحماسة البصرية، للمضرب بن عقبة، (بيروت: ٢/ ١٠٣) وصححه المحقق، وفي الوحشيات، ص: ١٨٧، البيتان (١٢، ١٥) مما ينسب لعقبة بن المضرب ولغيره" والأبيات (٢، ٣، ١١، ١٥، ١٣، ١٤) لعقبة في أمالي المرتضى، الحلبي: ١/ ٤٥٧, ٤٥٨، وعنه في معاهد التنصيص: ٢/ ١٣٤، ١٣٥، واستدرك صاحبه بعد إيراده الأبيات (١٢، ١٣، ١٥) بقوله: قائله كثير عزة، وقيل: لابن الطثرية.. ".

٢- الأبيات (١٢، ١٣، ١٥) في ذيل ديوان كثير، ص: ٥٢٥.

٣- وهي في البديع في نقد الشعر، ص: ٢٥٤، لنصيب، وقال المؤلف: "وقيل هو لغيره" ونقلها محقق ديوانه، في الذيل، ص: ٢٦٣، له، وفي شعر يزيد بن الطثرية: ٤٠، ٤١.

٤- في شعر بني قشير: ٢/ ٩٣، ليزيد بن الطثرية، وقال المحقق: إن نسبتها إلى يزيد وردت واهية، وفي الوساطة، ص: ٣٥، والكافي: ١٧٤، والوافي: ٢٦٣، ورد البيت الخامس عشر ليزيد.

٥- الأبيات (١٢, ١٣, ١٥) في نوادر القالي: ١٦٦، وأسرار البلاغة، بيروت: ٢٢, ٢٣، والمثل السائر: ٢/ ٦٦، والجامع الكبير: ٧٠-٧٢، والخصائص: ١/ ٢٨, ٢١٨-٢٢٠، ومعجم البلدان: ٥/ ١٩٨, ١٩٩، ولسان العرب، (طرف)، وغيرها بدون نسبة.

الروايات:

١- رواية الثاني في أمالي المرتضى: ومازلتَ أرجو نفع سلمى وودها

وتبعد حتى ابيض مني المسائح

٢- التاسع في مطبوعة قراقو، من ديوان كعب: (وقالت: تعلم أن بعض عمومتي).

وفيما عدا طبعات الديوان والأمالي ورد الثاني عشر بقوله: "ولما قضينا من منى كل حاجة".

٣- الثالث عشر في الشعر والشعراء والأسرار والأمالي والمعاهد وشعراء بني قشير، وشعر يزيد،: (ولم ينظر الغادي الذي هو رائح).

وفي ذيل ديوان كثير: (ولايعلم الغادي الذي هو رائح).

٤- الرابع عشر في الأمالي والمعاهد:

فقلنا على الخُوصِ المراسيل وارتمتْ بهن الصّحارى والصفاح الصحاصحُ.

* * *

(٨٥)

هـ - نقل أبو الفرج بسنده أن عقبة بن كعب بن زهير نزل (المليحة)(*) على بني سلمى ابن ظالم، فأكلوا له بعيرا، وبلغ ابن ميادة (ت١٣٦ - ١٤٦هـ) أن عقبة قال في ذلك شعرا فقال ابن ميادة يرد عليه (كامل):

ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقاً لولا قرابةُ نِسْوَةٍ بالحَاجِرِ

لكسوتُ عُقبةَ كُسوةً مشْهُورةً يرد المناهلَ من كلامٍ عائرِ

فقال له عقبة (كامل):

١- ألؤْمـاً أنني أصـبحتُ خـالاً　　وذكــرُ الخـال يـنقُصُ أو يـزيدُ
٢- لقـد قلَّدْتَ من سلمـى رجـالاً　　عَلَيْـهِمْ مِـسْحـةٌ وهُمُ العَبِـيـدُ

(*) المليحـة: موضع في بلاد بني تميم، واسم جـبل في غربي سلمى أحـد جبلي طيء وبه آبار كثـيرة.
والعائر: السائر، المنتشر.
١- المسحة: العلامة والسمة.
المصادر:
الخبـر والأبيات كلها في الأغانـي، دار الثقافة: ٢/ ٣٥,٣٤، وبيـتا الرماح في مـعجم ماإستـعجم: ١/ ٤١٦، وشعر ابـن ميادة : ١٥٧، وفي الأخيـر، عن الأغاني، ثلاثة أبيات أخر، رد بهـا الرماح على عقبة، ص: ١٠٨.

* * *

(٨٦)

و - ذكر الآمدي أن عقبة بن كعب قـال يهجو بني الجليح، من بني عبدالله بن غطفـان، وكانوا ضـربوه، في قصـة مذكورة فـي " كتاب مـزينة" فقـيل له: "المضرب" (طويل):

١- ومالمتُ نفسي غير أنْ لم يكنْ معي　　سِـلاَحي ، وأني لم أكُنْ جِدَّ حَـاذِرِ
٢- أم تَرَ أن الـعَـبْــدَ يقـتُـلُ رَبَّهُ　　ولم يكُ يـخـشَـاهُ وليس بـثـائرِ
٣- شـريـتُكُمُ يابـنَ الجُليح كـأنما　　شَـرَيْتُ ، فلم أُغْـبَنْ بكم بَيْعَ تَاجِـرِ
٤- فلم تفعلُوا فَعِلَ الرِّجالِ أُولِي النُّهى　　ولم تفـعـلُوا فِـعْلَ النِّسَـاءِ الحَرَائِرِ

١- يريد أنهم أخذوه على حين غِرة، دون حذر منه، أو انتـباه وتيقظ، والبيت في المصدر بدون الواو في صدره، وقد أضفتها لإزالة الخزم.
٢ - ربه: سيده.

٣- شريتكم: بعتكم، واغبن: أظلم.

٤- أولو النهى: أصحاب العقول النيرة الراجحة، والنساء الحرائر: الكريمات الأصيلات حسبا ونسبا.

المصدر:

المؤتلف والمختلف: ٢٧٨.

* * *

(٨٧)

ز - قال الحسن الأصبهاني: "الوتدات لبني عبدالله (بن غطفان) وبأعاليه أسفل من الوتدات أبارق إلى سندها رملة تسمى (الأثوار)، وهي التي ذكرها عقبة بن مضرب (؟) من بني سلمى، حيث يقول (طويل):

١- متى تُشْرِفِ الثوْرَ الأغرَّ فإنما ... لك اليوم من إشرافه أن تذكَّرا

١- قال الأصبهاني: إنما جُعل ثورًا أغرَّ لبياض كان بأعلاه، يقول: ما إن تستشرف الثور الأغر حتى يجدد لك الذكر، ويهيج عليك الشوق والحزن، ويجوز أن يكون الشاعر قد قصد بالثور الأغر "القمر" فإن صح ذلك يكون الفعل: يشرق، إشراقه.

المصدر:

بلاد العرب: ٧٥.

* * *

(٨٨)

ح - ونُسب له قوله يصف جملا أو فرسا (طويل):

١- وأشعثَ قد طارتْ قنازعُ رأسه ... دعوتُ على طُول السُّرى ودعاني

٢- مطرتُ به في الأرض حتى كأنه ... أخو سببٍ يُرمى به الرَّجوانِ

١- الأشعث: المغبر شعر الرأس والمتفرقه والمتلبده، والمرتفع منه متأثرا بالسير في الصحراء. وقنازع: جمع قنزعة، وهي الخصلة من الشعر حول الرأس، وفي ديوان زهير: طول الكرى.

٢- ويُروى: "مطوت به الأرض" أي: مددت به في السير، وأخو السبب: ذو العزيمة، وقوله: لايرمى به الرجوان: مثل، قال الزمخشري: لايرمى به الرجوان، أي الناحيتان، مثل وأصله: أن الدلو إذا استقى بها فتارة يرمى بها هذا الرجا، وأخرى هذا، فشبه بها الرجل المستذل المزال من وجه إلى وجه، يضرب للرجل الموفى".

المصادر:

١- البيتان في "المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري: ١/ ٢٦٩, ٢٧٠، لعقبة".

٢- وهما من نونية تراوحت نسبتها بين زهير وابنه كعب، تستهل بقوله:

تبيَّن خليلي هل ترى من ظعائن ... بمُنعرج الوادي فُويق أبانِ

(ديوان زهير، الهيئة: ٣٥٨ - ٣٦٥، والآفاق: ٢٦٧-٢٧٠). وذيل الأعلم: ٢٩٠-٢٩٦.

* * *

١٩- عمارة بن عبد
(المُحرَّق أو المُخَرِّق) (*)

(٨٩)

أ - جاء في شعر معن بن أوس أنه قال يعرض به، وكان (عمارةُ) ابنَ أخت معن:

كلُّ ابن أخت زائدٌ أهلَ أُمِّهِ   وأنتَ ابنَ أختي ناقصٌ غيرُ زائدِ

... فأجابه المحرق، فقال (طويل):

١- ألا كُلُّ خال سوف يحبو ابنَ أُخْتِهِ   وأُنبِئْتُ خالي قَدْ حَبَا بالقصائدِ

٢- فإن كُنتَ قد أنذرتَني سَيْل شُعْبَةٍ   وإني امرؤ حامي الحقيقةِ ماجدُ

٣- أنا البحرُ مايُلْمِمْ به البحرُ يَغْشَهُ   وما البحرُ كالشِعْبِ القضيفِ السَّواعدِ

١- يحبو: يحمي ويمنع. وحبا بالقصائد: أخطأ بها الغرض، يسخر من خاله.

٢- الشعبة: طريق الماء الصغير. والحقيقة: مايجب على المرء أن يحميه. والماجد: ذو المجد والرفعة والعزة، وفي البيت إقواء.

٣- يلمَ به: يأتيه، يغشاه، يركبه ولايتهيبه. والشعب: المسيل الصغير. والقضيف: النحيف، سواعده (والواحدة: ساعدة): مجاريه التي تجري إليه.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩٥.

المصادر:

شعرُ معنٍ وردُّ ابن أُخته عليه في: شعر معن، ليبزج، ص: ٣١ ومعن حياته وشعره: ٧١، وديوان معن، بغداد: ٨٣.

* * *

(٩٠)

ب - وقال يهجو بني الأدرع (طويل):

١- سُـمِّيتَ باسمِ الـتيْسِ لُؤمـاً وذِلةً وشـرُّ التُّـيُـوسِ حـائلُ اللَّونِ أدْرَعُ

١- الحائل: المتـغيـر اللون، لا يُدرَى ما لونه، يجـمع على الحول والحُـوَّل والحيـال والحوائل، والأدرع، ومؤنثه درعاء، وجمعه درع، الذي رأسه أبيض وسائر جسده أسود أو العكس.

المصادر :

البيت في شعر معن، ليبزج، ٣١، وديوانه، بغداد: ٨٤.

* * *

(٩١)

جـ - وقال يُخاطبُ خاله معناً (طويل):

١- واللهِ لو أدبرتَ مـاهَبَّتْ الصَّـبَـا إلى يوم نلقىَ الـلهَ مـا قُلْتُ : أقْـبِلِ

٢- فخُذ كُلَّ مالٍ كُنـتَ أنتَ احْتَوْيتَه عليَّ ، وإن اِسْطَعْتَ ضُـرِّيَ فَـافْـعَلِ

١- أدبر: ولى ومضى.

٢- احتويته عليَّ: تفضلت به عليَّ.

المصادر:

البـيتان في المـؤتلف والمختلف، الإحـياء : ٢٨٣، والقُـدسي: ١٨٥، وشعـر معن، ليـبزج، ٣٢، وديوانه، بغداد: ٨٤، وشعره، جدة: ٤١.

* * *

(٩٢)

هـ- قال الفيروزبادي: بَرام (بفتح أوله وبكسره): جبل عند الحَرّة من ناحية النقيع، وذكر الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ) أودية العقيق، فقال: ثم تلعة بِرام، وفيها يقول المخرّق المزنيُّ (طويل):

١- وإني لأهْوَى مَنْ هَوَىَ بَعْضُ أهلِهِ ... بِرامَاً وأجْزَاعاً بِهنَّ بِرامُ

وقيل: هو على عشرين فرسخاً من المدينة.

١- ويقول الأستاذ حمد الجاسر: إنه لا يزال جبلا معروفا يقع في أعلى النقيع، وفيه ينحدر سيله: (منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارها)، مجلة العرب، جمادى الأولى، ١٣٩٣هـ.

المصدر:

المغانم المطابة: ٥٢، ٥٣، معجم البلدان: ١/٣٦٦.

* * *

٢٠- عمرو بن رياح (*)

(٩٣)

قال مفتخراً بمشاركة قومه في الدفاع عن الإسلام (بسيط):

١- أنا ابنُ أَوْسٍ وعُثمانَ الأُلَى بَلَغُوا ... مَعَ الرَّسُول تَمَامَ الألفِ وانْتَسَبُوا

٢- وما وفى معهم من غيرهم أحدٌ ... ألفاً وماخذلوا ، عنهم ، ولانَكَبُوا

١- يشير إلى مشاركة مزينة في فتح مكة (٨هـ) بألف مجاهد، منتسبين إلى الإسلام الحنيف، باعتناقهم مبادئه، إضافة إلى انتسابهم إلى قبيلتهم براياتها الثلاث في ذلك الفتح المبين.

٢- يريد أن قومه لم يرتدوا، فيمن ارتد من العرب عن مبادئ الإسلام أو بعضها، بُعيد وفاة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ولا ضلوا الطريق في الفتن اللاحقة من بعد.

المصدر:

معجم الشعراء، القدسي، ٢٣٢، والحلبي: ٥٣، ومن اسمه عمرو من الشعراء، ١٦٧.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٤٩٥ - ٤٩٦.

* * *

٢١- العَوَّام بن عُقْبة (*)

(٩٤)

أ - قال يصف امرأة (طويل):

١- وَصدَّتْ بعينَيْ شَادنٍ وتَبَسَّمَتْ بِحَمَّاءَ عن غُرٍّ لهُنَّ غُروبُ

١- الشادن: الظبي.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٦٥ وما بعدها.

المصدر:

معجم الشعراء: ١٦٤.

* * *

(٩٥)

ب - ويُروى أنه كانت له امرأة يقال لها (أم كامل) فنشزت عليه فقال (طويل):

١- أيا رَبِّ أستجيركَ من أُمِّ كَامِلٍ　　بمَا غَدَرَتْ واللهُ أنجحُ طالبِ
٢- يقولُ خليلٌ : لو تُباشِرُ ضَرّةً　　تُريها نهاراً طامساتِ الكواكبِ
٣- رأينَكَ لما أن بَدَتْ منك صفحةٌ　　من الأمر لا يَرْعَيْنَ وَصْلاً لغائبِ

١- أستجريك: أستغيث وأستجير بك.
٢- أي تجعلها ترى النجوم الخفية في وضح النهار لِمَا تحسّ به من الأوقات العصيبة.
المصدر:
معجم الشعراء : ١٦٤.

* * *

(٩٦)

جـ - وقال في امرأة بالغَمِيم من بلاد غطفان، تدعى "ليلى"، وسوداء الغَمِيم لقبها، وتشبب بها أبوه من قبله، ثم علقها هو، فخرج إلى مصر في ميرة، فبلغه أنها مريضة، فترك ميرته، وكرّ نحوها، وأنشأ يقول (طويل):

١- وخُبِّرتُ سَوْدَاء الغَميمِ مريضةً　　فَأقبلْتُ من مصرٍ إليهَا أعودُها
٢- فوالله ، ما أدري إذا أنا جئتُها　　أأُبرئها منْ دائها أم أزيدُها
٣- ألا ليت شعري هل تغيّر بعدنَا　　ملاحةُ عينَي أمّ يَحْيى وجِيدُها ؟!

٤- وهل أخْلَقَتْ أثوابُهـا بَعْـدَ جِـدَّةٍ ... ألا حبَّـذا خُلقـانُها وجَـدِ يدُهَا
٥- ولم يبقَ ياسَـوْداءُ شيء أُحِبُّهُ ... وإن بَقِـيَتْ أعـلامُ أرضٍ وبِيـدُها
٦- خَلِيليَّ قُومـا بالعمـامةِ واعصِبا ... على كبـدٍ لم يبقَ إلا عـميـدُها
٧- ولن يلبث الواشـون أن يصـدَعـوا العـصا ... إذا لم يكـن صُلْبًـا على البَـرْيِ عُـودُها
٨- لقد كنتُ جَلْداً قبل أن تُوقِد النَّوى ... على كَبِـدي ناراً بطيئـاً خُـمُـودُها
٩- ولو تُركتْ نارُ الهـوَى لَتَضَـرَّمَتْ ... ولكـنَّ شـوقـاً كُلّ يومٍ يزيـدُها
١٠- وقد كنتُ أرجُو أن تموتَ صبابتي ... إذا قَـدُمتْ آيـاتُهـا وعُـهـودُها
١١- فَـقَـدْ جَعَلَـتْ في حبّـةِ القلبِ والحَشَـا ... عِـهَـادُ الهَـوَى تُولـى بِشَـوْقٍ يَـزِيدُهَا
١٢- فسُودٌ نواصيهـا ، وحُمرٌ أكُفُّها ... وصُـفرٌ تراقـيـها ، وبيضٌ خُـدُودُها
١٣- وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى أزورُها ... أرى الأرض تُطْوى لي ويدنُو بعـيدُها
١٤- من الخَفِرات البِيضِ ودَّ جليسُها ... إذا مـا قَـضتْ أُحـدُوثةً لو تُعـيـدُها
١٥- مُخَصَّرة الأوساط زانَتْ عقُودَها ... بأحـسنَ مما زيَنَـتْـهـا عُـقُـودُها
١٦- يُمـنّينَنَـا حـتـى ترفَّ قُلوبُـنا ... رفـيفَ الخُـزامَى بـات طلٌّ يجـودُها
١٧- خليليَّ إني اليـوم شَاكٍ إليكُمـا ... وهل تنفـعُ الشكوى إلى من يـزيدها
١٨- حَزَازاتِ شوقٍ في الفؤاد وعَبْرَةً ... أظَـلُّ بـأطـرافِ البـنـانِ أذُودُهـا
١٩- وتحتَ مـجالِ الدمعِ حُـرٌّ بلابلٍ ... من الشَّـوْقِ لا يُدعَى لخَطْبٍ وليـدُها
٢٠- نظرتُ إليـها نـظرة ما يَسُـرُّني ... بهـا حُـمْـرُ أنعـام البِلادِ وسُـودُها
٢١- إذا جئتُـها وسطَ النساء منحـتُها ... صُـدوداً كـأن النفسَ ليس تُـريدُها

٢٢- ولي نَظْرةٌ بعد الصُّدُودِ من الجَوَى كنظرةِ ثكـلى قـد أُصـيبَ وَحِـيـدُها
٢٣- رفعتُ عن الدنيا المُنَى غيرَ وجهِهَا فـلا أسـألُ الدنيــا ولا أَسـتـزيدُها
٢٤- ولو أن مـا أبقـيتِ مـني مـعلَّقٌ بعُــودِ ثـمــامٍ مــا تَأودَّ عُــودُها

٢- أبرئها: أداوي سقمها وأعالجها.
٣- الجيد: العنق.
٤- أخلقت: أبليت، قدم عهدها.
٥- البيد: جمع البيداء، وهي الأرض الخالية من الحياة.
٦- العميد: الشديد الحزن الذي هده العشق والغرام.
٧- يصدعون العصا: يزعزعون العهد المبرم بين المحبين، والبري: النحت والضعف.
٨- الجلد: القوي المتحمل بثبات وصبر. والنوى: البعاد والبين والفراق.
٩- تضرّمت: ازداد توقدها وارتفع أوارها ولهيبها.
١١- حبة القـلب: هنة فـيه، أو مهجـته، يقال: أصابت حـبة قلبه، أي شغف قـلبه حبهـا. والحشا: ماانضمت إليه الضلوع. والعهاد: الميثاق.
١٢- النواصي: جمع ناصـية، وهي الضفيرة من الشـعر، والتراقي: جمع ترقـوة، وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث يترقى فيه النفس.
١٤- الخفرات: جمع خفرة، وهي المصونة مما يعرضهـا للذبول والتغيير، أو الشديدة الحياء، والأحدوثة: (والجمع: الأحاديث) مايتحدث به.
١٥- المخصرة: الدقيقة الخصر، وهو وسطها فوق وركها.
١٦- يمنيننا: يُطمـعْننا ويغرسن الآمـال في قلوبنا. وترف القلوب: تصفـو وتروق. والخزامى: شـجر له رائحة شجية، يعبق عبيرها، بالندى المتساقط عليه.
١٨- حزازات الشـوق: أوجاع القلب المتـسببـة عنه. والعبرة: الحـزن المسبب للدمـوع. أذودها: أداريها وأخفيها وأدفعها.
١٩- مجال الدمع: محل جولانه. والخطب: الأمر العظيم المكروه.
٢٠- الأنعام الحمر والسود: من أشرف أموالهم.
٢٢- الجوى: نار الشوق المضطرمة، وشدة الوجد من حزن أو عشق.
٢٤- الثمام: نبت ضعيف من الفصيلة النجيلية. وتأود: تعوج.

المصادر:

وردت أبيات من هذه الدالية في أكثر من عـشرين مصدرا مختلطة في أشعار كثـير من الشعراء، لذا فإنني لاأكاد أطمئن إليها جميعا لشاعر بعينه، وهو الأمر الذي أوجزه فيما يلي:

١- الأبيات للعوام في حماسة الخالديين: ١/١٩٧-١٩٩، عدا (٥، ١٢، ١٥، ١٦، ٢٤)، وعنها أثبتُّ المتن، عدا الشطر الأول من أول بيت، الذي دونتُه عن التبـريزي وغيره، وهي عدا (٤، ٥، ٦، ٧، ١٧, ١٨) في الحماسة البصرية، بيـروت: ٢/١٩١-١٩٣، لأبي العوام بن كعب، وعنها أثبتُّ البيتين الثاني عشـر والأخير، و (١، ٣، ٤، ٥، و٢، ١٤، ٢٠)، بشرح العيني للألفيـة، بهامش الخزانة، بولاق: ٢/٤٤٢، وعنه أثبتُّ البيت الخامس، و(٣، ٤، ٢٠) في معجم الشعراء: ١٦٣، ١٦٤، و(١، ٣) في حاشـية الصبان: ٤/٤٢ و ٢/٤٢، و (٣، ٤) في عـيون الأثر: ٢/٢٧٤، ٢٧٥ و(١، ٣، ٤، ٥، ٢٠، ٢٤) بهامش التبريزي على الحمـاسة، القاهرة: ٢/٣٤٤-٣٤٦، و (١، ٢) في الحمـاسة، عسيلان، الفهارس: ٢/٢٥٩، وفي شرح الأعلم، ٢/٧٦٥ لبعض الأعراب، وفي حاشيتها: لعبدالله ابن عـجـلان، والأبيـات (٢، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٤، ١٢، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣) في المذاكرة في ألقاب الشعراء، ص ٦٠-٦١ وفيه أيضاً ثلاثة أبيات أُخر هي:

حَـصَـانٌ من السـوءات للشـمس وجهـهـا ... وللريم منـهـا مـحـجـراها وجـيـدُها

مُـرتجـة الأطراف هيف خُـصُـورها ... عِـذَابٌ ثـناياها عِـجَـافٌ قـيـودُها

مُـثَـقَّـلة الأرداف زانت عُـقـودُها ... بأحـسَنَ مما زينتْـهـا عـقـودُها

والخامس عشر في الدر الفريد، ٥/١٧٥.

٢- الأبيات (٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢) للحسين بن مطير الأسـدي في طبقات الشعراء: ١٢٦، ١٢٧، وعن الطبقات في شـعره: ٤٦-٤٩، و (٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٦) في أمالي كل من الزجاجي: ١٩١-١٩٣، والقـالي، الدار: ١/١٦٥، و (٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٦) في كل من شـرحي المرزوقي (٣/١٢٢٨ وما بعـدها) والتـبريزي: ٣/٣٠٦ و٣٤٤-٣٤٦) وشـرح الفسـوي (١١٩) وعنوان النفاسة (١١٥) وعسـيلان ٢/٢٩٥، للحماسة، والبيت الثـاني والعشرون، في شرح الفاسي (خ) الورقة رقم (١٣٤)، وشرح الأعلم، ٢/٧٦١-٧٦٢.

٣- الأبيات (١. ٢. ٢١. ٢٢) في تزيين الأسواق، مصر: ١/٨٠، وفـي المصدر نفسه: ١/٧١، البيت العشرون لكثير، و (٢٠، ١٣، ١٤) في ديوانـه: ١/٢٠٠-٢٠٤، و (٢٠) له في الأغاني، الثقافة: ٩/٣٧، و(١٣، ١٤) له في شرح المكي على بانت سعاد، (خ)، الورقة السادسة.

٤- في التزيين: ١/٨٠، عقب المؤلف على الأبيات بقـوله: وقيل: إن هذه الأبيات لذي الرمة.. "وهي ليست في ديوانه، أو ذيله، ط دمشق.

٥- في الزهرة، ط اليسوعـيين: ١/١٠٠ و ١/١٥٧, ١٥٨: البيتان (١٩, ٢٣) مع آخر لجمـيل بن معمر العـذري، وعنهـا في ديوانه: ٦٩، وفي الزهرة، المنار: ١/١٨٢، الـبيـتـان (١١، ٢٢) لمعـاذ ليلى (المجنون) و (١, ٢) في ديوان قيس برواية الوالبي، ص: ٦٧.

٦- البيتان (١، ٢) في الحماسة، عـسيلان: ٢/٢٩٥، وفي عنوان النفاسة (١٧/أ)، بدون نسبة، والأول في مـعاني أبيـات الحـماسـة: ١٨٨، لأعرابي، وفي فـهـارسه: ٢٧٩، للعـوام. و(١٣، ١٤) في المستطرف: ٢/٣٨٩ و٤٠١، بدون نسبة ولنصيب في الأغاني، الثقافة: ٩/٣٧.

الروايات وأهمها:

١- رواية الأول في حماسة الخالديين والبصرية: (وخُبِّرت ليلى بالعراق مريضة). وفي متن الحماسة التبريزي: (وخبرت سواده القلوب مريضة).

٢- الثالث في البصرية: (ألا ليت شعري.. ملاحة عيني أم عمرو وجيدها).
وفي العيون، وفي الحاشية: (ملاحة عينيها أم أغبر جيدها).

٣- الرابع في الروض:
وهل بليت أثوابها بعد جِدة .. ألا حبذا أخلاقُها وجديدُها

٤- التاسع في البصرية: (ولو نزلت نار الهوى لتضرمت).

٥- الرابع عشر في البصرية وشرح العيني: (إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها).

٦- التاسع عشر في البصرية: (وتحت مجال الصدر حر بلابل).

٧- الحادي والعشرون فيها: (صدود أكان النفس ليس تريدها).

٨- الثالث والعشرون في الزهرة وديوان جميل: (فما أسأل الدنيا ولا أستزيدها).

* * *

(٩٧)

د - أورد محققُ ديوان الحماسة بشرح التبريزي بقية خبر الشاعر مع تلك المرأة (التي أنشد فيها داليته السابقة) قائلا: فلم يزل العوامُ يلطف حتى رأتْه ورآها، فأومأتْ إليه أنْ ما جاء بك؟ فقال: جئتُ حين علمتُ علّتك، فأشارت إليه: أن ارجع، فإني في عافية فرجع لميرته، واستعز بها المرض، فجعلت تتولَّهُ حتى ماتت، فبلغه الخبرُ، فقال (طويل):

١- سقى جَدَثا بين الغَميمِ وزُلْفَة ... أحَمُّ الذُّرا واهي الْعَزالى مطيرُها
٢- فقلتُ لقلبي: لا تُبكٍّ فإنَّهُ ... كذاكَ الليالي طُولُها وقصيرُها
٣- فإني لَبَاكٍ ما بقيتُ وإنَّه ... لأسْوأ عَبْرَاتِ الرجالِ كثيرُها

وفيها يقول:

٤- وإن تكُ سوداءُ العَشيَّةَ فارقتْ ... فقد ماتَ مِلْحُ الغانياتِ ونُورُها

١- الجدث (والجمع: أجداث وأجدُث): القبر، والغميم: موضع قرب المدينة، بين رابغ والجحفة (المغانم)، وقال السمهودي: ذكر كراع الغميم فيما بين عسفان ومر الظهران وقال عياض: إن الغميم واد بين عسفان بثلاثة أميال. والكراع: جبل أسود بطرف الحرة يمتد لهذا الوادي، ويؤيده قول ابن هشام: الغميم بين عسفان وضجنان (وفاء الوفا). وزلفة: ماء شرقي سميراء (معجم البلدان). والأحم: الأخص والأقرب. والواهي: الضعيف. والعزالى: جمع العزلاء وهو مصب الماء من القربة ونحوها، ويقال: أنزلت السماء عزاليها، إشارة إلى شدة وقع المطر. وربما كان بين هذا البيت وبين تاليه أبيات لم تصل إلينا.

٤- ملح الغانيات: حسنهن وبهجة منظرهن.

المصادر:

الخبر والبيتان (١, ٤) في شرح الحماسة للتبريزي، حاشية: ٣/ ٣٤٥، ٣٤٦، والبيتان: (٢, ٣) في معجم الشعراء: ١٦٤، وعنه في شعر بني مزينة في الجاهلية، ص: ٩٨.

* * *

(٩٨)

هـ - وقال (طويل):

١- أأَنْ سجعتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ دعتْ ساقَ حُرٍّ مَاءُ عينيكَ دافقُ

٢- كأنكَ لم تَسْمَعْ بكاءَ حَمَامَةٍ بِشَجْوٍ ولَمْ يَحْزُنْكَ إلْفٌ مُفَارِقُ

٣- ولم تَرَ مفْجُوعاً بشيءٍ يُحِبُّهُ سِوَاكَ ولم يعشَقْ كَعِشْقِكَ عَاشِقُ

٤- بلى، فأفِقْ عن ذِكْرِ لَيْلَى فإنَّمَا أخوُ الصَّبْرِ مَنْ كفَّ الهَوَى وَهْوَ تَائِقُ

١- سجع الحمامة: موالاة صوتها على طريق واحد. وتُجاوِبُ: تبادل أخرى، ترد عليها وتناغيها. دافق: هاطل. و «ساق حر» ذهب الأصمعي إلى أنه الذَّكر من الحمام.

٢- الشجو: الشجى، الطرب بالفرح أو الحزن، والإلف: الخليل الصاحب.

٣- المفجوع: المبتلى والمصاب والمصدوم.

٤- التائق: المشتاق.

المصادر:

الأبيات في أمالي القالي، السعادة: ١/ ١٣١، ومصارع العشاق: ١/ ٢٩٥، والأول فقط في سمط اللآلىء: ٣٧٣، للعوام، وفي الحماسة البصرية، بيروت: ٢/ ٢٣١, ٢٣٢ لمرة بن عبدالله النهدي، وقال المؤلف: " وتُروى للعوام بن عقبة العجلاني ".

والأبيات (١، ٢، ٤) في الحماسة الشجرية، حيدر آباد: ١٧٢، للصمة بن عبدالله القشيري، وعنها أثبتها الدكتور عبدالعزيز الفيصل جامع شعر بني قشير في الجاهلية والإسلام: ٢٦١، ومحقق ديوان الصمة القشيري، ص: ١١٥، ١١٦.

وهي في تزيين الأسواق: ١/ ٢٩٥، لمجنون ليلى، وعنه أثبتها محقق ديوانه، ص: ٢٠٤، وفي أمالي اليزيدي، ص: ٥٠، والمراثي، ١٣٥، والأول في المخصص، بولاق: ٢/ ١١٥، بدون نسبة، والأبيات (١-٤) في ديوان قيس بن ذريح برواية الوالبي، ص: ٩٧.

الروايات:

١- الأول في أمالي القالي والشجرية وشعر بني قشير:

أإن سجعت في بطن واد حمامة ... تجاوب أخرى ماء عينيك دافق

وفي السمط والمخصص وأمالي اليزيدي: (.. تجاوب أخرى دمع عينيه غاسق).

٢- الرابع في اليزيدي:

بلى فأفق من وَجْدِ ليلى فإنما ... أخو العزمِ من كف الهوى وهو تائقُ

وفي ديوان قيس، برواية الوالبي: بلى وأفق.

٢٢- فُلَيْح بن إسماعيل الـمَـلَـلِيّ (*)

(٩٩)

قال يمدح ثابت بن الزبير بن خبيب الزبيري (رجز):

١- عنَّيْــتنا ياثـابت بن الـزُّبَيْــرْ ... جشَّــمْـتنـا جَـوْبَ حِـرارٍ وعُـوْرْ
٢- سَـقْيــا لجَـدَّيك وجـدَّيهــمَـا ... ومَنْ لَهُ جَــدٌّ كَـمِـثْلِ الـزُّبَيْـرْ

١- عنّيتنا: أرهقتنا وأتعبتنا. وجشّمتنا: كلّفتنا مشقة وثقلا. جوب: قطع. والحرار العور: الأراضي ذات الحجارة النخرة السود، كأنها أُحرقت بالنار فذهب حسها.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٦٩-١٧١ مع ترجمة ابنه خارجة بن فليح الـمللي.

المصدر:

جمهرة نسب قريش وأخبارها: ١٠٨.

* * *

٢٣- مكنف بن نُميلة (*)

(١٠٠)

أ - قال يتغزل (طويل):

١- تذكَّــرَ لَـيْلَى أُمَّ بكـر وذِكْــرُها ... جـــوًى بين أطـلاحِ الضـلوع وداءُ
٢- وَمَـا ذِكْـرُ ليـلى أُمّ بكر إذا نأتْ ... بهـــا الـدَّارُ إلا حَـسْــرَةٌ وعَـنَاءُ
٣- ولم تَجْـزِني بالوُدِ ليلى ولَمْ يكُنْ ... لَنَـا عِنْدَ لَـيْلَى بـالبِنَـاءِ قَــضَـــاءُ
٤- ولا خيرَ في وَصْلٍ إذا لم يكُنْ لَهُ ... عَلَى طُـول جَــرِّ الحــادثات بقــاءُ
٥- ومـا بُحْتُ بالسرّ الذي كـان بيننا ... وبـينَـكِ إلا أن يـبـــــوح بُكَـاءُ

٦- لعَمري ، لئن قُنِّعْتُ بالشَّيْبِ وانكَفَا
بما فِيهِ مِنْ ماءِ الشَّبَابِ إنَاءُ
٧- لَقَدْ كَانَ ماءُ الحُسْنِ يدعُو إلى الصِّبا
نساءً أعارتْها العُيونَ ظِبَاءُ

١- الجوى: الصبابة.
٢- نأت: بعدت وصدت. حسرة: لوعة وأسى. عناء : تعب وآلام.
٣- تجزينني: تكافئيني. البناء: الاصطناع والإحسان.
٤- جر الحادثات: مرور الدهر، بتقلباته ومحنه ومصائبه.
٥- قنعت بالشيب: ابيض شعر رأسي من المشيب والشيخوخة.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٧٦.

المصدر:

حماسة الخالديين: ٢/ ١٦٩.

* * *

(١٠١)

ب - وقال في رثاء ذفافة العبسي أحد بني قيس عيلان (كان معاصراً للرشيد «ت١٩٢هـ») (طويل):

١- أبعدَ أبي العباسِ يُستَعْتبُ الدهرُ
وما بعدَهُ للدَّهرِ عُتْبَى ولا عُذْرُ
٢- ولو عُوتِبَ المِقْدَارُ والدَّهْرُ بَعْدَهُ ... لَمَا أَعْتَبَا ما أَوْرَقَ السَّلْمُ النَّضْرُ
٣- ألا أيها الناعِي ذُفافةَ ذا النَّدَى ... تَعِسْتَ وشُلَّتْ من أناملِكَ العَشْرُ
٤- أتنعَى فتىً من قيسِ عَيْلاَنَ صَخْرَةً ... تَفلَّق عَنْهَا مِنْ جِبَالِ العِدَا الصَّخْرُ؟!
٥- إذا ما أبو العَبَّاسِ خَلَّى مكانَهُ ... فَلاَ حَمَلَتْ أُنثى وَلا مَسَّهَا طُهْرُ

٦- وَلاَ أَمْطَرَتْ أرضاً سماءٌ ولا جَرَتْ نُجـومٌ ، ولا لذَّت لِشَـارِبِهَـا الخَمْـرُ
٧- كـأن بني القَـعْـقَـاع يومَ وَفَـاتِه نُجـومُ سَـمَـاء خَـرَّ من بينهـا البَـدْرُ
٨- تُوُفِّـيتِ الأَمـالُ بعــدَ ذُفـافـةٍ وأَصْبَحَ فـي شُغْلٍ عَنِ السَّـفَرِ السَّـفْرُ
٩- يُعَـزون عن ثاوٍ تُـعَـزَّى به العُـلا ويبكي عليـه المجدُ والبـأسُ والشعْـرُ
١٠- وما كـان إلا مالَ من قلَّ مـالُه وَذُخْـراً لمـن أمسَى وليس لـه ذُخْـرُ

١- يُستعتب: يُطْلَب رضاه. العُتبى : الرضا.
٢- المقدار: الأجل والقدر. السلم النضر: النبات الأخضر المعشب.
٤- تفلّق: انشق.
٥- خلّى: ترك.
٧- خرّ: سقط ووقع.
٨- السّفْر: المسافرون.
٩- الثاوى: المقيم.
١٠- الذخر: العون المدخر.
المصادر:
الأبيات كـلها لمكنف في الموشح، السلفـية: ٣٢٨، والنهـضة: ٥٠٣، و (١-٨) في تاريخ دمـشق، الدار: ٤/ ١٦١، ١٦٢، وتهـذيبـه: ٤/ ٢٨، ٢٩، و (١ ,٣ ,٤ ,٥ ,٦ ,٧ ,٨) فـي الأغـاني، دار الفكر: ٢٤٦/١٥، والموازنة: ١/ ٧٢ ,٧٣، وأخبار أبي تمام: ٢٠٠ ,٢٠١، و (١ ،٣، ٥ ,٦ ,٧ ,٨ ,٩ ,١٠) في الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٨٧ ,١٨٨، وحل الخامس محل الثالث في الموازنة، و (١ ,٥ ,٦ ,٧ ,٨) في الحماسة البصرية، بيروت: ١/ ٢٣٦، والسابع لجرير في المخصص: ٩/ ١٠، وليس في ديوانه.
الروايات:
١- رواية الأول في الأغاني: أبعد أبي العباس يُسْتَعْتَبُ الشعْرُ
فما بعده للدهر حسن ولاعذرُ
وفي أخبار أبي تمام: أبعد أبي العباس يُستعذَبُ الدَّهرُ
ومابعده للدهر حسن ولاعذرُ
٢- رواية الثاني في تاريخ دمشق وتهذيبه:
. . . . لما أغننا ما أورق السلم النضرُ
٣- والثالث فيهما: تعسْتَ وشكت من أناملك العشر
٤- الرابع في الأغاني وأخبار أبي تمام: (أتنعي لنا من قيس عيلان صخرة).

٥- السادس في الموازنة والوساطة (ومطرت أرضا سماء ولاجرت).
٦- السابع في الأغاني: (كأنَّ بني القعقاع يوم مُصَابه)، وفي المخصص:
نجومٌ هَوَى مِنْ بينها القمرُ البدرُ.
٧- والثامن فيه: (توفيت الآمال يوم وفاته).

* * *

(١٠٢)

جـ - وقال متغزلاً (طويل):

١- يبـوح بما يُخـفـي حَـشًـا وضُلُوعُ ... سَـقِـيـمَـةُ أطراف الدُّمُـوعِ جَـزُوعُ
٢- لها عـارضٌ يُبدي الضمـيرَ تهيـجهُ ... طلُـولٌ تعـــفَّت بـاللّـوى وربوعُ
٣- ولي عَـبَرَاتٌ كلمـا عُجتُ عَـوْجَةً ... على عـرصـات خـيـمـهنَّ صـريعُ
٤- وإني لأشـقى الناس بالدمع كلمـا ... تَصـدّعَ شـعبٌ أو أشـتَّ جـمـيعُ
٥- يقـولون: لو عـزَّيتَ قلبكَ لم يَبُحْ ... ضـمـيـرٌ ولـم تَنْمُمْ عليـك دمـوعُ
٦- فقلتُ لهم: لا ذنبَ لي أن تكلَّمَتْ ... دُمـوعٌ جـرى في جـريهنَّ نَجـيـعُ

١- الحشا: مفرد الأحشاء وهي مافي البطن، والجزوع: الضعيف الهزيل السقيم.
٢- العارض: صفحـة العنق وجانب الجه. وتهيجه: تثيـره، وطلول: أطلال وهي بقايا الديار، وتعفت: درست وبَلِيتُ، واندثرت. واللوى: واد من أودية بني سليم. ربوع: جمع ربع، وهو المرتع والمقام.
٣- عُجت: أقمت. عرصات: جمع (عرصة)، وهي كل بقـعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء، والخيم: السجية والطبيعة.
٤- الشعب:ماانفرج بين الجبلين، أو كان مسيلا للماء في بطن أرض. وأشتْ: تفرّق وتصدّع الجمع.
٥- عزيت القلب: خففت من آلامه وسلِيته. تنم: تدل وتوحي.
٦- النجيع هنا: دم الجوف.
المصدر:
حماسة الخالديين: ٢/ ١٦٩.

(١٠٣)

د - وقال في أبيات يهجو بها ذفافة العبسيَّ (كامل):

١- إن الضُّراط به تعــاظَمَ جـدُّكُمْ ... فَـتَـعَاظَـمُوا ضَـرِطاً بَنِي الـقَعْـقَـاعِ

المصادر:

١- البيت في الموشح، السلفية: ٣٢٨، والنهضة: ٥٠٣، والموازنة: ١/ ٧٢، والأغاني، الفكر: ١٥/ ٢٤٦، وأخبار أبي تمام: ٢٠٠.

٢- في الموازنة: (إنَّ الضراط به تعاظم مجدكم).

* * *

(١٠٤)

هـ - وقال يصف أحواله واقفا بالديار (كامل):

١- حَـتَّى مَـتى أَنـا بالدِّيارِ تَبِـيلُ ... وجَــدَى الديـارِ ونَفْــعُــهُنَّ قَـلَيلُ

٢- هَاجَتْ بذي بَقْـرٍ عليكَ صـبـابَةً ... دِمَنُ الديارِ ، ورَسـمُـهُنَّ مُـحـيلُ

٣- إنَّ المنـازلَ لا تزالُ عـلى الـبِلَـى ... بالـطَّلْحِ تُـشْـعِـفُـنِي لهنَّ طُـلولُ

٤- فـسَقَـى بذي بقْرٍ ديارَكِ مُـسْبلٌ ... هَزِمٌ ، يجـودُ عِـراضَـهـا ويسـيلُ

١- التبيل: المأخوذ، الذاهب العقل، المتيم. والجدى: الجدوى والنفع والفائدة.

٢- الدمن: آثار الديار، مفردها (دمنة). والمحيل: المجدب.

٣- البلى: الفناء والعفاء والاندثار.

٤- المسبل الهزم: المطر الوفير المتقطع، المصحوب بصوت الرعد المتكسر.

المصدر:

الأنوار ومحاسن الأشعار: ٢١٦.

* * *

٢٤- المُمَـزِّق بن المضرَّب (*)

(١٠٥)

قال (بسيط):

١- أنا الممـزِّق أعـراضَ اللئـامِ كمـا   كـان المخـرِّقَ أعـراض اللئـامِ أبي

١- المخرق: المشقق والممزق.

الأعلام:

(*) ملحق الأعلام، ص: ٥٠٢.

المصادر:

١- البيت في تثقيف اللسان: ١٦٢, ١٦٣، والمذاكرة، ٢٤ للممزق.

٢- وهو في المؤتلف والمختلف، القـدسي: ١٨٦، وسمط اللآلئ: ٤٦٣، والحماسة البـصرية، بيروت: ٢/ ٢٨٤، ولطائف المعارف: ٢٥، واللسان (مزق) والمزهر: ٢/ ٤٤٣ للمـخرق بن الممزق الحضرمي، وفي الورقة، ١٠٤ برواية:

أنا المخرّق أعراض اللئام كَمَا   كان الممزّق أعراض اللئام أبي

وفي المزهر:

إني المخرّق أعراضَ الكِرام كَما   . . . .

وزاد عليه البصريُّ في حماسته:

لن أهجُو الدَّهرَ إلا مَنْ له حَسَبٌ . . ولست أمدحُ الا ثاقب الحَسَبِ

* * *

وأورد له ابن الجراح في الورقة، ص ١٠٤ - ١٠٥ قوله (وافر):

١- إذا ولـدت حـليـلـة بـاهـلـيٍّ   غـلامـاً زِيدَ في عـدد اللئـام

٢- وعِـرْضُ الـبـاهلـيّ وإن توقّى   علـيـه مـثـل منديـل الطعـام

٣- ولو كـان الخلـيـفـةُ بـاهليـاً   لقـصّـر عن مُـسـامـاة الكرام

٤- إذا ازدحم الكـرامُ على المعـالي   تنـحَّى البـاهلـي عن الطـعـام

ثالثاً: المجهولو العصر

٢٥- الحاجب المزنـــي (*)

(١٠٦)

هـ - قال يصفُ نِسوةً يقُمنَ بكساء دواب الرحلة (وافر):

١- كَسَـوْنَ الفـارسـيَّـةَ كُلَّ قَـرنٍ وزيَّـنَّ الأشِـلَّةَ بـالـسُّـــــــدُولِ

١- كسون: الضـمير يعود على النسوة. والأشلة: مِسْحٌ من صـوف أو شعر تُجعل على عجز البـعير من وراء الرحل ومفردها: شليل. والسُّدُولَ: جمع سِدْل بضم السين وكسرها، وهو السـتـر يجمع أيضاً على أسدُل وأسدال.

الأعلام:

(*) لم يتيسر لي معرفة هذا الشاعر ولا عصره.

المصدر:

لسان العرب، (سدل). وفيه: ويروى: كسونَ القادسيّة.

* * *

٢٦- حسان بن الغدير (*)

(١٠٧)

أ - قال يصف ما اعتراه من شيب (طويل):

١- وهُلْكُ الفتى ألا يُراح إلى النَّدى
وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا
٢- ومن يَتَتَبَّعْ مني الظَّلْعَ يَلْقَني
إذا ما رآني أصلَعَ الرَّأسِ أشْيَبَا

هلك: مصدر الفعل هلك، بمعنى مات، أو فنى. والظلع: غمز شبيه بالعرج، عنى بذلك ضعف الرأي.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٧٩ وما بعدها.

المصدر:

البيان والتبيين، ٣/ ٢٤٢، ٣٤٣ وهما لعلي بن الغدير الغنوي في أمالي القالي، الدار، ٢/ ١٨١ ولرجل من بكر في أمالي الزجاجي ٣٠، وانظر الأغاني، ١٨/ ٤٥.

* * *

(١٠٨)

ب - وقال يحث الناس على بذل المعروف، وعدم الاستهانة بالمرأة (طويل):

١- لأي زمانٍ يَخْبَأُ المرءُ نفعَهُ ... غداً، بل غدٌ والموتُ غادٍ ورَائحُ
٢- إذا المرءُ لم يَنْفعكَ حَيّاً فنَفْعُه ... أقلُّ إذا رُصَّتْ عليه الصَّفَائحُ
٣- رأيتُ رِجَالاً يكرهون بناتِهم ... وهُنَّ البواكي والجُيوبُ النواصِحُ

٤- وللموتِ سَوْراتٌ بهـا تُنْقَضُ القُوَى وتسْلو عن المالِ النـفوسُ الشـحـائِحُ
٥- ومـا النأيُ بـالبُـعـدِ المُفـرّقِ بَيْنَنَا بل النأيُ مـاضُـمَّتْ عليْـهِ الضَّـرائِحُ

١- يخبأ : يدخر.
٤- سورات: جمع سورة وهي الحدة.
٥- الضرائح: جمع الضريح وهو القبر.

المصادر:

١- الأبيات الخمسة لحسان في سمط اللآلئ: ٨٠٤، وعنه أثبتهما في المتن، والأربعة الأول في المؤتلف: ٢٤٦, ٢٤٧، له أيضاً، وعنه رواهما صاحب شعر بني مزينة، ص: ٨٨.
٢- البيتان الأول والثاني لكعب بن زهير في حماسة الخالديين: ٢/ ٢٠٤، وعنها في ذيل ديوانه، القاهرة: ٢٥٧، وفائت الأحول: ٨٤، وشعر بني مزينة في الجاهلية، ص: ١٠٣، أيضاً وهما له في المذاكرة، ٥٩.
٣- الرابع والثاني والأول لابن هرمة في تاريخ بغداد : ١٣/ ٢٣٧، وتهذيب تاريخ دمشق: ٢/ ٢٤٢، وذيل ثمرات الأوراق: ١٩١، ومجموعة المعاني: ٣٤.
٤- الثالث لمعن بن أوس في شعره، ليبزج: ٣٢. وحياته وشعره: ٣٩، وديوانه، بغداد: ٨٥، وشعره، جدة: ٢٧، والأغاني، الدار: ١٢/ ٥٥، والخصائص: ١/ ٣٣٩، ومحاضرات الأدباء: ١/ ٣٢٥، ونكت الهميان: ٢٩٤، وخزانة الأدب، هارون: ٧/ ٢٦١, ٢٦٢، وشرح شواهد المغني: ٢/ ٨٠٨، ومعاهد التنصيص: ١/ ١٦٦.
٥- الثالث مع بيت آخر، بدون نسبة في الحماسة البصرية، بيروت: ١/ ٢٧٣.

الروايات:

١- رواية البيتين الأولين في ذيل الثمرات، وتهذيب تاريخ دمشق ومجموعة المعاني:

لأيـة حـــال ينفـع المرءَ مـــالـه غـداً ، فـغـدٌ والمـوت غـادٍ فـرائحُ
... ... أقلُّ إذا ضُـمَّتْ عليـه الـصَّـفـائِحُ

٢- باستثناء رواية المؤتلف والسمط في إحدى روايتيه ومن نقل عنهما وردت رواية الثالث في المصادر الأخرى بقوله:
(وفيهن، لاتُكذب، نساءٌ صوالحُ).
٣- رواية الرابع في تاريخ بغداد وغيره:
وللنفس تاراتٌ تُحل بها العُرَى . . وتَسخوُ عن المال النفوسُ الشحائحُ

* * *

(١٠٩)

جـ- روى القالي بسنده عن الزبير بن بكار، قال حدثني أبو غزية الأنصاري ثم أحد بني مازن بن النجار، قال: حدثني مجمع بن يعقوب الأنصاري، قال: أدركتُ حسان بن الغدير شيخاً كبيراً من أجمل الشيوخ وأحسنهم، فحدثني أنه قال: سارت علينا سائرة من بني جشم بن بكر، فرأيتُ فيهم فتاة ما رأيتُ في نساء العرب مثلها حُسنا، فكنتُ أخطبُها فلم يُقَدَّرْ لي تزويجُها، فَضَرَبَ الدهرُ بيننا، فإني بعد ذلك بأربعين سنة لفي بلادي إذ أهلوها قد ساروا وإذا بها تسأل عني، فلما دُفِعَتْ إليَّ ورأتْ كبري، قالت: أأنت ابنُ الغدير؟! فقلتُ: نعم. قالتْ: لقد أَكَلَ الدهرُ عليك وشَرِبَ.

قال: فذلك قولي فيها وقد كَبِرَتْ أيضاً وتغيَّرتْ (كامل):

١- قالتْ أُمامةُ يوم بُرْقَةِ واسطٍ ... يابنَ الغدير لقدْ جعلتَ تنكَّرُ

٢- أصبحتَ بعد شبابكَ الغضِّ الذي ... ولت شبيبتُه وغُضْنُكَ أخضرُ

٣- شيخاً دعامتُكَ العِصِيُّ مشيّعاً ... لا تَبْتَغي خبراً، ولاتُسْتَخْبرُ

٤- فاجبتُها: أنْ منْ يعمَّرْ يَعْتَرِفْ ... ماتزعمين وينبُ عنه المنظرُ

٥- ولقد رأيتُ شَبيه ما عَيَّرْتِني ... يسْري عليَّ به الزمانُ ويُبكِرُ

٦- وجعلتُ يُغْضبني اليسيرُ وملَّني ... أهلي، وكنتُ مُكَرَّماً لا أُكهرُ

٧- وشربتُ في القعْرِ الصغيرِ وقادَني ... نحوَ الجماعةِ من بنيَّ الأصغرُ

١- تنكر: تجهل.

٤- يعترف: يقر ويعرف مدركا. وينبو: يجافي ويتجنب.

٥- اليسير: القليل.

٦- أُكهر: أقهر وأنهر وأعنف، وأُستقبَل بوجه عابس.

المصادر:

١- ذيل الأمالي، الآفاق: ٨٩، والبيان والتبيين: ٢/ ٢٤٢.

في الأول جميع الأبيات وعنه أثبت المتن، وفي الثاني (١-٣) بدون نسبة.

٢- في البيان:

قــالت أمــــامــة يوم برقـــة واصل　　يابنَ الـغــدير لقـدْ جـعلـتَ تغـيــر

أصـــبـــحتَ بـعــد زمـــانك الماضـي الذي

ذهبت شــبـيــبــتُــه وغُــصنُــكَ أخــضــرُ

شـيــخـا دعـامــتك العـصـا ومـشـيَّـعـا

... .

* * *

٢٧- الخنساء بنت أبي سُلْمَى (*)

(١١٠)

قالت في رثاء أبيها (وقيل: أخيها) (وافر):

١- ومـا يُغْني تَـوَقي الموتِ شيـئًـا ... ولا عـقـدُ التـمـيم، ولا الغَـضَـارُ

٢- إذا لاقى مَنَّـيـتَـهُ فـأمْـسَى ... يُسَـاقُ بـه، وقـد حُـقَّ الحـذَارُ

٣- ولا قـــــاه مـن الأيام يَـوْمٌ ... كـمـا مِنْ قَـبْلُ لم يَـخْلُدْ قُـدَارُ

١- التوقي: الحـذر، وقال ثعلب في شرحه لهـذا البيت: يقال: كان إذا خَشِيَ أحدهم المرض علق على نفسه خزفا من الخزف الأخضر، فلايدنو منـه المرض.. '. والتميمة: العوذة، وهي خرز كان العرب يتخذونه، ليقوا بها أولادهم من الشر، في زعمهم. والغضار: شيء من الرقى والعوذ.

٢- حق الحذار: وجب الحذر من هول الموت وورود الآخرة.

٣- هو قدار بن سالف الأحمر عاقر ناقة صالح عليه السلام، يُضرب به المثل في القوة والعتو.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٨٠.

المصادر:

١- الأبيات الثـلاثة لها في شرح ديوان زهـير، الظاهرية، الورقة (٥٣)، وصـعوداء: ٤٤، وط الهيـئة: ٣٦٦، والآفـاق: ٢٧١، والأغـانـي، الدار: ١٠/ ٣١٤، وشـرح شـواهد المغني: ٤٩، ومـعـاهد التنصيص: ١/ ١١٠.

٢- البيتان الأول والثاني لها في المؤتلف والمختلف: ١٥٧، ولسان العرب وتاج العروس (غضر).

الروايات:

١- رواية الأول في المؤتلف واللسان والتاج: (ولا يُغني توقّي المرء شيئا).

وفي ديوان زهير بنسخه المختلفة من دون الواو في أوله.

والثالث: في شرح شواهد (ولا قَام من الأيام يومُ).

* * *

٢٨- ابن شهاب (*)

(١١١)

قال يصف وقوفه بالأطلال (وافر):

١- علوتُ من الصَّـــبابة رأسَ أبلى فـمـا آنـسْتُ من عَـمْـقيْـنِ شـيًّـا
٢- حـبـستُ ظَمـيَّـتي بثـمـادِ أُبلى وقـد وَرَدَتْ لِخِــمْـسَـيْـهـا حِنيًّـا
٣- ولكـنْ بالبـطاح بطـاح عَـــمْقٍ مـــشـــاربُ مـــا تُحلُّ بهــــا رُويًّا
٤- سـقـى اللهُ البِطَاحَ بِطاحَ عَـــمْقٍ بسـلمى حـين تنـزلهــــا هنيًّـــــا

١- أبلى وعمق: من منازل مزينة، وهما قرب المدينة، والأول عند أجأ، وسلمى.
٢- الظمية: الظمأ والعطش، إلى الوصال والهناء، وثماد أبلى: ماؤها القليل، المتجمع في الشتاء، الناضب في الصيف. حنيا: شديدة الشوق والحنين.
٣- البطاح: جمع بطحاء، وهي مسيل فيه رمل، ودقاق الحصى.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، الهندية: ٢٦٢، ومطبوعة العبيكان، ٢/٦٦٩.

الأعلام:

(*) لم أستدل على ترجمة لقائل هذه الأبيات، وقال عنه الجاسر: ويبدو أنه مُزني من أهل عَمْق الزروع.

* * *

٢٩- غُـزْلاَن الثُّـمَـامـيَ (*)

(١١٢)

أ - قال (طويل):

١- ألَّا بِعَـــمْقٍ ذي الزروع فـــسلِّمــا
وإن كـــان عن قَـصْــدِ المطيّ يجـــورُ

٢- فـــإن بـعـــمقٍ ذي الزروع لبُـــدَّناً
مِنَ اَسْلَـم في تكلـيـــمــهـــنَّ أجُـــورُ

٣- فـلا تعجـزا عن حـاجـةٍ لأخيكمـا
وإن كـــان فـيـــهـا غِـلْظَةٌ وفُـجــورُ

٤- فـما ضـرّ صِرْمُ الأسـلميـات لو بدا
لنـا يوم عَـــــمْقٍ أذْرُعٌ ونُـحـــــورُ

٥- وفي عِـــــرسِ قَنّانٍ عَـليَّ ألـيّـــةٌ
وفـــي الحَـــنـذِيّـــاتِ المِـــلاح نُـــذُورُ

المصدر:

التعليقات والنوادر، العبيكان، ٢/٧٧٨.

الأعلام:

(*) هو غُزْلان الثمامي من ثمامة بن كعب بن جذيمة بن خفاف.

* * *

(١١٣)

ب - وقال (في نساء) مُزنيات (طويل):

١- فإن بَوكْدٍ فالبُريراء فالحشا فخَلْصٍ إلى الرنقاء من وَبِعَانِ
٢- أوانسَ من حَيَّيْ عِداءٍ كليهما طوامحَ بالأزواج غيرَ عَوَان
٣- جُننّ جُنوناً من بُعُولٍ كأنها قُرودٌ تَبَارَى في رِباطٍ يمان
٤- فمُراً فقُولا طالبانِ لحَاجَةٍ وعُودا فقُولا نحن مُنصرفان

المصادر:

(١-٤) في التعليقات والنوادر، نفسه، ٢/٧٧٩، و(١-٣) بدون نسبة في أسماء جبال تهامة، ٤٠٥، نوادر المخطوطات، ومعجم البلدان، (خلص) و (وَبعَان)، وقد أورد الأبيات (١-٣) باختلاف يسير في الألفاظ.

* * *

(١١٤)

ب - وقال (طويل):

١- خليلي صُبّابي ورحلي وناقتي على فَلَج الريَّان ثم ذَرَانِيَا
٢- فإنْ أنتُمَا لم تفعلا وَمَرَرْتُما على حائطِ الزيديّ فاستودعانيا
٣- أُسائل عن عَمْقٍ وعن حُسن حاله ولولا ابنةُ الزيدي قلّ سؤاليا

المصدر:

التعليقات والنوادر، نفسه، ٢/٧٧٨.

وفيه: عَمْق الزروع: قُرب الفُرع، وعَمْق المضيق بِيَلْيَل قرب بدر، وقال: الزيديون من بني عمران من مزينة ثم من بني عثمان.

٣٠ - مضرس بن قرطـــة (*)

(١١٥)

أ - قال يصف هيامه بسُلَيْمى (طويل):

١- وأُقسِمُ ، لولا أن تقولَ عـشيرتي : صبا بسُلَيْمى ، وَهْوَ أشمطُ راجِفُ
٢- لَخَـفَّتْ إليهـا من بعـيدٍ مطيَّـتي ولو ضـاع من مـالـي تليـدٌ وطارفُ
٣- ذكــرتُ سُليــمى ذكـرةً فـكأنما أصـابَ بهــا إنســانَ عــيني طارفُ
٤- ألا إنما الـعــينانِ لـلقلـبِ رائدٌ فـمـا تـألفِ العـينانِ فــالقلبُ آلفُ

١- صبا: مال محبا هائما. والأشمـط (والجمع: شمط وشمطان والمؤنث شمطاء) من خالط بياض رأسه سواد. والراجف: المرتجف الضعيف المضطرب من حمى.

٢، ٣- التليد: القديم وعكسه الطريف، وإنسان العين: مايرى في سوادها أو هو سوادها نفسه، والطارف هنا: ما يصيب العين بشيء فتدمع.

٤- الرائد: الرسول والدليل والقائد. ورائد العين: القذى الذي يجول فيها، والأول هو المراد في البيت.

الأعلام:

(*) الباب الأول، الفصل الثالث، ص: ١٨١.

المصادر:

الأبيات لمضرس في المؤتلف والمختلف: ٢٩٣، والحماسة البصرية، بيـروت : ٢/٢٠٣، وشعر بني مزينة في الجاهلية: ٨٦.

* * *

(١١٦)

ب - وقال أيضاً (طويل):

١- أهاجتْكَ آياتٌ عَفَوْنَ خلُوقُ — وطيفُ خيالٍ للمُحِبّ يشُوقُ
٢- وما هاجَهُ من رسْم دارٍ ودمْنَةٍ — بهَا من مطافيلِ الظباءِ فُروقُ
٣- تلوح مغانيها بحَجْر كأنَّها — رداءُ يمانٍ قد أمَحَّ عتيقُ
٤- تعذّبُني بالوُدّ سُعْدَى فليَتْها — تحمَّلُ منا مثله ، فتذوقُ

٥- سعى الدهرُ والواشُونَ بيني وبينها
فقُطّعَ حَبْلُ الوصْلِ ، وهْوَ وثيقُ

٦- ولو تعلمينَ العِلمَ أيقنتِ أنَّني — وربٌ الهَدَايا المُشْعِرَاتِ صَدُوقُ
٧- أذُودُ سَوام الطرفِ عنكِ ومالهُ — إلى أحَدٍ ، إلا عليك طَرِيقُ
٨- أهُمُّ بصَرم الحَبْلِ ثم يردُّني — عليكِ من النفس الشَّعاعِ فريقُ
٩- تهيّجُني للوصل أيامُنا الألُى — مَرَرْنَ علينا ، والزَّمانُ وَريقُ
١٠- ليالِيَ لا تَهْوَيْنَ أنْ تشحَطَ النَّوى — وأنتِ خليلٌ ، لايُلامُ ، صَدُوقُ
١١- ووعدُكِ إيَّانا ، وقد قُلْتِ ، عاجلٌ — بعيدٌ كما قد تعلمينَ ، سَحيقُ
١٢- فأصبحتِ لا تجزينني بمودَّتي — ولا أنا للهِجْرَانِ منكِ مُطيقُ
١٣- وأصبحتِ عاقتكِ العوائقُ إنهَّا — كذاك وَوَصْلُ الغَانياتِ يعوقُ
١٤- وكادت بلادُ الله يا أُم مَعْمرِ — بما رحُبَتْ يوماً عليَّ تضيقُ
١٥- أتجمعُ قلباً بالعراق فريقُه — ومنه بأظلالِ الأراكِ فريقُ
١٦- فكيفَ بها لا الدارُ جامعةُ الهوى — ولا أنتَ يَوْماً عن هَواكَ تُفيقُ
١٧- تتوقُ إليكِ النفسُ ثم أردُّها — حياءً ، ومثلي بالحياءِ حقيقُ
١٨- وإني وإنْ حاولتِ صَرمي وهجْرتي — عليكِ منَ احداث الرَّدى لشَفيقُ
١٩- وإن كنتِ لما تخبريني فَسَائلي — فَبَعْضُ الرجالِ للرجَالِ رَمُوقُ
٢٠- سَلي هل قلاني من عشيرٍ صحبتُه — وهل ذمَّ رحلي في الرحالِ رفيقُ

٢١- وهل يجتـوي القومُ الكرامُ صـحـابتي إذا اغْـبَرّ مَـخْـشيٌّ الفـجاجِ عـمـيقُ
٢٢- وأكـتم أسـرارَ الهـوى فـأميـتُـهـا إذا بـاح مَـزّاحٌ بهـنَّ نـزوقُ
ويروى .... وأميتُها إذا بـاح مُـزاحُ بهـنَّ نـزوق
٢٣- شـهـدتُ بربّ البـيـت أنك عـذبة الـ ـثنايـا ، وأن الوجـهَ مـنك عَـتـيقُ
٢٤- وأنَّك قـسَّمتِ الفُـؤادَ فـبـعـضُـه رهينٌ ، وبعضٌ فـي الحبـالِ وَثيقُ
٢٥- سَـقَـاكِ وإن أصبـحـتِ وانيـةَ القُـوى شـقـائـقُ مُـزْنٍ مَـاؤُهُنَّ فَـتـيقُ
٢٦- بأسـحَم من نَوءِ الـثُّريّا ، كـأنَّمـا سَـفَـاهُ إذا جَـنَّ الظلامُ حَـريقُ
٢٧- شـآم يمانٍ مُنجـدٌ مـتُـتـهـمٌ لعـرض الفَـيـافِي والإكـامُ رتُوقُ
٢٨- صَبُوحي إذا ما ذرَّت الشمسُ ذِكْر كُمْ وذِكْـرُكُمُ عـندَ المسـاءِ غَـبُـوقُ
٢٩- وتزعـمُ لي يـاقلـبُ أنكَ صَـابرٌ على الهَجْرِ من سُعْدَى فسوف تذوقُ
٣٠- فمتْ كـمَدًا ، أو عِشْ سَـقيـماً فـإنَّما تُـكلّـفنـي مـا لا أراكَ تُـطيـقُ

١- أهاجتك: أثارتك وحركت مشاعرك، عـفون: بلين. درسن: اندثرن. وخَلوق: بالية ملساء. يشوق: يجدد الأشواق.

٢- هاجه: أثار خواطره. رسم دار: بقاياها. الدمنة: أثر الناس وما سوّدوا. والمطافيل: (والمفرد مُطفل): ذوات الطفل من الإنسان والحيوان. والفِرْق والفريق: القطيع من الغنم ومن البقر أو الظباء. والفُرُوق جمع فريق.

٣- تلوح: تظهر من بعيد. مغانيها: معالمها المخصبة. وحجر: اسم لعدة مواضع أحدها بديار بني عقيل، والآخر بين عذرة وغطفان، والثالث مـاء لبني سليم، والرابع: جبل ببلاد غطفان ولعله هو المراد هنا لقرب الشاعر منه. وامحّ: مُحي أثره وأبيد. والعتيق: القديم.

٤- تحمل: تتحمل على كاهلها، وتعايش.

٦- رب الهدايا: الإله الذي كانت النذور تقـدم إليه في الجاهلية. والمشعرات: من الشـعيرة، وهي البَدَنَة المهداة لآلهتهم، والجمع: شعائر.

٧- أذود: أدفع وأمنع.

٨- صرم الحبل: قطعه، كناية عن الفراق والبين، والنفس الشعاع الحزينة الممزقة.

٩- الزمان وريق: كناية عن رغد العيش وهناءته.

١٠- تشحط النوى: ترحل الرحال وتجاوز مكان الديار.

١١- السحيق: القديم.

١٢- تجزينني: تكافئيني، مطيق: متحمل.

١٣- عاقتك: منعتك.

١٤- رحبت: اتسعت.

١٧- تتوق: تتشوق، تحن. حقيق: جدير.

١٨- الصرم: الفراق والبعاد والهجر والفصال. وأحداث الردى : فجائع الدهر ومحنه. شفيق: عطوف.

١٩- رَمُوق: حاد البصر، شديد الرؤية.

٢٠- قلاني: كرهني، وتجنبني. العشير: الأهل والقرابة.

٢١- يجتوي القوم: يكرهون ويملون. ومخشيّ الفجاج: قوي الشكيمة، يخشى بأسه. بُروق: تحيُّر، دهشة.

٢٢- والنزوق: المدلل.

٢٣- عذبة الثنايا: جميلة، دقيقة أعضاء الجسم، وعتق الوجه: نضارته وصباحته اللتان تدلان على أمارات الشباب فيه.

٢٤- الوثيق: الموثوق، والمقيد.

٢٥- وانية القوى : ضعيفة، والفتيق: الباسم الذي تفتّق عنه النعيم.

٢٦- الأسحم: السحاب الأسود الكثيف المياه. ونوء الثريا: النوء عند العرب طلوع نجم وسقوط آخر، وسُمّي نوءًا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق (نهض وطلع)، ولا يسمى نوءًا إلا إذا كان معه مطر، ومعنى مُطِرنا بنوء الثريا أي بظهور الثريا وطلوع كواكبها. والسفا: ماتسفيه الريح.

٢٧- الشآم: الريح التي تهب من الشام، واليمان: التي تهب من اليمن. والمنجد: ماتحركت من نجد. والمتهم: ما جاءت من تهامة، والفيافي (والمفرد : فيفاء) : الصحارى الملساء. والأكَمَة: والجمع (أكم وجمع الأخيرتين: أُكُم: وإِكام)، والآكام: التل أو الموضع الذي يكون أكثر ارتفاعا مما حوله. والرتوق: ما جاء بالخير ليصلح شأن من ينزل عليهم.

٢٨- الصبوح: ما يشرب بالصباح والغبوق عكسه. وذرت الشمس: أشرقت بأضوائها.

٣٠- الكمد: الحزن والهم. والسقيم: المريض الواهن القوى.

المصادر:

وردت هذه القافية، وأبيات منها بمصادر كثيرة، بروايات مختلفة، منسوبة لأكثر من شاعر، كما يلي:

١- الأبيات جميعها (عدا الخامس والخامس عشر، والسادس عشر والسابع والعشرين) في أمالي القالي، الدار: ٢/ ٢٨٧, ٢٨٨، والآفاق: ٢/ ٢٥٧, ٢٥٨، وعنه رواها صاحب شعر بني مزينة في الجاهلية: ٨٤, ٨٥، والأبيات (٥, ٦، ٧, ١٥، ١٦, ١٧، ٢٠, ١٤، ٩, ٢٨، ٢٩, ٣٠) في الحماسة البصرية، بيروت: ٢/ ١٠١, ١٠٢، و (١, ٢٢, ٢٥, ٢٦, ٢٧) في السمط: ٨٩٣-٨٩٤، منفردا بالسابع

والعشرين، و (٣٠ ,٢٩ ,١٤ ,٧) في مسالك الأبصار: ١٠٢/١٤، لمضرس بن قرط.

٢- الأبيات (٦ ,٢١ ,٢٠) في الأغاني، الدار: ١٩٣/٥ لمضرس بن قرط الهلالي ولقيس بن ذريح، وقال: وفيه بيت يقال إنه لجرير، وهذه الأبيات إضافة إلى (٣٠ ,٢٩ ,٧ ,١٤) في المصدر نفسه: ١٧٨/٩، لقيس بن ذريح.

والأبيات (١٧ ,١٤ ,٨ ,٦ ,٤) في لباب الآداب: ٤١، لمضرس بن قرط بن حارثة المري، و(١٤، ٧، ٢٩، ٣٠) في المرقصات والمطربات: ٣٥، لقيس بن ذريح، و (١٤، ٤، ٦، ٢٠، ٢١، ٧، ١٧، ١٨، ١١، ٢٩، ٣٠، ٨، ٢٣، ١٢، ٢٤، ٢٢، ٢٨، ٥) في تاريخ دمشق: ٤٤٥/١٤ والبيتان (١٥، ١٦) لجرير في ديوانه: ٣٧٢/١، وشرحه: ٣٩٧، و (٧، ٨، ١٧) لمضرس بن الحارث المري، في مجموعة المعاني: ٢٠٨، ٢٠٩، و (٢٩، ٣٠، ١٤، ٧، ٦، ٢٠) في الزهرة، بيروت: ٥١/١، والمنار: ٢٥٨/١، لقيس بن ذريح، و (١٤، ٩، ٧، ١٧، ٦، ٢٠) لمجنون ليلى في ديوانه: ٢٠٧، و(١٤، ٤، ٦، ١٧، ٧، ١٨، ١١، ١٩، ٣٠، ١٣، ١٢، ٢٤، ٢٨، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٥، ٨) في ديوان قيس ولبنى: ١٣٢-١٣٥، و(٤، ٦، ٧، ٢٣، ١٢، ٢٤، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢)، في تزيين الأسواق: ٩٠ ,٩١، لقيس بن معاذ العامري، وينظر ديوان قيس بن الملوح برواية الوالبي، ص: ٤٥، ٦٦.

الروايات:

١- رواية البيت الرابع في ديوان قيس ولبنى:

تكذبني بالود لُبنى وليتها .. تحملُ مني مثله فتذوقُ

وفي اللباب: (أتكذبني بالوُدّ سعدى فليتها).

وفي التزيين: (تكذبني بالود لبني وليتها .. تكلف مني مثله فتذوقُ

٢- السادس في ديوان المجنون وتاريخ دشق:

ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني .. ورب الهدايا المشعرات صديقُ

وفي التزيين:

ولو تعلمين الغيب أيقنت أنني .. ورب الهدايا المشعرات صديق

٣- السابع في تاريخ دمشق: (أرد سوام الطرف عنك ومالَهُ).

وفي ديوان قيس ولبنى: (أذودُ سوام النفس عنك وماله).

وفي اللباب: (أذود سوام العين).

وفي التزيين: (أذود سوام النفس) ،

في المرقصات: (أرد سوام الطرف عنك وَهل له).

٤- الثامن في تاريخ دمشق وديوان قيس ولبنى:

(أريد سُلُوّاً اعنكم فيردني).

٥- التاسع في ديوان مجنون ليلى: (يذكرني للوصل أيامُنا الأُلَى).

٦- الحادي عشر في ديوان قيس ولبنى: (ووعدك إيانا ولو قلت صابر).

والثاني عشر فيه، وفي التزيين: (وأنك لا تجزينني بصحابة).

وفي تاريخ دمشق: (وأنك لا تجزينني بصبابتي).

٧- الرابع عشر في التاريخ: (كادت بلاد الله ياأم مالك).

وفي الزهرة وديوان مجنون ليلى: (وكادت بلاد الله ياأم مالك).

وفي اللباب: (وكانت بلاد الله ياأم مالك).

وفي المرقصات: تكاد بلاد الله ياأم معمر .. إذا لم تكن فيها عليَّ تضيقُ

٨- السادس عشر في ديوان جرير وشرحه: (ولا أنت عصرا عن صباك مفيق).

٩- الثامن عشر في ديوان قيس ولبنى (فاني وان حاولت صرمي وهجرتي).

١٠- والتاسع عشر في التزيين: فان كنت لما تعلمي العلمّ فاسألي

وبعضُ لبعض في الفعال يفوقُ.

١١- العشرون في الزهرة وديوان المجنون: (وهل ذم رحلي في الرفاق رفيق).

وفي ديوان قيس ولبنى: (وهل ملَّ رحلي في الرفاق رفيقُ).

١٢- الثالث والعشرون في التزيين وديوان قيس ولبنى:

شهدتُ على نفسي بأنك غادةٌ .. رداح وأنَّ الوجه منكِ عتيقُ

وفي تاريخ دمشق:

وقد شهدت نفسي بأنك غادة .. رداح وأن الوجه منك عتيق

١٣- الرابع والعشرون في التزيين وديوان قيس ولبنى:

وأنك قسمت الفؤاد فنصفه .. رهينٌ ونصف في الحبال وثيق

وفي تاريخ دمشق: (وأنك قسمت الفؤاد بنصفه).

١٤- الثامن والعشرون في ديوان قيس ولبنى وفي تاريخ دمشق:

(ولي ذكركم عند المساء غبوقُ).

١٥- التاسع والعشرون في الزهرة:

وخَبَّرتني ياقلبُ أنك صابرٌ .. على الهجر من لبنى فسوف تذوقُ

وفي المرقصات وفي ديوان قيس ولبنى:

وحدثتني يا قلب أنك صابر .. على البين من لبنى فسوف تذوقُ

* * *

٣١- مزنـــــي (*)

(١١٧)

أ - ذُكر أن عبدالملك بن مروان (ت٨٦هـ) سأل يـوماً عن أشجع العرب شعرا، فقيل له: عمرو بن معـد يكرب، وعمرو بن الإطنابة، وعامر بن الطفيل، فلم يرض بأقوالهم، فقالوا: فـمن أشجعهم عند أمير المؤمنين؟ قـال: أربعة: عباس ابن مـرداس السُّلمي، وقيس بن الخطـيم الأوسي، وعنتر بن شـداد العبـسي، ورجل من مزينة، واسـتشـهد على شجـاعة كل من الثلاثـة الأوائل ببيت من أشعاره، مختتماً بقوله: وأما المزني، فلقوله (وافر):

دعـوتُ بني قُـحَـافـةَ فاسـتـجـابُوا　　　فـقـلـتُ : رِدُوا فَـقَـدْ طابُ الوُرُودُ

الأعلام:

(*) لم يتـسن لي الإلمام باسم هذا المزني، ولاسيـرته وعصـره الأدبي، على أنه يبدو من شـعراء العـصر الجاهلي أو الإسلامي.

المصدر:

مجمع الأمثال: ٢/ ٨٧، ومحاضرات الأدباء، ٣/ ١٣٧.

* * *

(١١٨)

ب - وقال مزني آخر يخاطب خليلَيه (طويل):

١- خَليليَّ بالبوباةِ عُـوجَا ، فلا أرى بهـــا منـزلاً إلا جَـــديبَ المُقَـــيَّــدِ

٢- نَذُقْ بَرْدَ نجـدٍ بعْـد مـالَعِبَتْ بنا تِهـامـــةُ في حَـمَّـامـهـا المُـتـوقّـدِ

١- البوباة (بالفتح فسكون وباء): اسم لصحراء بأرض تهامة إذا خرجت من أعالي وادي النخلة اليمانية، وهي بلاد بني سعد بن بكر بن هوازن، والبوباة: ثنية في طريق نجد، على قـرن ينحدر منها صاحبها إلى العراق (معجم البلدان، بوباة).

وقال المبرد: البوباة هي المتسع من الأرض، ويقول بعضـهم: هي الموماة بعينها قلبت الميم باء، لأنهما من الشفة، ومثل ذلك كثير.

وعوجا: ميلا واعطفا، والجديب: الذي انقطع عنه المطر فيـبست أرضه، فهو الماحل. والحمام: شدة الحر.

المصادر:

الكامل في اللغة والأدب، المعـارف: ١/ ١١٥، ومعجم البلدان: ١/ ٥٠٦، ورغبـة الآمل من كتاب الكامل: ٢/ ٢٥٤.

* * *

(١١٩)

جـ - قال مزنـــي (بسيط):

١- يا قـبَّحَ اللـهُ أقـوامـاً إذا ذُكـروا بني عـــميـــرة رَهْطَ اللُّؤمِ والعَـــارِ
٢- قَومٌ إذا خَرَجُـوا مِنْ سَوْأةٍ ولَجُوا في سَـــوْأَةٍ لــم يُجِنُّوها بـأســــتـــارِ

١- الرهط والرهطة (والجمع أرهُط وأرهاط وجمع الجمع أراهط وأراهيط): قوم الرجل وقبيلته.
٢- السـوأة، هنا: العورة وقـد تأخذ مـعنى الفاحـشة، أو الخلة القـبيـحة، وولجـوا: دخلوا. يُجنوها: يدارونها.

الأعلام:

(*) لم أستدل على اسم القائل ولا عصره.

المصادر:

البيتان في حـماسة أبي تمام، تحقيق د/ عسيـلان: ١/ ٢٣٠، وفي شرح الأعلم، ٢/١٠٥٨، للمزني من مزيـنة كلب، وفي شرح التـبريزي على الحـماسة، القـاهرة: ٤/١٠٢، والمرزوقي: ٣/١٥٣٣، وط السعادة: ١/٢٣٩ وفي المطبوعات الثلاث الأخيرة بدون نسبة.

* * *

(١٢٠)

د - وقال الفـيروزبادي: "شوْطى كـرَضوىَ: موضع بعقـيق المدينة فيهـا يقول المزني لغلام اشتراه بالمدينة (وافر):

١- تروَّحْ يا سـنَانُ فـإنَّ شـوْطى ... وتُربـانَين بعـد غـدٍ مَـقـيلُ
٢- بلادٌ لا تحسُّ الموتَ فـيـهـا ... ولكـنَّ الغـذاءَ بـهـا قليلُ

١- يطلب منه السعي للتزود برائحة المكان الجميلة.

المصدر:

معجم البلدان (شوطى) ٣٠/٣٧٢، المغانم المطابة: ٢١١.

* * *

(١٢١)

هـ - أورد الدميري عن ابن درستويه قوله: الأرخ: هي الأنثى من البقر التي لم ينزُ عليها الفحلُ، وجمعها: أروخ وأراخ، قال: وأنشدني أعرابي من مزينة في طريق مكة لنفسه فقال (كامل):

١- أيام عـهدي في فـيـدٍ كأنهـا أَرْخٌ يُرودُ بروضـةٍ مِـثْـقَـالِ !!!

١- فيد: بلـيدة أو منزل بطريق مكة، تسمى بفيـد ابن حام، والأرخ (ويكسر) : الذكر من البـقر، ومنه الأرخي بالضم: الفتيّ منه، أو ككتاب: بقر الوحش (القاموس/أرخ). ويرود: يطلب، ورياد الإبل: اختلافها في المرعى مقبلة ومدبرة. وروضة مثقال: زاخرة برزق الله فيها.

المصدر:

حيـاة الحيـوان الكبرى، التجـارية: ١/ ١٩. وفيـه: في فيك، والبـيت ورد على هذه الصورة وفـيه اضطراب في وزن صدره.

* * *

(١٢٢)

و - وقال مزني آخر (وافر):

١- فــإن بمدفع المَلْـحَـاءِ قــصــراً قــواعــدُه على شــرفٍ مُــقــيمِ
٢- جـزاكَ اللهُ ياعـمـرَ بن حـفصٍ عن الإخـــوانِ جناتِ الـنَّعــــيم

١- الملحاء: جنان أودية العقيق. والشرف: كل نشز من الأرض أشرف على ماحوله.

٢- عمر بن حفص هو ابن حفيد عاصم بن عمر بن الخطاب وكان ينزل الملحاء.

المصادر:

البيتان من دون نسـبة في معجم ماستعـجم (الملحاء): ٤/ ١٢٥٤، ولمعن في ديوانه، بغداد: ١١٣، وشعره، جدة: ١١٣.

* * *

(١٢٣)

ز - وقال مزني آخر (رجز):

١- إذا ضَــربْـنَا بالقَـنَا الخَـــراطِمْ

٢- فُــروعَ أوراكٍ لــهــا عَـــلاكِمْ

٣- سَــــامت وباتَ المَرْوُ ذا رَهـاسِمْ

٤- من وقعِ أيديهَـــا كَـرَجْمِ الراجِمْ

١- الخراطم: جمع الخرطم، وهو الأنف، ويستعمل خصوصا للفيل، وخراطيم القوم: سادتهم.

٢- العَـلاكِم: الشديدة مـن الإبل وغيـرها، مفـردها: عُـلاكم، ويقال: عُـلكوم، عَلْكَمَ، عُلكُم...، والعَلْكمة: عِظَم السنام.

٣- سـامت: مرت واسـتمـرت، والرهاشم: الأصـوات والكلام لا يسـمع ولا يحق، وأثبـتهـا محـقق (التعليقـات) (المرو ذا رهاسم) ناقلا عن اللسان (مـرا)، أن المرو حجارة بيض براقة تكون فـيها النار وتقدح منها النار والرهاسم من الرهسمة، ويقال: رهسم الخـبر: أتى منه بطرف، ولم يفصح بجميعه ورهسمه: مثل رهمسه (اللسان/رهمسة) وفي التعليقات: الرهسمة: كل صوت وكلام تسمعه ولا تحقه.

المصدر:

التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٤،٣، ومطبوعة بغداد: ٢/ ٤٥، ومطبوعة العبيكان، ٢/ ٩٩٩.

* * *

(١٢٤)

ح - وقال مزني آخر (*) (وافر):

١- فَتَانا كانَ أبيضَ مَضْرحيّا سَلُوا عنه القبائلَ كيف كَانَا
٢- فَتَانا كَانَ يحملُ أرملاتٍ ويدفعُ عن ذَوِي الأرحامِ شَانا
٣- نظرْنَا (دبكلا) وأخاه (كعباً) فما عَدَلاَ مقاماً مِنْ فتَانا

١- المضرحي: السيد الكريم العتيق النَّجَار.

٣- عِدْل: من العدل وهو تسوية العِدْلين، وهما النظيران والمثلان.

الأعلام:

(*) لم أستدل على اسم الشاعر ولا اسم فتاه الذي يرثيه هنا، ولا ما يكشف لي النقاب عن العلمين المذكورين في البيت الثالث.

المصدر:

الأبيات للمزني في التعليقات والنوادر، خ، المصرية: ٣٠٦، ومطبوعة بغداد: ٢/ ٩٦.

* * *

استـــدراك

١- في شعر عُقبة بن كعبٍ (المُضرّب) الأبيات التالية (طويل):

١- تَـذكَّـــــــر سَلْـمى إنـه لَطَـرُوبُ على حِنَ أنْ شَـابَتْ وكَـادَ يَشـيبُ
٢- وأدبرَ كُـلُّ خَـيْـــرٍ وأَقْـــبلَتْ عَـــواذِلُـه تلـحى ولَـيْسَ ذَنُـوبُ
٣- يُـفــــدِّيـنَـهُ طَوْراً وطَـوْراً يَلُـمْـنَـهُ ويَزْعُـمُ أنْ لَيْـــسَتْ لَـهُنَّ قُـلُوبُ
٤- أتذهَبُ سَلْـمى في النهـارِ فَـلا تَرَى وبِاللَّـيْلِ أَيِمٌ حَـيثُ شَـاءَ يَشِـيبُ
٥- ألمَّتْ بِـنَا مِنْ أذْرُعَـــاتٍ فَـــسَلَّـمَتْ مِنَ الـليلِ أو رُؤْيَـا المَنَامِ كَـــذُوبُ
٦- فــوالله مــا أدرِي أسَلْـمَى تَقَـوَّلَتْ أَمِ الحِلْـمِ أَمْ كُلُّ إليّ حَـــبِـــيبُ
٧- علـى حينَ وَافَى الحَـجَّ كُلُّ مُلَـبِّــدٍ إلـى الله يدعُـــــو رَبَّهُ ويُـنِيـبُ
٨- فــقلتُ لَهــا فـيـئي إليك فــإنَّني حَـــرامٌ وإنِّي بَـعْـدَ ذَاكَ لَـبِـيبُ
٩- فَـصَـدَّتْ بِعَـيْنَيْ جُـؤْذَرٍ فَـتَـمَـايَلَتْ بِمِـثْلِ كَـثيبٍ مَـالَ فِـيـه قَـضِـيبُ
١٠- وكَـرَّت بِأَلْحَـاظِ المَـهَـا وتَبَـسَّـمَتْ بِعَـجْـفَـــاءَ عَنْ غُرّ لَهُـنَّ غُـرُوبُ
١١- جَرَى الإسْحَلُ الأَحْوَى عَلَيهِنَّ أَوْ جَرَى علـيـــهُنَّ مِنْ فَـرْعِ الأراكِ قَـضِـيبُ
١٢- فـإن تكُ سَلْمَـى قَـدْ أمرَّ حَـدِيُهـا فَـــقَـــدْ كَـــان يحلُو مَـرةً ويَـطِيبُ
١٣- وأنتَ امْــرُؤٌ تَغْـدُو عَلَى كُـلّ غُـرَّةٍ فـتُـــخْطِئُـفـيـهَـــا مَـرَّةً وتُصِـيبُ
١٤- ومَنْ يَكُ غَـاراتٍ عَلَـى الناسِ مَـالُهُ فـــلابُدَّ يومــتـاً أنَـهُ سَـيَـخِـيبُ
١٥- فـقلتُ لَهُ: قَدْ طَالَ نَومُكَ فـارْتَحِلْ أبا الـنومِ دَاوِيَّ الفَـــلاةِ تَـجُـــوبُ

١- االطروب: الحزين.

٢- أدبر: ولّى. والعواذل: اللائمات. وتلحى: تلوم وتوبخ وتُؤنب.

٣- الطَوْر: الحين.

٥- أذرُعات: مدينة بالبلقاء، في أطراف الشام.

٦- التقوُّل: الابتداع والافتراء والكذب.

٧- المُلبِّد: المُقيم. والإنابة: العودة والرجوع.

٩- الجُؤْذَر: الظبي. والكثيب: الرمل.

١٠- الألحـاظ: مُؤخـرات العيـون. والعجـفاء: المهـزولة النحيـلة الضعـيفـة. والغُرُّ: الأسنان البـيضُ الناصعات.

١١- الإسحل: شجـر تُتخذ منه أعوادُ السـواك. والأحوى: الأسود من الخضرة. والأراك شـجر السواك يُستاك بفروعه.

١٥- الداويُّ: المفازة والموضع المُجدب. والفلاة: المفازة وهي الأرض المقفرة.

المصادر:

الأبيات (١-١٥) لعقبة في تعليق من أمالي ابن دُريد، تحقيق/ السيد مصطفى السنوسي، المجلس الوطني للثـقافـة والفنون والآداب بالكويت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١٠١-١٠٢. والثـامن سـبق تخريجُـه، ص (٥٨٨) بالمُلحق، والتاسع بأمالي المرتضى، ١/٤٥٩، وروايتُه فيه:

فصَدَّتْ بِعَيْنَيْ شَادِنٍ وَتَبَسَّمَتْ   بِحناءَ عَنْ غُرٍّ لَهُنَّ غُرُوبُ

والشَّادِنُ: من أولاد الضباء الذي قد قوي وطلع قرناهُ واستغنى عن أُمه.

٢- في شعر مكنف بن نُميلة الأبيات التالية (الكامل):

١- بكَتِ العُـيـونُ فاقـرِصَتْ عـبراتُهـا
أجــفـانَـهـا حُــزْناً عَلَـى إِسْـحَـاقِ

٢- ولَئِنْ بكَتْ جـزَعـاً عَلَيْـهِ لَقَـدْ بكَتْ
جَــزَعَـــاً عَلَيّـــهِ مكَـارِمُ الأخْــلاقِ

٣- ياخَــيْـرَ مَنْ بكَـتِ المَكارِمُ فَـقْـدَهُ
لَـمْ يَبْـقَ بَعْـــــــدَكَ لِـلمَـكَارِمِ بَـاقِ

٤- لَوْ طَافَ في شَـرْقِ البِـلادِ وَغَـرْبِهَـا
لَمْ يَـلْقَ إلا حَـــــامِـــــداً لَكَ لاقِ

٥- مَـــابِتَّ مِـنْ كَـــرَمِ الطَبَــائِعِ لَـيْلَةً
إلا لِـعْـــــــرضِـكَ مِـنْ نَوَالِـكَ وَاقِ

٦- بَخلَتْ بِـمَـا حَـوَتِ الأكفُّ وَإِنَّـمَـا
خَـلَقَ الإلـهُ يَـدَيْـكَ لِلإِنْـفَـــــاقِ

١- أقرح: أتعب وأمرض. والعبرات: الدموع الغزيرة.

٢- الجزع: الضعف والحزن.

٣- الفقد: الموت.

٥- العِرْض: ما تجب على المرء حمايته من شرف وأرومة.

٦- حوى: اشتمل، تضمن.

المصدر:

البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي، تحقيق/ د. وداد القاضي، دار الجيل ودار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ٢٢.

ملحق الخرائط والأشكال

د - ملحق الخرائط والأشكال(*)

يحتوي هذا الملحق على الخرائط والأشكال الآتية:

١- خريطة توضح موقع قبيلة مزينة في صدر الإسلام(١) من إعداد حسين مؤنس.

٢- خريطة تبين مرور الطرق التجارية في بعض منازل المزنيين(٢).

٣- أربع خرائط(٣): تلخص الأولى (رقم ٣) معارفنا عن اللهجات العربية، وتبين (رقم٤) الحالة الإعرابية لما بعد (منذ) لدى المزنيين وغيرهم من عرب الحجاز، تبين رقم (٥) الصيغة الإعرابية القديمة للاسم الموصول (ذي)، وتوضح رقم (٦) تحول الياء المفتوحة بعد كسرة إلى فتحة في مزينة.

٤- خريطة توضح بعض منازل المزنيين في المدينة وما جاورها(٤). (رقم ٧)

٥- خريطتان (رقم ٨، ٩) تساعدان على معرفة مواقع بعض منازل المزنيين في البصرة(٥).

٦- خريطة توضح خطة مزينة بالكوفة(٦). (رقم ١٠)

---

(١) أطلس تاريخ الإسلام، م. الزهراء، القاهرة: ١٩٨٧م.

(٢) المصدر نفسه: ٦٠.

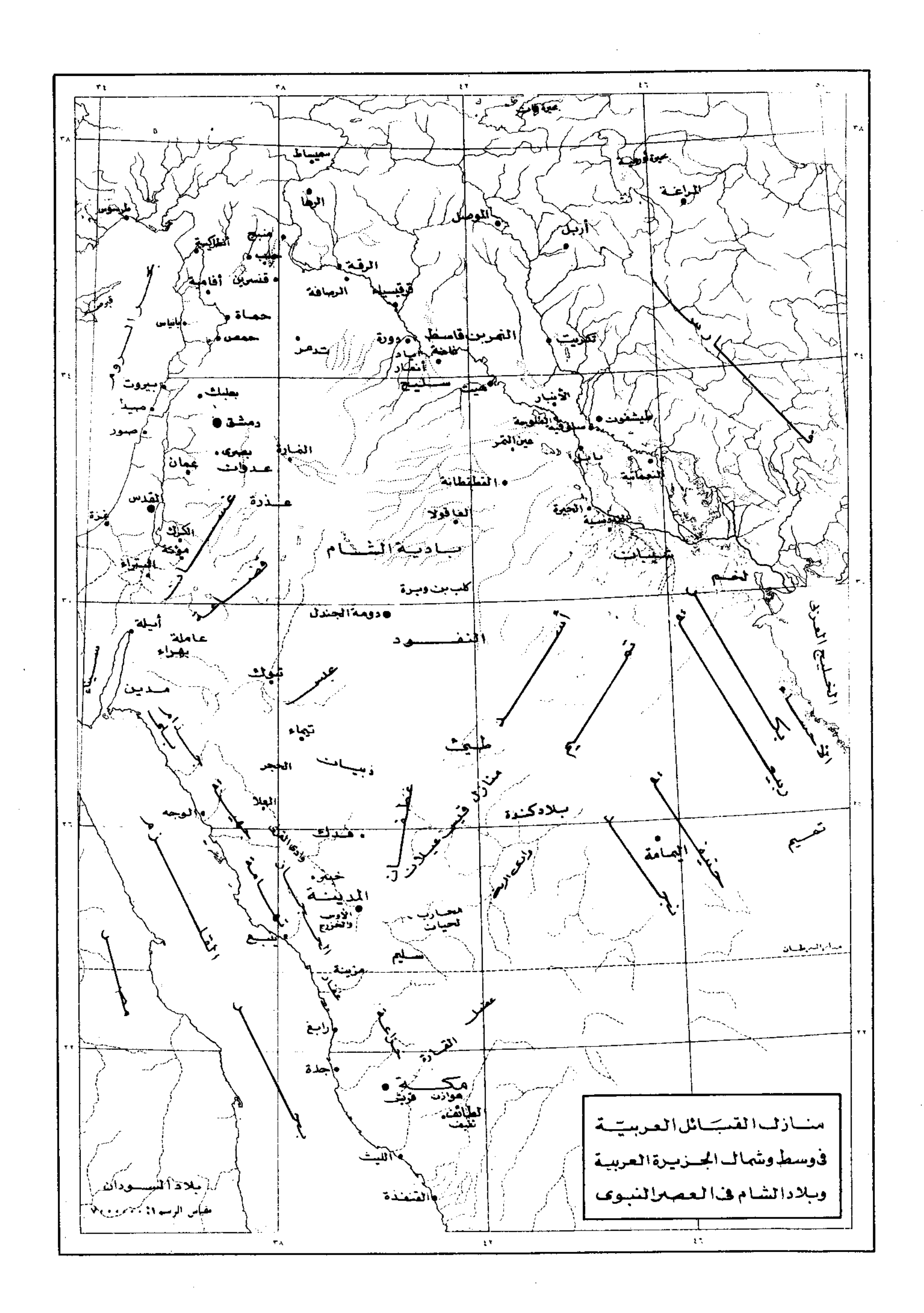
(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة ص: ٤٢، ٣٣٤، ٣٥٨، ٣٤٩.

(٤) آثار المدينة المنورة، لعبدالقدوس الأنصاري، م. السلفية، المدينة المنورة ١٩٧٣م، ص: ٢٦٢.

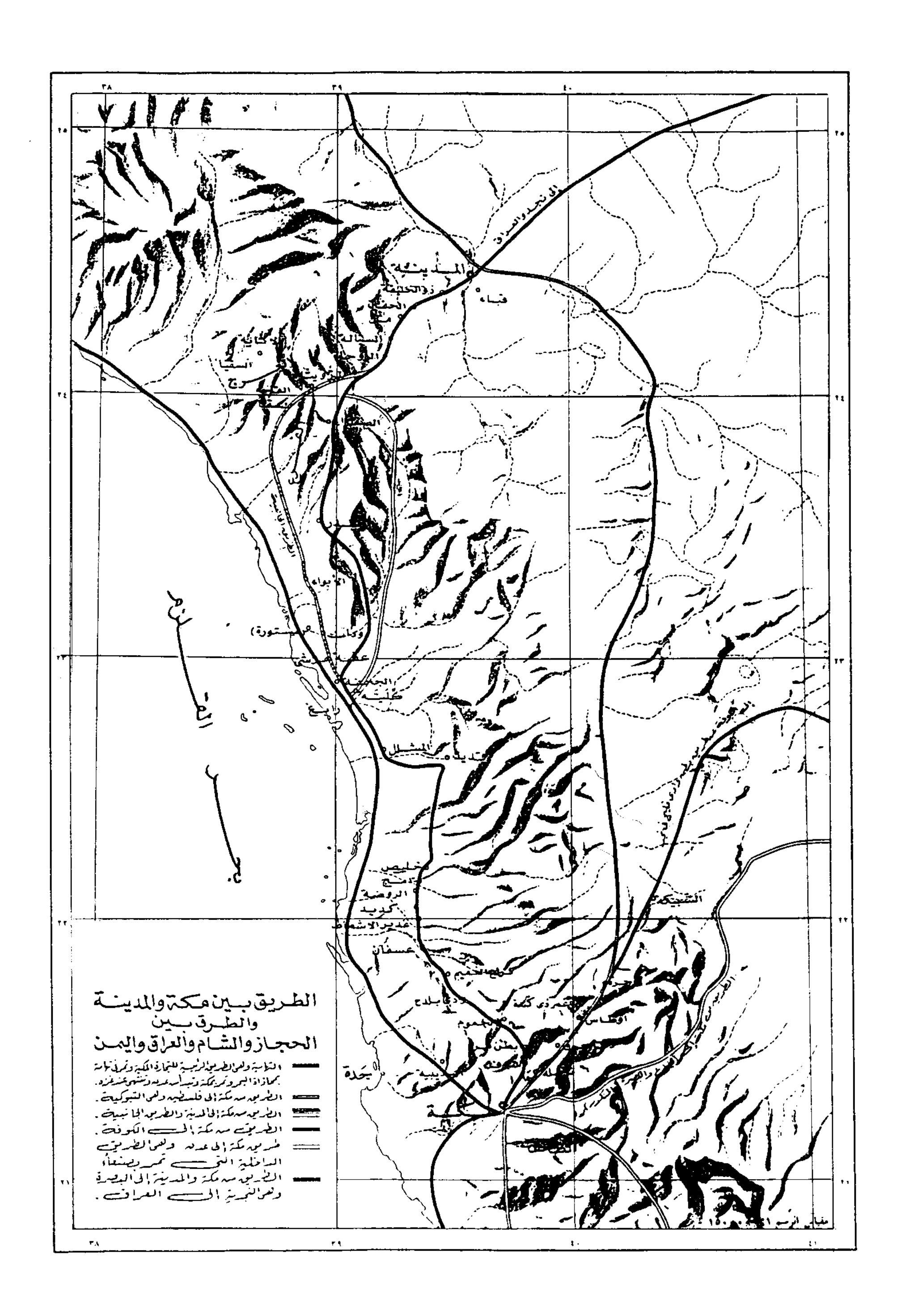
(٥) خطط البصرة: ١٠٣، ١٠٤.

(٦) خطط الكوفة، وشرح خريطتها، ص: ١.

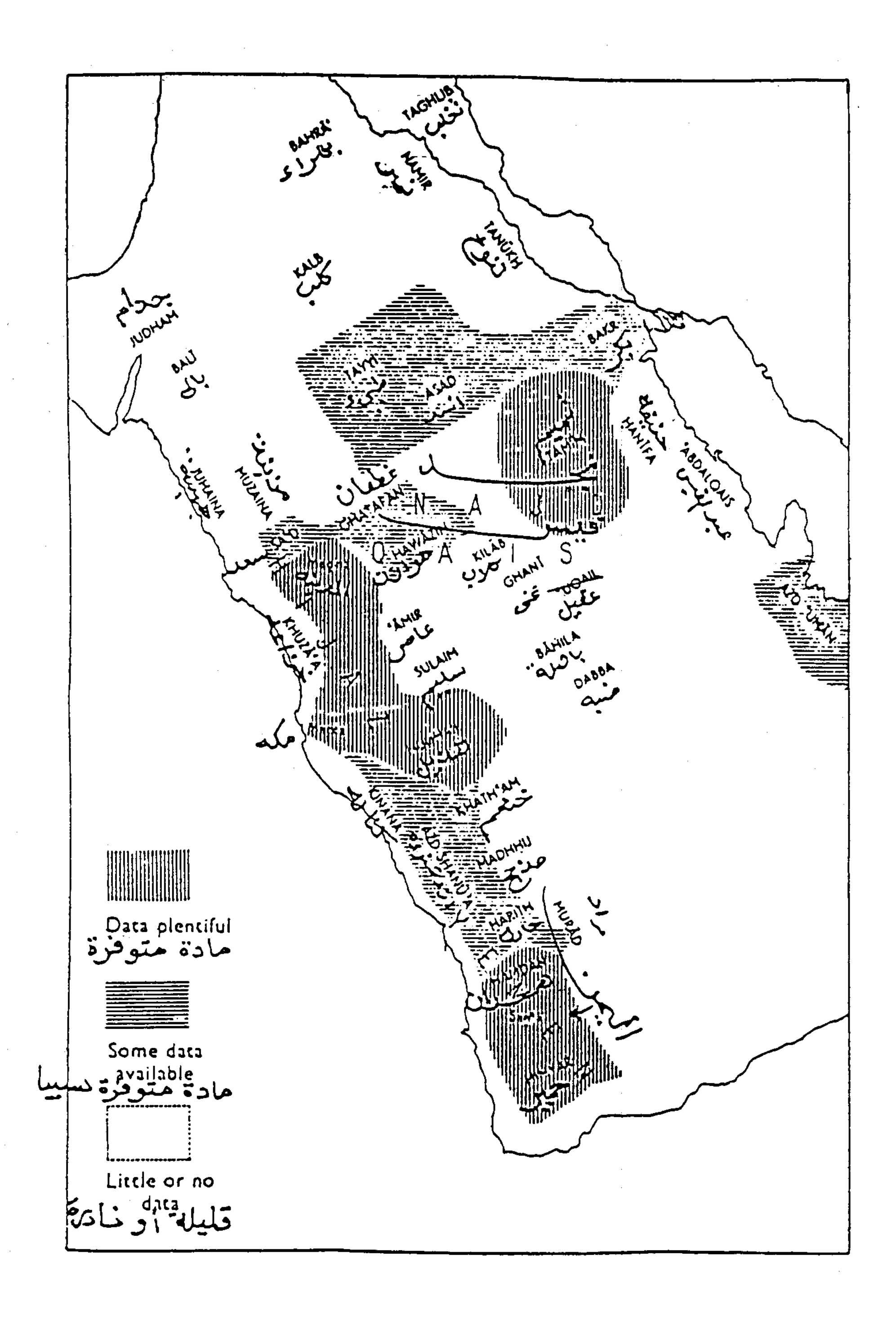
(*) أعادت دار الفيصل الثقافية رسم بعض الأشكال غير الواضحة مهتدية بالأصول المشار إليها في هوامش الصفحة.



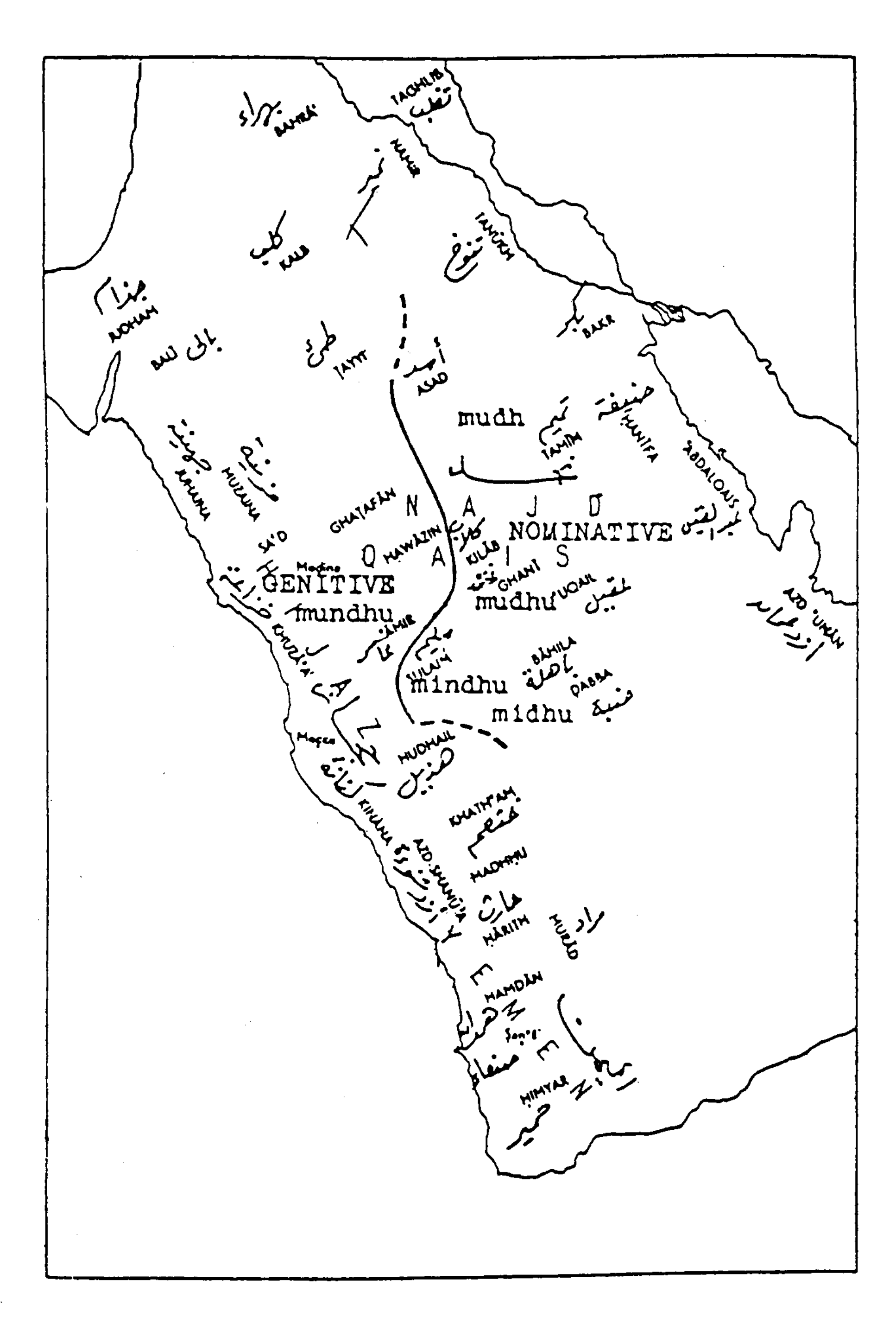
منازل القبائل العربية
في وسط وشمال الجزيرة العربية
وبلاد الشام في العصر النبوي
سميساط
الرها
الموصل
أربل
منبج
حلب
قنسرين
أفامية
الرقة
قرقيسيا
الرصافة
حماة
حمص
تدمر
تكريت
الأنبار
بعلبك
بيروت
صيدا
صور
دمشق
بصرى
عمان
القدس
غزة
الكرك
مؤتة
البتراء
أيلة
عاملة
بهراء
مدين
تبوك
تيماء
الحجر
العلا
الوجه
فدك
خيبر
المدينة
الأوس والخزرج
ينبع
مزينة
سليم
رابغ
جدة
مكة
هوازن
قريش
الطائف
ثقيف
الليث
القنفذة
عذرة
بادية الشام
كلب بن وبرة
دومة الجندل
النفود
طيئ
بلاد كندة
اليمامة
تميم
الحيرة
لخم
شيبان
عين التمر
بابل
النعمانية
القطقطانة
العاقول
بلاد السودان



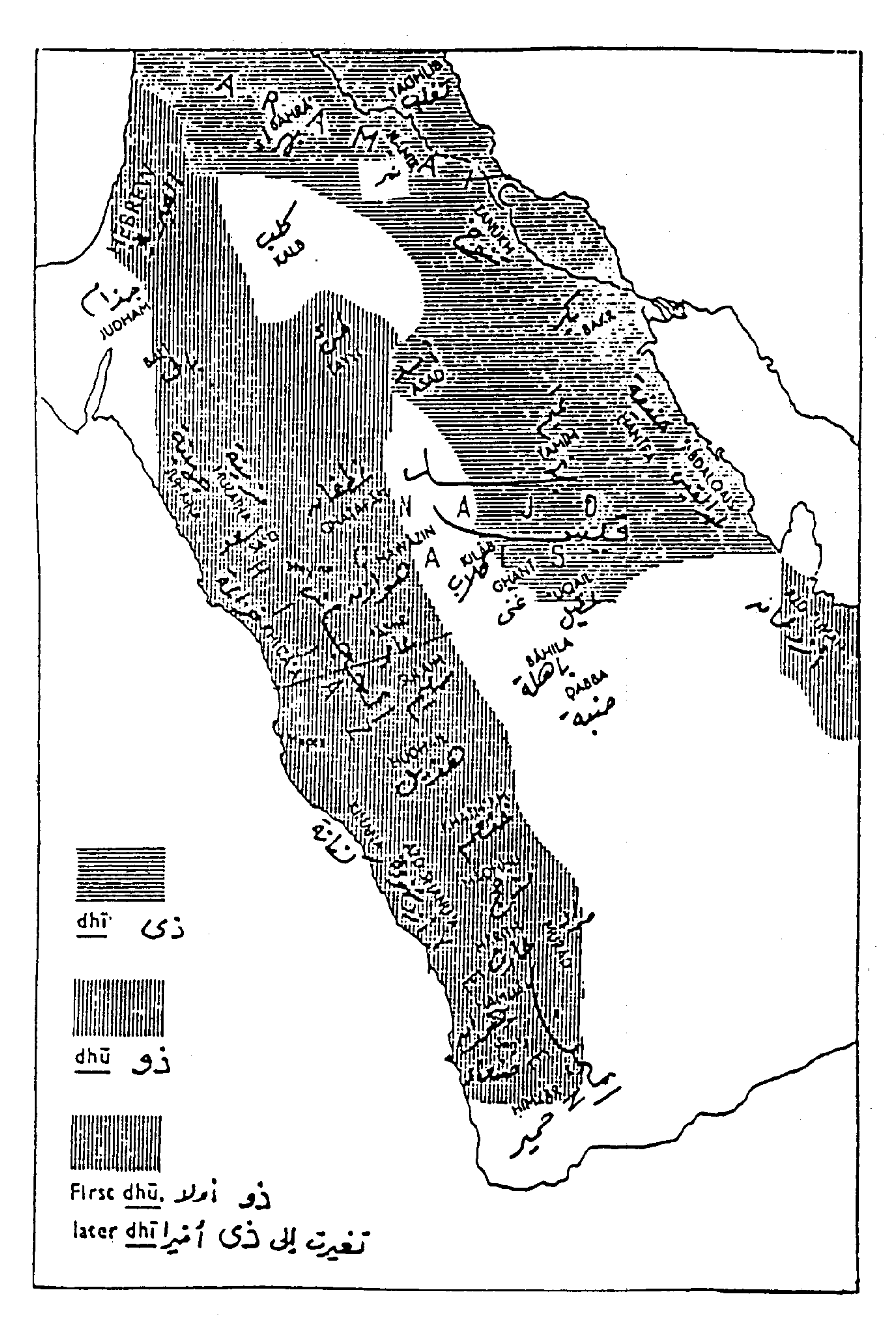
الطريق بين مكة والمدينة
والطرق بين
الحجاز والشام والعراق واليمن
التهامية وهي الطريق الرئيسية للتجارة المكية وتمر في تهامة بمحاذاة البحر وتمر بمكة وتبدأ من عدن وتنتهي عند غزة.
الطريق من مكة إلى فلسطين وهي التبوكية.
الطريق من مكة إلى المدينة والطريق الجانبية.
الطريق من مكة إلى الكوفة.
طريق مكة إلى عدن وهي الطريق الداخلية التي تمر بصنعاء
الطريق من مكة والمدينة إلى البصرة وهي النجدية إلى العراق.
المدينة
قباء
الأبواء
الروضة
كديد
غدير الأشطاط
عسفان
جدة



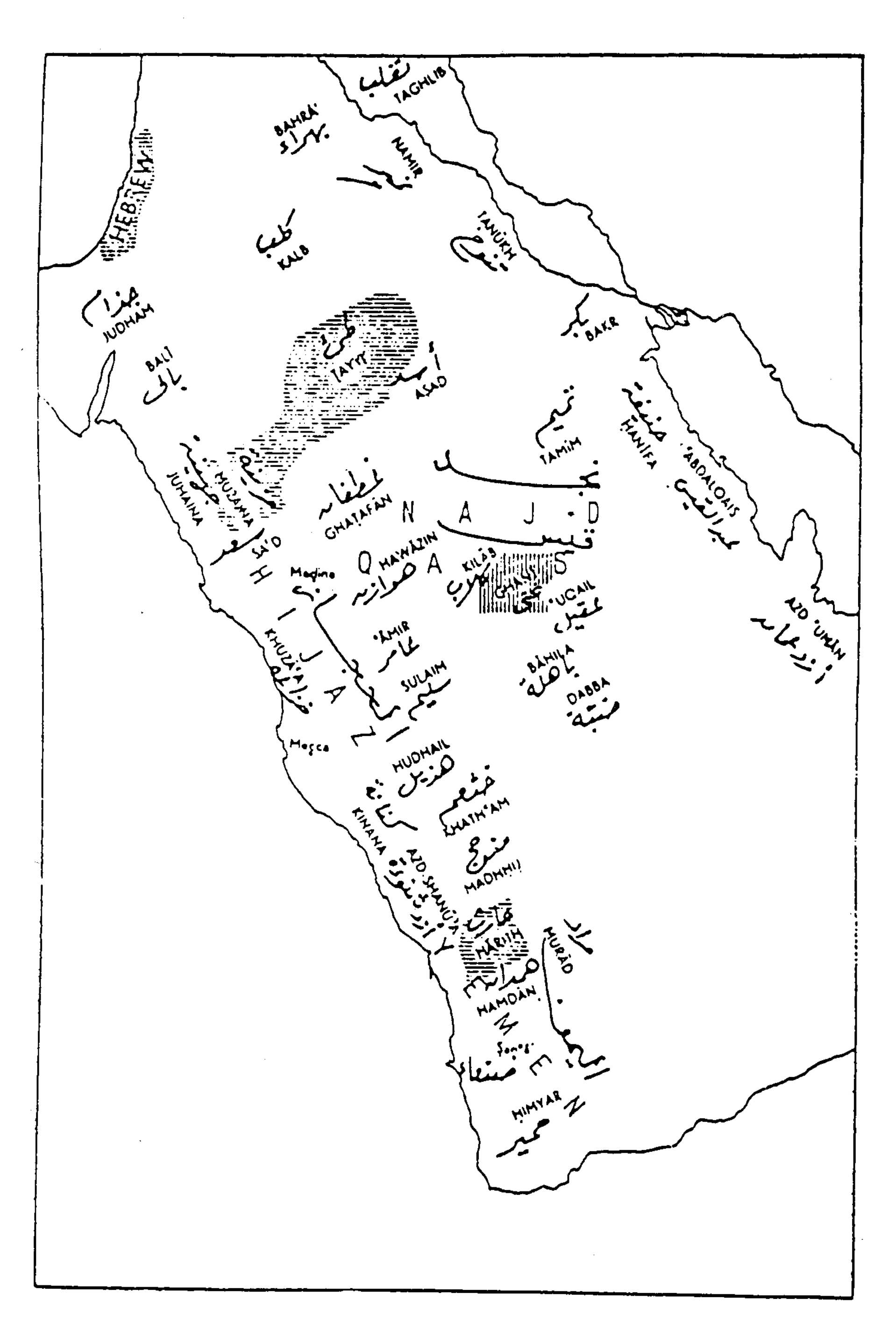
معارفنا عن اللهجات العربية



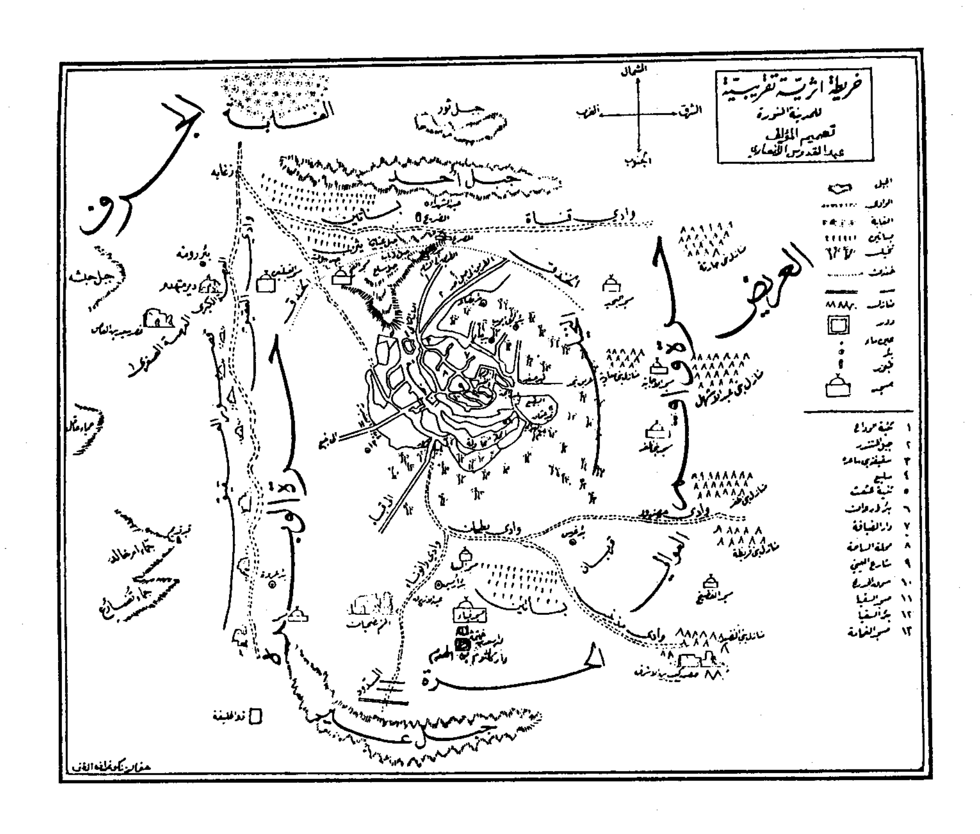
الحالة الإعرابية لما بعد منذ: الرفع في نجد وما يجاورها والجر في الحجاز وغطفان وما يجاورهما.(لاحظ الخط الفاصل بين المنطقتين)



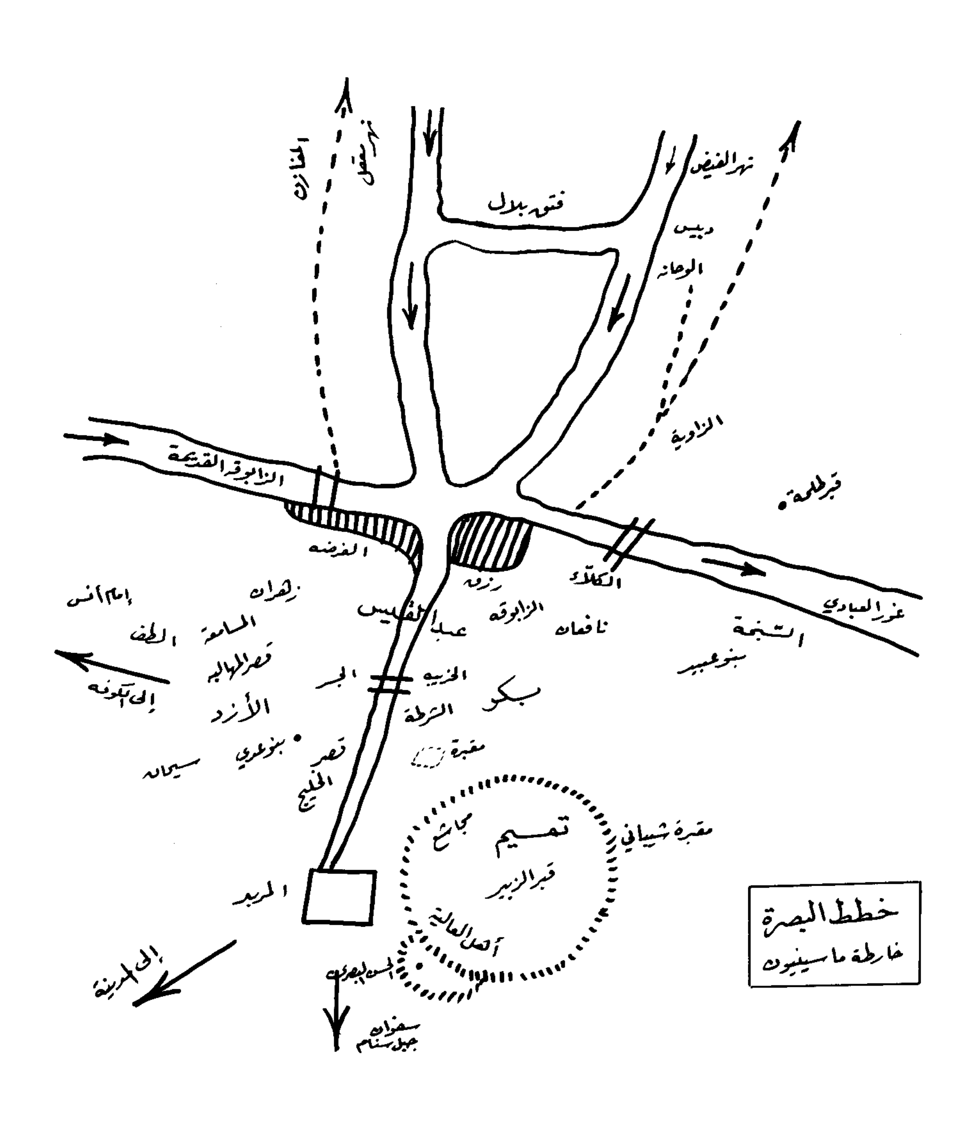
الصيغة القديمة للاسم الموصول (ذو)



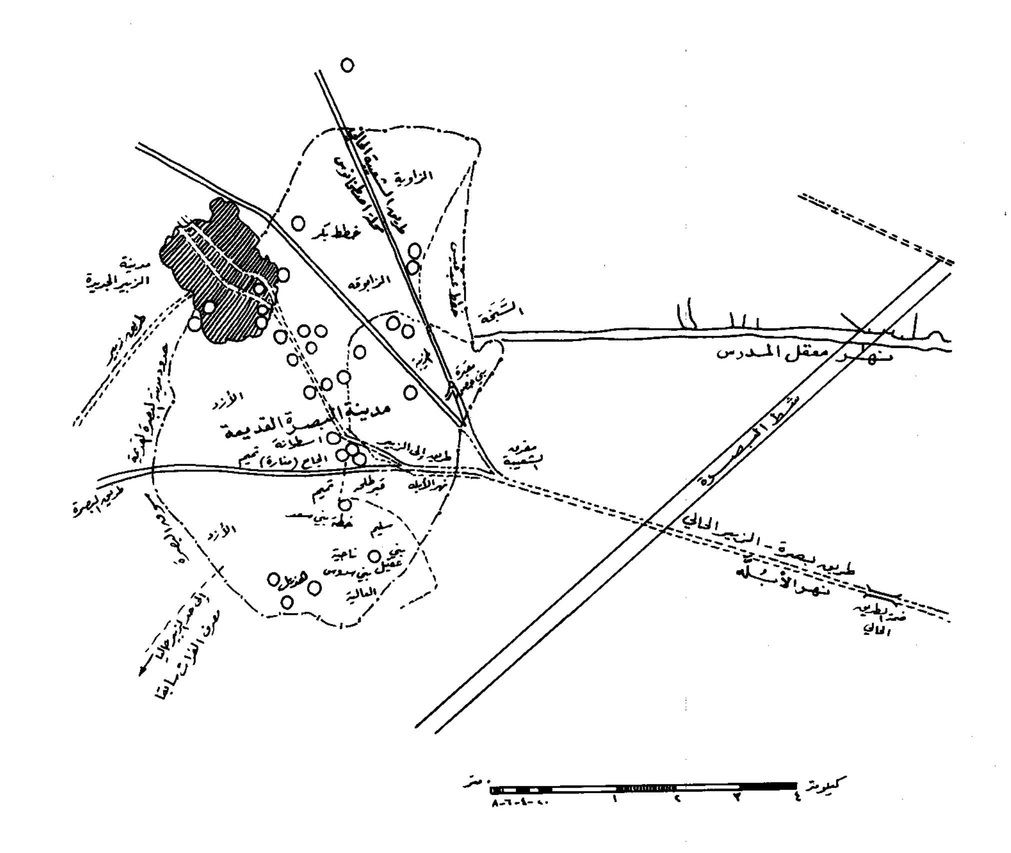
تحول الياء المفتوحة بعد كسرة إلى فتحة



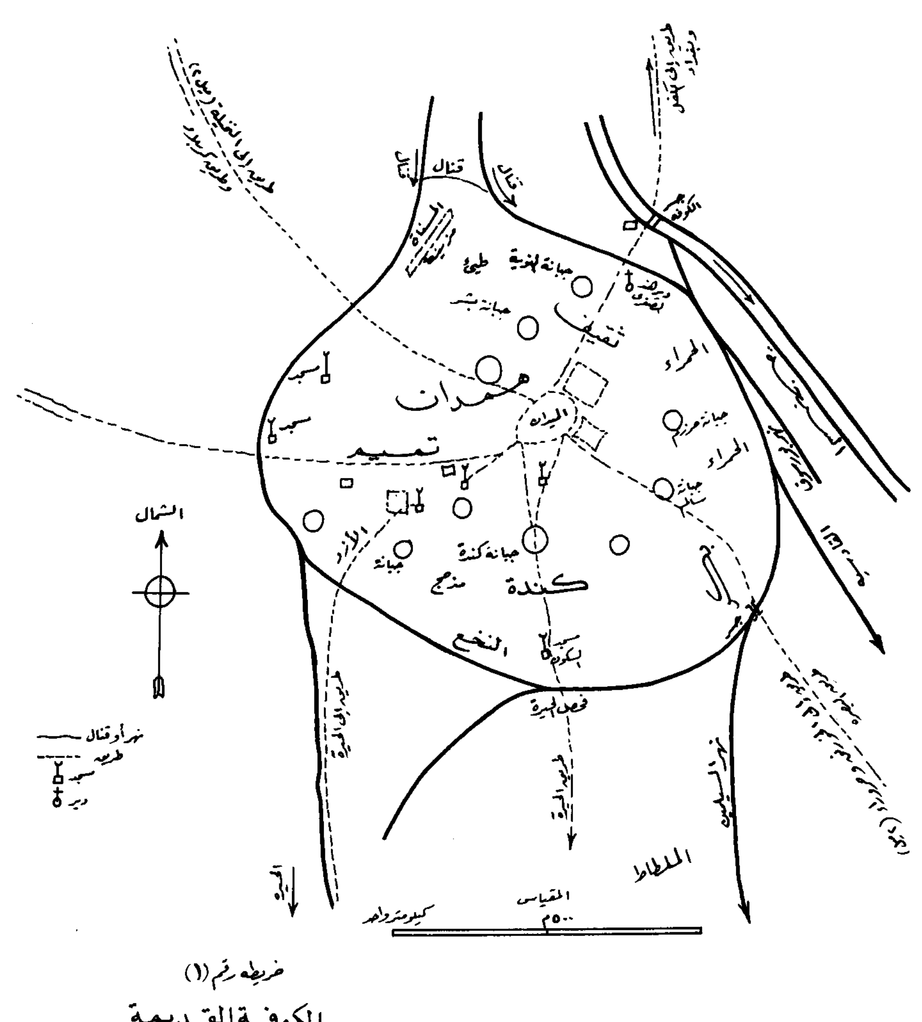
خريطة توضح بعض منازل المزنيين في المدينة وما جاورها



خطط البصرة (إعداد ماسينيون)



خطط البصرة (إعداد د. صالح العلي)



خريطة رقم (١)
الكوفة القديمة

الكوفة القديمة (إعداد ماسينيون)

الفهارس الفنية

المصادر والمراجـــع (*)

أولاً: المخطوطات :

١- الأبادي، إبراهيم بن حيدر بن أحمد الكردي (ت١١٥١هـ/١٧٣٨م): شرح بانت سعاد، نسخة مصورة عن المكتبة الظاهرية بدمشق (٥٩٤٤) وأخرى عن مكتبة عارف حكمت، بالمدينة المنورة (١٠٣٠/٢٧/٢٤٣).
٢- الأحول، أبو العباس بن محمد بن الحسن بن دينار (؟): شعر كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القاهرة (١٥٢٢٣) ز.
٣- الأميوطي اللخمي، جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالرحيم (٧٩٠هـ/١٣٨٨م): شرح بانت سعاد، الظاهرية، دمشق، (٥٤٨٢).
٤- البغدادي، موفق الدين عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (ت: ٦٢٩هـ) يعرف بابن اللباد، وابن نقطة: كنه المراد شرح قصيدة بانت سعاد، مصورة عن دار الكتب الوطنية بتونس (٣٢٤٦).
٥- الجرجاني، أبو الفتوح ثابت بن محمد الأندلسي (ت٤٣١هـ): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مصورة عن الأسكوريال (٢٨٩).
٦- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (٣٩٢هـ): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مصورة عن (يني جامع) (٩٦٦).
٧- الحضار، صالح بن علي (؟): مناقب الإمام أبي واثلة إياس بن قرة التابعي البصري، مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة (١٧٧/ تراجم).

(*) لم أُثبت هنا ، ماأشرتُ إليه في كل من المقدمة ، والتمهيد ، وماوثقته كاملاً في بعض الهوامش وأخرجتُ من الترتيب كلمتَيْ " ابن " و " أبي " .

٨- ابن زاكور محمد بن قاسم بن محمد الفارسي (١١٢٠هـ/١٧٠٨م): عنوان النفاسة في شرح ديوان الحماسة، مصورة عن الظاهرية (٨٦٨٩).

٩- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ): كنه المراد في بيان بانت سعاد، عارف حكمت، (١٠٤٧/٤٤/٣٤٣).

١٠- الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرار (ت بين ٢٠٥/٢١٣هـ): ديوان زهير ابن أبي سلمى، مصورة عن مكتبة تشستربتي بدبلن، أيرلندة (٣٥٠٧).

١١- صعوداء، محمد بن هبيرة أبو سعيد الأسدي (كان معاصراً لابن المعتز (ت٢٩٦هـ): شرح ديوان زهير بن أبى سلمى، دار الكتب المصرية: (٨٧/ أدب م).

١٢- العرياني، عثمان بن عبدالله (ت١١٦٨هـ): شرح قصيدة بانت سعاد، عارف حكمت (١٠٣١/٢٨/٢٤٣).

١٣- الفسوي، أبو القاسم زيد بن علي بن عبدالله الفارسي (ت٤٦٧هـ): شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، مصورة عن (لاله لي / ١٨١٣).

١٤- القارئ، نور الدين علي بن محمد سلطان (كان حياً قبل سنة ٣٧٠هـ): فتح باب الإسعاد في شرح بانت سعاد، مصورة عن الظاهرية، (٨٣٠٩).

١٥- ابن كريم، أحمد بن محمود (؟): راحة قلب المستجير بقصيدة كعب بن زهير، م . الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة (١٦/ ٨١٠ت/ ١٣٣).

١٦- محمد بن وجيه الدين (؟): شرح قصيدة بانت سعاد ، م. جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (٦١٢٤ف/ أدب).

١٧- المقدسي، محمد بدير (؟): الإسعاد في تحقيق بانت سعاد . عارف حكمت (٤..١/ ٢٤٣).

١٨- المكي، أبو العباس أحمد بن حجر الهبتي (٩٧٣هـ): شرح قصيدة كعب ابن زهير، م . جامعة الإمام محمد بن سعود، (٨٧٠١/ أدب، ف).

١٩- ابن ميمون، أبو غالب بن مميون بن المبارك (٥٩٧هـ): منتهى الطلب من أشعار العرب، مصورة عن معهد المخطوطات العربية بالكويت (ف ٨١١ ش ٥٧٣/ ٧١١) (طبع في فرانكفورت بألمانيا الاتحادية، ١٤٠٦هـ)، طبعة مصورة عن المخطوط.
٢٠- الهجري، أبو علي هارون بن زكريا (ت بعد ٣٠٠هـ): التعليقات والنوادر، نسخة الدار المصرية بالقاهرة (٤٣٢) لغة، ونسخة الجميعة الآسيوية بكلكتا، الهند (من مقتنيات الأستاذ / حمد الجاسر، صاحب مجلة العرب، السعودية بالرياض)، وطُبِعتْ النسخة المصرية منه بتحقيق د. حمود عبدالأمير الحمارى، ببغداد: ١٩٨٠م) ونشر بتحقيق الشيخ الجاسر، بالرياض، ط. العبيكان، ١٤١٣هـ.

* * *

ثانياً: المصادر المطبوعة :

١- العهدان: القديم والجديد، ط بيروت، ساحة النجمة: ١٩٦٦م.
٢- القرآن الكريم، ط مجمع الملك فهد، المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
٣- الآجري، أبو عبيد محمد بن علي بن عثمان (أواخر القرن الثالث الهجري): سؤالات أبي عبيد أبا داود السجستاني (ت٢٧٥هـ): في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق/ محمد العمري، المكتبة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٩هـ.
٤- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت ٣٧٠/ ٣٧١هـ): المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبدالستار فراج، دار الإحياء، القاهرة ١٩٦١م. وط القدسي.

و- الموازنة بين الطائيين، تحقيق / محيي الدين عبدالحميد، بيروت، وط صقر، دار المعارف، ١٩٧٢م.

٥- ابن الأبرص، عَبِيد بن الأبرص بن عوف بن جُشَم الأسديّ: ديوانه، تحقيق وشرح د. حسين نصار، الحلبي، القاهرة: ١٩٥٧م.

٦- الأبشيهي، شهاب الدين بن محمد (ت٨٥٠هـ): المستطرف من كل فن مستظرف، دار القلم، ببيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.

٧- ابن الأثير، ضياء الدين نصرالله الجزري (ت٦٣٧هـ): الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام، والمنثور، تحقيق د. مصطفى جواد، ود. جميل سعيد، م . العلمي العراقي ١٩٥٩م.

و- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حققه د. أحمد الحوفي، ود. طبانة، م . النهضة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

٨- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم (ت٦٣٠هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط. التعاون، ١٩٦٤م والشعب، ١٩٧٠م. و- الكامل في التاريخ ، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

٩- ابن الأثير، نجم الدين أحمد بن إسماعيل الحلبي (ت٧٣٧هـ): جوهر الكنز، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، م . المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٤م.

١٠- الأحوص، عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم (ت ١٠٥هـ): شعره، جمعه وحققه/ عادل سليمان جمال، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٠هـ.

١١- الأزدي، علي بن ظافر بن حسين (ت بين ٦١٣-٦٢٣هـ): بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، م. الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٢- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠هـ): أخبار مكة المشرفة، تحقيق / رشدي ملحس، دار الأندلس، مدريد، ١٣٥٢هـ.

١٣- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرين، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٤- الأسدي: الحسين بن مطير (ت١٦٩هـ): شعره، جمعه وشرحه وقدم له د/ حسين عطوان، دار الجيل، بيروت، د . ت.

١٥- الأسدي، بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف، ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، دار الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٠م.

١٦- الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت٥٧٥هـ): فهرسة ماروواه عن شيوخه من الدواوين، قومس، سرقسطة، ١٨٩٣م.

١٧- الأشموني، نور الدين أبو الحسن علي (ت نحو ٩٠٠هـ): منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، حققه وشرح شواهده: محيي الدين عبدالحميد، مع شرح الشواهد للعيني، الحلبي، ١٣٦٦هـ.

١٨- ابن أبي الأصبع، زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن عبدالله (٥٨٥/ ٦٥٤هـ): تحرير التحبير، تحقيق: د. حفني شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

١٩- الأصبهاني، أبو القاسم حسين محمد الراغب (ت٥٠٢هـ): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.

٢٠- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت٤٣٠هـ): حلية الأولياء، الخانجي بمصر، ١٣٥١هـ.

و- ذكر أصبهان، بريل، ليدن ، ١٩٣١م.

٢١- الأصبهاني، أبو بكر محمد بن سليمان (ت٣٩٧هـ): الزهرة، جـ ١، ط بيروت، ١٣٥١هـ، وجـ ١ وجـ ٢، ط المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٦هـ.

٢٢- الأصفـهاني، الحسن بن عـبدالله أبو علي (٢١٠هـ): بلاد العرب، تحقيق/ حمد الجاسر ود. صالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ١٩٦٨م.
٢٣- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن مـحمد (ت٣٥٦هـ): الأغاني، ط الســادسـي ودار الكتـب، والشعـب، القـاهرة ودار الفكر، ودار الثـقافـة، ببيروت.
٢٤- الأصمعي، أبو سعيد عبدالملك بن قريب الباهلي (ت٢١٦هـ): الأصمعيات، تحقـيق وشرح/ أحمد شـاكر وعبـدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٧٩م.
و- فحولة الشعراء، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٢٥- أعشى قيس، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل (ت٧هـ): ديوانه، تحقيق د/ محمد محمد حسين، م . النموذجية، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٦- أعشى هـمدان، عـبدالرحـمن بن عـبدالله بن الحـارث بن نظام بن جـشم، (ق/٨٣هـ): ديوانه وأخـبـاره، تحـقـيق: د. حـسن أبو ياسين، دار العلوم للطباعة، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٢٧- الآلوسي، السيد محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط ٣: د . ت.
٢٨- امرؤ القيس الكندي، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط ٤، ١٩٨٤م.
٢٩- ابن الأنباري، أبو البركات عبدالرحـمن بن محمد بن أبي الوفاء (ت٥٧٧هـ): قصيـدة البردة، دراسة وتحـقيق / د. مـحمود حـسن زيني، تهامة، جدة، ١٤٠٠هـ.
٣٠- ابن الأنباري، أبو بكر محـمد بن القاسـم بن محمـد بن بشار (ت٣٢٨هـ):

الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق/ حاتم الضامن، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩م.
و - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق وتعليق/ عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٦٩م.
و - شرح المفضليات، م . الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م.
و - المذكر والمؤنث، تحقيق/ د. طارق الجنابي، م . العاني، بغداد، ١٩٧٨م.
٣١- الأندلسي، أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩١م): بدائع السلك في طبائع الملك، دراسة وتحقيق/ د. محمد بن عبدالكريم، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٩٧٦م.
٣٢- الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، ط العريان، بيروت، ١٩٦٠م، وط أحمد أمين وزملائه، لجنة التأليف، القاهرة: ١٩٧٣م.
٣٣- الأنصاري، أبو الوليد حسان بن ثابت الخزرجي (ت ٥٤هـ): ديوانه، تحقيق/ د. سيد حنفي حسنين، الهيئة ١٩٧٤م، ودار المعارف ١٩٨٣م وتحقيق: د. وليد عرفات، صادر، ١٩٧٤م، وشرح البرقوقي، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٤- الأنصاري، عبدالله بن يوسف بن هشام (ت٧٦١هـ): شرح بانت سعاد، الحلبي، القاهرة، ١٣٠٢هـ.
٣٥- الإيادي، أبو دؤاد جارية (أو جويرية) بن الحجاج: شعره، جمع وتحقيق: غرونباوم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.
٣٦- الإيادي، لقيط بن يَعْمَر بن خارجة (ت: نحو ٢٥٠هـ)، ديوانه، حققه وقدم له د. عبدالمعين خان، دار الأمانة، بيروت، ١٩٥٩م.

٣٧- ابن أيدمر، فلك الدين أبونصر محمد (ت٧١٠هـ): الدر الفريد وبيت القصيد، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٨- الباهلي، محمد بن حازم (ت ٢١٥هـ): ديوانه، صنعه: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٣٩- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت٢٨٤هـ): ديوان الحماسة، ط شيخو، بيروت، وط. كمال مصطفى، القاهرة، ١٩٢٩م.
٤٠- بحشل، أسلم بن سهل الرزاز (ت٢٩٢هـ): تاريخ واسط، بغداد، ١٩٦٧م.
٤١- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ): الجامع الصحيح، م. الشعب والتوفيقية بالقاهرة، وط. الرياض.
٤٢- البستي، محمد بن حبان بن أحمد التيمي (ت٣٥٤هـ): كتاب الثقات، حيدر آباد، ١٩٧٣م.
و - كتاب المجروحين من المحدثين، والضعفاء والمتروكين، حلب ١٣٩٦هـ.
و - مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م.
٤٣- ابن بشران، أبو القاسم عبدالملك بن محمد بن عبدالله الأموي البغدادي (٣٣٩-٤٣٠هـ / ٩٥١-١٠٣٨م): إسلام كعب بن زهير وقصيدته، تحقيق د. عبدالعزيز بن ناصر المانع، مجلة عالم الكتب، الرياض، المجلد الثاني، العدد الأول، رجب ١٤٠١هـ / مايو ١٩٨١م.
٤٤- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبدالملك (ت٥٧٨هـ): غوامض الأسماء المبهمة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٤٥- البصري، أبو الحسن صدر الدين علي بن أبي الفرج (ت٦٥٩هـ): الحماسة البصرية، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٤هـ، وجـ ١، تحقيق د. عادل سليمان، القاهرة، ١٣٩٨هـ.

٤٦- البطليوسي، أبو محمد عبدالله محمد بن السيد (ت٥٢١هـ): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

٤٧- البعيث، أبو يزيد خداش بن بشر المجاشعي (ت١٣٤هـ): شعره، جمع وتحقيق/ د. ناصر الدين رشيد محمد، م . كلية الآداب، البصرة، العدد (١٤) السنة (١٢)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٨- البغدادي، أبو بكر محمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت٤٦٣هـ): الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، م . الخانجي، مصر، ١٤٠٥هـ.

و - تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د . ت.

٤٩- البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت٧٣٩هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق/ علي البجاوي، م. الحلبي، مصر، د . ت.

٥٠- البغدادي، عبدالقادر بن عمر بن علي (١٠٣٠-١٠٩٣هـ): خزانة الأدب، ولب لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح/ عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، وط . بولاق، ١٢٩٩هـ . وبهامشها: شرح شواهد شروح الألفية للعيني.

و - حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام، تحقيق: نظيف محرم خواجة، دار النشر فرانز سايز بفبسبادن، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٥١- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأونبي (ت٤٨٧هـ): سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي، تحقيق/ الميمني، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٣٦م.

و- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم لـه د. إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين، دار الأمانة، بيروت، ١٣٩١هـ.

و- معجم ما استعجم، حققه/ مصطفى السقا، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥١م.

٥٢- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ): أنساب الأشراف، جـ١، تحقيق د. حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م. وجـ٣، تحقيق د. عبدالعزيز الدوري، بيروت، ١٣٩٨هـ، جـ٥، م. المثنى ببغداد، د . ت.

و - فتوح البلدان، م . النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، وط . بريل، ليدن، ١٩٦٨م.

٥٣- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ): السنن الكبرى، حيدر آباد، ١٣٥٣هـ.

٥٤- البيهقي، إبراهيم بن محمد، (نحو ٣٢٠هـ): المحاسن والمساوئ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، م . نهضة مصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٥٥- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني (ت٥٠٢هـ): شرح القصائد العشر، م . صبيح، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

و - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق/ محي الدين، م. التجارية، بمصر، وط . السعادة، دار القلم، بيروت، د . ت.

و - شرح قصيدة بانت سعاد، بيروت، ١٩٨١م.

و - الكافي في العروض والقوافي، ط. الخانجي ١٩٧٨م.

و - الوافي في العروض والقوافي، دار الفكر بدمشق، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

٥٦- التبريزي، ولي الدين محمد بن عبدالله الخطيب العمري (بعد ٧٣٧هـ): الإكمال في أسماء الرجال، م . المجتبائي، ١٣٠٥هـ.

و - مشكاة المصابيح، م . المجتبائي، ١٣٠٥هـ.

٥٧- الترمذي، أبو عيسى بن سورة الضرير (ت٢٧٩هـ): الصحيح، بشرح ابن العربي المالكي، م . الصاوي، القاهرة، ١٩٣٤م.

٥٨- التنوخي، القاضي أبو علي المحسِّن بن علي (ت٣٨٤هـ): الفرج بعد الشدة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٥٩- التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ): البصائر والذخائر، تحقيق/ د. إبراهيم الكيلاني، م. أطلس، دمشق، د. ت.

٦٠- التيمي، عمر بن الأشعث بن لجأ (نحو سنة ١٠٥هـ): شعره، صنعة د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.

٦١- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ): التمثيل والمحاضرة، تحقيق/ د. عبدالفتاح الحلو، القاهرة، ١٣٨١هـ، والرياض: ١٤٠١هـ.

و - تحسين القبيح وتقبيح الحسن، بغداد، ١٤٠١هـ.

و - لطائف المعارف، الحلبي، مصر، ١٩٦٠م.

٦٢- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار (ت٢٩١هـ): المجالس، شرح وتحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٨٠م.

و - شرح ديوان زهير بن أبى سلمى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة وبيروت، ١٩٧٣م، وشرح شعره، تحقيق/ د. فخر الدين قبارة، دار الآفاق، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٦٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ): البخلاء، تحقيق وتعليق/ طه الحاجري، دار المعارف بمصر، ط ٦، ١٩٨١م.

و - البرصان والعرجان والعميان والحُولان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

و - البيان والتبيين، تحقيق وشرح/ عبدالسلام هارون، م. الخانجي بمصر، ط٥، ١٩٨٥م.

و - الحيوان، تحقيق وشرح/ هارون، الحلبي، ط ٢، ١٣٨٥هـ.

و - الرسائل (مناقب الأتراك)، تحقيق وشرح/ هارون، الخانجي، ١٩٦٤م.

٦٤- ابن الجراح، أبو عبدالله محمد بن داود (ت٢٩٦هـ): الورقة، تحقيق/ د. عبدالوهاب عزام، وعبدالستار فراج، دار المعارف بمصر، ط٢، د.ت.
و - من اسمه عمرو من الشعراء، تحقيق الدكتور عبدالعزيز المانع، م. الخانجي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٦٥- الجرجاني، أبو الحسن القاضي علي بن عبدالعزيز (ت٣٩٢هـ): الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق/ أبو الفضل، والبجاوي، الحلبي، ١٩٦٤م.
٦٦- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت٤٧١هـ): أسرار البلاغة، م. صبيح، القاهرة، ١٣٩٧هـ، ودار المسيرة، بيروت، ١٩٨٣م.
و - دلائل الإعجاز، تصحيح / السيد محمد رشيد رضا، م. صبيح، ط٦، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
٦٧- الجرجاني، محمد بن علي بن محمد (٧٢٩هـ): الإشارات والتنبيهات، تحقيق/ د. عبدالقادر حسين، م. نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م.
٦٨- الجشمي، دريد بن الصمة (ق/٨هـ): ديوانه، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠١هـ.
٦٩- ابن الجعد، أبو الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري الهاشمي مولاهم (ت٢٣٠هـ): المسند، م. الفلاح بالكويت، ١٤٠٥هـ.
٧٠- ابن أبي جمرة، أبو محمد عبدالله بن سعد الأندلسي (ت: ٦٩٥ أو ٦٩٩هـ): بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وماعليها، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.
٧١- الجمحي، أبو دهبل وهب بن زمعة (ت٦٣هـ): ديوانه، تحقيق/ عبدالعظيم عبدالرحمن، النجف، العراق، ١٣٩٢هـ.
٧٢- الجمحي، محمد بن سلاّم (ت٢٣١/ ٢٣٢هـ): طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود شاكر، م . المدني، القاهرة: ١٩٧٤م.

٧٣- ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت: ٣٩٢هـ): (الخصائص) حققه: محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

٧٤- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفتوح عبدالرحمن بن علي بن أحمد (ت٥٩٧هـ): صفة الصفوة، حيدر آباد، ١٣٥٥هـ.

و - كتاب الضعفاء والمتروكين، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٧٥- ابن قيمّ الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو عبدالله بن القيم (٧٥١هـ): زاد المعاد في هدي خير العباد، م. صبيح، القاهرة، ١٩٣٥م.

٧٦- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ): تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق/ أحمد عبدالغفور عطار، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.

٧٧- الحاكم، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين في الحديث، م . النصر الحديثة، الرياض، د.ت.

٧٨- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي بالولاء (ت٢٤٥هـ): المحبر، دار الآفاق، بيروت، وألقاب الشعراء.

و - كنى الشعراء، تحقيق/ هارون، نوادر المخطوطات، م. الحلبي، القاهرة، ١٩٧٣م.

و - مختلف القبائل ومؤتلفها، نشر/ حمد الجاسر، النادي الأدبي في الرياض، ١٩٨٠م.

٧٩- ابن حجة، تقي الدين أبو بكر علي بن عبدالله الحموي (٨٣٧هـ): ذيل ثمرات الأوراق، م . الوهبية، مصر، ١٣٠٠هـ.

٨٠- ابن حجر، أبو شريح أوس التميمي، (ت: نحو ٢ ق هـ) ديوانه، تحقيق وشرح/ د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

٨١- ابن أبي الحديد، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني (ت: ٦٥٥هـ): شرح نهج البلاغة، بيروت، ١٣٧٥هـ، وتحقيق أبو الفضل إبراهيم، الحلبي، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

٨٢- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم (ت٢٨٥هـ): المناسك وأماكن طرق الحج، تحقيق/ حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٨٩هـ.

٨٣- الحريري، أبو محمد القاسم بن علي البصري (٥١٦هـ): المقامات، دار صادر، ١٣٨٥هـ.

٨٤- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ): جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبدالسلام هارون، دار المعارف بمصر، ط ٤، ١٩٧٧م.

و - جوامع السيرة، تحقيق/ د. إحسان عباس ود. ناصر الدين الأسد، دار المعارف بمصر، د. ت.

٨٥- الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (٦٢٦هـ): معجم الأدباء، تحقيق/ د. أحمد فريد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. وط الهندية بالموسكي، بمصر.

و - معجم البلدان، م. السعادة بمصر، وصادر ببيروت، د.ت.

٨٦- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد (٢٤١هـ): المسند، دار الفكر، ودار صادر، بيروت.

٨٧- الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد بن العماد (١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م. التجاري، ببيروت، د.ت.

٨٨- الحنظلي، أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم بن إدريس بن المنذر (٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، حيدر آباد، ١٣٧١هـ.

٨٩- الخالديان، أبو بكر محمد (ت٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد (ت: ٣٧١هـ) ابنا هاشم: الأشباه والنظائر، حماسة الخالديين، حققه وعلق عليه د. السيد محمد يوسف، القاهرة، ١٩٥٨م.

و - المختار من شعر بشار، دار صادر، بيروت، د . ت.

٩٠- خداش بن زهير العامري، شعره، صنعه د. يحيى الجبوري، م . مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٦هـ.

٩١- الخرنق بنت بدر بن هفان: ديوانها، تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م.

٩٢- الخريمي، أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي (٢١٤هـ): ديوانه، جمعه وحققه د. علي جواد طاهر ومحمد جبار المعيبد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م.

٩٣- الخطفى، أبو حزرة جرير بن عطية (ت: ١١٠هـ): ديوانه، تحقيق د. نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩٧٦م، وشرح الصاوي، م. النوري، دمشق، ١٣٥٣هـ.

٩٤- ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن المالكي (ت٨٠٦/٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر، (تاريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م.

٩٥- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

٩٦- الخوارج: ديوانهم، جمع وتحقيق د. إحسان عباس، دار الشروق بمصر ولبنان، ١٤٠٢هـ.

٩٧- ابن خياط، أبو عمرو خليفة العصفري (٢٤٠هـ): الطبقات، حققه/ سهيل زكار، دمشق: ١٩٦٦م.

٩٨- أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ): السنن، إعداد وتعليق/ عزت الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، ١٩٧٠م.

٩٩- الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد (٣٨٥هـ): الضعفاء والمتروكون، دار القلم، بيروت، ١٤٠٥هـ.

و - ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايتُه عند الثقات، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٠٠- الدؤلي، ظالم بن عمرو بن سفيان أبو الأسود (ت٦٩هـ): ديوانه، حققه وشرحه/ عبدالكريم الدجيلي، بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

١٠١- الدباغ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت٦٩٦هـ): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، م. الخانجي بمصر، ١٩٦٨م.

١٠٢- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (٣٢١هـ): الاشتقاق، تحقيق وشرح/ عبدالسلام هارون، م. المثنى، بغداد، ط٢، ١٣٩٩هـ.

١٠٣- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (٨٠٩هـ): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، بولاق، مصر، ١٣٠٩هـ.

١٠٤- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى (٨٠٨هـ): حياة الحيوان الكبرى، م. التجارية بالقاهرة، ١٣٠٦هـ، ودار الفكر، بيروت، د.ت.

١٠٥- الديار الكبرى، حسين بن محمد بن الحسن (٩٦٦هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، الوهبية، مصر، ١٢٨٣هـ.

١٠٦- الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ): العبر في خبر من غبر، الكويت، ١٩٦٠م.

و - تاريخ الإسلام، القدسي، ١٣٦٨ه (المغازي)، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

و - تلخيص المستدرك، م. النصر الحديثة، الرياض، د.ت.
و - ذكر من تكلم فيه وهو موثق، م. المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ.
و - سير أعلام النبلاء، ط دار المعارف بمصر، د.ت.
و - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الحلبي، ١٣٨٢هـ.
١٠٧- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (١١٧هـ): ديوانه، دمشق، ١٣٩٢هـ.
١٠٨- الرقي، ربيعة بن ثابت الأسدي (١٩٨-٢٠١هـ): شعره، جمع وتحقيق ودراسة: د. يوسف بكار، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١٠٩- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (٤٥٦هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه/ محمد محيي الدين، دار الجيل، ١٩٧٢، ١٩٨١م.
١١٠- الرقام البصري، أبو الحسن محمد بن عمران العبدي (صاحب ابن دريد ٣٢١هـ): العفو والاعتذار، حققه وقدم له/ د. عبدالقدوس أبو صالح، م. جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ١٤٠١هـ.
١١١- الزبيدي، عمرو بن معد يكرب (ت٢١هـ): شعره، جمعه ونسقه/ مطاع الطرابيشي، م. اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ.
١١٢- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبدالرازق مرتضى (١٠٢٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، ط الكويت.
١١٣- الزبير بن بكار (٢٥٦هـ): جمهرة نسب قريش وأخبارها، شرحه وحققه/ محمود شاكر، مطبعة العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ.
١١٤- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق (٣٤٠هـ): الأمالي، تحقيق وشرح/ هارون، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
١١٥- الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر (٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه، م . الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٥٧هـ.

و - الفائق في غـريب الحديث، تحقـيق/ البجـاوي وأبو الفضل، الحلبي، ١٩٧١م.

و - المستقصى في أمثال العرب، حيدر آباد، ١٣٨١هـ.

و - ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، بغداد، ١٤٠٢هـ.

١١٦- ابن السبكي، تاج الدين عبدالوهاب بن علي (٧٧١هـ): طبقـات الشافعـية الكبرى، م. الحسينية بالقاهرة، ١٣٢٤هـ، والحلبي، ١٩٦٤م.

١١٧- السجستاني، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان (٢٤٨/ ٢٥٠هـ): المعمرون والوصايا تحقيق/ عبدالمنعم عامر، م. الحلبي بمصر، ١٩٦٤م.

١١٨- ابن السراج، أبو مـحمـد جعـفر بن أحـمد بن الحـسين (٥٠٠-٥٠١هـ): مصارع العساق، دار صادر، بيروت، ١٣٧٨هـ.

١١٩- ابن سعد، محمـد بن منيع البصري الزهري (٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، صادر، ١٩٦٠م، والفكر العربي، ١٩٦٨م.

١٢٠- السكري، الحسن بن الحسين بن عبيدالله (٢٧٥هـ): شرح أشعار الهذليين، حققه/ عبدالستار فراج، راجعه/ محمود شاكر، دار العروبة، القاهرة. د.ت.

و - شرح ديوان كعب بن زهير، المجمع العلمي البولوني، قراقو، ١٩٥٠م، والدار القـوميـة، القاهرة، ١٩٦٥م، ودار الكتب العلمـية، بيروت، ١٩٨٧م ودار الشواف، الرياض، ١٩٨٩م.

١٢١- ابن سعـيد الأندلسي (أبو الحسن علي بن مـوسى بن محمد بن عـبدالملك) (ت٦٨٥هـ): نشوة الطـرب في تاريخ جاهليـة العرب، تحقـيق د. نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ١٩٨٢م.

١٢٢- ابن سلام، أبو عبيد القـاسم الهروي البغدادي (٢٢٤هـ): الأموال، تحقيق/ محمد خليل هراس، م. الكليات الأزهرية، ١٣٨٨هـ.

١٢٣- السلمى، عرام بن الأنبع (٢٧٥هـ): أسماء جبال تهامة وسكانها، الخانجي، ١٣٧٤هـ.
١٢٤- السلمية، تُماضر بنت عمرو بن الحارث بت الشريد الخنساء (ت ٤هـ): ديوانها، صادر، ١٩٦٣م، ودار الأندلس، د.ت . و (أنيس الجلساء)، م. الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٦م.
١٢٥- السمهودي، أبو الحسن بن عبدالله (ت١٠١١هـ): وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ص، م . الآداب والمؤيد، مصر، ١٣٢٦هـ.
١٢٦- السهيلي، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي (٥٨١هـ): الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، م. الكليات الأزهرية، ودار الكتب الحديثة، وم . شقرون.
١٢٧- ابن سيد الناس محمد بن محمد اليعمري (٧٣٤هـ): عيون الأثر في فتوح المغازي والشمائل والسير، م. القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، والآفاق، بيروت، د.ت.
١٢٨- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ): المخصص، م. التجاري ببيروت، وط بولاق، ١٣١٦هـ، ودار الفكر ببيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
١٢٩- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، القاهرة وبيروت.
و - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الحلبي، ١٩٥٨م.
و - الوسائل إلى معرفة الأوائل، الخانجي، ١٩٨٠م.
و - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ط. إدارة الوطن، ،مصر، ١٢٩٩هـ.
و - شرح شواهد المغني، البهية بمصر، ١٣٢٢هـ، ودار مكتبة الحياة، ببيروت، د.ت.
و - همع الهوامع شرح جمع الجوامع، ط السعادة، مصر، ١٣٢٧هـ.

١٣٠- ابن شاهين، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان (٣٨٥هـ): تاريخ الثقات عن نقل عنهم العلم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٣١- الشجري، ضياء الدين أبو السعادات، هبة الله بن علي (٥٤٢هـ): الحماسة الشجرية، حيدر آباد، ١٣٤٥هـ، وتحقيق/ عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي، دمشق، ١٩٧٠م.
١٣٢- الشريشي، أحمد بن عبدالمؤمن القيسي (٦١٩هـ): شرح مقامات الحريري، بولاق، ١٣٠٠هـ.
١٣٣- الشماخ بن ضرار بن حرملة الذبياني (ت٢٢هـ): ديوانه، دار المعارف، ١٩٧٧م.
١٣٤- الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر (ت بين ٣٧٧-٣٨٠هـ): الأنوار ومحاسن الأشعار، تحقيق/ صالح العزاوي، بغداد، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٣٥- الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم (ت٤٧٦هـ): النكت في تفسير كتاب سيبويه، تحقيق/ زهير سلطان، م. المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٧هـ.
و - شرح حماسة أبي تمام، تحقيق د. علي المفضل حمودان، م. جمعة الماجد، دبي، الإمارات، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
و - شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق/ د. قباوة، الآفاق، بيروت، ١٩٨٠م.
١٣٦- الشنقيطي، أحمد بن الأمين (١٣٣١هـ): الدرر اللوامع، م. كردستان بالجمالية، ١٣٢٨هـ.
١٣٧- ابن شهراشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي السروي (٥٨٨هـ): معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة، م. الحيدرية، النجف، ١٣٨٠هـ.

و - مناقب آل أبي طالب، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٣٨- الصفدي، صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك (٧٦٤هـ): نكت الهميان، م. الجمالية، القاهرة، ١٩١١م.

١٣٩- الصقلي، أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الحميري (٥٠١هـ): تثقيف اللسان وتنقيح الجنان، تحقيق د. عبدالعزيز مطر، دار المعارف بمصر، ١٩٨١م.

١٤٠- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (٣٣٥هـ): أخبار أبي تمام، حققه/ خليل عساكر وزميلاه، م. التجاري للطباعة، بيروت، د.ت.

١٤١- الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس (٢٣١هـ): ديوان الحماسة، تحقيق/ د. عبدالله عسيلان، م. جامعة الإمام محمد، الرياض، ١٤٠٢هـ، وشرح المرزوقي (٤٢١هـ)، لجنة التأليف، ١٩٥٣م.

و - ديوانه، بشرح التبريزي، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٩م.

و - الوحشيات، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٣م.

١٤٢- الطائي، حاتم بن عبدالله (ت ٤٦ ق هـ): ديوان شعره وأخباره، دراسة وتحقيق/ د. عادل سليمان جمال، م. المدني، القاهرة، ١٣٩٥هـ.

١٤٣- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ): المعجم الأوسط، م. المعارف بالرياض، ١٤٠٧هـ.

١٤٤- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، ١٩٦٣م.

و - تهذيب الآثار، م. المدني، القاهرة، ١٩٨٢م.

و - جامع البيان عن تأويل القرآن، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٩م، وط. المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، وط. الميمنية بمصر، د.ت.

١٤٥- ابن الطثرية، أبو المكشوح يزيد بن سلمة بن سمرة (١٢٦هـ): شعره، دراسة وجمع وتحقيق/ د. ناصر الرشيد، دار مكة للطباعة، ١٤٠٠هـ.

١٤٦- طرفة بن العبد (ت: ٦٠ ق هـ): ديوانه، تحقيق/ علي الجندي، م. الأنجلو المصرية، ١٩٥٨م.

١٤٧- طفيل بن عوف الغنوي (ت: نحو ١٣ ق هـ): ديوانه، ط . كرنكو، ١٩٢٧م.

١٤٨- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٦٠هـ): الفهرست، م. الزواد بسيهات، السعودية، ١٤٠٣هـ.

١٤٩- ابن طيفور، أبوالفضل أحمد بن طاهر (ت٢٨٠هـ): بلاغات النساء، ط. طهران، د . ت.

١٥٠- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (١٧٨هـ): المفضليات، تحقيق وشرح/ أحمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، ط ٦، ١٩٧٩م.

١٥١- العباس بن مرداس السلمي أبوالهيثم (ت نحو ١٨ هـ): ديوانه، تحقيق د. يحيى الجبوري، م. الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٥٢- العباسي، عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد (٩٦٣هـ): معاهد التنصيص، م. البهية بمصر، ١٣١٦هـ، وط. السعادة، د.ت.

١٥٣- ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النمري القرطبي (٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق/ البجاوي، م. نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

و - الإنباه على قبائل الرواة، م. القدسي بمصر ١٣٥٠هـ، وم. المعارف بالطائف، ١٩٧٠م.

و - الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.

و - الدرر في اختـصار المـغازي والسـير، تحقـيق/ د. شوقي ضـيف، دار المعارف، ١٩٨١م.

و - بهجة المجـالس وأنس المجالس، تحقـيق/ محـمد مـرسي الخولي، دار الكاتب، القاهرة، د.ت.

١٥٤- ابن عبدالحكم، أبو القاسم عبدالرحـمن بن عبدالله (٢٥٧هـ): فتوح مصر وأخبارها، تقديم وتحقيق/ محمد صبيح، م. التعاون، القاهرة: ١٩٧٤م.

١٥٥- عبدالرحـمن بن محمد الثـعالبي أبوزيد (ت: ٨٧٥هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن، م. الثعابية، الجزائر، ١٣٢٥هـ.

١٥٦- عبـدالله بن معـاوية بن عبـدالله بن جعفـر بن أبي طالب (١٣٠/١٣١هـ): شعره، جمعه عبدالحميد الراضي، م. الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ.

١٥٧- العبـيدي، محـمد بن عبـدالرحمن، التذكرة الـسعدية، تحقيق/ عـبدالله الجبوري، تونس، ١٩٨١م.

١٥٨- العجلي، أحمد بن عبدالله بن صالح أبو الحسن: تاريخ الثقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٥٩- العذرى، جـميل بن عـبدالله بن مـعمـر (٨٢هـ): ديوانه، جمع وتحـقيق وشرح/ د. حسن نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٦٠- العراقي، زين الدين عبدالرحـيم بن الحسين (٨٠٦هـ): شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، ١٣٥٥هـ.

١٦١- أبو العرب، محـمد بن أحمد بن تميم القـيرواني (٣٣٣هـ): طبقات علماء أفريقية وتونس، تقديم وتحقيق/ علي الشـابي ونعيم اليافي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨م.

١٦٢- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (٥٧١هـ): تاريخ دمشق، م. روضة

الشام، ١٣٣١هـ، وم. الدار بالمدينة المنورة: ١٤٠٧هـ، وتهذيب/ عبدالقادر ابن بدران، دار المسيرة ببيروت، ١٣٩٩هـ.

١٦٣- العسقلاني، شهاب الـدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حـجر (٨٥٢هـ): الإصابة في تمييـز الصحابة، ط الكليات الأزهرية ونهضـة مصر، بالقاهرة، ودار الفكر ببيروت.

و - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق/ البجاوي والنجار، القاهرة، ١٩٥٤م.

و - تقريب التهذيب، بيروت، ١٣٩٥هـ.

و - تهذيب التهذيب، حيدر آباد، ١٣٢٥هـ.

و - لسان الميزان، حيدر آباد، ١٣٣٠هـ.

١٦٤- العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد (٣٨٢هـ): شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق/ د. عبدالعزيز أحمد، الحلبي، ١٩٦٣م.

و - ديوان المعاني، القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

و - كتاب الصناعتين، تحقيق البجاوي، وأبو الفضل، دار الإحياء، القاهرة، ١٣٧١هـ.

١٦٥- عقـيل بن علفة المري، (ت بعد ١٠٠هـ): شعره، جمع د. عبـد الحسين المبارك، م. كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد (١٠)، ١٩٧٦م.

١٦٦- العقيلي، أبو جعفر محـمد بن عمرو بن موسى (٣٢٢هـ): كتاب الضعفاء الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٦٧- العلوي، مـحمـد بن أحمـد بن طباطبـا (٣٢٢هـ): عيـار الشـعر، دراسة وتحقيق/ د. محمد زغلول سلام، م. المعارف بالاسكندرية، ١٩٨٠م.

١٦٨- عمرو بن قـميئة: ديوانه، تحقيق وشرح/ حـسن الصيرفي، م. المخطوطات العربية، ١٩٦٥م.

١٦٩- العمري، عصام الدين عثمان بن علي (١١٨٤هـ): الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، بغداد، ١٣٩٤هـ.
١٧٠- العمري، ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحيى (٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، ١٤٠٨هـ.
١٧١- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ): مجمل اللغة، معهد المخطوطات بالكويت، ١٤٠٥هـ.
و - معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ هارون، م. الحلبي بمصر، ١٣٩٠هـ.
١٧٢- الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي (٨٣٢هـ): شفاء الغرام، م. النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٥٦م.
١٧٣- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ): القاموس المحيط، م. الحلبي، ١٩٥٢م.
و - المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق/ حمد الجاسر، اليمامة، الرياض، ١٩٦٩م.
١٧٤- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦هـ): الأمالي، دار الكتب المصرية، والهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ودار الآفاق، والمكتب الإسلامي، بيروت.
و - النوادر، دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ، والآفاق ببيروت.
و - ذيل الأمالي، ط القاهرة، وبيروت.
و - شعر معن بن أوس المزني، نشره/ باول شافرتز، ليبزج، ١٩٠٣م
وتحقيق/ د. نوري القيسي وحاتم الضامن، دار الجاحظ ببغداد، ١٩٧٧م
وتحقيق/ عمر القطان، دار العلم للطباعة، جدة، ١٤٠٣هـ.
١٧٥- القتبي، أبو محمد عبدالله بن مسلم (٢٧٦هـ): الشعر والشعراء، تحقيق وشرح/ أحمد شاكر، دار المعارف، ١٩٦١م، ودار التراث العربي بالقاهرة، ١٩٧٧م.

و - المعارف، تحقيق/ د. ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٨١م.
و - المعاني الكبير، حيدر آباد، ١٩٤٩م.
و - تأويل مختلف الحديث، م. الكليات، ١٩٦٦م.
و - عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥م.
١٧٦- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (القرن الخامس)، جمهرة أشعار العرب، حققه/ علي البجاوي، دار النهضة بالقاهرة، ١٩٨١م.
١٧٧- القرطاجني، أبو الحسين حازم بن محمد بن حسن (٦٨٤هـ): منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق/ ابن خوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.
١٧٨- القشيري، الصمة بن عبدالله (ت٩٥هـ): ديوانه، جمعه وحققه د. عبدالعزيز الفيصل، النادي الأدبي، بالرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
١٧٩- قطرب، أبو علي محمد بن المستنير (ت بعد ٢٠٦هـ): الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق/ د. حاتم الضامن، م. الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
١٨٠- القفطي، علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (٦٤٦هـ): المحمدون من الشعراء وأشعارهم، حققه وقدم له/ حسن معمري، راجعه/ حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٠هـ.
١٨١- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (٨٢١هـ): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، عنى بنشره وتحقيقه/ علي الخاقاني، بيروت، م. النجاح، ١٣٧٨هـ.
١٨٢- القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (٤٥٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، شرح/ د. زكي مبارك، م. التجارية بالقاهرة، ١٩٢٥م، والجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

١٨٣- ابن القيسراني، شرف الدين أبو عبدالله محمد بن نصر (٥٤٨هـ): الجمع بين رجال الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
١٨٤- قيس بن الخطيم أبو يزيد الأوسي (٢ق.هـ): ديوانه . تحقيق/ د. ناصر الدين الأسد، م. العروبة، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.
١٨٥- ابن قيس الرقيات، عبيدالله بن قيس القرشي (نحو ٨٥هـ): ديوانه، تحقيق وشرح/ د. محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٨٦- كثير عزة، أبو صخر بن عبدالرحمن (١٠٥هـ): ديوانه، جمعه وشرحه/ د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
١٨٧- ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي (٧٧٤هـ): البداية والنهاية، م. السلفية، القاهرة، ١٣٥١هـ.
و - السيرة النبوية، تحقيق د. مصطفى عبدالواحد، م. الحلبي، ١٣٨٥هـ.
و - تفسير القرآن العظيم، م. المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
١٨٨- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (٢٠٤/٢٠٦هـ): الأصنام، تحقيق/ أحمد زكي، الدار القومية، القاهرة، ١٩٢٤م.
و - جمهرة النسب، تحقيق/ د. ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
و - نسب معد واليمن الكبير، تحقيق/ د. ناجي حسن، عالم الكتب، وم. النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨م.
١٨٩- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (٣٥٠هـ): الولاة والقضاة، م. اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
١٩٠- الليثي، أبو جهمة المتوكل بن عبدالله بن نهشل (ت بعد ٧٢هـ): شعره، صنعة/ د. يحيى الجبوري، م. الأندلس، بغداد، د.ت.

١٩١- ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبـة الله (قتل: ٤٧٥ أو ٤٨٦هـ): الإكمال في رفع الارتيـاب عن المؤتلف والمختـلف من الأسمـاء والكنى والأنسـاب، حيدر آباد، ١٣٨١هـ.

١٩٢- المالكي، محمد بن عـبدالباقي الزرقاني (١١٢٢هـ): شرح المواهب اللدنية، بولاق، ١٢٩٢هـ، والأزهرية، ١٣٢٢هـ.

١٩٣- المالكي، أبو بكر عـبدالله بن مـحـمد بن عـبدالله (نحـو ٤٥٣هـ): رياض النفوس في طبقـات علماء القيروان وافـريقية، حققـه/ بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٩٤- مؤلف مجهول، مجموعة المعاني، م. الجوائب، الآستانة، ١٣٠١هـ.

١٩٥- المبرد، أبو العباس محـمد بن يزيد الأزدي الثمالي (٢٨٥/ ٢٨٦هـ): الكامل في اللغة والأدب، عارض أصـوله/ أبو الفضل والسيد شـحاتة، دار نهضة مصر، ١٩٥٦م . وط المعارف، ببيروت.

و - المقتضب، تحقيق/ محمد عبـدالخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٩هـ.

و - نسب عدنـان وقحطان، صـححـه/ الميـمني، م. المعـارف بالطائف، ١٤٠٠هـ.

١٩٦- المتـوكل الليثي (القـرن الأول): شعـره، صنعـة د. يحـيى الجبـوري، م. الأندلس، بغداد، د.ت.

١٩٧- المثـقب العبـدي العائذ بن مـحصن (ت نحـو ٣٥ ق هـ): ديوانه، تحقيق/ محمد حسين آل ياسين، بغداد، ١٩٥٦م.

١٩٨- ابن المثنى، أبو عبيدة معـمر التيمي (٢١٠هـ): مجاز القرآن، م. الخانجي، ١٣٨١هـ.

١٩٩- مجد الدين النشابي، أبوالمجد أسعد بن إبراهيم الشيباني (ت٦٥٧هـ): المذاكرة في ألقاب الشعراء، تحقيق شاكر العاشور، بغداد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠٠- مجنون ليلى، قيس بن الملوح (ت بين ٦٥-٨٥هـ): ديوانه، جمع وتحقيق وشرح/ عبدالستار فراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ت، ورواية الوالبي، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٢٠١- المحبي، محمد أمين بن فضل الله (١١١١هـ): جني الجنتين في تمييز نوع المثنيين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٠٢- المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي العلوي (٤٣٦هـ): غرر الفوائد ودرر القلائد (الأمالي) ط السعادة ١٣٢٥هـ، وط الحلبي، ١٣٧٣هـ.

٢٠٣- المرزباني، أبو عبيد محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ): أشعار النساء، تحقيق وتقديم د. سامي العاني وهلال ناجي، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م.

و - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، م. السلفية بمصر، ١٣٤٣هـ، وتحقيق/ البجاوي، النهضة.

و - معجم الشعراء، تحقيق/ عبدالستار فراج، م. الحلبي، ١٣٧٩هـ.

٢٠٤- مزاحم بن الحارث العقيلي (نحو ١٢٠هـ): شعره، تحقيق/ د. نوري القيسي وحاتم الضامن، م. المخطوطات، القاهرة، مجـ (٢٢)، جـ١، مايو، ١٩٧٦م.

٢٠٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (٣٤٦هـ): التنبيه والإشراف، م. ليدن، ١٩٦٧م.

٢٠٦- مسلم، الإمام أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم (ت٢٦١هـ): الصحيح بشرح النووي، م. المصرية بالأزهر، ١٣٤٩هـ، ودار الفكر العربي، ١٩٨١م.

و - الكنى والأسماء، م. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

٢٠٧- المعـافري، أبو محـمـد عبـدالملك بن هشـام الحمـيري (ت: ٢١٣ وقـيل: ٢١٨هـ): السيـرة النبوية، م. الكليات، ١٣٩٨هـ، وتهذيب/ هارون، دار البحوث العلمية، بيروت، ط ٥، ١٩٧٧م.

٢٠٨- ابن المعتز، أبو العبـاس عبدالله بـن محمـد بن المتوكل (٢٩٦هـ): طبقات الشعراء، تحقيق/ عبدالستار فراج، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.

٢٠٩- المعري، أبو العلاء أحـمد بن عـبدالله (٤٤٩هـ): رسالة الغـفران، تحقيق وشرح/ د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٨١م.

٢١٠- ابن معـصوم، السيـد علي بن أحمـد صدر الدين المدنـي الحسني الحسـيني (نحو: ١١٢٠هـ): أنوار الربيع في أنواع البديع، النجف، ١٣٨٨هـ.

٢١١- ابن المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين (٤١٨هـ): الإيناس بعلم الأنساب، ط. بيروت، ١٤٠٠هـ، وط. الرياض، ١٩٨٠م.

٢١٢- المقدسي، الحافظ المطهر محمد بن طاهر الشـهير بابن القيسراني (٥٠٧هـ): إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسـمه من النساء والرجال، م. العلا، الكويت، د.ت.

و - البدء، والتاريخ، باريس، ١٩٠٣م.

٢١٣- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (٨٤٥هـ): إمتاع الأسـماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع، م. لجنة التأليف بالقاهرة، ١٩٤١م.

٢١٤- المكي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك العصامي (١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، القاهرة، د. ت.

٢١٥- ابن منظور، جمـال الدين أبو الفضـل محمـد بن مكرم (٧١١هـ): لسان العرب، تحقـيق/ عبـدالله الكبـير وزميلـيه، دار المعارف بمـصر، ١٩٧٧م، وفهارسه، دار المعارف.

٢١٦- ابن منقذ، أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي (٥٨٤هـ): البديع في نقد الشعر، تحقيق/ د. أحمد بدوي، ود. حامد عبدالمجيد، م. الحلبي، ١٣٨٠هـ.

و - لباب الآداب، تحقيق/ أحمد شاكر، م. لويس سركيس، الفجالة، ١٩٣٥م.

٢١٧- المنقري، أبو الفضل نصرالله مزاحم (٢١٢هـ): وقعة صفين، تحقيق وشرح/ هارون، م. الخانجي بمصر، ط٣، ١٤٠١هـ.

٢١٨- ابن ميادة، الرماح بن أبرد (ت١٤٩هـ): شعره، جمع وتحقيق/ د. حنا حداد، م. اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ.

٢١٩- النابغة الذبياني، زياد عمرو: ديوانه، تحقيق/ أبو الفضل، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧م.

٢٢٠- ابن نباتة، جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد (٧٦٨هـ): سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق/ أبو الفضل، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٢٢١- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الكوفي الأسدي (٤٥٠هـ): الرجال، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٢٢٢- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ): شرح القصائد المشهورات، تحقيق/ أحمد خطاب، وزارة الإعلام العراقية، كتب التراث، (٢٣)، ١٣٩٣هـ.

٢٢٣- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت: ٤٣٨هـ): الفهرست، تحقيق/ رضا تجدد، طهران، ودار المعرفة ببيروت، د.ت.

٢٢٤- النَّسائي، أحمد بن عليّ بن شعيب (٣٠٣هـ): الضعفاء والمتروكون، دار القلم، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٢٥- نصيب، أبو محجن بن رباح (١٠٨هـ): شعره، جمع وتقديم د. داود سلوم، بغداد، ١٩٦٧م.

٢٢٦- النمري، أبو عبدالله الحسين بن علي (٣٨٥هـ): معاني أبيات الحماسة، تحقيق د. عبدالله عسيلان، م. المدني، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٢٢٧- النميري، أبو زيد عمر بن شبة البصري (٢٦٢هـ): تاريخ المدينة المنورة، جدة، ١٣٩٩هـ.

٢٢٨- النهشلي، أبومحمد عبدالكريم بن إبراهيم القيرواني (ت٤٠٥هـ): الممتع في صنعة الشعر، تحقيق/ د. زغلول سلام، م. المعارف بالإسكندرية، د.ت، واختيار من كتاب الممتع، تقديم وتحقيق/ د. منجي الكعبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، ١٣٩٧هـ، واختيار الممتع، تحقيق د. محمود شاكر القطان، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥م.

٢٢٩- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (٧٣٣هـ): نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، م. المصرية للتأليف، القاهرة، ١٣٤٢هـ.

٢٣٠- الهذليون: ديوانهم، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

٢٣١- ابن هذيل، أبو الحسن علي بن عبدالرحمن (القرن الثامن): عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، دار الكتب العلمية، ببيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢٣٢- الهمداني، أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي (٥٨٤هـ): عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، حققه/ عبدالله كنون، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

٢٣٣- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت: ٣٣٤هـ): الإكليل، م. السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٢٣٤- الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري (٤٦٨هـ): شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، برلين، ١٨٩١م.

٢٣٥- الواقدي، أبو عبـدالله محمد بن عـمر (٢٠٧هـ): المغازي، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
٢٣٦- ابن الوزير، أبو عمـران نور الدين علي (٦٧٣هـ): المرقصـات والمطربات، بيروت، د.ت.
٢٣٧- الوطواط، أبو إسـحاق جـمـال الدين محـمـد بن إبراهيم (٧١٨هـ): غرر الخصائص الواضحة، بولاق.
٢٣٨- وكيع، محمـد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ): أخبار القضاة، م. التجارية بمصر، ١٩٤٧م.
٢٣٩- اليافعي، أبو السعادات عفيف الدين عبدالله بن أسعد (٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد، ١٣٨٠هـ، والأعلمي، ١٩٧٠م.
٢٤٠- اليزيدي، أبو عبدالله محمد بن العباس (٣١٠هـ): الأمالي، عالم الكتب، بيروت و (المراثي)، حققه/ محمد نبيل طريفي، دمشق، ١٩٩١م.
٢٤١- اليعـقوبي، أحمـد بن إسحاق بن جـعفـر (نحو ٢٩٢هـ): البلدان، بريل، ١٨٩٢م.
و - التاريخ، صادر، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٤٢- أبو يوسف، يعقـوب بن إبراهيم (١٨٢هـ): كـتاب الخـراج، تحقـيق/ د. إحسان عباس، دار الشروق بمصر ولبنان، وم. السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

* * *

ثالثاً: المراجع العربية

١- د. إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، م. الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١م.

٢- د. إبراهيم سلامة: تيارات أدبية بين الشرق والغرب، م. الأنجلو المصرية، ١٩٥١م.

٣- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، تونس، ١٩٦١م.

٤- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، م. النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٤٢م.

و - تاريخ الشعر السياسي، م . النهضة، ١٩٤٥م.

٥- أحمد أمين: النقد الأدبي، م. لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٥٢م.

و - فجر الإسلام، م. النهضة العربية، ط ٩، ١٩٦٤م.

٦- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨١م.

٧- أحمد عادل كمال: شهيد نهاوند، النعمان بن مقرن، دار عكاظ بجدة والرياض، ١٤٠١هـ.

٨- أحمد كشك: القافية تاج الإيقاع الشعري، القاهرة، ١٩٨٣م.

٩- أغابزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٣، المجلد التاسع، جـ٣، د.ت.

١٠- د. السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٣م.

١١- السيد حسن الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، شركة النشر للطباعة العراقية المحدودة، د.ت.

١٢- السيد حسين بن السيد أحمد البراقي: تاريخ الكوفة، م. المرتضوية، النجف، العراق، ١٣٥٦هـ.

١٣- السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٤- أيهم القيسي: شعر القصيدة في صدر الإسلام، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.

١٥- بشير يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، م. الأهلية ببيروت، د. ت.

١٦- بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، دار صادر، ط٥، ١٩٤٨م.

و - دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

١٧- د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، ١٩٨٠م.

١٨- جبور عبدالنور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

١٩- جرجي زيدان: أنساب العرب القدماء، دار الهلال، ١٩٠٦م.

و - تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، د.ت.

و - تاريخ التمدن الإسلامي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٢م.

٢٠- د. جميل سعيد ود. داود سلوم: معجم لغات القبائل والأمصار، بغداد، ١٩٧٨م.

٢١- د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٧٨م.

و - تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي ببغداد، ١٩٥٥م.

٢٢- د. حسين نصار: قيس ولبنى شعر ودراسة، م. مصر، الفجالة، ط٢، ١٩٦٣م.
٢٣- د. حاتم الضامن: شعراء مقلون، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٤- حنا الفاحوري: تاريخ الأدب العربي، م. البولسية، بيروت، د. ت.
٢٥- د. حياة جاسم محمد: وحدة القصيدة في الشعر العربي، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٦هـ.
٢٦- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط٥، ١٩٨٠م.
٢٧- رمسيس يونان: دراسات في الفن، دار الكاتب العربي بالقاهرة، ١٩٦٩م.
٢٨- د. زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الكاتب العربي، ١٩٣٥م.
٢٩- د. سعيد الأيوبي: معجم الشعراء في لسان العرب، دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٧م.
٣٠- د. سيد حنفي حسنين: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨١م.
٣١- سيد بن علي المرصفي: رغبة الآمل من كتاب الكامل، م. النهضة، مصر، ١٩٢٧م.
٣٢- شفيق جبري: أنا والشعر، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٩م.
٣٣- د. شكري عياد، موسيقى الشعر العربي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٨م.
٣٤- د. شوقي ضيف: العصر الإسلامي، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٧٦م.
و - العصر الجاهلي، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٥م.
و - دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ١٩٧٩م.
و - في النقد الأدبي، دار المعارف، ١٩٦٢م.

٣٥- د. صالح أحمد العلي: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، م. المعارف، بغداد، ١٩٥٣م.

و - خطط البصرة ومنطقتها، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٦م.

٣٦- د. صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.

٣٧- د. صلاح عبدالحافظ: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، دار المعارف بمصر، ١٩٨٢-١٩٨٣م.

٣٨- طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة، بيروت، د.ت.

٣٩- طه حسين: حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر، ط١٣، ١٩٨٢م.

و - في الأدب الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٦٨م.

٤٠- د. عائشة عبدالرحمن: قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، ١٩٧٠م.

٤١- عاتق بن غيث البلادي: معجم قبائل الحجاز، دار مكة للنشر، ١٩٧٩م.

٤٢- عباس العقاد: ساعات بين الكتب، م. النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.

و - العقاد والمازني: الديوان، ط٢، القاهرة، ١٩٢١م.

٤٣- عباس القمي: الكنى والألقاب، م. الحيدرية، النجف، العراق، ط٣، ١٣٨٩هـ.

٤٤- عبدالبديع صقر: شاعرات العرب، م. المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م.

٤٥- عبدالحكيم حفني: شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة، مصر، ١٩٧٩م.

٤٦- د. عبدالرحمن بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، الكويت، ١٩٨٠م.

و - دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.

و - من تاريخ الإلحاد في الإسلام، م. النهضة المصرية، ١٩٤٥م.

٤٧- د. عبدالقادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، . الشباب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٨- د. عبدالله عسيلان: العباس بن مرادس الصحابي الشاعر، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٩م.

٤٩- د. عبدالمجيد الإسداوي: أشعار آل أمية بن أبي أمية الكاتب، (تحت الطبع).

و - أشعار آل محمد بن أبي عُيينة المهلبي، (تحت الطبع).

و - الأرجوزة في بداياتها وخصائصها الموضوعية والفنية، دار الأرقم، الزقازيق، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

و - اليزيديون أخبارهم وأشعارهم، دار الأرقم، ١٩٩٤م.

و - شعراء مغمورون، دار الأرقم، ١٩٩٤م.

و - مع الفقهاء الشعراء وأخبارهم، دار الأرقم، ١٤١٤هـ.

٥٠- د. عبدالمحسن بدر: حول الأديب والواقع، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٨٠م.

٥١- عبدالمعين الملوحي: أشعار اللصوص وأخبارهم، جمع وتحقيق، دار أسامة، دمشق، د.ت.

٥٢- د. عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٥م.

و - الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، ط٣، ١٩٧٨م.

٥٣- د. عفيف عبدالرحمن: معجم الشعراء الجاهليين المخضرمين، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٥٤- علي أحمد سعيد (أدونيس): الثابت والمتحول، دار العودة ببيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

٥٥- د. علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٥٦- د. علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، م. العربية للدراسات، بيروت، ١٩٧٩م.

٥٧- عمر كحالة: الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، م. التعاونية، دمشق، ١٩٧٢م.

و - معجم المؤلفين، م. المثنى، بغداد، د.ت.

و - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، م. الهاشمية، بغداد، ١٩٤٩م.

و - مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام، م. الحجاز، دمشق، ١٩٧٤م.

٥٨- فتحية فرج العقدة: الفكرة والصورة في شعر زهير بن أبي سلمى، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

٥٩- كمال مصطفى: معن بن أوس حياته وشعره وأخباره، م. النهضة بمصر، ١٩٢٧م.

٦٠- لويس شيخو: النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، م. اليسوعيين، بيروت، ١٩١٢م.

و - رياض الأدب في مراثي شواعر العرب، الكاثوليكية ببيروت، ١٨٩٧م.

و - شعراء النصرانية في الجاهلية، م. الآداب، القاهرة، ١٩٨٢م.

٦١- محمد إبراهيم: الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.

٦٢- محمد أحمد جاد المولى وزميلاه: أيام العرب في الجاهلية، م. الحلبي بمصر، ١٩٤٢م.

٦٣- د. محمد حسن عبدالله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف بمصر، ١٩٨١م.

٦٤- محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها، م. الأعلمي، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٥- د. محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، م. الوادي، ١٩٦٧م.

٦٦- د. محمد عبدالمنعم خفاجي: البناء الفني للقصيدة العربية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د.ت.

و - وحدة القصيدة في الشعر العربي، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

٦٧- د. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار نهضة مصر، ١٩٧٧م.

و - المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، م. الأنجلو، ١٩٦٢م.

٦٨- محمد مصطفى بدوي: دراسات في الشعر والمسرح، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

و - كولردج، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨م.

٦٩- محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٧٠م.

و - الشعر العربي في العصر الجاهلي، م. الشنهابي، الإسكندرية، ١٩٩٠م.

و - الشعر العربي من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول الهجري، دار المعارف، ١٩٨١م.

و - مشكلة السرقات في النقد العربي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٧٠- د. محمد مندور: الأدب وفنونه، م. نهضة مصر، ١٩٨٠م.
و - الشعر المصري بعد شوقي، دار نهضة مصر، د.ت.
٧١- محمد نجيب البهبيتي: تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، م. الخانجي، مصر، ١٩٦١م.
٧٢- د. محمد النويهي: الشعر الجاهلي، الدار القومية، القاهرة، د.ت.
٧٣- مصطفى السحرتي: الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، م. المقتطف، القاهرة، ١٩٤٨م.
و - النقد الأدبي من خلال تجاربي، م، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٦٢م.
٧٤- د. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس، ط٢، ١٤٠١هـ.
و - دراسة الأدب العربي، الدار القومية، القاهرة، د.ت.
و - قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، د.ت.
٧٥- موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب: معجم أسماء العرب، جامعة السلطان قابوس وم . لبنان، د . ت.
٧٦- د. ناصر الدين الأسد: القيان والغناء في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨م.
و - مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٦، ١٩٨٢م.
٧٧- نجيب العقيقي: المستشرقون، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٨٠م.
٧٨- د. نصرت عبدالرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، م. الأقصى، عمان، ١٩٧٩.
٧٩- د. نوري القيسي: الشعر والتاريخ، دار الحرية، بغداد، ١٤٠١هـ.
و - الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ.

و - شعراء إسلاميون، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.

و - شعراء أمويون، المجمع العلمي العراقي، بغداد، جـ٣، ١٤٠٢هـ.

٨٠- د. وليد القصاب: ديوان عبدالله بن رواحة في سيرته وشعره، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ.

٨١- د. يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩م.

رابعاً: الكتب المترجمة:

١- أغناطيوس كراتشو فسكي: دراسات في تاريخ الأدب العربي، ترجمة/ محمد المعصراني، دار العلم، موسكو، ١٩٦٥م.

٢- اليزابيث درو: الشعر كيف نفهمه ونتذوقه؟ ترجمة د. محمد إبراهيم الشوس، بيروت، ١٩٦١م.

٣- أوستن وارين ورينيه ويليك: نظرية الأدب، ترجمة د. محي الدين صبحي، دمشق، ١٩٧٢م.

٤- دائرة المعارف الإسلامية، جـ١٠، مادة (زهير).

٥- ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٧٣م.

٦- رينولد نيكلسن: تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ترجمة د. صفاء خلوصي، م. المعارف، بغداد، ١٩٦٩م.

٧- شيمربن: اللهجات العربية الغربية القديمة، ترجمة د. عبدالرحمن أيوب، م. جامعة الكويت، ١٩٨٦م.

٨- غوستاف فـون غرونبام: دراسات في الأدب العربي، ترجمة د. إحسان عباس وزملائه، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
٩- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، م. الحلبي. ١٩٦٩م.
١٠- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، ترجمـة د. محمـود فهمي حـجازي، المجلد الثاني، م. جامعة الإمام محمد بالرياض، ١٤٠٣هـ.
١١- ف.ل. سكفوزينكوف: نظرية الأدب، ترجمـة د. جمـيل ناصف، بغداد، ١٩٨٠م.
١٢- فون شاك: الفن العربي في إسـبانيا وصـقلية، ترجمة د. الطاهر مكي، دار المعارف بمصر، ١٩٨٥م.
١٣- كارل بروكـلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمـة د. عبدالحلـيم النجار، دار المعارف، ١٩٧٤م.
١٤- لاسل كرمبي: قواعد النقد الأدبي، ترجمة د. مـحمد عوض مـحمد، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٣٦م.
١٥- لويس مـاسينيـون: خطط الكوفـة وشرح خـريطتهـا، ترجمـة / تقي الدين المصعبي، م. العرفان، صيدا، لبنان، ١٩٣٩م.
١٦- ليون جوتييه: المدخل لدراسة الفلسفـة الإسلامية، ترجمة / مـحمد يوسف موسى، م. الرسالة، القاهرة، ١٩٤٥م.
١٧- هاملتون جب: المدخل في الأدب العربي، ترجمة / كـاظم سعد الدين، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٦٩م.
١٨- هوميروس: الإلياذة: ترجمة وتقديم / سليـمان البستاني، م. الهلال بمصر، ١٩٠٤م. (المقدمـة).
١٩- ولكن: الأمومة عند العرب، نقلها/ بندلي صليب الجوزي، كازان، ١٩٠٢م.

خامساً: الدوريـــــات والصحف :

١- جريدة (اليوم) السعودية، العدد (٧٠٩١): ١٩ من جمادى الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٣/ ١١/ ١٩٩٢م.

٢- مجلة الثقافة (المصرية): العدد (٦٣٣)، ٦ من جمادى الأولى، ١٣٧٠هـ/ ١٢ من شباط/ فبراير ١٩٥١م.

٣- مجلة الشـعر (المصرية): الأعداد (٢٣, ٢٤, ٢٥)، تموز وتشرين الأول/ يوليو وأكتوبر: ١٩٨١م وكانون الثاني/ يناير ١٩٨٢م.

٤- مجلة الفيصل، العدد (١٩٠) ربيع الثاني ١٤١٣هـ، والعدد (١٩٥)، رمضان ١٤١٣هـ.

٥- مجلة عالم الكتب، الرياض، السعودية: -

المجلد السابع، العدد الرابع، ربيع الآخر، ١٤٠٧هـ.

المجلد الثامن، العدد الرابع، ربيع الآخر، ١٤٠٨هـ.

والمجلد الثاني عشر، العدد الرابع، ربيع الآخر، ١٤١٢هـ.

والمجلد الرابع عشر، العدد الأول، رجب، ١٤١٣هـ.

والمجلد الخامس عشر، العدد الأول، رجب، ١٤١٤هـ.

٦- مجلة العـرب (السعـودية) أعداد: جمادى الأولى ١٣٩٣هــ، وجمادى الأولى ١٣٨٧هـ، وشـوال ١٤٠٩هـ. والربيـعين ١٤١٠هـ، ورمـضـان ١٤١١هـ، ورمضان ١٤١٢هـ، ومحرم/ صفر ١٤١٣هـ، والجماديان، ١٤١٤هـ.

٧- مجلة الكاتب (المصرية)، العدد الثاني، آيار/ مايو ١٩٦٢م.

٨- مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

٩- مجلة المنهل، العدد (٥١٦)، المحرم ١٤١٥هـ، حزيران/ يونيو ١٩٩٤م.

١٠- مجلة مجمع اللغة العـربية بالقاهرة، جـ ٦٧، ربيع الآخر، ١٤١١هـ/ تشرين الأول/ نوفمبر، ١٩٩٠م.

* * *

٢- فهرس الآيات القرآنية الكريمة

١- سورة البقرة: الآية (١٨): ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨)﴾ ٣٨٢.

٢- سورة البقرة: الآية (١١٧): ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾ ٣٨٣.

٣- سورة البقرة: الآية (٢٣٢): ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾ ٤٩٧.

٤- سورة النساء: الآية (١٧١): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ ...﴾ ٥٨.

٥- سورة الأنعام: الآية (١٤٠): ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)﴾ ٣٩.

٦- سورة الأعراف: الآية (٣٤): ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)﴾ ٤٤٣.

٧- سورة الأعراف: الآية (٣٦): ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)﴾ ٣٨٢.

٨- سورة التوبة: الآية (٩٢): ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢)﴾ ٨١.

٩- سورة الرعد: الآية (٣٨): ﴿... لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨)﴾ ٤٤٣.

١٠- سورة الإسراء: الآية (٢٤): ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ ٣٨٤.

١١- سورة الفرقان: الآية (٣١): ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ٣٨٣.

١٢- سورة الشعراء: الآيتان (٨٨-٨٩): ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ ٢٦٦، ٣٨٢.

١٣- سورة الشعراء: الآية (٢١٥): ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ ٣٨٤.

١٤- سورة الفتح: الآية (١٨): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ ٣٨٣.

١٥- سورة القمر: الآية (٤٨): ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ ٣٨٢.

١٦- سورة الحشر: الآية (٩): ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ ٢٤٣.

٣- مقتبسات من التوراة والإنجيل

أ- العهد القديم (التوراة):

١- سفر أيوب، الإصحاح (٨)، الآية (٨): (اسأل القرون الأولى وتأكد مباحث آبائهم، لأننا نحن من أمس ولا نعلم لأن أيامنا على الأرض ظل): ٦١.

٢- سفر أيوب، الإصحاح (١٤)، الآية (٥): (إذا كانت أيامه محدودة وعدد أشهره عندك وقد عينت أجله فلا يتجاوزه، فأقصر عنه ليستريح إلى أن يسر كالأجير بانتهاء يومه): ٦١.

٣- سفر الأمثال، الإصحاح (٢)، الآية (٢٧): (لا تمنع الخير عن أهله حتى يكون في طاقة يدك أن تفعله): ٦١.

٤- سفر أرميا، الإصحاح (١٧)، الآيات (٩-١٠): (القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس، من يعرفه أنا الرب فاحص القلب، مختبر الكل لأعطي كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله): ٦١.

ب- العهد الجديد (الإنجيل):

٥- إنجيل لوقا، الإصحاح (١٢)، الآية (٥٧): (لماذا لا تحكمون بالحق من قبل نفوسكم؟): ٦٣.

٤- فهرس الأحاديث النبوية

١- رُوي أنه ﷺ قال: «قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار مواليَّ ليس لهم مولى دون الله ورسوله»: ٧٧.

٢- رُوي أنه ﷺ قال لأبي هيصم المزني: «إني مستعملك على هذا الوادي، فمن جاء من هاهنا وهاهنا ـ يشير ﷺ نحو مطلع الشمس ومغربها ـ فامنعه، فقال أبوهيصم: "إني رجل ليس لي إلا بنات، وليس معي أحد يعاونني" فقال رسول الله ﷺ: إن الله يرزقك ولدا»: ٩٦.

٣- رُوي أنه ﷺ كتب إلى جماعة كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد: «إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعبدهم حر، ومولاهم محمد، ومن كان منهم من قبيلة لم يرد إليها وما كان من دم أصابوه أو مال أخذوه فهو لهم، وما كان لهم من دين في الناس رد إليهم ولا ظلم عليهم ولا عدوان، وأن لهم على ذلك ذمة الله وذمة رسوله»: ٩٨.

٤- عن رجل من مزينة أنه قال: قالت لي أمي: (ألا تنطلق، فتسأل رسول الله ﷺ كما يسأل الناس؟ فانطلقت أسأله، فوجدته قائماً يخطب وهو يقول: «من استعف أعفه الله، ومن استغنى أغناه الله، ومن سأل الناس وله عدل خمس أوراق فقد سأل إلحافا. .» فرجعت ولم أسأله): ١٠٠-١٠١.

٥- عن سويد بن مقرن المزني أنه قال: "لقد رأيتني سابع سبعة من إخوتي وما لنا إلا خادم، فلطمه أحدنا، فأمرنا النبي ﷺ أن نعتقه".

٦- عن بسر بن عصمة المزني قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جهينة مني وأنا منهم، من آذى جهينة فقد آذاني». وفي رواية أخرى: «فقد آذى الله»: ٢٥٨، ٥١٨.

٧- رُوي أن حسانة كانت تدخل على خديجة رضي الله عنها في مكة، فأتت رسول الله ﷺ أيام عائشة، فأقبل عليها، ورحب بها، وقال: كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ فـقالت: بخـير، بأبي أنت وأمي يا رسـول الله، فلما خـرجت، قالت السيدة عائشة: يا رسول الله تقبل على هذه العـجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان»: ٤٩٨.

٨- قال القتبي: (كـان أبومويهبة مولى رسول الله ﷺ، من مولدي مـزينة، فاشتراه النبي فأعتقه، وهو الذي انطلق به إلى البقيع وقال: إني أمرت أن أستغفر لهم): ٥٠٢.

٥- فهرس الأقوال والمأثورات والرسائل

١- هذا يوم مزن: ١٤.

٢- فلان يتمزن على قومه: ١٤.

٣- تشمرت مع الجاري: ٣٤.

٤- يخبط خبط عشواء: ٣٩، ٦٨، ٤٤٢.

٥- أبعده الله وأسحقه وأوقد ناراً أثره: ٤٣.

٦- الأوس يوم بعاث لحضير: لو حاجزت القوم وبعثت إلى من تخلف من حلفائك من مزينة؟!

ـ حضير: أنتظر مزينة وقد نظر إلى القوم ونظرت إليهم؟! الموت قبل ذلك) ٥٠.

٧- جؤي المزني: أعطى الله عهدا ليقتلن بي منكم خمسون ليس فيهم أعور ولا أعرج) ٥٠.

٨- زهير المزني: (لولا أن تفندون لسجدت للذي يحيي هذه بعد موتها) ٦٣.

٩- خزاعيّ المزني لقومه: (يا قوم، قد خصكم شاعر الرجل (يقصد النبي ﷺ) أناشدكم الله) ٧٦.

١٠- النعمان بن مقرن المزني: (قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله، مالنا طعام فتزوده، فقال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب: زودهم. فقال عمر: ما عندي إلا فاضلة من تمر، وما أراها تغني شيئا. فقال ﷺ: انطلق فزودهم حاجتهم. فانطلق بنا إلى علية فيها قدر من تمر الجمل البارك، فقال: خذوا، فأخذ القوم حاجتهم. قال (النعمان): وكنت أنا آخر القوم فالتفت ما أفقد موضع تمرة وقد احتمل منه أربعمائة رجل): ٧٦-٧٧.

١١- عبدالله بن مغفل المزني: (رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح، حال كونه يرجع صوته بالقراءة..): ٨٠.

١٢- معاوية بن قرة المزني: (لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع النبي ﷺ . .): ٨٠.

١٣- بلال المزني: (أسرنا أكيدر وأخاه، فقدمنا بهما على رسول الله ﷺ): ٨١.

١٤- عبدالله بن عمرو بن عوف المزني: (كنا أربعين رجلا من مزينة مع خالد، وكانت سهامنا خمس فرائض، فكل رجل مع سلاح، يقتسم علينا درع ورماح): ٨١.

١٥- عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص: (إن النعمان بن مقرن كتب إليَّ يذكر أنك استعملته على جباية الخراج، وأنه كره ذلك ورغب في الجهاد، فابعث به إلى أهم وجوهك إلى نهاوند): ٨٧.

١٦- معاوية بن قرة المزني للحجاج الثقفي: (إن صدقناكم قتلتمونا، وإن كذبناكم خشينا الله): ٩٢.

١٧- عمر بن الخطاب لبلال بن الحارث المزني: (إنما أعطاك رسول الله ﷺ لتعمر ولم يعطك لتحجر. .): ٩٧.

١٨- بدر بن عبدالله المزني: (قلت يا رسول الله، إني رجل محارف لا ينمي لي مال): ٩٩.

١٩- قرة المزني: (لقد عمرنا مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الأسودان: الماء والتمر): ٩٩.

٢٠- الحريري: (فإذا ألمعيتي ألمعية ابن عباس وفراستي فراسة إياس): ١١٤.

٢١- بُجير المزني لأخيه كعب: (إن كانت لك في نفسك حاجة فأقدم إلى رسول الله، فإنه لا يقتل أحداً جاء تائبا. .): ١٢٤، ٥١٣.

٢٢- معن: ضربة لازم: ٢٥٣.

- وكل امرئ جار على ما تعودا: ٢٥٣.

٢٣- كالأخذ باليد: ٥٣٢.

٦- فهرس الأرهاط والجماعات والقبائل

٧- فهرس الأصنام والمعبودات من دون الله سبحانه

٨- فهرس الأعلام والشعراء (*)

(*) رمزتُ للشعراء في هذا الفهرست بالحرف (ش).

٩- فهرس الأماكن والبلدان والمواضع

١٠- فهرست الأوزان والقوافي بأشعار الملحق (*)

القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	القصيدة/ المقطوعة
النساءُ	الوافر	أبو المعافى	٢	٤٠
وداءُ	الطويل	مكنف بن نُميلة	٧	١٠٠
لا يخيبُ	الطويل	بجير	١	١
لبيبِ	الطويل	المضرب/ عروة	١٥	٨١
وانتسبوا	البسيط	عمرو بن رياح	٢	٩٣
غروبُ	الطويل	العوام	١	٩٤
حبيبِ	الطويل	معن بن أوس	١	٣٣
مصعبِ	الطويل	عبدالله بن عمرو	٤	٦٣
المواهب	الطويل	عبدالله بن عمرو	٢	٦٤
بركْوبِ	الطويل	المضرب	١	٨٢
طالبِ	الطويل	العوام	٣	٩٥
طالب	الطويل	العوام	٣	٩٥
أبى	البسيط	الممزق	١	١٠٥
فأكذبا	الطويل	خارجة بن فُليح	١	٤٧
يتقضبا	الطويل	خارجة	١	٤٨
فيعجبا	الطويل	حسان بن الغدير/ غيره	٢	١٠٧
حُجرِتها	الرمل	خارجة	٦	٥٠
نازحُ	الطويل	المضرب/ غيره	٢١	٨٣
ورائحُ	الطويل	حسان بن الغدير	٥	١٠٩

(*) الأرقام المدونة في النهر الخامس من هذا الفهرس هي أرقام القصائد والمقطوعات بملحق الشعر والترتيب حسب ميل الشعراء المزنيين من الروى المضموم فالمكسور فالمفتوح فالساكن.

القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	القصيدة/ المقطوعة
تُعبدُ	الطويل	بجير / حسان	٧	٧
الصيخدُ	الكامل	كعب بن زهير	١	١٨
صيدُ	البسيط	معن بن أوس	٤	٣٥
تجودُ	الطويل	خارجة	٦	٥٠
تُريدُ	الطويل	عبدالله بن عمرو	١١	٦٦
يزيدُ	الكامل	المضرب	٢	٨٥
أعودُها	الطويل	العوام/ غيره	٢٤	٩٦
الورودُ	الوافر	مُزني	١	١١٧
باليدِ	الطويل	كعب/ سارية/ أنس	١	٢٧
منضدِ	الطويل	خارجة	١٤	٥٠
أسدِ	البسيط	عبدالله بن عمرو	٩	٦٥
زائدِ	الطويل	معن	١	٨٩
بالقصائدِ	الطويل	المحرق	٣	٨٩
المقيدِ	الطويل	مزني	٢	١١٨
تصدى	الرجز	معن	٣	٣٤
الجلادا	الوافر	بُجير	١	٢
أسودا	الطويل	أبوالمعافي	٢	٤١
وجدا	البسيط	عبدالله بن عمرو	١٤	٦٧
ظفروا	البسيط	كعب	٢	١٩
موتورُ	البسيط	الجعالي	٥	٤٦
يفتقرُ	البسيط	كعب	١	٢١
عكُورُ	الطويل	خارجة	٢٩	٥٢

القافية	الـوزن	القائـــل	عدد الأبيات	القصيدة/ المقطوعة
القـمـرُ	البسـيط	خــارجــة	١٦	٥٣
عـاشـرُ	الـطويـل	خــارجــة	١٤	٥٤
الأصاغرُ	الـطويـل	خــارجــة	٢	٥٥
كُـدرُ	الـطويـل	شـبيب بـن عـقـبة	٣	٦٢
ويـدور	الـطويـل	عـبدالله بن عـمـرو	٧	٦٨
تـنـكـرُ	الـكامـل	حـسـان بن الغـدير	٧	١٠٩
مطيـرُها	الـطويـل	الـعـوام	٤	٩٧
عـذُرُ	الـطويـل	مـكـنـف	١٠	١٠١
الغـضارُ	الوافـر	الخنـسـاء	٣	١١٠
يجـورُ	الـطويـل	غُـزلان الـثـمـامي	٥	١١٢
الـشكـرِ	الـطويـل	بـنـت زهـيـر	٢	١٥
ختـارِ	الـكامـل	كـعـب	٧	٢٠
السـفـرِ	الـرمـل	أبـوالمعـافى	٣	٤٣
المحاجـرِ	الـطويـل	خــارجــة	٢	٥٦
بالحـاجرِ	الـكامـل	ابـن مـيـادة	٢	٨٥
حـاذر	الـطويـل	عـقـبـة	٤	٨٦
والعـارِ	البسـيط	مـزني	٤	١١٩
تذكـرا	الـطويـل	المضـرب	١	٨٧
سـقـرا	البسـيط	بُجـيـر	١	٣
عـيـرا	الرجـز	كـعـب	٢	٢٢
عَـجَـرْ	الرجـز	زينـب بنت عُـرفـطة	٥	٦١
وعُـورْ	الرجـز	فليح بن إسـمـاعـيل	٢	٩٩

القافية	الــوزن	القائـــل	عدد الأبيات	القصيدة/ المقطوعة
هاجسُ	الطويل	بُسُر / بشر	٢	٩
وقُلّصا	الطويل	عبدالله بن عمرو	٨	٦٩
نازعُ	الطويل	خارجة	٣	٥٧
أدرعُ	الطويل	المحرق	١	٩٠
جزوعُ	الطويل	مكنف	٦	١٠٢
القعقاعِ	الكامل	مكنف	١	١٠٣
معا	الطويل	بلال بن الحارث	١	١١
يتصدعا	الطويل	خارجة	٤	٥٨
شرفُ	البسيط	كعب	١	٢٣
يختلفُ	البسيط	عبدالله بن عمرو	١٦	٧٠
راجفُ	الطويل	مضرس بن قرطة	٤	١١٥
خفاف	الوافر	بجير	١٣	٤
النمارقَ	الطويل	عبدالله بن عمرو	١٤	٧١
الملقُ	البسيط	عبدالله/ المضرب	٤	٨٠
دافقُ	الطويل	العوام/ غيره	٤	٩٨
يشوقُ	الطويل	مضرس/ غيره	٢٠	١١٦
الأبرقِ	الكامل	بُجير	٩	٥
إسحاقِ	الكامل	مكنف	٦	١٠٣/ب
ساقا	البسيط	كعب/ أبوداود	شطر بيت	٢٨
صادقا	الرجز	عبدالله بن عمرو	٦	٧٢
وأربُكِ	الطويل	النعمان بن مُقرن	٣	٣٨
ابناكِ	الكامل	أبوالمعافي	١	٤٤

القافية	الوزن	القائل	عدد الأبيات	القصيدة/ المقطوعة
لكا	الطويل	كعب	١	٢٤
أسلاكا	البسيط	عبدالله بن عمرو	١٥	٧٣
أفعل	الطويل	خُزاعى	٣	١٦
وتقبيلُ	البسيط	كعب	٧	٢٥
فاعلُ	الطويل	خارجة	٤	٥٩
أقبلُ	الطويل	المحرق	٢	٩١
قليلُ	الكامل	مكنف	٤	١٠٤
مقيلُ	الوافر	مزني	٢	١٢٠
مجهلِ	الطويل	كعب/ مزاحم	١	٢٩
الجاهلِ	السريع	كعب/ الباهلي/ عبيدالله الهذلي	٨	٣٠
كلالِ	الوافر	أبوالمعافى	٣	٤٥
سجلِ	الطويل	عبدالله بن عمرو	٢١	٧٤
بالسدولِ	الوافر	الحاجب	١	١٠٦
مثقالِ	الكامل	مزني	١	١٢١
جهلا	الطويل	عبدالله بن عمرو	٣٣	٧٥
أحزمُ	الطويل	بُجير	٤	ذ
الدعمُ	البسيط	عبدالله بن عمرو	١٢	٧٦
أصرافُمه	الرجز	عبدالله بن عمرو	١٠	٧٧
برامُ	الطويل	المحرق	١	٩٢
مقيم	الوافر	مزني	٢	١٢٢
الإسلام	الكامل	عبدالرحمن	١	١٤

١١- فهرس الأيام والفتوحات والمعارك والمواقع

١٢- فهرس الحيوانـــات

١٣- فهرست الطيـــور

١٤- فهرس الكتب الواردة بالمتن

- مجلة العرب لحمد الجاسر: ل، س.
- مجلة كليـة الآداب جامعـة بغداد: ١٥٦.
- مـجلـة مـجـمـع اللغـــة العـربيـة بالقاهـرة: ل.
- مختارات شـعراء القبائل لأبي تمام: ١٢٠.
- مـعـجم البلدان ليـاقـوت: ٥١٠، ٥٧١، ٦٣٠.
- معجم القبائل والأمصار: ٥٩.
- معجم ما استعجم: ٥١٢.
- منتهى الطلب: ١٥٨.
- نوادر اللحياني: ٥٩.

١٥- فهرست الكواكب والنجوم

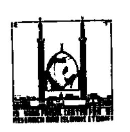
١٦- فهرس الليالي والأعياد والشهور والفصول والعصور والقرون

١٧- فهرس المصطلحات

١٨- فهرس النبات والشجر

* * *

فهرس المحتويـــات



مطبعـــة

مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الاسلامية